الكتاب الذي ترجم إلى إحدى وعشرين لغة

روبرت غرين

فن الإغواء

من مؤلف كتاب: «كيف تمسك بزمام القوة»

ترجمة: منير سليمان



* فن الإغواء
* روبرت غرين
* الطبعة الأولى 2010

* دار المنير للنشر والترجمة والتوزيع
سوريا، اللاذقية، ص.ب: 729
هاتف 329758 41 963 +
موبايل: 881781 932 963 +
Email: almouneer@gmail.com

* التوزيع خارج سوريا: دار المنير ودار الحصاد
سوريا، دمشق، هاتف 2134692
فاكس: 2126326، ص. ب: 4490

* م.و.إ.ع.ط: 106203، تاريخ 2010/8/23

روبرت غرين

فن الإغواء

ترجمة منير سليمان

Original title:

THE ART OF SEDUCTION

فـن الإغـواء

روبرت غرين: مؤلِّف «*كيف تمسك بزمام القوة: ثمان وأربعون قاعدة ترشدك إليها*».

يحمل درجة في الأدب الكلاسيكي، وهو يعيش في لوس أنجلس زوروا موقعه الإلكتروني: www.seductionbook.com

جوست إلفرز: هو منتج كتب استوديو الڤايكنغ الأكثر مبيعاً «The Secret Language of Birthday»، «play with your food»، بالإضافة إلى «The Secret language of Relationships».

و يعيش في مدينة نيويورك.

إلى ذكرى والدي

شكر وتنويه

أولاً، أود أن أشكر آنا بيلر لإسهاماتها التي لا تعد في هذا الكتاب: البحث، المناقشات العديدة، مساعدتها التي لا تقدر بثمن فيما يتعلق بالنص، وأخيراً وليس آخراً، معرفتها بفن الإغواء، الذي كنت الضحية السعيدة له في مناسبات عديدة.

يجب عليّ أن أشكر والدتي لوريت، لدعمها إيّاي بذلك الثبات خلال هذا المشروع ولكونها أكثر المعجبين بي تفانياً.

أود أن أشكر كاثرين لوزون التي أدخلتني إلى *les liaisons dangereuses* (علاقات سرية خطرة) وعالم بطلها ڤيكونت ڤالمون.

أود أن أشكر كلاًّ من داڤيد فرانكل، لتحريره الرشيق ولنصيحته المقدرة حق قدرها؛ مولي ستيرن لدى ڤايكنغ بنغوين، لإشرافه على المشروع ومساعدته على تشكيله؛ رادها بانشام، لإبقائه كل شيئ منظماً ولكونه صبوراً إلى ذلك الحد، وبرت كيلي لدفعها بالأمور قدماً.

بقلب منقبض أود أن أتقدم بالثناء من قطي بوريسو الذي راقبني وأنا أكتب لثلاثة عشر عاماً، والذي يُفتَقَد وجوده بشدة. قد أثبت خلفه بروتوس أنّه مصدرُ إلهام قيّم.

في النهاية أود أن أكرم أبي؛ حيث أنّ الكلمات لا تستطيع أن تعبّر عن مدى افتقادي له وعن مدى إلهامه لعملي.

مقدّمة الناشر والمترجم

لطالما دار الحديث بيني وبين الرفاق عمّا تريده الفتاة وكيفيّة الوصول إليها والحصول عليها وعدم خسارتها بعد ذلك، وعن كيفيّة المحافظة على الوقار والقيمة الذاتيّة أثناء كلّ هذا الكدح.

فكان شأننا في ذلك شأن جميع الفتية في المدارس الذين لا يتسنّى لهم رؤية الفتاة إلّا إذا وقفوا كالبلّه أمام مدارس البنات عند انتهاء الدوام أو فلينحرموا حتّى من النظر إذا كانوا يخجلون من ممارسةٍ ولاّديّةٍ كهذه.

وكنّا نعلّل النفس بالأماني ونقول بأنّنا عندما نتحرّر من المدرسة وندخل الجامعة فإنّنا سنحظى بكلّ الفتوحات الغراميّة والعلاقات السعيدة التي طالما حلمنا بها. لكن في الوقت الذي دخلنا فيه الجامعة فإنّ الحواجز النفسيّة التي تشكّلت عبر سنوات الكبت كانت أكثر منعةً من جدران المدرسة الإسمنتيّة. ولم تسعفنا لا تجربتنا الضحلة في هذا المجال ولا ذخر الثقافة الشعبيّة التي قوامها قليلٌ من المقولات الجاهزة والأقوال السائرة، وجرّبنا كلّ وصفات التقرّب إلى الفتاة؛ فمن لعب كمال الأجسام حتّى صارت أجسام بعضنا كتماثيل آلهة الإغريق في تناسقها وجمالها إلى الاعتناء المفرط بالمظهر والشعر والهندام إلى التواجد الدوري في الأماكن التي يكثر فيها وجود الفتيات إلى ركوب السيّارات الفخمة. وأثبتت هذه الجهود المضنية عقمها إذ لم يحكم شيئاً علاقة معظمنا بالإناث سوى قانون الاعتباط المحض والصدفة. ونتيجةً لهذا فقد تحوّلت صورة الأنثى في أذهان العديدين من المخلوق اللطيف الذي يعد بسعادة غامرة إلى ذلك الكيان المتقلّب الذي تناقض أفعاله أقواله ولا يصرّح ظاهره بما يعتمل في باطنه حتّى صار لغزاً يستهلك طاقة الشاب أوّلاً في محاولة تصوّره عبثاً وثانياً في كرهه نتيجةً

لذلك؛ وكأنّه لم يوجد إلّا ليقدّم لنا الأحجية تلو الأحجية والمعضلة تلو المعضلة ولغيرنا كلّ ما تمنّيناه يوماً.

ألم يكن من الأجمل لو كان هنالك كتابٌ يكشف أسرار النفس الإنسانيّة وأسرار التواصل ما بين الجنسين كي يوفّر كلّ هذا الشقاء ويزيل الاضطراب الذي تضطرب به خلجات الكثيرين في علاقتهم مع نصفهم الآخر؟ ويمحو سوء الفهم والتردّد والارتباك والحيرة ويعصف بكلّ العقد التي تراكمت عبر السنين وكأنّها لم تكن يوماً؟

هذه كانت أمنيتي كمراهق؛ إذ كنت أقول لرفاقي: آهٍ لو كان هنالك كتابٌ بهذا الخصوص كي أحفظه! وكونه لا يوجد فإنّني سأؤلّف مثل هذا الكتاب. لكن لم أستطع أن أشرع في مثل هذه المحاولة، كوني أنا نفسي لم أكن أعرف كيف أغوي ونصيبي في لعبة الإغواء ليس ممّا يُباهى به. لذا فبدأت بمحاولة اكتشاف وتعلّم مبادئ هذا الفنّ كي أعلّمه فيما بعد فأصبت حيناً وأخطأت أحياناً، وأصابني التردّد والشك؛ فلجأت إلى من يزعمون أنّهم أساتذةٌ في هذا المضمار فوجدت حيرةً أعمق من حيرتي وتخبّطاً أكبر من تخبّطي ويقيناً لا ينمّ إلّا عن الجهل والتمسّك بالمألوف؛ لذا فقد قرّرت أن ألجأ إلى الكتب، فأخذت أنقّب في روائع الأدب علّي أجد بين شجونها قانوناً يحكم النفس الإنسانيّة أو وجهاً من وجوهها أو سنّةً كونيّةً خالدة؛ فاكتشفت لآلئ من الحكمة لكنّها كانت كلآلئ البحر تنتظر من يستخرجها ويجمعها في عقدٍ جميلٍ وثمين؛ ثمّ رحت أقرأ في كتب علم النفس والاجتماع فاستفدت فائدةً جمّة لكنّني لم أجد ضالّتي تماماً إذ لم يكن ولا كتابٌ منها يتعامل بشكلٍ مباشرٍ وشموليّ مع مسألة الإغواء؛ ثمّ فطنت إلى كتب لغة الجسد بعد أن أعياني التضارب ما بين الأقوال والأفعال وبين ما يصرّح به اللسان وبين ما يظهر في صفحات الوجه والإيماءات. لكنّ كل هذه الكتب كانت تمرّ بموضوع الإغواء مرور الكرام دون تعمّقٍ أو إحاطة حتّى صرت أعتقد أنّ هذا الموضوع لأكثر تعقيداً من أن تنظمه القوانين وبالتالي لا يمكن أن يؤلّف كتابٌ عنه. وهكذا صار الحلم يخبو رويداً رويداً حتّى انزوى في مكانٍ مظلمٍ من الذاكرة شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من أحلام الصبا التي يتخلّى عنها أصحابها بعد أن يسمّوها بالأهواء والنزوات. عندها فقط، وبمحض الصدفة، رأيت كتاب فنّ الإغواء، باللغة الإنكليزيّة، في

مكتبة أنطوان في لبنان؛ فأمسكت به وتلمّست أحرفه الذهبيّة النافرة كمن يتحسّس كنزاً وقلت لنفسي هل يُعقَل أنّ الحلم قد تحقّق وأنّ هنالك فعلاً مثل هذا الكتاب؟!! فاشتريته على الفور وعدت به إلى منزلي ورحت أقرأ فيه.

وإذا به كلّما قرأت صفحةً منه، حضرتني صفحةٌ من ماضيّ وتجربتي، واكتشفت قلّة معرفتي وبطلان كثيرٍ من الآراء الراسخة التي كنت أعتنقها وأعلنها بإيمان. فقلت لنفسي آن الأوان لأن أفي بوعدي لأصدقائي ولأن تتحوّل الأماني إلى حقائق.

وكان قد تجلّى لي عبر السنين مدى استفحال عقد الكبت والتشنّج في مجتمعاتنا العربيّة التي تذخر بالطاقات ومدى تقطّع الأسباب ما بين الرجال والنساء، وأدركت أنّ مشكلة الإغواء ليست مجرّد صعوباتٍ يلاقيها بعض المراهقين في التواصل مع نصفهم الآخر في مرحلةٍ عابرةٍ من حياتهم وإنّما هي هاجسٌ يؤرّق مضجع السواد الأعظم من شبابنا العربيّ ومصدر تعاسةٍ كبيرة ليس لها أيّ مبرّر أو مسوّغ.

فكم من طالبٍ يرسب كلّ عام أو يفشل ومردّ فشله هو الفشل بالإغواء أو الجهل به. وكم من شخصٍ توقّف نموّه النفسي أو تأخّر بعد صدمةٍ عاطفيّة؛ وكم يعاني من لا يتمتّع بمهارات الإغواء من شعورٍ طاحنٍ بالنقص والتقصير؛ وكم من زوجين لا يجمع بينهما إلّا الأمر الواقع وأحكام الضرورة ولا تشدّهما إلّا تيّارات الملل؛ وكم تواضع نجاح الكثيرين نتيجةً لافتقادهم لهذه المهارة أو تلك من مهارات الإغواء؛ وكم وكم وكم...

وهكذا قرّرت أن أحصل على حقوق الترجمة والنشر باللغة العربيّة؛ فابتدأت تفاوضاً مع دار النشر الأمريكيّة التي أطلقت هذا الكتاب؛ وتمخّضت المفاوضات عن دار المنير وهذا الكتاب الذي بين أيديكم.

فنّ الإغواء لا يتطلّب أن تستنبط أو تخترع ولا أن تخلق شيئاً من لا شيء وإنّما أن تكتشف ما هو موجودٌ أساساً. الفرق ما بين المغوي وغير المغوي كالفرق بين الألماس والفحم: كلاهما مكوّنٌ من نفس المادّة، ذرّات الكربون، لكنّ الألماس ترتّبت ذرّاته بطريقةٍ مختلفة عن الفحم وتبلورت. هذا الكتاب سيساعدك على إعادة ترتيب مكوّناتك النفسيّة وعلى إجراء عمليّة

التبلور هذه، كي تتزيّن بالألماس وينجلي عنك ما يعلوك من الغبار والفحم. الإغواء كالجاذبيّة: كلّنا نخضع لتأثيرها ونعمل وفقاً لقانونها، أدركنا ذلك أم لن ندرك. وهكذا فكلّنا أجرامٌ سماويّة تسبح في فضاء الإغواء: منّا النجوم الساطعة أو الخافتة ومنّا الشموس ومنّا الكواكب ومنّا الأقمار والشهب والنيازك. ولا يموت نجمٌ إلّا ليولد آخر ولا تنطفئ شمسٌ إلّا لتضيء أخرى. ومن أنت من هذه المنظومة الرائعة؟ هذا ما سيساعدك هذا الكتاب على اكتشافه كي تنعم بما حبتك به الطبيعة ولتكون في الطليعة.

فدعني أبارك لك اقتناءك هذا الكتاب الرائع الذي يجمع ما بين المعرفة العلميّة والعمليّة بالإضافة إلى عشرات القصص الجميلة المستقاة من جميع الحضارات والثقافات.

وهكذا فإنّي أهدي *فن الإغواء*، في النسخة العربيّة، إلى كلّ من وقف يوماً حائراً أمام أسرار الإغواء وإلى كلّ من ظفر منه بأقلّ ممّا يستحقّ، وإلى كلّ الإناث اللواتي مارسن معي بعض ألعاب الإغواء وأردنني يوماً أن أضرب أخماساً بأسداس. وإن كانت الفكرة قد تكوّنت في ذهني وأنا لا أزال يافعاً فهذا لا يعني أنّ الكتاب يتوجّه لفئةٍ عمريّة دون أخرى، بل هو لجميع الأعمار وللمتزوّجين كما هو للعازبين. وإذا كنت قد شرعت بها من موقعي كشابّ فهذا ليس استثناءً للإناث؛ فالكتاب مُهدى أيضاً للحوريّة كي تفعّل جمالها وللطبيعيّة كي تعتزّ بطبيعيّتها، وللعاشقة المثاليّة كي لا تتخلّى عن مثاليّاتها وللمغناج كي لا تشتطّ في غنجها. كما أودُّ أن أتقدّم بالشكر لكلّ من روبرت غرين وجوست إلفرز على وضعهما ثقتهما بي في نقل هذه التحفة إلى العربيّة.

والآن دعني أودّعك قبل أن تبحر في هذا الكتاب ومعه في رحلةٍ معرفيّةٍ تذكر فيها ماضيك وتصنع حاضرك وتنطلق إلى مستقبلك(*).

19 حزيران 2010

منير سليمان

(*) القراء الأعزاء إن دار المنير تكون شاكرة لكم إذا تفضلتم وأبديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته وشكل عرضه وطباعته وأعربتم لها عن رغباتكم.

المحتويات

إن الرجل غالباً ما يكون مقموعاً نتيجةً للدور الذي يتعين عليه أن يلعبه ـ لأنه لزامٌ عليه أن يكون مسؤولاً ومتحكماً وعقلانياً. فالحورية هي الرمز المطلق لأهواء الرجل وخيالاته الجامحة، لأنها تقدم التحرر الكامل من قيود حياته. في حضورها، الذي دائماً ما يكون مُبرَزاً ومشحوناً جنسياً، يشعر الرجل بأنه قد انتقل إلى مملكة من اللذة الخالصة. في عالم يحول فيه حياء النساء وتهيبهن دون إظهارهن لصورةٍ كهذه، تعلّمي أن تتحكمي بليبيدو الرجل من خلال تجسيد أحلامه ونزواته.

المرأة لا تشعر أبداً بأنها مرغوبة ومقدرة بما فيه الكفاية. إنها تريد الاهتمام، لكن الرجل غالباً ما يكون مشتتاً وغير متجاوب. الخليع شخصية بارزة في خيال المرأة ـ عندما يرغب بامرأة، ولو للحظة قصيرة فإنه سوف يذهب إلى أقاصي الأرض من أجلها. قد يكون غير مخلص أو غير شريف،

ولا صفة أخلاقية له، ولكن هذا كله لا يعدو عن كونه إمعاناً في جاذبيته. حرّك أتواق المرأة المكبوتة من خلال تبني مزيج الخليع من الخطر واللذة.

العاشق المثالي صفحة 81

معظم الناس كان لديهم خلال صباهم أحلامهم التي تحطمت أو امّحت بمرور الزمن. فهم يجدون أنفسهم خائبي الآمال حيال الناس والأحداث والواقع، الذين لا يمكن أن يرتقوا لمستوى مثالياتهم الفتية. العاشقون المثاليون يزدهرون على أحلام الناس المحطمة، التي تتحول إلى أوهام وتخيلات تمتد بامتداد العمر. إذا كنت تتوق إلى الرومانس؟ أو إلى المغامرة؟ أو إلى المشاركة الروحية النبيلة والرفيعة؟ فإن العاشق المثالي هو الذي يعكس لك تطلعاتك الحالمة. هو أو هي فنان/نة في خلق الوهم الذي تتطلبه. في عالم من عدم الاكتراث والانحطاط، يوجد سلطة غير محدودة للإغواء في اتباع درب العاشق المثالي.

الغندور صفحة 99

معظمنا يشعر بأنه واقعٌ في شرك الأدوار المحدودة التي يتوقع منا المجتمع أن نلعبها. فنحن ننجذب حالاً لأولئك الأكثر مرونةً ورشاقةً منا ـ أولئك الذين يخلقون صورة شخصياتهم الخاصة. الغنادير يثيروننا لأنه من غير الممكن تصنيفهم، ويُلمِعون إلى حريةٍ نريدها لأنفسنا. هم يلعبون بالرجولة والأنوثة؛ ويصوغون صورتهم الجسمانية الخاصة التي دائماً ما تكون مذهلة. استخدمْ قوة الغندور لكي تخلق حضوراً مُغرياً ملتبساً، يحرك الرغبات المكبوتة.

الطبيعي صفحة 117

الطفولة هي الفردوس الذهبي الذي نحاول دائماً بشكلٍ واعٍ أو غير واعٍ أن نعيد خلقه. يجسد الطبيعي خصائص الطفولة المتمناة بشدة ـ العفوية

والإخلاص وعدم الادعاء. في حضرة الطبيعيين نشعر باليسر. فنرجع إلى العهد الذهبي بعد أن افتتنا بروحهم المرحة. اتخذ وقفة الطبيعي لكي تحيد حيادية الناس وتعدهم بغبطة غير محدودة.

المغناج صفحة 139

القدرة على تأجيل إشباع الرغبة هي مطلق فن الإغواء ـ خلال الانتظار تقبع الضحية في حالة عبودية. المغناجون هم أكبر أسياد للعبة، يزاوجون في جيئةٍ وذهاب ما بين الأمل والإحباط لتحقيق أقصى ما يمكن من التأثير. يزودون بطُعم الوعد بمكافأة ـ الأمل في لذة جسدية، سعادة، شهرة من خلال مرافقتهم، نفوذ ـ إلا أن كل هذه الوعود يتبين أنها محض وهم؛ ومع ذلك فهذا لا يعدو عن جعل أهدافهم تطاردهم أكثر من ذي قبل. حاكِ مُناوبة الحرارة والبرودة للمغناج ولسوف تبقي المَغويَ راكعاً عند قدميك.

الساحر صفحة 157

الفتنة أو السحر هو إغواء بدون جنس. الفاتنون هم متلاعبون من الطراز الأول، يقنّعون ذكاءهم من خلال خلق مزاج من المتعة والراحة. طريقتهم بسيطة: يحرفون الانتباه عن أنفسهم ويركزونه على هدفهم. يتفهمون شخصك، يحسون بألمك، ويتواءمون مع طباعك وأمزجتك. في حضور الساحر أو الفاتن أنت تشعر بشعورٍ أفضل حيال نفسك. تعلم أن ترمي بتعويذة الساحر من خلال استهداف نقطة الضعف الرئيسة لدى الناس: الغرور والخيلاء واحترام الذات.

القيادي المُلهِم (الكاريزماتي) صفحة 179

الكاريزما أو المغناطيسية الشخصية هي حضور يثيرنا. إنها تنبع من خاصية داخلية ـ الثقة بالنفس، طاقة جنسية، إحساس بالغاية والتصميم، الرضا والاطمئنان ـ والتي يفتقر إليها ويريدها معظم الناس. هذه الخاصية

تشع للخارج، وتتخلل إيماءات القيادي (الكاريزماتي)، مما يجعلها تبدو استثنائية وخارقة للمألوف. هم يتعلمون إبراز مغناطيسيتهم من خلال التحديق الثاقب والخطابة النارية وسيماء الغموض. إخلق الوهم الكاريزماتي من خلال الإشعاع بالحدة والشغف بينما تظلُّ مستقلاً من الناحية العاطفية وغير آبهٍ.

النجم صفحة 215

الحياة اليومية قاسية، ومعظمنا يسعى للهروب منها من خلال أحلام اليقظة والمنام. النجوم يتغذون على هذا الضعف؛ ويبرزون على الآخرين من خلال إسلوبٍ جذابٍ ومميز، فهم يجعلوننا نرغب في مشاهدتهم ومراقبتهم. وفي نفس الوقت يكونون غامضين وأثيريين، محافظين على بعدهم وتَحَفُّظِهم، بحيث يدعوننا نتخيل عنهم إكثر مما يوجد في الحقيقة. خاصيتهم الشبيهة بالأحلام تعمل على اللاوعي لدينا. تعلّم أن تصبح محطّ إعجابٍ وانبهار بواسطة إظهار حضور النجم البراق ولكن المحير والمراوغ.

نقيض المُغوي صفحة 233

المُغوون يجتذبونك بواسطة الاهتمام المركز المميز الذي يوجهونه نحوك دون غيرك. نقيضو المُغوين هم المعاكس التام لذلك؛ غير آمنين، مُستَغرقين في ذواتهم، وغير قادرين على فهم نفسية الشخص الآخر، فهم يُنَفرون بالمعنى الحرفي للكلمة. نقيضو المُغوين لا يَتحلون بنظرة متوازنة وصادقة عن شخصياتِهم، ولا يُدركون أبداً متى يضايقون ويتطفلون ويكثرون من الكلام. اجتثّ واستأصل الخصائص الضد ـ إغوائية (المنفرة) من شخصك وأدركها في الآخرين ـ لا يوجد أي متعة أو منفعة في التعامل مع نقيض المغوي.

3 أرسل رسائل مختَلَطة صفحة *307*

حالما يصبح الناس مدركين لوجودك، وربما مشدودين بشكلٍ غامض، فإنك بحاجةٍ لأن تثير اهتمامهم قبل أن يستقر على أحدٍ آخر. معظمنا واضحٌ أكثر من اللزوم - بدلاً من ذلك، كن صعباً على التصور والفهم. أرسل إيماءات وإشارات مختلطة من كلا النوعين: الناعم والخشن، المتسامي والفظ، البريئة والخبيثة. مزيجٌ من الخصائص يوحي بالعمق، الذي يُبهر ويفتن تماماً كما يُربك. هالة من الألغاز المحيرة سوف تجعل الناس راغبين بمعرفة المزيد، وتجتذبهم إلى داخل دائرتك. إخلق نفوذاً كهذا من خلال التلميح إلى شيء متناقض بداخلك.

4 اظهر كموضِعٍ للرغبة - إخلق مثلثات صفحة *321*

قلّةٌ تنجذب للشخص الذي يتحاشاه الآخرون أو يتجاهلونه؛ الناس يتجمعون حول أولئك الذين اجتذبوا الاهتمام من قبل. لكي تجتذب ضحاياك على نحوٍ أقرب وتجعلهم مُتَعَطشين لتملّكك، يتوجب عليك أن تخلق هالة من المرغوبية - أي كونك مرغوباً فيك ومتودداً إليك من قبل الكثيرين. سيكون من دواعي زهوهم أن يكونوا الموضع الأثير لاهتمامك، أن يفوزوا بانتزاعك بعيداً من جمهور المعجبين. ابنِ سمعةً تسبقك: إذا كان العديد قد استسلموا لسحرك وفتنتك، فلا بدّ من أن يكون هناك سبب.

5 إخلق حاجة - أَثِر القلق وعدم الرضى صفحة *333*

الشخص الراضي على نحوٍ كامل لا يمكن إغواؤه. التوتر وعدم الانسجام لا بد أن يُغرَسا في عقول أهدافك. أثِر فيهم مشاعر السخط وعدم السعادة حيال ظروفهم وحيال أنفسهم. مشاعر عدم الكفاءة التي تخلقها سوف تعطيك الحيّز لِتَدُس بنفسك، وتجعلهم يرون فيك الإجابة على مشاكلهم. الألم والقلق هم المُوَطِّئان الصحيحان للّذة. تعلم أن تُصَنّع الحاجة التي تستطيع أن تسدَّها.

6 أتقن فن الإيحاء صفحة 345

أن تجعل أهدافك يشعرون بعدم الرضى وبحاجة لانتباهك شيءٌ جوهري، ولكن إذا كنت واضحاً أكثر من اللزوم، فإنّهم سوف يتبيّنون طبيعتك الحقيقيّة ويصبحون دفاعيين. لا يوجد دفاعٌ معروف، على أيّةِ حال، ضد الإيحاء ـ فن زرع الأفكار في عقول الناس بواسطة الرمي بتلميحات صعبة التحديد والتي تأخذ جذراً (تنغرس) بعد ذلك بعدّة أيام، بل وتظهر لهم وكأنها أفكارهم الخاصة. إخلق نوعاً من اللغة الضمنية ـ تصريحات جريئة متبوعة بتراجع واعتذار، تعليقات ملتبسة، أحاديث اعتيادية مُرَفقة بتلميحات مُغرِية ـ التي تدخل لاوعي الهدف لتنقل قصدك الحقيقي. إجعل كلّ شيئ موحياً.

7 ادخل في نفسِيَّاتهم صفحة 357

معظم الناس منغَلقون في عوالمهم الخاصة، مما يجعلهم عنيدين وصعبي الإقناع. الطريقة لتستدرجهم خارج قوقعتهم وتَنصُب إغوائك هي أن تدخل أمزجتهم ونفسياتهم. العب وفقاً لقوانينهم واستمتع بما يستمتعون به وكيّف نفسك مع أمزجتهم. بعملك هذا سوف تداعب نرجسيتهم العميقة الجذور وتُخَفِّض دفاعاتهم. تساهل مع تقلُّباتهم ونزواتهم وبذلك تكون حرمتهم من أي شيئ ليبدو ردَّ فعلٍ إزاءه أو يقاوموه.

8 إخلق الإغراء صفحة 369

استدرج الهدف بعمق إلى إغوائك من خلال خلق الإغراء المناسب: لمحة من المُتع القادمة. كما أغوت الأفعى حواء بوعد المعرفة المحرمة، يتوجَّب عليك أن توقظ رغبةً في أهدافك لا يستطيعون التّحكّم بها. جِد نقطة الضعف لديهم، الأمنية التي لم تتحقق بعد، وأشِرْ من طرفٍ خفيّ إلى أنّك تستطيع قيادتهم نحوها. المفتاح هو أن تُبقي الأشياء ملفوفةً بالغموض. أثِرْ فضولاً أقوى من الشكوك والمخاوف التي ترافقها، وسوف يتبعونك.

وحدهم، ملابس وحِلى مصمّمة لإرضائهم، البوادر التي تُظْهِر الوقت والاهتمام اللذين تخصّصه لهم. فهم لن يلاحظوا - كونهم مسحورين كمن في حالةِ تنويمٍ مغناطيسي - ما أنت حقيقةً بصدده.

12 أضفِ مسحة شاعرية على حضورك صفحة 433

الأشياء المهمة تحدث عندما تختلي أهدافك بنفسها. عند أوهى إحساس بالراحة لكونك غير موجود سينتهي كل شيئ. الألفة والتعرّض الزائد سيسبّبان ردّة الفعل هذه. فابقَ إذن مُحيِّراً ومتملّصاً. إئسِر أهدافك وأثر اهتمامهم من خلال المناوبة ما بين الحضور اللافت والتحفظ البارد، اللحظات المليئة بالحيوية والمرح متبوعةً بالغيابات المُتَعَمَدة والمُعَد لها سلفاً. اربط نفسك بالصور والموضوعات الشعرية، لكي يبدؤوا برؤيتك من خلال هالةٍ مثالية عندما يفكّرون فيك. فبقدر ما تبرز في أذهانهم كصورةٍ ذات شأنٍ وأهمية، بقدر ما يلفّونك بتخيّلاتٍ مغوية سواءً بسواء.

13 جرّد من السلاح من خلال الضعف والهشاشيّة الاستراتيجيّين صفحة 445

كثيرٌ من المناورة من قبلك قد يبعث الشكوك. أفضل طريقة لتُغطّي آثارك ومسالكك هي أن تجعل الشخص الآخر يحسّ بأنّه الأقوى والأرفع منزلةً. إذا بدوتَ ضعيفاً وهشّاً ومسحوراً بالشخص الآخر وغير قادرٍ على أن تتحكّم بنفسك، فإنّك ستجعل تَصرّفاتك تبدو أكثر طبيعيّةً وأقل تدبيراً وتكلّفاً. الضعف الجسماني - الدموع، الخجل والشحوب - سوف تساعد على خلق الأثر. العبْ دور الضحية، ثمّ حوّل عطف الهدف إلى حب.

14 اخلط الأماني بالحقائق - الوهم المثالي صفحة 459

لكي يعوّض الناس عن الصعوبات في حياتهم، فإنهم يقضون كثيراً من وقتهم في أحلام اليقظة وهم يتخيّلون مستقبلاً مليئاً بالمغامرة والنجاح

17 أحدث رجعةً (ارتداداً إلى مستوى شعوري وسلوكي سابق: المترجم) صفحة *513*

الناس الذين اختبروا نوعاً مُعَيّناً من المتعة في الماضي سوف يحاولون أن يكرروها أو يعاودوا عيشها. الذكريات الأكثر سروراً والأكثر تجذّراً تكون تلك المتّصلة بالطفولة الأولى، وغالباً ما تكون مرتبطةً برمزٍ أبويّ. أرجع أهدافك إلى تلك النقطة من خلال وضعك نفسك في المثلث الأوديبي (نسبةً إلى عقدة أوديب في التحليل النفسي: المترجم) ووضعهم في موقع الطفل المحتاج. سيقعون في حبّك وذلك لعدم إدراكهم لسبب استجابتهم العاطفية.

18 اصطدم بالخطيئة والمحظور صفحة *537*

هناك دائماً قيودٌ اجتماعية على ما يستطيع المرء القيام به. بعضها ـ الأكثر جوهريّةً وأساسيّةً ـ يعود لقرونٍ خلت؛ والبعض الآخر أكثر سطحيّةً ويحدّد ببساطة السلوك المهذّب والمقبول. إن جعلك أهدافك يشعرون بأنك تقودهم لتخطّي أحد نوعي القيود هو شيء في غاية الإغواء. الناس يتوقون لاكتشاف جانبهم المظلم. بمجرّد ما تقوم الرغبة بالانتهاك والإثم باجتذاب أهدافك نحوك، يصبح من الصعب عليهم أن يتوقفوا. خذهم إلى أبعد مما يتخيلون ـ الشعور المشترك بالذنب والاشتراك بالجريمة سوف يخلق رابطاً قويّاً.

19 استخدم المُغرَيات الروحية صفحة *551*

الجميع لديه شكوك ومَكامن في شخصه للشعور بعدم الأمان وقلّة الثقة ـ حيال جسمهم، حيال إيمانهم بنفسهم وقيمتها وحيال جنسانيّتهم. فإذا كان إغواؤك يخاطب الناحية المادية والجسدية بشكل حصري، فإنك سوف تثير هذه الشكوك وتجعل أهدافك شاعرين بَمواطن الضعف لديهم وبأنّ غيرهم يلاحظ ويدرك هذه المواطن. عِوضاً عن ذلك استدرجهم بعيداً

مقدمة

منذ آلاف السنين كانت القوة تكتسب غالباً عن طريق العنف المادي وتُصان بالقوة الوحشية. كانت هناك حاجة ضئيلة للرقة ـ فالملك أو الإمبراطور يتوجب عليه أن يكون عديم الرحمة. فقط القلة المختارة كان لديها القوة والنفوذ، ولكن لم يعانِ أحدٌ في ظل منظومة الأشياء هذه أكثر مما عانته النساء. لم يكن لديهن سبيلاً لينافسن، ولا من سلاحٍ تحت تصرّفهن من شأنه أن يحمل الرجل على تنفيذ ما يردن ـ في مجال السياسة أو المجتمع أو حتى في البيت.

بالطبع الرجال لديهم ضعفٌ وحيد: رغبتهم التي لا تشبع للجنس. المرأة تستطيع دائماً أن تلهو وتعبث بهذه الرغبة، ولكنها بمجرّد ما تمنح الجنس فإن الرجل يعود للسيطرة؛ وإذا تمنّعت عن الجنس، فبإمكانه ببساطة أن يبحث في مكانٍ آخر ـ أو يمارس القوة. فما نفع سلطةٍ إذا كانت مؤقتةً أو ضعيفةً إلى هذا الحد؟ ومع ذلك فالنساء لم يكن لديهن أيُّ خيارٍ سوى الخضوع لهذه الحالة. على الرغم من ذلك فقد كان هنالك البعض ممّن تعطشهم للسلطة كان كبيراً جداً، والذين عبر السنين ـ ومن خلال كثيرٍ من الذكاء والإبداع ـ ابتكروا طريقةً لقلب الآليّة راساً على عقب، وبالتالي خلق نمطٍ من السلطة أكثر فعاليّةً وبقاءً.

الاضطهاد والازدراء ـ إذن ـ كانا ومن المفروض أن يكونا على وجه العموم من حصة المرأة في المجتمعات الناشئة؛ هذه الحالة استمرت بكامل زخمها إلى أن علّمتهن قرونٌ من الخبرة أن يستعضن بالمهارة عن القوة. أحسّت النساء أخيراً ـ بما أنهنّ كُنَّ الأضعف ـ أنّ ملاذهن الوحيد كان بأن يُمارِسْنَ الإغواء؛ لقد فهمن أنّه إذا كُنّ

هؤلاء النسوة ـ ومن ضمنهم باتشبا، من العهد القديم؛ هيلين طروادة؛ وحوريّة الجمال الصينية هسي شي؛ وأعظمهنّ على الإطلاق، كليوباترة ـ اخترعن الإغواء. أولاً كنّ يجتذبن الرجل بمظهرٍ مغرٍ، مصمّماتٍ ماكياجهن وزينتهن ليصنعن صورةَ إلهةٍ مبعوثةً إلى الحياة. من خلال إظهار لمحاتٍ من الجسد، كن يستفززن مخيّلة الرجل، ويحفّزن الرغبة ليس فقط بالجنس

معتمدات على الرجال من خلال القوة، فإنه من الممكن أن يصبح الرجال معتمدين عليهن من خلال اللذة. كونهن أكثر تعاسةً من الرجل، فلا بد أنه قد فكرن وتأملن ملياً قبل الرجال؛ كنّ أول من يتوصل إلى معرفة أن اللذة كانت دائماً دون الفكرة التي كونها أحدهم عنها، وأنّ المخيلة قد تخطّت الطبيعة. حالما أصبحت هذه الحقائق الأساسية معروفة، تعلّمت النساء أولاً أن يحجبن سحرهن وفتنتهن من أجل إيقاظ الفضول وحب الاستطلاع؛ لقد مارسن فن الرفض الصعب حتى ولو تمنّين أن يقبلن؛ من تلك اللحظة فصاعداً تعلّمن كيف يلهبن مخيلة الرجل، تعلّمن كيف يوقظن ويوجّهن الرغبات حسب ما يشتهين.

ولكن بشيءٍ أعظم: الفرصة لتملّك رمزٍ من رموز الخيال. حالما يحصلن على اهتمام ضحاياهن، فإن هؤلاء النسوة تستدرِجْنَهم بعيداً عن العالم الرجولي الخاص بالحرب والسياسة ويحمِلْنهم لقضاء الوقت في العالم النسائي ـ عالم الرفاهية والمشاهد اللافتة والمتعة. ويحرِفْنهم بالمعنى الحرفي عن المسار القويم، كأن يأخُذْنَهم في رحلةٍ كما فعلت كليوباترة باستدراجها يوليوس قيصر في رحلةٍ نزولاً عبر النيل. الرجال سوف يصبحون بالتدريج مدمنين على هذه الملذات الحسية المشذّبة والمصقولة، وسوف يقعون في الحب. ولكن عندها ـ وبشكل شبه دائم ـ فإن النساء يصبحن باردات ولا مباليات، محدثاتٍ بذلك الاضطراب والارتباك لدى ضحاياهن. بمجرد ما يرغب الرجال بالمزيد، فإنهم يجدون متعهم وقد سحبت ومنعت عنهم. هم سوف يُجْبَرون على المطاردة، محاولين في خضمّها استعادة الحظوة والوصال والخدمات التي تذوقوها ذات مرة، ومصبحين تدريجيّاً أكثر ضعفاً وعاطفيّةً خلال العملية. الرجال الذين يمتلكون القوة الجسمانية وكل القوة الاجتماعية ـ رجال مثل الملك داؤود، باريس الطروادي، يوليوس قيصر، مارك أنطوني، الملك فوشاي ـ سوف يجدون أنفسهم وقد أصبحوا عبيد المرأة.

في مواجهة العنف والوحشية، فإن هؤلاء النسوة جعلن من الإغواء فنّاً معقّداً، النمط المطلق للقوة والإقناع. لقد تعلّمن أن يعملن على العقل أولاً، يُثِرن الخيال، ويُبقين الرجل راغباً بالمزيد، ويَخلقن أنماطاً من الأمل واليأس ـ جوهر الإغواء. لم يكن نفوذهن جسمانياً وإنما نفسياً، لم يكن يتصف بالقوة وإنما بالمداورة والمكر والبراعة. هؤلاء المُغوِيات العظيمات الأوائل كُنَّ شبيهاتٍ بالقادة الحربيين وهم يخططون لتدمير العدو، وبالفعل فإنّ تقارير وروايات الإغواء الأولى غالباً ما قارنته بالمعركة، النسخة النسائية من الحرب. بالنسبة لكليوباترة، فقد كان الإغواء وسيلةً لتوحيد وتعزيز إمبراطورية. في الإغواء، لم تعد المرأة أداةً منفعلةً وسلبيةً للجنس؛ وإنما أصبحت عاملاً فاعلاً وإيجابياً، رمزاً للقوة والسلطة.

باستثناءاتٍ محدودة ـ الشاعر اللاتيني أوڤيد، والشعراء الغنائيون في القرون الوسطى الذين عُرِفوا باسم التروبادور ـ فإن الرجال لم يَشغَلوا أنفسهم بفنٍّ تافهٍ أو عابثٍ كالإغواء. بعدئذٍ، في القرن السابع عشر طرأ تَغَيُّرٌ كبير: أصبح الرجال تدريجيّاً مهتمين بالإغواء كوسيلةٍ لتخطّي مقاومة امرأةٍ يافعةٍ

للجنس. أوائل المُغْوين الرجال العِظام في التاريخ ـ دوق لوزان، الإسبان المتعدّدين الذين ألهموا أسطورة دون جوان ـ بدؤوا بتبني طرائق مُعتمدة تقليدياً من النساء. تعلّموا أن يُبهروا بمظهرهم (غالباً ما كان خنثوياً بطبيعته)، أن يثيروا المُخيِّلة، وأن يلعبوا دور المغناج. لقد أضافوا أيضاً عنصراً ذكورياً جديداً للعبة: اللغة الإغوائية، لأنهم اكتشفوا ضعف النساء للكلمات الناعمة. هذين النموذجين من الإغواء ـ الاستخدام الأنثوي للمظاهر والاستخدام الذكوري للغة ـ غالباً ما يعبران الخطوط الفاصلة بين الجنسين: كازانوفا كان يبهر المرأة بثيابه؛ ونينون دي إنكلو كانت تسحر الرجل بكلماتها.

في نفس الوقت الذي كان فيه الرجال يطورون نسختهم من الإغواء، فإنّ آخرين بدؤوا يكيّفون الفن لغاياتٍ اجتماعية. عندما أخذ النظام الإقطاعي في الحكم، الخاص بأوروبا، بالتلاشي في الماضي، احتاج رجال الحاشية إلى شقِّ طريقهم في البلاط بدون استخدام القوة. لقد تعلّموا القوة التي من شأنها أن تُكتسب بواسطة إغواء منافسيهم ومن هم أعلى منهم منزلةً من خلال الألعاب النفسية والكلمات المعسولة وقليلٍ من الغنج. وبما أن الثقافة أصبحت ديموقراطية، فقد شرع الممثلون والغندورون والفنانون باستخدام تكتيكات الإغواء كوسيلة لسَحر واستمالة مستمعيهم ووسطهم الاجتماعي. في القرن الثامن عشر حدث تغيّرٌ كبيرٌ آخر: الساسة من أمثال نابوليون نظروا لأنفسهم بشكلٍ واعٍ على أنهم مُغوون وعلى نطاقٍ واسع. هؤلاء الرجال اعتمدوا على فن الخطابة الإغوائية، لكنهم برعوا أيضاً فيما كان استراتيجياتٍ نسائية فيما مضى: تقديم مشاهد ضخمةٍ ولافتةٍ للجمهور، مستخدمين فيها أدواتٍ مسرحية، وخلق حضورٍ جسديٍّ مشحون. لقد تعلّموا أن كل هذا كان جوهر الكاريزما ـ ويبقى هكذا حتى يومنا هذا. من خلال إغواء الجماهير فإنّهم يستطيعون أن يجمعوا نفوذاً هائلاً بدون استخدام القوة.

لقد وصلنا اليوم إلى النقطة النهائية في تطور الإغواء. الآن وأكثر من أي وقتٍ مضى، فإنّه لا يُشَجَّع على اتّباع أيُ نوعٍ كان من القوة أو الوحشية. كل مجالات الحياة الاجتماعية تتطلب القدرة على إقناع الناس بطريقةٍ لا تجرح أو تفرض نفسها. أنماط الإغواء يمكن إيجادها في كل مكان،

هكذا ظهر الجمال والحب إلى الوجود؛ الآن أصبح قَدَر النساء أقل قسوةً، ليس مَفادُ ذلك أنهن تدبّرن أن يحررن أنفسهن كلّياً من حالة الاضطهاد التي حكم عليهن بها ضعفهن؛ وإنّما في حالة الحرب السرمدية التي تستمر بالوجود ما بين الرجال والنساء، فإنه قد تمت مشاهدتهن ـ وذلك بمساعدة المُلاطَفات التي تمكّن من اختراعها ـ وهن يقاتلن بلا توقف، أحياناً يَنْهزِمن، وغالباً وببراعةٍ أكثر يَستغللن القوى التي وُجّهت ضدّهن؛ في بعض الأحيان أيضاً، فقد أدار الرجال في وجه النساء هذه الأسلحة التي تجشّمت النساء عناء صنعها لتقاتلهم، وأصبحت عبوديتهن لهذا السبب أقسى بكل ما للكلمة من معنى.

ـ شودرلو دي لاكلو،

دامجةً ما بين الاستراتيجيات الذكورية والأنثوية. الإعلانات تتسلل، الترويج الناعم يسود. إذا كنّا بصدد أن نغيّر من آراء الناس - والتأثير في الرأي هو شيءٌ أساسيٌ في الإغواء - فيجب أن نتصرف بطرق رقيقة ولا يمكن إدراكها بصورة واعية. في العصر الحاضر لا يمكن لأي حملة سياسية أن تنجح من دون إغواء. فمنذ حقبة جون ف. كينيدي، والشخصيات السياسية مُطالَبةٌ بأن تتحلّى بقدرٍ من الكاريزما، والحضور الآسر لكي يبقوا على انتباه جمهورهم، الأمر الذي يشكّل نصف المعركة. عالم الأفلام والإعلام يخلق مجرّةً من النجوم والأيقونات الإغوائية. نحن مشبعون بكل ما هو إغوائي. ولكن حتى لو تغيّر الكثير في مدى الإغواء ومقاصده، فإن جوهره ثابت: لا تكن فارضاً نفسك بالقوة ولا مباشَراً؛ عوضاً عن ذلك، استخدم اللذة كطعم، لاعباً بذلك على مشاعر الناس ومثيراً الرغبة والارتباك ومسبّباً الاستسلام النفسي. في الإغواء كما يمارَس في يومنا هذا، فإن طرق كليوباترة لا تزالُ ناجعةً.

في تعليم المرأة، ترجمة ليديا داڤيس، *في مجموعة الفاسق الأدبية المختارة، تحرير* مايكل فيهير.

إن الذكاء اللازم لممارسة الحب أكبر بكثير من ذلك اللازم لإمرة الجيوش.

- نينون دي إنكلو

ميناﻻيوس، إذا كنت حقّاً عازماً على قتلها، / إذن فلترافقك بركتي، ولكن عليك أن تفعل ذلك الآن، / قبل أن يعصر جمالها أوتارَ قلبك / فقد يغيّر ذلك رأيك؛ لأن عينيها شبيهتان بالجيوش، / وحيث ما وقعت نظراتها، تحترق المدن، / حتى ينفجر غبار خرائبها / بتنهداتها. أنا أعرف حماسة واندفاع رجالها، / وأنت أيضاً تعرف. وكل أولئك الذين يعرفون عذابها.

- هيكوبا يتحدث عن هيلين طروادة

الناس يحاولون باستمرار أن يؤثّروا فينا وأن يُملوا علينا تصرفاتنا، ونحن نتجاهلهم بالضبط بعدد المرات التي يحاولون فيها هذا، مقاومين بذلك محاولاتهم لإقناعنا. لكن يوجد لحظة في حياتنا عندما نتصرف جميعاً بشكلٍ مختلف - عندما نقع بالحب. نحن نقع تحتَ نوعٍ من الرقية أو التعويذة. عقولنا عادةً ما تكون مشغولة بشؤوننا الخاصة. الآن تصبح مليئةً بأفكار الشخص الذي نحب. فنصبح تدريجيّاً عاطفيين ونفقد القدرة على التفكير السليم ونتصرف بطرق خرقاء ما كنا لنتصرف بها في أحوالٍ أخرى. إذا استمرت هذه الحال طويلاً بما فيه الكفاية، فإن شيئاً بداخلنا يتكشّف: نستسلم لإرادة من نحب ولرغبتنا بتملّكه.

المُغوون هم أناسٌ يفهمون القوة الهائلة الكامنة في لحظاتِ استسلامٍ كهذه. هم يحلّلون ماذا يحدث عندما يقع الناس بالحب، يدرسون المكونات النفسية للعملية - ما الذي يحفّز المخيلة وما الذي يرمي بالتعويذة. هم يتضلّعون في فن جعل الناس يقعون في الحب من خلال الغريزة والتمرين. كما علمت المُغْوِيات الأوائل، فإن خلق الحب هو شيء أكثر فعالية بكثير من

خلق الشهوة. الشخص الواقع بالحب هو شخصٌ عاطفيٌ وليّن العريكة ويُخدع بسهولة.

(الأصل اللاتيني لكلمة «إغواء» هو «يحرف عن الدرب القويم» أو يضلّل) الشخص الذي تنتابه الشهوة تَصْعُب السيطرة عليه ويسهل عليه أن يتركك ما إن تُشبَع حاجته. المُغوون يستغرقون وقتهم، يخلقون الافتتان وروابط الحب، لذا فعندما يتبع الجنس فإنه لايؤدّي إلّا إلى الإمعان في استعباد الضحية أكثر. خلق الحب والافتتان يصبح النموذج لكل الإغواءات ـ الجنسية والاجتماعية والسياسية. سيستسلم الشخص الواقع في الحب.

محاولة دحض وتفنيد قوةٍ كهذه هو شيءٌ عديم الجدوى، كأن تتخيل أنك لست مهتماً بها، أو أنها شريرة وقبيحة. كلما حاولت أن تقاوم شَرَك الإغواء بجهدٍ أكبر ـ كفكرة أو كشكلٍ من أشكال القوة ـ كلّما وجدت نفسك مأسوراً أكثر. السبب بسيط: معظمنا عرف القوة المتأتّية عن وقوع أحدهم في حبّنا. تصرّفاتنا وإيماءاتنا والأشياء التي نقول، كلها تؤثر إيجابياً على هذا الشخص؛ قد لا نفهم تماماً ما الذي فعلناه بشكلٍ صحيح، ولكن هذا الشعور بالقوة يُسكِرُنا. إنه يمنحنا الثقة التي تجعلنا أكثر إغوائيّةً. قد نختبر هذا في أُطر العمل والأوضاع الاجتماعية ـ في أحد الأيام نكون في مزاج عالٍ والناس يبدون أكثر تجاوباً وأكثر انسحاراً بنا. هذه اللحظات عابرة وسريعة الزوال، لكنّها ترنّ في الذاكرة بكثافة هائلة. لا أحد يحب أن يحس بالحَرَج أو التّهَيّب أو بأنه غير قادرٍ على أن يصل إلى الناس. إن نداء الإغواء الخاص بالحورية لا يُقاوم لأنّ السّلطة لا تُقاوم، ولا شيء سيأتيك بسلطةٍ في العالم المعاصر أكثر من القدرة على الإغواء. كبت الرغبة بالإغواء هو نوعٌ من ردّة الفعل الهيستيريّة، والتي من شأنها أن تُظهِر افتتانك العميق بالعملية؛ وبالتالي فأنت لا تَزيد على جعل هذه الرغبات أقوى. يوماً ما ستصعد هذه الرغبات إلى السطح.

التّمتّع بهذه القوة لا يتطلّب تَحَوّلاً شاملاً في شخصك ولا أي نوع من التحسين المادي لمظهرك. الإغواء هو لعبةٌ في علم النفس وليس في الجمال، وإنه لفي متناول الجميع أن يصبح أستاذاً في اللعبة. كل ما هو مطلوب هو أن تنظر للعالم بطريقة مختلفة، وذلك من خلال عيون المُغوي.

لدى يوريبايدس، *المرأة الطروادية*، ترجمة نايل كَري

لا يمتلك رجلٌ القدرة على دحض خداع المرأة

ـ مارغاريت ناڤاريا

هذا المسار الجانبي الهام الذي من خلاله نجحت النسوة في التملص من سطوة الرجل وتأسيس نفسها في السلطة، لم يُعطَ الاهتمام اللازم من قبل المؤرّخين. من اللحظة التي نأت بنفسها المرأة عن الحشد ـ كمُنتَج فردانيّ ناجز ـ وكمقَدِّمةٍ للمسرّات التي لا يمكن استخلاصها بالقوة، وإنما بالإطراء والمداهنة.... كان قد دُشّن عهد كاهنات الحب. كان تطويراً ذا أهمّيةٍ بعيدة الأثر في تاريخ الحضارة ... فقط من خلال الطريق غير المباشر والخاص بفن الحب استطاعت المرأة

المُغوي لا يعتمد إطفاءَ وتشغيلَ القوة - وإنما يَنظر لكلّ تفاعلٍ اجتماعيٍّ وشخصيّ على أنه إغواءٌ محتمل. لا يوجد أبداً لحظةٌ للتضييع. وذلك لعدّة أسباب. السلطة التي يتمتّع بها المُغوون على الرجال أو النساء تفعل مفعولها في البيئات الاجتماعية لأنهم تعلموا كيفية التعتيم على العنصر الجنسي دون التخلص منه. قد نفكر بأننا ندرك طبيعتهم الحقيقية، ولكن هذا لا يهم لأنّ التواجد بقربهم ممتعٌ جدّاً في جميع الأحوال. محاولة تقسيم حياتك إلى لحظاتٍ تُغوي فيها وأُخرى تُحجِم فيها متراجعاً لن يؤدي إلّا إلى تشويشك وتقييدك. الرغبة الجنسية والحب يترصّدان ويتواريان تحت سطح كل التلاقيات الإنسانية تقريباً؛ لذا فمن الأفضل أن تطلق العنان لمهاراتك من أن تحاول استخدامها لغرفة نومك فقط. (في الواقع، فإن المُغوي/ية يرى/ترى العالم كغرفة نومه/ها.) هذا الموقف يخلق زَخَماً إغوائياً عظيماً، وستكتسب خبرةً وممارسةً مع كلِّ إغواءٍ. إغواءٌ جنسيٌّ أو اجتماعيّ واحدٌ من شأنه أن يجعل الذي بعده أسهل، وينمّي ثقتك ويجعلك أكثر إغراءً. سينجذب الناس نحوك بإعدادٍ أكبر عندما تهبط عليك هالة المُغوي.

المُغوون يتَحلّون بموقف المحارب ونظرته للحياة. يرون كلَّ شخصٍ كنوعٍ من القلعة المُسَوّرة الّتي سوف يضربون حصاراً حولها. الإغواء هو عمليةٌ أو مسيرة اختراق: في البداية يخترقون عقل الهدف، والذي هو خط دفاعاته الأول. حالما يخترق المُغوون العقل، جاعلين بذلك الهدف يتخيّلهم ويحلم بهم، فإنه من السهل عندها أن يُخفِضوا المقاومة وأن يخلقوا استسلاماً جسديّاً. المُغوون لايرتجلون؛ ولا يتركون هذه العملية للصدفة. هم يخططون استراتيجيّاً مثل أي قائدٍ جيّد، مستهدفين بذلك نقاط ضعف الهدف الخاصة. العائق الأساسي الذي يمنع الشخص من أن يكون مُغوياً هو هذا الحكم المسبق السخيف الذي لدينا والقاضي برؤية الحب والرومانس كنوعٍ من العالم السحري والمقدس حيث تقع الأشياء تماماً في مكانها، إذا كان مُقَدّراً لها هذا. قد يبدو هذا رومانسيّاً وجذّاباً، ولكنّه مُجرّدُ غطاءٍ لكسلنا. إنّ ما يغوي الشخص هو الجهد الذي نبذله لأجله، مظهِرين بذلك مدى اهتمامنا وكم هو يستحق هذا الاهتمام. ترك الأشياء للصدفة هو وصفة كارثية، ويظهر أننا لا نحمل الحب والرومانس على محمل الجد. إن ما جعل كازانوڤا مُغوياً بطريقة شيطانية كان الجهد الذي بذله والبراعة التي

مجدّداً أن تفرض على الآخرين (الرجال) الاعتراف بمركزها في النقطة التي عندها بالضبط كانت وبشكل اعتياديّ عبدةً تحت رحمة الرجل. لقد اكتشفت جبروت الشهوة، السر الكامن وراء فن الحب والقوة شبه الإلهية للشغف الموقَظِ عمداً والذي لم يُشبَع قط. من ذلك الحين فصاعداً فقد أصبحت بداءة القوة تلك، بعد أن حُررت من عقالها، تُعدّ من ضمن أكثر قوى العالم ترويعاً وفي بعض اللحظات تمتلك السلطان على الحياة والموت... • الأسر المُتَعَمّد لحواس الرجل كان مُقيّضاً له أن يؤدّي تأثيراً سحريّاً عليه، وأن يفتح مجالاً أوسع ولا متناهٍ من الإحساسات، وأن يحفّزه وكأنه مُستثير بحلمٍ مُلهَم.

- آليكساندر فون

خصصها لكل علاقة. الوقوع في الحب ليس مسألة سحرٍ ولكنها مسألة علم نفس. حالما تفهم نفسية هدفك وتخطّط استراتيجياً لتُكيّفها، فستصبح قادراً بشكلٍ أفضل على رمي التعويذة «السحرية». المُغوي لا ينظر للحب كشيءٍ مقدّس وإنما كحرب، حيث أن كل شيءٍ فيها عادلٌ ومشروع.

المُغوون لا يكونون أبداً غارقين في ذواتهم. تتجه نظرتهم نحو الخارج وليس نحو الداخل. عندما يلتقون بأحدٍ ما فإن خطوتهم الأولى تكون الدخول إلى ذلك الشخص لكي يروا العالم من خلال عينيه. يوجد أسباب متعدّدة لهذا. أوّلها أن الاستغراق بالذات هو علامة لعدم الأمان؛ إنه أمرٌ ضد إغوائي (منفّر). الجميع لديهم مَواطِن ومكامن لعدم الأمان، ولكن المُغوين يتدبّرون تجاهلها، موجدين بذلك علاجاً للحظات التشكيك بالذات من خلال الاستغراق في العالم. هذا يعطيهم روحاً مرحة ـ لذا فنحن نرغب في التواجد من حولهم. ثانيها أن الدخول إلى مكنونات شخصٍ ما والتخيل عندها ماهيّة أن تكونه، يساعد المُغوي على جمع معلوماتٍ قيّمة ويعلّمه ما الذي يجعل ذلك الشخص يتجاوب، وما الذي سيجعله يخسر القدرة على التفكير السليم ويقع بالفخ. بعد أن تسلّحوا بمعلوماتٍ كهذه، فإنّه يصبح بمقدورهم أن يُؤمّنوا الاهتمام المرَكّز والمُخصَّص ـ سلعة نادرة في عالمٍ لا يرانا فيه مُعظَم الناس إلّا من خلال غربال أحكامهم المسبقة وتحيّزاتهم الخاصة. الدخول إلى دخيلة الأهداف هو الحركة التكتيكية المهمة الأولى في حرب الاختراق.

المُغوون يرون أنفسهم كمُؤَمِّنين للمتعة، مثل النحل الذي يجمع غبار الطلع من الأزهار ويسلّمها للآخرين. كأطفال، فإنّنا قد كرّسنا حيواتنا في المقام الأول للّعب والمتعة. الراشدون غالباً ما يكون لديهم الشعور بأنهم قد قُطِعوا عن هذا الفردوس وبأنه قد أُثقِلَت كواهلهم بالمسؤوليات. المُغوي يعلم بأن الناس يَتَرَقّبون المتعة ـ هم لا يحصلون أبداً من أحبائهم وأصدقائهم على كفايتهم منها، ولا يستطيعون الحصول عليها بأنفسهم. لا يمكن مقاومة الشخص الذي يدخل حياتهم عارضاً المغامرة والرومانس. المتعة أو اللذة هي شعورٌ بأننا أخِذنا إلى أبعد من حدودنا، بأنّه قد تم اجتياحنا من قِبَلِ شخصٍ آخر أو خضنا غمار تجربةٍ. إن الناس يستقتلون كي يُجتاحوا ويُغرَقوا وكي يتخلّوا عن عنادهم المُعتاد. أحياناً مقاومتهم لنا هي طريقةٌ للقول: رجاءً

جلايشن ـ دودة السخام، *طُعم العالم*، ترجمة حنا والر.

أول شيء يجب أن تضعه في ذهنك هو أن كل/ فتاة يُمكن الحصول عليها ـ وأنك سوف تحصل عليها/ إذا نَصَبتَ أشراكك بشكلٍ صحيح. الطيور عاجلاً ما ستقعُ بكماء في فصل الربيع، / الزيزات في الصيف، أو أنه من الجواز/ بمكان أن يدير كلب صيدٍ ظهره لأرنبٍ وحشية / ولا أن تفشل إغراءات العاشق الرقيقة / مع امرأة، حتى تلك التي تفترض / أنها راغبة عنك سترغب بك.

ـ أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

إن مزيج هذين العنصرين، الافتتان والاستسلام، هو إذن أساسيٌّ للحب الذي نناقشه.... إنّ ما يوجد في الحب هو

أغووني. المُغوون يعلمون أنّ إمكانية اللذة ستجعل الشخص يتبعهم، وأنّ اختبارها سوف يجعل الشخص منفتحاً وضعيفاً أمام اللمسة. هم أيضاً يدرّبون أنفسهم ليكونوا حساسين للذة، لعلمهم أنّ إحساسهم باللذة هم أنفسهم سيسهّل عليهم كثيراً أن يُعدوا بها الناس الذين من حولهم.

المُغوي يرى الحياة كلها كمسرح، وكل واحدٍ كممثّل. معظم الناس يشعرون بأن لديهم أدواراً محدودة وضيقة في الحياة، وهذا ما يجعلهم غير سعداء. المُغوون، في المقلب الآخر، يمكنهم أن يكونوا أي شخص وأن ينتحلوا أدواراً عديدة. (النموذج التقليدي أو الأصلي هنا هو الإله زيوس - المُغوي الذي لا يشبع من العذراوات الفَتِيّات - الذي كان سلاحه الأساسي هو القدرة على اتخاذ شكل أيّ شخصٍ أو حيوانٍ من شأنه أن يَروق كأشد ما يكون لضحيته.) المُغوون يستحصلون على اللذةِ من التمثيل ولا تُرهقهم هويّتهم ولا حاجةٌ ما لأن يكونوا أنفسهم أو طبيعيّين. هذه الحرّية الخاصة بهم وهذه المرونة والطلاقة في الجسد والروح هي ما تجعلهم جذابين. ما يفتقده الناس في حياتهم هو ليس مزيداً من الحقيقة وإنما المزيد من الوهم والخيال واللعب. الملابس التي يرتديها المُغوي، الأماكن التي يأخذونك إليها، كلماتهم وأفعالهم، هي جميعها مُوَضّحة قليلاً ومُبرَزة - ليست مسرحيّةً بشكلٍ أكثر ممّا ينبغي وإنما تتحلّى بإطارٍ سارّ من اللاواقعية، كما لو أن كليكما كان يعيش جزءاً من حكاية أو كان شخصيّةً في فيلم. الإغواء هو نوعٌ من المسرح في الحياة الواقعية، التقاء الوهم بالحقيقة.

أخيراً فإن المُغوين وبشكلٍ كامل ليسوا أخلاقيين ولا غير أخلاقيين في مقاربتهم للحياة. فكل شيءٍ لعبة ومضمارٌ للعب. هم لا يُقلقون أنفسهم بآراء الناس الآخرين لأنّهم يعلمون أن المنظّرين في الأخلاق، أو الأنماط المكبوتة المُعَقّدة النكدة التي تنعب كالغربان تذمّراً من شرور المُغوين، يحسدون قواهم سرّاً. هم لا يتعاملون بالأحكام الأخلاقية - ولا شيء أقلُّ غوايةً من هذا. إنّ كل شيءٍ ملائمٌ ومرِنٌ كالحياة نفسها. الإغواء هو نوعٌ من الخداع ولكن الناس يحبّون أن يَتِمَّ تضليلهم ويتوقون لأن تتمّ غوايتهم. ولم يكن الإغوائيون ليجدوا هذا الكم من الضحايا الطوعيين لو لم يكن الناس كذلك. تخلص من أيِّ نزعةٍ لإصدار الأحكام الأخلاقية، تبنّ فلسفة المُغوي المازحة واللعوبة، وستجد بقية العملية سهلة وطبيعية.

الاستسلام نتيجة الافتتان.

- خوسيه أورتيغا واي جازيت، *عن الحب*، ترجمة توبي تالبو

ما هو الخير؟ - هو كل ما يزيد الإحساس بالقوة، إرادة القوة، والقوة نفسها لدى الإنسان. •

ما هو الشر؟ - هو كل ما ينبع عن الضعف. •

ما هي السعادة؟ - هي الإحساس بأن القوة تَتَزايد - والمُقاومة تُتَخَطّى

- فريديريك نيتشة، *نقيض - المسيح*، ترجمة آر جاي هوللينдал

السخط، العصاب، الكرب والإحباط التي يواجهها التحليل النفسي تأتي بلا شك من عدم قدرة الشخص على أن يحِب أو يُحَب، وعلى أن يمنح أو

فن الإغواء مصمَّمٌ كي يسلّحك بأسلحة الإقناع والسّحر، وذلك كي يخسر أولئك الذين من حولك القدرة على المقاومة بدون أن يعرفوا كيف أو لماذا حدث هذا. إنه فن الحرب للأزمنة المرهفة.

لكلِّ إغواءٍ عنصران يجب عليك أن تحلّلهما وتفهمهما: أوّلاً نفسك وما هو العامل المُغوي فيك؛ وثانياً أهدافك والتصرفات التي ستخترق دفاعاتهم وتخلق الاستسلام. للوجهين نفس درجة الأهمية. فإذا خططت استراتيجيّاً دون الاهتمام بجوانب شخصيتك التي تجذب الناس إليك، فسوف يُنظَر إليك كَمُغوٍ ميكانيكيّ، لَزِجٍ ومُتلاعب. إذا اعتمدت على شخصيتك المُغوية دون الاهتمام بالشخص الآخر، فسوف ترتكب أخطاءً مرعبة وتحد من إمكاناتك.

وبالتالي فإن *فن الإغواء* مُقَسَّمٌ لقسمين. النصف الأول، «الشخصية الإغوائية» يصف الأنماط التسعة للمُغوي، بالإضافة إلى نقيض المُغوي. دراسة هذه الأنماط ستجعلك مُدرِكاً لما هو مُغوٍ بشَكلٍ فطريّ في شخصيتك التي هي لُبنة البناء الرئيسية لأيّ إغواء. النصف الثاني، «العملية الإغوائية»، تتضمن المناورات الأربع والعشرين والاستراتيجيات التي ستُرشِدُك إلى كيفية خلق الرقية وإضعاف مُقاومة الناس، ومنح الحركة والقوة لإغوائك، وإحداث الاستسلام لدى أهدافك. كنوعٍ من الجسر ما بين القسمين، هناك فصل عن أنماط ضحايا الإغواء الثمانية عشر - كل واحدٌ منها يفتقد شيئاً في حياته، وكلٌّ يحتضنُ فراغاً بوسعك أن تملأه. ستساعدك معرفتك مع أي نمطٍ تتعامل على وضع الأفكار في كلا القسمين موضع التطبيق. تجاهل أي قسم من هذا الكتاب وستصبح مُغوياً ناقصاً.

يتلقى المتعة، ولكن اللامبالاة الجذرية تتأتى من الإغواء وحالات الفشل فيه.

فقط أولئك الذين يقعون كلياً خارج نطاق الإغواء هم المرضى، حتى ولو ظلوا قادرين على الحب وممارسته. التحليل النفسي يعتقد أنه يعالج اضطرابات الجنس والرغبة، ولكنه في الواقع يتعامل مع اضطرابات الإغواء... إن أكثر مشاعر النقص جدّيةً تتصل بالفتنة وليس باللذة، بالسحر وليس بإشباعٍ جنسيٍّ أو حيويٍّ ما.

- جان بودريلار، *الإغواء*

الأفكار والاستراتيجيات في *فن الإغواء* مستندة على الكتابات والروايات التاريخية للمُغوين الأكثر نجاحاً في التاريخ. الموارد تتضمن مذكّرات المُغوين الخاصة (من قبل كازانوڤا، إيرول فلِن، ناتلي بارني، مارلين مونرو)؛ سيرة حياة (كليوباترة، جوزفين بونابارت، جون إف كينيدي، الدوق إللينجتون)؛ كُتيِّبات عن الموضوع (أجدرها بالذّكر كتاب أوڤيد *فن الحب*) وروايات قصصية عن الإغواء (*علاقات سرية خطرة* لِشوديرلو دي لاكلو، *يوميات مُغوي* لِسورين كيركجارد، *حكاية جنجي* لِموراساكي

كل ما يُفعَل انطلاقاً من الحب يحصل دائماً خارج نطاق الخير والشر.

- فريديريك نيتشة، *ما بعد الخير والشر*، ترجمة والتر كاوفمان

شيكيبو). أبطال وبطلات هذه الأعمال الأدبية مُصاغون عُموماً على غرارِ مُغوينَ من الحياة الواقعية. الاستراتيجيات التي يوظّفونها تُظهِر الصلة الحميمة ما بين الخيال والإغواء، وما بين خلق الوهم وقيادة الشخص بمحاذاته. لدى وضع دروس الكتاب موضع التطبيق، تكون قد سِرت على درب أساتذة الفن العظام.

أخيراً، فإن الروحية التي ستجعلك مُغوِياً من الطراز الأول هي الروحية التي يجب أن تقرأ الكتاب بها. الكاتب الفرنسي دينيس ديديرو كتب ذات مرة، «أمنح عقلي الحرية ليتّبع أول فكرة حكيمةٍ أو حمقاء تقدم نفسها، كما يجري شبّاننا المنحلّون ـ في جادة دي فوي ـ في أعقاب مومسٍ ما، ومن ثمّ يتركونها ليطاردوا أخرى، مُستَهدفين جميعهنّ وغير مُتَعلّقين بأيّ واحدة. أفكاري هي مومساتي.» لقد عنى أنه يترك لنفسه أن تُغوى بالأفكار ـ فيعتَنِق أيّ واحدةٍ منها إذا أثارت ولعه إلى أن تأتي فكرةٌ أفضل ـ ولخواطره أن يُبَثَّ فيها نوعٌ من النشاط الجنسي. افعل كما نصح ديديرو بمجرّد ما تخوض في هذه الصفحات: دع نفسك تُغرى وتُسْتَدرج من قبل القصص والأفكار، ودع عقلك منفتحاً وأفكارك مرنة وسلسة. ستجد نفسك وقد تَشَرَّبتَ السّم ببطءٍ من خلال مسام جلدك وستبدأ برؤية كل شيءٍ بمثابة إغواء، بما في ذلك الطريقة التي تفكر بها وكيف تنظر إلى العالم.

في حال افتقد أيٌّ امرئٍ هنا في روما الحيلة في اصطناع الحب، / دعه / يجربني ـ يقرأ كتابي، فالنتائج مضمونة! / التقنية هي السر. سائق العربة، البحار، المجذّف، / الجميع يحتاجها. التقنية تستطيع التحكّم / بالحب نفسه.

ـ أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

جُلّ العفّة هي تَطَلُّبٌ لإغواءٍ أكبر

ـ ناتالي بارني

فن الإغواء

القسم الأول
الشخصية الإغوائية

نحن جميعاً لدينا قوة الجاذبية ـ القدرة على اجتذاب الناس وإبقائهم تحت هيمنتنا. على الرغم من هذا فإن المدركين لهذه القدرة الداخلية بعيدون عنّا جميعاً، فنحن نتخيل الجاذبية عَوَضاً عن ذلك كَنَزعَةٍ مُلَغَّزة خَفِيّة تكاد تكون ذات معنى روحي غيرِ مُدرَكٍ بالعقل والتي يتمتّع بها وبالفطرة قلّةٌ مختارة في حين أنّ البقية لن ينالوها أبداً. ومع ذلك فكل ما نحتاج عمله لنحقق قدراتنا هو أن نفهم ماهية الشيء في شخصية الإنسان الذي يستثير الناس بشكلٍ طبيعي وأن نطوّر هذه الخصائص الكامنة والمستترة فينا.

الإغواءات الناجحة نادراً ما تبدأ بمناورةٍ واضحة أو بحيلةٍ استراتيجية. هذا سيثير الشك حتماً. الإغواءات الناجحة تبدأ بشخصك، بقدرتك على أن تشع بخاصيةٍ مُعينةٍ من شأنها أن تجتذب الناس وتُحرّك مشاعرهم بطريقةٍ خارجةٍ عن سيطرتهم. نظراً لكون ضحاياك مُنَوّمين مغناطيسيّاً بشخصيتك المُغوية، فإنّهم لن يلاحظوا تلاعباتك اللاحقة. سيكون عندها تضليلهم وإغواءهم شيئاً شبيهاً بلعب الأطفال لسهولته.

هناك تسعةُ أنماطٍ من المُغوين في هذا العالم. كل نمط لديه نزعةٌ مُحَدّدة في شخصه والتي تنبع من داخل أعماقه وتخلُقُ شَدّاً مُغوِيّاً. *الحوريّات* لديهن فيضٌ من الطاقة الجنسية ويعلمن كيفية استخدامها. *الخليعون* يهيمون ظمأً بالجنس الآخر، ورَغْبَتُهم مُعدِية. *العاشقون المثاليون* لديهم حساسيّة جماليّةٌ يخصّصونها للرومانس. *الغندورون* يحبون أن يتلاعبوا بصورتهم، خالقين بذلك إغراءً لافتاً للنظر وخُنثويّاً. الطبيعيون عفويّون ومنفتحون. *المغناجون* مُكتَفون ذاتيّاً، مع رباطة جأشٍ آسرة في نواتهم. *الساحرون* يريدون ويعلمون

كيف يَسُرّون ـ هم مخلوقات اجتماعية. *الكاريزماتيون* لديهم ثقة غير عادية بأنفسهم. *النجوم* أثيريون ويَلُفّون أنفسهم بالغموض.

ستأخذك الفصول في هذا القسم إلى داخل كلٍّ من الأنماط التسعة. واحدٌ منها على الأقل من شأنه أن يضرب وتراً حسّاساً ـ سوف تتعرّف على جزءٍ من نفسك. ذاك الفصل سيكون المفتاح لتطوير قدراتك الخاصة في الجاذبية. دعنا نقول أنه لديك نزعاتٌ مغناجية. فصل المغناج سيريك كيف تبني على اكتفائك الذاتي، وكيف تناوب ما بين الحرارة والبرودة حتى توقع ضحاياك في شركك. سيُبَيِّن لك كيف تمضي بسجاياك الطبيعية إلى ما هو أبعد، فتصبح مغناجاً عظيماً وهو النوع الذي نتقاتل عليه. لا يوجد مغزى في أن تكون هيّاباً وخجولاً فيما يتعلّق بخاصيةٍ إغوائية. نحن نُسحَر بالخليع القليل الحياء ونتغاضى عن تجاوزاته، أما الخليع المتردّد فلا يحظى بأي احترام. بمجرّد ما تصقل النزعة الأبرز في شخصيتك، مُضفياً بعض الفن إلى ما حَبَتْكَ به الطبيعة، فستستطيع عندها أن تطوّر نزعةً ثانية أو ثالثة، مضفياً بذلك العمق والغموض إلى صورتك الشخصية التي تود أن تبرزها. أخيراً فإن الفصل العاشر من القسم، عن نقيض المُغوي؛ سيجعلك مُدركاً للمقدرة المضادة بداخلك ـ قوة التنفير. يجب عليك وبأي ثمن أن تجتَثّ أي ميولٍ ونزعاتٍ ضد إغوائية قد تكون لديك.

فكّر بالأنماط التسعة كظلالٍ أو صُورٍ ظلّية. فقط بالولوج إلى إحداها وإفساح المجال لها لتنمو بداخلك، تستطيع عندها أن تبدأ بتطوير الشخصية الإغوائية التي ستجلب لك قوّة غير محدودة.

الحورية

إن الرجل
غالباً ما يكون مقموعاً
نتيجةً للدور الذي يتعين عليه
أن يلعبه ـ لأنه يتعين عليه أن يكون
مسؤولاً ومتحكماً وعقلانياً. فالحورية هي
الرمز المطلق لأهواء الرجل وخيالاته الجامحة
لأنها تقدم التحرر الكامل من قيود حياته. في
حضورها، الذي دائماً ما يكون مُبرَزاً ومشحوناً
جنسياً، يشعر الرجل بأنه قد انتقل إلى مملكة من
اللذة الخالصة. خطيرةٌ هي، ومن خلال ملاحقتها
بحماسة فقد يفقد الرجل سيطرته على نفسه،
الأمر الذي يتوق لفعله. الحوريّة سراب؛ هي
تغري الرجال من خلال تنمية نوعٍ محدّدٍ من
الشكل والسلوك. في عالمٍ يحولُ فيه حياء
النساء وتهيبهن دون إظهارهن لهكذا
صورة، تعلّمي أن تتحكمي بليبيدو
الرجل من خلال تجسيد
أحلامه ونزواته.

الحورية المُبهِرة (الدراماتيكيّة)

في العام الثامن والأربعين قبل الميلاد، تدبّر بطليموس الرابع عشر أن يخلع وينفي أخته وفي نفس الوقت زوجته، الملكة كليوباترة. وتأكّد من عدم عودتها عبر حدود البلاد وبدأ يحكم بمفرده. في وقتٍ لاحقٍ من تلك السنة، قَدِمَ يوليوس قيصر إلى الإسكندرية ليضمن استمرار ولاء مصر لروما على الرغم من صراعات القوى المحلية. ذات ليلةٍ كان قيصر يعقد اجتماعاً مع قادته في القصر المصري ويناقش الخطط الاستراتيجيّة، عندما دخل أحد الحراس ليُبلغ أن تاجراً يونانياً كان عند الباب ومعه هدية كبيرة وقيمة للقائد الروماني. قيصر - كونه كان راغباً بقليلٍ من المرح - أعطى التاجر الإذن بالدخول. دخل الرجل وهو يحمل على كتفيه سجّادةً كبيرةً ملفوفة. حلّ وثاق الحبل حول الحزمة وبسطها بحركة خاطفة من معصميه - مُظهِراً كليوباترة اليافعة التي كانت مختبئة بالداخل، والتي نهضت نصف عارية أمام قيصر وضيوفه، مثل الآلهة ڤينوس وهي تنبثق من بين الأمواج.

في الوقت الراهن فإن سفينتنا الحسنة، مع تلك الرياح الممتازة لتقودها، سرعان ما وصلت إلى جزيرة الحوريات. لكن الآن فإن النسيم توقّف، قوّة ما خمّدت الأمواج، وحلّ هدوءٌ منقطع الأنفاس. اجتذب رجالي الشراع وثبتوه بعد أن نهضوا من مقاعدهم، ومن ثم أخذوا يجذّفون بمجاذيفهم ذات الشفرات المصنوعة من الصنوبر المصقول حتى استحال الماء زبداً أبيض. في هذه الأثناء أخذت قطعةً

الجميع انبهر لدى رؤيتهم للملكة الشابة الجميلة (كانت عندها في الحادية والعشرين فقط) وهي تظهر أمامهم فجأةً كما في الحلم. لقد صُعِقوا بجرأتها وطريقتها المسرحية - هُرِّبت إلى داخل المرفأ ليلاً برفقة رجلٍ واحدٍ ليحميها، ومخاطرةً بكل شيئ بخطوةٍ جسورة. لم يكن أحدٌ مسحوراً أكثر من قيصر. اعتماداً على رواية الكاتب الروماني ديو كاسيوس، فقد كانت «كليوباترة في أوج حياتها. كانت تمتلك صوتاً مُبهجاً لا يمكن أن يُخفق في رمي الرقية على كل من سمعه. هكذا كان سحر شخصها وحديثها إلى حد أنهما اجتذبا إلى شراكها كاره النساء الأكثر جفاءً وتصميماً على كرهه

هذا. قيصر كان مسلوب اللب بمجرّد ما وقعت عيناه عليها وفتحت فمها لتتكلم.» في نفس تلك الليلة أصبحت كليوباترة حبيبة قيصر.

قيصر كان لديه العديد من العشيقات من قبل، لكي يلهينه عن شدائد حملاته القاسية. ولكنّه كان سرعان ما يتخلّص منهن ليعود إلى ما كان يثيره حقاً ـ المكائد السياسية، تحديات الحرب، والمسرح الروماني. قيصر كان قد رأى النساء وهن يحاولن كل ما في وسعهن لإبقائه تحت سحرهن؛ ومع ذلك فلم يكن شيءٌ قد حضّره لكليوباترة. في إحدى الليالي كانت تقول له كيف كان باستطاعتهما سويّةً أن يُحيِيا مجد الإسكندر العظيم ويحكما العالم كالآلهة؛ وفي الليلة الأخرى كانت تُرَوِّح عنه بأن ترتدي كالإلهة إيزيس وهي مُحاطة بأُبّهة بلاطها. لقد زجّت كليوباترة بقيصر في أحط ألوان القصف والمجون، مُقَدّمةً نفسها كتجسيدٍ للفرادة المصرية. حياته معها كانت لعبةً دائمةً، ملأى بالتحديات كالحرب، لأنه في اللحظة التي كان يشعر فيها بالأمان والطمأنينة معها فإنّها كانت تنقلب فجأةً باردةً أو غاضبة، وكان يتعين عليه أن يجد طريقةً لنيل حظوتها.

مرت الأسابيع. تخلص قيصر من جميع مُزاحمي كليوباترة وأوجد أعذاراً ليبقى في مصر. في إحدى المراحل أخذته في رحلةٍ تاريخيةٍ باذخةٍ نزولاً عبر النيل. في قاربٍ ذي فخامةٍ لا توصف ـ يرتفع أربعاً وخمسين قدماً فوق الماء، ويتضمن عدّة مستويات مزوّدة بشُرُفات ومعبدٍ مّدعّم للإله ديونيسوس (إله الخمر والنباتات في الميثيولوجيا الإغريقية: المترجم) ـ أصبح قيصر أحد الرومانيين القلائل الذين تَفَرّسوا في الأهرامات. وخلال إقامته الطويلة في مصر، بعيداً عن عرشه، اندلعت جميع أنواع الاضطرابات.

عندما اغتيل قيصر في العام 44 قبل الميلاد، خلفته حكومة الثلاثة ومن ضمنها مارك أنطوني الذي كان جندياً شجاعاً مُحبّاً للمتعة والمشاهد غير الاعتيادية والذي تَصَوّر نفسه كنسخةٍ رومانية عن ديونيسوس. بعد بضعة سنوات، عندما كان أنطوني في سوريا، دعته كليوباترة ليأتي لملاقاتها في بلدة طرسوس المصرية. كان ظهورها هنالك ـ حيث كانت قد جعلته ينتظرها ذات مرّة ـ مُروّعاً بأسلوبه بقدر ما كان ظهورها الأول أمام قيصر.

دائريّةً كبيرةً من الشمع، وقطّعتها بسيفي إلى قطعٍ أصغر، وعجنتُ القطع بكل ما أوتيت أصابعي من قوة. سرعان ما لان الشمع لِمعالجتي القوية وأصبح ساخناً بالتدريج، وذلك لأنه كان لدي أشعة مولاي الشمس لتساعدني. أخذت كلّ واحدٍ من رجالي بدوره وسددت أذنيهم بالشمع. وعندها جعلوني سجيناً على متن سفينتي بتقييد يديَّ ورجليّ وأنا واقفٌ على سناد الصاري وربط نهايات الحبال بالصاري نفسه. عندما أتموا فعلتهم هذه، جلسوا مرّةً أخرى وضربوا المياه العكرة بمجاذيفهم. • أحرزنا تقدّماً جيداً وأصبحنا للتو على مسافة صيحةٍ من الشاطئ، عندما أدركت الحوريّات بأنّ سفينةً كانت تُطبِقُ عليهم بسرعة،

بارجةٌ ذهبيّةٌ مهيبةٌ بأشرعةٍ أرجوانية ظهرت على نهر سيدنوس. جذّف الجذّافون على أنغام الموسيقى الأثيرية؛ ومن حول المركب كانت هناك حسناواتٌ يافعات مرتدياتٍ كالحوريات والرموز الميثيولوجية. جلست كليوباترة على ظهر المركب وهي محوطة برجالٍ على هيئة كيوبيد (إله الحب عند الرومان) كانوا يُهوّونها بالمراوح، وتوضّعت كأفروديت (إلهة الحب والجمال عند الإغريق) التي أنشد الحشد اسمها بحماس.

وتقتحم غناءهن العذب. • غنّين «ادنُ قريباً يا أوديسوس اللامع، يا زهرة الفروسية الإغريقية، واجلب سفينتك لترتاح حتى يُتاح لك أن تسمع أصواتنا. لم يحدُث أبداً أن أبحر رجلٌ بعد هذه البقعة دون أن يستمع للأنغام العذبة التي تتدفق من شفاهنا ...» • الأصوات المُحببة قدمت إلي عبر الماء، وامتلأ قلبي بتوق شديد للاستماع حتى أشرت لرجالي بطأطأةٍ وتَجَهم أن يُطلقوا سراحي.

ـ هوميروس، *الأوديسة*، الكتاب الثاني عشر، ترجمة إي. ڤي. ريو

شعر أنطوني بمشاعر مُختَلطة كجميع ضحايا كليوباترة. كان من الصعب مقاومة الملذات الفريدة التي كانت تقدمها. لكنّه أيضاً أراد أن يروّضها ـ أن يهزم هذه المرأة اللامعة والمعتدة بذاتها كان من شأنه أن يُثبتَ عظمته. وهكذا قرر أن يبقى، ووقع، مثل قيصر، تدريجياً تحت سحرها. لقد دلّلته وأطلقت له العنان فيما يتعلّق بجميع مكامن ضعفه ـ القمار، الحفلات الصاخبة، الطقوس المُنَمّقة، والعروض الباذخة. قدّم له أوكتاڤيوس، الذي كان عضواً آخراً في حكومة الثلاثة، زوجةً وذلك ليحمله على العودة إلى روما: أخت أوكتاڤيوس الشقيقة، أوكتاڤيا التي كانت واحدة من أشد النساء جمالاً في روما. نظراً لكونها معروفةً بفضيلتها وطيبتها، فقد كانت تستطيع بالتأكيد أن تُبقيه بعيداً عن «العاهرة المصرية.» نجحت الحيلة لفترة قصيرة، لكنّ أنطوني لم يكن قادراً على نسيان كليوباترة، ورجع إليها بعد ثلاث سنوات. هذه المرة كانت للأبد: كان قد أصبح في حقيقة الأمر عبد كليوباترة، مانحاً إياها سلطاتٍ هائلة، ومُتَبنّياً الزي والعادات المصرية، ومُتَنَكِّراً لعادات لروما.

لم يبقَ سوى صورةٍ واحدةٍ لكليوباترة ـ صورة جانبية على عملة معدنية بالكاد مرئيّة ـ ولكنه لدينا العديد من الأوصاف المكتوبة. كان وجهها طويلاً نحيفاً وأنفها مُدبّباً نوعاً ما؛ ملامحها الأبرز كانت عيناها الكبيرتان بشكلٍ رائع. لم تكمن سلطتها الإغوائية في شكلها ـ بالفعل فقد كان العديد من النساء في الإسكندرية يُعتبَرن أشدُّ جمالاً منها. الشيئ الذي امتلكته كليوباترة دون جميع النساء الأخريات كان القدرة على إلهاء

كان سحر حضور [كليوباترة] لا يُقاوَم، وكان هنالك جاذبٌ في شخصها وحديثها، كلاهما مع قوّة شخصيةٍ

الرجل. في الحقيقة فإنّ كليوباترة لم تكن استثنائيةً من الناحية الجسمانية ولم يكن لديها سلطة سياسية، ومع ذلك فإن كلاً من قيصر وأنطوني لم يريا شيئاً من هذا. ما رأياه كان امرأةً تتحوّل باستمرار أمام أعينهما، امرأة - مشهد. كان زيّها وماكياجها يتغيران من يومٍ لآخر، ولكنّهما أعطياها دائماً مظهراً متفوّقاً وشبيهاً بالإلهة. كان صوتها - الذي يتكلم عنه جميع الكتّاب - مُتَفاوِتاً في طبقته بطريقةٍ محبّبة ومُسكرة. كان بوسع كلماتها أن تكون مُبتذلة بما فيه الكفاية، لكنّها كانت تُتكلّم بِعذوبةٍ بالغة لدرجة أن مّستمعيها كانوا يجدون أنفسهم يتذكّرون ليس كلامها وإنما الطريقة التي تقول بها كلامها.

مُمَيّزة، تخلّلوا كل كلماتها وأفعالها، ووضعت كل من عاشرها تحت سحرها. كان مجرّد الاستماع لوقع صوتها مبعث بهجةٍ، والذي بواسطته - كأداةٍ موسيقيةٍ ذات أوتارٍ عديدة - استطاعت أن تنتقل من لغةٍ إلى أخرى.

- بلوتارك، *صُنّاعُ روما*، ترجمة إيان سكوت - كيلڤرت

قدّمت كليوباترة تَنَوّعاً دائماً - عرابين إعجاب واحترام، معارك صوريّة، رحلات، حفلات جنسٍ وتنكّرٍ جماعية. كل شيئ كان موسوماً بلمسةٍ درامية ومُنجَزاً بطاقةٍ فيّاضة. في الوقت الذي تضع فيه رأسك على الوسادة بجانبها، فإنّ عقلك يأخذ يدور بصورٍ وأحلام. وبمجرّد ما تعتقد أنك حصلت على هذه المرأة المتدفّقة والعظيمة الثقة بالنفس والمتوهّجة، فإنها تنقلب غير ودودةٍ أو غاضبةٍ، موضّحةً بذلك أن كلّ شيءٍ كان يجري وفقاً لشروطها هي. أنت لا تتملّك كليوباترة أبداً، وإنما تعبدها. بهذه الطريقة تمكنت امرأةٌ كانت قد نُفِيَت وقُدّر عليها أن تموت مُبكّراً من أن تدير الأمور كلّها رأساً على عقب وتحكم مصر لما يقارب العشرين عاماً.

الجاذبية الفورية لأغنيةٍ، لصوت، لِشذا. جاذبية النمر بأريجه المُعطّر ... تَبعاً للقدماء، فإن النمر هو الحيوان الوحيد الذي يبتعث رائحةً مُعَطّرة. إنه يستخدم هذه الرائحة ليجتذب ضحاياه ويقبض عليهم... لكن ما الذي يُغوي في العطر؟.. ما الذي يُغوينا في أغنية الحوريات، أو في جمال الوجه، أو في أعماق اللجج... ؟

نتعلّم من كليوباترة أنّ الجمال ليس هو ما يصنع الحورية وإنما المسحة المسرحية التي تجيز للمرأة أن تجسّد خيالات الرجل. يضجر الرجل من المرأة مهما بلغ جمالها؛ فهو يتوق لِمُتَعٍ مختلفة، وللمُغامرة. كل ما تحتاجه المرأة لتقلب الأمور رأساً على عقب هو أن تخلق الوهم بأنها تقدم هذا التنوع وهذه المغامرة. يُخدَعُ الرجل بالمظاهر بسهولة؛ فهو لديه ضعفٌ تجاه الجوانب البصرية. إخلقي الحضور المادي للحورية (إغراء جنسي مُعَمّق وممزوج بسلوكٍ ملكي ومسرحي) فستريه وقد وقع في الفخ. لا يستطيع أن يملّ منك وبالتالي لا يستطيع أن ينبذك. أبقي المُلَهّيات مُشْهَرةً، ولا تدعيه يرى من تكونين أنتِ حقّاً. سوف يتبعك حتى يغرق.

حورية الجنس

الإغواء يكمن في بطلان الإشارات ومعانيها، في المظهر الخالص. الأعين التي تُغوي لا تتضمن معنى، فهنّ ينتهين في التحديقة، كما ينتهي الوجه المُبَرج في المظهر البحت... عبير النمر هو أيضاً رسالة بلا معنى - ومن خلف الرسالة يكون النمرُ غير مرئي، كما تكون المرأة خلف الماكياج. الحوريات أيضاً يظللن غير مرئيات. السحر يكمن فيما هو مُخبأ.

- جان بودريلار، *الإغواء*

نورما جاين مورتنسون - والتي أصبحت مستقبلاً مارلين مونرو - أمضت شطراً من طفولتها في دور أيتام لوس آنجلس. كانت أيامها مليئة بالأعمال المنزلية الروتينية البغيضة وخالية من اللعب. في المدرسة نأت بنفسها، نادراً ما ابتسمت وكثيراً ما حلمت. ذات يوم عندما كانت في الثالثة عشرة، بينما كانت ترتدي ثياب المدرسة، لاحظت أن بلوزتها البيضاء التي زوّدها بها الميتم كانت ممزّقة، لذا وَجب عليها أن تستعير كنزةً صوفيّةً غليظةً من فتاةٍ أصغر منها في الميتم. الكنزة كانت أصغر منها بعدّة قياسات. ذلك اليوم - على حين غرّة - بدا أن الصبية يتجمّعون حولها حيثما حلّت (كانت نامية وجسمها مُتّبنٌ جدّاً بالنسبة لفتاة في سنّها). كتبت في دفتر يوميّاتها، «حدّقوا في كنزتي كما لو كانت منجم ذهب.»

كان الاكتشاف بسيطاً ولكن مُروّعاً. كانت في السابق مُتَجاهَلة لا بل وحتى محطّ سخرية الطلاب الآخرين، أمّا الآن فقد أحست نورما جاين بطريقةٍ لنيل الاهتمام، ولربّما القوة حتى، لأنها كانت جامحة الطموح. أخذت تبتسم أكثر وتضع الماكياج وتلبس بشكلٍ مختلف. وسرعان ما لاحظت شيئاً مُذهلاً ومُروّعاً بدرجة مساوية: وقع الصبية بشغف في حبها بدون اضطرارها لأن تقول أو تفعل شيئاً. كتبت «كان المعجبون بي جميعهم يقولون الشيء نفسه ولكن بطرق مختلفة. رغبتهم في أن يقبّلوني ويضمّوني كانت خطيئي. البعض قال أنها كانت الطريقة التي أنظر بها إليهم - بعيونٍ ملأى بالشغف. آخرون قالوا أنه كان صوتي الذي أغراهم بالاقتراب. بالإضافة إلى ذلك فقد زعم آخرون أنني أولّد ذبذباتٍ تطرحهم أرضاً.»

نحن ننبهر بالزينة الأنثوية، بالمظهر السطحي، / كل الذهب والمجوهرات: قليلٌ جدّاً مما نلاحظه / هو الفتاة نفسها وأين (قد تتساءل) وسط هذه الوفرة / يمكن أن يوجد موضوع شغفنا؟

بعد عدّة سنوات كانت مارلين تحاول أن تشق طريقها في عالم الأفلام. المنتجون كان يقولون لها الشيء نفسه: أنها كانت جذابةً كفايةً كشخص، ولكن وجهها لم يكن جميلاً بما فيه الكفاية للأفلام. كانت تحصل على العمل كمُستَخدَمة إضافية للتمثيل في المشاهد الجماعية، وعندما كانت تظهر على الشاشة - حتى ولو للحظاتٍ معدودةٍ فقط - فإن الرجال من المشاهدين كانوا يصبحون شديدي التوق والحماسة، ودور السينما كانت تنفجر بالصيحات. لكنّ أحداً لم ير أيّ ميزةٍ نجومية في ذلك. في

أحد الأيام من عام 1949، عندما كانت في الثالثة والعشرين فقط ومسيرتها المهنية في حالة توقفٍ تام، التقت مونرو بشخصٍ على العشاء والذي أخبرها أن منتجاً مُكلّفاً بتوزيع الأدوار لِفيلم جديد من بطولة جروتشو ماركس، *أُحب السعادة*، كان يبحث عن ممثلة للقيام بدور فتاة شقراء مُدوِّخة تستطيع أن تمر بجانب جروتشو بطريقة من شأنها - حسب كلماته - «أن توقظ الليبيدو الكهولي الخاص بي وتجعل الدخان ينبعث من أذنيّ.» بينما كانت تؤدي تجربة الأداء، ارتجلت مشيتها الخاصة بها. فقال جروتشو بعد أن رأى سيرها المتّقد: «إنها كلٌّ من ماي وست وثيدا بارا (ممثلتين)، ولعبة الباربي وقد التفوا في كينونةٍ واحدة. سنصوّر المشهد غداً.» وهكذا ابتدعت مارلين مشيتها الشائنة، مشيةٌ بالكاد كانت طبيعية ولكنها قدمت مزيجاً غريباً من الجنس والبراءة.

الأعين تُخدِعَت بالتمويه الذكي للحب.

- أوفيد، علاجات للحب، ترجمة بيتر غرين

عبر السنوات القليلة التالية، علّمت مارلين نفسها عن طريق التجربة والخطأ كيفية تعميق الأثر الذي لديها على الرجال. لطالما كان صوتها جذّاباً - كان صوت فتاة صغيرة. لكن في الأفلام فقد كان لديه محدوديات إلى أن علمها أحدهم أخيراً كيف تخفّضه، مما أعطاه الطبقات العميقة والمصحوبة بأنفاسٍ مسموعة والتي أصبحت علامتها التجارية للإغواء، مزيجاً من الفتاة الصغيرة والمرأة المشاكسة الشبيهة بأنثى الثعلب. قبل أن تظهر على التلفاز أو حتى في حفلة، كانت مارلين تمضي ساعاتٍ أمام المرآة. معظم الناس افترضوا أن هذا كان وليد الخُيَلاء والغرور - أي أنها كانت واقعة في غرام صورتها. الحقيقة كانت أن صورتها تلك كانت تستغرق ساعات حتى تُخلَق. أمضت مارلين سنوات في دراسة وممارسة فن الماكياج. الصوت، المشية، الوجه والنظرة كلها كانت عبارة تركيباتٍ مُنْشَأة، تظاهر وتمثيل. في قمة شهرتها، فإنّها كانت ترتعش طرباً لدى ذهابها إلى بارات نيويورك من دون ماكياجها أو ملابسها الجميلة ومرورها دون أن يلاحظها أحد.

كان يرعى قطيعه على جبل غارغاروس، أعلى ذروة في آيدا، عندما سلّم هيرميس، مصحوباً مع هيرا وأثينا وأفروديت، التفاحة الذهبية ورسالة زيوس: «باريس، بما أنك وسيّم بقدر ما أنت حكيم في شؤون القلب، فإن زيوس يأمرك بأن تحكم: أيّ واحدةٍ من هذه الإلاهات هي الأجمل.» • «فليكن،» تنتهد باريس. «لكن أولاً أود أن أرجو الخاسرات ألاّ يغتظن مني. أنا مجرد كائنٍ إنسانيّ مُعترضٌ لارتكاب أحمق الأخطاء.» • وافقت جميع الإلاهات على

أخيراً أتى النجاح، ولكن معه أتى شيءٌ عميق الإزعاج لها: الاستديوهات كانت تختارها حصراً لدور الفتاة الشقراء المُدَوّخة. أرادت أدواراً جدّية، ولكن لم يأخذها أحدٌ على محمل الجد لأدوارٍ كهذه، مهما حاولت جاهدةً لتعتّم على خصائص الحورية التي بنت عليها. في أحد الأيام،

بينما كانت تتمرن على تمثيل مشهد من فيلم *بستان الكرز*، سألها معلم التمثيل الخاص بها مايكل تشيخوف: «هل كنت تفكرين في الجنس بينما كنا نؤدي المشهد؟» عندما قالت لا، تابع قائلاً: «خلال كل أدائنا للمشهد ظللت أتلقّى عبيراً ونسماتٍ جنسية منك. وكأنك كنت امرأةً في قبضة الشغف.... أنا أتفهّم مشكلتك الآن مع الاستديو يا مارلين. أنت امرأةٌ تولّد هالةً وإحساساتٍ وأجواء جنسية ـ بغض النظر عما تقومين أو تفكّرين به. العالم بأسره تجاوب مع هذه الهالة وهذه الإحساسات والأجواء. إنها تنبعث من شاشات السينما عندما تكونين عليها.»

أحبت مارلين مونرو الأثر الذي يملكه جسدها على ليبيدو الذكر. لقد ضبطت نغم حضورها الجسدي كأداةٍ موسيقية، جاعلةً نفسها تعبق بالجنس وتكتسب مظهراً رائعاً ومتوهّجاً. النساء الأخريات عرفن عديداً مماثلاً من الخدع لتعميق جاذبيتهم الجنسية، لكن ما ميّز مارلين مونرو عنهن كان عنصراً من اللاوعي. خلفيتها كانت قد حرمتها من شيءٍ جوهريّ: العاطفة. أعمق احتياجاتها كانت أن تشعر بأنها محبوبة ومرغوبة، الشيء الذي جعلها تبدو باستمرار حساسة وقابلة للانجراح، كفتاةٍ صغيرة تتوق إلى الحماية. ابتعثت هذه الحاجة للحب أمام الكاميرا؛ لقد كان هذا الابتعاث عفوياً ونابعاً من مكانٍ ما حقيقيّ في داخل أعماقها. النظرة أو الإيماءة التي لم تقصد من خلالها أن توقظ الرغبة كانت تفعل ذلك بشكلٍ مضاعَف القوة فقط لأنها غير مقصودة ـ براءتها بالتحديد كانت ما أثار الرجل.

حورية الجنس لديها أثرٌ أكثر إلحاحاً وفوريّةً من أثر الحورية المُبهِرة أو الدراماتيكية. كتجسيدٍ للجنس والرغبة، فإنّها لا تضايق نفسها بأن تخاطب الحواس العرضية وغير المترابطة، أو أن تخلق تصعيداً مسرحيّاً. لا يبدو أبداً أنَّ وقتها مُستَهلكٌ بالعمل أو بالمهمات الروتينية والشاقة؛ هي تعطي الانطباع بأنها تحيا للمتعة وأبداً مُتاحة. ما يُميِّز حورية الجنس عن المحظية أو المومس هو لمسة البراءة والهشاشية التي عندها. هذا المزيج مُرضٍ بشكلٍ مُعارضٍ للمنطق: فهو يعطي الذكر الوهم الجوهريّ بأنه الحامي، صورة الأب، بالرغم من أن حورية الجنس هي التي تتحكم بالديناميكية (الحركية).

لا يتعيّن على المرأة أن تولد بخصائص مارلين مونرو حتى تَشْغَلَ دور

التقيد بقراره. • «هل سيكون كافياً الحكم عليهن كما هنّ عليه؟» • سأل باريس هيرميس، «أم ينبغي أن يكنّ عاريات؟» • «أنت من يقرر قواعد المباراة،» أجاب هيرميس بابتسامةٍ مُتحفّظة. • «في تلك الحالة، هلاّ تكرمن بنزع ثيابهن؟» • طلب هيرميس من الإلاهات فعل ذلك، وأدار ظهره بأدب. • سرعان ما كانت أفروديت جاهزة، إلا أن أثينا أصرّت على أنها يجب أن تنزع الحزام السحري، الذي أعطاها أفضليّةً غير عادلة من خلال جعل الجميع يقع في الحب مع مرتديه. «حَسَنٌ جدّاً» قالت أفروديت بحقد. «سوف أنزعه، شريطة أن تخلعي خوذتك ـ فأنت تبدين شنيعةً بدونها.» • «الآن، من فضلكم، يجب أن أحكم عليكن، كل واحدةٍ على

حورية الجنس. مُعظم العناصر المادية تكون مُرَكّبة ومُشيّدة؛ المفتاح هو سيماء البراءة لفتاة المدرسة. فبينما يبدو جزءٌ منكِ وهو يصرخ بالجنس، فإن الجزء الآخر يكون حَيِيّاً وساذجاً، وكأنكِ غير قادرة على فهم التأثير الذي تملكينه. مشيتكِ، صوتكِ، سلوكك يكونون ملتَبِسين بشكلٍ سار ـ أنت كلٌّ من المرأة المتمرسة والشهوانية والفتاة المُتَصَبِنة البريئة.

مواجهتك التالية ستكون مع الحوريات، اللواتي يسحرن كل رجلٍ يدنو منهن.... لأن الحوريات يرمين مع موسيقى أغنيتهن بتعويذتهن عليه، وهن جالساتٍ هناك على مرجٍ يعلو على الهياكل العظمية المُتَفَسخة للرجال، الذين جلودهم الذابلة لا تزال مُتَدلّيَةً على عظامهم.

ـ سيرس إلى أوديسوس، ملحمة الأوديسة، الجزء الثاني عشر

المفاتيح إلى الشخصية

الحورية هي أقدم المُغويات على الإطلاق. نموذجها الأصلي هو الإلهة أفروديت ـ إنه لمن طبيعتها أن تتحلى بخاصية خرافية عنها ـ لكن لا تتخيل أنها شيءٌ من الماضي، أو من الأسطورة والتاريخ: فهي تمثّل نزوةً ذكورية قويّة كأنثى مُغرِيةٍ ذات ثقةٍ عظيمةٍ بالنفس وجنسانيّةٍ بالغة، تُقَدّم متعةً لا حدود لها ولمسةً من الخطر. في عالم اليوم فإنّ هذه النزوة لا يمكن إلّا أن تروق بشكلٍ أكبر لنفس الرجل أو عقله، لأنه يعيش الآن وأكثر من ذي قبل في عالم يقيّد غرائزه العدائية، من خلال جعل كل شيء آمناً وغير مُؤذٍ، عالمٌ يقدّم فرصةً أقل للمغامرة والمخاطرة من أي وقتٍ مضى. في الماضي، كانَ لدى الرجل بعض المُتَنَفّسات لهذه الدوافع ـ الحرب، أعالي البحار، والمكائد السياسية. في المجال الجنسي، فقد كانت المحظيّات والمومسات، من الناحية العمليّة، مؤسّسةً اجتماعيةً قدّمت له التنوّع والمطاردة التي تاق لها. دون أيّ مُتَنَفّس، فإن هذه الدوافع سوف تتحول نحو الداخل وتنخره، فيصبح بالتالي أسرعَ استثارةً بكثير لكونه مكبوتاً. في بعض الأحيان فإنّه يمكن لرجلٍ ذي

حدة» أعلن باريس... تعالي إلى هنا يا هيرا المقدسة! هلاّ تكنّ كيساتٍ كفايةً يا أيتها الإلاهتين الأخريتين بحيث تتركونا لبرهة؟» • «تَفَحّصنِ بضمير» قالت هيرا وهي تدور ببطء مُستعرضةً شكلها الرائع» وتَذَكّر أنّك إذا حكمت بأنني الأجمل، فسوف أجعلك سيّداً على كل آسيا، وأغنى رجل على قيد الحياة.» • «أنا لن أُرشى يا سيدتي ... حَسَنٌ جدّاً، شكراً لكِ. الآن رأيت كل ما أحتاج لرؤيته. تعالي يا أثينا المقدسة!» • «ها أنا ذا،» قالت أثينا، وهي تمشي بِعَزمٍ إلى الأمام بخطى واسعة. «استمع يا باريس، إذا كان لديك ما يكفي من الحس السليم لتمنحني الجائزة، فسوف أجعلك منتصراً في جميع معاركك، وكذلك

نفوذ أن يرتكب أكثر الأشياء لا عقلانيّةً، كأن يقيم علاقةً عندما يكون أقلَّ احتياجاً إليها، وذلك فقط طلباً للإثارة وللخطر الكامن وراء العلاقة برمّتها. الشيء اللاعقلاني قد يتكشّف عن إغوائيةٍ هائلة، وخاصّةً للرجال الذين ينبغي عليهم دائماً أن يبدوا غايةً في العقلانية.

إذا كانت القوة أو السلطة الإغوائية هي ما تسعين إليه، فالحورية هي الأكثر قوّةً وفعّاليّةً على الإطلاق. فهي تعمل على عواطف الرجل الأكثر أساسيةً، وإذا لعبت دورها كما ينبغي، فإنها تستطيع أن تحوّل ذكراً قوياً ومسؤولاً في الأحوال العادية إلى عبدٍ طفليّ. الحورية تفعل فعلها أيضاً على النمط الرجولي الصلب ـ المحارب أو البطل ـ تماماً كما اجتاحت كليوباترة مارك أنطوني ومارلين مونرو رو جو ديماجيو. لكن لا تتخيل أبداً أن هؤلاء هم الأنماط الوحيدة التي تستطيع الحورية التأثير عليهم. يوليوس قيصر كان كاتباً ومُفكّراً نقل قدراته الذهنية إلى ساحة المعركة وإلى المعترك السياسي؛ الكاتب المسرحي آرثر ميلر وقع عميقاً تحت سحر مارلين مونرو بنفس الدرجة التي وقع بها ديماجيو. المفكر هو غالباً الأكثر تأثّراً بنداء الحورية للذة الجسدية الخالصة، لأن حياته تفتقدُ بشدة لذلك. الحورية لا تضطر لأن تقلق حيال إيجاد الضحية المناسبة. فسحرها يفعل فعله على الجميع.

في المقام الأول والرئيسي، فإنّه ينبغي على الحورية أن تميّز نفسها عن النساء الأخريات. هي بطبيعة الحال شيءٌ نادرٌ وأسطوريٌّ ووحيدةٌ أمام مجموعة؛ هي أيضاً جائزة قيّمة تستحق أن تُنتَزَع من أيدي الرجال الآخرين. جعلت كليوباترة نفسها مختلفة من خلال إحساسها بالدراما الرفيعة؛ أداة الإمبراطورة جوزيفين كانت وهنها وتراخيها الشديدين؛ أما أداة مارلين مونرو فكانت طبيعة الفتاة الصغيرة لديها. الجسمانية تقدم هنا أفضل الفرص، بما أن الحورية وفي المقام الأول منظرٌ للمشاهدة. الحضور الجنسي وشديد الأنوثة، حتى ولو لدرجة الكاريكاتور، من شأنه أن يميّزك سريعاً نظراً لأن معظم النساء يفتقرن إلى الثقة اللازمة لإبراز هذه الصورة.

بمجرّد ما تجعل الحورية نفسها تبرز على الآخرين، يتوجّب عليها أن تمتلك خاصتين حاسمتين أخرَيتين: القدرة على حمل الرجل على مطاردتها بشكلٍ محموم إلى درجةٍ يفقد معها التحكم؛ ولمسة من الخطر. إن الخطر

الرجل الأكثر وسامةً وحكمةً في العالم.» • «ولكنني راعٍ متواضع ولست جنديّاً،» قال باريس... «لكن أعدكِ أن أنظر لمطالبتك بالتفاحة بعين الاعتبار والعدل. الآن بوسعك أن ترتدي ثيابك وخوذتك ثانيةً. هل أفروديت جاهزة؟» • دنت منه أفروديت بشكلٍ جانبيّ، واحمرّ وجه باريس خجلاً لأنها أصبحت قريبةً منه جدّاً لدرجةٍ كادا معها أن يتلامسا. • «انظرْ بِتَمعّن من فضلك، ولا تتغاضَ عن أي شيء..... بالمناسبة بُمجرّد ما وقعت عيني عليك قلت لنفسي: أَجْزُمُ بأنّه هناك يسير الرجل الأكثر وسامةً في كل فيرجيا! لماذا يَهْدُر نفسه هنا في البرّيّة وهو يرعى قطيعه الغبي؟ بصدقٍ، لماذا تتصرّف هكذا يا باريس؟ لماذا لا تنتقل

مُغوٍ بشكلٍ مُثيرٍ للدهشة. حمل الرجل على مطاردتك هو شيءٌ يسيرٌ نسبياً: حضورٌ شديد الجنسانية من شأنه أن يفي بالغرض. لكن يجب ألا تَتَشَبّهي بالمحظيّة أو المومس، التي قد يطاردها الرجل فقط ليفقد الاهتمام بها بعد ذلك ببرهةٍ قصيرة. عوضاً عن ذلك فأنت مُحَيّرة وبعيدة قليلاً، خيالٌ تُنْفَخُ فيه الحياة. خلال عصر النهضة، فإن الحوريات العظيمات، من أمثال توليا دارجونا، تَعَمّدن التّصرّف والظهور كالإلاهات الإغريقيات ـ فانتازية تلك الفترة. في العصر الحاضر تستطيعين أن تصوغي نفسك على غرار مَعبودات(إلاهات) الشاشة ـ أي شيءٍ يبدو متوهّجاً ومُثيراً للإعجاب، لا بل وحتى باعثاً على الرهبة. هذه الخصائص ستجعل الرجل يطاردك بشكلٍ ملتهب، وكلما طاردك أكثر، أحس بأنه يتصرف بناءً على مبادرته الخاصة. هذه طريقة ممتازة لإخفاء مدى عمق تلاعبك به.

إنّ مفهوم الخطر والتحدي وفي بعض الأحيان الموت، قد يبدو في بعض الأحيان قديم الطراز، لكنّ الخطرَ حاسمٌ في الإغواء. فهو يضيف نكهةً عاطفيةً ويروق لرجال اليومَ تحديداً، الذين عادةً ما يكونون مُفرِطين في التعقّل ومقموعين. الخطر حاضرٌ في الأسطورة الأصلية للحورية. في الأوديسة التي جمعها هوميروس؛ فإنّ البطل أوديسوس يجب أن يسافر بمحاذاة الصخور التي عليها تغني الحوريات ـ مخلوقات أنثوية غريبة ـ وتدعو البحّارة إلى هلاكهم. هن يغنين عن أمجاد الماضي، عن عالمٍ شبيهٍ بالطفولة، دون مسؤوليات، عالمٌ من اللذة الخالصة. أصواتهن تشبه الماء، سائلة ومُغرية. البحّارة كانوا يقفزون إلى الماء لينضموا إليهن، فيغرقون؛ أو، يَقودون سفنهم للاصطدام بالصخور بعد أن يتم تخبيلهم وتنويمهم مغناطيسياً. ليحمي بحارته من الحوريات، قام أوديسوس بملء آذانهم بالشمع؛ وأمر بتقييده إلى الصاري كي يستطيع أن يسمع الحوريات وأن يحيا ليحكي عن سماعه إياهن - رغبة غريبة، كون الرعشة التي تولدها الحوريات هي استسلامٌ لهوى اللحاق بهن.

تماماً كما توجّب على البحّارة الأقدمين أن يُجذّفوا ويقودوا، متجاهلين كل المُلهِيات، فإن رجل اليوم يجب أن يعمل ويتّبع مساراً مستقيماً في الحياة. إن نداء المجهول والخطر والعاطفة أقوى من أي وقتٍ مضى لأنه

إلى المدينة وتحيا حياةً مُتَحضِّرة؟ ماذا لديك لتخسر إذا تزوّجت من امراةٍ مثل هيلين إسبارطة، التي تضاهيني بالجمال وليست أقلُّ منّي شَغَفاً؟ ... أقترح الآن أن تقوم برحلةٍ في بلاد الإغريق بصحبة ابني إيروس كمرشدٍ لك. أنا وهو موقنين أنه فور وصولك إلى إسبارطة، من أنّ رأس هيلين سوف يقع بين قدميها من حبّها لك.» • «هل تُقسمين على ذلك؟» تَحَرّق باريس بحماس. • تفوّهت أفروديت بِقَسَم جدّي فمنحها باريس دون تردّد التفاحة الذهبية.

ـ روبرت غرايڤس، *الأساطير الإغريقية*، المجلّد الأول

لِمَن ـ ياللحسرة ـ أقارن الفتاة الحسناء، المباركة جدّاً من الأقدار، إن لم يكن

محظورٌ بشدّة. فكّر بضحايا كبريات حوريات التاريخ: باريس تسبّب بحرب من أجل هيلين طروادة، قيصر خاطر بإمبراطورية وأنطوني خسر سلطته من أجل كليوباترة، نابوليون أصبح أضحوكة بسبب جوزفين، ديماجيو لم يستطع أبداً أن يتعافى من مارلين، وآرثر ميلر لم يستطع أن يكتب لسنوات. الرجل غالباً ما تحيله الحورية إلى حطام، ومع ذلك فلا يستطيع أن يقسر نفسه على الرحيل. (العديد من الرجال الأقوياء لديهم مسحةٌ مازوشية.) من السهل التلميح إلى عنصر الخطر الذي سوف يعزّز صفات الحورية الأخرى التي لديكِ ـ كلمسة الجنون لدى مارلين، على سبيل المثال، التي أسرت الرجال. الحوريات غالباً ما يكنّ غير عقلانياتٍ بشكلٍ لا يصدق، الشيء الشديد الجاذبية للرجال الذين يكونون مقموعين بحصافتهم واعتدالهم. عنصر الخوف حاسمٌ أيضاً: إبقاء الرجل على مسافة مناسبة يخلق الاحترام، لأنه لا يقترب بما فيه الكفاية ليميّز طبيعتك الحقيقية أو يلاحظ خصائصك الأضعف. إخلقي هذا الخوف من خلال تغيير مزاجك بشكلٍ مفاجئ وإبقائه في حالةٍ من اللاتوازن، وإرهابه بين الفينة والأخرى بالسلوك المتقلّب والنزوي.

إنّ العنصر الأكثر أهمية لحوريةٍ طموحة هو وعلى الدوام العنصر الجسدي الذي يشكّل أداة الحورية الأساسية للنفوذ والقوة. الخصائص الجسدية ـ عطر، أنوثة زائدة مُحَفّزة من خلال الماكياج أو الملابس المنمقة أو الإغوائية ـ تفعل فعلها على الرجال وبمنتهى القوة لأنه ليس لها معنى. فهي تتجاوز العمليات المنطقية من خلال فوريتها، وتُحدث الأثر نفسه الذي يُحدثه الطعم على الحيوان، أو حركة القماشة على الثور. غالباً ما يتم الخلط بين مظهر الحورية المناسب وبين الجمال الجسدي وتحديداً الوجه. لكن الوجه الجميل لا يصنع حورية: فهو يخلق بدلاً من ذلك بُعداً وبروداً أكثر من اللزوم. (لا كليوباترة ولا مارلين مونرو ـ أعظم حوريتين في التاريخ ـ كانتا معروفتين بوجهين جميلين.) بالرغم من أن الابتسامة والنظرة المُغرية يُشكّلان إغواءً لا نهاية له، إلا أنهن لا يجب أبداً أن يطغين على مظهرك. فهما واضحتان ومباشرتان أكثر من اللزوم. الحورية يجب أن تُحَفّز رغبةً مُعَمّمةً، وأفضل طريقةٍ لفعل هذا تكون من خلال خلق انطباعٍ كلّي يتّسم بالإلهاء

مع الحوريات اللواتي يجتذبن السفن بمغناطيسيتهن؟ وهكذا، أتخيل آيزولت وقد اجتذبت العديد من الأفكار والقلوب التي تعتبر نفسها بمنأى عن قلق الحب. وبالفعل فإنّ هذين الاثنين ـ السفن بدون المرساة والأفكار التائهة ـ يقدّمان مقارنة جيدة. كلاهما نادراً ما يكونان على مسلكٍ مستقيم، ويتموضعان في أغلب الأحيان في مرافئ غير جديرة بالثقة، حيث تتقاذفها الأمواج إلى الأعلى والأسفل وتدفعها إلى الأمام والوراء. تماماً بنفس الطريقة، تنجرف الرغبة الضالة والتوق العشوائي للحب كالسفينة بلا مرساة. هذه الأميرة الشابة الساحرة، آيزولت المُتحفّظة والدمثة، اجتذبت الأفكار من القلوب التي صانتها كما يجتذب المغناطيس السفن لصوت أغنية

والإغراء على حدٍّ سواء. إنها ليست نزعةً واحدةً مُحدّدةً، وإنما اتحاداً مؤتلفاً من الخصائص:

الصوت. من الواضح أنه خاصية هامة، فكما تشير الأسطورة، فإن صوت الحوريات لديه سيماءٌ حيوانية (شهوانية) مع قدرة إيحائية مذهلة. لربما تكون تلك القدرة نكوصيّةً، أي تستدعي إلى الأذهان قدرة صوت الأم على تهدئة أو تنشيط الطفل حتى قبل أن يفهم الطفل ماذا تقول. الحورية يجب أن تتحلى بصوتٍ موحٍ من شأنه أن يُلمِع إلى الجانب الشهواني بطريقةٍ لا تُدرَك أو تُحَس (خفيّة) أكثر منها صريحةً أو علنية. جميع الذين التقوا بكليوباترة تقريباً أثنوا على صوتها السار والعذب المسمع، والذي امتاز بقدرةٍ على التنويم المغناطيسي. الإمبراطورة جوزفين ـ إحدى أعظم المُغويات في أواخر القرن الثامن عشر ـ كان لديها صوتٌ واهنٌ مُتَراخ وَجَده الرجال غريباً، ووشى بأصولها الكاريبية. مارلين مونرو كان لديها بالفطرة صوتٌ شبيهٌ بصوت الأطفال ومُتّسَمٌ بإطلاق أنفاسٍ مسموعة، لكنها تعلّمت أن تُخَفّضه لتجعله مُغوياً بحق. صوت لورين باكال كان خفيضاً بشكلٍ طبيعي؛ قواه الإغوائية نبعت من إلقائه ولفظه المُتَأنّي والموحي. الحورية لا تتكلم أبداً بشكلٍ سريعٍ، عدوانيٍّ، أو بطبقةٍ مرتفعة. صوتها هادئٌ وغير مُتَعَجّل، وكأنها لم تستيقظ تماماً ـ أو تغادر سريرها.

الجسم والزينة. إذا كان على الصوت أن يهدهد، فينبغي للجسم وزينته أن يُبْهِرا. إنه بواسطة ثيابها تسعى الحورية لأن تخلق أثر الإلهة الذي وصفه بودِلير في مقالته «في مدح الماكياج»: «إنّ المرأة تكون ضمن نطاق حقوقها، وبالفعل هي تنجز نوعاً من الواجب عندما تكافح لتظهر سحريّةً وخارقةً للطبيعة. يجب أن تَشْدَه وتَخلب اللب؛ كمعبودة، يجب أن تزيّن نفسها بالذهب حتى تُعْبَد ويُهامَ بها. يتوجّب عليها أن تستعير من جميع الفنون حتى ترفع نفسها فوق الطبيعة؛ الأمر الذي يشكّل الوسيلة الفضلى لتستعبد القلوب وتُخضِعُها وتُثير اضطراب الأرواح.»

باولين بونابرت ـ أخت نابوليون ـ كانت عبقريّةً فيما يختص بالثياب والحُليّ والزينة. جاهدت باولين بشكلٍ مُتَعَمّد لتحقّق أثر الإلهة، فشَكّلت تسريحتها وماكياجها وثيابها بحيث تستحضر مظهر وسيماء ڤينوس، إلهة

الحوريات. لقد غنّت سرّاً وعلانيّة، ومن خلال الأعين والآذان حرّكت العديد من القلوب. الأغنية التي غنّتها علانيّةً في هذا المكان وغيره من الأماكن كانت غناءها العذب الخاص والرنين الناعم للأوتار التي ردّدت الصدى عبر مملكة الآذان إلى أعماق القلوب حتى يسمع الجميع. أما أغنيتها السرية فكانت جمالها العجيب الذي تسلّل بموسيقاه الطّربة وهو مُخبّأ وغير مَرئيّ من خلال نافذة الأعين إلى العديد من القلوب النبيلة، ومَهّدَ للسّحر الذي أخذ الأفكار أسيرةً على حين غرّة، وعندما أخذها قيّدها بالرّغبة!

ـ غاتفرِد فون ستراسبورغ، تريستان، ترجمة أ. ت. هتّو

الوقوع في حب

الحب. لم يستطع أحد في التاريخ أن يتباهى بحجرة ثياب أشمل وأكثر تعقيداً. خلّف دخول باولين إلى حفلٍ راقص في عام 1798 أثراً صاعقاً. سألت المضيفة، مدام بيرمون، إذا ما كان بإمكانها أن ترتدي ثيابها في منزلها، حتى لا يرى أحد ثيابها وهي تدخل. عندما نزلت السلم، فقد توقّف الجميع فجأةً وعلى نحوٍ تام في صمتٍ مصعوق. ارتدت غطاءً للرأس كذلك الذي كانت كاهنات باخوس (إله الخمر) يرتدينه ـ عناقيد عنب من الذهب مُتَحابكة مع ضفائر شعرها، التي كانت مصففة على الطريقة الإغريقية. أبرز رداؤها الإغريقي الطويل والمشدود بحزام، مع حاشيته المطرّزة بالذهب، مظهرها الشبيه بالإلهة. تحت ثدييها كان هناك زنّارٌ من الذهب المصقول، مُثَبّت بجوهرة عظيمة. كتبت دوقة دوبرانت: «لا يوجد كلمات تُعبّر عن جمال مظهرها، الغرفة بعينها أصبحت أكثر بريقاً لدى دخولها. الثوب بأكمله كان متناغماً لدرجة أنه تم الترحيب بإطلالتها بأزيزٍ من الإعجاب الذي استُأنِفَ بتجاهلٍ تام لجميع النساء الأخريات.»

المفتاح: كل شيئ يجب أن يبهر، ولكن يجب أيضاً أن يكون مُتناغماً، وذلك حتى لا تجتذب حليةٌ بعينها الانتباه. يجب أن يكون حضورك مشحوناً ومُتَوَهِّجاً، حُلُمٌ يتحقق. الزينة تُستَخدم لإلقاء التعويذة والإلهاء. تستطيع الحورية أيضاً أن تستخدم الثياب لِتُلمِعَ إلى الجانب الجنسي، بشكلٍ صريح في بعض الأحيان ولكن في أغلبها من خلال الإيحاء به وليس التعبير عنه بطريقة صارخة ـ لأن هذا من شأنه أن يجعلك تبدين مُتلاعبةً. يرتبط بهذا مفهوم الكشف الانتقائي، أي إظهار فقط جزء من الجسد ـ ولكن الجزء الذي سوف يثير ويُحرّك المخيّلة. في أواخر القرن السادس عشر، مارغريت دي ڤالوا، الابنة السيئة الصيت لملكة فرنسا كاثرين دي ميديتشي، كانت من أولى النساء على الإطلاق اللواتي أدخلن في حجرة ثيابهن الفستان المُقَوّر الصّدر، وذلك بكل بساطة لكونها تمتلك أجمل صدر في المملكة. أما بالنسبة لجوزفين بونابرت فكان ذراعاها هما اللذان تحرص دائماً على تركهما مكشوفين.

التماثيل واللوحات، بل وحتّى ممارسة الحب معها هو نزوةٌ قديمة والتي كانت النهضة مُدرِكَةً لها وبشكلٍ ذكيّ. جورجيو ڤاساري ـ الذي كتب في القسم التمهيدي من سِيَر الفن في العصور القديمة، يحكي كيف كان الرجال ينتهكون القوانين بذهابهم إلى المعابد ليلاً وممارستهم الجنس مع تماثيل ڤينوس. في الصباح كانت الكاهنات تدخل الحرم ليجدن لُطَخاً على التماثيل المصنوعة من المرمر.

ـ لين لاونر، حياة المومسات

الحركة والسلوك. في القرن الخامس قبل الميلاد اختار الملك كو تشين الحورية الصينية هسي شيه من بين جميع نساء مملكته لكي تُغوي وتُدَمّر

مُزاحمه فو تشاي ملك وُو؛ ولهذا الغرض أمر بإرشاد المرأة الشابة في فنون الإغواء. كانت الحركة هي الجانب الأكثر أهميةً في تلك الفنون - كيفيّة التّحرّك برشاقة وإيحاء. تعلّمت هسي شيه أن تُعطي الانطباع بأنها تطوف فوق الأرض بأثوابها الخاصة بالبلاط. عندما أُطلِق العنان لها على فو تشاي، فإنّه وقع سريعاً تحت سحرها. مَشَت وتحرّكت كما لم يشاهد أحدٌ من قبل. أصبح مهووساً بحضورها المُرتعش، بأسلوبها وسيمائها اللامبالي. وقع فو تشاي عميقاً في الحب لدرجة أنه ترك مملكته تتناثر إلى أجزاء، سامحاً بذلك لكو تشين بالزحف نحوها واحتلالها دون قتال.

تتحرّك الحورية برشاقة بالغة ودون عجلة. الإيماءات والحركة والتصرّفات المناسبة للحورية هي مثل الصوت المناسب: يُلمِعون إلى شيٍ مُثير، يُحرّكون الرغبة دون أن يكونوا واضحين. مظهركِ الخارجي يجب أنّ يكون مُتَراخياً، وكأنّ لديكِ كل الوقت في العالم للحب والمتعة. إيماءاتك يجب أن تتّسم بدرجة معيّنة من الالتباس، فتوحي بشيئً بريءٍ وشهوانيّ على حدٍّ سواء. أيُّ شيءٍ لا يمكن فهمه حالاً يكون مُغوياً بشكلٍ هائل، وأكثر من ذلك بكثير إذا تخلّل سلوككِ.

الرمز: الماء.

أغنية الحورية تكون عذبةً وجذّابةً،
والحوريّة نفسها تكون مُتَدّفقة وصَعبة المنال.
مثل البحر، الحورية تستدرجك بوعد مغامرةٍ ومتعةٍ
غير محدودتين. يتناسى الرجال الماضي والحاضر
ويلحقونها بكامل قواهم نحو البحر حيث يغرقون.

المخاطر

مهما كان العصر مُسْتَنيراً، فلا تستطيع امرأةٌ أن تحافظ على الصورة بأنها مُكَرّسة للمتعة براحةٍ تامة. ومهما حاولت جاهدةً أن تُبعِد نفسها عنها، إلّا أنّ وصمة كونها سهلة ستلاحق الحورية على الدوام. كانت كليوباترة مكروهةً في روما بوصفها العاهرة المصرية. أدّى ذاك الكره في آخر المطاف إلى سقوطها، عندما سعى أوكتاڤيوس والجيش الروماني لمحوِ الوصمة عن الرجولة الرومانية التي غدت تمثلها. لكن الخطر غالباً ما يكمن في الحسد الذي تثيره لدى النساء الأخريات؛ معظم كره روما لِكليوباترة تأتّى من الامتعاض الذي استفزّته لدى كَهلات المدينة المتزوّجات الصارمات من ذوات المقام الاجتماعي الرفيع. من خلال توكيد براءتها وجعل نفسها تبدو ضحيةً لرغبة الرجل، تستطيع الحورية أن تُثَلّم نوعاً ما آثار حسد النساء. ولكن في الإجمال فإنّه لا يوجد كثيرٌ مما تستطيعُ فعله ـ تنبع سلطتها من تأثيرها على الرجال، وينبغي لها أن تَتعلّم تَقبُّلَ، أو تَجاهُلَ، حسدِ النساء الأخريات.

أخيراً فإن الاهتمام الشديد الذي تجتذبه الحورية يمكن أن يتكشّف عن كونه مُزعجاً أو أسوأ. في بعض الأحيان ستتوق للراحة منه؛ في أحيانٍ أخرى، ستريد أن تجتذب اهتماماً غيرَ جنسي. أيضاً، لسوء الحظ، فإن الجمال المادي يذوي؛ بالرغم من أن أثر الحورية يعتمد ليس على الوجه الجميل وإنما على الانطباع الكلي، إلّا أنّه بعد سنٍّ معيّنة يصبح من الصعب توليد ذاك الانطباع. كلٌّ من هذين العاملين ساهما في انتحار مارلين مونرو. يَلزم نبوغٌ بمستوى نبوغ مدام دي بومبادور، العشيقة الحورية للملك لويس الخامس عشر، لإحداث التّحول إلى دور المرأة الأكبر سنّاً المُفعمة بالحيوية والتي تستمر بالإغواء بواسطة سحرها غير المادي وغير الجسدي. كليوباترة كان لديها هكذا فطنة، ولو عاشت طويلاً بما فيه الكفاية، لظلّت مُغويةً واسعة السلطة لسنواتٍ عديدة. ينبغي للحورية أن تستعد للتّقدّم في السن من خلال الالتفات باكراً لأنماط الغنج الأكثر نفسية والأقل جسدية والتي بإمكانها الاستمرار في جلب السلطة لها حالما يبدأ جمالها بالذبول.

الخليع

المرأة لا تشعر أبداً بأنها
مرغوبة ومقدرة بما فيه الكفاية. إنها تريد
الاهتمام، لكن الرجل غالباً ما يكون مشتتاً وغير
متجاوب. الخليع شخصية بارزة في خيال المرأة ـ عندما
يرغب بامرأة، ولو للحظة قصيرة فإنه سوف يذهب إلى أقاصي
الأرض من أجلها. قد يكون غير مخلص أو غير شريف ولا صفة
أخلاقية له، ولكن هذا لا يعدو عن كونه إمعاناً في جاذبيته. على
خلاف الذكر العادي والحذر، فإنّ الخليع يكون غير مُقَيّدٍ بشكلٍ
سارّ، وعبداً لحبّه للنساء. هناك إغراءٌ مضافٌ إلى سمعته: العديد من
النساء قد استسلمن له، فلا بدّ أن يكون هنالك سببٌ لهذا.
الكلمات هي نقطة ضعف المرأة، والخليع أستاذٌ في اللغة
الإغوائية. حرّك أتواقَ المرأة المكبوتة من خلال تبني
مزيج الخليع من الخطر واللذة.

الخليع المُتّقد

بالنسبة لبلاط لويس الرابع عشر، فقد كانت سنوات الملك الأخيرة كئيبةً ـ كان مُسِنّاً، وقد أصبح مُتَدَيِّناً بشكلٍ لا يطاق وبغيضاً على المستوى الشخصي. البلاط كان مُتَبَرِّماً ومُتَعَطِّشاً للتّجديد. وبالتالي في عام 1710، كان لقدوم غلامٍ في الخامسة عشر من عمره والذي كان غايةً في الوسامة والفتنة أثرٌ قويٌّ على السيدات بالتحديد. اسمه كان فرونزاك، دوق رايشليو المستقبلي (عمُّ أبيه كان الكاردينال رايشليو السيء الصيت). كان صَفيقاً وظريفاً. السيدات كنّ يلعبن معه كَدُمية، لكنّه كان يُقبّل شفاههن بالمقابل، ويداه تَتجوّلان بعيداً بالنسبة لصبيٍّ غير مُجرّب. عندما تاهت يداه الآثمتان في أعلى تنورة دوقةٍ غير مُتَساهلة، استشاط الملك غضباً وأرسله إلى سجن الباستيل لِيُلَقّنه درساً. لكن السيدات اللواتي وجدنه مُسلّياً للغاية لم يحتملن غيابه. مُقارنةً بالمُتَشَنّجين في البلاط، فقد كان هنا شخصٌ جَسورٌ على نحوٍ لا يُصَدّق، عيناه كانتا تخترقانك، ويداه كانتا أسرع مما كان مأموناً. لم يستطع شيء إيقافه وكانت جِدَّته لا تُقاوَم. ناشدت سيدات البلاط الملك فَبُتِّرت إقامته في الباستيل.

بعد عدّة سنوات، كانت الآنسة الشابة دي ڤالوا تتمشّى في مُنتَزه باريس برفقة وصيفتها المُشرفة ـ امرأة أكبر منها سنّاً لا تُبارح جانبها قط. والد دي ڤالوا، دوق دورليانز، كان مُصَمّماً على حمايتها ـ بوصفها أصغر بناته ـ من كل مُغوي البلاط إلى أن يستطيع تزويجها، لذلك ربط هذه المُشرفة بها، امرأة ذات تَجَهُّم وفضيلةٍ لا يرقى إليها الشك. في المنتزه، على أية حال، فقد رأت دي ڤالوا شابّاً يمنحها نظرةً ألهبت قلبها بالنيران. تابع سَيره، لكن نظرته كانت حادّةً وواضحة. كانت وصيفتها المشرفة من أخبرها باسمه: الدوق

[بعد حادثةٍ عند فرقةٍ دينية، يجد دون جوان نفسه وقد وضعته الأمواج على الشاطئ، حيث اكتشفته امرأة شابة.]
• تيسبي: استيقظ يا أوسم الرجال، وكن نفسك مجدّداً. • دون جوان: إذا منحني البحر الموت، فأنت منحتِني الحياة. لكن البحر أنقذني حقيقةً فقط لكي تقتليني أنت. آه إن البحر يقذفني من عذابٍ لآخر، لأنني لم أسحب نفسي من الماء قبل أن ألتقي بهذه الحورية ـ التي هي أنت. لماذا أملأ

رايشليو السيّء الصيت غير المُحترم للمقدّسات والمُغوي ومُحطّم القلوب. شخصٌ يجب تفاديه مهما كان الثمن.

بعد عدّة أيّام، أخذت المُشرفة دي ڤالوا إلى منتزهٍ آخر، وإذ به رايشليو يعترض مسارهما مجدّداً. هذه المرة كان مُتنكّراً كَشَحّاذ، ولكن النظرة في عينيه لم تكن لتنسى. الآنسة دي ڤالوا بادلته النظر: أخيراً كان هناك شيءٌ مثير في حياتها الرتيبة. مع الأخذ بالحسبان قسوة والدها، فلم يجرؤ رجلٌ واحدٌ على الاقتراب منها. والآن رجل البلاط هذا ذو الصيت اللاذع والرديء آخذٌ بمطاردتها، بدلاً من كل السيدات في البلاط ـ يا لها من إثارة! سرعان ما شرع يهرّب لها رسائلَ مكتوبةً بأسلوبٍ جميل مُعبّراً فيها عن رغبته تجاهها والتي لا يستطيع التحكّم بها. استجابت بحياء، لكن سرعان ما أصبحت الرسائل كل ما تحيا لأجله. تعهّد في إحداها بأن يُرتّب كل شيء إذا وافقت على قضاء ليلةٍ معه؛ مُتَخَيّلةً استحالة تمرير هكذا شيء، فلم تمانع أن تدّعي الموافقة وتقبل باقتراحه الجريء.

كان لدى الآنسة دي ڤالوا خادمة مسؤولة عن غرف النوم تُدعى آنجليك، والتي كانت تُلْبِسُها ثياب النوم وتنام في غرفة مجاورة. ذات ليلةٍ عندما كانت المُشرِفة تَحبُكُ بالصنارة، نظرت دي ڤالوا من فوق الكتاب الذي كانت تقرأه لترى آنجليك وهي تحمل ثياب نوم سيّدتها إلى غرفتها، لكن لسببٍ غريبٍ ما فإن آنجليك بادلتها النظرة وابتسمت ـ لقد كان رايشليو مُتَنَكّراً بحنكة على أنه الخادمة! كادت دي ڤالو أن تلهث من الخوف، لكنّها تمالكت نفسها، مُدْرِكةً الخطر الذي كانت فيه: إذا تفوّهت بأي شيء فستكتشف عائلتها أمر الرسائل، ودورها في العلقة برُمّتها. ما الذي تستطيع فعله؟ قرّرت أن تذهب إلى غرفتها وتقنع الدوق الشاب بالعدول عن مناورته الخطيرة لحد السخف. قالت مساء الخير لمُشرِفتها، ولكنها فور رجوعها إلى غرفتها، فإن الكلمات التي خططت لها كانت عديمة الجدوى. عندما حاولت أن تحاجج رايشليو، فقد استجاب بتلك النظرة في عينيه ومن ثم بإحاطته لها بذراعيه. لم يكن بإمكانها الصراخ، ولكنها الآن لم تكن مُتأكّدةً مما يجب فعله. كلماته الطائشة، لَمَساتُه، الخطر المحيق من وراء هذا كلّه ـ كان رأسها يدور. كانت تائهةً. ما الفضيلة وسأمها السابق بالمقارنة مع

أذنيّ بالشمع، بعد أن قتلتني بعينيكِ؟ كنت أنازع في البحر، لكنني من اليوم فصاعداً سأموت من الحب. • تيسبي: لديك كثيرٌ من الحياة بالنسبة لرجلٍ كاد أن يغرق. أنت عانيت الكثير، لكن من يعلم ماذا تُحَضّرُ لي من العذاب؟ ... وجدتك عند قدميّ وأنت مُبلّلٌ بالكامل، والآن أنت كلّك نارٌ. إذا كنت تحترق وأنت بهذا البلل، فماذا ستفعل عندما تجفّ ثانيةً؟ أنت تَعِدُ بلهبٍ مُحرق؛ آمل من الله أنّك لست تكذب. • دون جوان: يا أيّتها الفتاة العزيزة، كان على الله أن يُغرقني قبل أن أتفحّم بسببك. لعلّ الحبّ كان حكيماً ليُبلّلني قبل أن أستشعر لمستك المحرقة. لكن نارك هي من الشدة بحيث أحترق حتّى وأنا في الماء. • تيسبي: باردّ

أمسية مع خليع البلاط الأشهر؟ وهكذا بينما كانت المْشرَفة تَحُبُكُ بالصنارة بعيداً، كان الدوق يُدخلها طقوس الفسقِ والفجور.

بعد عدّة أشهر كان لدى أب دي ڤالوا سببٌ ليشتبه في أنّ رايشليو كان قد اخترق خطوط دفاعاته. طُرِدَت المُشرفة، وضوعفت الاحتياطات. لم يدرك دورليانز أن هكذا إجراءات بالنسبة لِرايشليو كانت عبارة عن تحدٍّ، وهو يعيش من أجل التحديات. اشترى منزلاً ملاصقاً تحت اسمٍ مستعار وشقَّ نفقاً ذا بابٍ سحري خلال الحائط الذي يضم خزانة مطبخ الدوق. في هذه الخزانة، عبر الأشهر القليلة التي تلت - إلى أن بَلِيَت وامّحت الجدّة - استمتع كلّ من دي ڤالوا ورايشليو بلقاءاتٍ سرّية لا عدّ لها.

الجميع في باريس عرفوا بمآثر رايشليو، لأنه حرص على الدعاية لها وبأكبر ضجة ممكنة. كل أسبوع كانت تُتَداول قصةٌ جديدة في البلاط. كان زوجٌ قد حبس زوجته ليلاً في غرفةٍ في الطابق العلويّ، مخافة أن يكون الدوق ساعياً وراءها؛ لكي يصلها، فقد قام الدوق بالزحف في جنح الظلام على طول لوحٍ خشبيٍّ رقيق مُعلّقٍ بين نافذتين في الطابق العلوي. امرأتان تعيشان في نفس البيت، إحداهن أرملة، والثانية غاية في التديّن، تشاطرتا الرعب لدى اكتشافهما بأن الدوق كان على علاقةٍ بكلتيهما في نفس الوقت، تاركاً واحدة في منتصف الليل ليكون مع الأخرى. عندما واجهتاه، فإن الدوق الذي كان مُتَحَدّثاً شيطانياً ودائم البحث عن شيئٍ جديد، لم يعتذر أو يتراجع، لكنّه شرع يقنعهما بعلاقةٍ جنسية ثلاثية، مُعتمداً على الكبرياء المجروح لكلّ امرأةٍ، التي لم تستطع احتمال فكرة تفضيله للأخرى عليها. سنةٌ بعد سنة، انتشرت قصص إغواءاته اللافتة للنظر. واحدة من النساء أُعْجِبت بوقاحته وجرأته وشجاعته، الأخرى ببسالته في الإطاحة بالزوج. تنافست النسوة لنيل انتباهه: إن لم يرغب في إغوائكِ، فلا بد أن هناك عيباً ما فيكِ. أن تكوني هدف انتباهه أصبح حلماً عظيماً. في إحدى المراحل خاضت امرأتان مبارزةً بالمسدّس للظفر بالدوق، وإحداهن أُصيبَت على نحوٍ خطير. دوقة دورليانز والتي كانت ألد أعداء رايشليو، كتبت ذات مرّة: «لو كنت أؤمن بالسحر والشعوذة لَفكّرت أنّ الدوق حاز على سرٍّ ما خارقٍ للطبيعة، لأنني لم أعرف أبداً امرأةً أبدت تجاهه أدنى مقاومة تُذكَر.»

لهذه الدّرجة ومع ذلك تحترق؟ • دون جوان: *كثيرٌ من النار هي في داخلك.* • تيسبي: *ما أمهرك في الكلام!* • دون جوان: *ما أمهرك في الفهم!* • تيسبي: *آمل من الله أنّك لست تكذب.*

- تيرسو دي مولينا، *فتى سيڤيل اللعوب*، ترجمة آدرين م. سكيزانو وأوسكار ماندل

مسروراً بنجاحي الأول، فقد صمّمتُ أن أستفيد من هذه المصالحة السعيدة. دعوتهن زوجتي العزيزتين، رفيقتي المخلصتين، الكائنتين المختارتين لجعليَ سعيداً. سعيتُ أن أدوّر رأسيهنّ، وأن أثير بداخلهما الرغبات التي أعرف قوّتها والتي ستزيح بعيداً أي أفكارٍ غير مؤاتيةٍ لخططي. الرجل البارع الذي

في الإغواء غالباً ما توجد مُعضلة: حتى تُغوي فأنت تحتاج للتخطيط والحسابات، لكن إذا اشتبهت الضحية أنّ لديك دوافع خفية، فسوف تصبح دفاعيّةً. علاوةً على ذلك، فإنك إذا بدوت رابط الجأش، فإنك سوف تُثير الخوف بدلاً من الرغبة. الخليع المتّقد يحل هذه المشكلة بالأسلوب الأكثر براعةً ودهاءً. بالطبع يتوجّب عليه أن يحسب ويُخطّط ـ عليه أن يجد طريقةً للالتفاف حول الزوج، أو أيّ عائقٍ كان. إنه عملٌ مضنٍ. ولكن الخليع المتّقد لديه بالفطرة امتياز الليبيدو المنفلت من السيطرة. عندما يطارد امرأة، فإنه حقيقةً يتوهّج ويتّقد بالرغبة؛ الضحية تحس بهذا وتشتعل، بالرّغم من نفسها حتّى. كيف لها أن تتخيّل أنه مُغوٍ لا يرحم وسوف يتخلّى عنها وهو الذي تحدّى بشجاعة وحماس كل الأخطار والعقبات ليحصل عليها؟ وحتى لو كانت على اطّلاعٍ على ماضيه الفاسق والخليع، على انعدام حس المسؤولية الأخلاقية لديه الذي لا سبيل لإصلاحه، فذلك لا يهم، لأنها أيضاً ترى ضعفه. هو لا يستطيع التحكم بنفسه؛ هو في الواقع عبدٌ لجميع النساء. كونه كذلك فهو لا يثير الخوف.

يعلّمنا الخليع المتّقد درساً بسيطاً: الرغبة الشديدة لها سلطانٌ مُلهٍ على النساء، تماماً كما لحضور الحورية الجسماني على الرجل. المرأة غالباً ما تكون دفاعيةً وتستطيع أن تستشعر المُراء والانتهازية. لكن إذا أحست بأنها مُستهلَكة بانتباهك، وواثقةً من أنك قد تفعل أي شيءٍ من أجلها، فإنها لن تلاحظ أي شيءٍ آخر عنك، أو سوف تجد طريقةً لمسامحة طيشك وحماقاتك. هذا هو الغطاء المثالي للمُغوي. المفتاح هو أن لا تظهر أي تردّد، أن تَهجر جميع القيود، أن تدع نفسك تنطلق، أن تُظْهِر أنك لا تستطيع التحكّم بنفسك وأنك ضعيفٌ بشكلٍ جوهريّ. لا تقلق حيال إثارة عدم الثقة؛ طالما أنك عبدٌ لمفاتنها، فإنها لن تُفكّر بالعواقب.

يعلم كيف يوصل بالتدريج حرارة الحب إلى حواس أكثر النساء عفّةً وفضيلةً، يكون واثقاً بالتأكيد من كونه وفي القريب العاجل السيد المُطلق على عقلها وشخصها؛ لا تستطيع أن تُفَكّر عندما تكون قد خسرت رأسك؛ وعلاوةً على ذلك، فإنّ مبادئ الحكمة ـ مهما بلغ عمق انطباعها بالذهن ـ سوف تنمحي في تلك اللحظة التي يتوق عندها القلب للمتعة فقط: المتعة وحدها تصدر الأوامر وقتها وتُطاع. الرجل الذي لديه خبرة في انتزاع الحب والفتوحات سوف ينجح دائماً تقريباً عندما يفشل من هو محض هيابٍ وواقعٍ في الحب.... • عندما أوصلت حسناوتي إلى حالة التهتّك التي أردت إيصالهما إليها، فقد

الخليع الشيطاني

في الأعوام الأولى من ثمانينات القرن التاسع عشر، بدأ أعضاء مجتمع روما الراقي بالتحدّث عن صحفي شاب وصل حديثاً إلى مسرح الأحداث،

شخصٌ ما اسمه جابرييل دانونزيو. كان هذا غريباً بحد ذاته، لأن طبقة الأمراء والنبلاء لم يكن بجعبتها سوى أشد الاحتقار لأي واحدٍ من خارج دائرتهم، وكان مراسلٌ من مجتمع الصحفيين وضيعاً تقريباً بقدر ما يمكنك أن تتصوّر. بالفعل فإنّ الرجال كريمو المحتد لم يعيروا دانونزيو سوى القليل من الانتباه. لم يكن لديه مال وكان لديه القليل من الصلات الاجتماعية، إذ كانت جذوره الاجتماعية من الطبقة الوسطى حصراً. إضافةً إلى ذلك، فقد كان بالنسبة لهم قبيحاً بكل معنى الكلمة ـ قصيراً وممتلئ الجسم، مع بشرة مُبقّعة غامقة وعينين جاحظتين. ظن الرجال أنه غاية في عدم الجاذبية لدرجةٍ تركوه معها بسرور يختلط مع زوجاتهن وبناتهن، إذ كانوا على يقينٍ أن نساءهن في مأمنٍ مع هذا الجرجويل (الجرجويل عبارة عن ميزابٍ ناتئٍ من جانب السطح على صورة إنسان أو حيوان أو مخلوقٍ خرافيٍ مُشَوّه كان يستخدم لتزيين الكاتدرائيات في القرون الوسطى: المترجم) وسعداء بوضع صيّاد القيل والقال هذا بعيداً عن متناول أيديهم. لا، لم يكن الرجال من تحدّث عن دانونزيو؛ بل كانت زوجاتهن.

قُدّمن إلى دانونزيو من قبل أزواجهن، هؤلاء الدوقات والمركيزات كُنّ يجدن أنفسهن مُستمتعاتٍ بهذا الرجل غريب الشكل، وكان سلوكه يتغيّر فجأة عندما يستفرد بهن. كان يأسر انتباه هؤلاء النسوة خلال دقائق. أولاً، كان لديه أروع صوتٍ سمعوه يوماً ـ ناعمٌ وخفيض، كلُّ مقطعٍ يُلفَظُ بوضوح، مع إيقاعٍ مُتَدَفّق وتغيّرٍ يكاد يكون موسيقيّاً في مقام الصوت. إحدى النساء قارنته مع رنين أجراس الكنائس من بعيد. أخرياتٍ قلنَ أن صوته كان لديه أثرٌ «مُنَوِّمٌ مغناطيسيّاً». الكلمات التي حملها الصوت كانت أيضاً مُثيرةً للاهتمام ـ عباراتٍ تعتمد الجناس الاستهلالي، تعابير ساحرة، صور شعرية، وطريقةً للإطراء من شأنها أن تُذيب قلب المرأة. برعَ دانونزيو في فن الإطراء. بدا أنه يعرف نقطة ضعف كلّ امرأة: فواحدةٌ كان يدعوها إلاهةً للطبيعة، وأخرى فنانةً لا تضاهى في طور التكوين، والأخرى شخصية رومانسية انبجست من إحدى الروايات. كان قلب المرأة يرفرف وهو يصف الأثر الذي تحدثه عليه. كلّ شيءٍ كان موحياً، مُلمعاً إلى الجنس أو الرومانس. تلك الليلة كانت تتفكّر في كلماته، مستذكرةً الشعور الذي

عبرت عن رغبةٍ أكثر جموحاً؛ فأضاءت عيناهما؛ وقوبلت مُداعباتي بمثلها؛ وكان جليّاً أنّ مُقاومتهنّ لن تُرجِئ المشهد التالي الذي أردتهن أن يلعبوه لأكثر من لحظاتٍ معدودة. اقترحت أن ترافقني كلّ واحدةٍ بالتناوب إلى مُختَلىً آسر، ملاصقٍ للغرفة التي كنّا فيها، والذي أردتهنّ أن تُعجبا به. لازمت كلتاهما الصمت.

• «هل تتردّدين؟» قلت لهما. «سوف أرى أيّاً منكما أكثر ارتباطاً بي. التي تُحبني أكثر ستكون أولاً من تبادر باللحاق بالحبيب الذي تتمنى أن تُقنعه بعاطفتها....» • عرفت مُتَزَمّتتي، وكنت مدركاً بشكلٍ جيد أنّه، بعد صراعاتٍ عدّة، فسوف تستسلم بالكامل للحظة

منحها أكثر ممّا قاله بالتحديد، لأنه لم يقل أبداً أي شيءٍ مُحَدّد. في اليوم التالي كانت تتلقى منه شعراً كان يبدو أنه كُتِب خصيصاً من أجلها. (لقد كتب في الواقع دزّيناتٍ من الأشعار المتشابهة، مُعَدّلاً كل قصيدةٍ منها بشكلٍ طفيف بحيث تناسب ضحيته المنشودة.)

الراهنة. هذه اللحظة بدت مُوائمةً جدّاً لها كاللحظات الأخريات التي قضيناها سويّةً في أوقاتٍ سابقة؛ نست أنها كانت تشاركني [مع مدام رينو]... • [عندما حلّ دورها] فقد استجابت مدام رينو بخفّةٍ أثبتت رضاها، ولم تغادر مقعدها إلا بعد أن كررت بشكلٍ مستمر: «يا له من رجل! يا له من رجل! إنّه مُذهل! ما أكثر ما يمكنك أن تكوني سعيدةً معه لو كان فقط مُخلِصاً!»

بعد عدّة سنوات من شروع دانونزيو بالعمل كصحفي للأخبار الاجتماعية، تزوّج ابنة دوق ودوقة جاليز. بعد ذلك بفترةٍ قصيرة، وبالدعم الذي لا يتزعزع لنساء المجتمع، فقد بدأ بنشر رواياتٍ وكتبٍ شعرية. عدد فتوحاته كان لافتاً، وكذلك نوعيتها ـ لم تكن الماركيزات الوحيدات اللواتي سقطن عند قدميه، بل أيضاً الفنانات العظيمات من أمثال الممثلة إليانور دوز، التي ساعدته في أن يصبح كاتباً مسرحياً محترماً وشخصيةً أدبيةً مشهورة. الراقصة إيزادورا دونكان التي وقعت هي الأخرى في آخر المطاف تحت رقيته، فسّرت سحره: «لعلّ أكثر عاشقٍ جديرٌ بالملاحظة في زماننا هو جابرييل دانونزيو. وهذا بالرغم من كونه صغيراً وأصلعاً وبشعاً ـ باستثناء عندما يشرق وجهه بالحماس. لكنّه عندما يتكلّم مع امراةٍ يستلطفها، فإن وجهه يغيّر هيئته كي يصبح فجأةً أبولو (إله النبوءة عند الإغريق) لوسامته.... تأثيره على النساء كان استثنائياً. المرأة التي يتكلم معها كانت تشعر فجأةً بأن روحها وكيانها بالذات يسمُوان.»

ـ الحياة الخاصّة للماريشال دوق رايشليو، ترجمة إف. أس. فلينت

لدى اندلاع الحرب العالمية الأولى، التحق دانونزيو البالغ من العمر اثنين وخمسين عاماً بالجيش. بالرغم من أنه لم يكن لديه خبرة عسكرية، فقد كانت لديه نزعةٌ للأحداث الدرامية ورغبة مُستعرة لإثبات شجاعته. تعلّم الطيران وقاد مهمّاتٍ خطيرة ولكن شديدة الفعالية. لدى نهاية الحرب، كان قد أضحى بطل إيطاليا الأكثر مدعاةً للفخر. مآثره جعلته رمزاً قومياً محبوباً، وبعد نهاية الحرب، كانت الحشود تجتمع خارج فندقه حيثما حل في إيطاليا. كان يخطب بهم من شرفةٍ، مناقشاً في السياسة وشاجباً الحكومة الإيطالية الحالية. شاهدٌ لأحد هذه الخُطَب، الكاتب الأميركي والتر ستاركي، خاب أمله في البداية من منظر دانونزيو المشهور على شرفةٍ في البندقية؛ فقد كان قصيراً وبدا مُشوّهاً. «شيئاً فشيئاً، على أية حال، بدأت أغرق في فتنة صوته، الذي اخترق إدراكي.... ولا أي إيماءة مُتسرّعة أو متشنّجة.... لعب على

نجاحاته العديدة في الحب، حتّى أكثر من الصوت العجائبي لهذا المُغوي الأصلع الصغير ذو الأنف الشبيه بالخرم، اجتاحت في قافلته

عواطف الحشد كما يلعب عازف كمانٍ بارز على كمانٍ من صنع ستراديڤاري (صانع الكمانات الإيطالي الشهير.) كانت أعين الآلاف مثبّتةً عليه وكأنها منوّمة مغناطيسياً بقوّته.» مجدّداً كانت ذبذبات صوته والدلالات الشعرية هي من أغوت الجماهير. مناقشاً أنّه على إيطاليا الحديثة استرداد عظمة الإمبراطورية الرومانية، دانونزيو كان يدع شعاراتٍ ليكررها المستمعون، أو يسألهم أسئلة مشحونة عاطفياً لكي يجيبوا عنها. كان يطري الجمهور ويجعلهم يشعرون بأنهم جزءٌ من دراما ما. كل شيءٍ كان غامضاً وموحياً.

القضية الراهنة كانت مُلكيّة مدينة فيوم، التي تقع مباشرةً في الجانب الآخر من الحدود في يوغوسلافيا المجاورة. العديد من الإيطاليين اعتقدوا أن مكافأة إيطاليا للوقوف بجانب الحلفاء في الحرب الحديثة العهد يجب أن تكون ضم فيوم. ناصر دانونزيو القضية، وبسبب مكانته كبطل حرب فقد كان الجيش مستعدّاً للاصطفاف بجانبه، بالرغم من معارضة الحكومة لأي إجراء. في أيلول من عام 1919، مع جنودٍ تجمّعوا حوله، قاد دانونزيو مسيرته سيئة الصيت إلى فيوم. عندما اعترض عمادٌ في الجيش الإيطالي طريقه وهدّد بإطلاق النار عليه، فتح دانونزيو معطفه ليريه ميدالياته وقال بصوته المغناطيسي: «إذا كان يتعيّن عليك أن تقتلني، فأطلق النار على هذه!» وقف العماد هناك مصعوقاً ومن ثم انفجر بالدموع. لقد انضم إلى دانونزيو.

عندما دخل دانونزيو إلى فيوم، فقد تمّ استقباله كمحرّر. في اليوم التالي أُعلِن قائداً لدولة فيوم الحرة. سرعان ما صار يلقي بخطبٍ يومية من شرفةٍ مطلّة على ساحة المدينة الرئيسية، آسراً عشرات الآلاف تحت سحره دون الاستعانة بمكبّرات الصوت. استهلّ جميع أنواع الاحتفالات والطقوس التي تعود إلى عهد الامبراطورية الرومانية. بدأ مواطنو فيوم بتقليده، وخاصّةً فيما يتعلّق بمآثره الجنسية؛ أصبحت المدينة شبيهةً بماخورٍ عملاق. شعبيته أصبحت كبيرةً جدّاً لدرجة أن الحكومة الإيطالية خشيت من زحفٍ على روما، الذي في تلك المرحلة، وفي حال قرّر دانونزيو أن ينفّذه ـ كان لديه تأييد قسمٍ كبيرٍ من الجيش ـ كان ممكناً أن ينجح في الواقع؛ دانونزيو كان باستطاعته أن يهزم موسوليني شر هزيمة ويغيّر مسار التاريخ. (لم يكن فاشياً، وإنما ضرباً من

موكباً كاملاً من النساء المُتيمات، المُرفّهات والمُعذّبات على حدٍّ سواء. أحيا دانونزيو الأسطورة البيرونية (نسبةً إلى بايرون الشاعر): عندما مرّ بنساءٍ ذوات صدورٍ عارمة كنّ واقفاتٍ في طريقه كما كان يرسمهم بولديني، أي بعقودٍ من اللؤلؤ الذي يُشكّل مرتكزهم في الحياة - أميراتٍ وممثّلات، سيّدات روسيّات عظيمات وحتّى ربّات منازل من بوردو ينتمين للطبقة الوسطى ـ فقد كنّ مستعدّات لتقديم أنفسهنّ إليه.

ـ فيليب جوليان، *أمير مُحبي الجمال: الكونت روبرت دي مونتيسكيو*، ترجمة جون هايلوك وفرانسيس كينغ

باختصار، لا شيئ يضاهي حلاوة

الاشتراكي المحب للجمال.) قرّر البقاء في فيوم، على أية حال، وحكم هناك لستة عشر شهراً قبل أن تخرجه الحكومة الإيطالية في آخر المطاف من المدينة باستخدام القوة النارية.

الانتصار على مقاومة شخصٍ جميل؛ وفي ذاك المجال أمتلك طموح الفاتحين، الذين يحلّقون أبداً من نصرٍ إلى نصر ولا يستطيعون أن يُقنعوا أنفسهم بأن يضعوا حدّاً لأمانيهم. لا يستطيع شيء أن يقيّد اندفاع رغباتي؛ لديّ رغبةٌ بحجم رغبة أهل الأرض جميعاً؛ ومثل الإسكندر، فبمقدوري أن أحلم بعوالمٍ جديدة كي أوسّع من خلالها فتوحاتي الحُبّية.

- موليير، دون جون أو الفاسق، ترجمة جون أوزيل

الإغواء مسيرة نفسية تتجاوز الجنس (من حيث الذكورة والأنوثة)، في ما عدا بضعة مناطق جوهرية حيث كل جنسٍ لديه نقطة ضعفه الخاصة. الذكر تقليديّاً سريع التأثر بما هو مرئي. الحورية التي تستطيع أن تُعدّ المظهر الجسماني المناسب سوف تغوي الكثيرين. بالنسبة للنساء فإن نقطة الضعف هي اللغة والكلمات: كما كُتِب من قِبَل أحد ضحايا دانونزيو، الممثلة الفرنسية سيمون، «كيف يمكن لأحد أن يفسّر فتوحاته إلّا بقدرته الكلامية الخارقة والرنين الموسيقي لصوته، المُسَخّران لخدمة الفصاحة الاستثنائية؟ لأن جنسي (النساء) سريع التأثر بالكلمات، ويُسحَرُ بها ويتوق أن يُهَيْمَنُ عليه من قبلها.»

الخليع مُتَخَبِّطٌ بالكلمات كحاله مع النساء. هو يختار الكلمات لقدرتها على التلميح،الإيحاء، التنويم المغناطيسي، الرفع، والتأثير على المشاعر. كلمات الخليع هي المكافئ لزينة الجسم لدى الحورية: إلهاءٌ حسّيٌّ قويّ، مُخَدّر. إنّ استخدام الخليع للكلمات هو استخدامٌ شيطانيّ لأنه ليس مُصَمَّماً للتواصل أو لنقل المعلومات وإنما للإقناع والإطراء وإثارة الاضطراب العاطفي؛ فهو كثير الشبه بالأفعى (الشيطان) في حديقة عدن عندما استخدمت الكلمات لتقود حواء نحو الإغواء.

من ضمن الأساليب العديدة لمعالجة أثر الدونجوان على النساء، فإن موضوع البطل الذي لا يُقاوَم يستحق أن يُصْطَفى، لأنه يُمَثّل تغيّراً لافتاً للنظر في إدراكنا.

مثال دانونزيو يُظْهِر الصلة بين الخليع الشهواني الذي يغوي النساء، والخليع الذي يغوي الجماهير. كلاهما يعتمد على الكلمات. تبنَّ شخصية الخليع ولسوف تجد أن استخدام الكلمات كسمٌّ خفيّ لديه استخدامات لا نهائية. تذكّر: إن الشكل هو ما يهم، وليس المضمون. بقدر ما يكون تركيز أهدافك على ما تقول قليلاً وعلى كيفية جعلهم يشعرون كثيراً، بقدر ما يكون تأثيرك مُغوياً. أعطِ كلماتك نكهةً أدبيّةً روحيّةً نبيلة حتى تستطيع بشكلٍ أفضل أن تدس الرغبة في ضحاياك غير الدارين.

لكن ما هي القوة، إذن، التي يغوي بواسطتها دون جوان؟ إنها الرغبة، طاقة الرغبة الحسية. أنه يشتهي في كلِ امرأة النساء أجمعين. ردّة الفعل على هذا الشغف الهائل تُجَمل وتُنَمي المُشْتَهى، الذي يتوهّج بجمالٍ مضاعَف من خلال انعكاسه. كما تنير نار المُتَحمِّس بسناءٍ إغوائي حتى أولئك الذين يتّخذون موقف اللامبالاة تجاهه، كذلك دون جوان يحيط بهالةٍ من المجد والجلال كل فتاة وبمعنى أعمق بكثير.

- سورين كيركجارد، إما/أو

المفاتيح إلى الشخصية

في البداية قد يبدو من الغريب أن رجلاً من الواضح أنه غير شريف وغير مخلص، وليس لديه رغبةٌ في الزواج، أن يُشَكّل أي جاذبٍ للمرأة. لكن خلال التاريخ كلّه، وفي جميع الثقافات، كان لهذا الأنموذج أثرٌ لا سبيل إلى مقاومته. إن ما يقدّمه الخليع هو ما لا يسمح به المجتمع عادةً للنساء: علاقة من اللذة الخالصة، مَسٌّ رقيقٌ بالخطر. المرأة غالباً ما تكون مقموعةً بالدور الذي يُتَوَقّع منها أن تلعبه؛ فمن المفروض أن تكون القوّة المحَبّة والمحَضِّرة في المجتمع، وأن ترغب بالالتزام والإخلاص مدى الحياة. لكن زواجاتها وعلاقاتها غالباً ما تمنحها ليس الرومانس والتفاني وإنما الروتين وزوجٌ مشتّت الإنتباه إلى ما لا نهاية. إنه يظل حُلُماً أنثوياً دائماً أن تلتقي المرأة برجلٍ يمنح كل نفسه ويعيش من أجلها، حتى ولو لبرهة.

دون جوان لم يصبح شديد الجاذبية للنساء على نحوٍ لا يُقاوَم حتّى العصر الرومانتيكي، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن جعله هكذا هو نزعةٌ من الخيال الأنثوي. عندما بدأ الصوت الأنثوي يؤكّد نفسه بل وحتى - ربّما - يَسود في الأدب، فقد تحور دون جوان ليصبح مثلاً أعلى للنساء وليس للرجال.... دون جوان هو الآن حلم المرأة عن الحبيب المثالي: صعب الفهم، شغوف، جريء. هو يعطيها اللحظة اليتيمة التي لا تُنسى، سعادة الجسد العارمة والرائعة التي غالباً ما تُنكَر عليها من قبل الزوج الحقيقي، الذي يعتقد بأن الرجال غرائزيون والنساء روحانيّات. أن تكون الدون جوان الذي لا سبيل لمقاومته قد يكون حلم قلّة من الرجال؛ لكن أن

هذا الجانب المظلم والمكبوت من رغبة المرأة وجد تعبيراً له في أسطورة دون جوان. في البداية كانت الأسطورة حلماً ذكورياً: الفارس المغامر الذي يستطيع الحصول على أي امرأةٍ يريد. أمّا في القرنين السابع والثامن عشر فقد تَحَوّلَ دون جوان ببطء من المغامر الذكوري إلى نسخة أكثر أنثوية: رجلٌ عاش فقط للنساء. هذا التطور نبع من اهتمام النساء بالقصة، وكان نتيجةً لرغباتهن المحبطة. الزواج بالنسبة لهن كان نمطاً من وثيقة عبوديّةٍ رسمية؛ لكن دون جوان قدّم المتعة لأجل المتعة، والرغبة دون شروط. في الوقت

تلتقي به هو حلم العديد من النساء.

ـ أوسكار ماندل، «أسطورة الدون جوان»، *الآثار المسرحيّة المجتمعة للدون جوان*

الذي يعترض فيه مسارك، تكونين كل ما يفكّر به. رغبته فيكِ تكون غايةً في القوة لدرجة أنه لا يمنحك وقتاً للقلق أو للتفكير بالعواقب. كان يأتي في الليل، ويمنحكِ لحظةً لا تنسى، ثم يتلاشى. من الممكن أن يكون قد أخضع وظفر بألفٍ من النساء من قبلك، لكن هذا لا يزيد على جعله أكثر تشويقاً؛ الأفضل أن يُتَخَلّى عنكِ من أن تكوني غير مرغوبةٍ من رجلٍ كهذا.

المُغوون العظام لا يقدّمون الملذّات المُعتدلة التي يتغاضى عنها المجتمع. هم يلامسون لاوعي الشخص، تلك الرغبات المكبوتة التي تصرخ للتّحرّر. لا تتخيّل أن النساء هن تلك المخلوقات الحنونة واللطيفة التي يريد بعض الناس منهن أن يكنّها. مثل الرجال، هن ينجذبن بعمق للمحظور والخطير، وحتّى الشرير بشكلٍ طفيف. (دون جوان ينتهي بالذهاب إلى الجحيم، وكلمة «خليع» تأتي من «ينقّب ويقلّب الجحيم»؛ رجلٌ ينقّب ويقلّب في فحمات الجحيم؛ المكوّن الشيطاني ـ بوضوح ـ هو جانبٌ هام من القصة.) (لما لا نستخدم من باب التقريب كلمة يخلع كمرادف لـ ينقّب ويقلّب: المترجم) تذكّر دائماً: إذا كان مُقَيّضاً لكَ أن تلعب دور الخليع، فينبغي لك أن تَنْقُل إحساساً بالخطر والظلمة، موحياً لضحيتك بأنّها تشارك بشيءٍ نادرٍ ومُثير ـ فرصة لتُصَرِّف عن رغباتها الخليعة الخاصة.

لتلعب دور الخليع، فإن المُتَطَلّب الأكثر وضوحاً هو القدرة على ترك نفسك تنطلق، أن تجتذب امرأةً إلى نوعٍ من اللحظة الحسّية بشكلٍ صافٍ والتي يفقد فيها الماضي والمستقبل معنييهما. يجب أن تكون قادراً على أن تُسلِمَ نفسك للحظة. (الخليع ڤالمون ـ شخصية مصوغة على مثال الدوق رايشليو في رواية لاكلو من القرن الثامن عشر *علاقات سرية خطرة* ـ عندما يكتب رسائل من الواضح أنها مُعَدّة بحيث تُحدِثُ أثراً مُعَيّناً على ضحيّته المختارة، مدام دي تورڤيل، فإنّها تميّز مباشرةً الحقيقة الكامنة من ورائها؛ لكن عندما تحترق رسائله بالهيام حقيقةً، فإنّها تأخذ عندها ترقّ وتلين). فائدةٌ مضافةٌ لهذه الخاصّية هي أنها تجعلك تبدو غير قادرٍ على التحكّم بنفسك؛ عرضٌ للضعف من شأنه أن يَطيبَ للمرأة. من خلال إسلام نفسك للمَغويّين، فأنت تجعلهم يشعرون أنك موجودٌ من أجلهم فقط ـ شعورٌ يعكسُ حقيقة، برغم أنّها حقيقة مؤقّتة. من أصل المئات من النساء اللواتي

أغواهن بابلو بيكاسو ـ الخليع من الطراز الأول ـ عبر السنين، فإنّ معظمهن كان لديهن الشعور بأنهن الوحيدات اللاتي أحبهن بحق.

الخليع لا يقلق أبداً حيال مقاومة امرأةٍ له، أو فيما يخص تلك المسألة حيال أي عائقٍ آخر في طريقه ـ زوج، حاجزٌ مادّي. المقاومة فقط هي المهماز لرغبته، إذ توقده أكثر فأكثر. عندما كان بيكاسو يغوي فرانسوا جيلوت، فقد ترجّاها في الواقع أن تقاوم؛ لقد احتاج إلى المقاومة لكي يزيد من الإثارة. على أية حال، فإن عائقاً في طريقك يمنحك الفرصة لكي تثبت نفسك، والإبداع الذي تضفيه على مسائل الحب. في الرواية اليابانية من القرن الحادي عشر *حكاية* جنجي، من تأليف سيدة البلاط موراسكي شيكيبو، فإن الأمير الخليع نِيو لم يتضايق من الاختفاء المفاجئ لِيوكيفون، المرأة التي يحب. لقد هربت لأنها بالرغم من كونها مهتمةً بالأمير، فقد كانت واقعةً في حبّ رجلٍ آخر؛ لكن غيابها يسمح للأمير بالذهاب إلى أقاصي الأرض ليجدَ لها أثراً. ظهوره المفاجئ ليخطفها إلى بيتٍ في أعماق الغابة، والبسالة التي يبديها في فعله هذا، يجتاحانها. تذكّر: إذا لم تواجهك مقاوَماتٌ وعقبات، فعليك أن تخلقها. لا يمكن أن يستمر إغواءٌ من دونها.

الخليع شخصية مُتطرّفة. صفيق، ساخر، وظريفٌ بشكلٍ لاذع، لا يهتم البتة بما يفكّر به أي شخص. والمفارقة، أن هذا لا يعدو عن جعله أكثر إغواءً. في الجو المشابه للبلاط الخاص بهوليوود عصر الاستوديو، عندما تصرّف معظم الفنانين كَخرافٍ مُطيعة، فإن الخليع العظيم إيرول فلين برز مُتميّزاً عن الآخرين بعجرفته. لقد تحدّى القيّمين على الاستوديو وانخرط في أكثر أشكال المزحات العملية غلوّاً، ووجد متعةً بالغةً في سمعته كأبرز مُغوي في هوليوود ـ كلّ هذا عزّز من شعبيّته. الخليع يحتاج إلى محيطٍ أو بيئةٍ من التقاليد ـ بلاطٌ مُسَخَّف، زواجٌ رتيبٌ وممل، ثقافة تقليدية ـ كي يَسطُع، ويُمنَحَ التقدير بسبب نسمة الهواء النقي التي يُوَفّرها. لا تقلق أبداً حيال المضيّ أبعد من اللزوم: جوهر الخليع هو أنه يذهب ويمضي أبعد من أي واحدٍ آخر.

عندما اختطف إيرل روتشستر الذي كان أشهر خليع وشاعرٍ في إنكلترا القرن السابع عشر، إليزابث مالِت التي كانت من أكثر السيدات

الفتيّات في البلاط مطلوبيّةً، فقد عوقب في حينه كما ينبغي. لكن عجباً، فإن إليزابث الشابة بعد عدّة سنوات، بالرغم من أنه تم خطب ودّها من أكثر عازبي البلد جدارةً وأهليّةً، قد اختارت روتشيستر ليكون زوجها. جعل نفسه يبرزُ مُتميّزاً عن العامّة من خلال إظهاره الجليّ لرغبته الجريئة والمتهوّرة.

ممّا يتّصل بتطرّف الخليع هو حسّ الخطر، المحظور، وربّما حتّى لمسة القسوة التي فيه. هذا ما شكّل جاذبيّة شاعرٍ خليع آخر، وواحدٍ من الأعظم في التاريخ: اللورد بايرون. بايرون كره جميع أنواع الأعراف والتقاليد، وأكّد على كرهه هذا بسرور. عندما أقام علاقةً مع أخته غير الشقيقة، التي حملت له طفلاً، حرصَ على أن تعلم كل إنكلترا بعلاقته هذه. كان باستطاعته أن يكون قاسياً بشكلٍ غير مألوف، كما كان مع زوجته. لكن كل هذا لم يُؤَدِّ إلّا إلى جعله أكثر مرغوبيّةً بكثير. الخطر والمحظور يروقان لجانبٍ مكبوتٍ لدى المرأة، التي يُفترَض أن تُمَثِّل قوّةً مُحضّرةً ومساندةً للأخلاق في الثقافة. تماماً كما يمكن للرجل أن يقع ضحيّةً للحوريّة من خلال رغبته في أن يكون حرّاً من إحساسه بالمسؤوليّة الرجوليّة، كذلك المرأة يمكن أن تخضع وتستسلم للخليع من خلال توقها لتكون حرّةً من قيود الفضيلة والحشمة. بالفعل فإنه غالباً ما تكون النساء الأكثر عفّةً واستقامةً هنّ اللواتي يقعن في أعمق درجات الحب مع الخليع.

من ضمن أشد خصائص الخليع إغواءً هي قدرته على جعل النساء يُرِدْنَ إصلاحه. كم من واحدةٍ اعتقدت أنها ستكون من يُروّض اللورد بايرون؛ كم من واحدةٍ من نساء بيكاسو اعتقدت أنها أخيراً ستكون الشخص الأوحد الذي سيقضي معه بيكاسو بقيّة حياته. يجب عليك أن تستغل هذا الميل إلى أقصى درجات الحدود. عندما يُقبَضُ عليك مُتَلَبّساً في الخلاعة والفسق، اتّكئ على ضعفك ـ على رغبتك بالتغيير، وعدم قدرتك على إحداثه. مع هذا الكم من النساء تحت قدميك، ماذا تستطيع أن تفعل؟ أنت من هو الضحيّة. أنت تحتاج المساعدة. النساء سوف يتقافزن لاغتنام هذه الفرصة؛ هن مُتَساهلاتٍ بشكلٍ غير مألوف مع الخليع، لأنه بحق شخصيّةٌ سارّةٌ ومندفعة. الرغبة في إصلاحه تُقَنّع الطبيعة الحقيقية لِرغبتهن، الإثارة والرعشة السرّية التي يستحصلن عليها منه. عندما لفت بيل كلينتون

الأنظار إليه بوضوح على أنّه خليع، كانت النسوة من سارع للدفاع عنه، حيث أوجدن كل عذرٍ ممكنٍ له. واقع أن الخليع مُكَرّسٌ للنساء بشدّة، بطريقته الغريبة الخاصة، يجعله مُحَبّباً ومُغوياً لهن.

أخيراً، فإن مصدر القوة الأعظم لدى الخليع هو صيته. لا تُعَتّم أبداً على اسمك السيئ، أو تظهر بمظهر المعتذر. عوضاً عن ذلك، تقبّله بسرورٍ وعزّزه. إنه ما يشد النساء إليك. هناك عدّة أشياء يجب أن تُعرَفَ بها: جاذبيتك التي لا تقاوم للنساء؛ تكرّسك للمتعة الذي لا يمكن التحكّم فيه (هذا سوف يجعلك تبدو ضعيفاً؛ ولكن أيضاً من الممتع التواجد حولك)؛ ازدراؤك للعادات والتقاليد؛ مسحةٌ ثائرة والتي تجعلك تبدو خطيراً. من الجائز إخفاء هذا العنصر الأخير قليلاً؛ على السطح، كن مُهذّباً ومُتَمَدّناً، بينما تترك الأمر معروفاً وراء الكواليس بأنك غير قابلٍ للإصلاح. دوق دي رايشليو جعل فتوحاته علنيّةً بقدر الإمكان، مثيراً بذلك الرغبة التنافسية لدى النساء الأخريات بالانضمام إلى نادي المَغويّات. إنه كان الصيت الذي اجتذب بواسطته اللورد بايرون ضحاياه الطوعيين. المرأة قد تشعر بمشاعرٍ متضاربة تجاه صيت الرئيس كلينتون، لكن تحت تضارب المشاعر يكمن اهتمامٌ ضمنيّ. لا تدعْ سمعتك للصدفة أو للقيل والقال؛ إنها العمل الفني لحياتك، ويجب عليك أن تبرع فيه وتشحذه وتعرضه باهتمام فنّان.

الرمز: النار.

الخليع يشتعل برغبةٍ تُلهِبُ المرأة التي يُغوي.
إنها مُتَطرّفة، لا يمكن ضبطها، وخطيرة. الخليع قد ينتهي
به المطاف في الجحيم، ولكن النيران التي تحيط به غالباً ما
تجعله يبدو أشد جاذبيةً ومرغوبيّةً بكثير من قبل النساء.

المخاطر

مثل الحوريّة، فإنّ الخليع يواجه الخطر الأكبر من أبناء جنسه بالتحديد، الذين هم أقل تساهلاً بكثير من النساء تجاه مطاردته الدؤوبة للنساء. في قديم الأيام، فإنّ الخليع غالباً ما كان أرستقراطيّاً، ومهما أهان أو حتّى قتل من أناس، فإنّه كان يمضي في النهاية بلا عقاب. اليوم، النجوم وفاحشو الثراء هم حصراً من يستطيع أن يلعب دور الخليع دون أن تطالهم عقوبة؛ أما بقيّتنا فينبغي أن نتوخّى الحذر.

إلفيس برسلي كان شابّاً خجولاً. عندما حقّق النجومية ورأى السلطة التي تمنحه إياها على النساء، فقد انفلت من عقاله وأصبح خليعاً تقريباً بين ليلةٍ وضحاها. مثل العديد من الخليعين، كان لدى إلفيس ولعٌ بالنساء المرتبطات أساساً. وجد نفسه مُحاصراً من قبل زوجٍ أو خليلٍ غاضب في العديد من المناسبات، وأفلت منها بالقليل من الجروح والسحجات. هذا يبدو كإقتراحٍ بأن تُخَفّف الوطء بوجود الأزواج والعُشّاق الذكور، وخاصّةً في بداية مسيرتك. لكن سحر الخليعين يكمن في أن أخطاراً كهذه لا تهمّهم. لا يمكن أن تكون خليعاً من خلال كونك خائفاً أو مُتَعَقّلاً؛ الشجارات العرضية هي جزءٌ من اللعبة. لاحقاً، في جميع الأحوال، عندما بلغت شهرة إلفيس ذروتها، لم يجرؤ زوجٌ على أن يمسّه.

الخطر الأكبر على الخليع يأتي ليس من الزوج العنيف المُهان ولكن من أولئك الرجال غير الآمنين وغير الواثقين بأنفسهم والذين يشعرون بأنّهم مُهَدّدون من قبل شخصيّة الدونجوان. بالرغم من كونهم لا يُقرّون بذلك، إلّا أنّهم يحسدون حياة المتعة الخاصة بالخليع، ومثل جميع الحسودين فإنّهم سوف يهاجمون بطرقٍ خفيّة، وغالباً ما يقنّعون اضطهادهم ومضايقاتهم بقناع الأخلاقيات. الخليع قد يشعر بأن مسيرته مَحفوفة بالمخاطر بسبب رجالٍ كهؤلاء (أو بسبب امرأةٍ عرضيةٍ قد تضاهي هؤلاء الرجال بانعدام الإحساس بالأمان والثقة، والتي تشعر بأنّها انجرحت لأن الخليع لا يريدها). هناك القليل مما يستطيع الخليع فعله لتفادي الحسد؛ إذا كان الجميع ناجحاً في الإغواء، فإن المجتمع لن يؤدي وظيفته.

لذا إقبلْ الحسد كشارةِ شرف. لا تكن ساذجاً، كن مُدرِكاً. عندما

تُهاجم من قبل مُدّعٍ للأخلاق، فلا تُأخَذ بحَملَته العنيفة؛ إن دافعها وبكل بساطة ووضوح هو الحسد المحض. تستطيع أن تُخَفِّف من حدّته من خلال أن تُصبح أقلّ خلاعةً وطلبك للغفران وادّعاؤك أنه قد تم إصلاحك، لكن هذا سوف يضر بصيتك ويجعلك تبدو خليعاً أقلّ جدارةً بأن يُحَب. في النهاية، فإنّه من الأفضل أن تُكابد الهجوم بعنفوانٍ وتواصل الإغواء. الإغواء هو مصدر قوّتك؛ وتستطيع دائماً أن تراهن على التساهل غير المحدود للنساء.

العاشق المثالي

معظم الناس كان لديهم
خلال صباهم أحلامهم التي تحطّمت
أو امّحت بمرور الزمن. فهم يجدون أنفسهم
خائبي الآمال حيال الناس والأحداث والواقع، الذين لا
يمكن أن يرتقوا لمستوى مثالياتهم الفتية. العاشقون المثاليون
يزدهرون على أحلام الناس المحطمة، التي تتحول إلى أوهام
وتخيلات تمتد بامتداد العمر. إذا كنت تتوق إلى الرومانس؟ أو
إلى المغامرة؟ أو إلى المشاركة الروحية النبيلة والرفيعة؟ فإن
العاشق المثالي هو الذي يعكس لك تطلّعاتك الحالمة. هو أو
هي فنان/نة في خلق الوهم الذي تتطلبه، ومَثلَنَةِ صورتك.
في عالم من عدم الاكتراث والانحطاط، يوجد
سلطة غير محدودة في اتباع درب
العاشق المثالي.

المثالي الرومانسي

في إحدى الأمسيات من العام 1760 على وجه التقريب، في دار الأوبرا في مدينة كولونيا، جلست امرأة شابة جميلة في مقصورتها، وهي تشاهد الجمهور. بجانبها كان زوجها، عمدة المدينة ـ رجلٌ في منتصف العمر وأنيسٌ بما فيه الكفاية، ولكنه بليد. عبر نظارتها الخاصة بالأوبرا لاحظت المرأة الشابة رجلاً وسيماً يرتدي طقماً رائعاً من الثياب. من الواضح أنه قد تم ملاحظة تحديقتها، لأن الرجل قدّم نفسه بعد الأوبرا: اسمه كان جيوڤاني جياكومو كازانوڤا.

إذا ولدى النظرة الأولى لم تترك الفتاة انطباعاً من العمق على الشخص بحيث توقظ تَصَوّره المثالي، فعادةً ما يكون الواقع عندئذٍ غير مرغوبٍ بشكلٍ مميّز؛ أما إذا تركت، فعندئذٍ ومهما كان الشخص مُجَرباً فإنّه عادةً ما سيرتبك نوعاً ما.

- سورين كيركيجارد، *يوميات مُغوي*، ترجمة هاوارد ڤي. هونغ وإيدنا إتش. هونغ

قبّل الغريب يد المرأة. كانت ستذهب مساء اليوم التالي إلى حفلةٍ راقصة، فسألته؛ هل تود حضرتك المجيء؟ فأجاب، «إذا كنت أجرؤ على الأمل بأنّك سوف ترقصين معي فقط.»

في الليلة التالية، بعد الحفل الراقص، لم تستطع المرأة سوى التفكير بكازانوڤا. بدا أنه يستبق أفكارها ـ كان غاية في الدماثة، ومع ذلك مقدامٌ جدّاً. بعد عدّة أيّامٍ تعشّى في منزلها، وبعد أن أوى زوجها إلى فراشه لبقيّة المساء، أخذته في جولة في أرجاء المنزل. أرته وهي في مخدعها جناحاً من المنزل ـ كنيسة صغيرة ـ مباشرةً خارج نافذتها. واثقٌ بما فيه الكفاية، وكأنه قرأ أفكارها، فقد أتى كازانوڤا في اليوم التالي إلى الكنيسة لحضور القدّاس، ولدى رؤيته إياها في المدرّج في ذلك الأصيل ذكر لها أنه لاحظ أنّ هناك باباً لا بدّ أنه يُفضي إلى غرفتها. ضحكت، وتظاهرت بأنها متفاجئة. بأكثر النبرات براءة، قال بأنه سوف يجد طريقةً للاختباء في الكنيسة في اليوم التالي ـ وتقريباً بدون تفكير، همست أنها سوف تزوره بعد أن يكون قد خلد الجميع إلى النوم.

العاشق الجيّد سوف

و هكذا اختبأ كازانوڤا في حجرة الاعتراف البالغة الصغر، منتظراً كل النهار والمساء. كان هناك جرذان، ولم يكن هناك شيء للاستلقاء عليه؛ ومع ذلك فعندما قدمت زوجة العمدة أخيراً، في آخر الليل، فإنّه لم يتذمّر، وإنّما تَبعها بصمت إلى غرفتها. تابعوا لقاءاتهم السرية لعدّة أيّام. خلال النهار كانت بالكاد تستطيع الانتظار للّيل: أخيراً يوجد شيءٌ لتعيش من أجله، مغامرة. تركت له طعاماً وكتباً وشموعاً لتُخفّف من وطأة انتظاراته المملّة والطويلة في الكنيسة ـ بدا أنه من الخاطئ استخدام مكانٍ للعبادة لهدفٍ كهذا، لكن ذلك لم يزد على جعل العلاقة أكثر تشويقاً وإثارة. بعد بضعة أيام، على أي حال، انطلقت في رحلةٍ مع زوجها. في الوقت الذي عادت فيه، كان كازانوڤا قد اختفى بنفس السرعة واللباقة اللتين أتى بهما.

بعد بضعة سنوات، في لندن، لاحظت امرأة شابة تُدعى الآنسة باولين إعلاناً في جريدة محلّية. رجلٌ نبيل كان يبحث عن نزيلةٍ لتستأجر قسماً من منزله. أتت الآنسة باولين من البرتغال وكانت من النبلاء؛ لقد فرّت إلى لندن مع حبيبٍ لها بقصد الزواج، ولكنّه أُرغِم على العودة إلى الوطن وتوجّب عليها أن تبقى وحيدةً لبعض الوقت قبل أن تستطيع اللحاق به. الآن كانت وحيدةً مع قليلٍ من المال، وكانت مكتئبةً بسبب ظروفها الحقيرة. استجابت للإعلان.

اتّضح أن الرجل النبيل كان كازانوڤا، ويا له من رجلٍ نبيل. الغرفة التي قدّمها كانت مليحةً والإيجار مُتَدَنٍّ؛ لم يطلب غير مرافَقةٍ عرضية. انتقلت الآنسة باولين للسكن في منزله. لعبوا الشطرنج وذهبوا في نزهات على ظهور الخيل وتناقشوا في الأدب. كان كريم المحتد للغاية ومهذّباً وكريماً. هذه الفتاة الجدّية وراجحة العقل، صارت تعتمد على صداقتهما؛ هنا كان رجلٌ تستطيع التحدث معه لساعات. ثم في أحد الأيام بدا كازانوڤا مُتغيّراً ومنزعجاً ومُستثاراً: اعترف لها أنه واقعٌ في حبّها. كانت ستعود إلى البرتغال لتنضم ثانيةً إلى حبيبها، ولم يكن هذا ما أرادت سماعه. أخبرته أنه ينبغي عليه أن يذهب لامتطاء الخيل ليُهدّئ نفسه.

لاحقاً في ذلك المساء تلقّت أخباراً: لقد وقع من على صهوة حصانه. كونها أحسّت بأنّها مسؤولة عن حادثه، فقد هُرِعت لعنده فوجدته في

يتصرّف عند الفجر بنفس الأناقة التي يتصرّف بها في أي وقتٍ آخر. يَجُر نفسه من السرير جرّاً مع نظرة خيبةٍ على وجهه. الزوجة تستعجله: «هيا يا صديقي، إن الضوء يَبْزُغ. أنت لا تريد أن يجدك أحدٌ هنا.» يُصْدِر تنهيدةً عميقةً، وكأنه يقول أن الليل تقريباً لم يكن طويلاً بما فيه الكفاية وأنه من المؤلم أن يرحل.

حالما يقف، فإنّه لا يسحب بنطاله فوريّاً. عوضاً عن ذلك يدنو من الزوجة ويهمس لها بأي شيءٍ لم يُقَل خلال الليلة. حتى عندما يلبس فإنّه يظل يتوانى متظاهراً بأنه يشدّ حزامه. • في الوقت الراهن يرفع الشبكيّة، والعاشقان يقفان سويّةً عند الباب الجانبي بينما يخبرها عن مدى فزعه من اليوم التالي، الذي سوف يبعدهما

السرير ووقعت بين ذراعيه، إذ لم تكن قادرةً على التحكّم بنفسها. الاثنان أصبحا عاشقين في تلك الليلة، وظلاّ هكذا بقيّة مدّة إقامتها في لندن. ومع ذلك فعندما حان وقت رحيلها إلى البرتغال، لم يحاول أن يوقفها؛ عوضاً عن ذلك، طمأنها وحاججها بأن كلاًّ منهما قدّم للآخر الترياق المضاد الكامل والمؤقّت لوحدتهما، وأنهما سوف يبقيان أصدقاءً للأبد.

بعد عدّة سنوات، في بلدةٍ إسبانيّةٍ صغيرة، فتاةٌ جميلةٌ ويافعةٌ اسمها إيجنازيا كانت تغادر الكنيسة بعد الاعتراف. دنا منها كازانوڤا. شرح لها وهو يمشي معها أنّه لديه ولعاً برقصة الفندانجو، ودعاها إلى حفلةٍ راقصةٍ في مساء اليوم التالي. كان شديد الاختلاف عن أيّ واحدٍ في المدينة التي ضاقت بها ذرعاً ـ لذا أرادت الرحيل بشدة. والداها كانا ضد الترتيبة، لكنها أقنعت أمّها بأن تتصرّف كمشرفة. بعد ليلةٍ لا تُنسى من الرقص (رقص هو بشكلٍ رائعٍ واستثنائي بالنسبة لأجنبي)، اعترف كازانوڤا أنه كان مغرماً بها بجنون. أجابت (ومع ذلك بحزنٍ شديد) بأن لديها خطيباً. كازانوڤا لم يّلح، لكنه أخذ إيجنازيا على مدى الأيام التالية إلى حفلاتٍ راقصة أخرى وإلى صراع الثيران. في أحد هذه المناسبات قدّمها لرفيقة له، دوقة، والتي تغازلت معه بصفاقة؛ غارت إيجنازيا بشكلٍ رهيب. حينها كانت مُستقتِلةً في حب كازانوڤا، لكن حس الواجب لديها والوازع الديني منعا أفكاراً كهذه.

أخيراً، بعد أيامٍ من العذاب، تَتَبّعت إيجنازيا كازانوڤا وأخذت يده قائلةً: «حاول كاهن الاعتراف أن يجعلني أعد بألاّ أكون وحيدةً معك ثانيةً، وكوني لم أستطع، فقد رفض أن يعطيني الغفران. إنها المرّة الأولى في حياتي التي يحصل فيها شيءٌ كهذا لي. لقد وضعت نفسي في يدي الله. لقد اتّخذت قراري ـ ما دُمتَ هنا ـ بأن أفعل كل ما تتمنّى. عندما ويا للأسى ستغادر إسبانيا، فسأجد كاهن اعترافٍ آخر. حبّي لك، في آخر المطاف، مجرّد جنونٍ عابر.»

لربما كان كازانوڤا المُغوي الأنجح في التاريخ؛ قلّةٌ من النساء استطعن مقاومته. طريقته كانت بسيطة: لدى التقائه بالمرأة، كان يدرسها، ويتماشى مع حالتها النفسية، ويكتشف ما كان ناقصاً في حياتها ويؤمّنه. جعل نفسه

عن بعضٍ؛ ومن ثم ينسلّ بعيداً. تشاهده الزوجة وهو يمضي، ولحظة الافتراق هذه ستظلّ من بين أكثر ذكرياتها سحراً. • بالفعل فإنّ ارتباط إحداهنّ بالرجل يعتمد إلى حدٍّ كبير على أناقة شروعه بالرحيل. عندما يقفز من السرير، ويعدو في أرجاء الغرفة، ويَشِد حزام بنطاله بإحكام، ويفتح أكمام معطفه، ويرتديه، أو يجوس المكان بحثاً عن بذلته، حاشياً أغراضه في صدر ردائه ومن ثم يُثَبّت الحزام الخارجي بشكلٍ مُهتاج ـ تبدأ المرأة بكرهه بشكلٍ حقيقي.

ـ كتاب الوسادة *كتاب لساي* شوناجون، ترجمة وتحرير إيڤان موريس

خلال بداية سبعينات القرن العشرين، ضد

العاشق المثالي. زوجة العمدة الضّجرة احتاجت إلى المغامرة والرومانس؛ أرادت شخصاً يضحّي بوقته وراحته ليحصل عليها. بالنسبة للآنسة باولين فما كان مفقوداً كان الصداقة والمثاليات السامية والمحادثات الجدّية؛ أرادت رجلاً ذا منبتٍ طيّب وكرم يعاملها كسيّدة ذات مكانة. بالنسبة لإيجنازيا فالشيء المفقود كان العذاب والمعاناة. حياتها كانت غاية في السهولة؛ من أجل أن تشعر أنها حيّة بحق، وأن يكون لديها شيءٌ حقيقيّ للاعتراف به، فقد احتاجت إلى أن تأثم. في كل حالة، قام كازانوڤا بتكييف نفسه مع مثاليات المرأة، وجعل حلمها حقيقة. بمجرّد ما تقع تحت سحره، فإنّ حيلة صغيرة أو حُسبان كان من شأنهما أن يُبرما الغرام (يومٌ بين الجرذان، وقوعٌ مُدَبّر من على صهوة الحصان، مُقابلة مع امرأة أخرى لجعل إيجنازيا تغار).

إنّ العاشق المثاليّ نادرٌ في العالم المعاصر، لأن الدّور يستلزم جهداً. يتعيّن عليك أن تركّز بشكلٍ مُكثّف، وتستوعب جيّداً ما الذي تفتقده هي، ما الذي خيّب آماله. الناس غالباً ما يظهرون هذا بطرق غير واضحة: من خلال الإيماءات، نبرة الصوت والنظرة في العينين. من خلال ظهورك على أنك ما يفتقدون، فسوف تطابق تصوّرهم المثالي.

خلق أثرٍ كهذا يتطلّب صبراً وانتباهاً للتفاصيل. معظمُ الناس مُطَوّقون ومُقَيّدون برغباتهم، وغايةٌ في ضيق الصدر ونفاذ الصبر، هم عاجزون عن دور العاشق المثالي. دع ذلك يكن مصدراً لفرصةٍ غير محدودة. كن واحةً في صحراء المُستَغرقين حصراً في ذواتهم؛ قلّةٌ تستطيع مقاومة إغراء اللحاق بشخصٍ يبدو غايةً في التناغم والتآلف مع رغباتهم، ومع جعل أحلامهم حقائق. وكما مع كازانوڤا، فإنّ سمعتك كواحدٍ يمنح متعةً كهذه سوف تسبقك وتجعل إغواءاتك بتلك الكثرة.

تعهّد مُتَع الحواس بالعناية كان أبداً هدفي الرئيس في الحياة. كوني عارفٌ أنني كنتُ شخصيّاً مُعَدّاً لإرضاء الجنس اللطيف، فقد ناضلتُ دائماً من أجل أن أجعل نفسي مُحَبّذاً لديه.

ـ كازانوڤا

سياقٍ سياسيّ مضطرب تضمّنَ الإخفاق التام للمشاركة الأمريكية في حرب ڤييتنام وسقوط رئاسة الرئيس ريتشارد نيكسون عقب فضيحة واترغيت، برز «جيلي أنا» ـ وكان هناك [آندي] وارهول ليعكس صورته. على خلاف مُحتَجّي الستينات الراديكاليين الذين أرادوا الثأر من كل أمراض المجتمع، فإنّ ناس «الأنا» المستغرقين في أنفسهم سعوا لأن يُحتضنوا أجسامهم ولأن «يكونوا على اتّصالٍ» بمشاعرهم الخاصة. اهتموا بشكلٍ انفعاليّ بمظهرهم، صحّتهم، أسلوب حياتهم، وحساباتهم المصرفية. غذّى آندي تمحورهم حول ذواتهم وغرورهم المتضخّم من خلال تقديم خدماته كرسّام.

مثال الحسناء

في العام 1730، عندما كانت جان بويسون تبلغ من العمر تسع سنوات فقط، تنبّأت عرّافة أنّها ستصبح يوماً ما عشيقة لويس الخامس عشر. كان التنبؤ سخيفاً تماماً، نظراً لأن جان قدمت من الطبقة الوسطى، ولأنه كان تقليداً امتدّ لقرون خَلَت أن تُختار عشيقة الملك من طبقة النبلاء. لجعل الأمور أسوأ، فقد كان والد جان خليعاً رديء السمعة، ووالدتها مومساً.

لحسن حظ جان، فقد كان أحد عشّاق أمّها رجلاً ذا ثروةٍ عظيمة، استلطف البنت الظريفة وأخذ على عاتقه نفقات تعليمها. تعلّمت جان الغناء والعزف على الكلاڤيكورد (الأصل الذي تطوّر منه البيانو)، والفروسية بمهارةٍ استثنائية، والتمثيل والرقص؛ عُلّمت الأدب والتاريخ في المدرسة وكأنّها كانت صبيّاً. علّمها الكاتب المسرحي كريبيليون فن الحديث. فوق هذا كلّه فقد كانت جان جميلةً وتحلّت بسحرٍ وكياسةٍ ميّزاها عن غيرها منذ البداية. في العام 1741 تزوّجت رجلاً من صغار النبلاء. الآن أصبحت معروفةً بالمدام ديتوال، استطاعت تحقيق طموحٍ عظيم: افتتحت صالوناً للأدب. تردّد كل كتّاب وفلاسفة ذلك العصر العظام على صالونها، حيث أنّ العديد منهم قد تُيّموا بالمضيفة. واحد من هؤلاء كان ڤولتير، الذي أصبح صديقاً مدى الحياة.

عبر كل نجاحات جان، فإنّها لم تنسَ تنبؤ العرّافة، وظلّت مؤمنةً أنها ستحتل قلب الملك في يومٍ من الأيام. صادفَ أن كانت إحدى عِزبات زوجها مجاورةً لأراضي الصيد المفضّلة لدى الملك. كانت تتجسّس عليه من خلال السور، أو توجد طرقاً لاعتراض سبيله، دائماً بينما كانت (بالصدفة) ترتدي ثوباً أنيقاً، ومُبرزاً بالرغم من أناقته (لمفاتن الجسد). سرعان ما أصبح الملك يرسل لها هدايا اللعبة. عندما توفّت عشيقته الرسمية، في العام 1744، تنافست كل حسناوات البلاط لشغل مكانها؛ لكنه شرع يمضي وقتاً متزايداً مع المدام ديتوال، وهو مَبهورٌ بجمالها وسحرها. مما شَدَهَ البلاط، أنه جعل في نفس تلك السنة من هذه المرأة المنتمية إلى الطبقة الوسطى عشيقته الرسمية، رافعاً إياها إلى طبقة النبلاء من خلال لقب ماركيزة دي بومبادور.

بنهاية العقد كان مُعترفاً عليه كواحدٍ من الرسامين الطليعيين في عصره... • قدّم وارهول لزبائنه مُنتَجاً لا يُقاوَم: رسومٌ عصريّة تُظهِرُ من فيها على نحوٍ أكثر جاذبيّة، من فنانٍ ممتاز والذي كان هو نفسه شخصيّةً مشهورةً مشهوداً لها. بإضفائه حضوراً نجوميّاً مُغرياً حتى على أكثر الوجوه شهرةً وإثارةً للإعجاب، فقد حوّل موضوعاته إلى أشباحٍ فاتنة، مُقدّماً وجوههم كما ظنّ أنهم يريدون أن يُرَوْا ويُتَذَكّروا. من خلال تصفية ملامح جلاّسه الحسنة عبر غرباله الحريريّ وتضخيم حيويّتهم، فقد مَكّنهم من أن يظفروا بمدخلٍ إلى مستوىً من الوجود أكثر خياليّةٍ وروحانيّةً. امتلاك ثروةٍ عظيمةٍ وسلطةٍ قد يجدي

حاجة الملك للجِدّة كانت ذائعة الصيت: فإحدى العشيقات كانت تسلّيه بشكلها، لكنّه سرعان ما كان يسأم منها ويجد واحدةً أخرى. بعد أن انقضت صدمة اختياره لجان بويسون، فقد طمأنت نساء البلاط أنفسهن أن اختياره لن يدوم ـ إنه اختارها فقط لأن حيازة عشيقة من الطبقة الوسطى كان شيئاً غير مألوف. قلّةٌ عرفت أن إغواء جان الأول للملك لم يكن آخر إغواءٍ لديها في جعبتها.

بمرور الوقت، وجد الملك نفسه يزور عشيقته أكثر فأكثر. عندما كان يصعد السلم المخَفي الذي يقود من مسكنه إلى مسكنها في قصر ڤرساي، فإنّ توقّع المباهج التي تنتظره بالأعلى كان يشرع بتدوير رأسه. أولاً، الغرفة كانت دافئةً باستمرار وتَعبَقُ بالعطور المُفرِحة. ومن ثم كانت هنالك المباهج البصريّة: مدام دي بومبادور ارتدت دائماً زيّاً مختلفاً، كلّ زيٍّ كان أنيقاً ومفاجئاً بأسلوبه الخاص. أحبت الأشياء الجميلة ـ البورسلان الصافي، المراوح الصينية، الأصيصاتِ ذهبيّة ـ وكان هناك شيءٌ جديدٌ وساحرٌ ليراه في كل مرّة يزورها فيها. تصرّفاتها كانت دائماً جذلى وخفيفة الظل؛ لم تكن أبداً دفاعيّة أو ممتعضة. كل شيءٍ للمتعة. ومن ثم كانت هناك محادثاتهم: لم يكن أبداً قادراً بشكلٍ حقيقي على التكلم مع امرأةٍ من قبل، أو على الضحك، لكن الماركيزة كانت تستطيع أن تعالج أي موضوع، وصوتها كان متعةً للسمع. وإذا بَهُتَ الحديث وانحسر، فإنّها كانت تنتقل إلى البيانو وتعزف مقطوعةً موسيقيةً وتغنّي بشكلٍ رائع.

إذا بدا الملك في أي وقت سئِماً أو حزيناً، فإنّ مدام دي بومبادور كانت تقترح مشروعاً ما ـ ربما بناء بيتٍ ريفيٍّ جديد. لذا كان عليه أن يعطي تعليماته فيما يختص التصميم، وتخطيط الحدائق والديكور. عودةً إلى ڤرساي، فقد وضعت مدام دي بومبادور نفسها مسؤولةً عن التسالي في القصر، فبنت مسرحاً خاصّاً للعروض الأسبوعية تحت إرشادها. كان الممثلون يُختارون من ضمن الحاشية، أما دور البطولة الأنثوية فكان دائماً يُؤدّى من قبل مدام دي بومبادور التي كانت واحدةً من أفضل الممثلات الهواة في فرنسا. أصبح الملك مهووساً بهذا المسرح؛ كان بالكاد يستطيع الانتظار

في الحياة اليوميّة، أما استصدار لوحةٍ لوارهول فكان مُؤشّراً أكيداً إلى أن الجالس اعتزم أن يضمن شهرةً بعد الموت أيضاً. رسومات وارهول لم تكن وثائق حقيقية لوجوهٍ معاصرة بقدر ما كانت أيقونات مُصمَّم تنتظر الصلوات المستقبلية.

ـ داڤيد بوردون، *وارهول*

النساء خدمن كل هذه القرون كمرايا للنظر تمتلك القدرة السحرية والمُبهِجة على أن تَعكسَ صورة الرجل بضعفِ حجمها الطبيعي.

ـ ڤيرجينيا وولف، *غُرفةٌ لصاحبها*

لعروضه. أتى في موازاة هذا الاهتمام إنفاقٌ متزايدٌ للمال على الفنون، واهتمامٌ بالفلسفة والأدب. رجلٌ كان قد اهتم فقط بالصيد والقمار صار يمضي وقتاً أقلّ فأقلّ مع رفاقه الذكور وأصبح راعياً عظيماً للفنون. بالفعل لقد دمغ عصراً بأكمله بطابعٍ جماليّ، والذي أصبح معروفاً بـ «لويس الخامس عشر»، منافساً الأسلوب المرتبط مع سلفه اللامع والشهير لويس الرابع عشر.

وإذا به، مرّت سنةٌ تلوَ أخرى دون أن يكلّ الملك من عشيقته. في الواقع جعلها دوقة، وامتدّ نفوذها وتأثيرها عميقاً إلى ما بعد الثقافة وإلى قلب السياسة. لعشرين عاماً، حكمت مدام دي بومبادور كلاًّ من البلاط وقلب الملك، حتّى موتها المبكّر، في عام 1764، في عمر الثالثة والأربعين.

لويس الخامس عشر كان لديه مُرَكّب نقصٍ قويٍّ. كونه كان خلفاً للويس الرابع عشر ـ أقوى ملك في التاريخ الفرنسي، كان قد عُلّمَ ودُرّبَ استعداداً للعرش ـ لكن بالرّغم من ذلك فمن يستطيع تتبّع أفعال سلفه؟ في نهاية المطاف تخلّى عن المحاولة، مُكَرّساً نفسه عوضاً عن ذلك للملذات الجسدية، التي أصبحت تحدّد الكيفيّة التي يُرى بها؛ علم الناس المحيطين به أنهم يستطيعون حمله على تغيير رأيه من خلال مخاطبة الأجزاء الأحط من شخصيته.

مدام دي بومبادور عبقرية الإغواء، تفهّمت أنه داخل لويس الخامس عشر كان هناك رجلٌ عظيم يتحرّق للظهور، وأن هوسه بهذه المرأة الشابة يشير إلى تعطّشٍ لنوعٍ أكثر ديمومةٍ من الجمال. خطوتها الأولى كانت أن تعالج نوباته المتواصلة من الضجر. من السهل أن يضجر الملوك ـ كل شيءٍ يريدونه كان يُعطى لهم، ونادراً ما تعلّموا أن يكونوا راضين بما لديهم. عالجت ماركيزة دي بومبادور هذا من خلال إحضار كل أنواع الأحلام وضروب الهوى إلى أرض الواقع، وخلق تشويقٍ مستمر. كان لديها العديد من المهارات والمواهب، وتماماً بنفس الأهمية، فقد استخدمتها بدهاءٍ كبير لدرجة أنه لم يكتشف حدودها. ما إن عوّدته على مُتَعٍ أنقى وأكثر تشذيباً، حتّى خاطبت المثاليات المحطمة بداخله؛ في المرآة التي حملتها أمامه، فرأى

تَطَلُّعَهُ ليكون عظيماً، وهي رغبةٌ، في فرنسا تضمنّت بشكلٍ حتميّ الرّيادة في الثقافة. سلسلة عشيقاته السابقات كنّ قد داعبن رغباته الحسية فقط. وجد في مدام دي بومبادور امرأةً جعلته يستشعر العظمة في نفسه. العشيقات الأخريات كان يمكن استبدالهن بسهولة، لكنه لم يكن يستطيع أبداً أن يجد مدام دي بومبادور أخرى.

معظم الناس يعتقدون أنفسهم من الداخل أعظم مما يبدون عليه خارجياً للعالم. هم مليئون بالمثاليات غير المُحقّقة: كان باستطاعتهم أن يكونوا فنانين، مُفَكّرين، قادة، رموز روحية، لكن العالم حطّمهم، ورفض أن يمنحهم الفرصة أمام إمكاناتهم لتزدهر. هذا هو المفتاح لإغوائهم - ولإبقائهم مَغْوِيّين عبر الزمن. العاشق المثالي يعرف كيف يمارس هذا النوع من السحر. ناشد فقط الجانب المادي من الناس، كما يفعل العديد من المُغوين الهواة، وسوف يستاؤون منك للّعب على أحط غرائزهم. لكن ناشد الجانب الأفضل من ذواتهم، ومعياراً أرقى من الجمال، وبالكاد سيلاحظون أنه تم إغواءهم. إجعلهم يشعرون بأنّهم رفيعون، نبيلون، روحانيون، ولسوف تكون سلطتك عليهم غير محدودة.

الحب يسلّط الضوء على خصائص المُحَب النبيلة والمُخَبأة - ميوله النادرة والاستثنائية: إنه بالتالي عرضة لأن يكون مضلِّلاً فيما يتعلّق بشخصيّته الاعتيادية.

- فريديريك نيتشة

المفاتيح إلى الشخصية

كلّ واحدٍ منا يحمل تصوّراً مثاليّاً، إما عمّ نريد أن نصبح، أو عمّ نريد الشخص الآخر أن يكون بالنسبة لنا. هذا التصور يعود إلى سنواتنا الأولى - إلى ما شعرنا ذات مرّة أنه كان مفقوداً في حياتنا، ما لم يمنحه لنا الآخرون، ما لم نستطع أن نمنحه لأنفسنا. ربما نكون قد اختنقنا بالراحة، ونتوق للخطر

والثورة. إذا كنا نريد الخطر ولكنه يخيفنا، فمن الجائز أن نبحث عن شخصٍ ما يبدو مستأنساً به كمن يكون في منزله. أو ربّما يكون تصوّرنا المثالي أكثر رِفعةً ـ نريد أن نكون أكثر إبداعاً، نبلاً، ووداً مما تدبّرنا أن نكونه في أي يومٍ من الأيام. تَصَوّرنا المثالي هو شيءٌ نشعر بأنه مفقودٌ في داخلنا.

تصوّرنا المثالي قد يكون مدفوناً بالخيبة، لكنّه يترصّد في الأسفل، منتظراً الشرارة التي تشعله. إذا بدا شخصٌ آخر أنه يمتلك تلك الخاصية المثالية، أو القدرة على استخراجها منّا، فسوف نقع في الحب. تلك هي الاستجابة للعاشقين المثاليين. بالتناغم مع ما يُفتَقد بداخلك، مع الحلم الذي يحرّكك، فإنّهم يعكسون تَصَوّرك المثالي ـ وأنت تفعل الباقي، فتُبرِزُ لهم أعمق رغباتك وأتواقك. كازانوڤا ومدام دي بومبادور لم يُغووا أهدافهم نحو علاقةٍ جنسيّةٍ فقط، وإنّما جعلوهم يقعون في الحب.

المفتاح لاتّباع درب العاشق المثالي هو القدرة على الملاحظة. تجاهل كلمات أهدافك وسلوكهم الواعي؛ ركّز على نبرة صوتهم، احمرارٌ للوجه هنا، نظرةٌ هناك ـ تلك الإشارات التي تُفشي ما لا تقوله الكلمات. غالباً ما يُعَبّر عن التّصَوّر المثالي بالتناقض. الملك لويس الخامس عشر بدا مهتمّاً فقط بمطاردة الأيائل والفتيات اليافعات، لكنّ ذلك في الواقع غطّى خيبة أمله حيال نفسه: لقد تَحرّق من أجل أن تُطرى صفاته الأكثر نبلاً.

لم يكن هناك لحظةٌ أفضل من الآن للعب العاشق المثالي. ذلك لأنّنا نعيش في عالمٍ يجب أن يبدو كلّ شيءٍ فيه على أنه رفيع وحسن النية. القوة هي أكثر موضوعٍ مُحَظّر من بين جميع المواضيع: بالرغم من أنها الحقيقة التي نتعامل معها كلّ يومٍ في نزاعاتنا مع الناس، لا يوجد شيءٌ نبيلٌ، أو مُتّسِمٌ بالتضحية بالذات، أو روحانيٌ حولها. العاشقون المثاليون يجعلونك تشعر أنك أكثر نبلاً؛ ويجعلون الأشياء الحسية والجنسية تبدو روحانيةً وجمالية. كجميع المُغوين، هم يلعبون بالقوة، لكنّهم يقنّعون تلاعباتهم خلف مظهر مثاليّةٍ كاذبٍ. قلّةٌ تُميّز طبيعتهم الحقيقية وإغواءاتهم تدوم وقتاً أطول.

بعض المثاليات تُشابِه النماذج الأصلية في علم النفس اليونجي (نسبةً

إلى عالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ؛ والنموذج الأصلي تبعاً ليونغ هو صورةٌ من اللاوعي الجماعي، أي ذاكرة موروثة تُمَثَّل في العقل برمزٍ جامع وتُلاحَظ في الأحلام والأساطير: المترجم) - إنها ترجع لأعماقٍ سحيقةٍ في حضارتنا، والإيمان بها يكون تقريباً في اللاوعي. واحد من هذه الأحلام هو الفارس الشهم. في تقاليد الحب اللطيف في القرون الوسطى، فإن التروبادور/الفارس كان يجد سيّدةً، والتي تكون مُتزوّجةً في معظم الأحوال إن لم يكن كلّها، ويخدمها كتابعها. كان يخوض غمار العديد من المحن من أجلها، ويأخذ على عاتقه القيام برحلاتٍ خطرة إلى أماكن خاصة في سبيلها، ويعاني من عذاباتٍ مُرَوّعة ليثبت حبّه. (هذا قد يشمل التشويه الجسماني، كاقتلاع الأظافر، وجدع الأذن، إلخ). كان أيضاً يكتب أشعاراً ويغنّي أغنياتٍ جميلة لها، لأنه لا يمكن لتروبادورٍ أن ينجح في التأثير في سيّدته بدون نوعٍ من الخاصية الروحانية أو الجمالية. المفتاح للنموذج الأصلي هو إحساسٌ بالتفاني المطلق. الرجل الذي لن يدع مسائل الحرب، المجد، أو المال تتطفّل على فانتازيا المغازلة يمتلك سلطة غير محدودة. دور التروبادور هو حالة مثالية لأن الناس الذين لا يضعون أنفسهم ومصالحهم الخاصة أولاً هم نادرون بحق. أن تجتذب امرأة الاهتمام المُكَثّف لرجلٍ كهذا هو بالنسبة لها شيءٌ شديد الفتنة لخُيَلائها وغرورها.

في أوساكا القرن الثامن عشر، أخذ رجلٌ يُدعى نيسان الغانية ديوا في نزهةٍ على الأقدام، بعد أن حرص أوّلاً على أن يَرِشّ أجمة البرسيم على طول الدرب بالماء الذي بدا كندى الصباح. تحرّكت مشاعر ديوا بشكلٍ كبير بهذا المشهد الجميل. «لقد سمعتُ،» هي قالت، «أن أزواج الأيائل المتحابة ميّالة لأن تستلقي خلف أجمات البرسيم. كيف يتسنّى لي أن أرى هذا في الحياة الحقيقيّة!» نيسان كان قد سمع بما فيه الكفاية. في نفس ذلك اليوم هدم قسماً من منزلها وأمر بزرع العديد من أجمات البرسيم فيما كان ذات مرّة جزءاً من غرفة نومها. في تلك الليلة اتّخذ الترتيبات الضرورية كي يمسك الفلاّحون بأيائلٍ بريّة من الجبال ويحضرونها إلى البيت. في صبيحة اليوم التالي أفاقت ديوا على - وبالتّحديد - المشهد الذي وصفته. بمجرّد ما تبدّى

عليها الارتباك وتحرّكت مشاعرها، قام بأخذ الأيائل والبرسيم وإعادة بناء المنزل.

واحد من أشجع وأشهم المُحِبّين في التاريخ، سيرجي ستاليكوف، كان لديه سوء الحظ ليقع في حبِّ واحدةٍ من أقل نساء التاريخ تَيَسُّراً: الدوقة العظمى كاثرين، الأمبراطورة المستقبلية لروسيا. كل خطوة من خطواتها كانت مُراقَبة من زوجها بيتر، الذي اشتبه في أنها كانت تحاول أن تخونه وعيّن مُوَظّفين حكوميّين لإبقاء العين عليها. كانت معزولة وغير محبوبة وغير قادرة على أن تفعل شيئاً حيال هذا. ستاليكوف، ضابط الجيش الشاب والوسيم كان مُصّمّماً على أن يكون منقذها. في العام 1752 صادق بيتر، وكذلك الثنائي المسؤول عن مراقبة كاثرين. بهذه الطريقة كان قادراً على رؤيتها وفي بعض الأحيان أن يتبادل معها القليل من الكلام الذي من شأنه أن يُفصح عن نواياه. قام بأكثر المناورات حمقاً وتهوّراً ومخاطرةً من أجل أن يراها على انفراد، بما فيها حرف حصانها خلال نزهة صيدٍ ملكيّة وامتطاء الخيل إلى داخل الغابة معها. أخبرها عن مدى تعاطفه مع حالتها، وأنه كان مستعدّاً للقيام بأي شيء ليساعدها.

أن يُضْبَطَ وهو يغازل كاثرين كان يعني الموت، وفي النهاية أخذ بيتر يشك في أنه كان هنالك شيءٌ ما بين زوجته وستاليكوف، ولو أنه لم يتأكّد أبداً. لم تُثنِ عداوته الضابط المقدام، الذي لم يزد عن تسخير مزيدٍ من النشاط والأبداع في سبيل إيجاد طرقٍ لتدبير لقاءاتٍ سرّية. الاثنان كانا مُتَحابّين لسنتين، ولم يكن هنالك أدنى شك في أن ستاليكوف كان والد بول ابن كاثرين، الإمبراطور التالي لروسيا. عندما تخلّص منه بيتر نهائيّاً بإرساله إلى السويد، فإن أخبار بسالته سبقت عودته، وأغمِيَ على النساء كي يكنّ التاليات في انتزاع حبّه وإعجابه. قد لا تضطر لأن تخوض غمار هذا الكم من الإشكال أو الخطر، لكنّك ستُكافَأُ حتماً للأفعال التي تُظْهِر حسّاً بالتضحية بالذات أو الإخلاص.

تجسيد العاشق المثالي للعام 1920 كان رودولف ڤالنتينو، أو على الأقل الصورة التي أُبْدِعَت عنه في الأفلام. كل شيءٍ فعله ـ الهدايا، الأزهار،

الرقص، الطريقة التي أخذ بها يد المرأة ـ أظهرت اهتماماً دقيقاً بالتفاصيل التي تَدُلّ على مدى تفكيره بها. الصورة كانت لرجلٍ جعل التودّد أو المغازلة تستغرق وقتاً، محوّلاً إيّاها إلى تجربةٍ جماليّة. كره الرجال ڤالنتينو، لأن النساء توقّعن منهم الآن أن يُضارعوا مثال الصبر والمُراعاة لمشاعرهن الذي مثّله. مع أنه لا شيء مُغوٍ أكثر من التّنبّه والمراعاة الصبورين. فهما يجعلان العلاقة تبدو عالية المقام وجماليّةً ولا تَتَمَحوَر حقيقةً حول الجنس. قوّة ڤالنتينو وخاصّةً في هذه الأيام هي أن الناس على هذه الشاكلة هم غاية في الندرة. فن محاولة الارتقاء لمثاليّات المرأة والتناغم معها اختفى أو كاد ـ الأمر الذي لا يؤدّي سوى إلى جعله على هذه الدرجة العالية من الإغراء.

إذا كان العاشق الشهم يبقى التّصوّر المثالي لدى النساء، فإن الرجال غالباً ما يخلقون مَثَل الطّاهرة/العاهرة، أي المرأة التي تجمع ما بين الشهوانيّة وبين سيماء البراءة أو الروحانيّة. فكّر بغانيات النهضة الإيطالية العظيمات، من أمثال توليا دارجونا ـ جوهريّاً مومس، كجميع الغانيات، ولكن قادرة على إخفاء دورها الاجتماعي من خلال تأسيس سمعةٍ كشاعرة وفيلسوفة. توليا كانت ما عُرِفَ حينئذٍ بِـ «الغانية الشريفة». الغانيات الشريفات كُنّ يذهبن إلى الكنيسة، لكن كان لديهن دافعٌ خفيّ: من أجل الرجال، حضورهن في القدّاس كان شيّقاً ومُثيراً. بيوتهنّ كانت قصوراً للمتعة، لكن ما جعل هذه البيوت مُتعةً للأنظار كانت الأعمال الفنية التي بداخلها والرفوف الملأى بالكتب، والمُجَلّداتُ لبيترارك ودانتي. بالنسبة للرجل، فإنّ الرعشة والنزوة كانتا أن ينام مع امرأةٍ مثيرةٍ جنسيّاً ولكن تمتلك بالرغم من ذلك الخصال المثالية للأم ولروح وفكر الفنان. حيث تُثير العاهرة المحضة الرغبة ولكن أيضاً القرف، فإن الغانية الشريفة تجعل الجنس يبدو مُتَسامياً وبريئاً، كما لو كان يحدث في جنّة عدن. امرأة كهذه تمتلك سلطةً هائلةً على الرجال. ليومنا هذا هنّ يبقين تصوّراً مثاليّاً، إن لم يكن لسببٍ آخر غير أنهنّ يقدّمن مجالاً من المُتَع كهذا. المفتاح هو الالتباس (أو الازدواجية) ـ أن تجمع ما بين مظهر الحساسيّة ومَلَذّات الجسد وبين سيماء البراءة، والروحانيّة، والإحساس الشعري. هذا المزيج ما بين العالي والداني هو مُغوٍ بشكلٍ هائل.

حركيّة العاشق المثالي لها إمكاناتٌ غير محدودة، لكن ليس جميعها شهوانيّاً. في السياسة، فقد لعب تاليران جوهريّاً دور العاشق المثالي مع نابوليون، الذي مثاليّته كوزير مجلس وزراء وكصديق كانت أنّه رجلٌ أرستقراطي، لطيفٌ مع النساء ـ كل الأشياء التي نابوليون نفسه لم يَكُنها. في عام 1798، عندما كان تاليران وزير خارجيّة فرنسا، فقد استضاف حفلةً على شرف نابوليون بعد الانتصارات المُبهرة للقائد العظيم في إيطاليا. حتّى يوم وفاته، فقد تّذَكّر نابوليون هذه الحفلة كأفضل حفلةٍ حضرها في كل حياته. كانت حدثاً اجتماعيّاً باذخاً، وبثّ تاليران رسالةً حاذقةً وخفيّة فيها من خلال وضع تماثيلٍ رومانيّة نصفيّة حول المنزل، ومن خلال التّحدُّث مع نابوليون عن إحياء الأمجاد الإمبراطورية لروما القديمة. أومض هذا بريقاً في عيني القائد، وبالفعل بعد عدّة سنوات، أعطى نابوليون نفسه لقب إمبراطور ـ خطوةٌ لم تزد على جعل تاليران أكثر نفوذاً. المفتاح لنفوذ تاليران كان قدرته على سبر أعماق مثل نابوليون الأعلى السّري: رغبته في أن يكون إمبراطوراً، ديكتاتوراً. رفع تاليران ببساطة مرآةً أمام نابوليون وتركه يسترق النظر إلى تلك الإمكانية. الناس دائماً قابلون لإيحاءاتٍ كهذه، والتي تداعب غرورهم؛ نقطة الضعف لدى الجميع تقريباً. أَشِر من طَرَفٍ خفيّ إلى شيءٍ ما لَيطمحوا إليه، أظهر إيمانك بمقدرةٍ غير مُستَثمَرةٍ لديهم، وسرعان ما ستجدهم وهم ينهلون من عطائك.

إذا كان العاشقون المثاليون ضليعين في إغواء الناس من خلال مخاطبة الجانب الأرقى من ذواتهم، أو شيءٍ مفقودٍ من طفولتهم، فإن السياسيين يستطيعون أن يفيدوا من خلال تطبيق هذه المهارة على نطلقٍ واسع، على جمهور الناخبين بأكمله. كان هذا ما تعمّد جون إف كينيدي تماماً أن يفعله مع الجمهور الأمريكي، واتّضح هذا أكثر ما اتّضح في خلقه هالة «الكاميلوت» حول نفسه. (نسبةً إلى مدينة الملك آرثر في الأسطورة الآرثرية، ويُقصَد بهذا المصطلح الشيء المثالي والمستنير والغاية في الجمال والثقافة: المترجم.) الكلمة «الكاميلوت» لم تُطْلَق على رئاسته إلا بعد موته، لكن الرومانس الذي أبرزه عمداً من خلال شبابه ومنظره الحسن كان يؤدّي

وظيفته على أكمل وجه خلال فترة حياته. لعب أيضاً، بشكلٍ أكثر خفاءً وبراعة، بصور وانطباعات أمريكا عن عظمتها الخاصة ومثاليّاتها المفقودة. شعر العديد من الأمريكيين أنه قد أتى مع ثروة ورخاء أواخر الخمسينات خسائر كبيرة؛ اليسر والانسجام كانا قد دفنا روح البلد الريادية. ناشد كينيدي تلك المثاليّات الضائعة من خلال مجاز «الحد أو التخم الجديد»، الذي تمثّل بسباق الفضاء. استطاعت غريزة الاكتشاف الأمريكية أن تجد منافذ لها، حتّى ولو كان معظمها رمزيّاً. وكان هناك نداءاتٌ أخرى من أجل الخدمة العامة، مثل خلق فيلق السلام. من خلال مناشداتٍ كهذه، أعاد كينيدي إشعال حسّ الرسالة أو المهمّة المُوحِّد الذي كان قد افتُقِدَ في أمريكا خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية. هو أيضاً اجتذب لنفسه استجابةً أكثر عاطفيّةً مما يحصل عليه الرؤساء في العادة. وقع الناس حرفيّاً في حبّه وحبّ الصورة (التي رسمها).

يستطيع السياسيون اكتساب سلطةٍ إغوائية من خلال التنقيب في ماضي البلد، مُرجعين إلى السطح صُوراً ومثاليّاتٍ قد تمّ التخلّي عنها أو قمعها. ما يحتاجون إليه هو الرمز فقط؛ هم لا يضطّرون لأن يقلقوا حيال إعادة خلق الحقيقة الكامنة وراءه. المشاعر الجيّدة التي يحرّكونها كفيلة لوحدها بإحداث استجابةٍ إيجابيّة.

الرمز: راسم
الوجه. تحت عينيه، تختفي كل نقائصك.
هو يُبرِزُ الخصائص النبيلة التي في داخلك، يحيطك
بإطارٍ من الأسطورة، يجعلك شبيهاً، بالآلهة، يُخلّدك.
بسبب قدرته على خلق هذه الأوهام، فإنّه يُكافأ بسلطة عظيمة.

المخاطر

الأخطار الرئيسيّة في دور العاشق المثالي هي العواقب التي تَنجُم إذا تركت الحقيقة تتسلّل. أنت تخلق وهماً يتضمّن إضفاء البعد المثالي على شخصيتك الخاصة. وهذه مهمّةٌ محفوفةٌ بالمخاطر، لأنك إنسانٌ وغير كامل. إذا كانت أخطاؤك بشعة أو تُقحَمُ نفسها بما فيه الكفاية، فسوف تُفَجّر الفقاعة التي نَفَخْت، وسيلعنك هدفك. كانت توليا دارجونا كلّما ضُبِطَت وهي تتصرّف كمومسٍ مبتذلة (على سبيل المثال عندما يُقبَضُ عليها وهي تمارس الجنس من أجلِ المال فقط)، فإنّها كانت تضطر إلى مغادرة البلدة وتأسيس نفسها في مكانٍ آخر. تَوَهُّمُها كرمزٍ روحيّ قد حُطِّم. كازانوڤا أيضاً واجه هذا الخطر، لكنّه كان قادراً على تخطّيه بشكلٍ اعتياديّ من خلال إيجاد طريقةٍ ذكيّة لقطع العلاقة، قبل أن تُدرك المرأة أنه لم يكن ما تخيّلته: كان يجد عذراً ما لمغادرة البلدة، لا بل وأفضل من هذا، فقد كان يختارُ ضحيّةً كانت هي نفسها ستغادر البلدة قريباً، والتي إدراكها أن العلاقة ستكون قصيرة الأمد سيجعل إضفاءها للبعد المثالي عليه أكثر حدّةً بكثير. إنّ الواقع والتّعرّض الحميم الطويل المدّة لديهما طريقة للتعتيم على كمال الشخص وجعله (أي الكمال) باهتاً وكليلاً. شاعر القرن التاسع عشر آلفريد دي موسّية أُغوِيَ من قبل الكاتبة (وليس الكاتب) جورج ساند التي راقَتْ شخصيتها المُتَوهّجة والمليئة بالثقة لطبيعته الرومانسية. لكن عندما زار الثنائي البندقية سويّةً، وأصيبت ساند بالديزنطاريا، فإنّها فجأةً لم تعد الرمز المثالي وإنما امرأة ذات مشكلةٍ صحّيةٍ مُنَفّرة. دي موسّية نفسه أظهر جانباً طفوليّاً مُتَذَمّراً خلال الرحلة، وافترق الحبيبان. بمجرّد ابتعادهما عن بعضهما، على أيّة حال، فقد كانا قادرين على النظر إلى بعضهما البعض بعين المثالية من جديد، والتمّ شملهما بعد عدّة أشهر. عندما تتطفّل الحقيقة وتدخل عنوةً فإن البعد غالباً ما يكون الحل.

في السياسة فإنّ الأخطار مشابهة. بعد سنوات من موت كينيدي، فقد كذّبت سلسلة من التّكَشُّفات (علاقاته الجنسية المتواصلة، أسلوبه المُفرِط الخطورة في العمل الديبلوماسي والمعروف باسم سياسة الحافة، إلخ.) الأسطورة التي كان قد خلقها. (سياسة الحافة التي تُعرَف أيضاً باسم التبنّي الاستراتيجي للمخاطر هي مُمارسة تُشاهَد بخاصّة في ميدان العلاقات

الدولية، تتّسم بأخذ الخلاف إلى حافّة الصّراع أو القتال على أمل إجبار الطرف الآخر على القيام بتنازلات. وتُعتبر أزمة خليج الخنازير مثالاً على هذه السياسة: المترجم.) قد نجت صورته من هذا التلويث ومن فقدان البريق؛ أظهر استفتاءٌ تلو استفتاء أنه لا يزال مُبَجّلاً. كينيدي حالة خاصّة، من الجائز، أن اغتياله قد جعله شهيداً، مُعَزّزاً بذلك مسيرة إضفاء البعد المثالي التي كان قد وضعها موضع الحراك من قبل. لكنّه ليس المثال الوحيد للعاشق المثالي الذي تنجو جاذبيته من التّكشُّفات غير السارّة؛ هذه الشخصيّات تُطلق العنان لتخيُّلاتٍ قويّةٍ كهذه، وهناك تَعَطُّشٌ كبير للأساطير والمثاليّات التي يتعيّن عليهم أن يُرَوّجوا لها، ولهذا فهم غالباً ما يُسامَحون بسهولة. يبقى من الحكمة دائماً أن تكون مُتَبَصّراً وأن تمنع الناس من أن يَلمحوا الجانب الأقل من مثالي في شخصيتك.

الغندور

معظمنا يشعر بأنه واقعٌ
في شرك الأدوار المحدودة التي يتوقع منا
المجتمع أن نلعبها. فنحن ننجذب حالاً لأولئك
الأكثر مرونة والتباساً منا ـ أولئك الذين يخلقون
صورة شخصياتهم الخاصة. الغنادير يثيروننا لأنه من غير
الممكن تصنيفهم، ويُلمِعون إلى حريةٍ نريدها لأنفسنا. هم
يلعبون بالرجولة والأنوثة؛ ويصوغون صورتهم الجسمانية الخاصة
التي دائماً ما تكون مذهلة. هم غامضون ومحيّرون. هم أيضاً
يخاطبون نرجسيّة كلّ جنس: بالنسبة للمرأة فهم أنثويّون
من الناحية النفسيّة، وللرجل فهم ذكور. الغنادير يفتنون
ويغوون بالجملة. استخدم قوة الغندور لكي
تخلق حضوراً مُغرياً وملتبساً، يحرك
الرغبات المكبوتة.

الغندور الأنثوي

عندما هاجر رودولفو جوجليلمي ذو الثمانية عشر ربيعاً من إيطاليا إلى الولايات المتحدة في عام 1913، فقد قَدِم بدون مهاراتٍ محدّدة بعيداً عن شكله الحسن وبراعته الفائقة في الرقص. كي يتّخذ ميزةً من هذه المواصفات، فقد وجد عملاً في المراقص، صالات الرقص في مانهاتن حيث تذهب الفتيات اليافعات لوحدهن أو مع أصدقائهن ويستأجرن راقصاً مأجوراً من أجل إثارةٍ وجيزة. كان الراقص المأجور يُدوِّرهن حول المرقص بشكلٍ احترافيّ، يغازلهن ويتحادث معهن، وكل هذا مقابل أجرٍ صغير. سرعان ما صنع جوجليلمي اسماً لنفسه كواحدٍ من الأفضل - غايةٍ في اللباقة، مُتّزنٍ، ووسيم.

وُلِد ذات مرّة ابنٌ لعطارد والإلهة ڤينوس، وأُنشِئ من قِبل حوريّات الماء في كهوف آيدا. في ملامحه، كان من السهل استشفاف شبهه مع أبيه ومع أمه. سُمّي تيمّناً باسمهما، أيضاً، لأن اسمه كان هرمافروديتوس. بمجرد بلوغه الخامسة عشر، هجر هضابه الأصلية، وآيدا حيث كان قد أُنشِئ، ومن أجل مُجرد متعة السفر فقد زار أماكن بعيدة... توغّل بعيداً بُعد مدن ليسيا، وإلى

من خلال العمل كراقصٍ مأجور، أمضى جوجليلمي قسماً كبيراً من الوقت حول النساء. تعلّم بسرعة ما يسرّهن - كيف يعكس صورتهن بطرقٍ خفية، كيف يحرّرهن من القلق والارتباك (لكن ليس كثيراً). أخذ يهتم بملبسه، خالقاً بذلك طلعته الخاصة الرشيقة: رقص وهو يرتدي مَشَدّاً تحت قميصه ليمنح نفسه شكلاً مُشَذّباً، ارتدى بافتخارٍ ساعة معصم (التي كانت تُعتَبَر أنثويّةً في تلك الأيام)، وادّعى كونه ماركيزاً. في عام 1915، نال وظيفةً كمعلّم تانجو في المطاعم الفاخرة، وغيّر اسمه إلى رودولفو دي ڤالنتينا الأكثر إثارةً للذكريات والعواطف. بعد سنةٍ انتقل إلى لوس آنجلس: أراد أن يحاول شق طريقه في هوليوود.

أصبح الآن معروفاً باسم رودولف ڤالنتينو، ظهر جوجليلمي كمُستَخدمٍ إضافيّ في المشاهد الجماعية في عدّة أفلامٍ ذات ميزانيّةٍ منخفضة. في آخر الأمر أحرز دوراً أكبر في فيلم *عيون الصِّبا* في عام 1919،

الذي مثّل فيه على أنه مُغو، وشدّ انتباه النساء من خلال شدّة اختلافه كمغو: كانت حركاته رشيقةً ومُرهَفَةً، وبشرته ملساء ووجهه من الجمال لدرجة أنه حين كان ينقضُّ على ضحيّته ليكتم احتجاجاتها بقبلة، فإنّه كان يبدو مثيراً أكثر منه فاسداً. ومن ثم أتى *فرسان سفر الرؤيا الأربع*، الذي أخذ فيه ڤالنتينو دور البطولة، جوليو الفتى اللعوب، وأصبح بين ليلةٍ وضحاها رمزاً للجنس من خلال سلسلة حركات تانجو والتي يغوي بها امرأةً شابّة من خلال توجيهها عبر الرقصة. غلّف المشهد جوهر جاذبيّته: رجلاه صقيلتان ومُتَدَفّقتان، طريقته في المشي والقعود تكاد تكون أنثويّةً، مرفقةً بلمسة تحكّم. بعض المُشاهِدات الإناث أغمِيَ عليهنّ حرفيّاً عندما كان يرفع يدي المرأة إلى شفتيه، أو يتشاطر عبير وردةٍ مع حبيبته. بدا أكثر تَنَبّهاً ومجاملةً ومراعاةً للنساء من الرجال الآخرين؛ لكن كان ممزوجاً مع كياسته ورقّته أثرٌ من القسوة والوعيد، الأمر الذي دفع بالنساء إلى الجنون به.

في أكثر أفلامه شهرةً، *الشيخ*، لعب ڤالنتينو دور أميرٍ عربيّ (ظهر لاحقاً أنه كان لورداً اسكوتلندياً تُرِكَ في الصحراء عندما كان رضيعاً) يُنقِذ سيّدةً إنكليزيّةً مُعتَدّةً بنفسها في الصحراء، ومن ثم يظفرُ بها بأسلوبٍ أقرب إلى الإغتصاب. عندما تسأل، «لماذا أحضرتني إلى هنا؟»، يردّ هو، «ألست امرأةً بما فيه الكفاية لتعرفي؟» ومع ذلك فإنّها تقع في حبّه في آخر الأمر، كما فعلت النساء بالفعل في صالات السينما في كل أنحاء العالم، بعد أن أُثِرن بمزيجه الغريب من الأنوثة والرجولة. في أحد المشاهد في الشيخ، تصوّب السيّدةُ الإنكليزيّة فُوّهة المسدّس نحو ڤالنتينو؛ استجابته كانت تصويبه لحامل سيجارةٍ نحوها. كانت ترتدي بنطالاً؛ وهو رداءً فضفاضاً طويلاً وماكياجاً غزيراً للعينين. الأفلام التالية كانت تتضمن مشاهدَ لڤالنتينو وهو يلبس وينزع ثيابه، نوعٌ من التّعرّي الذي يظهر لمحاتٍ خاطفة من جسده المُشَذّب. في جميع أفلامه تقريباً لعب دور شخصيّةٍ من أحد الحقب الغريبة - مصارع ثيرانٍ إسباني، راجا هندي، شيخٌ عربيّ، نبيلٌ فرنسيّ - وبدا مُبتَهجاً بارتداء الجواهر والبزّات الضيّقة.

في عشرينات القرن المنصرم، بدأت النساء بالعبث بحرّيةٍ جنسيّةٍ جديدة. بدلاً من انتظار الرجل ليبدي اهتمامه بهن، فقد أردْنَ أن يكنّ قادراتٍ على البدء بالعلاقة، لكنّهن لا زلن يُردْن الرجل أن يزلزلهن في آخر

الكارايانيين، الذين يقطنون في الجوار. في هذه المنطقة لمح بركةً من المياه، من الوضوح لدرجة أنه استطاع أن ينظر إلى قعرها مباشرةً.... الماء كانت مثل الكريستال، وحواف البركة كانت مُطَوّقة بالمرج النضر والعشب الذي كان أخضراً على الدوام. سكنت هناك حوريّة [سالماسيس]....

غالباً ما كانت تجمع الأزهار، وحدث أنها لمحت لمحةً خاطفة من الصبي هرمافروديتوس عندما كانت مشغولة بتزجية الوقت هذه. بمجرد ما وقعت عيناها عليه، فقد تاقت لأن تمتلكه... ناشدته قائلةً: «أيها الصبي الجميل، أنت تستحق بالتأكيد أن يَحسَبُكَ الناسُ إلهاً. إذا كُنت، فلعلّك كيوبيد؟ ... إذا كانت هناك فتاة [مرتبطة بك]،

الأمر. فهم ڤالنتينو هذا بشكلٍ ممتاز. حياته خارج الشاشة انسجمت مع صورته السينمائية: ارتدى سواراً على ذراعه، ولبس بشكلٍ خالٍ من الأخطاء والعيوب، وأُشيعَ عنه أنه كان قاسياً مع زوجته وأنّه كان يضربها. (غضّ جمهوره الهائم الطرف باحتراسٍ عن زيجتيه الفاشلتين وحياته الجنسيّة التي كانت في الظاهر غير موجودة.) عندما مات فجأةً - في نيويورك بتاريخ آب 1926، في عمر الواحد والثلاثين، نتيجة مضاعفاتٍ بعد عمليّة القرحة - فقد كانت ردّة الفعل غير مسبوقة: أكثر من مئة ألفٍ من الناس اصطفّوا لزيارة نعشه، أُصيبَت العديد من النساء المفجوعات بالهيستيريا، وشُدِهَت الأمة بأسرها. إذ لم يحصل شيءٌ كهذا من قبل لمُجرّد ممثّل.

هناك فيلم لڤالنتينو، *السيد بوكار*، الذي يلعب فيه دور غندورٍ كامل، دورٌ أكثر خنثويّةً من أي دورٍ قام به بالعادة، ومن دون لمسة الخطورة المعتادة لديه. الفيلم كان إخفاقاً. لم تستجب النساء مع ڤالنتينو على أنه شاذ جنسيّاً. شعرن بالإثارة تجاه غموض الرجل الذي شارك العديد من ميولهن الأنثوية، وظلّ رجلاً مع ذلك. لبس ڤالنتينو وتلاعب بجسمانيته كما لو كان امرأة، لكن صورته كانت ذكورية. كان يخطب ود المرأة كما كانت المرأة ستفعل لو كانت رجلاً - ببطء، بتَنَبّه، باهتمامٍ بالتفاصيل، من خلال وضع إيقاع عوضاً عن الاستعجال نحو الخاتمة. ومع ذلك فقد كان توقيته مثاليّاً عندما يحين وقت الجسارة والإخضاع، إذ كان يجتاح ضحيّته من دون أن يعطيها فرصة للاحتجاج. في أفلامه، مارَسَ ڤالنتينو نفس فن الراقص المحترف في قيادة المرأة الذي برع فيه كمراهق على أرض الرقص - يُحادث، يغازل، يُرضي، ولكن دائماً مُتَحَكّم.

يبقى ڤالنتينو أحجيةً حتى يومنا هذا. حياته الخاصة وشخصيّته يلفّهما الغموض؛ تستمر صورته بالإغواء كما كانت تفعل خلال حياته. خدم كنموذج لإلفيس برسلي، الذي كان مهووساً بنجم الأفلام السينمائية الصامتة هذا، وأيضاً للغندور العصري الذي يتلاعب بالجنس (من حيث الذكورة والأنوثة) ولكنه يحتفظ بهامشٍ من الخطر والقسوة.

الإغواء كان وسيبقى النمط الأنثويّ من القوة والحرب. كان في الأصل الترياق المضاد للاغتصاب والعنف. الرجل الذي يستخدم هذا النمط

فدعني أستمتع بحبك في السر: لكن إذا لم يكن هنالك، فسوف أصلّي كي أكون عروستك، وكي ندخل على الزواج سويّةً.» لم تزد الحورية على ذلك؛ لكن حمْرة الخجل ضمّخت خدّيه لأنه لم يكن يعرف ماهية الحب. حتى أن الاحمرار تشخّص فيه: وجنتاه كانتا بلون التفاح اليانع المتدلّي في بستان فاكهةٍ مشمس، كالعاج المطلي أو كالقمر وقت الخسوف، كانت تُظهِر لوناً أحمر مُتَدَرّج تحت بريقها.. بشكلٍ مُتواصل طالبت الحورية بقبلاتٍ أخويّة، وحاولت أن تضع ذراعيها حول عنقه العاجي. «هلاّ توقّفت!» قال صارخاً، «وإلا فسوف أهرب بعيداً وأهجر هذا المكان وإياك!»

من القوة على المرأة هو - في الجوهر - يقلب اللعبة رأساً على عقب، موظّفاً أسلحة أنثويّةً ضدّها؛ بدون أن يخسر هويّته الرجولية، كلما كان أنثويّاً بطريقةٍ أكثر خفاءً كلّما كان الإغواء أكثر فاعليّة. لا تكن واحداً من أولئك الذين يعتقدون أن الشيء الأكثر إغوائيّةً هو أن تكون ذكوريّاً بشكلٍ مُدَمّر. الغندور الأنثوي لديه أثرٌ أكثر تهديداً. هو يستدرج المرأة بما تريده بالضبط - حضورٌ مألوفٌ وسارٌ ولبق. من خلال عكس صورة النفسية الأنثوية، فإنّه يُبدي للعيان انتباهه إلى مظهره، حساسيّته للتفاصيل، مغناجيّته الطفيفة - ولكن يُظهِر أيضاً لمسةً من القسوة أو الوحشية الذكورية. النساء نرجسيّات، مغرماتٌ بسحر وفتنة جنسهن الخاص. من خلال جعلهن يَرَين السحر الأنثوي، يستطيع الرجل أن ينوّمهنّ مغناطيسيّاً ويجرّدهنّ من السلاح، تاركاً إياهنّ ضعفاء إزاء خطوةٍ رجوليّة جريئة.

يستطيع الغندور الأنثوي أن يغوي على نطاقٍ واسع. لا تستطيع امرأةٌ واحدةٌ أن تتملّكه حقّاً - فهو مُحيّرٌ وشديد المراوغة - لكن كلّهنّ يستطعن تخيّل فعل هذا. المفتاح هو الغموض: جنسانيتك بلا جدال تتّجه نحو الجنس الآخر، لكن جسدك ونفسيّتك يطوفان بابتهاجٍ جيئةً وذهاباً بين القطبين.

أنا امرأة. كلُّ فنانٍ هو امرأة ويجب أن يكون لديه وُلوعٌ تجاه النساء الأخريات. الفنانون الذين يكونون مثليين لا يمكن أن يكونوا فنانين حقيقيين لأنهم يحبّون الرجال، وبما أنهم أنفسهم نساء فهم يرتدّون إلى الحالة السويّة.

- بابلو بيكاسو

اعترى الخوف سالماسيس: «سأتخلّى عن هذه البقعة لك أيها الغريب ولن أتدخّل،» قالت وهي تشيح عنه، متظاهرةً بالابتعاد.... الصبي في هذه الأثناء، وهو يعتقد نفسه وحيداً وغير مراقب، تمشّى عبر الدروب على المروج المعشوشبة، وغطّس في المياه المتموّجة رؤوس أصابعه ثم قدميه وصولاً إلى الكاحلين. ومن ثم، مدفوعاً بالبرودة المُغرية للماء، سرعان ما جرد جسده الشاب من أرديته الناعمة. كانت سالماسيس قد شُدِهَت بالمشهد. كانت تتحرق بلهيب الهيام لامتلاك جماله العاري، وعيناها بالتحديد اتّقدتا ببريقٍ شبيهٍ بذلك المُميّز للشمس المُبهِرة، عندما ينعكس قرصها البرّاق في المرآة....تاقت لأن تعانقه ثم وبصعوبة

الغندورة الذكورية

في سبعينات القرن التاسع عشر، كان القسّ هنريك جيلوت الأثير لدى طليعة أهل الفكر في مدينة سان بطرسبرغ. كان شابّاً، وسيماً، واسع الاطّلاع في الفلسفة والأدب، وكان يَبَشّر بنوعٍ من المسيحيّة المُتنوّرة. العديد من الفتيات اليافعات كنّ قد وَلِعنَ به وتقاطرنَ إلى عِظاته لينظرن إليه فقط.

في عام 1878، على أيّة حال، التقى بفتاةٍ غيّرت حياته. اسمها كان لو فون سالوم (المعروفة لاحقاً باسم لو آندرياس ـ سالوم)، وكانت هي في السابعة عشر؛ هو كان في الثانية والأربعين.

سالوم كانت جميلةً وذات عينين زرقاوين مُشِعّتين. كانت قد قرأت الكثير وخاصّةً بالنسبة لفتاةٍ في مثل سنّها، وكانت مهتمّةً بأكثر المسائل الفلسفية والدينية جِدّيّةً. شِدّتها، ذكاؤها، وسرعة استجابتها للأفكار رمت بتعويذةٍ سحريّة على جيلوت. عندما كانت تدخل مكتبه من أجل مناقشاتها معه التي كانت تتكرّر بشكلٍ متزايد، فإنّ المكان كان يبدو أكثر تألّقاً وحياةً. من الجائز أنها كانت تغازله، بالأسلوبِ غير المقصود لفتاةٍ يافعة ـ ومع ذلك فعندما أقرّ جيلوت لنفسه أنه كان يحبّها، وطلب يدها، فقد ذُعِرَت سالوم. القسّ المُشوّش والمرتبك لم يتجاوز تماماً لو فون سالوم، مُصبحاً بذلك أوّل حلقةٍ في سلسلةٍ طويلةٍ من الرجال المشهورين الذين صاروا ضحيّة تيمٍ بها (إلى درجة العته) غير مُحقّقٍ ومستمرٍّ مدى الحياة.

في عام 1882، كان الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشة يتجوّل في أرجاء إيطاليا وحيداً. استلم في جَنَوَة رسالةً من صديقه الفيلسوف البروسي بول ري الذي كان نيتشة معجباً به، يَسرُدُ بها مناقشاته مع سيّدة روسيّة شابّة واستثنائية، لو فون سالوم، في روما. كانت سالوم هناك في عطلة مع أمها؛ تدبّرَ ري أن يرافقها في نزهاتٍ طويلة على القدمين عبر المدينة ـ بدون مشرفٍ أو رقيب ـ وحظيا بالعديد من المناقشات. كانت أفكارها عن الله والمسيحيّة شبيهةً جدّاً بأفكار نيتشة، وعندما أخبرها ري أن الفيلسوف المشهور كان صديقاً له، فقد أصرّت على أن يدعو نيتشة للانضمام لهم. في الرسائل التالية وصف ري كم كانت سالوم آسرةً بشكلٍ غامض، وكم كانت مُتَلَهّفةً للالتقاء بنيتشة. سرعان ما ذهب الفيلسوف إلى روما.

عندما التقى نيتشة بسالوم أخيراً، فقد تأثّر بشكلٍ كبير. كان لديها أجمل عينين كان قد رآهما في حياته كلها، وخلال محادثتهما الطويلة الأولى أضاءت تلك العينان بشدّةٍ بالغة بحيث لم يستطع أن يمنع نفسه من الإحساس بأنّه كان هناك شيءٌ شهوانيّ حيال تَشَوّقها. ومع ذلك فقد ارتبك واضطرب هو أيضاً: إذ حافظت سالوم على مسافة، ولم تستجب لإطراءاته.

ضبطت نوبة تَخَيلها. غطس هيرمافروديتس بسرعةٍ في التيار وهو يرّبت بيديه على جسمه. لدى رفعه لذراعه الأولى ومن ثم الثانية، ومض جسمه في المياه الصافية، وكأن أحدهم أودع تمثالاً من العاج أو الزنبق الأبيض في زجاجٍ شفّاف.

«لقد فزت! هو لي!» صرخت الحورية وهي تطرح ثيابها جانباً، وتندفع بسرعة بالغة نحو قلب البركة. قاومها الصبي، لكنّها احتضنته، واختطفت قبلاتٍ وهو يكافح، واضعةً يديها تحته، مُمَسّدةً صدره الرافض، ومُتَشَبّثةً به، حيناً على هذا الجانب، وحيناً على ذاك الجانب. • في آخر المطاف، وبالرغم من كل محاولاته للتملص من قبضتها، فقد التفّت حوله،

يا لها من امرأة شابّة شيطانيّة. بعد بضعة أيام قرأت له شعراً من تأليفها فبكى؛ كانت أفكارها عن الحياة شبيهةً جدّاً بأفكاره. مقرّراً أن ينتهز اللحظة، طلب نيتشة الزواج منها. (لم يعلم أن ري كان قد فعل هذا أيضاً). رفضت سالوم. كانت مهتمّةً بالفلسفة، بالحياة، بالمغامرة، لكن ليس بالزواج. كونه لم تُثبط همّته، فقد تابع نيتشة التّودّد لها. في رحلةٍ إلى بحيرة أورتا مع ري وسالوم وأمها، تدبّر أن يستفرد بها ويرافقها في نزهةٍ صعوداً إلى جبل ساكرو بينما تخلّف عنهم الآخرون. من الواضح أن المناظر وحديث نيتشة معها كان لديها الأثر العاطفيّ المناسب؛ ففي رسالةٍ لاحقةٍ لها، وصف هذه النزهة بـ «أجمل يوم في حياتي.» الآن أصبح رجلاً ممسوساً: كل ما استطاع أن يفكّر به كان أنْ يتزوّج من سالوم ويحصل عليها كلّها لنفسه.

بعد عدّة أشهر زارت سالوم نيتشة في ألمانيا. تَنَزّها لمسافاتٍ طويلةٍ مع بعضهما البعض، وأمضيا الليل كله وهما يتناقشان في الفلسفة. عكست صورة أعمق أفكاره، واستبقت أفكاره حول الدين. ومع ذلك فعندما طلب نيتشة يدها مجدّداً، فقد وبّخته كالمعتاد: لقد كان نيتشة، في النهاية، من طوّر الدفاع الفلسفي عن «الرجل الخارق»؛ رجلٌ فوق جميع الأخلاقيات العاديّة. ومع ذلك فقد كانت سالوم بالفطرة أقل تَمَسُّكاً بالأعراف والتقاليد بكثيرٍ مما كان عليه نيتشة. أسلوبها الصلب والذي لا يقبل بالتسويات لم يؤدِّ إلّا إلى تعميق السحر الذي ألقته عليه، كذلك فعلت لمسة القسوة التي لديها عندما تركته أخيراً، موضحةً بذلك أنه ليس لديها نيّة للزواج به، كان قد دُمّر نيتشة. كترياقٍ ضد ألمه، ألّف *هكذا تكلّم زرادشت*، كتابٌ مليءٌ بالشهوانية المتسامية ومُلهَمٌ بشكلٍ عميق بمناقشاته معها. من ذلك الحين فصاعداً أصبحت سالوم معروفة عبر أوروبا بالمرأة التي حطّمت قلب نيتشة.

انتقلت سالوم إلى برلين. سرعان ما وقع كبار مفكّري المدينة تحت تأثير سحر استقلاليتها وروحها الحرّة. أصبح الكاتبان المسرحيان جرهارت هاوبتمان وفرانز ڤدكيند مُتيّمين بها؛ في عام 1897، وقع في حبّها الشاعر النمساوي العظيم راينر ماريا رايلكة. في ذلك الوقت كان قد ذاع صيتها بشكلٍ كبير، وأصبحت روائيّةً ذات كتبٍ منشورة. هذا بالتأكيد لعب دوراً في إغواء رايلكة، لكنّه كان أيضاً مشدوداً لنوعٍ من الطاقة الذكورية التي وجدها عندها ولم يرها قط عند أيّة امرأة. رايلكة كان حينها في الثانية

كالأفعى عندما تُحمَل في الهواء من قبل ملك الطيور؛ لأنها، حين تتدلّى من منقار النسر، فإن الأفعى تلتف حول رأسه ومخالبه وبذيلها تُقيّد جناحيه المُتَخبطين...» تستطيع القتال، أيها الحَرون، لكنك لن تهرب. عسى أن تمنحني الآلهة هذا، عسى ألا يأتي زمنٌ يُبعده عنّي، أو يبعدني عنه!» وجدت دعواتها استحساناً من الآلهة: لأنه، عندما اضطجعا سويّةً، فإن جسديهما اتّحدا ومن كونهما شخصين فقد استحالا إلى شخصٍ واحد. كعندما يُقحِم الحدائقي عسلوج التطعيم في الشجرة، ويشاهد الاثنين يتّحدان أثناء نُموّهما، ويصلان إلى النضج سويّةً، وهكذا فإن الحوريّة والصبي حين التقاء أوصالهما في ذلك العناق المُتَشَبث لم يعودا اثنين، وإنّما

والعشرين، وسالوم في السادسة والثلاثين. كتب لها رسائل حبٍّ وأشعار، وتبعها إلى كل مكان، وابتدأ علاقةً معها دامت عدّة سنوات. صَحّحت شعره، فرضت انضباطاً على أبياته الشعريّة المغرِقة في الرومانسية، وألهمت أفكاراً لأشعارٍ جديدة. لكنّها اشمأزّت من اعتماده الطفوليّ عليها، ومن ضعفه. كونها لم تكن لتحتمل الضعف من أي نوع، فقد هجرته في النهاية. استمرّ رايلكة بملاحقتها لفترة طويلة بعد أن استهلكته ذكراها. في عام 1926، وهو على سرير موته، ترجّى أطبّاءه قائلاً: «اسألوا لو ما علّتي. هي الوحيدة التي تعرف.

كتب أحد الرجال عن سالوم، «كان هناك شيءٌ مخيفٌ في عناقها. وهي تنظر إليك بعينيها الزرقاوين المشعّتين، كانت تقول: «استقبال المَنيّ بالنسبة لي هو ذروة النشوة.» وكان لديها شهيّةٌ له لا ترتوي. كانت فاقدة بالكامل لحس المسؤولية الأخلاقية ... كانت مصّاص دماء.» المعالج النفسي السويدي بول بجير، أحد انتصاراتها اللاحقة، كتب، «أظن أن نيتشة كان محقّاً عندما قال أن لو كانت امرأة شرّيرة بكل معنى الكلمة. شريرة، على أيّة حال بالمعنى الذي حدّده جوتة (الشاعر والروائي والكاتب المسرحي والعالم الألماني): الشر الذي ينتج الخير.... لعلّها قد دمّرت حيواتٍ وزيجات لكنّ حضورها كان مُشَوِّقاً ومُثيراً.»

العاطفتان اللتان شعر بهما تقريباً كلّ ذكرٍ في حضور لو آندرياس ـ سالوم كانتا الاضطراب والإثارة ـ الإحساسان اللازمان لأي إغواءٍ ناجح. أُسكِر الناس بمزيجها الغريب من الذكورة والأنوثة؛ لقد كانت جميلةً وذات ابتسامةٍ مُشعّة وسلوكٍ مغناجٍ رشيق، لكن استقلاليّتها وطبيعتها المغرقة في التحليل جعلاها تبدو رجلاً بشكلٍ غريب. هذا الالتباس عبّرت عنه عيناها، اللتان كانتا مغناجتين ومُتَفَحّصتين على حدٍّ سواء. لقد كان الارتباك ما أبقى الرجال مهتمين وفضوليين: لم تكن امرأةٌ أخرى على هذه الشاكلة. أرادوا أن يعرفوا أكثر. نبعت الإثارة من قدرتها على تحريك الرغبات المكبوتة. كانت مُنشقّةً ومستقلّةً بالكامل، وأن تشتبك معها كان يعني أن تُحَطّم جميع أنواع المحرّمات. ذكوريّتها جعلت العلاقة تبدو مثليّةً بشكلٍ مبهم: المسحة الطفيفة من الاستبداد والقسوة التي لديها استطاعت أن تُحرّك أتواقاً مازوشيّة، كما فعلت مع نيتشة. شعّت سالوم بجنسانيّةٍ محرّمة. أثرها القوي على الرجال ـ

هيئةً واحدةً، مُتسِمةً بطبيعةٍ ثنائية، والتي لا يمكن تسميتها ذكراً أو أنثى، وإنما بدت في نفس الوقت كلاهما ولا أحَدٌ منهما.

ـ أوفيد، *التحوّلات*، ترجمة ماري إم. إينِس

الغندرة هي ليست حتى، كما يفترض في الظاهر العديد من الناس غير المُتَفَكّرين: اهتمامٌ مفرطٌ بالمظهر الشخصي والأناقة المادية. لأنه بالنسبة للغندور الحقيقي فإن هذه الأشياء هي مجرّد رمزٍ للترفّع الأرستقراطي لشخصيّته... • ماذا يكون إذن هذا الشغف المستبد الذي تحوّل إلى عقيدة وأبدع طغاته المُحَنّكين الخاضين به؟ ماذا يكون هذا الدستور غير المكتوب الذي خلق هكذا طبقة منغلقة ومُتَعَجرفة؟

حالات التّيم التي امتدّت على طول حياة أصحابها، الانتحارات (كان هناك عدّة واقعات)، فترات الإبداع الكثيف، توصيفها كمصّاص دماء أو شيطان ـ تشهد على الأعماق المظلمة من النفس التي كانت قادرةً على أن تصل إليها وتُقلق راحتها.

تنجح الغندورة الذكورية من خلال عكس الأنماط الاعتياديّة لتفوّق الرجل في مسائل الحب والإغواء. استقلاليّة الرجل الواضحة، قدرته على الانفصال، غالباً ما تبدو أنها تعطيه اليد العليا في الحركيّة ما بين الرجال والنساء. امرأةٌ أنثويّةٌ بشكلٍ كامل سوف توقظ الرغبة، لكنّها عرضةٌ دائمةٌ للفقدان التّزوي لاهتمام الرجل؛ امرأةٌ ذكوريّةٌ بشكلٍ صافٍ، من ناحيةٍ أخرى، لن تثير ذلك الاهتمام على الإطلاق. ولكن اتّبعي درب الغندورة الذكورية، وستُحيّدين كل قوى الرجل. إيّاك وأن تكرّسي نفسك كلّياً؛ عليك أن تحتفظي دائماً بسيماءٍ من الاستقلاليّة والتّحكّم بالنفس بينما تكونين شغوفةً وفي حالةٍ جنسيّةٍ. قد تتحرّكين باتجاه رجلٍ تالٍ، أو سوف يفكّر على هذا النحو. أنت لديك أمورٌ أخرى أكثر أهمية لتشغلي نفسك بها، مثل عملك. الرجال لا يعرفون كيف يحاربون النساء اللواتي تستخدمن أسلحتهم الخاصة ضدّهم؛ فهم مأسورون، مُستثارون، ومنزوعو السلاح. قلّةٌ من الرجال يستطيعون مقاومة الملذّات المحرّمة المُقدّمة من قبل الغندورة الذكورية.

إنه، فوق كل اعتبار، حاجة مُلحّة لإحراز الأصالة، ضمن الحدود الظاهرة للعرف. إنها نوعٌ من إعجاب المرء بنفسه لدرجة العبادة، والذي يمكنه الاستغناء عما يُعرف عادةً بالأوهام. إنها البهجة في إحداث الانبهار، والرضى الباعث على الفخر والاعتداد بكون المرء نفسه غير منبهرٍ أبداً....

ـ شارل بودلير، *الغندور*، مُقتَبَس بالإنابة من: *مقتطفات أدبية مختارة*، تحرير ريتشارد داڤنبورت ـ هاينس

الإغواء المنبعث من شخصٍ ذي جنسٍ غيرِ مُحدّد أو مُتنكّر يكون قوياً.

ـ كوليت

المفاتيح إلى الشخصية

العديد منّا في يومنا هذا يتصوّر أن الحرّية الجنسيّة قد حدثت في السنين الأخيرة ـ أن كلّ شيءٍ قد تغيّر، إلى الأفضل أو الأسوأ. هذا وهمٌ في معظمه؛ قراءةٌ في التاريخ تكشفُ فتراتٍ من الفسق (روما الإمبراطورية،

في خضم هذا العرض من فن الحكم، الفصاحة، الذكاء والطموح المتسامي، فإنّ ألسيبيادس عاش حياةً من الترف الاستثنائي، التسكر،

إنكلترا أواخر القرن السابع عشر، «العالم العائم» في يابان القرن الثامن عشر) أكثر تجاوزاً وفحشاً وإسرافاً مما خبرناه في عصرنا الحالي. الأدوار المُسندة تبعاً للجنس في حالة تغيُّر بالتأكيد، لكنّها قد تغيّرت من قبل. المجتمع في حالة تدفّقٍ مستمرّ؛ لكنْ هناك شيءٌ لا يتغيّر: السواد الأعظم من الناس يطيعون ويعملون وفق أيّ شيءٍ سويٍّ بالنسبة لعصره. يلعبون الدور المخصّص لهم. الامتثال هو ثابتٌ لأن الناس هم مخلوقات اجتماعية يحاكي أحدها الآخر على الدوام. في نقاطٍ مُعَيّنةٍ من التاريخ قد يكون مما يتماشى مع الذوق العام أن تكون مختلفاً وثائراً، لكن إذا لعب ذلك الدور العديد من الناس، فلن يكون هناك شيءٌ مختلفٌ أو ثوريٌّ حياله.

الفستق، والعجرفة. كان مختّناً في زيّه ويمشي في السوق مجرجراً أرديته الطويلة الأرجوانية، وينفق بإسراف. حرص على إزالة ظهر مركبه ذو الثلاث مجاذيف حتى يتسنّى له النوم براحة أكبر، وتحته كان معلّقاً على الحبال وليس مفروشاً على الألواح الخشبية القاسية. كان لديه درعٌ ذهبية مصنوعٌ لأجله، والذي كان مزخرفاً ليس بأي شعارٍ ذي علاقةٍ بالأسلاف، وإنما بصورة إيروس(إله الحب) مسلّحاً بصاعقة. الرجال البارزين في أثينا شاهدوا كل هذا بتقزز وسخط وكانوا متضايقين بشدة من سلوكه الراشح بالازدراء والخارج عن القانون، والذي بدا بالنسبة لهم مَهولاً وأوحى لهم بسلوكيات طاغية.

لا يجب أبداً أن نشتكي من الامتثال العبودي لدى الناس، لأنه، على أيّة حال، يقدّم إمكاناتٍ لا تحصى للقوة والإغواء لأولئك المستعدّين لتحمّل بعض المخاطر. فقد وُجِد الغنادير وفي جميع العصور والثقافات (آلسيبايدس في بلاد الإغريق القديمة، كوريتشيكا في يابان أواخر القرن العاشر)، وحيثما حلّوا فقد ازدهروا على الدور الامتثاليّ والانسجامي الذي لعبه الآخرون. يعرض الغندور اختلافاً حقيقيّاً وجذريّاً عن بقيّة الناس، اختلافاً في المظهر والسلوك. بما أننا مقموعون بشكلٍ سرّي نتيجةً لغياب الحرية، فنحن ننجذب إلى أولئك الأكثر تدفّقاً والذين يزدهون باختلافهم.

الغنادير يغوون اجتماعيّاً كما يغوون جنسيّاً؛ المجموعات تتشكّل من حولهم، أسلوبهم يُحاكى بشكلٍ مسعور، بلاطٌ أو حشدٌ بحاله سوف يقع في حبّهم. تذكّرْ عندما تتبنّى شخصيّة الغندور لأغراضك الخاصة أن الغندور بالطبيعة هو زهرةٌ نادرة وجميلة. كنْ مختلفاً بطرقٍ صارخةٍ وجميلةٍ معاً، وإيّاك والسوقيّة؛ حرّك المرح حيال الصيحات الرائجة، اذهب في اتّجاهٍ جديد، وكن غير مهتمٍّ بالمرّة بما يفعله أيّ واحدٍ آخر. معظم الناس يفتقرون إلى الإحساس بالثقة والأمان؛ سوف يتساءلون عن جديدك وعما أنت بصدده، وسوف يسيرون ببطء نحو الإعجاب بك وتقليدك، لأنك تعبّر عن نفسك بثقة تامة.

عُرّف الغندور تقليديّاً باللباس، وبالتأكيد فإنّ معظم الغنادير يخلقون أسلوباً مرئيّاً فريداً. بو برَمِل الغندور الأشهر على الإطلاق، كان يمضي

ساعاتٍ على طاولة الزينة، وبالتحديد على عقدة ربطة عنقه المصمّمة بأسلوبٍ فريد لا يمكن تقليده، والتي أصبح من أجلها مشهوراً في أرجاء إنكلترا في بواكير القرن الثامن عشر. لكن أسلوب الغندور لا يمكن أن يكون واضحاً، لأن الغنادير حاذقون وماكرون، ولا يسعون بجهدٍ أبداً للانتباه - فالانتباه من يسعى وراءهم. الشخص الذي تكون ثيابه مختلفة بشكلٍ فاضح يكون لديه قليلٌ من المخيّلة أو الذوق. يُظهر الغنادير اختلافهم باللمسات الطفيفة التي تُبرز أنفتهم من التقاليد: صُدرة ثيوفيل جوتير الحمراء، بذلة أوسكار وايلد الخضراء المخملية، شعر آندي وارهول المستعار الفضّي. كان لدى رئيس الوزراء البريطاني بنجامين دزرائيلي عكّازان فخمان جدّاً، واحدة للصباح وواحدة للمساء؛ عند الظهر كان يبدّل بين العكّازين، بغض النظر عن مكان وجوده. الغندورة الأنثى تعمل بطريقةٍ مشابهة. فلنقل إنّها قد تتّخذ ملابس ذكورية، لكن إذا فعلت، فلمسةٌ هنا ولمسةٌ هناك سوف تميّزانها بحق: لم يلبس رجلٌ تماماً كما لبست جورج ساند. القبّعة المفرطة في الطول، جزمة الفروسية المرتداة في شوارع باريس، جعلتاها منظراً للمشاهدة.

تذكّر، لا بد أن يكون هناك نقطةٌ مرجعيّة. إذا كان أسلوبك المُشاهَد غير مألوفٍ كلّياً، فسوف يعتقدك الناس أنك في أفضل الأحوال مستجدياً للاهتمام تعوزه الحذاقة، وفي أسوئها مجنوناً. بدلاً من ذلك، إخلق إحساسك الخاصّ بالموضة من خلال تبنّي وتبديل الأساليب والأزياء السائدة لتجعل نفسك موضع افتتان. إفعل ذلك بشكلٍ صحيح وسوف يتم تقليدك بشكلٍ جامح. الكونت دورساي، أحد غنادير لندن العظام في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، كان مُراقباً عن كثب من أهل الموضة؛ في أحد الأيام عَلِقَ في عاصفةٍ مطريّة في لندن، فاشترى ما يُعرَف بالبالتروك، وهي نوعٌ من سترةٍ صوفيّةٍ ثقيلة ذات قلنسوة، منزوعةٍ عن ظهر بحّارٍ هولّندي. أصبح البالتروك على الفور أفضل معطفٍ للارتداء. تقليد الناس لك، هو بالطبع، علامة على قواك في الإغواء.

لكنّ عدم امتثال الغنادير للأعراف الاجتماعية وعدم انسجامهم معها يمضي إلى ما هو أبعد بكثيرٍ من المظاهر. إنه موقفٌ تجاه الحياة يميّزهم عن غيرهم؛ تبنَّ ذلك الموقف وسوف تتكوّن حولك حلقة من الأتباع. الغنادير

وخير من عبّر عن مشاعر الناس حياله وعلى أكمل وجه كان أريستوفان في قوله: «يتوقون إليه، يكرهونه، لا يستطيعون الاستغناء عنه...» • الواقع كان أن تبرعاته الطوعية، والاستعراضات العامة التي كان يدعمها، وسخاؤه المنقطع النظير مع الدولة، وشهرة أسلافه، وقوة خطابته وقوّته الجسمانية وجماله ... جميعها اتّحدت لتجعل الأثينيين يسامحونه على كل شيءٍ آخر، كانوا باستمرار يتوسّلون تعابير ملطّفة عن انحرافاته ويعزونها لمعنويّاته اليافعة والعالية ولطموحه الجدير بالاحترام.

- بلوتارك، «حياة السيبيادس،» *قيام وسقوط أثينا: تسع حيوات إغريقية*، ترجمة أيان سكوت - كيلڤرت

صفيقون بشكلٍ هائل. لا يكترثون بالناس الآخرين، ولا يحاولون أبداً أن يُرضوا. في بلاط لويس الرابع عشر، لاحظ لابرويية أن رجال البلاط الذين حاولوا أن يسترضوا بشدّة كانوا بشكلٍ شبه دائم في طريقهم للانحدار؛ لا يوجد شيء أكثر تنفيراً. كما كتب باربي دوريڤيللي، «الغنادير يرضون النساء من خلال إغضابهن.»

كانت الصفاقة جوهرية لجاذبيّة أوسكار وايلد. في مسرحٍ في لندن ذات ليلة، بعد العرض الأول لإحدى مسرحيّات وايلد، صاح الجمهور المنتشي طلباً للمؤلّف كي يظهر على الخشبة. جعلهم وايلد ينتظرون وينتظرون، ثم ظهر أخيراً وهو يدخّن سيجارة ويضع على وجهه تعبير الازدراء الكامل. وبّخ معجبيه بقوله: «قد يكون من سوء السلوك أن أظهر هنا وأنا أدخّن ولكنه من الأسوأ بكثير أن تزعجوني وأنا أدخّن.» كان الكونت دورساي صفيقاً لدرجة مساوية. في نادي لندنيّ ذات ليلة، أوقع أحد أفراد روثشيلد الذي كان مشهوراً ببخله عن طريق المصادفة قطعةً نقديّة ذهبيّة على الأرض، ومن ثم انحنى ليبحث عنها. استلّ الكونت بسرعة ورقةً من فئة الألف الفرنك (التي تساوي أكثر بكثير من القطعة النقديّة)، ومن ثمّ لفّها وأشعلها كشمعة، وجثم على أربعته، وكأنّه يساعد على إنارة سبيل البحث. فقط الغندور يستطيع أن يفلت بجراءة كهذه. غطرسة الخليع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً برغبته بانتزاع إعجاب المرأة؛ فهو لا يهتم بشيءٍ آخر. أمّا عجرفة الغندور، من جهة الأخرى، فتستهدف المجتمع وتقاليده. إنها ليست المرأة من يسعى لانتزاع إعجابها وإنّما مجموعة بأكملها، أو عالمٌ إجتماعيٌ بأكمله. وبما أن الناس مقموعون عموماً بواجبِ أن يكونوا دائماً مهذّبين ومُضَحّين، فهم يُسَرّون بقضاء الوقت حول شخصٍ يترفّع عن تفاصيلِ كهذه.

الغنادير سادة في فن الحياة. هم يعيشون من أجل المتعة، لا من أجل العمل؛ ويحيطون أنفسهم بالأشياء الجميلة ويأكلون ويشربون بنفس التّلذّذ الذي يظهرونه حيال ملابسهم. هذه كانت الكيفيّة الي تمكّن من خلالها الكاتب الروماني العظيم بترونيوس، مؤلّف *ساتيريكون*، من أن يغوي الإمبراطور نيرون. على النقيض من سينيكا البليد، المفكّر الرّواقي العظيم

مزيدٌ من الضوء - فيضٌ كاملٌ منه - مُلقى على جاذبية الذكر بعينها للأنثى وهو في الثوب النسائي الداخلي، في يوميّات راهب شوازي الفرنسي، واحدٌ من أكثر الرجال النسويين ألمعيّةً في التاريخ، والذي عنه سنسمع الشيء الكثير فيما بعد. الراهب الفرنسي، كاهنٌ في باريس، كان يتنكر دائماً بملابس النساء. عاش في أيام لويس الرابع عشر، وكان صديقاً عظيماً لشقيق لويس، والذي كان مدمناً بدوره على ثياب النساء. فتاةٌ شابّة، الآنسة شارلوت، الغارقة لأذنيها في صحبته، وقعت في حبّ الراهب على نحوٍ مستقتل، وعندما تطوّرت العلاقة الغرامية إلى علاقة جنسية سرية، سألها الراهب عن الكيفية

ومؤدّب نيرون، (الرواقيّة هي المذهب الذي أنشأه زينون حوالي عام 300 ق.م والذي قال بأن الرجل الحكيم يجب أن يتحرّر من الانفعال ولا يتأثّر بالفرح أو الترح وأن يخضع من غير تذمّر لحكم الضرورة القاهرة: المترجم) فقد علم بترونيوس كيف يجعل من كل تفصيلٍ من تفاصيل الحياة مغامرة جماليّة كبرى، من العيد إلى المحادثة البسيطة. هذا ليس موقفاً ينبغي عليك أن تفرضه على أولئك الذين من حولك ـ لا تستطيع أن تجعل من نفسك شيئاً مزعجاً ـ لكنّك إن بدوتَ واثقاً في المواقف الاجتماعيّة ومتأكّداً من ذوقك، فسوف ينجذب إليك الناس.المفتاح هو أن تجعل كل شيءٍ خياراً جماليّاً. قدرتك على أن تخفّف الضجر من خلال جعل الحياة فنّاً سوف يجعل من صحبتك شيئاً جديراً بأن يُناضَلَ من أجله.

الجنس الآخر هو بلادٌ أجنبيّة لا نستطيع أن نعرفها أبداً، وهذا يُشوّقنا ويخلق التوتّر الجنسيّ الملائم. لكنّه أيضاً مصدر إزعاجٍ وإحباط. الرجال لا يفهمون كيف تفكّر النساء، والعكس بالعكس؛ فكلٌّ يحاول أن يجعل الآخر يتصرّف وكأنّه من أحد أفراد جنسه الخاص. قد لا يحاول الغنادير أبداً أن يسترضوا، لكنّهم يملكون أثراً مرضياً في هذا المجال الوحيد: فهم يخاطبون نرجسيّتنا المتأصّلة من خلال تبنّي الميول والنزعات النفسيّة للجنس الآخر. شعرت النساء بانجذابٍ خاص تجاه رقّة ورهافة رودولف ڤالنتينو واهتمامه بالتفاصيل في عمليّة المغازلة؛ شعر الرجال بانجذابٍ خاص تجاه عدم الرغبة بالالتزام لدى لو آندرياس سالوم. في البلاط الهاياني (نسبةً إلى مدينة هايان ـ كيو أو ما يُعرَف في عصرنا هذا باسم كيوتو) في يابان القرن الحادي عشر، كانت ساي شوناجون، مؤلّفة *كتاب الوسادة*، مُغويةً للرجال بشكلٍ قويّ، وخاصّةً للأنماط الأدبيّة منهم. كانت ذات استقلاليّةٍ رهيبة، كتبت أفضل الشعر، وكانت بعيدةً من الناحية الوجدانية. أراد الرجال منها أكثر من مجرّد الصداقة أو الرفقة؛ وقعوا في حبّها بعد أن فُتِنوا بتقمّصها لنفسيّة الرجل، كما لو كانت رجلاً آخر. هذا النوع من العبور العقلي الجنسي - القدرة على دخول روح الجنس الآخر، التكيّف مع طريقته في التفكير، عكس صورة أذواق ومواقف أفراده ـ من الممكن أن يكون عنصراً جوهريّاً في الإغواء. إنه نوع من التنويم المغناطيسي لضحيّتك.

التي أمكنه من خلالها الظفر بها.. • «وقفت من دون حاجةٍ إلى الحذر كالذي يتعيّن عليّ إزاء الرجل. لم أر شيئاً سوى امرأةٍ جميلة، ولماذا يتعيّن عليّ أن أكون منهيّةً عن حبّك؟ يا للميزات التي يمنحك إياها زي المرأة! قلب الرجل موجودٌ هنالك، وذلك ما يُخَلّف فينا أثراً عظيماً، ومن ناحية لأخرى، فكل سحر الجنس اللطيف يسحرنا، ويمنعنا من اتّخاذ الاحتياطات.»

ـ سي.جاي. بوليت، *ڤينوس كاستينا*

كان بو برمل يُعتبر غير متوازنٍ في شغفه بالغسولات اليومية. تزيّنه الصباحي الطقوسي كان يستغرق أكثر من خمس ساعات، ساعة مُشتَهلكة في حشر نفسه بوصَّةً تِلو

تبعاً لِفرويد، فإن ليبيدو الإنسان يكون ثنائي الجنس بصورةٍ رئيسية؛ معظم الناس يشعرون بالانجذاب بطريقةٍ أو بأخرى لأناسٍ من جنسهم الخاص، لكن القيود الاجتماعية (تتنوّع تبعاً للثقافة والحقبة التاريخية) تكبح وتكبت هذه الدوافع. الغندور يمثّل تحرّراً من هذه القيود. في عدّة مسرحيّات لشكسبير، كان على فتاةٍ يافعة (عندئذٍ، الأدوار الأنثوية في المسرح كانت تُؤدّى في الواقع من قبل ممثّلين ذكور) أن تتنكّر وتلبس كصبي، مثيرةً بذلك كل أنواع الاهتمام الجنسي لدى الرجال، الذين يُسَرّون فيما بعد باكتشافهم أن الصبي هو في الحقيقة فتاة. (فكّر، على سبيل المثال، بِروزاليند في كما تُحبّها.) المُغنّيات كجوزفين بايكر (المعروفة باسم الشوكولا الغندورة) ومارلين ديترش كنّ يلبسن كالرجال في عروضهم، جاعلين أنفسهن بذلك محبوباتٍ وشعبيّات بشكلٍ جامح ـ بين الرجال. في هذه الأثناء دائماً ما كان الذكر المُتأنّث بشكلٍ طفيف، الصبي الجميل، مغوياً للنساء. جسّد ڤالنتينو هذه الخاصّية. كان لدى إلفيس برسلي ملامح أنثوية (الوجه، الأرداف)، ارتدى قمصاناً زهريّة مكشكشة ووضع ماكياجاً للعيون، واجتذب انتباه النساء منذ البداية. صانع الأفلام كينيث آنجر قال عن ميك جاجر أنّ «السحر المزدوج الجنسانية كان ما أسّس جزءاً مهمّاً من الجاذبية التي كانت لديه على الفتيات اليافعات ... والذي فعل فعله على اللاوعي لديهم.» في الواقع فقد تمّت، ولقرون، قولبة الجمال الأنثوي في الحضارة الغربية والنظر إليه كموضع هوس وولع جنسيّ أكثر بكثير من الجمال الذكوري، لذا فإنه من المفهوم أن وجهاً أنثويّ الشّكل كوجه مونتغمري كليفت كان لديه قوّةٌ إغوائية أكبر بكثير من تلك التي عند جون واين.

رمز الغندور لديه مكان في السياسة أيضاً. جون إف. كينيدي كان مزيجاً غريباً ممّا هو ذكوري وما هو أنثوي، رجوليّ في قسوته مع الروس، ولعبات كرة القدم في مرج البيت الأبيض، ومع ذلك أنثوي في مظهره الرشيق والأنيق. كان هذا الالتباس جزءاً كبيراً من جاذبيته. كان دزرائيلي غندوراً شديد الغندرة فيما يتعلّق باللباس والسلوك؛ ممّا جعل البعض يشكّك فيه كنتيجةٍ لذلك، لكن شجاعته التي تجلّت في عدم الاهتمام بما يعتقده الناس عنه أكسبته الاحترام أيضاً. وهامت به النساء بالطبع، لأن النساء يهمّنَ

البوصة في بنطلونه القصير المصنوع من جلد الغزال، ساعة مع مزيّن الشعر وساعتين أخريتين في ربط و«تغضين» سلسلة من الكرافاتات المُنشّاة حتى يتم تحقيق الكمال. لكن قبل كل شيئ ساعتان كانتا تُنفقان في فرك نفسه بحماسة هوَاستية من الرأس إلى القدمين بالحليب، وبالماء مع الكولونيا... بو برمل قال أنه كان يستخدم رغوة الشامبانيا حصراً لتلميع جزمته العالية ذات الشُترابات. كان لديه 365 علبة سعوط، ما ناسب منها ملابس الصيف كان لا مجال للتفكير فيه في الشتاء، وملاءمة قفّازيه كانت تُحقَّق من خلال العَهْدِ بتفصيلتهم إلى شركتين ـ واحدة للأصابع، والأخرى للإبهامين. في بعض الأحيان، على أية

دائماً بالغندور. لقد قدّرْنَ دماثة عاداته الحميدة، حسّه الجمالي، حبّه للملابس ـ بكلمةٍ أخرى، خصائصه الأنثوية. عماد سلطة دزرائيلي الرئيسي كان في الواقع أنثى مُعْجَبة: الملكة ڤيكتوريا.

حال، فقد أصبح استبداد الأناقة بمجمله لا يُطاق. السيد بوثبي أقدم على الانتحار وترك رسالة يقول فيها أنه لا يستطيع احتمال المزيد من سأم إقفال الأزرار وفكّها.

ـ لعبة القلوب: مذكّرات هارييت ويلسون، تحرير ليزلي بلانش

لا تُضَلَّل بالرّفض الظاهري الذي قد تولّده وَضْعيّة الغندور. قد يُرَوّج المجتمع لارتيابه بالخنثوية (في اللاهوت المسيحي، فإنّ الشيطان غالباً ما يصوّر كمُخَنّث)، لكن هذا يَحجب افتتانه؛ لأن الشيء الأكثر إغواءً غالباً ما يكون الأكثر كبتاً. تعلّم الغَندَرة اللعوبة وستصبح المغناطيس لأتواق الناس المظلمة وغير المحققة.

المفتاح لهذه القوّة هو الغموض والالتباس. في مجتمع تكون فيه الأدوار التي يلعبها الجميع واضحة وبيّنة، فإنّ رفض الانصياع والامتثال لأي معيار سوف يثير الاهتمام. كن على حدٍّ سواء ذكوريّاً وأنثويّاً، وقحاً وساحراً، رقيقاً وشائناً. دع الآخرين يقلقون حيال كونهم مقبولين اجتماعيّاً؛ هذه الأنماط شائعة جدّاً وبالتالي ذات قيمة بخسة، أمّا أنت فتكون في أَثَرِ قوّةٍ أعظم من أن يستطيعوا تخيّلها.

هذا الأسلوب الملكي الذي يرفعه [الغندور] إلى ذروة الملكية الحقيقية، الغندور كان قد أخذ هذا من النساء، اللواتي وحدهنّ يبدونَ وبشكلٍ طبيعيّ مُصَمّمات لهذا الدور. إن الغندور يهيمن نوعاً ما من خلال استخدام أسلوب وطريقة النساء. ومن خلال هذا الاغتصاب للأنوثة، يجعل النساء أنفسهن يوافقن عليه... الغندور لديه شيءٌ ضد الطبيعة

الــرمـــز:

السحلبية شكلها ولونها يوحيان
بشكلٍ غريب بالجنسين، عبيرها حُلوٌ ومُتَفَسّخ ـ
إنّها زهرة الشر الإستوائية. رقيقة ومُتَعَهّدة بالعناية،
إنّها مُقَدّرة لندرتها؛ إنها ليست مثل أي زهرة أخرى.

وخنثويّ حياله، والذي هو بالتحديد كيفيّة قدرته على الإغواء بلا حدود.

ـ جول لوماتر، *المعاصرون*

المخاطر

قوّة الغندور، لكن أيضاً مشكلته، هي أنه/ها غالباً ما يعمل أو تعمل عبر مشاعر انتهاكيّة تتّصل بأدوار الجنس. بالرغم من أن هذا النوع من النشاط مُغْوٍ ومثيرٌ ومشحون، إلّا أنّه خطيرٌ أيضاً، نظراً لأنّه يمسّ مصدراً لقلقٍ عظيم وقلّةٍ للشعور بالأمان. كان لدى ڤالنتينو جاذبٌ هائل تجاه النساء، لكن الرجال كرهوه. لازمته ملازمة الكلب لصاحبه الاتهامات بكونه غير رجوليٍّ بشكلٍ منحرف، وسبّب له هذا ألماً عظيماً. كانت سالوم غير محبوبةٍ لدرجةٍ مساوية من قبل النساء؛ أخت نيتشة، وربما أقرب أصدقائه، اعتبرتها ساحرةً شرّيرة، وقادت حملةً صحفيّةً قاسيةً ضدّها استمرّت طويلاً بعد موت الفيلسوف. هناك القليل ممّا يمكن فعله في وجه امتعاضٍ كهذا. يحاول بعض الغنادير أن يحاربوا الصورة التي خلقوها هم أنفسهم، لكنّ هذا ليس حصيفاً: ليثبت رجولته، كان ڤالنتينو ينخرط في مباريات ملاكمة، أي شيء ليثبت رجولته. كان ينتهي إلى وضعٍ لا يبدو فيه إلا يائساً. الأفضل تَقَبُّل تعليقات المجتمع الهازئة والمُعيّرة (العرضيّة) بسعة صدر وغطرسة. في النهاية، فإنّ سحر الغنادير يكمن في أنهم لا يهتمّون حقّاً بما يفكّره الناس عنهم. تلك كانت الكيفية التي لعب بها آندي وارهول اللعبة: عندما كان يملّ الناس من غريب أطواره أو عندما كانت تندلع فضيحةٌ ما، فإنّه كان ينتقل ببساطة إلى صورةٍ جديدة بدلاً من أن يدافع عن نفسه ـ فنّان بوهيمي منحطّ، رسّام زيتي للطبقات العليا من المجتمع، إلخ. ـ كما لو أنه كان يقول، وبلمسةٍ من الازدراء، أن المشكلة لا تكمن فيه وإنما بقدرة الناس على الاهتمام والانتباه.

خطرٌ آخرٌ للغندور هو واقعُ أن عجرفته لا تعرف حدوداً. بو برَمِل اعتَدّ بنفسه لسببين: رشاقة بنيته وسخريته اللاذعة، راعيه الاجتماعي الرئيسي كان أمير ويلز الذي أصبح، عبر السنوات اللاحقة، سميناً. ذات ليلةٍ على العشاء، رن الأمير الجرس طلباً لكبير الخدم، فعلّق برَمِل بخسّة، «هيّا رنّ، يا بن الكبير.» لم يستسغ الأمير النكتة، وجعل الخدم يرشدونه إلى طريق الخروج، ولم يتكلّم معه ثانيةً. دون الرعاية الملكيّة، انحدر برَمِل إلى الفقر والجنون.

إذن فحتّى الغندور يجب أن يقيس ويضبط وقاحته. الغندور الحقيقي

يعرف الفرق ما بين الإغاظة المخْرَجة مسرحيّاً الّتي يعتمدها القوي وما بين الملاحظة التي تجرح، تؤذي، أو تهين بحق. من المهمّ بشكلٍ خاص أن تتحاشى إهانة أولئك الذين يكونون في مواقعَ تمكّنهم من إنزال الضرر والخسارة بك. في الواقع، فإنّ الوضعية (وضعية الغندور) قد تنجع كأفضل ما يكون لأولئك الذين يستطيعون القيام بالأذيّة ـ الفنّانين، البوهيميّين إلخ. (البوهيميّ هو كاتب أو رسّام إلخ. يحيا حياة بوهيمية لا تقيم وزناً للأعراف والقواعد الاجتماعية: المترجم). في عالم العمل، يجب عليك على الأرجح أن تُعَدّل وتُخَفّت من صورة الغندور لديك. كن مختلفاً بشكلٍ مُرضٍ، تسليةً، عوضاً عن أن تكون شخصاً يتحدّى أعراف المجموعة ويجعل الآخرين يشعرون بعدم الأمان.

الطبيعي

الطفولة هي الفردوس
الذهبي الذي نحاول دائماً بشكلٍ واعٍ
أو غير واعٍ أن نعيد خلقه. يجسد الطبيعي
خصائص الطفولة المتمناة بشدة ـ العفوية والإخلاص وعدم
الادعاء. في حضرة الطبيعيين، نشعر باليسر، فنرجع إلى ذاك
العهد الذهبي بعد أن افتتنا بروحهم المرحة. الطبيعيّون أيضاً
يصنعون من الضعف قوّة، فيستثيرون تعاطفنا إزاء محاولاتهم،
ويجعلوننا نرغب بحمايتهم ومساعدتهم. معظم هذا فطريّ،
كما عند الطفل، لكنّ بعضاً منه مُبالَغٌ فيه، وعبارة عن
مناورة إغوائيّة مقصودة. اتّخذْ وقفة الطبيعي لكي
تحيّدَ حيادية الناس وتُعدِهم بغبطة
غير محدودة.

السمات النفسية للطبيعي

قديماً عبر العصور كان هنالك جاذبيّةٌ عظيمة وغالباً محيّرة لمخيلة الرجال. كلما أثير استياؤهم تجاه بيئتهم الراهنة ـ وهذا ما يحدث كثيراً بما فيه الكفاية ـ فإنهم ينكصون إلى الماضي ويأملون أنهم سيكونون قادرين الآن أن يثبتوا حقيقة الحلم الذي لا يخبو بعصرٍ ذهبيّ. هم على الأرجح لا يزالون خاضعين لرقية طفولتهم، الممثّلة لهم من قِبل ذاكرتهم غير الموضوعية كحقبةٍ من النعيم غير المنقطع.

الأطفال ليسوا بالبراءة التي نحب أن نتخيّلهم بها. فهم يعانون من الشعور بالعجز، ويستشعرون باكراً قدرة سحرهم الطبيعي على معالجة ضعفهم في عالم الراشدين. هم يتعلّمون أن يلعبوا لعبة: إذا كان باستطاعة براءتهم الطبيعية أن تقنع والداً بأن يُذعن لرغباتهم في موقفٍ ما، فإنه شيءٌ يستطيعون استخدامه استراتيجيّاً في موقفٍ آخر، مُسرِفين في اللوم أو الإطراء في اللحظة المناسبة ليحصلوا على مرادهم. إذا كانت هشاشتهم وضعفهم جذابة إلى هذه الدرجة، لذا فإنها شيءٌ يستطيعون استخدامه لتحقيق أثر.

لماذا نُغْوى بطبيعية الأطفال؟ أولاً، لأن أي شيءٍ طبيعي لديه أثرٌ غير مألوفٍ علينا. منذ الأزل، فقد زرعت الظواهر الطبيعية ـ كالعواصف الرعدية أو الكسوفات ـ في الإنسان رهبةً ممزوجةً بالخوف. كلما ازداد تحضرنا وتقدّمنا، كان تأثير الظواهر الطبيعية علينا أكبر؛العالم المعاصر يحيطنا بالكثير مما هو مَشغول ومُصْطَنَع لدرجةٍ تجعلنا ننبهر بالشيء المفاجئ وغير القابل للتفسير. الأطفال يملكون أيضاً هذه القدرة الطبيعية، لكن بما أنهم بشرٌ ولا يشكّلون تهديداً، فهم لا يبعثون على الخوف بقدر ما يسحرون. معظم الناس يحاولون الإرضاء، لكن عذوبة الطفل وسجيته الهانئة تتأتّى دون جهد، مُتَحَدّيةً بذلك التفسير المنطقي ـ والشيء غير العقلاني عادةً ما يكون مُغوياً بشكلٍ خطير.

الأكثر أهمّيةً من هذا، هو أنّ الطفل يمثّل عالماً كنّا قد نُفينا منه إلى الأبد. كون حياة الراشدين ملأى بالضجر والتنازلات، فإننا نُنمّي وهماً عن الطفولة كنوعٍ من العصر الذهبي، على الرغم من أنها غالباً ما تكون فترة اضطرابٍ وألمٍ عظيمين. مما لا يمكن إنكاره، على أيّة حال، هو أنّ الطفولة

تتحلّى بامتيازاتٍ معيّنة، وكأطفال فقد كان لدينا موقفٌ فَرِحٌ تجاه الحياة. عندما نصادف طفلاً ساحراً بشكلٍ خاص، فإننا غالباً ما نشعر بالحزن والحنين: نتذكّر ماضينا الذهبي، السّجايا التي خسرناها ونتمنّى استعادتها. وفي حضور الطفل، نستعيد قليلاً من تلك الفترة الذهبيّة.

المُغوون الطبيعيون هم أناسٌ تدبّروا بطريقةٍ ما ألاّ تُجَرِّدهم تجربة الرشد من سماتٍ طفوليّةٍ معيّنة. هكذا أناس بإمكانهم أن يكونوا على جانبٍ قويٍّ من الإغواء كأي طفل، لأن محافظتهم على هذه السجايا تبدو رائعةً وغير معهودة. هم ليسوا حرفيّاً كالأطفال، بالطبع؛ فهذا من شأنه أن يجعلهم بغيضين أو مثيرين للشفقة. بالأحرى إنّ الروحية هي ما احتفظوا به. لا تتخيّل أن الطفوليّة هي شيءٌ أبعد من نطاق سيطرتهم. المغوون الطبيعيون يتعلّمون باكراً قيمة الاحتفاظ بخاصّيةٍ معيّنة، والسلطة الإغوائية التي تحتويها؛ هم يتهايؤون ويطوّرون تلك السمات الطفوليّة التي تدبّروا الحفاظ عليها، تماماً كما يتعلّم الطفل أن يلعب بسحره الطبيعي. هذا هو المفتاح. إنه ضمن قدرتك أن تفعل الشيء نفسه، بما أنه يكمن في كلٍّ واحدٍ فينا طفلٌ شيطانيّ يكابد لكي يُخلى سبيله. لتفعل هذا بنجاحٍ، يجب عليك أن تتحرّر بدرجة عالية، نظراً لأنه لا يوجد شيءٌ أقل طبيعيّةً من الظهور بمظهر المتردّد. تذكّر الروح التي كانت لديك ذات مرّة؛ دعها ترجع، وبدون اكتراث بالانطباع الذي تولّده أنت. الناس أكثر تسامحاً بكثير مع أولئك الذين يأخذون الأمور إلى أقصاها، الذين يبدون حمقى بشكلٍ لا يمكن التحكّم فيه، ممّا يكونون مع راشدٍ ذي مسحةٍ طفوليّة تعوزه الحماسة. تذكّر من كنت عليه قبل أن تصبح غاية في التهذيب والتواضع والانزواء عن الأضواء. لتتولّى القيام بدور الطبيعي، موضع نفسك عقليّاً في موضع الطفل، الطرف الأكثر يفاعة.

ما يلي هي الأنماط الرئيسية للطبيعي الراشد. أبقِ في ذهنك أن أعظم المغوين الطبيعيين غالباً ما يكونون مزيجاً من أكثر من واحد من هذه الخصائص.

البريء. الخصائص الرئيسية للبراءة هي الضعف والفهم القاصر للعالم. البراءة ضعيفة لأنه محكومٌ عليها بالتلاشي في عالم قاسٍ ووحشي؛ لا يستطيع الطفل أن يحمي أو يواظب على براءته. سوء الفهم أو قصوره يتأتّى

ـ سيغموند فرويد، *النسخة القياسيّة من الأعمال الكاملة* لسيغموند فرويد في علم النفس، المجلّد 23

عندما وُلِدَ هيرميس على جبل سيلين فإن والدته مايا وضعته في قِماطٍ على مِذراةٍ للحنطة، إلا أنه نما بسرعة مذهلة إلى وليدٍ صغير، بمجرد ما وقف على قدميه، انسلّ وذهب يبحث عن مغامرة. لدى وصوله إلى بييريا، حيث كان أبولو يرعى قطيعاً حسناً من الأبقار، فقد قرّر أن يسرقها. لكن مخافة أن تشي به آثار أظلافها، فقد صنع بسرعة عدداً من الأحذية من لحاء شجرة بلّوطٍ متهالكة وشدّها على أظلاف البقر كيلا ينطوي العشب من تحتها، والتي قادها بعدئذٍ

من عدم معرفة الطفل بمسائل الخير والشر، ورؤية كل شيء من خلال عيونٍ لم يمسسها السوء. ضعف الأطفال يثير التعاطف، قصور فهمهم يجعلنا نضحك، ولا شيء أكثر إغواءً من مزيجٍ من الضحك والتعاطف.

الطبيعي الراشد ليس بريئاً بشكلٍ حقيقيّ ـ من المستحيل أن تنمو في هذا العالم وتحتفظ بكامل البراءة. ومع ذلك فإنّ الطبيعيين يتوقون بعمق ليتمسّكوا بمظهرهم البريء لدرجة أنهم يتدبّرون الحفاظ على وهم البراءة. هم يضخّمون ضعفهم ليستجلبوا العطف المناسب. ويتصرّفون وكأنهم لا يزالون يروا العالم بعيونٍ بريئة، الأمر الذي يتبيّن كونه مثيراً للضحك عند الراشدين بشكلٍ مضاعف. كثيرٌ من هذا مُتَعَمّدٌ ومقصود، ولكن حتى يكونوا فعّالين، فلا بدَّ للطبيعيين الراشدين من أن يُظهروه على أنه مصقول وغير مُتَطَلّبٍ لأي جهد ـ إذا شوهدوا وكأنّهم يحاولون تمثيل البراءة، فسوف يولّدون الانطباع بأنّهم مثيرون للشفقة. من الأفضل لهم أن يتركوا الانطباع بالضعف بشكلٍ غير مباشر، من خلال النظرات والتلميحات، أو من خلال المواقف التي يضعون أنفسهم فيها، بدلاً من أي شيءٍ واضح. بما أن هذا النمط من البراءة هو تمثيلٌ في معظمه، فمن السهل تكييفه لغاياتك الخاصّة. تعلّم التوكيد على أيّة نقاط ضعف أو أخطاء.

العفريت. الأطفال العفريتيّون لديهم جسارة لا تعرف الخوف، كنا قد فقدناها نحن الراشدين. ذلك لأنهم لا يرون العواقب المحتملة لأفعالهم ـ كيف يمكن جرح مشاعر بعض الناس، كيف من الممكن أن يؤذوا أنفسهم خلال العملية. العفاريت صفيقون، ومُتَنَعّمون بلا مبالاتهم وعدم اكتراثهم. هم يُعْدونك بروحهم الخفيفة الظل. هكذا أطفال لم تُجتَثّ منهم بعد حيويّتهم وطاقتهم الطبيعية من خلال التوبيخ والتعنيف وذلك بدافع الحاجة لكي يكونوا مهذّبين ومتّمَدّنين. نحن نحسدهم سرّاً، ونريد أن نكون أيضاً أشقياء وغير مطيعين.

العفارتة الراشدون يكونون مُغوِين بسبب الكيفية التي يختلفون بها عن بقيّتنا. بوصفهم نسماتٍ من الهواء النقي، فهم يذهبون إلى أقصى الحدود، كأن عفرتتهم غير قابلة للتحكم بها، وبالتالي طبيعية. إذا لعبت الدور، فلا

في الليل على طول الطريق. اكتشف أبولو الخسارة، لكنّ خدعة هيرميس انطلت عليه، وبالرغم من أنه مضى بعيداً بعد بايلوس في بحثه غرباً، وإلى أونكستوس في بحثه شرقاً، فقد أُجبِرَ في النهاية على أن يعرض مكافأة لمن يعتقل اللص. انتشر سايلينوس وآلهة الغابات الآخرون، طمعاً في المكافأة، في مختلف الاتجاهات ليتعقّبوا أثره، لكن ولفترةٍ طويلة، دون نجاح. أخيراً، عندما مرّ فريقٌ منهم عبر أركاديا، فقد سمعوا صوت موسيقى مكتوماً لم يكونوا قد سمعوا مثله من قبل قط، وأخبرتهم الحورية سيلين وهي في مدخل الكهف أن طفلاً موهوباً للغاية كان قد وُلِدَ هناك مُؤَخّراً، والذي كانت تتصرّف نحوه كممرّضة: وأنه كان

تقلق حيال جرح مشاعر الناس بين الحين والآخر ـ أنت محبوبٌ للغاية وحتماً سوف يسامحونك. فقط لا تعتذر أو تبدو نادماً، لأن ذلك من شأنه أن يُبطل السحر. مهما قلت أو فعلت، فابقِ وميضاً في عينيك لتظهر أنك لا تأخذ شيئاً على محمل الجد.

الأعجوبة. الطفل الأعجوبة أو المعجزة لديه موهبة خاصة، غير قابلة للتفسير: موهبة في الموسيقى، في الرياضيات، في الشطرنج، في الرياضة. لدى العمل في الحقل الذي يمتلكون فيه مهارة خصبة ووافرة، فإن هؤلاء الأطفال يبدون ممسوسين، وأفعالهم مُنجَزة من غير جهد. إذا كانوا فنانين أو موسيقيين، من أمثال موزارت، فإن عملهم يبدو نابعاً من دافعٍ فطريّ، مُتَطَلّباً تفكيراً قليلاً بشكلٍ لافت. إذا كان ما يملكونه هو موهبةً جسديّة، فهم يكونون مُنعَماً عليهم بنشاطٍ غير اعتيادي، ببراعةٍ يدويّة، وبعفويّة. في كلتا الحالتين يبدون أبعد موهبةً من أعمارهم. هذا يفتننا.

الراشدون العجائبيّون غالباً ما يكونون أطفالاً عجائبيّين تدبّروا بشكلٍ لافتٍ للنظر أن يحتفظوا باندفاعهم الفتي ومهاراتهم الارتجالية. العفوية الحقيقية هي شيءٌ نادرٌ سارّ، لأن كل شيء في الحياة يتآمر ليسلبنا إياه ـ علينا أن نتعلّم أن نتصرّف بحذر وتروٍّ، أن نفكّر كيف نبدو في عيون الناس. لتلعب دور الأعجوبة فأنت تحتاج إلى مهارة ما من شأنها أن تبدو سهلة وطبيعيّة، إلى جانب القدرة على الارتجال. إذا كانت مهارتك في واقع الحال تتطلّب التمرين، فعليك أن تُخفي هذا وتتعلّم أن تجعل عملك يبدو هيّناً ومُنجزاً من غير جهد. كلّما أخفيت الجهد الكامن وراء ما تعمل، ظهرت أكثر طبيعيّةً وإغوائيّةً.

العاشق غير المُتأهّب للدفاع. أثناء تقدّمهم في السن، فإنّ الناس يحمون أنفسهم إزاء التجارب المؤلمة من خلال الانغلاق والانكفاء. ثمن هذا أنهم يصبحون تدريجيّاً مُتَصلّبين، من الناحيتين: الجسديّة والعقليّة. لكن الأطفال يكونون بطبيعة الحال غير محميّين ومنفتحين للتجربة، وهذه التقبّليّة تكون

قد ركّب لعبةً موسيقيّةً بارعة من درع سلحفاة وبطن بقرة، والتي بواسطتها هدهد أمه حتى نامت. • «ومَن حصل على بطن البقرة؟» سألت آلهة الغابات المتحفّزة، وهي تلحظ قطعتين من جلد الحيوان مبسوطتين خارج الكهف. «هل تتّهمون الطفل المسكين بالسرقة؟» سألت سيلين. وتمّ تبادل الكلام الخشن. • في تلك اللحظة ظهر أبولو، وكونه اكتشف هوية السارق من خلال مراقبة السلوك المريب لطائرٍ طويل الأجنحة وهو يدخل الكهف، فقد أيقظَ مايا وأخبرها بشدّة بأنه ينبغي على هيرميس أن يُرجع البقر المسروق. أشارت مايا إلى الطفل الذي كان لا يزال ملفوفاً في قماطه ويتظاهر بالنوم. وصرخت «يا

جذّابةً إلى أبعد حد. لدى حضور الأطفال نصبح أقلّ تَصَلّباً، نتيجة العدوى بانفتاحهم. هذا هو السبب وراء رغبتنا بالتواجد من حولهم.

تدبّر العاشقون غير الدفاعيين بطريقةٍ ما الدوران حول عمليّة حماية الذات، فاحتفظوا بتلك الروح المرحة والمُتفتّحة لدى الطفل. هم غالباً ما يظهرون هذه الروحية من الناحية الجسدية: فهم جميلون وأنيقون، ويبدو أنهم يتقدّمون في السن بسرعةٍ أقل من الناس الآخرين. من بين جميع خصائص الطبيعي، فإنّ هذه الخاصية هي الأكثر نفعاً. الدفاعيّة مميتةٌ في الإغواء؛ تصرّف بشكلٍ دفاعيّ وستستخرج الدفاعية لدى الناس الآخرين. العاشق غير الدفاعي يُخَفّض الموانع والكوابح عند هدفه أو هدفها، الأمر الذي يشكّل جزءاً حاسماً وحرجاً من الإغواء. من المهم أن تتعلّم ألاّ تتفاعل بشكلٍ دفاعيّ: انحنِ بدلاً من أن تقاوم، كن منفتحاً أمام تأثير الآخرين، وسوف يقعون بسهولةٍ أكبر تحت سحرك وسلطانك.

أمثلة عن المغوين الطبيعيين

1. كطفلٍ ناشئٍ في إنكلترا، أمضى شارلي شابلين سنواتٍ في فقرٍ مدقع، خاصّةً بعد أن أُودعت أمّه في ملجأٍ للكنيسة. في بداية سني مراهقته، ومُجبراً على العمل بدافع العيش، فقد وقع على عملٍ في ڤاودوڤيل، حاصداً في آخر الأمر على بعض النجاح كممثّلٍ كوميديّ. لكن شابلين كان طموحاً بشكلٍ جامح، ولذا، في عام 1910، عندما كان في التاسعة عشر من عمره، هاجر إلى الولايات المتّحدة، آملاً أن ينفذ إلى عالم صناعة الأفلام. وهو يشقُّ طريقه في هوليوود، وجد أدواراً عرضيّةً بسيطة، إلّا أن النجاح بدا صعب المنال: المنافسة كانت شديدة، وبالرغم من أن شابلين كان لديه ذخيرةٌ من المزحات التي كان قد تعلّمها في ڤاودوڤيل، إلّا أنه لم يبرع بشكلٍ خاص في الدعابة الجسمانية (التي كانت تعتمد على حركات الجسم)، والتي كانت جزءاً حيويّاً من الكوميديا الصامتة. لم يكن ماهراً في الجمباز كَبستر كيتون.

في عام 1914، تدبّر شابلين الحصول على دور البطولة في فيلم قصير اسمه *إحراز العيش*. دوره كان دور النصاب. لدى لهوه بالزي المخصّص

لها من تهمةٍ سخيفة!» لكن أبولو كان قد ميّز قطعتي الجلد قبل ذلك. التقط هيرميس، وحمله إلى جبل الأوليمب، وهناك اتّهمه رسميّاً بالسرقة، وقدّم قطعتي الجلد كدليلٍ على ذلك. زيوس باعتباره كان كارهاً لتصديق أن ابنه الوليد كان لصّاً، فقد شجّعه على أن يجيب بالبراءة، لكن عزيمة أبولو لم تُثبط وهيرميس، أخيراً، ضَعُفَ واعترف إذ قال «حسَنٌ جدّاً، تعالَ معي، وستستعيد قطيعك. فقد ذبحت اثنتين فقط، وقطّعتهما إلى اثنتي عشرة قطعة كقربانٍ إلى الآلهة الاثنتي عشرة» • «اثنا عشر إلهاً؟» سأل أبولو. «فمن الإله الثاني عشر؟» • «خادمك يا سيّدي» أجاب هيرميس بتواضع. «لم آكل

للدور، فقد ارتدى سروالاً أكبر من قياسه بعدّة نمرات، ومن ثم أضاف قبّعةً خاصّةً بسباق الخيل، جزمةً هائلةً تعمّد أن يلبسها بشكلٍ متعاكس، عكّازاً للمشي، وشارباً ملصوقاً. مع الثياب، فقد بدا أن شخصيّةً جديدةً كاملةً تنبعث إلى الحياة ـ أولاً المشية السخيفة، ثم تدوير العصا، ومن ثم جميع أنواع المزحات. ماك سينيت، رئيس الإستديو، لم يجد *إحراز العيش* مضحكاً كثيراً، وشكّ فيما إذا كان لشابلين مستقبلٌ في الأفلام، لكنّ بضعةً من النقّاد راودهم شعورٌ مختلف. كتبت مجلّةٌ متخصّصة «المؤدّي الماهر الذي يأخذ في هذا الفيلم دور مقامرٍ مخادع مُتهوّرٍ وغاية في الرشاقة هو كوميديٌّ من الطراز الأوّل، والذي يتصرّف كواحدٍ من موهوبي الطبيعة.» وتجاوب المشاهدون أيضاً ـ الفيلم حقّق إيراداً.

ما بدا أنه يلامس الوتر الحساس في *إحراز العيش*، والذي ميّز شابلين عن حشد الكوميديين الآخرين الذين يعملون في الأفلام الصامتة، كان سذاجة الشخصية التي لعبها والتي ـ أي السذاجة ـ كادت أن تكون مثيرةً للازدراء. شاعراً بأنه كان مُقبلاً على شيءٍ ما، فقد صقل شابلين الدور أكثر في الأفلام اللاحقة، مما أظهره بمظهر الساذج أكثر فأكثر. المفتاح كان جعل الشخصية تبدو أنها ترى العالم من خلال عيون طفل. في البنك لعب دور بوّاب البنك الذي تراوده أحلام يقظة عن عظيم الأفعال بينما يقوم اللصوص بعملهم في المبنى؛ في *المسترهن*، يلعب دور مساعدٍ غير مهيّأٍ في دكان والذي يُنزل الخراب والدمار على ساعة حائط (قائمةٍ على الأرض مباشرةً)؛ في *أذرعة الكتف*، يلعب دور جنديٍّ في خنادق الحرب العالمية الأولى اللعينة، متفاعلاً مع أهوال الحرب كطفلٍ بريء. حرص شابلين على اختيار الممثّلين في أفلامه ممّن كانوا أضخم منه جسمانيّاً، مقدّماً إياهم في اللاوعي كراشدين مُتنمّرين ونفسه كطفلٍ لا حول له ولا قوّة. وأثناء إمعانه ومضيّه بشكلٍ أعمق في دوره، فقد حصل شيءٌ غريب: بدأت الشخصيّة السينمائية وشخص الحياة الواقعيّة بالاندماج مع بعضهما البعض. بالرغم من أنه كان قد حظي بطفولةٍ مضطربة، إلا أنه كان مهووساً بها. (فقد شيّد من أجل فيلمه *الشارع المريح* مشهداً في هوليوود طبق الأصل للشوارع التي كان قد عرفها كصبي.) أساء الظن في عالم الكبار، مُفضّلاً صحبة اليافعين، أو يافعي القلوب: ثلاثٌ من زوجاته الأربع كنّ مراهقات عندما اقترن بهن.

أكثر من حصّتي، بالرغم من أنني كنت جائعاً جدّاً، وحرقت الباقي كما ينبغي.» • الإلهان [هيرميس وأبولو] عادا إلى جبل سيلين، حيث حتى هيرميس أمّه واسترجع شيئاً كان قد خبّأه تحت جلد غنم. • «ماذا لديك هناك؟» سأل أبولو. • كجوابٍ على ذلك، أظهر هيرميس قيثارته المُخترعة حديثاً والمصنوعة من درع السلحفاة وعزف عليها لحناً يسلب اللب للغاية بريشته التي كان قد اخترعها أيضاً، وفي نفس الوقت أخذ يغنّي تمجيداً لِنبل أبولو وذكائه وكرمه، فتمت مسامحته في الحال. ثم قاد أبولو المتفاجئ والمبتهج إلى بايلوس، وهو يعزف طول الطريق، وهناك أعطاه بقيّة الماشية التي كان قد أخفاها في كهف. • «الدّيَ صفقة!» صاح أبولو.

أكثر من أي كوميديٍّ آخر، فقد أثار شابلين مزيجاً من الضحك والعاطفة. جعلك تتفهّمه بوصفه الضحيّة، وتشعر بالشفقة تجاهه بالطريقة التي تشعر بها حيال كلبٍ ضال. فأنت تضحك وتبكي على حدٍّ سواء. وأحسّ المشاهدون بأنّ الدور الذي لعبه شابلين نبع من مكانٍ ما عميقٍ في داخله ـ بأنّه كان مخلصاً، بأنّه كان يؤدّي نفسه في واقع الأمر. خلال بضعة سنين من إنتاج *إحراز العيش* أصبح شابلين الممثل الأكثر شهرة في العالم. كان هنالك دُمىً على شكل شابلين، كتب هزلية، ألعاب؛ وكُتِبت عنه أغنياتٍ شعبية وقصصٌ قصيرة؛ أصبح رمزاً عالميّاً. في عام 1921، عندما زار لندن لأوّل مرة منذ كان قد غادرها، استُقبِلَ بهتافات الحشود الهائلة، كالتي تجتمع لدى العودة المظفّرة لقائدٍ عظيم.

المُغوون العظام، أولئك الذين يغوون حشود الجماهير، وأُمماً والعالم، لديهم طريقةٌ في اللعب علي لاوعي الناس، جاعلوهم يتفاعلون بطريقةٍ لا يستطيعون فهمها ولا التحكّم بها. عثر شابلين من دون قصد وبالمصادفة على هذه القوة عندما اكتشف الأثر الذي بإمكانه أن يحوزه على الجماهير من خلال اللعب على ضعفه، ومن خلال الإيحاء بأن لديه عقلَ طفلٍ في جسد راشد. في مطلع القرن العشرين، كان العالم يتغيّر بشكلٍ سريعٍ وجذريّ. الناس كانوا يعملون لساعاتٍ أطول فأطول في أعمالٍ تتّخذ الطابعَ الميكانيكي بصورةٍ متزايدة؛ الحياة كانت تصبح بشكلٍ مُطّرد أكثر وحشيّةً وقسوة، كما أوضح وأجلى دمار وخراب الحرب العالمية الأولى. كونهم علقوا في غمرة تغييرٍ جذري، فقد تاق الناس لطفولةٍ مفقودة والتي تخيّلوها كفردوسٍ ذهبيّ.

كان لدى طفلٍ راشدٍ كشابلين قوّةٌ إغوائية هائلة، كونه كان يقدّم الوهم بأن الحياة كانت ذات مرّة أبسط وأسهل، وأنّه للحظةٍ، أو بقدر ما يستغرق الفيلم، فإنّك تستطيع استعادة تلك الحياة والظفر بها مجدّداً. في عالمٍ قاسٍ لا يقيم وزناً للمعايير الأخلاقية، تتمتّع السذاجة بجاذبيةٍ هائلة. المفتاح هو أن تنجزها مع لمسةٍ من الجدّية الكاملة، كما يفعل الكوميديّ المُجَهِّز للنكتة في الكوميديا المنفردة. لكنّ الأهم من ذلك هو خلق التعاطف. نادراً ما يكون صريح القوة والنفوذ مُغوياً ـ إنها تجعلنا خائفين أو حاسدين. الطريق الملكي للإغواء هو توكيدك على هشاشتك وعجزك. لا يجدر بك أن

«أنت تأخذ البقر، وأنا آخذ القيثارة.» • «موافق» قال هيرميس، وتصافحوا إقراراً للصفقة. • ... أرجع أبولو الولد مجدّداً إلى جبل الأوليمب وأخبر زيوس بكل ما حصل. حذّر زيوس هيرميس أنه يجب عليه من الآن فصاعداً أن يحترم حقوق الملكية ويحجم عن التفوه بأكاذيب صِرفة؛ لكنّه لم يستطع أن يمنع نفسه من الاستمتاع. «يبدو أنك إله صغيرٌ غايةً في الذكاء والفصاحة والقدرة على الإقناع.» قال زيوس • فأجاب هيرميس «إذن اجعلني رسولَك يا أبتي وسوف أكون مسؤولاً عن سلامة كل الملكية الإلهية، ولن أخبر الأكاذيب قط، ولو أنني لا أستطيع أن أعِدَ بأنني سأقول الحقيقة الكاملة على الدوام.»

تجعل هذا واضحاً؛ أن تبدو مستجدياً للعطف هو أن تبدو محتاجاً، الشيء المُنفّر (ضد - إغوائي) بكل ما في الكلمة من معنى. لا تُصَرّح أو تعلن بأنّك الضحية أو المضطهد أو الخاسر، لكن أَظهر هذا الشيء من خلال سلوكك، من خلال ارتباكك وتشوّشك. إنّ عرض الضعف «الطبيعي» سوف يجعلك محبوباً على الفور، مُخفِّضاً دفاعات الناس وجاعلاً إيّاهم يشعرون كذلك الأمر بأنهم متفوّقون عليك على نحوٍ سار. ضع نفسك في مواقف تجعلك تبدو ضعيفاً، والتي يكون فيها لشخصٍ آخر الأفضلية؛ هم المتنمّرون، وأنت الحمل الوديع. سوف يشعر الناس، دون أي جهدٍ من قبلك، بالمشاركة الوجدانية تجاهك. بمجرّد ما تحجب الغشاوة العاطفية على أبصار الناس، فلن يستطيعوا رؤية كيفيّة تلاعبك بهم.

• *«هذا لن يكون مُتَوَقَّعاً منك» قال زيوس مع ابتسامة... أعطاه زيوس صولجان الرسالة ذا الأشرطة البيضاء والذي أَمَر الجميع باحترامه؛ وقبعة مُدوّرة تقي من المطر، وخُفّينِ ذهبيّين مجنّحين حملاه بسرعة الريح.*

- روبرت جرايفس، *الأساطير الإغريقية* المجلّد I

2. وُلِدت إيما كراوتش في عام 1842 في بليموث، إنكلترا لأسرةٍ محترمة تنتمي إلى الطبقة الوسطى. كان والدها ملحّناً وأستاذاً للموسيقى حلم بالنجاح في عالم الأوبريت. من بين أولاده العديدين، فقد كانت إيما المفضّلة: كانت طفلةً جذلى، مُفعمة بالحياة ومغناجة، ذات شعرٍ أحمر ووجهٍ مُنمّش. شُغِف بها والدها، ووعدها بمستقبلٍ لامع في المسرح. لسوء الحظ كان لدى السيد كراوتش جانبٌ مظلم: فقد كان مغامراً، مقامراً، وخليعاً، وتخلّى في عام 1849 عن عائلته ورحل إلى أمريكا. الآن أصبحت عائلة السيد كراوتش في عسرٍ شديد. إيما أُخبِرت أنّ والدها كان قد توفّي في حادث وأُرسِلت إلى دير الراهبات. أثّرت بها خسارة والدها بعمق، وأثناء انصراف السنين فقد بدت أنّها تائهةٌ في الماضي، وتصرّفت وكأنّ والدها لا يزال شَغِفاً ومولعاً بها.

ذات يوم في عام 1856، عندما كانت إيما تتمشّى عائدةً إلى منزلها من الكنيسة، دعاها رجلٌ أنيقٌ نبيل المحتد إلى منزله لتناول بعض الكعك. تبعته إلى منزله، حيث شرع باستغلالها. صبيحة اليوم التالي وعدها هذا الرجل والذي كان تاجر ألماس بأن يُسكِنها في بيتٍ خاصٍّ بها ويعاملها جيّداً ويعطيها الكثير من المال. أخذت المال لكن تركته، مصمّمةً على أن تفعل الشيء الذي لطالما كانت قد أرادته: ألاّ ترى عائلتها مجدّداً وألاّ تعتمد على أحدٍ قط وتحيا الحياة العظيمة التي كان والدها قد وعدها بها.

قد يلتقي رجلٌ بامرأة ويُصدَم ببشاعتها. فإذا كانت طبيعيّة وغير متكلّفة، فسرعان ما ستجعله تعابيرها يغض الطرف عن النقيصة في ملامحها. سيبدأ برؤيتها فاتنةً، وتراوده فكرة أنها من الممكن أن تكون من يحب، وبعد أسبوعٍ من ذلك يصبح عائشاً بالأمل. في الأسبوع التالي يكون قد دُفِع رغماً عنه إلى اليأس، وفي الأسبوع الذي بعده

بالمال الذي أعطاها إياه تاجر الألماس، اشترت إيما ثياباً أنيقة واستأجرت شقّةً رخيصة. مُتّخذةً اسم كورا بيرل الملفت، بدأت بالتردّد على غرف لندن الصلصالية؛ والتي كانت عبارة عن بار كبير فاخر حيث يجلس الرجال والمومسات جنباً إلى جنب. لاحظ السيّد باينل (مالك البار) بعناية هذه القادمة الجديدة إلى مؤسسته ـ كانت غاية في الجرأة وقلة الحياء لفتاةٍ في سنّها. في الخامسة والأربعين، كان أكبر منها سنّاً بكثير، لكنّه قرّر أن يكون حبيبها وحاميها، مُغدِقاً عليها المال والاهتمام. في السنة التالية أخذها في رحلة إلى باريس، والتي كانت في أوج ازدهارها كعاصمةٍ للإمبراطورية الثانية (الإمبراطورية الثانية هي فرنسا تحت حكم الإمبراطور نابوليون الثالث الذي امتدّ من عام 1852 حتى عام 1870.) سُحِرَت كورا بباريس وكل معالمها، لكن ما أثار إعجابها أكثر من أي شيءٍ آخر كان موكب العربات الغنية في غابة بولون. هنا كان للأنيقين أن يسودوا ـ الإمبراطورة، الأميرات، وليس آخِراً كبريات المحظيّات واللواتي كان لديهن أبذخ العربات على الإطلاق. هذا كان السبيل لتحيا نوع الحياة التي كان والد كورا قد أراده لها. من غير إبطاء قالت لباينل أنها سوف تظل لوحدها (في باريس) حين رجوعه إلى لندن.

سرعان ما لفتت كورا انتباه الرجال الفرنسيين الأثرياء بعد أن تردّدت على جميع الأماكن المناسبة. كانوا يرونها تتمشّى في شوارع باريس في ثوبٍ زهريٍّ برّاق، وذلك تتمّةً لشعرها الأحمر الملتهب، وجهها الشاحب، ونَمَشها. كانوا يلمحونها وهي تمتطي الخيل على نحوٍ جامح عبر غابة بولون، مُفرقعةً بسوطها ذات اليمين وذات الشمال. كانوا يرونها في المقاهي محاطةً بالرجال الذين كانوا يضحكون على إهاناتها الظريفة. سمعوا أيضاً بمآثرها وأعمالها الجريئة ـ بسرورها في عرض جسدها للجميع. بدأ نخبويّو مجتمع باريس بالتودّد إليها، وبالتحديد الرجال الأكبر سنّاً الذين كانوا قد سئموا من المومسات الباردات والماكرات، والذين أُعجبوا بروحها البنّاتية. عندما بدأ المال بالتدفّق من فتوحاتها الغرامية المتعدّدة (الدوق مورناي، ولي عهد العرش الهولندي؛ الأمير نابوليون، نسيب الإمبراطور)، فقد أنفقته كورا على أكثر الأشياء تطرّفاً وخرقاً للمألوف ـ عربة متعدّدة الألوان يجرّها فريقٌ من الأحصنة بلون الكريم، حوض استحمام من المرمر الوردي وعليه حُفِرت

يكون قد جُنّ.
ـ ستندال، *الحب*، ترجمة جيلبير وسوزان سايل

التهرّب «الجغرافي» من الواقع محكومٌ عليه بعدم الفاعلية بجميع الأحوال. ما يبقى هو التهرّب «التطوّري» ـ والذي هو سلوكٌ نكوصيّ في تطوّر الشخص، وعودةٌ إلى الأفكار والعواطف الخاصة بـ «الطفولة الذهبية»، والذي يمكن أن يُعرَف أيضاً كـ «رجوعٌ نحو الطّفالة،» أو هروبٌ إلى عالم شخصيّ من الأفكار الطفولية.
• في مجتمعٍ منظّم بشكلٍ صارم، حيث تتبع الحياة مجموعة مبادئ مُحدّدة بشكلٍ متزمّت وصارم، فإن الدافع للهرب من قيد الأشياء «التي أُسست دفعةً واحدة من دون أن يمكن مراجعتها»

أحرف اسمها الأولى بالذهب. تزاحم الرجال النبلاء وكلّ واحدٍ منهم يريد أن يكون أكثر من يدلّلها. ضيّع عاشقٌ إيرلندي ثروته بكاملها عليها، في ثمانية أسابيع وحسب. لكن لم يكن بوسع المال أن يشتري إخلاص كورا؛ كانت تترك الرجل عند أقل نزوة.

استفزّ سلوك كورا بيرل الجامح وازدراءها للإتيكيت كل باريس. في عام 1864، كانت ستظهر بدور كيوبيد في أوبريت أوفنباخ *أورفيوس في العالم السفلي*. تحرّق المجتمع ليرى ماذا كانت ستفعل لتثير الإحساس، وسرعان ما اكتشف: صعدت على خشبة المسرح وهي عارية عملياً، باستثناء من ألماساتٍ باهظة هنا وهناك، بالكاد تغطيها. أثناء تبخترها على الخشبة، أخذت الألماسات تتساقط، وكل واحدةٍ منها تعادل ثروة؛ لم تتنازل لتلتقطها، وإنما تركتها تتدحرج نحو أضواء مقدّم خشبة المسرح. الرجال الذين كانوا في الحضور، والذين بعضهم كان قد أعطاها تلك الألماسات، راحوا يصفقون بشكلٍ جنوني. سلوكيّاتٌ غريبة كهذه جعلت كورا معبودة الجماهير في باريس، وسادت بوصفها أبرز محظية أو مومس في المدينة لما يزيد عن عقد، إلى أن وضعت حرب 1870 الفرنسية البروسية نهايةً للإمبراطورية الثانية.

يجدر وعلى نحوٍ استثنائي أن يُشْعَر بقوةٍ.... • وأفضلهم على الإطلاق [الكوميديون] يفعلون هذا بمنتهى الإتقان، حيث أنّ شابلين يعزّز هذا المبدأ ... من خلال براعة طريقته التي، من خلال تقديمها للمشاهد نمطاً طفولياً يحاكي، تُعديهِ نفسياً بالطفولة وتجذبه نحو «العصر الذهبي» الخاص بفردوس الطفولة الصبياني.

ـ سيرجاي آيزنشتاين، «شارلي الطفل»، من ملاحظات مخرج فيلم

الناس غالباً ما يعتقدون خطأً أن ما يجعل الشخص مرغوباً ومُغوياً هو الجمال المادي، الأناقة، أو الجنسانية العلنية. ومع ذلك فلم تكن كورا بيرل جميلةً بشكلٍ صاعق؛ فقد كان جسمها صبيانياً، وأسلوبها مبهرجاً على نحوٍ يعوزه الذوق ولا طعم له. كونها دُلّلت من قبل أبيها، فقد تخيّلت أن تدليلها كان أمراً طبيعياً ـ أنّه ينبغي على كل الرجال أن يحذوا الحذو نفسه. النتيجة المنطقية كانت أنها، كأي طفل، لم تشعر أبداً بأنه كان ينبغي عليها أن تحاول الإرضاء. إن مسحة الإستقلال القوية لدى كورا هي ما جعل الرجال يرغبون بتملّكها وترويضها. لم تدّعِ أبداً كونها أي شيءٍ أكثر من مومسٍ للأغنياء، لذا فالجرأة التي تُعَدّ قلّة تمدّن عند سيّدةٍ راقية كانت تبدو عندها طبيعية ومرحة. وكما مع طفلٍ مدلّل، فقد كانت علاقة الرجل معها وفقاً لشروطها هي. في اللحظة التي يحاول بها تغيير ذلك، تكون قد فقدت الاهتمام. هذا كان سر نجاحها المذهل.

الأمير جورتشاكوف اعتاد على القول أنها [كورا بيرل] كانت مسك الختام في الترف والتاج الذي يُتَوّج به، وأنه كان ليحاول سرقة الشمس إرضاءً

الأطفال المدللون لديهم سمعةٌ سيئة لا يستحقونها: فبينما أولئك المدلّلون بأشياء مادية بالفعل لا يمكن احتمالهم، يكون أولئك المدللون عاطفياً عارفين بأنهم شديدو الإغواء. هذه تصبح ميزة جليّة عندما يكبرون. تبعاً لفرويد (الذي كان يتكلم عن خبرة، كونه كان الأثير عند أمه)، فإنّ الأطفال المدللين لديهم ثقة تلازمهم طوال حياتهم. هذه الخاصية تشع إلى الخارج، مجتذبةً الآخرين نحوهم، و، في عمليةٍ دائرية، تجعل الناس يدللونهم حتى لدرجةٍ أبعد. نظراً لأن روحهم وطاقتهم الطبيعية لم تُروّضا من قبل والدٍ مُؤدِّب، فهم يكونون كراشدين مغامرين وجسورين، وغالباً عفريتيّين أو قليلي الحياء.

الدرس بسيط: ربما يكون متأخّراً جداً أن تُدلّل من قبل أمٍّ أو أب، لكنه ليس متأخّراً أبداً أن تجعل الناس الآخرين يدللونك. كل شيءٍ يكمن في موقفك. الناس ينجذبون نحو أولئك الذين يتوقعون الكثير من الحياة، في حين أنهم يميلون لعدم احترام أولئك الخائفين وغير المتطلّبين. الاستقلال الجامح لديه أثرٌ محرّضٌ علينا: إنه يروق لنا، على الرغم من أنّه يقدّم لنا تحدّياً أيضاً ـ نحن نريد أن نكون من يروّضه، أن نجعل الشخص المفعم بالحيوية معتمداً علينا. نصف الإغواء هو إثارة رغباتٍ تنافسية كهذه.

3. في أكتوبر من عام 1925، كان مجتمع باريس مُتشوّقاً بالكامل حيال افتتاح مسرح جاز الزنوج، أو في الواقع فإنّ أي شيءٍ أتى من أمريكا السوداء كان آخر موضة، وراقصي ومؤدّي برودواي كانوا أمريكيين من أصولٍ أفريقية. في ليلة الافتتاح، ملأ الفنانون وأعيان المجتمع الصالة. كان العرض مُذهلاً، كما توقّعوا، لكن لم يُهيّئهم شيء للوصلة الأخيرة التي أدّتها امرأةٌ طويلة الساقين وخرقاء نوعاً ما وذات وجهٍ هو الأجمل على الإطلاق: جوزفين بايكر، فتاة كورس في العشرين من العمر من شرق سانت لويس. صعدت على الخشبة عارية الصدر، مرتديةً تنّورة من الريش فوق القطعة السفلية من بيكيني مصنوع من الساتان، مع ريشاتٍ حول عنقها وكاحليها. بالرغم من أنها أدّت وصلتها ـ المسمّاة *«رقصٌ فظ»* مع راقصةٍ أخرى، مكسوّةٌ أيضاً بالريش، إلا أن كل الأنظار انجذبت نحوها على نحوٍ آسر:

لواحدةٍ من نزواتها.

ـ جوزتاف كلاودين، معاصرٌ لِكورا بيرل

من الواضح أن امتلاك الفكاهة يقتضي ضمناً امتلاك مجموعة من منظومات العادات. المنظومة الأولى هي منظومة عاطفيّة: عادة اللعب والمرح. لماذا ينبغي لأحدهم أن يكون فخوراً لكونه لعوباً ومزوحاً؟ لسببٍ مزدوج. أولاً، اللعب والمزاح يتضمّنان الطفولة والصِّبا. إذا كان بإمكان أحدهم أن يكون لعوباً، فذلك يعني أنه لا يزال يمتلك شيئاً من عنفوان وبهجة الحياة الشابة ... • لكن هنالك تضميناً أعمق. أن تكون لعوباً ومرحاً هو، في معنى من المعاني، أن تكون حرّاً. عندما يكون الشخصُ

جسدها بأكمله بدا أنه ينبعث حيّاً بطريقةٍ لم يكن الجمهور قد شاهدها من قبل قط، ساقاها كانتا تتحرّكان برشاقة القطة، نهاية مؤخّرتها كانت تدور بأشكالٍ شبّهها أحد النقاد بالطائر الطنان. وأثناء استمرار الرقصة، فقد بدت ممسوسة، ومستمدّةً هذه الحالة من نشوة وانفعال الحشد. ومن ثم كانت هناك النظرة على وجهها: كانت تستمتع بحق. أشعّت بفرح جعل رقصتها الشهوانية بريئةً بشكلٍ غير معهود، بل وحتى مضحكةً نوعاً ما.

بحلول اليوم التالي، كانت الأخبار قد انتشرت: عن ميلاد نجمة. أصبحت جوزفين قلب مسرح الزنوج، وكانت باريس تحت قدميها. في غضون سنة، تصدّر وجهها الملصقات الإعلانية في كل مكان؛ كان هناك عطورات وثياب تحمل اسمها ودمى على شكلها؛ أخذت النساء الفرنسيات الأنيقات واللواتي كنّ من الطبقة العليا في المجتمع يملّسن شعرهنّ إلى الخلف على طريقة بايكر، باستخدام مُستحضر يُدعى مُثبِّت بايكر. بل وكنّ يحاولن تغميق بشرتهن.

شهرة مفاجئة كهذه مثّلت تغيّراً بحق، فمن مجرّد سنواتٍ قليلةٍ خلت، كانت جوزفين فتاة يافعة تنشأ في شرق سانت لويس، الذي كان واحداً من أسوأ أحياء الفقراء في أمريكا. كانت قد بدأت تعمل منذ سن الثامنة، بتنظيف المنازل لسيدةٍ بيضاء كانت تضربها. كانت تنام في بعض الأحيان في قبوٍ مليءٍ بالجرذان؛ لم يكن هنالك من أي مصدر للتدفئة في الشتاء. (كانت قد علّمت نفسها الرقص على طريقتها العاصفة لكي تساعد على تدفئة نفسها.) في عام 1919 لاذت بالفرار وأصبحت مؤدية ڤادڤيل بدوامٍ جزئي (الڤادڤيل: مسرحية هزلية خفيفة تشتمل عادةً على رقص وغناء: المترجم)، وحطّت في نيويورك بعد ذلك بسنتين بدون مالٍ أو صلات. كانت قد حظيت ببعض النجاح كفتاة كورس مهرّجة، مقدّمةً تسليةً كوميدية من خلال عينيها الحولاوين ووجهها غير المنتظم، لكنّها لم تَبرُز. ومن ثم دُعيت إلى باريس. بعض المؤدّين السود الآخرين كانوا قد رَفَضوا، خوفاً من أن تكون الأمور في فرنسا أسوأ مما هي أساساً عليه في أمريكا، لكن جوزفين انتهزت الفرصة.

بالرغم من نجاحها مع مسرح الزنوج، إلا أن جوزفين لم تضلّل أو

لعوباً، فإنه للحظةٍ يتجاهل الضرورات الملزمة التي تُجْبِره، في العمل كما في الأخلاقيات، في الحياة المنزلية كما في الحياة الاجتماعية...

• الشيء الذي يغيظنا ويصعب علينا احتماله هو أنّ الضرورات الملزمة لا تسمح لنا بأن نصوغ العالم كما نحب... ما نرغب به من أعماق قلوبنا، من ناحية ثانية، هو أن نخلق عالمنا لأنفسنا. متى استطعنا فعل ذلك، حتى لو بأبسط الدرجات، نكون سعداء. الآن من خلال اللعب نخلق عالمنا الخاص....

- البروفيسور هـ.أ. أوڤرستريت، *التأثير في السلوك الإنساني*

كلُّ شيءٍ كان هادئاً مجدّداً. (سحب جنجي المزلاج وجرب الأبواب. لم

تخدع نفسها: الباريسيون اشتُهروا بكونهم متقلّبين. فقرّرت أن تدير العلاقة رأساً على عقب. أولاً، رفضت أن تنحاز إلى أيّ نادٍ، وأنشأت سمعةً عن كونها تفسخ العقود متى أرادت، مُوضّحةً أنها كانت مستعدّةً لأن تترك في لحظة. منذ الطفولة كانت تخاف من الاعتماد على أيّ أحد؛ الآن لا يستطيع أحد أن يستخفّ بها أو ينظر إليها كأمرٍ مسلّم به. هذا لم يزد عن جعل رعاة الحفلات يمعنون في مطاردتها والعامة تمعن في تقديرها. ثانياً، كانت مدركةً أنه بالرغم من أن الثقافة الزنجية كانت قد أصبحت الموضة، إلا أن ما وقع الفرنسيون في حبه كان نوعاً من الكاريكاتير. إذا كان ذلك ما يلزم لتكون ناجحةً، فليكن، لكن جوزفين أوضحت أنّها لم تأخذ الكاريكاتير على محمل الجد؛ وبدلاً من ذلك ناقضته، مصبحةً امرأة الموضة الفرنسية المطلقة، الأمر الذي كان كاريكاتوراً ليس عن السواد وإنما عن البياض. كل شيءٍ كان دوراً للعب ـ الممثلة الكوميدية، الراقصة البدائية، الباريسية الفائقة الأناقة. وكل ما كانت تفعله جوزفين، كانت تفعله بخفّة ظل وعدم ادّعاء، ولذلك استمرّت لسنوات بإغواء الباريسيين الضجرين والمتخمين. جنازتها، في عام 1975، بُثّت تلفزيونيّاً في كل أنحاء البلد، وكانت تظاهرةً ثقافيّةً كبيرة. دُفِنَت بنوعٍ من الأبّهة التي كان يختصُّ بها عادةً رؤساء الدول فقط.

تَكُن موصدة. كان هناك ستارة مباشرةً بعد الباب، واستطاع في الضوء الخافت أن يميّز بصعوبة صناديق صينية وقطع أثاثٍ مبعثرة بغير نظام. شقّ طريقه نحوها. اضطجعت لوحدها، كشكلٍ بشريٍّ صغير ونحيل. بالرغم من كونها تضايقت على نحوٍ مبهم، إلّا أنه من الجليّ أنها اعتبرته السيدة شوجو إلى أنْ سَحَبَ الأغطية.

• ... أسلوبه كان مقنعاً على نحوٍ دَمِثٍ جدّاً لدرجة أن الشياطين والعفاريت لم تكن لتقاومه.

من مرحلةٍ باكرةٍ جدّاً، لم تُطِق جوزفين بايكر الشعور بعدم السيطرة على دنياها. ومع ذلك فما الذي كانت تستطيع فعله في وجه ظروفها غير الواعدة؟ كانت بعض الفتيات تعلّقن كل آمالهن على زوج، لكن والد جوزفين سرعان ما هجر أمها إثر ولادتها، ولم ترَ في الزواج إلّا شيئاً من شأنه أن يزيد من تعاستها. حلّها كان شيئاً غالباً ما يفعله الأطفال: كونها مُجابَهَةً ببيئةٍ ميئوسٍ منها، فقد انغلقت على نفسها في عالمٍ من صنعها الخاص، مُتغافلةً عن البشاعة التي من حولها. هذا العالم كان مليئاً بالرقص، بالتهريج، وبالأحلام عن الأشياء العظيمة. دع الناس الآخرين يشكون ويندبون؛ أما جوزفين فكانت تبتسم وتبقى واثقةً ومعتمدةً على النفس. تقريباً كل من قابلها، مِن سنيها الأولى إلى الأخيرة، علّق على مدى إغوائيّة هذه الخاصّية.

• ... كانت صغيرةً جدّاً فرفعها بسهولة. أثناء اجتيازه الأبواب نحو غرفته الخاصة، فقد التقى على سبيل المصادفة بِشوجو التي كانت قد استُدعِيت من قبل. صرخ مُتفاجئاً. حدّقت شوجو بالظلام كونها تفاجأت بدورها.

رفضها للتسوية، أو لتكون ما يُتَوَقّع منها أن تكون، جعل كل ما تعمله يبدو أصيلاً وطبيعيّاً.

يحب الطفل أن يلعب، وأن يخلق عالماً صغيراً مُحتوى بذاته. عندما ينهمك الأطفال في جعلك تصدّقهم، فإنّهم يكونون غايةً في السحر. هم يُشربون خيالاتهم بجدّيةٍ وإحساسٍ كبيرين. الطبيعيون الراشدون يفعلون شيئاً مشابهاً، خاصّةً إذا ما كانوا فنانين: هم يخلقون عالمهم الوهمي الخاص، ويعيشون فيه كما لو كان العالم الحقيقي. الخيال سارٌّ أكثر بكثير من الحقيقية، وبما أن معظم الناس ليست لديهم القدرة أو الشجاعة لخلق هكذا عالم، فهم يستمتعون بالتواجد حول أولئك الذين لديهم. تذكّر: الدور الذي أُعْطِيتَهُ في الحياة هو ليس الدور الذي يتعيّن عليك قبوله. تستطيع دائماً أن تحيا دوراً من إبداعك، دوراً يلائم خيالك. تعلّم أن تلعب بصورتك، وألاّ تأخذها أبداً على محمل الجد أكثر من اللازم. المفتاح هو أن تنفخ في لَعِبك اقتناع وإحساس الطفل، مما يجعله يبدو طبيعياً. كلما بدوت أكثر استغراقاً واندماجاً في عالمك المليء بالبهجة، كلما أصبحت أكثر إغوائيّةً. لا تتوقّف في منتصف الطريق: إجعل الخيال الذي تسكن فيه متطرّفاً وغريباً قدر الإمكان، وسوف تجتذب الانتباه كالمغناطيس.

4. كان عيد تفتّح الكرز في البلاط الهاياني، في يابان أواخر القرن العاشر. في قصر الإمبراطور، كان العديد من رجال ونساء البلاط في حالة سكر، وآخرين كانوا نائمين بعمق، لكن الأميرة الشابة أوبوروتزوكِيو، أخت زوجة الإمبراطور، كانت صاحيةً وهي تلقي بيت الشعر: «ما الذي يمكن مقارنته بقمر الربيع الضبابي؟» صوتها كان ناعماً ومرهفاً. تحرّكت نحو باب شقتها لتنظر إلى القمر. ومن ثمّ، وعلى حين غرّة، اشتمّت شيئاً حُلواً، وقبضت يدٌ على كمِّ ثوبها. «من تكون أنت؟» قالت وهي خائفة. «لا يوجد شيءٌ لتخافي منه،» قال صوتٌ رجوليّ، وتابع بشعرٍ من تأليفه: «في وقتٍ متأخّرٍ من الليل نستمتع بقمرٍ ضبابيّ. لا يوجد شيءٌ ضبابيّ فيما يتعلّق بالرباط فيما بيننا.» وبدون أيّ كلمةٍ أخرى، جذب الرجل الأميرة نحوه ورفعها حاملاً إياها إلى داخل رواقٍ خارج غرفتها، وهو ينسل من الباب

العبير الذي فاح من أرديته مثل غيمةٍ من الدّخان أخبرها من كان هو..... لحقت [شوجو] بهما، لكنّ جنجي لم يتأثر أبداً بتوسّلاتها. • «اذهبي لعندها في الصباح،» قال وهو يغلق الأبواب. • تصبّبت السيّدة عرقاً وكانت متحمّسةً جدّاً إزاء فكرة ماذا يمكن أن يدور بخلد شوجو والنساء الأخريات. كان على جنجي أن يشعر بالأسف نحوها. ومع ذلك فإنّ الكلمات العذبة تصدّرت كامل سلسلة الأدوات الجميلة التي من شأنها أن تجعل المرأة تستسلم.... • قد يتخيل المرء أنّه ابتدع العديد من الوعود اللطيفة التي من شأنها أن تؤاسيها....

ـ موراساكي شيكيبو، حكاية جنجي، ترجمة إدوارد جاي سايدنستيكر

المُغلق خلفه. كانت مرتعبةً، وحاولت أن تصرخ طلباً للنجدة. في جنح الظلام سمعته يقول، وبصوتٍ أعلى بقليل، «لن يجديكِ نفعاً. دائماً ما يُسمَحُ لي بأن أعبر طريقي. فقط كوني هادئة، لو سمحت من فضلك.»

الآن استطاعت الأميرة التعرّف على الصوت، وعلى الأريج: لقد كان جنجي، الابن الشاب لمحظيّة الإمبراطور السابق، الذي تحمل أرديته عطراً مميّزاً. هدّأ هذا من روعها نوعاً ما، كون الرجل كان شخصاً تعرفه، لكن من ناحيةٍ أخرى فقد كانت تعلم أيضاً عن سمعته: جنجي كان أكثر مغوي البلاط استفحالاً، رجلاً لم يكن من شيئٍ ليوقفه. كان سكراناً، والوقت شارف على بزوغ الفجر، والحرّاس سرعان ما كانوا على وشك البدء في جولاتهم؛ لم تشأ أن يُكشفَ أمرها معه. لكنها بدأت عندها بالتعرّف بشكلٍ غير واضح على معالم وجهه ـ كان آيةً في الجمال، ونظرته صادقة للغاية، لا يشوبها أيّ أثرٍ من المكر أو الخبث. بعد ذلك أتت المزيد من الأشعار، المُلقاة بذلك الصوت الساحر، كانت الكلمات موحيةً للغاية. الصور التي استحضرها ملأت ذهنها، وحوّلت انتباهها عن يديه. لم تستطع مقاومته.

عندما أخذ الضوء بالبزوغ، نهض جنجي على قدميه. قال بضعة كلمات رقيقة، تبادلا المراوح، ومن ثم غادر بسرعة. النساء العاملات في الخدمة أخذن الآن بالتوافد عبر غرف الإمبراطور، وعندما شاهدن جنجي وهو يبتعد مسرعاً، وعطره أرديته يعبق بعد ذهابه، فقد تبسّمن وهنّ عارفاتٍ بأنه كان في أثر إحدى خدعاته المعتادة؛ لكنّهن لم يتخيّلن أبداً أن يتجرّأ على الاقتراب من أخت زوجة الإمبراطور.

في الأيام التي تلت، لم تستطع أوبوروتزوكِيو إلّا أن تفكّر بجنجي. كانت تعرف بأن لديه عشيقاتٍ أخريات، لكنها عندما حاولت أن تخرجه من تفكيرها، وصلتها رسالةٌ منه، فرجعت إلى المربّع الأوّل. في الواقع، هي كانت من بدأ المراسلة، بعد أن انتابها ولازمها شبح زيارته الليلية المتأخرة. كان عليها أن تراه مجدّداً. بالرغم من المجازفة بالانكشاف، وكون أختها كوكيدن ـ زوجة الإمبراطور ـ تكره جنجي، فقد رتّبت الأمر من أجل مزيدٍ من اللقاءاتِ السرّية في شقّتها. لكن ذات ليلة ضبطهما سويّةً أحد رجال البلاط الحاسدين. وصل الخبر إلى كوكيدن، التي استشاطت غضباً بطبيعة

الحال. طالبت بأن يُطرَد جنجي من البلاط ولم يكن لدى الإمبراطور من خيارٍ سوى الموافقة.

مضى جنجي بعيداً وهدأت الأمور. ثم مات الإمبراطور واستلم ابنه مكانه. كان قد حلّ نوعٌ من الفراغ في البلاط: كومات النساء اللواتي كان جنجي قد أغواهن لم يستطعن تحمّل غيابه، فغمرنه بالرسائل. حتى النساء اللواتي لم يكنّ قد عرفنه على نحوٍ حميم أخذن بالنحيب على أيّ تذكارٍ كان قد تركه خلفه ـ رداء، على سبيل المثال، حيث لا يزال يعبق شذاه. وافتقد الإمبراطور الشاب حضوره المرح. وافتقدت الأميرات الموسيقى التي كان يعزفها على آلة الكوتو الوترية. وتاقت أوبوروتزوكِيو توقاً شديداً لزياراته الليلية المتأخرة. في آخر الأمر حتى كوكيدن انهارت، مدركةً أنها لا تستطيع مقاومته. لذا تم استدعاء جنجي مجدّداً إلى البلاط. حيث لم يُسامَح فحسب، بل ورُحِّبَ به أيضاً ترحيب الأبطال؛ الإمبراطور الشاب بذاته استقبل الوغد والدموع في عينيه.

قصة حياة جنجي رُوِيَت في رواية حكاية جنجي، للكاتبة موراساكي شيكيبو من القرن الحادي عشر، والتي كانت امرأةً في البلاط الهاياني. الشخصية استندت على الأرجح على رجلٍ حقيقيّ هو فوجيوارا نو كوريتشيكا. بالفعل فإنّ كتاباً آخر من نفس الحقبة، *كتاب الوسادة* لِساي شوناجون، يصف لقاءً ما بين الكاتبة وكوريتشيكا، ويصف سحره الخارق وتأثيره على النساء الذي يقارب التنويم المغناطيسي. جنجي هو عاشق طبيعيّ وغير دفاعيّ، رجلٌ لديه هوسٌ مستمرٌّ مدى الحياة بالنساء لكنّ تقديره لهن وعاطفته نحوهن جعلاه لا يُقاوَم. كما يقول في الرواية لأوبوروتزوكِيو، «دائماً ما يُسمَحُ لي بأن أعبر طريقي.» هذا الإعتقاد الذاتي يشكّل نصف سحر جنجي. المقاومة لا تجعله دفاعيّاً؛ فهو عندها يتراجع بلباقةٍ ووقار وهو يلقي قليلاً من الشعر، وأثناء مغادرته، فإن أريج أرديته ينسحب في أثره، في حين أن ضحيته تتساءل بتعجّب عن سبب خوفها لهذه الدرجة، وعمّا ضيّعته نتيجة رفضها إياه بازدراء، وتجد طريقةً لتدعه يعرف أنه في المرّة القادمة ستكون الأمور مختلفة. لا يأخذ جنجي شيئاً على محملٍ شخصيّ أو جدّي، وفي عمر الأربعين ـ العمر الذي يبدو عنده معظم رجال القرن

الحادي عشر مسنّين ورثّين، فقد كان لا يزال يبدو صبيّاً. قدراته الإغوائية لم تتخلَّ عنه أبداً.

الناس قابلون بشكلٍ هائل للإيحاء والتأثّر بأفكار الآخرين؛ طباعهم ومزاجهم وحالاتهم النفسية تمتدّ بسهولة إلى الناس الذين من حولهم. يعتمد الإغواء في الواقع على المحاكاة، على الخلق المتعمّد للحالة النفسية أو الشعور الذي يُعادُ إنتاجه بعد ذلك من قبل الشخص الآخر. لكن التردّد والارتباك هما أيضاً مُعدِيان، ومهلكان للإغواء. إذا بدوتَ في اللحظة الحرجة غير حاسمٍ أو مشغولاً بشكلٍ غير مريح بنقصك وهفواتك، فإن الشخص الآخر سوفَ يستشعر أنك تفكّر بنفسك، بدلاً من أن تكون مغموراً بسحره أو سحرها. سوف تُحَطَّم التعويذة. كعاشقٍ غير دفاعيّ، بالرغم من ذلك، فأنت تولّد التأثير المعاكس: قد تكون ضحيّتك متردّدة أو قلقة، لكن بمواجهة شخص واثقٌ وطبيعيٌّ للغاية، فإنها/ه سوف تُعدى بالمزاج. مثل الرقص مع شخصٍ أنت تقوده دون أي جّهد عبر باحة الرقص، إنها مهارةٌ تستطيع تعلّمها. إنها مسألة اجتثاث الخوف والارتباك والحرج الذي تنامى بداخلك عبر السنين، أن تصبح أكثر رشاقةً ووقاراً وأناقةً في مقاربتك، أقل دفاعيّةً عندما يبدو أن الآخرين يقاومون. غالباً ما تكون مقاومة الناس عبارة عن طريقة لامتحانك، وإذا أظهرتَ أيّ ارتباكٍ أو تردّد، فإنك لن تفشل في الامتحان وحسب، بل وستخاطر بإعدائهم بشكوكك.

الرمز: الحمل

ناعمٌ ومُحَبَّبٌ للغاية. في يومه الثاني
يكون بوسعه أن يَثِب برشاقة؛ خلال أسبوع يبدأ بلعب
لعبة «إتبع القائد.» ضعفه هو جزءٌ من سحره. الحمل براءة
صافية، بريءٌ لدرجة أننا نودُّ تملّكه، بل وحتّى التهامه.

المخاطر

خاصيّةٌ طفوليّة قد تكون ساحرة لكنها قد تكون أيضاً مزعجة؛ البريئون ليس لديهم خبرة بالعالم، وبوسع عذوبتهم أن تكون زائدةً عن الحد. في رواية ميلان كونديرا *كتاب الضحك والنسيان*، تحلم البطلة أنها علقت في جزيرةٍ مع مجموعة من الأطفال. سرعان ما تصبح صفاتهم الرائعة مزعجةً لها بشدّة؛ بعد بضعة أيام من التعرّض لهم لا يعود بإمكانها أن تتواصل معهم على الإطلاق. يتحوّل الحلم إلى كابوس، وتتوق للعودة إلى الراشدين، حيث الأشياء الحقيقية لعملها والتكلم عنها. بما أن الطفولية الكاملة يمكن أن تسبّب الإزعاج بسرعة، فإن معظم المغوين الطبيعيين هم أولئك الذين، على غرار جوزفين بايكر، يجمعون ما بين خبرة وحكمة الراشدين وما بين السلوك الشبيه بسلوك الأطفال. إنه هذا المزيج من الخصائص الذي يغري كأشد ما يكون الإغراء.

المجتمع لا يستطيع تحمّل العديد من الطبيعيين. بوجود حشدٍ من أمثال كورا بيرل أو شارلي شابلين، فإن سحرهم سوف يبلى بسرعة. على أيّ حالة فإنه عادةً الفنانين فقط، أو الأناس الذين لديهم وقت فراغ كافٍ، هم الذين يستطيعون تحمّل المضي في هذا الطريق إلى آخره. أفضل طريقة لتستخدم نمط الشخصية الطبيعية هي في مواقفٍ بعينها عندما تساعد لمسةٌ من البراءة أو العفرتة على خفض دفاعات هدفك. يلعب المخادع دور المغفّل أو الغبي ليجعل الشخص الآخر يثق به ويشعر بالتفوّق. هذا النوع من الطبيعية المزعومة أو المدّعاة له تطبيقات لا تُعَدُّ ولا تُحصى في الحياة اليومية، حيث لا يوجد شيءٌ أشدُّ خطورة من الظهور أذكى من الشخص المقابل؛ الوقفة الطبيعية هي الطريقة المثلى لِتُخفِ ذكاءك. لكنك إذا كنت طفولياً على نحوٍ لا يمكن التحكّم به ولا تستطيع إسكات طفوليتك، فإنك تجازف بأن تبدو مثيراً للشفقة، مستحقّاً بذلك ليس التعاطف وإنما الرثاء والاشمئزاز.

على نحوٍ مشابه، فإن الميزات الإغوائية للطبيعي تفعل أفضل فعلها في شخصٍ لا يزال شابّاً بما فيه الكفاية بالنسبة لهذه الميول كي *يبدو* طبيعيّاً. تحقيق هذه الميزات من قبل شخصٍ أكبر سنّاً يكون أصعب بكثير. لم تبدُ كورا بيرل غايةً في السحر عندما كانت لا تزال ترتدي ثيابها الزهرية

المكشكشة وهي في العقد السادس من عمرها. دوق بيكنغهام، الذي أغوى الجميع في البلاط الإنكليزي في عشرينات القرن السابع عشر (بمن فيهم الملك المُثليّ جايمس الأول نفسه)، كان طفوليّاً على نحوٍ رائع في الهيئة والسلوك: لكنّ هذا أصبح بغيضاً ومُنفِّراً مع تقدّمه في السن، وفي آخر الأمر صنع لنفسه أعداءٍ بما فيه الكفاية مما أدّى إلى اغتياله. وأنتَ تتقدّم في السن، إذن، يجب أن توحي سماتك الطبيعية بروح الطفل المنفتحة أكثر مما توحي بالبراءة التي لن تقنع أحداً بعد الآن.

المغناج

القـدرة

على تأجيل الرغبة هي مطلق فن

الإغواء ـ خلال الانتظار تقبع الضحية في حالة

عبودية. المغناجون هم أكبر أسياد اللعبة، يزاوجون في جيئةٍ

وذهاب ما بين الأمل والإحباط لتحقيق أقصى ما يمكن من

التأثير. يزودون بطُعم الوعد بمكافأة ـ الأمل في لذة جسدية،

سعادة، شهرة من خلال مرافقتهم، نفوذ ـ إلا أن كل هذه الوعود يتبين

أنها محض وهم؛ ومع ذلك فهذا لا يعدو عن جعل أهدافهم تطاردهم

أكثر من ذي قبل. المغناجون يبدون مكتفين ذاتياً بالكامل: فهم لا

يحتاجونك، هذا ما يقوله لسان حالهم، ويتبيّن أنّ نرجسيّتهم جذّابةٌ لأبعد

درجات الحدود. أنت تريد أن تخضعهم لكنّهم من يُمسك بالأوراق.

تكمن استراتيجيّة المغناج في عدم منح الإشباع الكامل أبداً. حاكِ مناوبة

الحرارة و البرودة للمغناج ولسوف تُبقي المَغويَ راكعاً عند قدميك.

المغناج البارد والساخن

في خريف عام 1795، لفَّت باريس رعشةٌ غريبة. عهد الإرهاب الذي تلا الثورة الفرنسية كان قد انتهى؛ وصوت المقصلة كان قد ولّى. تنفّست المدينة الصعداء، وأفسحت المجال للحفلات الصاخبة ولمهرجاناتٍ وأعياد لا تنتهي.

نابوليون بونابرت الشاب، الذي كان في السادسة والعشرين من العمر في ذلك الوقت، لم يكن لديه اهتمام بمثل هذاه المظاهر من المرح الصاخب. كان قد صنع لنفسه اسماً كقائدٍ لامعٍ وجريء ساعدَ على إنهاء العصيان في الأقاليم، لكنّ طموحه كان بلا حدود واشتعل رغبةً بالفتوحات الجديدة. وهكذا عندما زارته في مكتبه ـ في شهر أكتوبر من ذلك العام ـ الأرملة سيئة الصيت البالغة من العمر الثالثة والثلاثين جوزفين دي بوهارناي، لم يستطع إلّا أن يرتبك. كانت جوزفين مختلفةٌ جدّاً، وكلّ ما يتعلّق بها كان لا مبالياً وشهوانيّاً. (أفادت من كونها أجنبيّة ـ فهي أتت من جزيرة المارتينيك.) من ناحيةٍ أخرى كان لديها سمعةٌ كامرأةٍ فلتانة، ونابوليون الخجول كان يؤمن بالزواج. حتّى والحال كذلك، إلّا أن نابوليون وجد نفسه وقد لبّى دعوة جوزفين إلى إحدى سهراتها الأسبوعية.

هناك بالفعل رجالٌ يولعون بالمقاومة أكثر مما يولعون بالمطاوعة والذين يفضّلون ومن غير قصدٍ أو معرفة السماء المتقلّبة، في لحظةٍ ساطعة وستية، وفي لحظة أخرى تسودّ وتكفهرّ بالبروق، لتصبح بعدها سماء الحبّ الزرقاء الصافية. دعونا لا ننسى أن جوزفين كان عليها أن تتعامل مع فاتح وأن الحبّ يشابه الحرب. لم تستسلم، تركت نفسها تُخضَع. لو كانت أكثر رقّةً، أو أكثر

شعرَ في السهرة أنّه خارج وَسَطِه كلّياً. كل كتّاب المدينة العظام ومفكّريها كانوا هنالك، بالإضافة إلى بعض النبلاء الذين كانوا قد بقوا على قيد الحياة (بعد الثورة الفرنسية) ـ جوزفين نفسها كانت ڤيكونتيسة وبالكاد أفلتت من المقصلة. النساء كنّ باهرات الجمال، بعضهنّ أجمل من المضيفة نفسها، لكنّ كل الرجال تحلّقوا حول جوزفين، وقد جذبهم حضورها الرشيق وسلوكها الملكيّ. عدّة مرّات تركت الرجال خلفها وذهبت لعند

نابوليون؛ لم يكن شيءٌ ليشبع كبرياء أناهُ الفاقد للشعورِ بالأمان أكثر من هذه العناية وهذا الانتباه.

أخذ يزورها. في بعض الأحيان كانت تتجاهله، فيغادر وهو يستشيط غضباً. إلّا أنّه في اليوم التالي كانت تصله رسالةٌ مشبوبة العاطفة من جوزفين، فيهرع لرؤيتها. سرعان ما أصبح يمضي معظم وقته معها. إظهارها بين الحين والآخر للحزن، ونوبات غضبها وبكائها، لم تزد عن تعميق تعلّقه وارتباطه بها. في آذار من عام 1796، تزوّج نابوليون من جوزفين.

بعد يومين من الزفاف، غادر نابوليون ليقود حملةً في شمال إيطاليا ضد النمساويين. «أنت موضوع تفكيري الثابت،» كتب إلى زوجته من خارج البلاد. «مخيّلتي تضني نفسها في تخمين وحزر ما تفعلين.» رآه قادة جيشه مشتّت الانتباه: إذ كان يغادر الاجتماعات باكراً، ويمضي ساعات في كتابة الرسائل، أو يحدّق في رسم جوزفين المُصغّر الذي ارتداه حول عنقه. كان قد وصل إلى هذه الحالة نتيجةً للبعد الذي لا يحتمل ما بينه وبين جوزفين ونتيجةً للبرود الطفيف الذي أخذ يستشعره عندها في ذلك الوقت ـ إذ كتبت بشكلٍ نادرٍ وغير منتظم، وافتقرت رسائلها إلى الشغف والعاطفة؛ ولم تنضم إليه في إيطاليا. كان عليه أن ينهي الحرب بسرعة، كي يستطيع أن يرجع إلى عندها. أخذ يرتكب الأخطاء نتيجةً لاشتباكه مع العدوّ بحماسٍ غير عاديّ. «لأعش من أجل جوزفين!» كتب إليها. «أنا أعمل لأقترب منك؛ أقتل نفسي لأصل إليك.» أصبحت رسائله أكثر هياماً وشهوانيّةً؛ كتب أحد أصدقاء جوزفين والذي رأى تلك الرسائل، «الكتابة بالكاد كانت تُقرأ، والكلمات رُسِمَت بشكلٍ مرتعش، والأسلوب كان غريباً ومضطرباً .... ياله من موقعٍ بالنسبة إلى امرأة لتجد نفسها فيه ـ أن تكون القوة الدافعة وراء الزحف المنتصر لجيشٍ بأكمله.»

مضت أشهر ترجّى خلالها نابوليون جوزفين أن تأتي إلى إيطاليا إلّا أنّها انتحلت أعذاراً لا حصر لها. لكنها وافقت أخيراً على المجيء، وغادرت من باريس نحو بريسيا، التي اتّخذها مركزاً للقيادة. ولكن مناوشةً للجيش حصلت على امتداد الطريق وأجبرتها على الانعطاف نحو ميلان. كان نابوليون في المعركة بعيداً عن بريسيا؛ وعندما عاد ليجد أنها لا تزال غائبة، اعتبر أن خصمه (الجنرال ڤورمسر) كان المسؤول عمّا حدث وأقسم على

ملاطفةً وحبّاً، لربّما أحبها بونابرت بدرجة أقل.

ـ إيمبر دي سان ـ آمان، مُقْتَبَس في *الإمبراطورة جوزفين: ساحرة نابوليون*، فيليب دابليو. سيرجان

هنالك أيضاً وفي كل ليلة، على غير المطّلعين، / مخاطرة ـ ليست بالفعل مثل الحب أو الزواج،/ لكن على الأقل لا يجب أن نقلّل من أهمّيتها: / إنّها ـ قصدت وأقصد ألاّ أذُم / استعراض الفضيلة حتّى عند الفاسدين ـ / إنه يضفي سمّواً خارجيّاً على مشيتهم ـ / لكن لنشجب الصّنف المزدوج الطبيعة من المومسات، / اللون الزهري، الذي هو ليس بأبيض ولا قرمزي. / هكذا هو مغناجك البارد،

الانتقام. خلال الأشهر القليلة التالية بدا أنه يطارد هدفين وبنفس القوّة: ڤورمسر وجوزفين. زوجته لم تكن أبداً حيثُ يُفْتَرَضُ بها أن تكون: «وصلتُ إلى ميلان، وهُرِعتُ إلى منزلك بعد أن رميتُ كلّ شيءٍ جانباً لكي أتلقّفك بين ذراعيّ. لم تكوني هناك!» شعر نابوليون بالغضب والغيرة، لكنّه عندما لحق بها أخيراً، فإن أبسط مِنّاتها كانت تذيب قلبه. مضى معها في رحلاتٍ طويلة على متنِ عربةٍ مُعَتّمة، بينما كان قادة جيشه يستشيطون غضباً ـ إذ كان يتغيّب عن الاجتماعات، ويصدر الأوامر والاستراتيجيّات بشكلٍ ارتجاليّ. كتب إليها فيما بعد، «لم تكن امرأةٌ قط على هذه الدرجة من السيادة المطلقة على قلب رجل.» ومع ذلك فإن الوقت الذي أمضياه سويّاً كان قصيراً جدّاً. خلال حملةٍ دامت حوالي السنة، فقد أمضى نابوليون مجرّد خمس عشرة ليلة مع عروسه الجديدة.

سمع نابوليون فيما بعد إشاعاتٍ مفادها أنّ جوزفين كانت قد اتّخذت لنفسها عشيقاً عندما كان في إيطاليا. بَرُدَت مشاعره تجاهها، واتّخذ لنفسه سلسلةً لا تنتهي من العشيقات. ومع ذلك فإن جوزفين لم تعبأ حقيقةً بهذا التهديد لسطوتها على زوجها؛ قليلٌ من الدموع، وبعض التمثيل المسرحي، وقليلٌ من البرودة من جانبها، كفلوا أن يظلّ عبدها. في عام 1804، جعلها إمبراطورة مُتَوّجة، ولو ولدت له ابناً، لظلّت إمبراطورة حتّى النهاية. عندما استلقى نابوليون على فراش الموت، كانت آخر كلمةٍ تفوّه بها هي «جوزفين.»

الذي لا يحسن قول «لا،» / ولن يقول «نعم،» ويبقيك قرب اليابسة وفي عرض البحر/ على شاطئ تهبّ نحوه الريح، إلى أن تبدأ بالهبوب ـ / ومن ثمّ ترى قلبك محطّماً ومليئاً بالسخرية الذاتية. هذا يصنع عالماً من الحسرات والويلات والكوارث العاطفيّة، / ويرسل كلّ سنةٍ كائناتٍ جديدة إلى الكفن؛ / لكنّه إلى الآن مجرّد غزلٍ بريء، ليس زنى تماماً، وإنّما غشّ.

ـ اللورد بايرون

المغناج البارد

خلال الثورة الفرنسية، كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تخسر رأسها على المقصلة. تركتها التجربة دون أوهام، وأرست في ذهنها هدفين: أن تحيا حياةً من المتعة، وأن تجد الرجل الأقدر على تأمين هذه الحياة. وضعت أنظارها نُصبَ نابوليون منذ البداية. كان شابّاً ولديه مستقبلٌ لامع. تحت مظهره الهادئ، أحسّت جوزفين، بأنه كان عاطفيّاً بشدّة وعدوانيّاً، لكنّ هذا لم يُخفِها ـ إذ لم يعدُ عن كشفِ ضعفه وقلّة شعوره بالأمان. كان من السهل استعباده. أولاً، كيّفت جوزفين نفسها وفقاً لطبعه ومزاجه، وسحرته بكياستها وحسنها الأنثوي، وطمأنته بدفءِ نظراتها وسلوكها. أراد أن يتملّكها. وبمجرّد ما أيقظت هذه الرغبة، فإنّ قوّتها كمُنت في تأجيل إشباعها، والتهرّب منه، وإحباطه وتخييبه. في الحقيقة فإن عذاب المطاردة

هنالك طريقة ليقدّم بها الشخص قضيّته وفي فعله هذا يتعامل مع الجمهور بأسلوبٍ هادئٍ ومُتَنازل لدرجة أنّهم سيلاحظون أن هذا الشخص لا يفعل هذا لإرضائهم. المبدأ يجب دائماً أن يكون في ألاّ تعمل تنازلاتٍ

منح نابوليون لذّةً مازوشية. تاق لأن يُخضِعَ روحها المستقلّة، كما لو كانت عدوّاً في معركة.

الناس مشاكسون وفاسدون بشكلٍ مُتأصّل. ففتحٌ سهل لديه قيمةٌ أدنى من واحدٍ صعب؛ نحن نُثارُ فقط بما نُحرَمُ منه، بما لا نستطيع حيازته بشكلٍ تام. قوّتك الأعظم في الإغواء هي قدرتك على أن تشيح بوجهك جانباً وترفض، أن تجعل الآخرين يسعون وراءك، من خلال تأجيل إشباع رغباتهم وحاجاتهم. معظم الناس يخطئون التقدير والحساب ويستسلمون باكراً جدّاً، خوفاً من أن يخسر الشخص الآخر الاهتمام، أو اعتقاداً منهم بأنّ إعطاء الآخر ما يريد أو تريد سوف يمنح المعطي نوعاً من القوة. الحقيقة هي النقيض من ذلك: بمجرّد ما تفي بمطالب ورغبات أحدهم، فإنك لن تتمتّع بعد ذلك بالأفضلية وإمكانيّة المبادرة، وستجعل من نفسك عرضةً لإمكانيّة أن يفقد أو تفقد الاهتمام لدى أبسط نزوة. تذكّر: الزّهو حاسمٌ في الحب. إجعل أهدافك خائفةً من أنّك قد تنسحب، من أنّك غير مهتمٍّ حقّاً، وستوقظ شعورهم المتأصّل بعدم الأمان، وخوفهم من أنّهم أصبحوا أقلّ إثارةً لك بسبب معرفتك إيّاهم. هذه المشاعر بعدم الأمان تكون مدمّرة. ومن ثمّ، بمجرّد ما جعلتهم غير متأكّدين منك ومن أنفسهم، أَعِد إيقاظ أملهم، جاعلاً إيّاهم يشعرون بأنّهم مرغوبون مجدّداً. ساخن وبارد، ساخن وبارد ـ هكذا غنج يكون ممتعاً بشكلٍ منافٍ للمنطق، إذ يُعمّق الاهتمام والولوع ويُبقي إمكانيّة المبادرة إلى جانبك. لا تُثبَّط بغضب هدفك؛ إنّه علامة أكيدة على الاستعباد.

لأولئك الذين ليس لديهم شيء ليعطونه وإنّما للذين لديهم كل شيءٍ ليكسبونه منّا. نستطيع أن ننتظر إلى أن يتوسّلوا وهم جاثون على ركبهم حتّى لو استغرق ذلك وقتاً طويلاً جدّاً.

ـ سيغموند فرويد، في رسالةٍ إلى تلميذ، *مُقتَبس في فرويد وأتباعه* لبول روزن

من تتوق للاحتفاظ بسطوتها ينبغي لها أن تتلاعب بحبيبها.

ـ أوڤيد

عندما حان ميعادها، وضعت تلك الحوريّة الأكثر جمالاً ولداً يستطيع المرء أن يعشقه حتّى وهو في مهده، وأسمته نارسيسيوس....بلغ ولد سيفيسيوس سنته السادسة عشرة، وكان يمكن إعتباره صبيّاً ورجلاً في آنٍ معاً. وقع الكثير من الغلمان والفتيات في حبه، لكنّ جسمه الناعم واليافع اختزن اعتداداً عنيداً لدرجة أنه لم يجرؤ أحدٌ من أولئك الصبية أو تلك الفتيات على لمسه.

المغناج البارد

في العام 1952، بدأ الكاتب ترومان كابوت الذي لقي النجاح مؤخّراً في الأوساط الأدبية والاجتماعية باستلام وابلٍ من الرسائل على نحوٍ شبه

يوميّ من شابٌّ معجبٍ يُدعى آندي وارهول الذي كان يزوّد مصمّمي الأحذية ومجلاّت الموضة والأشياء التي من هذا القبيل بالرسوم التوضيحيّة. عمِلَ وارهول رسوماتٍ جميلةً ومبدعة كان قد أرسل بعضها إلى كابوت أملاً في أن يُضمِّنُها في أحد كتبه. لم يستجب كابوت. ذات يوم رجع إلى منزله ليجد وارهول وهو يتحدّث مع أمّه التي كان كابوت يعيش معها. وبدأ وارهول يتّصل بشكلٍ شبه يوميّ. في النهاية وضع كابوت حدّاً لكلّ هذا: «يبدو واحداً من أولئك الناس اليائسين الذين تعرف تماماً أنّه لن يحصل شيءٌ لهم، مجرّد يائسٍ وخاسرٍ بالفطرة،» قال الكاتب فيما بعد.

بعد عشر سنواتٍ من ذلك، حصل الفنّان الطامح آندي وارهول على أوّل عرضٍ منفرد له في معرض ستايبل للأعمال الفنية في مانهاتن. على الجدران كانت توجد سلسلة من الرسومات ذات الأرضية الحريرية والمشغولة على غرار علبة الحساء من نوع كامبيل وزجاجة الكوكاكولا. لدى افتتاح الحفل ولدى نهايته، وقف وارهول جانباً وهو يحدّق على نحوٍ خالٍ من التعبير ومن دون أن يتحدّث كثيراً. كم كان مختلفاً عن الجيل السابق من الفنانين، التعبيريّين التجريديّين - الذين كانوا في المقام الأول فاسقين ومعاقرين للخمر مليئين بالتّبجّح والعدوان، ومُزايدين كانوا قد هيمنوا على المشهد الفني في الخمس عشرة سنة المنصرمة. وكم كان مغايراً لوارهول الذي كان قد ضايق كابوت باستمرار، إضافةً إلى تجّار الفن ورعاته. النقّاد كانوا مُحَيّرين ومأسورين ببرودة عمل وارهول؛ لم يستطيعوا تصوّر كيفيّة شعور الفنان حيال موضوعات فنّه. ماذا كان موقعه؟ ماذا كان يحاول أن يقول؟ عندما كانوا يسألونه، كان يجيب ببساطة، «أنا أعمله فقط لأنّني أحبّه،» أو، «أحبُّ الحساء.» جمح المفسّرون في تفسيراتهم وتأويلاتهم: فكتب أحدهم «فنٌّ كفنّ وارهول هو طفيليٌّ بالضرورة على أساطير عصره،» وكتب آخر، «القرار بألاّ تقرّر هو مفارقةٌ مساوية لفكرةٍ تعبّر عن لا شيء لكنّها تضفي عليه بعداً بعد ذلك.» كان العرض نجاحاً كبيراً رسّخ وارهول كرمزٍ متصدّرٍ في الاتجاه الجديد، الفن الشعبي (الذي دمج ما بين الثقافة الشعبية المعاصرة والإعلام وامتدّ ما بين خمسينات وسبعينات القرن الماضي: المترجم.)

في عام 1963، استأجر وارهول علّيّةً كبيرةً في مانهاتن أطلق عليها

ذات يوم، عندما كان يستدرج أيلاً خائفاً إلى شباكه، شوهِد من قبل تلك الحوريّة الكثيرةُ الكلام التي لا تستطيع البقاء صامتة عندما يتكلّم غيرها، لكن مع ذلك لم تتعلّم أن تبادر بالكلام. اسمها صَدى، وتردّد الكلام دائماً.... • وهكذا عندما رأت نارسيسوس يتجوّل عبر الريف الموحش، وقعت صدى في حبّه وتعقّبت خطواته في الخفاء. بقدر ما تبعته عن كثب، بقدر ما أصبحت أقرب من النار التي حرقتها: تماماً كما يضطّرم الكبريت، الذي يوضَع حول ذُرى المشاعل، بسرعة عندما يُقَرَّبُ منه اللهب. كم تمنّت أن تقوم بالمبادرات الإطرائيّة، أن تدنو منه بالالتماسات الرقيقة! • الصبي، بالصدفة، كان قد تاه بعيداً عن زمرة رفاقه

اسم المصنع والتي سرعان ما أصبحت محوراً لحاشيةٍ كبيرة ـ الطفيليّين، الممثّلين، الفنّانين الطامحين. هنا وخاصّةً في الليل، كان وارهول يتجوّل، أو يقف في زاوية. الناس كانوا يتجمّعون من حوله، يناضلون من أجل اهتمامه، يمطرونه بالأسئلة؛ فيجيب بطريقته الملتبسة وغير الدالّة بوضوح على موقفه أو شعوره. لكن لم يستطع أحدٌ أن يدنو منه، جسديّاً أو معنويّاً؛ إذ لم يكن يسمح بهذا. في نفس الوقت، إذا مرّ بك دون أن يمنحك سلامه المعتاد: «آه، مرحباً،» تكون قد دُمّرت. لم يلاحظك؛ لربّما سيُستَغنى عنك وترحل.

نتيجةً لاهتمامه المتزايد بصناعة الأفلام، أخذ وارهول يُسند أدواراً لأصدقائه في أفلامه. في الواقع كان يقدّم لهم نوعاً من الشهرة الفوريّة («الخمس عشرة دقيقة من الشهرة» الخاصّة بهم ـ والعبارة لوارهول). سرعان ما أصبح الناس يتزاحمون ويتنافسون من أجل الأدوار. هيّأ نساءً دون غيرهنّ من أجل النجوميّة: إدي سيدجويك، ڤيڤا، نيكو. مجرّد التواجد حوله يقدّم نوعاً من الشهرة بالمزاملة. المصنع أصبح محط الأنظار، وكانت نجماتٌ من أمثال جودي جارلند وتينيسي ويليامز يذهبن إلى الحفلات هناك حيث يختلطن ودون الرّسميّات المعتادة، مع سيدجويك، ڤيڤا، والشرائح البوهيمية الأدنى التي كان وارهول قد صادقها. بدأ الناس بإرسال سيّارات الليموزين لِتُقِلّه إلى حفلاتٍ من صنعهم؛ حضوره لوحده كان كافياً ليحيل حدثاً اجتماعيّاً إلى مشهدٍ سينمائي ـ ومع ذلك فقد كان يشقُّ طريقه في صمت أو ما يقاربه، وهو منكفئٌ على نفسه ويغادر باكراً.

في عام 1967، طُلِبَ من وارهول أن يُحاضر في عدّة جامعات. كان يكره الكلام وتحديداً عن فنّه الخاص؛ فقد كان يشعر بأنّه «بقدر ما يكون الشّيء كاملاً، بقدر ما تكون الحاجة للتّكلّم عنه قليلة.» لكنّ العرض كان سخيّاً من الناحية المادّية، ولطالما وجد وارهول صعوبةً في قولِ لا للمال. حلّه كان بسيطاً: طلب من الممثّل آلن ميدجت أن ينتحل شخصه. ميدجت كان داكن الشعر، برونزيّ اللون، ونصف هندي أحمر. لم يكن يشبه وارهول بأدنى درجة. لكنّ وارهول وبعض الأصدقاء غطّوا وجهه بالبودرة، ورشّوا شعره البنّي باللون الفضّي، وأعطوه نظّاراتٍ داكنة، وألبسوه ثياب وارهول. نظراً لأنّ ميدجت لم يكن يعرف شيئاً عن الفن، فقد جاءت أجوبته قصيرة

المخلصين، وصاح: «هل يوجد أحدٌ هنا؟» أجابت صدى: «هنا!» تسمّر نارسيسوس مشدوهاً وهو ينظر في جميع الاتّجاهات من حوله... نظر خلفه، فلمّا لم يَظهر أحد، صرخ ثانيةً: «لماذا تتجنّبينني؟» لكن كل ما سمعه كان صدى كلماته. ومع ذلك فقد أصرّ ـ كونه ضُلِّلَ بما حسبه صوت شخصٍ آخر ـ وقال، «تعالي إلى هنا، ودعينا نلتقي» أجابت صدى: «دعينا نلتقي!» ولم تُرجِع أبداً بعدها أيّ صوت بهذه الرغبة وهذا الاستعداد. لتجعل كلماتها أوضح فقد خرجت من الغابة وهمّت برمي ذراعيها حول العنق الذي أحبت: لكنّه فرّ منها وهو يصرخ: «إليك عنّي أنتِ وعناقاتك! أفضّل الموت على أن تلمسيني!»... حُزِنَت وبالتالي

وملغّزة كأجوبة وارهول نفسه. نجح الانتحال. قد يكون وارهول رمزاً مشهوراً، لكن لم يعرفه أحد حق المعرفة، وبما أنّه غالباً ما كان يرتدي نظّاراتٍ داكنة، فحتّى وجهه لم يكن مألوفاً بالتفاصيل. كان مستمعو المحاضرة بعيدين بما فيه الكفاية ليغتاظوا بفكرة حضوره، ولم يقترب أحدٌ بما فيه الكفاية ليكتشف الخدعة. لقد ظلّ محيّراً.

من بداية حياته، كان آندي وارهول مبتلياً بمشاعر متضاربة: أراد الشهرة باستقتال، لكنّه كان بالشّكل الطبيعي سلبيّاً وخجولاً. قال وارهول: «لطالما عشتُ صراعاً، لأنني خجول ومع ذلك أود أن آخذ الكثير من المساحة الشخصية. أمي قالت لي دائماً: 'لا تكن ملحاحاً، لكن دع الجميع يعرفون أنك موجود.'» في البداية حاول وارهول أن يجعل نفسه أكثر توكيداً واقتحاماً، مجهداً نفسه كي يسترضي ويخطب الودّ. لكنّ هذا لم يكن ناجعاً. بعد عشر سنواتٍ عقيمة تخلّى عن المحاولة وانكفأ لسلبيّته الخاصّة ـ فقط عند ذلك اكتشف القوّة التي يستدعيها الانسحاب.

وارهول بدأ هذه المسيرة (العمليّة) في أعماله الفنية، التي تغيّرت بشكلٍ جذريٍّ ومفاجئ في بداية الستينات. فرسوماته الجديدة لعُلَب الحساء، والطوابع الخضراء، وصورٍ أخرى معروفة على نطاقٍ واسع لم تصدمك بمعناها؛ في الواقع كان معناها محيّراً بالكامل، الأمر الذي لم يؤدِّ إلّا إلى إبراز سحرها. كانت رسوماته تجتذبك بكونها مباشرةً، وبقوّتها المرئية وببرودها. بعد أن حوّر فنّه، قام وارهول أيضاً بتحوير نفسه: فأصبح، كلوحاته مجرّد سطح. مرّن نفسه على الانكفاء والصمت.

العالم مليءٌ بالناس الذين يحاولون، الذين يفرضون أنفسهم بطريقةٍ اقتحامية. قد يحرزون انتصاراتٍ مؤقّتة، لكن كلّما طال تواجدهم، أراد الناس أن يدحضوهم ويفنّدوهم. لا يتركون أيّ مسافةٍ من حولهم، وبدون مسافة لا يمكن أن يكون هنالك إغواء. المغناجون الباردون يخلقون المسافة ببقائهم محيِّرين وبجعلهم الآخرين يسعون وراءهم. هدوؤهم يوحي بثقةٍ مطمئنة من المثير التّواجد بقربها، حتى لو لم تكن موجودةً حقّاً؛ صمتهم يجعلك ترغب بالتكلّم. اكتفاؤهم الذاتي وظهورهم على أنهم غير محتاجين للناس الآخرين، لا يؤدّي إلّا لجعلنا نرغب في عمل أشياءٍ لهم، ولأن نكون

أخفت نفسها في الغابات، مُخَبِّئَةً وجهها المُتمرّغ بالعار في ستر الأوراق، ومنذ ذلك اليوم تقطن في الكهوف المهجورة. ومع ذلك فإنّ حبها له ظلّ مُتَجَذِّراً بقوة في قلبها، وزاده ألماً كونها رُفِضَت... • نارسيسيوس كان قد لعب بعواطفها، وعاملها كما كان قد عامل في السابق أرواح الماء والغابات الأخرى، وكذلك معجبيه من الذكور. ومن ثم رفع واحدٌ من أولئك الذين كان قد ازدراهم وسخر منهم يديه إلى السماء مصلّياً: «يا ليته هو نفسه يقع بحبّ شخصٍ آخر، كما كنّا قد وقعنا في حبه! يا ليته أيضاً يكون عاجزاً عن الظفر بمحبوبه!» سمعت إلاهة الانتقام وأجابت دعاءه الصالح... • نارسيسيوس المُتعب من الصيد في قيظ

النهار، استلقى هنا [بجانب بركةٍ صافية]: فقد جذبه الربيع وجمال المكان. بينما كان يسعى لإطفاء عطشه، تنامى بداخله عطشٌ آخر، وبينما كان يشرب، انسحر بالانعكاس الجميل الذي رآه. وقع في حبّ أملٍ وهميّ، فحَسِبَ ما كان مجرد صورةً منعكسة شخصاً حقيقيّاً. كونه سُحِرَ بذات نفسه، ظلّ هناك بلا حراك وفي عينيه تحديقةٌ ثابتةٌ، كتمثالٍ منحوتٍ من رخام جزيرة باروس... من دون قصدٍ أو وعي، رغب بنفسه، وكان هو نفسه مادّة أو موضوع استحسانه الخاص، في نفس الوقت كان القاصد والمقصود، هو نفسه أوقد اللهب الذي أحرقه. كم قبل ومن دون جدوى البركة الغرّارة، كم غطّس يديه عميقاً في المياه، وهو يحاول أن يعانق

متعطّشين لأدنى علامات أو إيماءات الاعتراف والاستحسان. قد يكون التعامل مع المغناجين الباردين مثيراً للغضب والجنون - فهم لا يكرّسون أنفسهم لأحد، لكنّهم لا يقولون لا أبداً، ولا يسمحون بالقرب أبداً - إلّا أننا في أغلب الأحيان نجد أنفسنا وقد رجعنا إليهم، إذ أدمنّا الفتور الذي يظهروه. تذكّر: الإغواء هو عمليّة استدراج للناس وجعلهم يرغبون بمطاردتك وتملّكك. إظهر على أنّك بعيدٌ ومتشامخ بعض الشيء وسَيُجَنّ الناس في سعيهم لنيل حظوتك. البشر - كالطبيعة - يكرهون الخواء، والنّأي (التباعد) العاطفي والصمت يجعلانهم يبذلون قصارى جهدهم لكي يملؤوا الفراغ بكلماتهم وحرارتهم الخاصة. إرجع خطوةً إلى الخلف مثل وارهول ودعهم يكافحون ويناضلون للحصول عليك.

النساء [النرجسيات] هنّ أكثر من يسحر ويفتن الرجال على الإطلاق... سحر الطفل يكمن ولحدٍّ كبير في نرجسيّته واكتفائه الذاتي وعدم القدرة على بلوغه أو التأثير فيه أو الحصول عليه، تماماً كسحر بعض الحيوانات التي تبدو أنها لا تكترث بنا، كالقطط.... الحال هو وكأنّنا نحسدهم على قدرتهم على الاحتفاظ بحالةٍ ذهنيّةٍ سعيدة - حالة - ليبيدو حصينة والتي كنا نحن أنفسنا قد تخلّينا عنها منذ ذلك الحين.

- سيغموند فرويد

المفاتيح إلى الشخصية

تبعاً للمفهوم الشعبي، فالمغناجون هم مغيظون ومستفزّون من الطراز الأول، خبراء في إيقاظ الرغبة من خلال مظهرٍ مثير أو سلوكٍ مُغري. لكن الجوهر الحقيقي للمغناجين هو في الواقع قدرتهم على احتجاز الناس عاطفيّاً، وإبقاء ضحاياهم في براثنهم طويلاً بعد دغدغة الرغبة الأولى. هذه هي المهارة التي تضعهم في مصافّ المغوين الأكثر فاعليّة. قد يبدو نجاحهم شاذّاً وعرضيّاً بعض الشيء، بما أنهم مخلوقاتٌ باردة وبعيدة بشكلٍ أساسيّ؛ إذا

حدث وعرفت واحداً منهم بشكلٍ جيد، فإنّك سوف تستشعر عنده أو عندها نواة عدم الارتباط وحبّ النفس. قد يبدو من المنطقي أنّك بمجرّد ما تصبح مدركاً لهذه الخاصيّة فإنّك سوف تميّز حقيقة تلاعبات المغناج وتفقد الاهتمام، إلّا أنّنا غالباً ما نرى العكس من ذلك. بعد سنوات من ألعاب جوزفين المغناجيّة، فقد أصبح نابوليون مدركاً بشكلٍ جيّد كم كانت متلاعبة. ومع ذلك فإن فاتح وقاهر الممالك هذا، هذا النزّاع إلى الشّك والساخر من الناس ودوافعهم، لم يستطع تركها.

لكي تفهم سطوة المغناج الفريدة، ينبغي عليك أوّلاً أن تفهم خاصّيّةً جوهريّةً في الحب والرغبة: كلّما طاردت شخصاً ما بشكلٍ واضح، كان تنفيرك لهم أمراً أكثر وروداً. الكثير من الاهتمام يمكن أن يكون مثيراً لوهلة، لكن سرعان ما يزيد عن الحد المطلوب وفي النهاية يصبح خانقاً ومخيفاً. فهو مؤشّرٌ للضّعف والحاجة، اللذين يشكّلان مركّباً منفّراً. كم نرتكب هذا الخطأ عندما نعتقد أن حضورنا المتواصل هو شيءٌ مطمئن. لكنّ المغناجين لديهم فهمٌ متأصّل لهذه الديناميكيّة بالتحديد. كونهم سادة في الانسحاب الاختياري، فهو يُلمِعون إلى البرود، ويُغَيِّبون أنفسهم بين الحين والآخر ليبقوا ضحيّتهم متفاجئةً ومأسورة وفي حالة عدم توازن. انسحابهم وتراجعهم يجعلانهم غامضين، ويؤدّيان إلى تعظيمنا إيّاهم في مخيّلتنا. (الألفة، من الناحية الأخرى، تقوّض وتُضعف ما كنّا بنيناه.) فترةٌ من البعد تُشاغِل العواطف على نحوٍ أعمق؛ وتجعلنا نشعر بعدم الأمان وليس بالغضب. لعلّهم لا يحبّوننا حقّاً، أو لربّما خسرنا اهتمامهم. بمجرّد ما يوضع غرورنا على المحكّ، فإنّنا نخضع للمغناج لنثبت وحسب أنّنا لا نزال مرغوبين. تذكّر: جوهر الإغواء لا يكمن في الإغاظة والإغراء وإنّما في خطوة الانسحاب اللاحقة، الانسحاب العاطفي. ذاك هو المفتاح لاستعباد الرغبة.

كي تحظى بقوّة المغناج، عليك أن تفهم خاصّيّةً أخرى: النرجسيّة. وصّف سيغموند فرويد «المرأة النرجسيّة» (التي تكون مهووسةً في معظم الأحيان بمظهرها) كالنمط ذي الأثر الأعظم على الرجال. كأطفال، فَسّر فرويد، فإنّنا نمرّ عبر مرحلةٍ نرجسيّة تكون ممتعةً بشكلٍ هائل. كوننا سعيدين باحتوائنا الذاتي وبانهماكنا بأنفسنا، فلا يكون لدينا حاجةٌ نفسيّةٌ للناس الآخرين إلّا بدرجة بسيطة. ومن ثمّ، ببطء، يتمُّ تكييفنا اجتماعيّاً ونُعَلَّمُ أن

العنق الذي رآه! لكنّه لم يستطع أن يمسك بنفسه. لم يكن يعلم ما الذي كان ينظر إليه، لكنّ المشهد ألهب مشاعره، وأثاره نفس الوهم الذي خدع ناظريه. أيها الصبي الأحمق التعس، لماذا تحاول عبثاً أن تمسك بالصورة العابرة المتلاشية التي تروغ منك؟ الشيء الذي تسعى وراءه غير موجود: فقط تلفّت جانباً وستتخلّص مما تحب. ما تراه هو ليس سوى انعكاس صورتك؛ هو لا شيءَ في حدّ ذاته. إنّه يجيء معك ويستمرُّ ما دمت أنت هناك؛ وسيذهب متى ذهبت، إذا ذهب تستطيع أن... • ألقى برأسه المُثقَل على العشب الأخضر، وأغلق الموت العينين اللتين أُعجِبتا بجمال صاحبهما. حتّى في ذلك الحين، عندما استُقبِلَ في مقام الموتى، ظلّ ينظر إلى

ننتبه للآخرين - لكنّنا سرّاً نتوق لتلك الأيام الخوالي السعيدة. المرأة النرجسية تذكّر الرجل بتلك الفترة، وتجعله حاسداً. ربّما الاحتكاك معها سوف يعيد ذلك الشعور بالانشغال بالنفس والانهماك بها.

استقلال الأنثى المغناج يشكّل أيضاً تحدّياً للرجل - فهو يريد أن يكون الشخص الذي يجعلها تابعة، أن يُفَجِّرَ فقاعتها. لكنّ الأمر الأكثر ترجيحاً بكثير، على الرغم من ذلك، هو أن ينتهي به المطاف كعبدٍ لها، مانحاً إيّاها اهتماماً متواصلاً حتى يظفر بحبّها، ويفشل. لأن المرأة النرجسيّة ليست محتاجة من الناحية العاطفيّة؛ فهي مكتفية ذاتيّاً. وهذا مغوٍ بشكلٍ مدهش. تقدير الذات جوهريٌّ في الإغواء. (موقفك تجاه نفسك يُقْرَأُ من قبل الشخص الآخر بطرق غير واضحة وغير واعية.) التقدير المنخفض للنفس ينفّر، الثّقة والاكتفاء الذاتي يجذبان. بقدرِ ما تبدو محتاجاً للناس الآخرين بدرجةٍ أقل، بقدرِ ما يكون انجذاب الآخرين إليك أمراً أكثر ترجيحاً. إفهم أهمّيّة هذا في جميع العلاقات وستجد أن قمع حاجتك أصبح أيسر وأسهل. لكن لا تخلط ما بين الانهماك الحصري بالنفس والنرجسية الإغوائية. التّكلم عن نفسك بدون توقّف هو غاية في التنفير واللا - إغواء، إذ لا ينمّ عن الاكتفاء الذاتي وإنّما عن عدم الثقة وعدم الشعور بالأمان.

نفسه في نهر الجحيم. أخواته، حوريّات الربيع، ندبنه، وقصّوا شعرهنّ تعبيراً عن إجلالهنّ لأخيهم. حوريّات الغابة ندبنه أيضاً، وردّدت صدى اللازمة لندبهن. • المحرقة، المشاعل والنعش، كان قد تمّ تحضيرهم، لكن جثّته لم تكن ليعثر عليها في أيّ مكان. بدلاً من جثّته، وجدوا زهرةً ذات دائرةٍ من البتلات البيض حول مركزٍ أصفر.

- أوفيد، *التحوّلات*، ترجمة ماري إم. إينّس

تقليديّاً كان يُنظَر للمغناج على أنه أنثى، وبالتأكيد فإن هذه الاستراتيجيّة كانت لقرون واحدة من الأسلحة القليلة التي كان على النساء استخدامها كي يستعبدن رغبة الرجل. حيلة من حيل المغناج هي التّمنّع عن الاتّصال الجنسي، حيث نرى النساء يستخدمن هذه الخدعة عبر التاريخ: المحظيّة الفرنسية العظيمة من القرن السابع عشر نينون ديلانكلو كانت مرغوبةً من كل الرجال البارزين في فرنسا، لكنها لم تحقّق سلطةً حقيقيّة إلّا عندما أوضحت أنها لن تعاود النوم مع أيّ رجلٍ كجزءٍ من واجبها. هذا دفع بمعجبيها إلى حافّة اليأس والذي عرفت كيف تفاقمه من خلال تفضيل رجلٍ دون غيره بشكلٍ مؤقّت، مانحةً إيّاه إذناً بالوصول إلى جسدها لبضعة أشهر، ثمّ تعيده إلى قطيع المحرومين. ملكة إنكلترا إليزابيث الأولى ذهبت بالغنج (المغناجيّة) إلى أقصاه، حيث تعمّدت أن توقظ رغبات رجال بلاطها لكن دون أن تنام مع أيّ واحدٍ منهم.

إنّ سقراط الذي ترى لديه ميلاً للوقوع في حبّ الشباب الوسيمين، وفي صحبتهم على الدوام وفي حالة نشوة حيالهم... لكن بمجرد ما تنظر تحت السطح فإنّك ستكتشف درجةً من

بعد أن كانت ولفترة طويلة وسيلةً للنفوذ الاجتماعيّ عند النساء، أخذت المغناجيّة تُتَبَنّى وتُكَيّف من قبل الرجال، وبالتحديد مغوي القرنين السابع عشر والثامن عشر العظام الذين غبطوا سطوة نساءٍ كهؤلاء. أحد مغوي القرن السابع عشر، دوق لوزان، كان أستاذاً في إثارة النساء، ثمّ وعلى نحوٍ مفاجئ يتصرّف بشكلٍ متحفّظ. تاقت النساء بشكلٍ جامح للحصول عليه. في يومنا هذا، الغنج مُتاحٌ للجنسين. في عالم يثني عن المواجهة المباشرة، تكون الإغاظة والبرود والتحفّظ الانتقائي (الاختياري) شكلاً من القوّة غير المباشرة والتي تخفي بألمعيّة عدوانها الخاص.

المغناج يجب في المقام الأوّل أن يلفت انتباه الهدف. الجذب يمكن أن يكون جنسيّاً، إغراء الشهرة، أو أيّ شيء. في نفس الوقت، يرسل المغناج إشارات متناقضة من شأنها أن تولّد استجابات متناقضة، ممّا يدفع بالضحيّة نحو التشوّش والارتباك. بطلة الرواية الفرنسية من القرن الثامن عشر للكاتب ماريڤو والتي سُمّيَت باسمها 'ماريان' هي المغناج الكاملة. عندما كانت تذهب إلى الكنيسة كانت ترتدي بشكلٍ يدلّ على حسن الذوق، ولكن تترك شعرها غير مسرّح بعض الشيء. في منتصف الصلاة تبدو أنها لاحظت هذا الخطأ وتبدأ بإصلاحه، مظهرةً ذراعيها العاريتين أثناء قيامها بهذا ـ أشياءٌ كهذه لم تكن لتُرى في كنائس القرن الثامن عشر ـ فتتسمّر كل عيون الرجال عليها في تلك اللحظة. التوتّر يكون أقوى بكثير ممّا لو كانت في الخارج، أو ترتدي بشكلٍ سوقيٍّ ومزوّق. تذكّر: المغازلة الواضحة سوف تكشف عن نواياك بشكلٍ أوضح من اللازم. من الأفضل أن تكون غامضاً بل وحتّى متناقضاً، حيث تُحْبِط في نفس الوقت الذي تثير فيه.

القائد الروحي العظيم جيدو كريشنامورتي كان مغناجاً دون أن يدري. كونه كان مُوَقّراً ومبجّلاً من قبل الثيوصوفيّين بوصفه «معلّمهم في الدنيا» (الثيوصوفيّة هي السعي إلى معرفة الله من طريق 'الكشف الصوفي' والتأمّل الفلسفي: المترجم)، فقد كان كريشنامورتي غندوراً أيضاً. أحبّ اللباس الأنيق وكان وسيماً إلى حدٍّ بعيد. في نفس الوقت، نذر على نفسه ألاّ يتزوّج، وكان لديه رهابٌ من أن يُلْمَس. في عام 1929 صَعَق الثيوصوفيّين حول العالم بتصريحه أنه لم يكن إلهاً أو حتّى مرشداً روحيّاً، وأنّه لم يعد يريد أيّ أتباع. هذا لم يزد عن جعل جاذبيّته أقوى: أعدادٌ كبيرة من النساء

ضبط النفس بالكاد تستطيع أن تكون فكرةً عامّةً عنها، سادتي... هو يمضي كل حياته بالادّعاء وباللعب بالناس، وأنا لا أعتقد أنّ أيّ أحدٍ كان قد لاحظ ولو لمرّة الكنوز التي تُكْشَف عندما يصبح جدّياً ويعرض ما يقيه في الداخل. •
... إذا صدّقنا أنّه كان جادّاً بإعجابه بمفاتني، فأنا أعتقد أنّ قدراً رائعاً من الحظّ قد حالفني؛ يتوجّب عليّ الآن أن أكون قادراً، كمقابلٍ لخدماتي، على أن أكتشف كل ما يعرفه سقراط؛ لأنه يجب عليك أن تعرف أنه لم يكن هنالك حد للفخر الذي شعرته حيال شكلي الحسن. مع هذه الخلاصة أرسلت خادمي بعيداً، الذي إلى حدّ الآن لطالما كنت استبقيته معي في مواجهاتي مع سقراط، وتركت نفسي وحيداً معه.

يتوجّب عليّ أن أقول لكم الحقيقة بأكملها؛ أصغي جيداً، ووبّخني يا سقراط إذا كان أيّ شيءٍ مما أقوله لك كاذباً. سمحت لنفسي بأن أكون لوحدي معه، أيّها السادة، وافترضت بطبيعة الحال أنه سيباشر محادثةً من النوع الذي يخاطب به المحبّ محبوبه عندما يكونان على انفراد، وكنت سعيداً، إذ لم يحدث شيءٌ من هذا القبيل. أمضى اليوم معي وهو يتحادث معي بطريقةٍ اعتياديّة، ومن ثم تركني ومضى بعيداً. دعوته لاحقاً ليتمرّن معي في حجرة الرياضة، معتقداً أنّني سأنجح في غايتي معه الآن. تمرن وصارعني بشكلٍ متكرر، دون أن يكون هناك أيّ شخصٍ آخر، لكنّني بالكاد أحتاج لأن أقول أنّني لم أكن أقرب إلى غايتي.

وقعن في حبّه، وأتباعه أصبحوا أكثر تكريساً وتفانياً من ذي قبل. جسديّاً ونفسيّاً، كان كريشنامورتي يرسل إشاراتٍ متناقضة. فبينما كان يعظ عن الحبّ والقبول ما بين الجميع، فإنّه كان يصدّ الناس بعيداً عنه في حياته الشخصيّة. لربّما تكون جاذبيّته وهوسه بمظهره قد أكسبتاه الانتباه لكنّهما بحدّ ذاتهما ما كانا ليجعلا النساء تقعن في حبّه؛ دروسه في التبتّل والفضيلة الروحيّة خلقت له أتباعاً وإنّما ما كانت لتخلق حبّاً مادّياً. تراكب هذه النزعات، من ناحية ثانية، استدرج الناس وأحبطهم على حدٍّ سواء؛ شكّل هذا التراكب ديناميكيّة مغناجيّة كان من شأنها أن تخلق ارتباطاً عاطفيّاً ومادّياً برجلٍ ينأى بنفسه عن أشياءٍ كهذه. انكفاؤه عن العالم كان لديه أثرٌ وحيد: زيادة وتعميق تفاني أتباعه.

الغنج يعتمد على تطوير نمطٍ لإبقاء الشخص الآخر في حالة عدم توازن. هذه الاستراتيجيّة فعّالة للغاية. فباختبارنا للمتعة لمرّة، فإنّنا نتوق لاستعادتها؛ وهكذا فالمغناج يقدّم لنا الملذّات، ثمّ يسحبها. تناوب الحرارة والبرودة هو النمط الأكثر شيوعاً، ولديه عدّة أشكال أو تنويعات. مغناج القرن الثامن الصينية يانغ كواي ـ فاي استعبدت كلّياً الإمبراطور مينغ هوانغ من خلال نمطٍ من الكياسة والسخرية المُرّة: بعد أن تكون قد سحرته بلطفها، تنقلب غاضبةً بشكلٍ مفاجئ وتلومه بقسوة على أبسط غلط. كونه غير قادرٍ على أن يحيا بدون البهجة التي تقدّمها، فقد كان الإمبراطور يقلب البلاط رأساً على عقب لكي يرضيها عندما كانت غاضبة أو منزعجة. كان لدموعها تأثيرٌ مشابه: يا ترى ما الذي كان قد ارتكبه، لماذا كانت حزينة لهذه الدرجة؟ دمّر نفسه ومملكته في آخر المطاف وهو يحاول إبقاءها سعيدة. الدموع، الغضب، وتوليد الشعور بالذنب جميعها أدوات المغناج. تظهر ديناميكيّة مشابهة في شجار العاشقين: عندما يتقاتل زوجان فيما بينهما، ثمّ يتصالحان، فإنّ مسرّات الصلح لا تؤدّي إلّا لجعل الارتباط والتعلّق أقوى. الحزن من أيّ نوع هو أيضاً مُغوٍ، وخاصّةً إذا بدا عميق الجذور أو حتّى روحانيّاً، وليس نابعاً عن احتياج أو مثيراً للشفقة ـ إنه يجعل الناس تأتي إليك.

المغناجون ليسوا بغيورين قط ـ فذلك من شأنه أن يشوّه صورة الاكتفاء الذاتي الجوهري الذي عندهم. لكنّهم أساتذة في إثارة الغيرة: من خلال

الانتباه لطرفٍ ثالث ـ خلق مثلّثٍ من الرغبة ـ يشيرون لضحاياهم بأنّهم قد لا يكونو مهتمّين بهم للدرجة التي يحسبونها. هذا التّثليث مغوٍ للغاية، في الأوساط الاجتماعيّة كما الشهوانيّة. كونه كان مهتمّاً بالنساء النرجسيّات، فإنّ فرويد كان هو نفسه نرجسيّاً، وتحفّظه (نأيه) دفع بأتباعه ومريديه إلى حافّة الجنون به. (بل وأطلقوا اسماً على سلوكه هذا «عقدة أو مركّب الإله».) فقد كان يتصرّف كالمخلِّص المنتظَر، إذ كان يأنف من ويترفّع عن العواطف التافهة والضعيفة، وحافظ دائماً على مسافةٍ ما بينه وبين طلاّبه، فتقريباً لم يدعُهم ولا مرّة إلى العشاء على سبيل المثال، وأبقى حياته الخاصّة محاطةً بالغموض. ومع ذلك فقد كان يختار بين الحين والآخر مساعداً ليثق به ويأتمنه على مسائله الشخصيّة ـ كارل يونغ، أوتو رانك، لو آندرياس ـ سالوم. النتيجة كانت أنّ أتباعه راحوا يحاولون بطريقةٍ مسعورة نيل حظوته وأن يكونوا ذلك الواحد الذي يختاره. غيرتهم نتيجةً لتفضيله فجأةً لواحدٍ منهم دون غيره لم تؤدِّ إلّا لزيادة سطوته عليهم. مكامن اللاأمان الطبيعيّة أو الاعتياديّة عند الناس تزداد وضوحاً وعمقاً في الترتيبات الجمعيّة؛ من خلال الحفاظ على مسافة فاصلة وسلوكٍ متحفّظ، فإنّ المغناجين يجعلون غيرهم ينخرط في مسابقة لنيل حظوتهم. إذا كانت القدرة على استخدام أطراف ثالثة لجعل الأهداف تغار هي مهارة إغوائية أساسيّة، فقد كان سيغموند فرويد مغناجاً عظيماً.

القادة السياسيين تهايؤوا مع كل تكتيكات المغناج وذلك لكي يجعلوا العامة تقع في حبّهم. فبينما كانوا يثيرون الجماهير، فإن هؤلاء القادة كانوا يظلّون غير مرتبطين ولا متعلّقين من الناحية الداخليّة (الوجدانيّة)، ممّا أبقى زمام السيطرة في يدهم. حتّى أنّ العالم السياسي روبرتو مايكلز أشار لهؤلاء السياسيّين بالمغناجين الباردين. لعب نابوليون دور المغناج مع الفرنسيّين: بعد أن جعلته الانتصارات الكبيرة للحملة الإيطاليّة بطلاً محبوباً، غادر فرنسا ليحتلّ مصر، عارفاً أنّه في غيابه ستتداعى الحكومة وتسقط، وسيتعطّش الناس لرجوعه، وسيشكّل حبّهم القاعدة لتوسيع نفوذه وسلطانه. بعد أن يثير الجماهير بخطابٍ استنهاضيّ، كان ماوتسي تونغ يختفي عن الأنظار لأيّام متواصلة، جاعلاً من نفسه موضوعاً لتقديسٍ طقوسيّ. ولم يكن أحدٌ مغناجاً

كوني وجدت أنّ هذا لم يجدِ نفعاً أيضاً، فقد قررت أن أنقضّ عليه بشكلٍ مباشر، وألاّ أستسلم دون ما كنت قد أخذته على عاتقي ذات مرّة؛ شعرت أنّه ينبغي عليّ أن أصل إلى صلب الموضوع. لذا دعوته لأن يتعشّى معي، مُتَصَرِّفاً تماماً كعاشقٍ لديه مخطّطات تجاه محبوبه. لم يكن مستعجلاً لقبول الدعوة، لكنّه أخيراً وافق على تلبيتها. في أوّل مرّةٍ يأتي فيها همّ بالذهاب مباشرةً بعد العشاء، وفي تلك المناسبة كنت خجلاً وتركته يذهب. لكنّني عاودت الهجوم، وفي هذه المرّة شاغلته بمحادثة بعد العشاء امتدّت حتّى الليل، وعندها، عندما أراد الرحيل، أجبرته على البقاء، بحجّة أنّ الوقت كان متأخراً جدّاً للرحيل. • لذا عمد إلى النوم بجانبي،

أكثر من قائد يوغوسلافيا جوزيف تيتو، الذي ناوب ما بين البعد عن الجماهير والتماهي العاطفي معهم. كل هؤلاء القادة السياسيّين كانوا نرجسيّين بلا منازع. في أوقات المحن، عندما يشعر الناس باللاأمان، فإنّ تأثير ذلك الغنج السياسي يكون أكثر قوّةً حتّى. من المهم الإدراك أنّ الغنج يكون شديد الفعّالية وعظيم الأثر على الجماعة، إذ يثير الغيرة والحبّ والتفاني الشديد. إذا أردت أن تلعب هذا الدور مع جماعة، فتذكّر أن تحافظ على مسافةٍ عاطفيّة وماديّة. هذا سوف يسمح لك بأن تبكي وتضحك عند الطلب، وأن تُظْهِرَ الاكتفاء الذاتي، وبمثل هكذا انفصال وتحلّل ستكون قادراً على أن تعزف على أوتار الناس العاطفيّة كالبيانو.

مستخدماً الأريكة التي استلقى عليها بعد العشاء كسرير، حيث لم يكن هناك أحدٌ سوانا في الغرفة. •... أقسم بجميع آلهة السماء أنّه لم يحدث شيءٌ بيننا، وكأنّني كنت نائماً مع أبي أو أخي الأكبر. • كيف تتصوّر حالتي الذهنية بعد ذلك؟ من ناحية شعرتُ أنّه قد استُخِفَّ بي، لكن من الناحية الأخرى شعرت بالإجلال لشخص سقراط، ضبطه لنفسه وشجاعته... النتيجة كانت أنّه لم أستطع أن أحمل نفسي على أن أغضب منه فأقتلع نفسي من عشرته، ولا أن أجد طريقةً لأخضعه لإرادتي... أُربكتُ بشكلٍ تامّ، وتُهتُ في حالةٍ من العبوديّة للرجل الذي لم يُعرَف له مثيل.

ـ ألسيبيادز، مُقتبَس في الندوة، أفلاطون

الرمز: الظل.

لا يمكن الإمساك به. طارد ظلّك وسوف يفرّ؛ أَدِر له ظهرك وسوف يلحق بك. إنّه أيضاً الجانب المظلم من الأشخاص، الشيء الذي يجعلهم غامضين. بعد أن يكونوا قد قدّموا لنا المتعة، فإنّ ظلّ انسحابهم يجعلنا نتوق لعودتهم، الأمر الذي يشابه إلى حدٍّ بعيد الغيوم التي تجعلنا نتوق للشمس.

المخاطر

المغناجون يواجهون خطراً واضحاً: فهم يلعبون بعواطف متفجّرة. ففي كلّ مرّة يتأرجح بها البندول، يتحوّل الحب إلى كره. لذلك يتوجّب عليهم أن ينسّقوا كلّ شيءٍ بعناية بحيث يحقّقون أقصى ما يمكن من التأثير. فلا يجوز لغياباتهم أن تكون أطول من اللازم، ويجب أن تُتبَع نوبات غضبهم وبسرعة بالابتسامات. المغناجون بإمكانهم أن يبقوا ضحاياهم محتجِزين عاطفيّاً أو واقعين في شركٍ عاطفيّ لمدّة طويلة، لكن عبر الأشهر أو السنين فإن هذه الديناميكيّة بإمكانها أن تتكشّف عن كونها مُتعِبة ومُضجِرة. جيانغ كينغ التي عُرِفَت لاحقاً باسم المدام ماو، استخدمت مهاراتٍ مغناجيّة لتأسر قلب ماو تسي تونغ، لكن بعد عشر سنوات فإنّ الشجار والدموع والفتور صاروا مُزعجين ومُغضبين بشكلٍ شديد، وبمجرّد ما تبيّن أن السخط والانزعاج أقوى من الحب، كان ماو قادراً على التّحرّر والتّحلّل. جوزفين التي كانت على جانبٍ أكبر من الألمعيّة في الغنج، كانت قادرةً على التكيّف والتهايؤ، من خلال إمضاء سنة كاملة دون أن تلعب دور المتظاهر بالخجل أو تتهرّب من نابوليون. التوقيت هو كل شيء. من جهةٍ أخرى، وعلى الرغم من ذلك، فإنّ المغناج يحرّك عواطف قويّة، وغالباً ما يتبيّن أنّ الخصامات تكون مؤقّتة. المغناج يسبّب الإدمان: بعد أن فشل ماو في الخطّة الاجتماعيّة وأطلق الطفرة الكبرى إلى الأمام، كانت المدام ماو قادرةً على إعادة تأسيس وتوطيد سطوتها على زوجها المحطّم.

غياب، رفض دعوة للعشاء، قسوة غير مُتعَمّدة وغير واعية تفيد أكثر من كل مستحضرات التجميل والثياب الأنيقة في العالم.

ـ مارسيل براوست

المغناجات تعلمن كيفيّة الإرضاء وليس كيفيّة الحبّ، وذلك هو سبب حبّ الرّجال لهنّ لهذه الدرجة.

ـ بيير ماريڤو

يستطيع المغناج البارد أن يحرّض كرهاً عميقاً على نحوٍ خاص. ڤاليري سولانَس كانت امرأةً شابّة وقعت تحت سحر آندي وارهول. كانت قد كتبت مسرحيّةً نالت استحسانه، وأُعْطِيَت الانطباع بأنّه من الممكن أن يحوّلها إلى فيلم. تخيّلت أنّها ستصبح نجمةً. وكذلك انخرطت بالحركة النسائية، وعندما، في حزيران من عام 1968، توضّح لديها أن وارهول كان يلعب بها، صبّت نحوه كل غضبها المتنامي على الرّجال وأطلقت عليه النار ثلاثاً، فكادت أن ترديه قتيلاً. المغناجون الباردون يمكن أن يثيروا مشاعر ليست جنسيّة بقدر ما هي عقلانيّة، شغفٌ أقل وانبهارٌ أكبر. الكره الذي

الأنانيّة هي واحدة من الخصائص الجديرة بإلهام الحبّ.

ـ ناثانل هاوثورن

بإمكانهم أن يحرّكوه هو أكثر غدراً وخطورةً، لأنه لا يمكن موازنته بحبٍّ عميق. عليهم أن يدركوا حدود اللعبة، والآثار المقلقة التي يمكن أن يجلبوها على الناس الأقل استقراراً.

الساحر

الفتنة أو السحر هو إغواء دون جنس. الفاتنون هم متلاعبون من الطراز الأول، يقنّعون ذكاءهم من خلال خلق مزاج من المتعة والراحة. طريقتهم بسيطة: يحرفون الانتباه عن أنفسهم ويركزونه على هدفهم. يتفهمون شخصك، يحسون بألمك، ويتلاءمون مع طباعك وأمزجتك. في حضور الساحر أو الفاتن أنت تشعر بشعورٍ أفضل حيال نفسك. الساحرون لا يجادلون أو يقاتلون، يتذمّرون، أو يُضايِقون ـ ما الذي يسعه أن يكون أكثر إغوائيّةً؟ هم يجعلونك معتمداً عليهم من خلال اجتذابهم إيّاك بواسطة تساهلهم، فيتنامى سلطانهم. تعلم أن ترمي بتعويذة الساحر من خلال استهداف نقطة الضعف الرئيسة لدى الناس: الغرور والخيلاء واحترام الذات.

فن السحر

الجنسانيّة هي شيءٌ في غاية التعطيل والفوضى. المشاعر ومواطن اللاأمان التي تثيرها غالباً ما تؤدّي إلى بتر علاقةٍ كان من شأنها أن تكون أعمق وأكثر ديمومةً لولا الجنس. حل الساحر أو الفاتن هو أن يفي بأوجه الجنسانيّة التي تكون غايةً في الإغراء وتسبيب الإدمان ـ الاهتمام المركّز، تقدير الذات المعزّز، التودّد الممتع، التفهّم (حقيقيّاً كان أم وهميّاً) ـ لكن من دون الجنس بحدّ ذاته. ليس الأمر هو أنّ الساحر يكبت أو يعوق الجنسانيّة؛ فالإغاظة الجنسيّة وإمكانيّة الجنس تترصّدان تحت سطح كلّ محاولةٍ للسحر. السحر أو الفتنة لا يمكن أن يوجد دون مسحةٍ من التوتّر الجنسي. لكنّه لا يمكن أن يستمر، من ناحية أخرى، إلّا إذا أُبقِيَ الجنس على مبعدة أو في الخلفيّة.

العصافير تنشدّ نحو المزامير التي تحاكي أصواتها الخاصّة، والرجال نحو تلك الأقوال التي تكون منسجمةً كأكثر ما يكون الانسجام مع آرائهم الخاصّة.

ـ ساموئيل بتلر

كلمة «السحر» تأتي من أغنية *كارمن* اللاتينيّة التي لم تكن أغنيةً وحسب وإنّما رُقيَةً لإلقاء تعويذةٍ سحريّة. الساحر يفهم هذا التاريخ بشكلٍ ضمنيّ، فهو يرمي بالتعويذة من خلال إعطاء الناس شيئاً يشدُّ انتباههم ويبهرهم. والسر وراء أسر اهتمام الناس، بينما تكون قوى المنطق لديهم مُضَعَّفة، يكون باستهداف الأشياء التي تكون سيطرتهم عليها أقل ما يمكن: الأنا الخاص بهم، زهوّهم، وتقديرهم لأنفسهم. كما قال بنجامين دزرائيلّي: «تحدّث إلى رجلٍ عن نفسه وسيستمع لساعات.» لا يجوز أن تكون الاستراتيجيّة واضحةً أبداً؛ المداورة هي مهارة الساحر العظمى. إذا كنّا نريد الحؤول دون أن يتبيّن الهدف حقيقة جهود الساحر، ودون أن يتنامى لديه الارتياب، أو حتّى يملّ من الاهتمام، فلا بدّ من اللمسة الخفيفة. الساحر هو مثل حزمةٍ من الضوء التي لا تعمل على الهدف مباشرةً وإنّما ترمي عليه بضياءٍ سارٍّ منتشرٍ.

إذا سايرت الغصن، فستحنيه؛ أمّا إذا استخدمت القوّة الوحشيّة، فسوف ينكسر. / امشِ مع

السحر يمكن تطبيقه على المجموعة كما على الفرد: فالقائد يستطيع أن يسحر العامّة. الديناميكيّة أو الحركيّة مشابهة. ما يتلو هي قوانين السحر المختارة من قصص أنجح الساحرين في التاريخ.

إجعل هدفك مركز الاهتمام. الساحرون يتلاشون ويبهتون في الخلفيّة؛ حيث تصبح أهدافهم موضوع اهتمامهم. لتكون ساحراً عليك أن تتعلّم الاستماع والمراقبة. دع أهدافك تتكلّم، حتّى يُفصحوا عن أنفسهم خلال عمليّة التكلّم. أثناء اكتشافك للمزيد عنهم - نقاط قوّتهم، والأهم من ذلك نقاط ضعفهم - فإنّك تستطيع أن تخصّص وتكيّف اهتمامك، فتخاطب رغباتهم وحاجاتهم بالتحديد، وتُفصّل إطراءاتك على قياس مكامن اللاأمان لديهم. من خلال التهايؤ مع مزاجهم والتفهّم والتماهي العاطفيّين مع محنهم وأسباب بلواهم، تستطيع أن تجعلهم يشعرون بأنّهم أكبر وأفضل، مضفياً الشرعيّة على إحساسهم بالقيمة الذاتيّة. إجعلهم نجم السهرة وسيصبحون مدمنين ومعتمدين عليك. على مستوى الجماهير، اعمل إيماءاتٍ من التضحية بالذات (مهما كانت مزيّفة) لتُري العامّة أنّك تشاطرهم ألمهم وأنّك تعمل لصالحهم، الصالح بوصفه الشكل الجماهيري من الغرور والأنانية.

كن مصدراً للمتعة والبهجة. لا يريد أحدٌ أن يستمع لمشاكلك ومتاعبك. استمع إلى تشكّيات أهدافك، لكن الأهم من ذلك، ألههم عن مشاكلهم من خلال منحهم المتعة واللذة. (إفعل هذا بشكلٍ متكرّرٍ بما فيه الكفاية وسيقعون تحت سحرك). دائماً ما تكون خفّة الظلّ والمرح أكثر سحراً من الجدّية والانتقاد. حضورٌ مفعمٌ بالنشاط هو بطريقة مماثلة أكثر سحراً من البلادة والكسل، اللذين يحملان بذور الملل، المحظور الاجتماعي الشنيع؛ الأناقة والترف سيسودان على السوقيّة والفظاظة، بما أنّ معظم الناس يحبّون أن يقرنوا أنفسهم بأيّ شيءٍ يعتقدون أنّه سام وذو ثقافةٍ وتهذيب. في السياسة، قدّم الوهم والأسطورة عوضاً عن الحقيقة. تحدّث عن قضايا أخلاقيّة كبرى بدلاً من أن تطلب من الناس التضحية من أجل الخير الأكبر. مناشدةٌ تجعل الناس يشعرون بشعورٍ جيّد سوف تُترجَم إلى أصواتٍ وسلطة.

حوّل الخصومة والتنافر إلى انسجام وتناغم: البلاط هو مرجلٌ

التيار: تلك هي طريقة السباحة عبر النهر - / النضال عكس التيار لن يجدي نفعاً. إرفق بالنمور إذا كانت غايتك أن تروّضها؛ / الثّور يتعوّد على المحراث بالتدريج..../ لذا كن ليّناً إذا أظْهَرَت هي المقاومة: / بتلك الطريقة ستنتصر في النهاية. ليس عليك سوى أن تتأكّد من أنّك ستلعب/ الدور الذي ستخصّصه لك. استهجن ما تستهجنه،/ صادق على ما تصادق عليه، ردّد كل كلمة من كلماتها، / صحيحةً كانت أم خاطئة، واضحك وقتما تضحك؛ تذكّر، / إذا انتَحَبَت، انتحب أنت أيضاً: خذ أدلّتك/ من جميع تعابيرها. فلنقل أنّها تلعب طاولة النرد،/ عندها ارمِ به دون اكتراث، حرّك/ جميع قطعك بشكلٍ

للامتعاض والحسد، حيث يمكن أن تستحيل مرارة شخصٍ مُتَفَكِّر ككاسيوس (كاسيوس قائد روماني تآمر لاغتيال يوليوس قيصر بعد أن كان ممثّلاً له: المترجم) بسرعة إلى مؤامرة. الساحر يعلم كيف يلطّف من الصراع. لا تُثِرْ أبداً عداواتٍ يَثبت أنّها منيعةٌ لسحرك؛ في مواجهة العدوانيّين، تراجع، دعهم يحوزون انتصاراتٍ صغيرة. اللين والتساهل سيثنيان أيّ أعداءٍ محتملين عن القتال وذلك عن طريق السحر والفتنة. إيّاك وانتقاد الناس صراحةً ـ فذلك سوف يشعرهم بعدم الأمان، ويجعلهم مقاومين للتغيير. إغرس الأفكار ودسّ بالإيحاءات. لن يلاحظ الناس قوّتك المتنامية كونهم قد فُتِنوا بمهاراتك الديبلوماسيّة.

خاطئ.. /لا تَحرن إزاء مهمّةٍ وضيعة كحمل/ مرآتها: أكانت وضيعةً أم لا، فإنّ هكذا انتباه يُيسِّر....

ـ أوڤيد، فن الحب، ترجمة بيتر غرين

هَدْهِدْ ضحاياك إلى الطمأنينة والراحة. السحر شبيهٌ بالخدعة التي يقوم بها المنوّم مغناطيسيّاً باستخدام الساعة المتأرجحة: كلّما كان الهدف مرتاحاً أكثر، سَهُلَ توجيهه نحو إرادتك. المفتاح لجعل ضحاياك يشعرون بالراحة يكون من خلال جعل نفسك مرآةً لهم. إظهر على أنّك تشاطرهم قيمهم وأذواقهم، وتفهم أمزجتهم، وسوف يقعون تحت سحرك. هذا يفعل مفعوله بشكلٍ خاص إذا كنت دخيلاً: إظهار أنّك تشاطر قيم المجموعة أو البلد الذي اخترت (قد تعلّمت لغتهم، وتفضّل أعرافهم وعاداتهم، إلخ.) هو شيءٌ ساحرٌ بشكلٍ هائل، بما أنّ هذا التفضيل بالنسبة إليك هو خيار وليس مسألة ولادة. إيّاك أن تكون مزعجاً أومِلحّاً أكثر مما ينبغي ـ هذه الخصائص غير الساحرة سوف تقلق الراحة التي تحتاجها لإلقاء تعويذتك.

دُعِيَ دزرائيلي إلى العشاء، فقدم ببنطالٍ مخمليٍّ أخضر، مع صدريّةٍ ذات لونٍ أصفر فاتح، حذاءٍ ذا أزرار، وأطراف أكمام ذات أشرطة. في بادئ الأمر تبيّن أنّ مظهره كان مزعجاً، لكن عند مغادرة المائدة علّق المدعوّون أنّ المتحدّث الأظرف في حفلة الغداء كان الرجل في الصدريّة الصفراء. كان بنجامين قد أحرز تحسّناً كبيراً في المحادثة الاجتماعيّة منذ أيّام حفلات عشاء آل موراي. كونه كان مخلصاً

أظهر الهدوء وتمالك النفس في مواجهة الشدائد والمحن. تؤمّن المحن والعقبات في واقع الحال الترتيبة المثلى للسحر. إنّ عرض مظهرٍ خارجيّ هادئٍ ورابطٍ للجأش في وجه الضرّاء يحرّر الناس من القلق والهم. أنت تبدو صبوراً، وكأنّك تنتظر القدر ليمنحك ورقةً أفضل ـ أو كأنّك واثقٌ من قدرتك على سحر الأقدار بحدّ ذاتها. إيّاك وإظهار الغضب، سوء الطباع، أو حبّ الانتقام، والتي هي جميعها عواطف هدّامة من شأنها أن تجعل الناس دفاعيّين. في السياسة التي على مستوى المجموعات الكبرى، كن مرحّباً

بالشدائد والمحن كفرصةٍ لإظهار الخصائص الساحرة للشهامة ورباطة الجأش. دع الآخرين يرتبكون ويهتاجون وينزعجون - سيرتدّ التباين إلى صالحك. إيّاك والنحيب، إيّاك والتذمّر، إيّاك أن تحاول تبرير نفسك.

إجعل نفسك ذا نفع وفائدة. إذا فعلت هذا بشكلٍ حاذقٍ، فستكون قدرتك على تعزيز حياة الآخرين غايةً في الإغواء. سيتبيّن أن مهاراتك الاجتماعيّة مهمّة في هذا المضمار. خلق شبكة واسعة من الحلفاء سيمنحك القدرة على ربط الناس ببعضهم البعض، ما سيجعلهم يشعرون أنه من خلال معرفتك سيكون باستطاعتهم جعل حياتهم أسهل. هذا شيءٌ لا يستطيع أحدٌ مقاومته. متابعة العمل حتى الإنجاز هو المفتاح: الكثير من الناس يستطيعون أن يسحروا من خلال وعدهم للشخص بأشياء عظيمة - عملٌ أفضل، صلةٌ جديدة، معروفٌ كبير - لكنّهم إذا لا يفون بوعودهم فإنّهم سيصنعون أعداءً بدلاً من الأصدقاء. أيُّ واحدٍ يستطيع أن يَعِد؛ فالشيء الذي يميّزك، ويجعلك ساحراً، هو قدرتك على الوصول إلى الختام، أن تتبع وعدك بفعلٍ محدّد. إذا قدّم لك أحدهم معروفاً، من الناحية الأخرى، فأظهر عرفانك بالجميل بشكلٍ حقيقيٍّ ومحدّد. في عالمٍ من الخداع والوهم، فإنّ الفعل الحقيقي والمساعدة الصادقة لعلّهما يكونان السحر المطلق.

أمثلة عن الساحرين

1. في بدايات العقد الثامن من القرن التاسع عشر، كانت ڤيكتوريا (ملكة بريطانيا) قد انحدرت إلى نقطةٍ بائسةٍ من حياتها. فقد مات زوجها المحبوب، الأمير ألبرت، في عام 1861، تاركاً إيّاها مفجوعةً وفي حالةٍ أسوأ من الأسى والحزن. كانت تعتمد على نصيحته في جميع قراراتها؛ إذ كانت أقلّ تعليماً وخبرةً بكثير من أن تفعل خلاف ذلك، أو هذا ما كان الجميع قد دفعها إلى الشعور به. في الواقع، بموت ألبرت، صارت تضيق ذرعاً بالمناقشات والقضايا السياسية لدرجة البكاء. الآن أخذت ڤيكتوريا تنسحب بالتدريج وتتوارى عن أعين العامّة. كنتيجةٍ لذلك أصبحت الملكة أقلّ شعبيّةً وبالتالي أقلّ قوّةً ونفوذاً.

لطريقته، فقد دوّن الملاحظات التالية: «لا تتكلّم كثيراً في الوقت الحاضر؛ لا تحاول التكلّم. لكن عندما تتكلّم، تكلّم وأنت مالكٌ لنفسك. تكلّم بنبرة مُلَطّفة، ودائماً إنظر إلى الشخص الذي تخاطب. قبل أن يستطيع شخصٌ ما الانخراط في محادثةٍ عامّة ذات أيّ تأثير، فلا بدّ أن يكون هناك اطّلاعٌ على مواضيع عبثيّة ولكن مسلّية والتي يجب أن تُتناوَل أوّلاً. سرعان ما ستفهم بشكلٍ كافٍ من خلال الاستماع والمراقبة. إيّاك والجدل. في المجتمع لاشيء يجب أن يُناقَش؛ أعطِ نتائج وحسب. إذا اختلف معك أيّ شخصٍ، انحنِ وغيّر الموضوع. في المجتمع إيّاك والتفكير؛ كن مراقباً على الدوام، وإلاّ ستُضَيّع العديد من

في عام 1874، استلم الحزب المحافظ زمام السلطة، فأصبح زعيمه، بنجامين دزرائيلّي البالغ من العمر سبعين عاماً، رئيس الوزراء. كان البروتوكول الناظم لتبوّئه مقعده يقتضي بأن يذهب إلى القصر ليلتقي في اجتماعٍ خاص بالملكة، التي كانت في الخامسة والخمسين من العمر في ذلك الوقت. لم يكن من الممكن تخيّل وجود اثنين يُستَبعَد حدوث زمالةٍ أو صداقةٍ بينهما أكثر من هذين الاثنين: دزرائيلي، الذي كان يهوديّاً بالولادة، كان داكن البشرة وذا ملامح غريبة بالقياس إلى المعايير الإنكليزيّة؛ كان غندوراً في شبابه، ثيابه كانت تنحو للزخرفة الزائدة، وكان قد كتب رواياتٍ رائجة ذات أسلوبٍ رومانسيّ أو حتى قوطيّ. الملكة، من الناحية الأخرى، كانت صارمةً ومُتَصلِّبَةً، رسميّةً في السلوك وبسيطةً في الذوق. لكي يرضيها، نُصِحَ دزرائيلّي، بأنّه يجب أن يضبط أناقته العفويّة؛ لكنّه تجاهل كل ما قاله له الجميع وظهر أمامها كأميرٍ شهم ونبيل، راكعاً أمامها على ركبةٍ واحدة، آخذاً يدها ومقبّلاً إيّاها وهو يقول: «أتعهّد بالإخلاص لأكرم السيدات.» تعهّد دزرائيلّي بأن عمله الآن سيكون لتحقيق أحلام ڤيكتوريا. مجّد صفاتها بكثيرٍ من الرياء لدرجة أنّها احمرّت خجلاً؛ ومع ذلك وبشكلٍ غريبٍ بما فيه الكفاية، فلم تجده هزليّاً أو مزعجاً، وإنّما خرجت من المقابلة وهي تبتسم. لعلّه يجدر بها أن تعطي هذا الغريب فرصة، هكذا فكّرت، ومن ثمّ تنتظر لترى ماذا سيفعل فيما بعد.

سرعان ما بدأت ڤيكتوريا باستلام تقارير من دزرائيلّي - عن المناقشات البرلمانيّة، قضايا السياسة، وأشياء من هذا القبيل - والتي كانت مختلفة عن أي شيءٍ كان قد كتبه وزراءٌ آخرون. مخاطباً إيّاها بلقب «الملكة الجنّية»، ومعطياً مختلف أعداء الملكيّة كل أنواع الأسماء الشفرية الخسيسة، وملأ مفكّرته بالقيل والقال. في مدوّنةٍ عن عضو مجاس وزراءٍ جديد، كتب دزرائيلّي، «هو كقامة أطول من ستة أقدام وأربع إنشات؛ مثل تمثال القدّيس بيتر في روما لا أحد يدرك أبعاده في البداية. لكنّه يملك حصافة الفيل وكذلك هيئته.» روح رئيس الوزراء المرحة وغير المتكلّفة قاربت حد قلّة الاحترام، لكنّ الملكة سُحِرَت. قرأت تقاريره بنهم، وتجدّد اهتمامها بالسياسة تقريباً دون أن تدرك ذلك.

في بداية علاقتهما، أرسل دزرائيلّي كل رواياته إلى الملكة كهديّة.

الفرص وستقول العديد من الأشياء المزعجة. تحدّث إلى النساء، تحدّث إلى النساء قدر استطاعتك. فهذه أفضل مدرسة. هذه هي الطريقة لاكتساب الطلاقة، لأنك لا تحتاج لأن تعبأ بما تقول، ومن الأفضل ألاّ تكون عاقلاً. هنّ، أيضاً، سوف يسخرن منك حول نقاطٍ عديدة، ولن تُجْرَح مشاعرك نظراً لأنهنّ نساء. لا يوجد شيءٌ أكثر أهمّيةً ونفعاً لشابٍّ يستهلّ حياته من أن يُنتَقَدَ جيّداً من قبل النساء.»

- آندريه موروا، *دزرائيلّي*، ترجمة هاميش مايلز

هل تعلم ما هو السحر: طريقة للحصول على جواب بالإيجاب دون أن تكون قد

سألت أيّ سؤالٍ واضح.

ـ آلبير كامو

الخطاب الذي يُقِلّ جمهوره معه ويُصَفِّقُ له استحساناً غالباً ما يكون أقلّ إيحائيّةً وذلك ببساطة لأنّه مُخَطَّطٌ له أن يكون مُقنعاً. الناس الذين يتحدّثون سويّةً يؤثّرون ببعضهم البعض عن قرب من خلال نغمة الصوت الذي يتّخذونه والطريقة التي ينظرون فيها إلى بعضهم البعض وليس فقط من خلال طبيعة اللغة التي يستخدمونها. نكون على صواب عندما نطلق على المتحدّث الجيد اسم الساحر بالمعنى السحريّ للكلمة.

ـ جوستاف تارد، *رأي العامّة*، الاقتباس لسيرج موسكوفيتشي، عصر *العامّة*

بالمقابل فقد أهدته الكتاب الوحيد الذي كانت قد كتبته، *يوميّات حياتنا في الهضاب الإسكوتلنديّة*. من ذلك الحين فصاعداً أخذ يرمي في رسالاته لها ومحادثاته معها بعبارة، «نحن المؤلّفين.» وكانت الملكة عندها تشعّ بالفخار. كانت تسترق السمع وهو يشيد بها أمام الآخرين، وقال أن أفكارها، حسّها السليم، وحدسها الأنثوي جعلوها مساويةً لإليزابيث الأولى. كان نادراً ما يختلف بالرأي معها. في الاجتماعات مع الوزراء الآخرين، كان يلتفت نحوها فجأةً ويسألها النصيحة. في عام 1875، عندما تدبّر دزرائيلّي بالحيلة والأساليب الملتوية شراء قناة السويس من خديوي مصر الغارق بالديون، فقد قدّم إنجازه للملكة وكأنّه كان تحقيقاً لأفكارها الخاصّة حول توسيع الإمبراطوريّة البريطانيّة. لم تدرِ ما السبب لكنّ ثقتها كانت تتنامى بسرعة فائقة.

أرسلت ڤيكتوريا في أحد المرّات زهوراً لرئيس وزرائها. ردّ البادرة في ما بعد، بإرساله زهور الربيع، وهي زهرةٌ مألوفةٌ واعتياديّةٌ جدّاً لدرجة أنّ بعضاً ممّن يتلقّوها قد يشعر بالإهانة: لكنّ هديّته أُرفِقت بملحوظةٍ نصّها: «من بين جميع الزهور، فإنّ الزهرة التي تحتفظ بجمالها لأطول مدّة، هي زهرة الربيع الجميلة.» كان دزرائيلّي يلفّ ڤيكتوريا بجوٍّ خياليّ كلّ شيءٍ فيه كان رمزاً واستعارة، وبالطبع فإنّ بساطة الزهرة رمزت إلى الملكة ـ وأيضاً إلى العلاقة بين الزعيمين. ابتلعت ڤيكتوريا الطعم؛ فسرعان ما أصبحت زهرة الربيع زهرتها المفضّلة. في الواقع أصبح كل ما يفعله دزرائيلّي يلاقي استحسانها. سمحت له أن يجلس في حضرتها، الامتياز الذي لم يُسمَع عنه من قبل. صار الاثنان يتبادلان هدايا عيد الڤالنتاين في شهر شباط من كلّ سنة. كانت الملكة تسأل الناس عمّا كان دزرائيلّي يقوله في الحفلات؛ وعندما أعار دزرائيلّي أوجوستا إمبراطورة ألمانيا قليلاً من الاهتمام، شعرت بالغيرة. تساءل رجال الحاشية في تعجّب عمّ حصل للمرأة المتمسّكة بالرسميّات والمتصلّبة التي كانوا يعرفون ـ كانت تتصرّف مثل فتاةٍ متيّمة خبّلها العشق.

في عام 1876، قاد دزرائيلّي مشروع قانون يعلن ڤيكتوريا «ملكة ـ إمبراطورة.» لم تتمالك الملكة نفسها من السعادة والفرح. بدافع الامتنان وبالتأكيد الحب، قامت برفع هذا الغندور والروائي اليهودي إلى طبقة النبلاء،

جاعلةً إيّاه إيرل بيكونسفيلد، الأمر الذي كان تحقيقاً لحلمٍ راود دزرائيلّي طوال حياته.

علم دزرائيلّي كم من الممكن أن تكون المظاهر خدّاعة: الناس كانوا دائماً يحكمون عليه من خلال وجهه وثيابه، وكان قد تعلّم ألاّ يقابلهم بالشيء نفسه أبداً. لذا لم يُخدع بالمظهر الخارجي الرصين والصارم للملكة ڤيكتوريا. فقد أحسّ أنّ تحت ذلك المظهر كانت هنالك امرأةً تتوق لرجلٍ يخاطب جانبها الأنثوي، امرأةً كانت حنونةً ورقيقةً وحتى شهوانيّة. المدى الذي إليه كان قد كُبِت هذا الجانب أظهر فحسب قوّة المشاعر التي كان سيحرّكها بمجرّد ما يذيب تحفّظها.

مقاربة دزرائيلّي كانت بأن يخاطب جانبين من شخصيّة ڤيكتوريا، واللذين كان الناس الآخرون قد سحقوهما: ثقتها وجنسانيّتها. كان أستاذاً في تملّق أنا الشخص. كما لاحظت إحدى الأميرات الإنكليزيّات، «عندما غادرت حجرة العشاء بعد الجلوس بجانب السيد غلادستون، حسبت أنه كان أذكى رجلٍ في إنكلترا. لكن بعد الجلوس بجانب السيد دزرائيلّي، حسبت أنني أذكى امرأة في إنكلترا.» مارس دزرائيلّي سحره بلمسةٍ مرهفة، موحياً بجوٍّ من المتعة والإسترخاء، وخاصّةً فيما يتعلّق بالسياسة. بمجرّد ما كانت الملكة تتخلّى عن دفاعاتها، فإنّه كان يجعل ذلك المزاج أكثر حرارةً وإيحائيّةً بقليل، وجنسيّاً بشكلٍ خفي ـ بالرغم من عدم اللجوء بالطبع للغزل الصريح. جعل دزرائيلّي ڤيكتوريا تشعر أنها مرغوبةٌ كإمرأة وموهوبةٌ كملكة. فكيف لها أن تقاوم؟ كيف لها أن تمنع عنه أيّ شيء؟

غالباً ما تُصاغُ شخصيّاتنا وتُشَكّل بالكيفيّة التي نُعامَل بها: إذا كان أحد الوالدين أو الزوج دفاعيّاً أو ميّالاً إلى المماحكة والخلاف والجدل في تعامله معنا، فسننزع لأن نستجيب بالطريقة نفسها. لا تخلط أبداً ما بين صفات الناس الخارجيّة وبين حقيقة هذه الصفات، لأن الشخصيّة التي يعرضونها على السطح قد تكون مجرّد انعكاسٍ للناس الذين يحتكّون معهم بأكبر قدر، أو مظهراً خارجيّاً متكلّفاً يخفي نقيضه. مظهرٌ خارجيٌّ فظ قد يخفي شخصاً يستقتل من أجل الدفء والمودّة؛ النمط رصين المظهر والمكبوت قد يكون في الواقع يناضل لإخفاء عواطف لا يمكن التحكّم بها. هذا هو المفتاح للسحر ـ تغذية ما كان مقموعاً أو محروماً.

الشمع، مادّة تكون بالشكل الطبيعيّ قاسيةً وسريعة الانكسار، يمكن أن تُليَّن بتطبيق بعض الحرارة، بحيث يتّخذ أيّ شكلٍ تريد. بنفس الطريقة، إذا كنت مهذّباً وودوداً، فإنّك تستطيع أن تجعل الناس مطواعين وميّالين للمساعدة، حتّى بالرغم من كونهم ميّالين للنكد والاضطغان. لذا فإنّ التهذيب بالنسبة للطبيعة البشريّة هو كالحرارة للشمع.

ـ آرثر شوبنهاور، *آراء وحقائق*، ترجمة تي. بايلي ساندرز

إيّاك أن تعلّل. إيّاك أن تتذمّر.

ـ بنجامين دزرائيلّي

من خلال تدليل الملكة وجعل نفسه مصدراً للمتعة، كان دزرائيلّي قادراً على تليين امرأةٍ كانت قد نشأت على القسوة والمشاكسة وحب الخصام. التدليل هو أداةٌ قويّةٌ للإغواء: من الصعب أن تغضب من أو تكون دفاعيّا حيال الشخص الذي يبدو أنّه يتّفق مع آرائك وأذواقك. الساحرون قد يبدون على أنّهم أضعف من أهدافهم لكن في النهاية هم الطرف الأقوى لأنهم قد استلبوا القدرة على المقاومة.

2. في عام 1971، رأى الرأسمالي الأمريكي ولاعب السلطة في الحزب الديمقراطي آڤيريل هاريمان أن حياته كانت تقترب من الختام. كان في التاسعة والسبعين، وزوجته لسنينٍ طوال، ماري، كانت قد توفّيت لتوّها، وبدا أن سيرته السياسيّة قد انتهت بخروج الديمقراطيين من الحكم. شاعراً بالشيخوخة والاكتئاب، فقد هيّأ نفسه على أن يقضي آخر سني حياته مع أحفاده في تقاعدٍ هادئ.

بعد عدّة أشهر من وفاة ماري، أُقنِعَ هاريمان بحضور حفلة في واشنطن. هنالك التقى بصديقةٍ قديمة، باميلا تشرشل، التي كان قد عرفها خلال الحرب العالميّة الثانية، في لندن، حيث كان قد أُرسِل كممثّلٍ شخصيّ للرئيس فرانكلين دي. روزفلت. كانت في الحادية والعشرين من العمر في ذلك الوقت، وزوجة راندولف ابن وينستون تشرشل. بالتأكيد كان هناك نساءٌ أكثر جمالاً في المدينة، لكن ولا واحدة منهن كان التواجد بقربها يبعثٍ على الحبور أكثر منها: كانت غايةً في المجاملة واللطف، تستمع إلى مشاكله، تصادق ابنته (كانتا في نفس العمر)، وتُطمئنه كلّما رآها. كانت ماري قد بقيت في الولايات المتحدة، وراندولف كان في الجيش، وبالتالي فبينما كانت القنابل تمطر لندن كان آڤيريل وباميلا قد بدآ علاقةً غراميّة. وخلال السنوات العديدة التي تلت الحرب، كانت قد بقيت على اتّصالٍ معه: عَلِم عن انهيار زواجها، وعن سلسلة علاقاتها التي لا تنتهي مع أغنى لعوبي رجال أوروبا. ومع ذلك فلم يرها منذ عودته إلى أمريكا، وإلى زوجته. يالها من مصادفةٍ غريبة أن يلتقي بها على نحوٍ غير متوقّع في هذه اللحظة بالتحديد من حياته.

في الحفلة سحبت باميلا هاريمان من قوقعته، من خلال الضحك على

نكاته وحمله على الحديث عن لندن في أيام الحرب المجيدة. شعر بأنّ قوّته القديمة كانت تعود ـ الموقف كان كما لو أنّه هو كان من يسحرها وليس هي. بعد عدّة أيّام زارته دون موعد في أحد منازله المخصّصة للعطل الأسبوعيّة. كان هاريمان من أغنى رجال العالم، لكنّه لم يكن ينفق بسخاء؛ فقد عاش هو وماري حياةً إسبارطيّة (نسبةً إلى مدينة إسبارطة اليونانيّة التي كان سكّانها يحيون حياةً صارمةً متقشّفة: المترجم). لم تعلّق باميلا، لكنّها عندما دعته إلى منزلها الخاص، لم يستطع إلّا أن يلاحظ كم كانت حياتها برّاقةً ونابضة ـ الزهور كانت في كلّ مكان، البياضات الجميلة على السرير، ووجباتٌ رائعة (بدت أنها تعرف كل أكلاته المفضّلة). كان قد سمع بصيتها كعشيقةٍ لرجال الطبقة المترفة وفهم إغراء ثروته لها، ومع ذلك فقد كان التواجد حولها منعشاً ومنشّطاً، وتزوّجها بعد ثمانية أسابيع من تلك الحفلة.

لم تتوقّف باميلا عند ذلك. فقد أقنعت زوجها بالتبرّع بالتحف الفنيّة التي كانت قد جمعتها ماري للمعرض الوطني للأعمال الفنية. حملته على التخلّي عن قسمٍ من ماله ـ وديعة استثماريّة لابنها وينستون، بيوت جديدة وأعمال ديكور مستمرّة. مقاربتها كانت حاذقةً ومتأنّيةً وغير ملحوظة؛ جعلته بطريقةٍ ما يشعر بالرضى حيال منحها ما تريد. خلال بضعة سنوات، لم يتبقَّ بالكاد أيّة آثارٍ لماري في حياتهما. أمضى هاريمان وقتاً أقل مع أبنائه وأحفاده. بدا أنّه يخوض تجربة شبابٍ ثانية.

في واشنطن، نظر السياسيون وزوجاتهم إلى باميلا بعين الريبة والشك. فقد أدركوا طبيعتها الحقيقيّة، وكانوا منيعين أمام سحرها، أو هكذا ظنّوا. ومع ذلك فقد كانوا يحضرون دائماً إلى الحفلات المتكرّرة التي كانت تستضيف، مبرّرين أنفسهم بفكرة أنّ الأناس النافذين سيكونون هناك. كل شيءٍ في هذه الحفلات كان مُعايَراً ليخلق جوّاً حميماً ومريحاً. لم يشعر أحدٌ بأنه تم تجاهله: الناس الأقل أهمّية كانوا يجدون أنفسهم وقد حدّثتهم باميلا، فتنفرج أساريرهم لتلك النظرة المراعية والمنتبهة الخاصّة بها. كانت تجعلهم يشعرون بأنّهم نافذون ومحترمون. بعدئذٍ كانت ترسل لهم ملحوظةً أو هديّةً شخصيّة، غالباً ما كانت تشير فيها إلى شيءٍ كانوا قد ذكروه في الحديث. الزوجات اللواتي كنّ قد سمّينها المحظيّة وأسماء أسوأ غيّرن رأيهنّ

بالتدريج. الرجال لم يجدوها آسرةً وحسب وإنّما ذات نفع - فصلاتها العالميّة النطاق كانت لا تقدّر بثمن. كان باستطاعتها أن تصلهم بالشخص المناسب تماماً دون أن يضطروا حتى للسؤال. سرعان ما تطوّرت حفلات هاريمان وزوجته لتصبح مناسباتٍ لجمع التبرعات للحزب الديمقراطي. أمّا وقد وُضِعوا موضع الراحة واليسر، وشعروا بالرقي نتيجة الجو الأرستوقراطي الذي خلقته باميلا والإحساس بالأهمية الذي منحتهم إياه، فإنّ الزوار كانوا يفرّغون جيوبهم دون أن يُدرِكوا ما السبب تماماً. هذا، بالطبع، كان ما قد فعله بالضبط كل الرجال الذين مرّوا في حياتها.

في عام 1986، مات آڤيريل هاريمان. حينها كانت باميلا نافذةً وغنيّة بما فيه الكفاية لكي لا تحتاج إلى رجلٍ بعد ذلك. في عام 1993، عُيِّنت سفيرة الولايات المتّحدة إلى فرنسا، ونقلت بكل يسر سحرها الشخصي والاجتماعي إلى عالم الديبلوماسية السياسية. كانت لا تزال تعمل عندما ماتت، في عام 1997.

نحن غالباً ما نميّز الساحرين من هذا النوع؛ نحس بذكائهم. (من المؤكّد أن هاريمان قد أدرك بالضرورة أن لقاءه بباميلا تشرشل لم يكن من سبيل المصادفة.) ومع ذلك، فنحن نقع تحت سحرهم. السبب بسيط: الشعور الذي يمنحنا إياه الساحرون هو من الندرة بحيث يستحق الثمن الذي ندفعه.

العالم يغص بالناس المُستَغرَقين في أنفسهم. في حضرتهم، نحن نعلم أنّ كلّ شيءٍ في علاقتنا معهم موجّهٌ نحوهم بالذات - مواطن اللاأمان وقلة الثقة بالنفس لديهم، احتياجيّتهم، تعطّشهم للانتباه. ذلك يعزّز نزعات التمحور حول الأنا التي لدينا؛ فننغلق على أنفسنا ونخفي مشاعرنا بقصد الحماية. إنها متلازمة لا تعدو عن جعلنا أكثر عجزاً حيال الساحرين. أولاً، هم لا يتكلّمون كثيراً عن أنفسهم، الأمر الذي يعزّز غموضهم ويخفي محدوديّاتهم. ثانياً، هم يبدون أنّهم مهتمّون بنا، واهتمامهم يكون مركّزاً لدرجة وبشكلٍ مبهج فنسترخي وتنفرج أساريرنا لهم. أخيراً، من الممتع التواجد حول الساحرين. فليس لديهم أيّة خصلة بشعة من خصال معظم الناس - النّق، التذمّر، التوكيد على الذات والاعتداد بها. هم يبدون أنّهم

يعرفون ما الذي يرضي. الدفء المُنتشر هو اختصاصهم؛ اتّحادٌ بدون جنس. (قد تعتقد أن الغايشا «المغنية والراقصة اليابانية» شهوانيّة وجنسية بالإضافة لكونها ساحرة؛ إلّا أنّ قوّتها لا تتجسّد في الخدمات الجنسيّة التي تقدّمها وإنّما في تنبّهها النادر الذي يبقيها بعيدةً عن الأضواء بدافع من التواضع.) فنصبح مدمنين ومعتمدين عليهم بشكلٍ حتميّ. واعتماد الآخرين على الساحر هو مصدر قوّته.

الأناس الجميلون من الناحية الشكلية، والذين يلعبون بجمالهم ليخلقوا حضوراً جنسيّاً مشحوناً، يتمتّعون بسلطةٍ محدودة في آخر المطاف؛ فزهرة الشباب تذوي، ودائماً يوجد هنالك من هو أنضر شباباً وأشدّ جمالاً، وفي جميع الحالات فإنّ الناس يسأمون من الجمال إذا افتقر إلى الكياسة الاجتماعيّة. لكنّهم لا يملّون أبداً من الشعور بأنّ قيمتهم الذاتيّة قد قُدّرت حقّ قدرها. تعلّم النّفوذ الذي تستطيع أن تتدبّره وتمارسه من خلال جعل الشخص الآخر يشعر مثل النّجم. المفتاح هو أن تخفّف من كثافة حضورك الجنسي: إخلق إحساساً من الإثارة والتشويق أكثر غموضاً وأسراً للاهتمام من خلال غزلٍ مُعَمَّم وجنسانيّة اجتماعيّة دائمة تسبّب الإدمان ولا تُشبَع بشكلٍ كاملٍ أبداً.

3. في شهر كانون الأول من عام 1936، أُسِرَ شيانغ كاي ـ شك، قائد القوميين الصينيين، من قبل مجموعةٍ من جنوده الخاصّين الذين كانوا غاضبين إزاء سياساته: بدلاً من أن يحارب اليابانيين، الذين كانوا قد احتلّوا الصين لتوّهم، فإنّه كان يواصل حربه ضد جيوش ماوتسي تونغ. لم يرَ الجنود ماو كتهديد ـ فشيانغ كان قد قضى على الشيوعيين تقريباً. في الواقع، اعتقدوا بأنّه ينبغي له أن يوحّد قواه مع ماو ضد العدوّ المشترك ـ فقد كان العمل الوطني الوحيد الممكن فعله. ظنّ الجنود أنّهم من خلال أسره يستطيعون أن يجبروا شيانغ على تغيير رأيه، لكنّه كان رجلاً عنيداً. بما أن شيانغ كان العائق الوحيد أمام حربٍ موحّدة ضد اليابانيين، فقد فكّروا في إعدامه، أو تسليمه للشيوعيين.

أثناء إقامة شيانغ في السجن، لم يستطع سوى تخيّل الأسوأ. تلقّى بعد عدّة أيام زيارةً من زو إنلاي ـ صديق سابق والآن قيادي شيوعي. بتهذيبٍ واحترام، ناقش زو في سبيل جبهةٍ موحّدة: الشيوعيون والقوميون ضد اليابانيين. لم يستطع شيانغ حتى أن يشرع في حديثٍ كهذا، إذ كان يشتعل كرهاً حيال الشيوعيين، وأصبح مهتاجاً عاطفيّاً بشكلٍ ميئوسٍ منه. وأعلن صارخاً أنّ توقيع اتّفاقٍ مع الشيوعيين في مثل هذه الظروف سيكون أمراً مذلاً، وسيُجَرِّدُه من شرفه العسكري أمام جيشه. إنّه أمرٌ لا يخضع للنقاش. اقتلني إذا توجّب عليك ذلك.

أنصت زو وابتسم وبالكاد تفوّه بكلمة. عندما انتهت نوبة شيانغ من الوعيد والصراخ، قال له زو أنّ اعتبارات الشرف كانت شيئاً يفهمه، لكنّ الشيء المشرّف لهم ليفعلوه كان في الواقع أن ينسوا اختلافاتهم ويحاربوا الغازي. بإمكان شيانغ أن يقود الجيشين سويّةً. أخيراً، قال زو أنه لم يكن ليسمح تحت أيّ ظرفٍ لرفاقه الشيوعيين، أو أيّ شخصٍ ذي صلة، بأن يعدموا شخصاً عظيماً كشيانغ كاي ـ شك. ذُهِلَ قائد الوطنيين وتحرّكت مشاعره.

في اليوم التالي، تمّت مرافقة شيانغ إلى خارج السجن من قبل حرّاس شيوعيّين ونُقِلَ إلى واحدةٍ من طائرات جيشه الخاص وأُرجِعَ إلى مركز القيادة الخاص به. من الواضح أن زو كان قد تصرّف على هواه، لأنّه عندما وصل الخبر إلى القادة الشيوعيين الآخرين، استشاطوا غضباً: فباعتقادهم أنّه كان ينبغي على زو أن يجبر شيانغ على محاربة اليابانيين، وإلاّ فعليه أن يأمر بإعدامه ـ أن يطلق سراحه بدون امتيازات وتنازلات كان قمّة الجبن، وعلى زو أن يدفع ثمن غلطته. لم يقل زو شيئاً وانتظر. بعد عدّة أشهر، وقّع شيانغ اتّفاقاً لإيقاف الحرب الأهلية وتوحيد القوى مع الشيوعيين ضد اليابانيين. بدا أنّه توصّل إلى قراره بمحض إرادته، واحترم جيشه قراره هذا ـ لم يكن من الوارد أن يشكّكوا بدوافعه.

من خلال عملهم سويّةً، تمكّن الوطنيّون والشيوعيون من طرد اليابانيين من الصين. لكنّ الشيوعيين، الذين كان شيانغ قد دمّرهم تقريباً، انتهزوا فترة التعاون هذه لاستعادة القوة. بمجرّد ما رحل اليابانيون، انقلبوا على الوطنيين،

الذين في عام 1949 أُجبروا على إخلاء أرض الصين الرئيسية والنزوح إلى جزيرة فورموزا، المعروفة الآن باسم تايوان.

في تلك الفترة زار ماو الاتحاد السوفياتي. كانت الصين في حالةٍ يُرثى لها وفي حاجةٍ ماسّةٍ للمساعدة، لكنّ ستالين كان يرتاب من الصينيين، ووبّخ ماو على الأخطاء العديدة التي كان قد ارتكبها. ماو ردّ على كلام ستالين بكلامٍ تفنيديّ. قرّر ستالين أن يلقّن المُحدَث النّعمة الشاب درساً؛ فلم يقدّم للصين شيئاً. احتدّ الغضب وتوتّرت الأجواء. أرسل ماو بشكلٍ عاجل وراء زو إنلاي الذي وصل في اليوم التالي وهمّ مباشرةً بالعمل. خلال جلسات المفاوضات المضنية والطويلة، استعرض زو بطريقةٍ مسرحيّة استمتاعه بالڤودكا التي قدّمها له مضيفه. لم يجادل أبداً، وفي الواقع سلّم بأنّ الصينيين كانوا قد ارتكبوا العديد من الأخطاء، وأنّ لديهم الكثير ليتعلّموه من السوڤييت الأكثر خبرة، وقال: «نحن أوّل بلدٍ آسيويٍّ كبير ينضمّ إلى المعسكر الاشتراكيّ تحت *قيادتكم* أيّها الرفيق ستالين.» كان زو قد قدم مُجَهّزاً بكافّة أنواع الرسوم البيانيّة والجداول المرسومة بدقّة وإحكام، إذ كان يعلم أنّ الروس يحبّون هذه الأشياء. تحمّس له ستالين. استمرّت المفاوضات، وبعد عدّة أيام من قدوم زو، وقّع الفريقان معاهدة تعاون مشترك ـ معاهدةً كانت أكثر نفعاً بكثير للصينيين من السوڤييت.

في عام 1959، كانت الصين مجدّداً في ورطةٍ عميقة. طفرة ماو الكبرى إلى الأمام ـ محاولة لإطلاق شرارة ثورة صناعيّة في الصين بين ليلةٍ وضحاها، باءت بالفشل الذريع. كان الناس غاضبين: إذ كانوا يموتون جوعاً بينما عاش بيروقراطيّو بيكين بشكلٍ مرفّه. العديد من المسؤولين الصينيين، ومن ضمنهم زو، عادوا إلى بلداتهم الأصليّة ليحاولوا إعادة النظام. العديد منهم تدبروا الأمر عن طريق الرشاوي ـ من خلال الوعود بتقديم كل أنواع الخدمات ـ لكنّ زو سلك طريقاً مختلفاً: زار مقبرة أجداده، حيث دُفِنَت أجيالٌ من أسرته، وأمر بأن تُزال شواهد القبور وأن تُطمَرَ التوابيت أعمق من ذي قبل. الآن أصبحت الأرض صالحةً للزراعة من أجل الغذاء. بالمفهوم الكونفوشيوسي (وزو كان كونفوشيوسيّاً مخلصاً)، كان هذا الفعل تدنيسٌ للمقدّسات وانتهاكٌ لحرمتها، لكنَّ الجميع علم ما عنى: كان زو مستعدّاً لأن يعاني شخصيّاً. كان لزاماً على كلّ واحدٍ أن يضحّي، حتّى القادة. كان لبادرته أثرٌ رمزيٌّ هائل.

عندما مات زو في عام 1976، تفاجأت الحكومة بمظاهر الأسى والحزن غير المنظّمة وغير المملاة من قبل السلطة والتي اجتاحت العامّة. لم يستطيعوا أن يفهموا كيف لرجلٍ كان قد عمل خلف الكواليس، ونأى بنفسه عن هيام الجماهير به، أن يحظى بحبٍّ كهذا.

اعتقال شيانغ كاي-شك كان نقطة تحوّلٍ في الحرب الأهليّة. كان إعدامه بمثابة كارثة: فقد كان شيانغ من عقد لواء الجيش الوطنيّ، وبدونه كان من الممكن أن يتشرذم إلى زمرٍ، مما يمكّن اليابانيين من سحق البلد. إجباره على توقيع اتّفاقيّة لم يكن ليساعد أيضاً: إذ كان سيفقد ماء وجهه أمام جيشه، ولم يكن ليفي ببنود الاتفاقيّة قط، وكان سيفعل كل ما بوسعه ليثأر نتيجةً لذلّه ومهانته. علم زو أنّ إعدام أسيرٍ أو إخضاعه لن يؤدّي إلّا إلى جعلِ عدوّك أكثر جرأةً وجسارة، وسيكون لديه مضاعفاتٌ لن تستطيع التحكّم بها. السحر، على العكس من ذلك، هو سلاحٌ تلاعبيّ من شأنه أن يُقَنّعَ ويخفي تلاعبيّته الخاصّة، فيتيح لك أن تحرز النصر دون أن تثير الرغبة بالانتقام.

عمل زو على شيانغ بشكلٍ مثاليّ، فوفّاه الاحترام ولعب دور الأقل شأناً، تاركاً إيّاه يعبر من الخوف من الإعدام إلى فرج إطلاق السراح غير المتوقّع. سُمِح للجنرال بأن يُغادر مصون الكرامة. علم زو أنّ كل هذا كان من شأنه أن يخفّف من تصلّبه وأن يزرع بذرة الفكرة بأنّ الشيوعيّين ربّما لم يكونوا غايةً في السوء على أيّ حال، وأنّه بإمكانه أن يُغَيّر رأيه بهم دون أن يبدو ضعيفاً، وخاصّةً إذا فعل ذلك بشكلٍ مستقلّ وليس بينما كان في السجن. طبّق زو نفس الحكمة في جميع المواقف: إلعب دور الأقل شأناً، المتواضع والذي لا يشكّل تهديداً. ماذا سيهمّ إذا كنت ستحصل على ما تريد في النهاية: الوقت لتستعيد قواك بعد حربٍ أهليّة، معاهدة، إرادة الجماهير الطيبة.

الوقت هو أعظم سلاحٍ بحوزتك. بأناةٍ أبقِ في ذهنك هدفاً بعيدَ المدى وعندها لن يستطيع مقاومتك لا شخصٌ ولا جيش. والسحر هو أفضل

طريقة للعب من أجل اكتساب الوقت ولتوسيع خياراتك في أيّ موقف. من خلال السحر تستطيع أن تغري عدوّك بالانسحاب، ما يمنحك المجال النفسي لكي تدبّر استراتيجيّةً مضادّةً فعّالة. المفتاح هو أن تجعل الناس الآخرين عاطفيّين بينما تبقى أنت في حلٍّ من أيّ ارتباطٍ أو تعلّق. قد يشعرون بالامتنان، السعادة، التأثّر، الغرور ـ لا يهم، ما داموا يشعرون. الشخص المستثار عاطفياً هو شخصٌ مشتّت الانتباه. أعطهم ما يريدون، خاطب مصلحتهم الذاتية، إجعلهم يشعرون بالتفوّق عليك. عندما يمسك طفل بسكّينٍ حادّة، لا تحاول أن تنزعها منه؛ بدلاً من ذلك، إبقَ هادئاً، قدّم له الشوكولا، وسيترك الطفل السكين ليلتقط اللقمة الطيّبة التي قدّمت.

4. في عام 1761، ماتت إمبراطورة روسيا، واعتلى ابن أخيها العرش تحت اسم القيصر بيتر الثالث. لطالما كان بيتر طفلاً صغيراً من الداخل ـ استمرّ باللعب بالدمى التي على شكل جنود لفترة طويلة بعد السن المناسب ـ والآن كقيصر استطاع أخيراً أن يفعل ما يحلو له وليحترق العالم. خَلُصَ بيتر إلى معاهدةٍ مع فريديريك العظيم كانت تصب في صالح الحاكم الأجنبي لدرجة كبيرة (أُعجِب بيتر بفريديريك إعجاباً كبيراً، وخاصّةً بالطريقة المنضبطة التي يمشي بها الجنود البروسيون مشية النظام المنضم). كانت هذه كارثة عمليّاً، لكنّ بيتر كان حتّى أكثر إزعاجاً في مسائل العواطف والإتيكيت: فقد رفض أن يقيم مراسم الحداد على عمّته الإمبراطورة بالشكل المناسب، إذ استأنف ألعابه الحربيّة وحفلاته بعد عدّة أيّام من الجنازة. كم كان على النقيض من زوجته كاثرين. اتّسمت بالاحترام خلال الجنازة وظلّت مُتّشحةً بالسواد عدّة أشهرٍ بعدها، وكان بالإمكان رؤيتها على الدوام بجانب ضريح إليزابيث وهي تصلّي وتبكي. لم تكن روسيّةً حتّى، وإنّما أميرةً ألمانيّة كانت قد قدمت شرقاً لتتزوّج من بيتر في عام 1745 دون أن تتكلّم كلمةً واحدةً من اللغة الروسيّة. حتّى أقلّ فلاّحٍ كان يعلم أن كاثرين كانت قد تحوّلت مذهبيّاً إلى الكنيسة الروسية الأرثوذكسيّة، وتعلّمت التكلّم بالروسيّة بسرعةٍ لا تصدّق وبأسلوبٍ جميل. اعتقدوا أنّها كانت (من الداخل) أكثر روسيّةً من كل أولئك الغنادير في البلاط.

خلال هذه الأشهر الصعبة، بينما أهان بيتر الجميع تقريباً في البلاد، أبقت كاثرين على عشيقٍ في السر، غريغوري أورلوف الذي كان ملازماً في الحرس الملكي. من خلال أورلوف أذيعت الأخبار عن تُقاها ووطنيّتها وأحقّيتها بالحكم؛ كم كان من الأفضل اتّباع امرأةٍ كهذه من خدمة بيتر. في وقتٍ متأخّرٍ من الليل، كان أورلوف وكاثرين يتحدّثان، وكان يخبرها أنّ الجيش يقف خلفها ويحثّها على أن تقوم بانقلاب. كانت تصغي بانتباه، لكنّها كانت تجيب دائماً بأنّه لم يحن الوقت لمثل هذه الأشياء. تعجّب أورلوف بينه وبين نفسه: لعلّها كانت أكثر رقّةً واستسلاماً من أن تقوم بمثل هذه الخطوة الجبّارة.

كان نظام بيتر قمعيّاً، وعمّت الاعتقالات والإعدامات. وازداد تعسّفاً وإساءةً لزوجته، وأخذ يهدّدها بتطليقها والزواج من عشيقته. في أحد أمسيات السّكر، حيث كان مُخَبّلاً ومشتّت الانتباه نتيجة صمت كاثرين وعدم قدرته على استفزازها، أمر باعتقالها. انتشرت الأخبار بسرعة، وهُرِعَ أورلوف ليحذّر كاثرين من أنّها ستُسجَن وتُعدَم إن لم تتصرّف بسرعة. هذه المرّة لم تجادل كاثرين؛ ارتدت أبسط عباءة حدادٍ لديها وتركت شعرها نصف غير مسرّح وتبعت أورلوف إلى عربةٍ كانت بانتظارها وهُرِعَت إلى ثُكنات الجيش. هنا خرّ الجنود ساجدين على الأرض وهم يقبّلون حاشية ثوبها ـ إذ كانوا قد سمعوا الكثير عنها لكنّهم لم يروها شخصيّاً، وبدت لهم كتمثالٍ للعذراء مريم ينبعث للحياة. أعطوها زيّاً عسكريّاً وهم يتعجّبون كم بدت جميلةً وهي في ثياب الرجال، وزحفوا تحت أمرة أورلوف نحو القصر الشتوي. تعاظم الموكب أثناء عبوره في شوارع سانت بطرسبرغ. الكلّ هلّل لكاثرين، شعر الجميع بأنّه يجب الإطاحة ببيتر. سرعان ما أخذ الكهنة يتوافدون ليمنحوا كاثرين بركتهم، فازداد الناس حماسةً على حماسة. وعبر كل هذا، كانت صامتةً ووقورة، وكأنّ كلّ شيءٍ كان في أيدي القدر.

عندما تناهت إلى سمع بيتر أنباء هذه الثورة السلميّة، فقد انتابه غضبٌ هيستيريّ، ووافق على التخلّي عن العرش في نفس تلك الليلة. أصبحت كاثرين الإمبراطورة دون أيّ معركةٍ أو حتّى طلقةٍ واحدة.

كطفلةٍ، فقد كانت كاثرين ذكيّةً ومفعمة بالحيويّة. بما أنّ أمّها كانت

قد أرادت ابنةً مطيعةً وليس ابنةً مبهرة، والتي كانت بالتالي ستحظى بشريكٍ أفضل، فإنّ الطفلة كانت موضعاً لوابلٍ مستمر من الانتقاد، والذي طوّرت إزاءه دفاعاً: تعلّمت أن تبدو أنّها تذعن للآخرين بشكلٍ كامل وذلك كوسيلةٍ لتحييد عدوانهم. إذا تحلّت بالصبر ولم تفرض المسألة بالقوّة، فإنّهم سوق يقعون تحت سحرها بدلاً من مهاجمتها.

عندما قدمت كاثرين إلى روسيا ـ في سن السادسة عشرة، دون صديقٍ أو نصيرٍ في البلاد ـ فقد طبّقت المهارات التي كانت قد تعلّمتها في التعامل مع أمّها الصعبة. في وجه كل وحوش البلاط ـ الإمبراطورة إليزابيث المَهيبة، زوجها الطُّفاليّ، طغمة المتآمرين والخونة الذين لا حصر لهم ـ انحنت، أذعنت، انتظرت، وسحرت. لطالما أرادت الحكم كإمبراطورة، وعلمت كم كان زوجها ميؤوساً منه. لكن ما جدوى أن تستولي على السلطة بالعنف، فتدّعي بذلك حقّاً لا بدّ أن يراه البعض على أنّه غير شرعيّ، وعندها ستضطرّ لأن تقلق إلى ما لا نهاية من أنّه سيُطاحُ بها بدورها؟ كلاّ، يجب أن تكون اللحظة مؤاتية، ويتعيّن عليها أن تجعل الناس يحملونها إلى السلطة. لقد كان أسلوباً أنثويّاً من الثورة: من خلال كونها مستسلمةً وصامتة، أوحت كاثرين بأنّه ليس لديها اهتمامٌ في السلطة. الأثر كان مطمئناً ـ ساحراً.

سنواجه دائماً أناساً صعاباً (شديدي المراس) ـ غير الآمنين بشكلٍ مزمن، العنيدين بشكلٍ ميؤوسٍ منه، المتذمّرين الهيستيريّين. قدرتك على تحييد وكسب ود هؤلاء الناس ستثبت أنّها مهارةٌ لا تُقدّر بثمن. لكن يجب أن تكون حذراً على الرّغم من ذلك: إذا كنت مذعناً أو سلبيّاً فسوف يطغَونَ عليك؛ إذا كنت ميّالاً للتوكيد والجزم فإنّك سوف تجعل خصائصهم المشوّهة أسوأ. الإغواء والفتنة (السحر) هم السلاحان المضادّان الأكثر فعّاليّة. من الخارج، كن سموحاً ورؤوفاً. تكيّف مع كلّ طباعهم وكلِ حالاتهم النفسيّة. ادخل صُلب ذواتهم. من الداخل، فكّر في النتائج وانتظر: استسلامك هو استراتيجيّة وليس طريقةً للعيش. عندما يحين الوقت، وحتماً سيحين، فستُقْلَب الطاولة. سيضعهم عدوانهم في ورطة، ممّا سيضعك في موضع من ينقذهم، فتستعيد التفوّق. (تستطيع أن تقرّر أنّك قد نلت بما فيه الكفاية، وتودعهم للنّسيان.) سحرك قد منعهم من التنبؤ بهذا

ومن الارتياب. يمكن لثورةٍ بأكملها أن تحدث دون أيّ عمل عنف، ببساطة من خلال انتظار التفاحة لتنضج وتقع.

الرمز: المرآة.

روحك ترفع مرآةً للآخرين. عندما يرونك فإنّهم يرون أنفسهم: قيمهم، أذواقهم، حتّى أخطاءهم. علاقة الحب مع صورتهم الخاصّة والمعمّرة بعمر الحياة هي علاقة مريحة ومنوّمة؛ لذا غذّها. لا أحد يرى أبداً ما خلف المرآة.

المخاطر

هنالك من هم منيعون إزاء الساحر؛ وخاصّةً من يؤمنون بأنّ السلوك البشري تهيمن عليه المصالح الذاتية وحدها، والأنماط الواثقة التي لا تحتاج إلى التقدير أو الاعتراف بها. هؤلاء الناس ينزعون لرؤية الساحرين كأناسٍ زلقين ومخادعين، ويستطيعون أن يخلقوا لك المشاكل. الحل هو أن تفعل ما يفعله معظم الساحرين بالفطرة: صادقْ واسحرْ أكبر عددٍ ممكن من الناس.

صُن قوّتك من خلال الأعداد ولن تضطر للقلق حيال القلّة التي لا تستطيع إغواءها. كياسة كاثرين العظيمة مع كل من التقت خلقت كمّيةً هائلة من النيّة الطيّبة التي أتت أُكلها لاحقاً. بالإضافة إلى ذلك، يكون في بعض الأحيان من السحر أن تكشف عن خطإٍ استراتيجيّ. هنالك شخصٌ لا تحبّه؟ اعترف بهذا صراحةً، لا تحاول أن تسحر هكذا عدوّ، وسوف يعتقد الناس أنّك أكثر إنسانيّة وأقل زلاقةً. دزرائيلّي كان لديه كبش فداءٍ كهذا مع خصمه الرهيب، ويليام غلادستون.

التعاطي مع مخاطر السحر السياسي يكون أكثر صعوبةً: تغييرك لاتّجاهك بقصد التوفيق بين الأخصام، مقاربتك للسياسة المتّسمة بالمرونة ستصنع عدوّاً من كل من هو مؤمنٌ متصلّبٌ بقضيّة. المغوون الاجتماعيّون كبيل كلينتون وهنري كيسنجر استطاعا غالباً أن يكسبوا لصفّهم أكثر المناوئين تعنّتاً بواسطة سحرهم الشخصيّ، لكنّهم لا يستطيعون أن يكونوا في كلّ الأمكنة في الوقت نفسه. العديد من أعضاء البرلمان الإنكليزي اعتقدوا أنّ دزرائيلّي عبارة عن متآمرٍ متذبذب؛ على المستوى الشخصي استطاع أسلوبه الجذّاب أن يبدّد هذه المشاعر، لكنّه لا يستطيع أن يخاطب على انفراد البرلمان بأكمله. في الأوقات الصعبة، عندما يتوق الناس لشيءٍ حقيقيّ ووطيد، فإنّ الفاتن السياسي قد يكون في خطر.

كما أثبتت كاثرين العظيمة، التوقيت كلّ شيء. ينبغي على الساحرين أن يعلموا متى يخفّفوا من نشاطهم ومتى يكون الوقت ملائماً أمام قواهم المقنعة. يجب عليهم في بعض الأحيان أن يكونوا مرنين بما فيه الكفاية حتّى يتصرّفوا على نحوٍ غير مرن. زو إنلاي، الحرباء من الطراز الأوّل، كان يستطيع لعب دور الشيوعي الملتزم والذي لا يقبل التسوية عندما كان ذلك يناسبه. إيّاك وأن تصبح عبداً لقوى السحر والفتنة الخاصّة بك؛ أبقها تحت السيطرة، كشيءٍ تستطيع تشغيله وإيقافه عند الطلب.

القيادي المُلهِم (الكاريزماتي)

الكاريزما

أو المغناطيسية الشخصية هي حضور
يثيرنا. إنها تنبع من خاصية داخلية ـ الثقة بالنفس،
طاقة جنسية، إحساس بالغاية والتصميم، الرضا
والاطمئنان ـ والتي يفتقر إليها ويريدها معظم الناس. هذه
الخاصية تشع للخارج، وتتخلل إيماءات القيادي (الكاريزماتي)،
مما يجعلها تبدو استثنائية وخارقة للمألوف، وتجعلنا نتخيّل أنّ
لديهم إمكانات ومواهب أكثر ممّا يبدو للعيان: فهم آلهة،
قدّيسون، نجوم. الكاريزماتيون يتعلمون إبراز مغناطيسيتهم
من خلال التحديق الثاقب والخطابة النارية وسيماء الغموض.
هم يستطيعون الإغواء على نطاقٍ واسع. إخلق الوهم
الكاريزماتي من خلال الإشعاع بالحدة والشغف
بينما تظل مستقلاً من الناحية العاطفية
وغير آبهٍ.

الكاريزما والإغواء

الكاريزما هي إغواءٌ على النطاق الأوسع. الكاريزماتيّون يجعلون حشوداً من الناس يقعون في حبّهم، ومن ثمّ يقودونهم. عمليّة جعلهم يقعون في الحب بسيطة وتستتبع مساراً شبيهاً لذلك الخاص بإغواء شخصٍ لشخص. الكاريزماتيّون لديهم خصائص معيّنة تجذب بشكلٍ قويّ وتجعلهم يبرزون. هذه الخصائص قد تكون إيمانهم بأنفسهم، جسارتهم، أو صفاءهم. هم يبقون مصدر هذه الخصائص غامضاً. إذ لا يفسّرون من أين تنبع ثقتهم أو طمأنينتهم، لكن الجميع يستطيع استشعارها؛ فهي تشعُّ إلى الخارج، دون جهدٍ ظاهرٍ أو مُتَعَمَّد. عادةً ما يكون وجه الكاريزماتي مفعماً بالحياة ومليئاً بالطاقة والرغبة والتيقّظ ـ مظهر العاشق، ذلك المظهر الذي يثير الإعجاب فوراً، بل وحتّى يثير جنسيّاً على نحوٍ غامض. نحن نتبع الكاريزماتيّين بسرور لأنّنا نحبّ أن نُقاد، وخاصّةً من قبل الناس الذين يعِدون بالمغامرة أو الإزدهار. نخسر أنفسنا في خدمة قضاياهم، ونصبح متعلّقين بهم عاطفيّاً، ونشعر بأنّنا مفعمون بالحياة أكثر عندما نؤمن بهم ـ نقع بالحب. الكاريزما تلعب على أوتار الجنسانيّة المقموعة، تخلق شحنةً شهوانيّة. بالرّغم من ذلك فإنّ جذور الكلمة لا تكمن في الجنسانيّة وإنّما في الدين، إذ أنّ الدين يبقى جزءاً لا يتجزّأ من الكاريزما المعاصرة.

مُراد القول أنّ «الكاريزما» تشير إلى خاصيّةٍ استثنائيّةٍ في الشخص، بغض النظر عمّا إذا كانت هذه الخاصيّة حقيقيّة، مُدّعاة أو مُفترَضة. «السلطة الكاريزماتيّة،» تشير إذن إلى سلطةٍ على الرجال، أكانت خارجيّةً بشكلٍ رئيسيّ أم داخليّة، والتي ينصاع لها المحكومون بسبب إيمانهم بالخاصيّة الاستثنائيّة للشخص الذي يحملها بالتحديد.

ـ ماكس ڤيبر، من *مقالاتٍ في علم*

من آلاف السنين والناس تؤمن بالآلهة والأرواح، لكنّ قلّةٌ قليلةٌ تستطيع القول بأنّهم قد شهدوا معجزة على الإطلاق، أو برهاناً مادّياً على القدرة الإلهيّة. لكنّ الرجل الذي يبدو أنّه مُتَمَلَّكٌ من قبل روحٍ إلهيّة ـ فيتكلّم بلغةٍ غير مفهومة (نتيجة نشوةٍ دينيّة)، وينتشي بوجدٍ صوفيّ، ويعبّر عن رُؤى كثيفة وقويّة ـ يقف مُتَفرّداً كشخصٍ اصطفته الآلهة. وهذا الرجل، كاهناً كان أم نبيّاً، يحظى بسلطانٍ كبير على الآخرين. فما الذي جعل اليهود

يؤمنون بموسى، ويتبعونه إلى خارج مصر، ويبقون مخلصين له بالرّغم من تطوافهم اللانهائي في الصحراء؟ النظرة في عينيه، كلماته المُلهَمة والمُلهِمة، الوجه الذي أضاء بالمعنى الحرفيّ عندما نزل من جبل سيناء - كل هذه الأشياء أعطته المظهر بأنّه على تواصلٍ مباشر مع الله، وكانت مصدر سلطته. وهذه الأشياء كانت ما عُنيَ بكلمة «كاريزما،» كلمة إغريقيّة تشير للأنبياء وللمسيح نفسه. في صدر المسيحيّة، الكاريزما كانت نعمةً أو موهبةً تتلطّف بها الرحمة الإلهيّة إظهاراً لوجود الله. معظم الديانات الكبرى أوجدت من قبل شخصٍ كاريزماتيّ؛ شخصٌ يُظْهِر للعيان مادّياً علامات الرعاية الإلهيّة.

الاجتماع لماكس ڤيبر. تحرير هانز جيرث وسي. رايت ميلز

وقال الربّ لموسى، «اكتب هذه الكلمات؛ فإنّي قد عملت ميثاقاً معك ومع بني إسرائيل وفقاً لهذه الكلمات.» وظلّ هنالك مع الربّ لأربعين يوماً وليلة؛ لم يأكل فيها طعاماً ولم يشرب ماءً. وكتب على الألواح كلمات الميثاق، الوصايا العشر. عندما نزل موسى من جبل سيناء، مع لوحَيْ الوصايا في يديه، فإنّه لم يعلم أنّ بشرةَ وجهه كانت تضيء لأنه كان يتكلّم مع الله. وعندما رآه هارون وكلّ بني إسرائيل، فإنّهم لم يتجرؤوا على الاقتراب منه، إذ أنّ بشرة وجهه كانت تضيء. لكنّ موسى

عبر السنين، العالم أصبح أكثر عقلانيّةً. أخيراً صار الناس يتولّون زمام السلطة ليس عن طريقَ الحق الإلهي وإنّما بسبب فوزهم بالأصوات، أو إثباتهم لجدارتهم. ومع ذلك فإنّ عالم الاجتماع الألماني العظيم في بدايات القرن العشرين ماكس ڤيبر لاحظ أنّه بالرّغم من تقدّمنا المزعوم، فإنّه كان هنالك كاريزماتيّون أكثر من أيّ وقتٍ مضى. الأمر الذي ميّز الكاريزماتيّ المعاصر، تبعاً لڤيبر، كان ظهور خاصّيةٍ استثنائيّةٍ في شخصيّته، المكافئ لعلامة الرعاية الإلهيّة. بأيِّ كيفيّةٍ أخرى نفسّر إذن سلطان روبسبيير أو لينين؟ ما جعل هؤلاء الرجال يبرزون وشكّل مصدر قوّتهم كان وفي المقام الأوّل قوّة شخصيّاتهم المغناطيسيّة. لم يتحدّثوا عن الله وإنّما عن قضيّة كبرى وعن رؤىً لمجتمع الغد. نداؤهم كان عاطفيّاً؛ وبدوا أنّهم مُتَمَلّكون (ممسوسون). وتفاعل جمهورهم معهم بنفس النشوة والسعادة الغامرة التي كان يتفاعل بها الجمهور الأسبق مع نبيّ. عندما مات لينين في عام 1924، تشكّلت حول ذكراه جماعةٌ من المعجبين والأتباع المغالين، ممّا حوّل القائد الشيوعي إلى معبود.

في يومنا هذ، أيّ شخصٍ لديه حضور، ويلفت الانتباه عندما يدخل أو تدخل الغرفة، يُقال أنّه يمتلك كاريزما. لكن حتّى هذه الأنماط الأقلّ رفعةً تُظْهِرُ أثراً من الخاصّية التي يقترحها المعنى الأصلي للكلمة. الكاريزما التي لديهم تكون غامضة وغير قابلة للتفسير، ولا تكون واضحةً أبداً. لديهم ثقة غير اعتياديّة. لديهم موهبة - غالباً سلاسة في اللغة - تجعلهم يبرزون عن الجمهور. هم يعبّرون عن تصوّر. قد لا ندرك هذا، لكن في حضورهم فإنّنا نختبر نوعاً من التجربة الدينيّة: نحن نؤمن بهؤلاء الناس، من دون أن يكون

في حوزتنا أيّ دليلٍ عقلانيّ على موقفنا هذا. عندما تحاول أن تُعِدّ تأثير الكاريزما، إيّاك أن تنسى المصدر الديني لقوّتها. عليك أن تُشِعَّ بخاصّيةٍ داخليّة ذات مسحةٍ من القداسة أو الروحانيّة. عيناك يجب أن تضيئا ببريق نبيّ. الكاريزما التي لديك يجب أن تبدو طبيعيّةً، وكأنّها تنبع من شيءٍ خارجٍ عن سيطرتك بشكلٍ غامض، هديّةٍ من الآلهة. في عالمنا العقلانيّ والمتحرّر من السحر والوهم، فإنّ الناس يتوقون لتجربةٍ دينيّة، وخاصّةً على المستوى الجماعي. أيّ علامةٍ عن الكاريزما تدغدغ هذه الرغبة بالإيمان بشيء. ولا يوجد شيءٌ أكثر إغوائيّةً من إعطاء الناس شيئاً ليؤمنوا به ويتبعوه.

الكاريزما يجب أن تبدو ذات معنى روحيّ غير بادٍ للحواسّ أو مُدرَكٍ بالعقل، لكنّ هذا لا يعني أنّك لا تستطيع أن تتعلّم خدعاً معيّنة من شأنها أن تعزّز الكاريزما التي لديك أساساً، أو تعطيك المظهر الخارجي لها. الصفات الرئيسة التي سوف تساعدك على خلق وهم الكاريزما هي كالآتي:

القصد أو الغاية. إذا شعر الناس بأنّ لديك خطّة، بأنّك تعرف إلى أين تّتجه، فإنّهم سوف يتبعونك بشكلٍ غريزيّ. لا يهمّ الاتّجاه: اختر قضيّةً، فكرةً مثاليّة، تصوّراً وبيّن أنّك لن تحيد عن هدفك. الناس سوف يتخيّلون أنّ ثقتك تنبع من شيءٍ حقيقيّ - تماماً كما آمن اليهود القدماء أنّ موسى كان على صلةٍ حميمةٍ مع الله، ببساطة لأنّه أظهر العلامات الخارجيّة.

وجود القصد والتصميم يكون ذا أثرٍ كاريزماتيٍّ مضاعف في أوقات المحن. بما أنّ معظم الناس يتردّدون قبل أن يُقْدِموا على العمل الجسور (حتّى عندما يكون العمل هو الشيء المطلوب)، فإنّ الثّقة بالنفس ذات الهدف الوحيد الذي يستقطب قوى المرء كلّها ستجعلك محور الاهتمام. سيؤمن بك الناس بسبب قوّة شخصيتك الصِّرفة. عندما تبوّأ فرانكلين ديلانو روزفلت السلطة خلال الكساد العظيم، كان معظم العامّة غير مؤمنين بقدرته على تغيير الأوضاع. لكنّه أظهر خلال أشهره الأولى في المكتب الرئاسي مستوىً من الثقة والحسم والوضوح في تعامله مع مشاكل البلاد العديدة، ممّا جعل العامّة يرونه كمنقذهم، شخص ذو كاريزما شديدة.

الغموض. الغموض يكمن في قلب الكاريزما، لكنّه نوعٌ محدّدٌ من

ناداهم؛ فرجع إليه هارون وكلّ أعيان الرعيّة، وتحدّث إليهم. وبعدها دنا كلّ بني إسرائيل، فأعطاهم كلّ الوصايا التي كلّمه الله بها على جبل سيناء. وعندما انتهى موسى من كلامه معهم، قام بوضع خمارٍ على وجهه؛ لكنّه كلّما مثل أمام الله ليتكلّم معه فإنّه كان ينزعه؛ إلى أن ينزل؛ وعندما كان ينزل، ويخبر بني إسرائيل بما قد أُمِر به، فإنّهم كانوا يرون وجهه، ويرون أنّ بشرة وجهه كانت تضيء؛ وعندها كان موسى يضع الخمار على وجهه مجدّداً، إلى أن يمضي مرّةً أخرى للتكلّم معه.

- سفر الخروج 27:34
العهد القديم

إنّ ذلك الرجل الشيطان يمارس عليّ

الغموض - غموضٌ يجسّده التناقض ويعبّر عنه. الكاريزماتيّ قد يكون بروليتارياً وأرستقراطيّاً في آنٍ معاً (ماوتسي تونغ)، قاسٍ وطيّب (بيتر العظيم)، سهل الإستثارة وباردٌ عاطفيّاً كالجليد (شارل ديغول)، مُتّسم بالدّفء وبالجفاء (سيغموند فرويد). بما أنّه يسهل التّنبّؤ بتصرّفات معظم الناس، فإنّ أثر هذه التناقضات يكون كاريزماتيّاً بشكلٍ جارف. هذه التناقضات تجعلك صعب الفهم وتضفي غنىً على شخصك وتجعل الناس يتحدّثون عنك. غالباً ما يكون من الأفضل أن تكشف تناقضاتك بشكلٍ بطيء وخفيّ - إذا رميت بكل تناقضاتك إلى الملأ دفعةً واحدةً، فسوف يعتقد الناس أنّك شخصٌ غريب الأطوار. أظهر غموضك بالتدريج وسوف يَكْثُرُ الكلام عنه. يجب أيضاً أن تُبقي الناس على مبعدة، للحؤول بينهم وبين تصوّرهم إيّاك.

سحراً لا أستطيع تفسيره حتّى لنفسي، ولدرجةٍ أصبح معها على وشك أن أرتعد في حضرته مثل طفل، بالرغم من أنني لا أخاف لا الله ولا الشيطان، وفي وسعه أن يجعلني أمرّ في خرم الإبرة لأرمي نفسي في النار.

- الجنرال ڤاندام، عن نابوليون بونابرت

لمسةٌ من الأشياء الخارقة للطبيعة تشكّل وجهاً آخر من الغموض. ظهور المواهب النّبوئيّة أو الخارقة للطبيعة سوف يعزّز من هالتك. تنبأ الأشياء بشكلٍ جازم وسيتخيّل الناس غالباً أنّ ما قلته قد تحقّق.

القداسة. معظمنا يلجأ للتسويات والتنازلات باستمرار لكي يبقى على قيد الحياة؛ القدّيسون لا ينحون هذا النحو. يتعيّن عليهم أن يحيوا مثاليّاتهم دون أن يكترثوا بالنتائج. مظهر القداسة والورع يمنح الكاريزما.

القداسة تمضي لما هو أبعد من الدين: فسياسيّان على طرفي نقيض كجورج واشنطن ولينين حازا على سمعةٍ من القداسة من خلال العيش ببساطة، بالرّغم من نفوذهم - من خلال الانسجام ما بين قيمهم الشخصيّة وحياتهم الشخصيّة. الرّجلان أُلِّها عمليّاً بعد وفاتهما. آلبرت آينشتاين أيضاً كان لديه هالةٌ من القداسة - لقد كان شبيهاً بالأطفال وغير مستعدٍّ للتسوية وتائهاً في عالمه الخاص. المفتاح يكمن في أنّه من الضروري أن يكون لديك أساساً قيمٌ تؤمن بها بشكلٍ راسخ؛ ذلك الجزء لا يمكن تزييفه، على الأقل دون المخاطرة بالتّعرّض للاتّهام بالدّجل والشعوذة ممّا سيدمّر الكاريزما التي لديك على المدى الطويل. الخطوة التالية تكون في أن تُظْهِر، بأكبر قدر ممكن من البساطة والمواربة، أنّك تحيا (تمارس) ما تؤمن به. أخيراً، فإنّ مظهر

[الجماهير] لم تكن مطلقاً متعطّشةً للحقيقة. هم يطالبون بالأوهام، ولا يستطيعون الاستغناء عنها. هم دائماً يعطون الأولويّة لما هو غير حقيقي على ما هو حقيقي؛ إنّ تأثرهم بما هو غير صحيح يكاد يبلغ قوّة تأثّرهم بما هو صحيح. لديهم ميلٌ واضحٌ لئلاّ يميزوا بين الاثنين.

- سيغموند فرويد، *النسخة القياسيّة من الأعمال الكاملة*

لسيغموند فرويد في علم النفس، المجلّد 18

الاعتدال والدماثة وعدم الادّعاء (التواضع) من الممكن أن يتحوّل في آخر المطاف إلى كاريزما، ما دمت تبدو مرتاحاً تماماً به. مصدر الكاريزما التي كانت عند هاري ترومان وحتّى عند آبراهام لينكولن، كانت الظهور بمظهر الرجل العادي.

الفصاحة أو البلاغة. يعتمد الكاريزماتيّ على قوّة الكلمات. السببَ بسيط: الكلمات هي الطريقة الأسرع لخلق اضطرابٍ عاطفيّ. فالكلمات تستطيع أن تستنهض، تُهَذِّب، تثير الغضب، وذلك من دون الإشارة إلى أيّ شيءٍ حقيقيّ. خلال الحرب الأهليّة الإسبانية، ألقت دولوريس جوميز إيباروري المعروفة بالشغوفة خطباً مناصرة للشيوعيّة والتي كانت من القوّة الانفعاليّة والعاطفيّة لدرجة تحديد عدّة لحظاتٍ مفصليّة في الحرب. من المفيد للخطيب حتّى ينجح في مثل هذا النوع من الفصاحة أن يكون على شدّةٍ من العاطفة والتماهي مع الكلمات كجمهوره. ومع ذلك فإنّ الفصاحة مُمْكِن أن تُتَعَلّم: الأدوات التي استخدمتها الشغوفة ـ الشعارات، النداءات، التّكرارات الإيقاعيّة، العبارات التي يردّدها الجمهور ـ يمكن أن تُكْتَسَب بسهولة. روزفلت الهادئ والمنتمي إلى فئة النبلاء، كان قادراً على أن يصنع من نفسه خطيباً فعّالاً، من خلال كلٌّ من أسلوبه في الإلقاء، الذي كان بطيئاً ويُحدِثُ أثراً كأثر التنويم المغناطيسي، واستخدامه الألمعي للصّور المجازيّة والجناس الاستهلاليّ والبلاغة الإنجيليّة. الحشود التي كانت تجتمع من أجله غالباً ما كانت تتأثّر لدرجة البكاء. غالباً ما يكون الأسلوب السّلطوي والبطيء أكثر فعّاليّةً على المدى الطويل من الأسلوب العاطفي المتّقد، لأنّه أكثر سحراً بشكلٍ خفي، وأقلُّ إتعاباً.

الأسلوب المسرحيّ. يكون الكاريزماتي شديد الثّقة بالنّفس ومندفعاً واستعراضيّاً، ولديه حضورٌ إضافيّ. انكبّ الممثّلون على دراسة هذا النّوع من الحضور لقرون؛ علموا كيف يقفون على خشبة مسرح مكتظّة ويجذبون الانتباه بالرّغم من ذلك. من المفاجئ ألاّ يكون الممثّل الذي يصرخ بأعلى صوت أو يومئ بأكثر الإيماءات هيجاناً وحماسةً هو الذي يجذب الانتباه،

وإنّما الممثّل الذي يبقى هادئاً ويشعّ بالثقة بالنفس. المحاولة بجهدٍ أكبر من اللازم من شأنها أن تُخَرِّبَ الأثر. من الضروري أن تكون مدركاً لذاتك، أن يكون لديك القدرة على أن ترى نفسك كما يراك الآخرين. فهم ديغول أنّ إدراك الذات كان عنصراً جوهريّاً في الكاريزما التي لديه؛ في أكثر الظروف اضطّراباً ـ الاحتلال النازي لفرنسا، إعادة إعمار البلاد بعد الحرب العالميّة الثانية، ثورة الجيش في الجزائر ـ حافظ على رباطة جأشٍ مهيبة خفّفت من وطأة الهيستيريا التي انتابت زملاءه. عندما كان يتكلّم، لم يستطع أحدٌ أن يرفع ناظريه عنه. بمجرّد ما تعرف كيف تنال الانتباه بهذه الطريقة، ضاعف الأثر من خلال الظهور في الوقائع الإحتفاليّة والشعائريّة المليئة بالصور المثيرة، ممّا يجعلك تبدو فخماً وشبيهاً بالآلهة. لا تمت الزّخرفة بصلة إلى الكاريزما ـ فهي تجذب النوع الخاطئ من الانتباه.

اللامكبوحيّة (التّحرر من الكبت والنهي). معظم الناس مكبوتون، ولديهم نفاذٌ محدود للاوعيهم ـ معضلة تخلق فرص للكاريزماتيّين، الذين بإمكانهم أن يصبحوا نوعاً من الشاشة التي يسقط عليها الآخرون تخيّلاتهم وأتواقهم. عليك أوّلاً أن تُظهِر أنّك أقلّ كبحاً وتقيّداً من جمهورك ـ أنّك تُشِعُّ بجنسانيّةٍ خطيرة، لا تخاف الموت، وعفويٌّ بشكلٍ سارّ. مجرّد أثرٍ بسيطٍ من هذه الخصائص سيجعل الناس تعتقد أنّك أكثر قوّةً ممّا أنت عليه. في خمسينات القرن التاسع عشر، عصفت ممثّلةٌ أمريكيّةٌ بوهيميّة بالدنيا تُدعى آداه إسحق منكن من خلال طاقتها الجنسيّة غير المكبوحة، وجسارتها التي لا تعرف الخوف. كانت تظهر على الخشبة نصف عارية، وهي تؤدّي حركاتٍ تتحدّى الموت؛ قلّةٌ قليلةٌ من النساء كنّ يتجرّأن على فعل أشياء كهذه في العصر الڤيكتوري، وممثّلةٌ عاديّةٌ بامتياز أصبحت موضع هيامٍ وإعجاب يقارب العبادة.

امتدادٌ لكونك غير مقيّد يتجلّى بخاصّيةٍ شبيهةٍ بالحلم في عملك وشخصك تُظْهِرُ انفتاحك على لاوعيك. لقد كان امتلاك خاصّيّةٍ كهذه هو الأمر الذي حوّل فنّانين مثل ڤاغنر وبيكاسو إلى معبودَين كاريزماتيّين. السلاسة والرشاقة في الجسد والطبع هي الصفة المقترنة والمرادفة للأريحيّة؛

فبينما يكون المكبوتون متصلّبين، يتحلّى الكاريزماتيّون باليسر والتكيف اللذين يظهران انفتاحهم للتجربة.

الاتّقاد والحماسة. عليك أن تؤمن بشيء، وأن تؤمن به بقوّةٍ كافية حتّى ينفخ الحياة في كلّ إيماءاتك ويجعل عينيك تضيئان. هذا لا يمكن تزييفه. السياسيّون يكذبون على العامّة حتماً؛ ما يميّز الكاريزماتيّين هو أنّهم يصدّقون كِذباتهم الخاصّة، ممّا يجعل قابليّة تصديقهم أكبر بكثير. شرطٌ لازمٌ للإيمان الملتهب هو قضيّةٌ كبرى للاحتشاد حولها ـ حملة. كن النقطة التي يحتشد حولها سخط الناس، وأظهر أنّه لا يساورك أيّ شكٍّ من الشكوك التي تعتري الناس العاديّين وتزعجهم. في عام 1490 أدان فلورنتين جيرولامو سافونارولا لاأخلاقيّة البابا والكنيسة الكاثوليكيّة. بعد أن ادّعى أنّه ملهمٌ من الله، أصبح ملتهب الحماسة في عظاته لدرجة أنّ الهيستيريا كانت تكتسح الحشد. لمّ سافونارولا الكثير من الأتباع لدرجةٍ مكّنته من الاستيلاء على المدينة لفترة قصيرة، إلى أن تدبّر البابا أمر إلقاء القبض عليه وحرقه على الخازوق. آمن الناسُ به بسبب عمق إيمانه الرّاسخ. مثاله وثيق الصّلة بيومنا الحاضر أكثر من أيّ وقتٍ مضى: النّاس ينحون أكثر فأكثر نحو العزلة، ويتوقون للتّجارب ذات الصّبغة التّشاركيّة والجماعيّة. دع اتّقادك وتوهّجك وإيمانك المعدي، بأيِّ شيءٍ تقريباً، يمنحهم شيئاً ليؤمنوا به.

الهشاشة والحساسيّة. يبدي الكاريزماتيّون حاجةً للحبِّ والعاطفة. فهم منفتحون إزاء جمهورهم، ويتغذّون من طاقته في الواقع؛ الجمهور بدوره يُشحَنُ من قبل الكاريزماتيّ، إذ أنّ التيّار يزداد شدّةً كلّما انتقل جيئةً وذهابا. هذا الجانب الهش والحسّاس من الكاريزما يخفّف من وطأة الجانب المتّسم بالثّقة بالنفس، الذي بإمكانه أن يبدو تعصّبيّاً ومخيفاً.

بما أنّ الكاريزما تتضمّن مشاعر مشابهة للحب، فعليك بدورك أن تُظهِر حبّك لأتباعك. هذا كان مكوّناً رئيسيّاً للكاريزما التي تألّقت بها مارلين مونرو أمام الكاميرا. كتبت في مذكّراتها «علمت أنّني أنتمي للجمهور وإلى العالم، وذلك ليس لأنّني موهوبة أو حتّى جميلة لكن لأنّني

لم أنتم لأيِّ شيءٍ أو أيِّ شخصٍ آخر. الجمهور كان الأسرة الوحيدة، فارس الأحلام الوحيد والبيت الوحيد الذي كنت قد حلمت به في كلّ حياتي.»

كانت الحياة تدبّ فجأةً في مارلين مونرو وهي أمام الكاميرا، فتشرع في مغازلة وإثارة جمهورها غير المرئي. إذا لم يستشعر الجمهور هذه الصّفة فيك فسوف يديرون لك ظهورهم ويبتعدون عنك. من ناحيةٍ أخرى، عليك ألاّ تبدو متلاعباً أو محتاجاً قط. تخيّل جمهورك كشخصٍ واحدٍ تحاول إغواءه - لا شيء أكثر إغواءً للجمهور من الشعور بأنّهم مرغوبون.

حس المغامرة. الكاريزماتيّون غير تقليديّين. لديهم مسحةٌ من المغامرة والمجازفة اللتان تجذبان السّئمين والضّجرين. كن جريئاً بصفاقة وشجاعاً في أفعالك - يجب أن تتمّ رؤيتك وأنت تقتحم الأخطار من أجل نفع الآخرين. حرص نابوليون على أن يشاهده جنوده وهو في قلب النيران في المعركة. مشى لينين في الشوارع دون حماية بالرّغم من التهديدات بالموت التي كان قد تلقّاها. الكاريزماتيّون يزدهرون في أوقات الشدّة والاضطراب؛ فالأزمة تسمح لهم بازدهاء جرأتهم، ممّا يعزّز هالتهم. بُعِثَ جون إف كينيدي إلى الحياة لدى تعامله مع أزمة الصواريخ الكوبيّة، وشارل ديغول عندما واجه الثورة في الجزائر. هم احتاجوا إلى هذه الأزمات لكي يبدو كاريزماتيّين، وفي الحقيقة فقد اتّهمهم البعض حتّى بإثارتهم لمواقف (كينيدي من خلال أسلوب سياسة الحافّة الذي ميّز تعاطيه السياسي، على سبيل المثال) تدغدغ أوتار حبّهم للمغامرة. أظهر البطولة لتُسْبِغَ على نفسك كاريزما تدوم مدى الحياة. على نحوٍ معاكس فإنّ أقلّ علامات الجبن أو التّهيّب سوف تدمّر أيّة كاريزما كانت لديك.

المغناطيسيّة. إذا كانت أيّة خاصّيّةٍ جسديّةٍ مهمّةٌ في الإغواء - فهي العينان. هما يظهران الإثارة، التوتّر، النّأي واللااهتمام، دون أن يُتَلَفّظ بكلمة واحدة. التواصل غير المباشر حاسمٌ في الإغواء، وكذلك في الكاريزما. قد يكون سلوك الكاريزماتيّين متّسماً برباطة الجأش والهدوء، لكنّ عيونهم أشبه بالمغناطيس؛ إذ أنّ لديهم نظرة ثاقبة تُشوّش أحاسيس أهدافهم، وتمارس القوّة

في مثل ظروفٍ كهذه، حيث يكون أكثر من نصف المعركة على شكل اشتباكات مباشرة ومحصورة في حيّز ضيّق، فإنّ روحيّة القائد وقدوته يشكّلان أهمّيّة كبيرة. عندما نتذكّر هذا، فإنّه يَسهُل فهم الأثر المذهل لحضور جان على الجنود الفرنسيّين. موقعها كقائد كان موقعاً فريداً. لم تكن جنديّاً محترفاً؛ بل الحقّ أنّها لم تكن جنديّاً على الإطلاق؛ بل أنّها لم تكن حتّى رجلاً. لقد كانت جاهلةً بالحرب. لقد كانت فتاةً في زيّ مقاتل. لكنّها آمنت وجعلت الآخرين مستعدّين للإيمان بأنّها الناطق باسم الله. • في يوم الجمعة الموافق لـ 29 نيسان من عام 1429، ذاعت الأنباء بأنّ قوّةً تقودها عذراء دومرمي، كانت في طريقها

دون مساعدة الكلمات أو الأفعال. النظرة العدوانيّة لدى فيدل كاسترو كان بمقدورها أن تُجبِرُ مناوئيه على الصمت. عندما كان يتعرّض بنيتو موسوليني للتحدّي فإنّه كان يقلب عينيه بحيث يُظهِر البياض على نحوٍ يخيف الناس. كان لدى كوسناسورسو سوكارنو (رئيس إندونيسيا) تحديقةٌ تبدو وكأنّها قادرةٌ على قراءة الأفكار. كان بإمكان روزفلت أن يوسّعَ بؤبؤي عينيه متى أراد، فتصبح بذلك تحديقته مخيفةً ومنوّمةً مغناطيسيّاً. عينا الكاريزماتي لا تظهران أبداً الخوف أو القلق.

لنجدة المدينة، وتبعاً للمؤرّخ فإنّ هذه الأنباء طمأنت سكّان المدينة إلى حدٍّ كبير.

ـ ڤيتا ساكڤيل ـ وست *القدّيسة جان دارك*

كل هذه المهارات يمكن اكتسابها. أمضى نابوليون ساعاتٍ أمام المرآة وهو يصوغ نظرته على غرار تلك التي عند تالما (الممثّل المعاصر العظيم.) المفتاح هو تمالك النفس. ليس بالضرورة أن تكون النظرة عدائيّة؛ إذ يمكنها أن تُظهر الرضا والاطمئنان. تذكّر: عيناك تستطيعان أن تبتعثا الكاريزما، لكنّهما من الممكن أن يَشِيا بكونك زائفاً. لا تدع للصّدفة صفةً مهمّةً كهذه. تدرّب على الأثر الذي ترغب به.

الكاريزما الأصيلة تعني إذن القدرة على توليد التّحفيز الهائل داخليّاً والتّعبير عنه خارجيّاً، وهي قدرة تجعل من الشخص موضع انتباهٍ مركّز ومحاكاةٍ طائشةٍ من قبل الآخرين.

ـ لايا غرينفيلد

الأنماط الكاريزماتيّة ـ أمثلة تاريخيّة

النبي المجترح للمعجزات. في عام 1425، تحقّقت لجان دارك ـ التي كانت فتاةً فلاّحة من قرية دومرمي الفرنسيّة ـ رؤيتها الأولى: «كنت في الثالثة عشرة عندما أرسل الله صوتاً ليهديني.» الصّوت كان للقدّيس ميشيل الذي حمل رسالةً من الله: اختيرت جان لتخلّص فرنسا من الغزاة الإنكليز الذين حكموا عندها معظم البلاد، ومن الفوضى والحرب المترتّبة من وراء ذلك. كانت أيضاً ستعيد الأمير دوفان (المعروف لاحقاً باسم شارل السابع) إلى عرش فرنسا والذي كان الوريث الشرعي له. كذلك تكلّمت إلى جان

القدّيسة كاثرين والقدّيسة مارغريت. رؤاها كانت واضحةً وقويّةً بشكلٍ استثنائيّ: رأت القدّيس ميشيل، شمّته، لمسته.

في البداية لم تخبر جان أحداً بما كانت قد رأته؛ لأنّها إذا أخبرت أحداً فسيشيع الخبر، وهي مثال الفتاة الريفيّة الهادئة. لكنّ الرؤى أصبحت أكثر شدّةً من ذي قبل، وهكذا غادرت دومرمي في عام 1429 وهي عازمةٌ على تحقيق المهمّة التي من أجلها قد اختارها الله. هدفها كان أن تلتقي بالأمير شارل في مدينة شينون، حيث كان قد أسّس بلاطه في المنفى. كانت العقبات هائلة: شينون كانت بعيدة والرحلة خطرة وشارل، حتّى لو وصلت إليه، كان شابّاً متقاعساً وجباناً ومن غير المحتمل أن يشنّ حِملةً على الإنكليز. مضت غير هيّابةٍ من قرية إلى قرية وهي تشرح مهمّتها للجنود وتطلب منهم مرافقتها إلى شينون. الفتيات اليافعات اللواتي رأين رؤىً دينيّة كانوا أكثر من أن يمكن عدّهن في ذلك الوقت، ولم يكن هناك شيءٌ يوحي بالثقة في مظهر جان؛ على أيّ حال فإنّ أحد الجنود والذي اسمه جان دي ميتز تُيِّمَ بها. ما سحره كان كم التفاصيل في رؤاها: كانت ستحرّر بلدة أورليان المحاصرة، تضمن تتويج الملك في كاثدرائيّة رايم، تقود الجيش إلى باريس؛ علمت كيف وأين كانت ستُجْرَح؛ الكلمات التي عَزَتها للقدّيس ميشيل كانت مختلفة تماماً عن لهجة وكلمات فتاة ريفيّة؛ وكانت واثقةً على نحوٍ غايةٍ في الهدوء، وأضاءت بالإيمان الراسخ. وقع دي ميتز تحت سحرها، وأقسم على الولاء وانطلق معها نحو شينون. سرعان ما قدّم آخرون المساعدة أيضاً، ووصلت الأنباء إلى شارل عن الفتاة الغريبة التي كانت في طريقها لملاقاته.

على الطريق المؤدّي إلى شينون البالغ 350 ميلاً طولاً، وبمرافقة حفنة من الجنود، وعبر أرضٍ مليئةٍ بالعصابات المتناحرة، لم تُظْهِر جان لا الخوف ولا التّردّد. استغرقت الرحلة عدّة أشهر. عندما وصلت أخيراً، قرّر دوفان أن يلتقي بالفتاة التي كانت قد وعدت بأن تعيده إلى عرشه، رامياً بذلك عرض الحائط بنصيحة مستشاريه؛ فقد كان ضجراً وأراد أن يتسلّى، وقرّر أن يلعب لعبةً صغيرة معها بقصد الخداع. كان من المقرّر أن تلتقيه في قاعةٍ مليئةٍ برجال البلاط؛ فتنكّر دوفان كواحدٍ من هؤلاء الرجال بقصد اختبار قواها التنبّؤيّة، وألبس رجلاً آخر ثياب الأمير. إلّا أن جان أذهلت الحشد عندما

من بين الفائض من السكّان الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع [في العصور الوسطى] فإنّه كان يوجد دائماً ميلٌ قويّ ليتّخذوا قائداً من رجلٍ عاديّ، أو راهبٍ أو أخٍ مرتدّ عن أخويّة دينيّة، والذي لا يطرح نفسه ببساطة كرجلٍ مقدّس وإنّما كنبيّ أو إلهٍ على الأرض. بناءً على قوّة إلهاماته أو كشوفاته والتي يدّعي على أساسها أصله الإلهي فإنّ هذا القائد كان يكلّف أتباعه بمهمّةٍ جماعيّة ذات أبعادٍ ضخمة وأهميّةٍ تهزّ العالم. الإيمان الراسخ بأنّ لديهم مهمّةً كهذه، وبأنّهم مكلّفون إلهيّاً لتنفيذ هذا الواجب الاستثنائيّ، كان يزوّد الضالين والمحبطين بغاياتٍ جديدة وأملٍ جديد. هذا لم يكن يعطيهم مجرد مكانٍ في العالم وإنّما مكاناً متألّقاً وفريداً. أخويّة

وصلت، إذ توجّهت مباشرةً نحو شارل وانحنت باحترام قائلةً: «لقد أرسلني ملك السماوات إليك لأنقل إليك الرّسالة بأنّك ستكون قائم مقام ملك السماوات وملك فرنسا.» في المحادثة التي تلت، بدت جان أنّها تردّد أفكار شارل الأكثر خصوصيّة، بينما كانت تسرد مجدّداً وبتفصيلٍ استثنائيّ الأعمال البطوليّة التي كانت ستنجزها. بعد بضعة أيّام، أعلن الأحمق المتردّد اقتناعه وأعطاها بركته لتقود جيش فرنسا ضد الإنكليز.

من هذا النوع كانت تشعر بأنّها نخبويّة، ومتميّزةٌ بالكامل عن الفانين العاديّين وأرقى منهم، وأنّها تشاركه أيضاً قواه العجائبيّة.

- نورمان كوهن
السعي وراء الألفيّة

بمعزلٍ عن المعجزات وعن القداسة، فقد تمتّعت جان بخصائص أساسيّة جعلتها استثنائيّة. رؤاها كانت كثيفة وشديدة؛ استطاعت وصف هذه الرؤى بقدرٍ من التفصيل ممّا أوحى بأنّها لا بدَّ أن تكون حقيقيّةً. التفاصيل تتحلّى بهذا التأثير: إذ تضفي حسّاً من الواقعيّة على أكثر التصاريح منافاةً للمنطق. علاوةً على ذلك فقد كانت غايةً في التركيز في وقتٍ سادته الفوضى والاضطراب وكأنّ قوّتها كانت تُسْتَمَدّ من مكانٍ لا ينتمي إلى هذا العالم. تكلّمت كرمز سلطةٍ ومرجعيّة، وتوقّعت أشياء يريدها الناس: أنّ الإنكليز كانوا سيُهزَمون والإزدهار سيعود. تحلّت أيضاً بحسٍّ فلاّحةٍ سليم وعمليّ. كانت بالتأكيد قد سمعت أوصافاً عن شارل وهي في طريقها لشينون؛ وهكذا تمكّنت من استشعار الحيلة التي كانت تُمارَس عليها فور وصولها إلى القاعة، واستطاعت بثقة أن تختار وجهه المدلّل من بين الحشد. في السنة التي تلت، تخلّت عنها رؤاها، وكذلك ثقتها ـ ارتكبت العديد من الأخطاء، ممّا أدّى إلى اعتقالها من قبل الإنكليز. كانت بالفعل بشراً.

«كم كانت عينا [راسبوتين] خاصّتين،» اعترفت امرأةٌ كانت قد بذلت جهوداً لتقاوم تأثيره. تتابع بالقول أنّه في كلّ مرّةٍ كانت تلتقيه فإنّها كانت تُنذهَل من جديد إزاء قوّة تحديقته التي كان من المستحيل الصمود أمامها لأيّ فترةٍ معتبرة. كان هنالك شيءٌ مستبدّ في هذه النظرة الحنونة واللطيفة ولكن الماكرة والخبيثة في نفس الوقت؛ الناس كانوا عاجزين أمام سحر الإرادة القويّة التي كان يمكن

من الجائز أنّنا لم نعد نؤمن بالمعجزات، لكنّ أيّ شيء يُشيرُ ولو من طرفٍ خفيّ إلى القوى الغريبة، الرّوحيّة، وحتّى الخارقة للطبيعة من شأنه أن يخلق الكاريزما. الآليّة النفسيّة هي ذاتها: لديك رؤى عن المستقبل، وعن الأشياء العجيبة والرائعة التي يمكنك أن تنجزها. صف هذه الأشياء بكثيرٍ من التفصيل، وبلمسةٍ من السلطة، وستبرز فجأة. وإذا كانت نبوءتك ـ عن الازدهار على سبيل المثال ـ هي بالضبط ما يريد أن يسمعه الناس، فسيقع الناس تحت سحرك على الأرجح ويروا الأحداث اللاحقة كتأكيدٍ لتنبؤاتك. أبدِ ثقةً لافتة وسيعتقد الناس أن ثقتك تنبع من معرفةٍ حقيقيّة. سوف تخلق نبوءةً تحقّق ذاتها بذاتها: إيمان الناس بك سيُتَرجَم إلى أفعالٍ من شأنها أن

تساعد على تحقيق رؤاك. أيّ بارقة نجاح ستجعلهم يرون المعجزات والقوى الخارقة للطبيعة وتوهّج الكاريزما.

الحيوان الأصيل. ذات يوم من عام 1905، كان صالون الكونتيسّة إيغناتييف في سانت بطرسبرغ مليئاً على نحوٍ غير عاديّ. كان السياسيّون، سيّدات المجتمع، ورجال الحاشية قد وصلوا كلّهم باكراً انتظاراً لضيف الشرف الاستثنائي: غريغوري إيفوموڤيتش راسپوتين، الراهب السيبيري البالغ الأربعين عاماً من العمر والذي كان قد صنع لنفسه صيتاً في كل أرجاء روسيا كشافٍ، ولربّما كان قدّيساً. عندما وصل راسبوتين، قلّةٌ استطاعوا أن يخفوا خيبة أملهم: فقد كان وجهه قبيحاً وشعره على شكل خيوط، وكان طويلاً هزيلاً وسمجاً. تساءلوا متعجّبين عن سبب قدومهم. لكنّ راسبوتين آنذاك دنا منهم واحداً واحداً، وأحاط أصابعهم بيديه الكبيرتين وهو يحدّق عميقاً في أعينهم. في البداية كانت تحديقته تسبّب القلق والإرباك: إذ كان يبدو كمن يسبر أغوارهم ويحاكمهم أثناء تفحّصهم بنظراته من الأعلى إلى الأسفل. ومع ذلك فقد كانت تعابير وجهه تتغيّر فجأةً فيشعّ التفهّم والطيبة والبهجة من وجهه. وعدّة سيّدات كان قد عانقهن في الواقع بأكثر الطرق إسرافاً في التعبير عن العاطفة. كان لهذا التضارب المذهل آثارٌ عميقة.

سرعان ما تغيّر المزاج في الصالون من الخيبة إلى الإثارة. وجه راسبوتين كان غايةً في الهدوء والعمق؛ لغته كانت فظّةً وغير مصقولة، ومع ذلك فقد كانت الأفكار التي تعبّر عنها بسيطةً بشكلٍ سار، وكان لديها نبرة أو مسحة الحقيقة الرّوحيّة العظيمة. بعدئذٍ، بمجرّد ما بدأ الضيوف بالاسترخاء بحضور هذا الفلاّح ذو المظهر القذر، تغيّر مزاجه فجأةً نحو الغضب: «أنا أعرفكم، أستطيع قراءة أرواحكم. أنتم جميعاً مترفون... ثيابكم الجميلة ومقتنياتكم الفنّية كلّها عديمة النفع وضارّة. ينبغي لكم أن تتواضعوا! وأن تكونوا أكثر بساطة، أكثر، أكثر بساطةً بكثير. فقط عندها سيكون الله أقرب لكم.» ضجّ وجه الراهب بالحياة وتوسّعت حدقتاه وبدا مختلفاً كلّياً. كم كان ذلك المظهر الغاضب مثيراً للخشية والإعجاب، ومذكّراً بيسوع وهو يطرد المرابين من المعبد. بعدها هدأ راسبوتين وعاد لكونه كريماً وسمحاً. ومن ثمّ، في أداءٍ سرعان ما كان سيعيده مراراً وتكراراً في صالونات المدينة، قاد الضيوف في

الشعور بها في كلّ كينونته. مهما تبرّمت من هذا السحر، ومهما حاولت الهرب منه، فإنّك بطريقةٍ أو بأخرى تجد نفسك وقد أُرجِعت وأُسِرت. • فتاةٌ يافعة كانت قد سمعت بالقدّيس الجديد الغريب قدمت من مقاطعتها إلى العاصمة، وزارته بحثاً عن التنوير والإرشاد الروحي. لم تكن قد شاهدته أو صورةً له من قبل أبداً، والتقته لأوّل مرّة في منزله. عندما قدم إليها وتحدّث إليها، فإنّها ظنّته مثل المبشّرين القرويّين الذين غالباً ما شاهدتهم في موطنها في الريف. تحديقته اللطيفة والرهبانيّة وشعره البنّي الفاتح المفروق بشكلٍ أملس حول الوجه الحسن، كلّ ذلك أوحى لها بالثقة للوهلة الأولى. لكنّها عندما اقتربت منه أكثر، فقد شعرت

أغنيةٍ فولكلوريّة، وبينما كانوا يغنّون، أخذ يرقص رقصةً غريبةً من تصميمه الخاص لا يكبحها شيء، وأثناء رقصه أخذ يدور حول النساء الأكثر جاذبيّةً هناك، وعيناه تدعوانهن للانضمام. نحت الرّقصة نحو الشهوانيّة بشكلٍ مبهم؛ ولدى وقوع شريكاته تحت سحره أخذ يهمس بتعليقاتٍ موحية ومثيرة. ومع ذلك فلم يبدُ على أيّة واحدةٍ منهنّ الانزعاج.

خلال الأشهر القليلة التي تلت، شرعت النساء من مختلف طبقات مجتمع سانت بطرسبرغ بالتوافد على شقّة راسبوتين. كان يتكلّم معهنّ عن مسائل روحيّة، لكنّه عندها وبدون إنذار يصبح شهوانيّاً، ويأخذ يهمس ويدمدم بأشدّ عبارات الاستدراج الجنسي سوقيّةً. كان يبرّر نفسه من خلال المبدأ الروحي القائل: كيف يتسنّى لك أن تتوب إن لم تأثم؟ الخلاص يأتي فقط لأولئك الذين يضلّون وينحرفون عن الصراط المستقيم. واحدة من القلّة اللاتي رفضن محاولاته سُئِلَت من قبل صديقتها: «كيف بإمكان أيّ شخص أن يرفض أيّ شيءٍ يطلبه منه قدّيس؟» فكان جوابها «وهل يحتاج القدّيس إلى حبٍّ آثم؟». فردّت عليها صديقتها «هو يجعل من أيٍّ شيءٍ يدنو منه مقدّساً. لقد انتميت إليه أساساً، وأنا فخورةٌ وسعيدةٌ بفعلي هذا.» «لكنّك متزوّجة! فما قول زوجك؟» «هو يعتبر هذا شرفاً عظيماً. إذا رغب راسبوتين بامرأة فجميعنا ننظر لهذا لشيء كبركة وامتياز، أزواجنا وكذلك نحن.»

سرعان ما امتدّ سحر راسبوتين ليشمل القيصر نيكولاس وبشكلٍ أكثر تحديداً زوجته القيصرة أليكساندرا، بعد أن أشفى ظاهريّاً ابنهما من إصابةٍ تتهدّد الحياة. كان قد أصبح خلال بضعة سنوات الرّجل الأكثر قوّةً ونفوذاً في كل روسيا، وذا سيطرةٍ كاملةٍ على الزوجين الملكيّين.

الناس أكثر تعقيداً بكثير من الأقنعة التي يرتدونها في المجتمع. الرّجل الذي يبدو أنّه غايةٌ في النبل والدماثة من المحتمل أن يخفي جانباً مظلماً والذي من شأنه أن يتجلّى غالباً بطرقٍ غريبة؛ إذا كان نبله وتهذيبه في الواقع مجرّد مظهرٍ خارجيٍّ خدّاع، فستظهر الحقيقة عاجلاً أم آجلاً، وسينفّر نفاقه الناس منه ويخيّب الآمال به. من الناحية الأخرى فإنّنا ننجذب للناس الذين يبدون أنّهم أكثر راحةً بكونهم بشر، الذين لا يتجشّمون عناء إخفاء

مباشرةً بأنّ رجلاً مختلفاً تماماً، غامضاً وماكراً ومُفسداً، كان ينظر إليها من خلف العينين اللتين كانتا تشعّان بالطّيبة واللطف. • جلس قبالتها، واقترب منها للغاية، وغيرت عيناه ذاتا اللون الأزرق الفاتح لونهما، وأصبحتا عميقتي الغور وقاتمتين. وصلتها نظرةٌ حادّةٌ من ركن عينيه، اخترقتها وسمّرتها مذهولة. وطأةٌ ثقيلةٌ كالرصاص شلّت أوصالها عندما دنا منها وجهه المتغضّن الهائل الذي غيرت الشهوة ملامحه. شعرت بأنفاسه الحارّة تلفح وجنتيها، ورأت كيف اختلست عيناه المضطرمتان من أعماق محجريهما النظر إلى جسدها الذي لا حول له ولا قوّة، إلى أن أرخى جفنيه في تعبيرٍ شهوانيّ. كان صوته قد خفت حتى صار

تناقضاتهم. هذا كان مصدر كاريزما راسبوتين. الرجل الذي يكون نفسه بشكلٍ أصيل تماماً ـ أي المجرّد بالكامل من الوعي بنقائصه والانشغال بها أو النفاق ـ يكون جذّاباً بشكلٍ هائل. فظاعته وقداسته كانتا غايةً في التطرّف لدرجةٍ بدا معها غايةً في الثقة ومثيراً للرّهبة والإعجاب. النتيجة كانت هالةً من الكاريزما الطاغية والعاقدة للسان؛ كانت تشعّ من عينيه، ومن لمسة يديه.

معظمنا عبارة عن مزيج من شيطانٍ وقدّيس، نبيلٍ ووضيع، ونقضّي حياتنا ونحن نحاول أن نقمع الجانب المظلم. قلّةٌ منّا تستطيع أن تطلق العنان لكلا الجانبين، كما فعل راسبوتين، لكنّنا نستطيع أن نُبدع درجةً أقل من الكاريزما من خلال تخليص أنفسنا من الوعي بالذات وهفواتها، ومن الإنزعاج الذي يشعر به معظمنا إزاء طبيعته المعقّدة. أنت لا تملك إلّا أن تكون أنت، فكن حقيقيّاً وغير زائف. هذا ما يجذبنا نحو الحيوانات: فهي جميلة ووحشيّة، ولا يخامرها الشّك إزاء ذواتها وقدراتها. تكون هذه الخاصّية ساحرةً بشكلٍ مضاعف عند البشر. ظاهريّاً قد يدين النّاس جانبك المظلم، لكن ليست الفضيلة وحدها ما يخلق الكاريزما؛ أيّ شيءٍ استثنائيّ سيؤدّي الغرض ذاته. لا تعتذر أو تُحجِم عند منتصف الطريق. كلّما بدوت أقلّ تقيّداً، كان الأثر أكثر مغناطيسيّةً.

همساً مشبوب العاطفة، ودمدم في أذنها بكلماتٍ غريبةٍ شهوانيّة. • في تمام اللحظة التي كانت فيها على وشك الاستسلام لمغويها، تحركت فيها ذكرى باهتة كما لو أنّها كانت قادمة من بعيد؛ فتذكّرت أنّها كانت قد قدمت لتسأله عن الله.

ـ رينية فولو ـ ميلر *راسبوتين: الشيطان المقدّس*

الممثّل الشيطاني. خلال طفولته كان يُعْتَقَد أنّ إلفيس برسلي كان صبيّاً غريب الأطوار ومنكفئاً على ذاته. في المدرسة الثانويّة في ممفيس، تينيسي، لفت الانتباه من خلال قصّة البومبادور وسوالفه الطويلة وثيابه الزهريّة والسوداء، لكنّ الناس الذين حاولوا التكلّم معه لم يجدوا أيّ شيءٍ عنده ـ فقد كان إمّا بايخاً بشكلٍ رهيب أو خجولاً بشكلٍ ميئوسٍ منه. كان الشاب الوحيد الذي لم يرقص في حفلة تخرّج المدرسة الثانويّة. بدا ضائعاً في عالم خاص ومغرماً بالغيتار الذي حمله معه حيثما ذهب. في مسرح مقاطعة إليس، لدى نهاية أمسيةٍ من الأغاني الإنجيليّة أو المصارعة، كان مدير الحفلات غالباً ما يرى إلفيس على الخشبة وهو يحاكي أداءً ما وينحني أمام جمهورٍ وهميّ. وكان يغادر بهدوء عندما يُطْلَب منه ذلك، إذ كان شابّاً غايةً في التهذيب.

في عام 1953، سجّل إلفيس أغنيته الأولى في استديو محلّي عندما

في صلب طبيعتها، فإنّ وجود السلطة الكاريزماتيّة غير مستقرّ على نحوٍ خاصّ. فحاملها قد يُضيّعها؛ قد يشعر أنّ! «الله تخلّى عنه،» كما شعر المسيح على الصليب؛ قد يُبيّن لأتباعه أنّ «الفضيلة قد نضبت منه.» وعندها تكون المهمّة قد انطفأت، فيرجأ الأمل وينتظر

كان قد تخرّج لتّوه من المدرسة الثانويّة. التسجيل كان تجربةً، فرصةً له ليسمع صوته الخاص. بعد سنةٍ من ذلك دعاه مالك الاستديو (سام فيليبس) لكي يسجّل أغنيتين على نمط البلوز مع ثنائيٍّ من العازفين المحترفين. عملا لساعات، لكن بلا جدوى؛ فقد كان إلفيس عصبيّاً ومتشنّجاً. بعدها، عندما شارفت الأمسية على الانتهاء وشعر إلفيس بالدّوار نتيجة الإرهاق، انطلق وأخذ يقفز حول المكان كالأطفال، في لحظةٍ من الاستسلام الكامل والتحرّر من جميع القيود. انضمّ الموسيقيّان الآخران وازدادت الأغنية حماساً على حماس. أضاءت عينا فيليبس ـ فقد علم أنّه كان لديه شيءٌ ما هنا.

المتلمسون لحاملٍ جديدٍ للكاريزما.

ـ ماكس ڤيبر، من مقالاتٍ في علم الاجتماع لماكس ڤيبر. تحرير هانز جيرث وسي. رايت ميلز

بعد شهرٍ من ذلك قدّم إلفيس أداءه العلنيّ الأوّل في الهواء الطلق في منتزه ممفيس. كان على نفس القدر من العصبيّة والتوتّر الذي كان عليه في جلسة التسجيل، ولم يستطع إلّا أن يُتأتئ عندما كان يتعيّن عليه أن يتكلّم؛ لكن بمجرّد دخوله في الأغنية، فقد انطلقت الكلمات. استجاب الحشد بحماسةٍ وصلت في لحظاتٍ معيّنة إلى الذروة. لم يستطع إلفيس أن يتصوّر السبّب. وقال فيما بعد: «ذهبت إلى عند المدير بعد الأغنية وسألته عمّا كان يجعل الحشد يفقد صوابه. فأجابني، 'لست متأكّداً تماماً، لكنّني أعتقد أنّك في كلّ مرّة تهزهز رجلك اليسرى، يبدؤون بالصراخ. أيّاً يكن السبب، فقط لا تتوقّف.'»

هو إلههم. يقودهم كما يقود شيئاً من الأشياء/ صنعته ألوهيّةٌ أخرى غير إلوهية الطبيعة، / فذلك يشكّل الإنسان بشكلٍ أفضل؛ ويتبعونه/ ضدّنا نحن الغلمان المزعجين بإيمانٍ لا يقلّ/ عن إيمان الصبية في مطاردتهم لفراشات الصيف/ أو الجزّارين في قتلهم للذباب....

ـ ويليام شكسبير، كوريولانوس

في عام 1954 سجّل إلفيس أغنيةً منفردةً حقّقت نجاحاً باهراً. وسرعان ما أصبح مطلوباً. كان الصعود على الخشبة يملؤه بالتّلهّف والعاطفة، بشكلٍ مفرط لدرجة أنّه كان يصبح شخصاً آخر، وكأنّه ممسوس. «لقد تناقشت مع بعض المغنّين وهم أيضاً يتوتّرون قليلاً لكنّهم قالوا أنّ أعصابهم تهدأ نوعاً ما بعد أن ينخرطوا بالغناء. لكنّ أعصابي لا تهدأ أبداً. إنّها نوعٌ من الطاقة ... شيءٌ لربّما يشبه الجنس.» خلال الأشهر القليلة التي تلت اكتشف إلفيس المزيد من الحركات والأصوات ـ حركاتٍ راقصة منتفضة، صوتاً أكثر رجفاناً ـ التي جعلت الحشود تُجَنّ، وخاصّةً المراهقات. خلال سنة كان قد أصبح الموسيقيّ الأكثر نجاحاً وشعبيّةً في أمريكا. حفلاته كانت بمثابة تمارين للهيستريا الجماعيّة.

السقف ارتفع حقّاً عندما اعتلى بريسلي خشبة المسرح. غنّى

كان لدى إلفيس برسلي جانبٌ مظلم، حياةٌ سرّيّة. (البعض كان قد

عزوه لموت شقيقه التوأم عند الولادة.) قمع إلفيس هذا الجانب وكبته بقوّة عندما كان شابّاً؛ شمل هذا الجانب جميع أنواع التّخيّلات التي لم يكن بوسعه الاستسلام لها إلّا عندما كان وحيداً، بالرّغم من أنّ طريقته غير التقليديّة في اللباس يمكن أيضاً أن تكون عارضاً لهذا الجانب. مع ذلك فقد كان قادراً على إفلات هذه الشياطين من عقالها عندما كان يؤدّي. كانت هذه الشياطين تنطلق كطاقةٍ جنسيّةٍ خطيرة. كان مرتعشاً، مخنّثاً، وغير مقيّد، كان رجلاً يمثّل تخيّلاتٍ غريبة أمام الجمهور. أحسّ الجمهور بهذا وكان متحمّساً بسببه. لم يكن الأسلوب والمظهر المتوهّجان والمزخرفان بإسراف الأمر الذي أسبغ عليه الكاريزما، وإنّما التعبير المُكهرِب لاضطرابه الداخلي.

يكون لدى الحشد أو الجماعة من أيٍّ نوع طاقة مميّزة. تحت السطح تماماً تكون الرّغبة، استثارةٌ جنسيّةٌ دائمة يتعيّن كبتها لأنّها غير مقبولة اجتماعيّاً. إذا كانت لديك القدرة على إيقاظ تلك الرغبات، فسيراك الجمهور كشخصٍ لديه كاريزما. المفتاح يكون من خلال تعلّم النفاذ أو الوصول إلى لاوعيك الخاص، كما فعل إلفيس عندما كان يطلق العنان لنفسه. أنت مليءٌ بالإثارة التي تبدو أنّها تنبع من مصدرٍ داخليٍّ غامضٍ ما. تحرّرك من القيود والكوابح سيدعو الناس الآخرين للانفتاح، ممّا يطلق شرارة تفاعلٍ متسلسل: إثارتهم بدورها سوف تبعث فيك الحياة حتّى أكثر من ذي قبل. الخيالات التي تكشف الغطاء عنها لا يتوجّب بالضرورة أن تكون جنسيّة - أيّ محظورٍ اجتماعيّ، أيّ شيءٍ مقموع ويتوق لمُتَنَفّس سيفي بالغرض. إجعل هذا الشيء محسوساً في تسجيلاتك، أعمالك الفنّية، كتبك. الضغط الاجتماعي يبقي الناس غايةً في الخضوع والكبت لدرجة أنّهم سينجذبون إلى الكاريزما التي لديك حتّى قبل أن يكونوا قد التقوا بك شخصيّاً.

المخلّص. في آذار من عام 1917، أجبر البرلمان الروسي حاكم البلاد، القيصر نيكولاس، على التخلّي عن الحكم وأسّس حكومةً مؤقّتة. كانت روسيا في وضعٍ صعبٍ وخطرٍ جدّاً. مشاركتها في الحرب العالميّة الأولى كانت كارثةً؛ كانت المجاعة تنتشر على نطاقٍ واسع، منطقة الريف الضخمة

لخمسٍ وعشرين دقيقة بينما ثار الجمهور كبركان ڤيزوڤ. «لم أشاهد قطّ في كلّ حياتي مثل هذه الإثارة والصراخ، لا قبل هذه الحفلة ولا بعدها،» قال [المخرج هال كانتر]. كمراقب، وصف كونه مذهولاً بـ «عرض هيستيريا الجمهور الجماعيّة ... موجة عارمة من الإعجاب اندفعت من 9000 شخص عابرةً طوق الشرطة المحيط بالمنصّة إلى بقعة الضوء ومنها إلى المؤدّي وما وراءه، ناقلةً إيّاه إلى مستوياتٍ جنونيّة من الاستجابة.»

- وصف لحفلة إلفيس بريسلي في مسرح هايرايد، شريڤيبورت، لويزيانا، 17 ديسمبر، 1956، من كتاب بيتر وايتمر، *إلفيس من*

كان يسودها النهب وعُرف الإعدام من غير محاكمة قانونيّة، وكان الجنود يفرّون من الجيش بالجملة. سياسيّاً كان البلد مقسّماً بشكلٍ مرير؛ الأحزاب الرئيسة كانت اليمين، الديمقراطيّون الاجتماعيّون، والثوريّون المتطرّفون، وكلّ واحدٍ من هذه المجموعات كان مبتلياً بدوره بالنزاع والشقاق.

الداخل: السيرة الذاتيّة النفسيّة لإلفيس آرون بريسلي

في خضم هذه الفوضى ظهر ڤلاديمير إيليش لينين البالغ سبعاً وأربعين عاماً من العمر. لقد كان ثوريّاً ماركسيّاً وقائداً للحزب الشيوعي البلشفي؛ كان قد عانى من النفي لاثني عشر عاماً في أوروبا إلى أن هرع عائداً إلى وطنه بعد أن أدرك أنّ الفوضى التي تجتاح روسيا هي الفرصة التي لطالما كان قد انتظرها. الآن دعا إلى إنهاء مشاركة روسيا في الحرب وإلى ثورةٍ اشتراكيّةٍ فوريّة. في الأسابيع القليلة التي تلت قدومه، لم يكن شيءٌ ليبدو أكثر سخافةً من هذا. لم يكن لينين مثيراً للإعجاب كرجل؛ فقد كان قصيراً وغير جذّاب الملامح. كان معزولاً عن شعبه ومنغمساً في القراءة والجدالات الفكريّة نتيجة قضائه سنوات وهو بعيدٌ في أوروبا. والأهم من هذا كلّه أنّ حزبه كان صغيراً ويمثّل فقط جماعةً منشقّة من ضمن الائتلاف اليساريّ المُنَظَّم على نحوٍ سائب ومتقلقل.

لا يستطيع أحدٌ أن يلهب الآخرين بخططه، لا يستطيع أحدٌ أن يفرض إرادته ويُخضِع بقوّة شخصيّته كما استطاع هذا الرجل الذي يبدو غايةً في الاعتياديّة وفظّاً بعض الشيء والذي يفتقر لأيّ مصادر ملموسة للسحر... لا بليكانوف ولا مارتوف ولا أيّ شخص آخر امتلك سرّ التأثير المغناطيسي الإيجابي على الناس - بل وحتّى السيطرة عليهم - والذي كان يشعّ من لينين. كان بليكانوف يُعامَل بإجلال ومارتوف كان محبوباً، لكنّ لينين وحده من كان يُتبع دون تردّد بوصفه القائد بلا منازع. لأنّ لينين وحده كان يمثّل تلك

مضى لينين إلى العمل غير خائفٍ أو آبه. حيثما ذهب كان يكرّر نفس الرسالة البسيطة: أنهوا الحرب، أسّسوا حكم البروليتاريا، إقضوا على الملكيّة الخاصّة، أعيدوا توزيع الثروة. بدأ الناس بالاستماع بعد أن أرهِقوا نتيجة الاقتتال السياسي الداخلي المتواصل للأمّة ونتيجة تعقيد مشكلاتها. لينين كان غايةً في التصميم والثقة. لم يفقد أبداً هدوءه ورباطة جأشه. في خضم المماحكات الخشنة، كان يفضح الزيف في مواقف كل واحد من خصومه ببساطة ومنطقيّة. أُعْجِب العمّال والجنود بحزمه. ذات مرّة، في وسط أعمال شغبٍ متفاقمة، أذهل لينين سائقه الخاص عندما قفز على عتبة سيّارته الجانبيّة وأخذ يوجّه السيّارة عبر الحشود، معرّضاً سلامته الشخصيّة لخطرٍ حقيقيّ. عندما كان يُقالُ له أنّ أفكاره لا تمت بصلة إلى الواقع كان يجيب: «ويا للواقعة لهذا الواقع!»

وقد جمع بالإضافة إلى الثقة بقضيته الأشبه بثقة المخلّصين المنتظرين قدرةً على التنظيم. كان لينين قد طوّر مهاراتٍ عمليّة هائلة ليلمّ شعث حزبه المُبعثَر والمضمحلّ عندما كان منفيّاً في أوروبا. كان أيضاً خطيباً مُفَوّهاً في

وجه أيِّ حشدٍ كبير. كان لخطابه في المؤتمر السوفييتي الأوّل (الذي كان مشتملاً على الرّوس فقط) وقعٌ كبير؛ فقد نادى بشعار: إمّا الثورة أو حكومةٌ برجوازيّة، لكن ليس أيّ شيءٍ بينهما - فلننتهِ من هذه التسوية التي كان يشارك بها اليسار. في الوقت الذي كان فيه السياسيّون الآخرون يتدافعون بشكلٍ يائس حتّى يتكيّفوا مع الأزمة الوطنية، وبدوا ضعفاء في تدافعهم وتزاحمهم هذا، كان لينين ثابتاً وصلباً كالطود. حلّق نجمه ومقامه، وكذلك عضوية الحزب البلشفي.

الظاهرة النادرة، وعلى الأخصّ (نادرة) في روسيا، ظاهرة الرجل ذي الإرادة الحديديّة والطاقة التي لا تُقهَر والذي يجمع ما بين الإيمان المتعصّب بالحركة والإيمان بالقضيّة والإيمان بنفسه والذي لا يقلّ درجةً عن سابقيه.

- آ. إن. بوتريسوف، مُستَشهَد به في *فلاسفة وملوك: دراسات في القيادة*، تحرير دانكوارت آي. روستو

أكثر ما كان يذهل ويصعق كان تأثير لينين على العمّال والجنود والفلاّحين. كان يتوجّه بالكلام إلى هؤلاء الناس العاديّين حيثما وجدهم - كان يقف على كرسيٍّ في الشارع وإبهاماه في طيّة صدر السترة ويخطب بمزيجٍ غريبٍ من الآيديولوجيا وأقوال الفلاّحين المأثورة والشعارات الثوريّة. كانوا يستمعون وهم مبتهجون إلى أقصى حدّ. عندما مات لينين، في عام 1924 - بعد سبع سنوات من إفساحه المجال ومن دون مساعدة أحد أمام ثورة 1917، التي كانت قد وضعته هو والبلشفيين على رأس السلطة وبضربةٍ كاسحة - لبس نفس هؤلاء الناس العاديّين ثوب الحداد وتفجّعوا عليه. قدّسوا ضريحه، حيث حُنِّطَ جسده كي يتمكّن الناس من مشاهدته؛ أخبروا الروايات عنه، مطوّرين بذلك قواماً أو جسماً من الفولكلور اللينيني؛ سُمِّيَت الآلاف من البنات المولودات حديثاً «نينيل»، لينين عندما نهجّئه عكسيّاً. هذه العبادة للينين اتّخذت أبعاداً دينيّة.

«كنت قد أملت بأن أرى النسر الشامخ لحزبنا، الرجل العظيم، العظيم من الناحية الجسديّة كما السياسيّة. كنت تخيلت لينين كعملاقٍ جليلٍ مهيب. كم كانت خيبة أملي عظيمة عندما رأيت رجلاً ذا مظهرٍ غايةٍ في

هناك جميع أنواع المفاهيم الخاطئة حول الكاريزما، لكنّ المفارقة هي أنّ هذا لا يؤدّي إلاّ إلى زيادتها غموضاً. العلاقة بين الكاريزما وبين المظهر الجسدي المثير أو الشخصيّة البرّاقة هي علاقة ضعيفة، فهذه الخصائص تثير اهتماماً قصير الأمد. الناس لا يبحثون عن التسلية وخاصّةً في أوقات الشّدة - فهم يريدون الأمن، نوعيّةً أفضل من الحياة وتماسكاً اجتماعيّاً. صدّق أولا تصدّق، رجلٌ أو امرأة ذو/ ذات ملامح جرداء أو قبيحة لكن برؤيةٍ واضحة ويتّبع/ تتّبع هدفاً مفرداً يستقطب قواه/ ها كلّها، ويتحلّى/ تتحلّى بمهاراتٍ عمليّة بإمكانه/ ها أن يكون/ تكون كاريزماتيّاً أو كاريزماتيّةً بشكلٍ كاسح، بشرط اقتران هذه الخصائص ببعض النجاح. إيّاك والاستخفاف بقدرة

النجاح على تعزيز هالة الشخص. لكن في عالمٍ يغصُّ بأصحاب التسويات والمراوغين الذين عدم قدرتهم على اتّخاذ القرار لا تؤدّي إلّا لمزيدٍ من الاضطراب والفوضى، فإنّ روحاً واحدةً ذات عقلٍ صافٍ ستكون مغناطيس الاهتمام ـ سيكون لديها كاريزما.

على المستوى الشخصي، أو في مقهى زيوريخ قبل الثورة، كان للينين القليل من الكاريزما هذا إن كان عنده كاريزما. (ثقته كانت جذّابةً، لكنّ العديد وجدوا أسلوبه الحادّ مزعجاً.) حاز على الكاريزما عندما نُظِرَ إليه على أنّه الرّجل الذي أنقذ البلاد. الكاريزما هي ليست خاصّيةً غامضةً تسكن فيك خارج سيطرتك؛ بل هي وهمٌ في عيون أولئك الذين يرون أنّك تتحلّى بما ليس عندهم. تستطيع أن تعزّز ذلك الوهم من خلال الهدوء، التصميم، والعملانيّة الواضحة الهدف وخاصّةً في أوقات الشّدة. هذا أيضاً يساعد على إيصال رسالة إغوائيّة بسيطة. سمّها متلازمة المخلّص: بمجرّد ما يتخيّل الناس أنّك تستطيع أن تنقذهم من الاختلاط والشواش، فسوف يقعون في غرامك، مثل الشخص الذي يذوب في ذراعيّ مخلّصه أو مخلّصها. وحب الجماهير يساوي الكاريزما. كيف إذن تستطيع أن تفسّر الحب الذي شعر به المواطنون الروس العاديّون تجاه رجلٍ خالٍ من المشاعر وغير مشوّق فلاديمير لينين.

الاعتياديّة، وذا طولٍ أقلّ من المعدّل، لم يكن بأيّ شكلٍ من الأشكال، أي حرفيّاً بأيّ شكلٍ من الأشكال مميّزاً عن الفانين العاديّين.»

ـ مُقتَبَس عن جوزيف ستالين، لدى لقائه لينين لأوّل مرّة في عام 1905، من *لينين: الرجل خلف القناع*، رونالد دابليو. كلارك

المرشد الروحي. تبعاً لمعتقدات المجتمع الثيوصوفي (المجتمع الثيوصوفي هو حركة دينيّة نشأت في نيويورك في عام 1875 وبُنِيَت في المقام الأوّل على أساس من التعاليم البوذيّة والابراهيميّة: المترجم) فإنّ روح معلّم العالم، السيّد مايتريا، تسكن جسم إنسان وذلك كل ألفيّ عام أو ما يقارب. أوّلاً كان هناك سري كريشنا المولود قبل المسيح بألفيّ عام؛ ثمّ كان المسيح نفسه؛ وفي مطلع القرن العشرين كان سيحدث تقمّصٌ آخر. ذات يوم من عام 1909، رأى الثيوصوفي تشارلز ليدبياتر (الثيوصوفيّة هي معرفة الله من طريق الكشف الصوفي والتأمّل الفلسفيّ: المترجم) صبيّاً على شاطئٍ هنديّ. وطرأ له هذا التّبصّر المفاجئ: هذا الغلام البالغ من العمر الرابعة عشرة واسمه جيدو كريشنامورتي، سيكون الأداة القادمة لحمل معلّم العالم. صُدِمَ ليدبياتر ببساطة الصبي، الذي بدا خالياً من أدنى أثرٍ للأنانيّة. اتّفق المجتمع الثيوصوفي

في المقام الأوّل وقبل كلّ شيء فإنّه لا يمكن أن يكون هنالك اعتبارٌ وهيبة دون غموض، لأنّ الألفة تجلب قلّة الاحترام... في التصميم الخاصّ بالقائد وسلوكه وعمليّاته العقليّة فإنّه يجب دائماً أن يكون هنالك «شيءٌ ما» لا يستطيع الآخرون سبره تماماً، والذي يحيّرهم، يثيرهم، ويأسر اهتمامهم ...

مع تقييمه وتبنّوا هذا الشاب المهزول نتيجة سوء التغذية، والّذي ضربه معلّموه مراراً بسبب غبائه. أطعموه وألبسوه وبدؤوا إرشاده الروحي. تحوّل الولد الفقير الخسيس إلى شابٍّ وسيم بطريقة شيطانيّة.

في عام 1911 شكّل الثيوصوفيّون رهبنة النّجم في الشرق، وهي مجموعة أُريد بها تمهيد الطريق من أجل قدوم روح العالم. جُعِلَ كريشنامورتي على رأس الرهبنة. أُخِذَ إلى إنكلترا حيث تابع تعليمه، وحيثما ذهب أُحيطَ بالعناية والإجلال. سيماء البساطة والقناعة التي لديه لم يكن من الممكن سوى أن تثير الإعجاب.

سرعان ما بدأ كريشنامورتي برؤية الرؤى. في عام 1922 صرّح: «لقد شربت من ينبوع الفرح والجمال الخالد. أنا سكرانٌ بالله.» عبر السنوات القليلة التي تلت انتابته عدّة تجارب خارقةً للطبيعة جيّرها الثيوصوفيّون كزياراتٍ من معلّم العالم. لكن كريشنامورتي في الحقيقة كان قد اختبر نوعاً مختلفاً من الوحي والإلهام: حقيقة الكون نبعت من الداخل. لم يكن أبداً بإمكان أيّ إله أو أيّ مرشد أو أيّ عقيدة أن يجعل المرء يدرك هذا. هو نفسه لم يكن إلهاً أو مخلّصاً منتَظراً، وإنّما مجرّد رجلٍ عاديٍّ آخر. الإجلال الذي كان يُعامَلُ به جعله يتقزّز. في عام 1929، ترك رهبنة النّجم واستقال من المجتمع الثيوصوفي ما شكّل صدمةً كبيرةً لأتباعه.

وهكذا أصبح كريشنامورتي فيلسوفاً، وصمّم على نشر الحقيقة التي كان قد اكتشفها: يجب عليك أن تكون بسيطاً، وأن تزيل حجاب اللغة والتجارب السابقة. هذا يعني أنّ أيّ أحدٍ يستطيع من خلال هذا أن يبلغ رضىً من النوع الذي كان يشعّ من كريشنامورتي. هجره الثيوصوفيّون وتخلّوا عنه إلّا أنّ أتباعه صاروا أكثر من أيّ وقتٍ مضى. في كاليفورنيا، حيث أمضى معظم وقته، قارب الاهتمام به حدّ الهيام والعبادة. الشاعر روبنسون جيفرز قال أنّه عندما كان كريشنامورتي يدخل إلى غرفة فإنّك تستطيع أن تستشعر بريقاً يملأ المكان. الكاتب آلدوس هكسلي التقى به في لوس أنجلس ووقع تحت تأثيره. وكتب عُقْبَ سماعه: «لقد كان كالاستماع إلى بوذا - نفس القوّة ونفس السلطة المتأصّلة.» كان يشعّ بالتنوّر. طلب الممثّل جون باريمور منه أن يلعب دور بوذا في فيلم؛ إلّا أنّ كريشنامورتي

أن يحتفظ القائد بجانبٍ ما من معرفةٍ سرّية والذي يمكن أن يظهر في أيّ لحظةٍ، وأكثر شكلٍ فاعليّة لهذا الظهور هو أن يكون بصيغة مفاجأة. الإيمان الكامن للجماهير سيقوم بالباقي. ما إن يصبح القائد قادراً على إضافة وزن شخصيّته، عن طريق التلاعب، إلى العوامل المعروفة لأيّ موقف، فإنّ الأمل والثقة الناجمين سيعزّزان بشكلٍ هائل من الإيمان الموضوع فيه.

- شارل ديغول، *حافّة السيف*، في *الحيوات الثلاثة لشارل ديغول*، داڤيد شونبرُن

بعد شهرٍ واحدٍ فقط من وفاة إيڤيتا، فإنّ اتّحاد بائعي الصحف اقترح اسمها للتطويب، وبالرغم من أنّ هذه المبادرة

رفض الطلب بلباقة. عندما زار الهند، فقد امتدّت أيدي الجمهور محاولةً منها أن تلمسه من خلال شبّاك النافذة المفتوح. سجد الناس أمامه.

كان كريشنامورتي شيئاً فشيئاً يزداد نأياً وانفصالاً واستقلاليّةً كونه كان ينفر من التوقير والهيام. وصل لدرجة أنّه كان يتكلّم عن نفسه بصيغة الغائب. في الواقع، فإنّ قدرة المرء على أن يتحرّر من ماضيه ويرى العالم بعيونٍ جديدة كانت جزءاً من فلسفته، ومع ذلك فقد كان التّأثير مرّةً أخرى معاكساً لما توقّعه: العاطفة والتبجيل اللذان أحسّ بهما الناس نحوه لم يكونا إلّا ليزدادا. تنازع أتباعه بغيرةٍ فيما بينهم لنيل أيّ إيماءةٍ تشير أنّ أحداً دون غيره كان ذا حظوةٍ عنده. النساء بالتحديد وقعن في حبّه بشدّة، بالرّغم من أنّه كان قد أقسم بألاّ يتزوّج أو يمارس الجنس ما ظلّ حيّاً.

كانت مبادرةً يتيمة ولم يحملها الفاتيكان أبداً على محمل الجدّ، إلّا أنّ فكرة قداسة إيڤيتا ظلّت تراود الكثيرين وتعزّزت نتيجة نشر أدبٍ على نفقة الحكومة غايته تكريس صورتها؛ ونتيجة إعادة تسمية مدنٍ ومدارس ومحطّات مترو باسمها؛ ونتيجة صكّ الميداليات على شرفها ونحت تماثيلٍ نصفتيةٍ لها، وإصدار طوابع تذكاريّة تحمل صورتها. غُيّر وقت بثّ نشرة الأخبار المسائية من الساعة 8:30 إلى الساعة 8:25، وهو الوقت الذي «انتقلت فيه إيڤيتا إلى الخلود،» وكلّ شهرٍ كان هنالك مسيراتٌ تحمل المشاعل في اليوم السادس والعشرين من الشهر، وهو يوم وفاتها. في الذكرى الأولى لوفاتها، قامت

لم تكن لدى كريشنامورتي رغبةٌ في أن يكون معلّماً أو كاريزماتيّاً، لكنّه ومن دون قصد اكتشف قانوناً يحكم النفس البشريّة كان قد أزعجه. الناس لا يريدون أن يسمعوا أنّ قوّتك تأتّت من سنواتٍ من السعي المجهد والانضباط. هم يفضّلون الإعتقاد أنّها تنبع من شخصيتك، خُلُقِكَ، أو أنّها شيءٌ تمتلكه بالفطرة. هم أيضاً يأملون بأنّ القرب من المعلّم أو الكاريزماتي سيجعل بعضاً من هذه القوّة ينتقل إليهم. لم يريدوا أن يضطرّوا لقراءة كتب كريشنامورتي، أو لقضاء سنواتٍ في تطبيق دروسه - هم أرادوا ببساطة أن يكونوا قربه، يتشرّبوا هالته، يسمعوه وهو يتكلّم، يستشعرون الضوء الذي يدخل الغرفة عند دخوله إيّاها. نادى كريشنامورتي بالبساطة كطريقةٍ للانفتاح على الحقيقة، لكنّ بساطته سمحت للناس فقط بأن يروا ما يريدونه فيه، وأن ينسبوا إليه قوىً لم يكن ينكرها وحسب بل ويسخر منها.

هذا هو أثر المرشد، ومن المفاجئ أنّ خَلقَه هو أمرٌ بسيط. الهالة التي تسعى وراءها ليست كتلك الناريّة والمضطّرمة التي يختصُّ بها معظم الكاريزماتيّين، لكنّها هالةٌ تتّسم بالتّنوير والتوهّج. الشخص المتنوّر هو شخصٌ قد فهم شيئاً ما جعله/ ها مكتفياً ومطمئنّاً، وهذه القناعة والاطمئنان تشعّ إلى الخارج. ذلك هو المظهر الذي تبتغي: أنت لا تحتاج إلى أيّ شيء أو أيّ أحد، أنت قانعٌ بما تعمل. الناس ينجذبون بشكلٍ طبيعيّ إلى أولئك الذين يبتعثون السعادة؛ لعلّهم يستطيعون التقاطها منك. كلّما كنت أقل وضوحاً

الصحافة بنشر قصّةٍ مفادها أنّ أحد قرائها قد شاهد وجه إيڤيتا على صفحة القمر، وبعد هذه القصّة فقد كان هنالك الكثير من مثل هذه المشاهدات في الصحف. في معظم الحالات فإنّ المنشورات الرسميّة أحجمت عن المطالبة لها بالقداسة، لكنّ إحجامهم لم يكن دائماً مقنعاً... ففي روزنامة عام 1953 قام تجّار الصحف في بوينس آيرس، كما في صورٍ أخرى غير رسميّة بتصويرها بالأثواب الزرق التقليديّة للعذراء، ويديها متشابكتين، ورأسها الحزين مائلٌ ومُحاطٌ بهالة.

ـ نيكولاس فرايزر وماريسا نيارو. *إيڤيتا*

بالنسبة إليّ، فأنا أتمتّع بموهبة شحن الرجال.

ـ نابوليون بونابرت،

كان أفضل: دع الناس يستنتجون أنّك سعيد، بدلاً من أن يسمعوها منك. دعهم يروها في أسلوبك المتروّي، ابتسامتك العذبة، طمأنينتك وارتياحك. أبقِ كلماتك غامضة، فتدع الناس يتخيّلون ما يشاؤون. تذكّر: التّحفّظ والتّأي لا يؤدّيان إلّا لزيادة الأثر. الناس سوف يناضلون من أجل أدنى علامةٍ لاهتمامك. المرشد يكون راضياً وغير مرتبطٍ عاطفيّاً ـ الأمر الذي يشكّل تركيبةً كاريزماتيّةً فتّاكة.

قدّيس الدراما. بدأ الأمر على الراديو. خلال أواخر ثلاثينات وأوائل أربعينات القرن الماضي، كانت النساء الأرجنتينيّات تستمع إلى صوت إيڤا دوارت الحزين والموسيقي في أحد مسلسلاتها المُنتَجة بكثرة والتي كانت ـ أي هذه المسلسلات ـ تحظى بشعبيّة كبيرة في ذلك الوقت. لم تُضحِك أحداً قطّ، ولكن كم كان باستطاعتها أن تجعلك تبكي ـ متأثّراً بتشكّيات عاشقةٍ تمّت خيانتها، أو بالكلمات الأخيرة لماري أنطوانيت. مجرّد التفكير بصوتها يجعلك تجيش بالعواطف. وكانت جميلة، بشعرها الأشقر المنسدل ووجهها الجدّي، الذي كان يحتلّ غالباً أغلفة مجلاّت الإشاعات.

في عام 1943، نشرت تلك المجلاّت قصّةً غايةً في الإثارة: شرعت إيڤا في علاقة مع واحدٍ من أكثر الرجال بسالةً في الحكومة العسكريّة الجديدة، الكولونيل خوان بيرون. الآن أصبح الأرجنتينيّون يسمعونها وهي تقوم ببياناتٍ دعائيّة (بروباغاندا) للحكومة، ممجّدةً «الأرجنتين الجديدة» التي ستتلألأ في المستقبل. وأخيراً، وصلت هذه القصّة الأشبه بالخياليّة إلى نهايتها السعيدة: في عام 1945 تزوّج خوان من إيڤا، وفي السنة التي تلت، انتُخِبَ الكولونيل الوسيم رئيساً بعد العديد من المحاولات والمحن (بما فيها فترةٌ قصيرةٌ في السجن، والّذي تحرّر منه بفضل جهود زوجته المتفانية). كان بطلاً لما يُعرَف بِ الديساميسادوس ـ أي «الذين لا يملكون قميصاً» أو أصحاب الأسمال، العمّال والفقراء، تماماً كما كانت زوجته. كانت في السادسة والعشرين فقط في ذلك الوقت، كانت هي نفسها قد شبّت في الفقر.

أمّا وقد أصبحت هذه النجمة السيّدة الأولى للجمهوريّة، فقد بدا عليها التّغيير. نَحِفَت، وأصبحت بذّاتها بلا ريب أقلّ زخرفةً، بل وحتّى متقشّفة بكل ما للكلمة من معنى؛ وذلك الشعر الجميل المنسدل صار

مشدوداً إلى الخلف، وبصرامة نوعاً ما. لقد كان مشيناً (مظهرها القديم) ـ إذ أنّ النّجمة الشابّة كانت قد كبرت (نضجت). لكن بينما كان الأرجنتينيّون يطّلعون أكثر على إيڤيتا الجديدة، كما أصبحت تُعْرَف الآن، فإنّ طلعتها الجديد حرّكت مشاعرهم بقوّةٍ أكبر. لقد كانت طلعة امرأةٍ جدّيّةٍ طاهرةٍ كقدّيسة، امرأة كانت بالفعل كما لقّبها زوجها «جسر الحب» الذي يصل بينه وبين شعبه. كانت الآن على الرّاديو في جميع الأوقات، والاستماع إليها يشحن بالعاطفة كما في أيّ وقتٍ مضى، لكنّها أيضاً كانت تمجّد بالشعب وتعظّمه. أصبح صوتها أخفض وإلقاؤها أبطأ؛ كانت تطعن الهواء بأصابعها وتمدّ يدها كما لو أنّها ستلمس الجمهور. وكانت كلماتها تخترقك حتّى الصميم: «تركت أحلامي على جانب الطريق حتّى أسهر على أحلام الآخرين.... الآن أضع روحي إلى جانب روح شعبي. أقدّم لهم كل طاقاتي لعلّ جسدي يكون جسراً مشيّداً من أجل سعادة الجميع. اعبروا عليه ... نحو القدر الأسمى للوطن الجديد.»

في *نابوليون: مع وضدّ*، بيتر جايل

أنا لا أدّعي بأنّني رجلٌ إلهي، لكنّني أؤمن بالهدي الإلهي، القوّة الإلهية، والنبوّة الإلهية. أنا لست متعلّماً، ولا خبيراً في أيّ حقلٍ محدّد ـ لكنّني مخلص وإخلاصي هو اعتمادي.

ـ مقتبس عن مالكولم إكس من *ضحايا الديمقراطية: مالكولم إكس وهذه الثورة السوداء*، يوجين ڤيكتور ڤولفنشتاين

لم تكن بعد ذلك المجلاّت والراديو هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها جعلت إيڤيتا الناس يشعرون بها. بطريقةٍ أو بأخرى كانت قد لامست الجميع تقريباً على نحو شخصيّ. بدا أنّ كلّ واحدٍ كان يعرف شخصاً ما كان قد التقاها شخصيّاً، أو زارها في مكتبها، حيثُ كان صفٌّ من المتضرّعين يشقُّ طريقه عبر الأروقة نحو بابها. كانت تجلس خلف مكتبها وهي غايةٌ في الهدوء ومليئةٌ بالحب. دوّنت الأفلام أعمالها الخيريّة: كانت إيڤيتا تمنح بيتاً لامرأةٍ كانت قد خسرت كلّ شيء؛ ورعايةً مجّانيّةً في أرقى المستشفيات لأمٍّ طفلٍ مريض. عملت بجهدٍ كبير، فلا عجب من سريان إشاعةٍ مفادها أنّها كانت مريضة. والكلّ سمع عن زياراتها لبلدات منازل الصفيح ولمشافي الفقراء، حيث كانت تُقبّل الناس على اختلاف أمراضهم (الجذام، رجالٌ مصابون بالسفلس، إلخ.) على خدّهم، وبالرّغم من تمنّي طاقمها ألاّ تفعل ذلك. ذات مرّة حاولت مساعدةٌ لها كانت قد رُوِّعَت بهذه العادة أن تمسح شفتي إيڤيتا بالكحول بغية تعقيمهما. إلّا أنّ هذه القدّيسة انتزعت القنّينة وقذفتها بعنف نحو الحائط.

نعم، إيڤيتا كانت قدّيسة، مادونا على قيد الحياة (مادونا = مريم العذراء). مظهرها لوحده كان من الممكن أن يُشفي العليل. وعندما توفّيت بالسرطان في عام 1952، لم يكن من الممكن لأيّ غريبٍ عن الأرجنتين أن

يفهم مدى الإحساس بالأسى والخسارة اللذين خلّفتهما وراءها. بالنسبة للبعض، فإنّ الأرجنتين لم تستعد عافيتها مطلقاً.

معظمنا يعيش في حالةٍ أشبه بالسّير خلال النوم: نقوم بمهمّاتنا اليوميّة حتّى يطير اليوم (يتبدّد). الاستثناءان لهذا هما الطفولة وتلك اللحظات التي نعيش فيها الحبّ. في كلتا الحالتين، تكون عواطفنا أكثر مشارَكةً وانفتاحاً وفاعليّةً. ونحن نساوي ما بين الشعور بالعاطفة والشعور بالحياة. شخصيّةٌ عامّة بارزة تستطيع أن تؤثّر في عواطف الناس وأن تجعلهم يشعرون بحزنٍ، فرح، أملٍ جماعيّ، يكون لديها أثرٌ مشابه. مخاطبة العواطف هي أمرٌ أكثر قوّةً بكثير من مخاطبة المنطق.

فهمت إيڤا بيرون وأدركت هذه القوّة باكراً، عندما كانت تعمل كممثّلةٍ في الراديو. كان صوتها المرتعش بإمكانه أن يجعل المستمعين ينتحبون؛ بسبب هذا، رأى فيها الناس كاريزما عظيمة. لم تنسَ أبداً هذه التجربة. كلّ عملٍ عملته أمام العامّة كان يُؤطّر ببواعث أو يُصاغ بقوالب دراماتيكيّة ودينيّة. الدراما هي عاطفة مركّزة، والدين الكاثوليكي هو قوّةٌ تصل إلى طفولتك وتَمَسُّك أو تهزّك من حيث لا تستطيع أن تفعل شيئاً. ذراعا إيڤيتا المرفوعان، أعمالها الخيريّة المخْرَجة مسرحيّاً، تضحياتها في سبيل الناس العاديّين ـ كلّ هذا مضى مباشرةً نحو شغاف القلب. لم تكن مجرّد طيبتها هي ما اتّصف بالكاريزماتيّة، بالرّغم من أنّ مظهر الطيبة مُغوٍ بشكلٍ كافٍ. لقد كانت قدرتها على إضفاء بعد درامي على طيبتها.

عليك أن تتعلّم استغلال مُكوّني العاطفة الأعظم: الدراما والدين. الدراما تستأصل ما هوعديم النفع ومبتذل في الحياة، وذلك من خلال التركيز على لحظات الرثاء والرّعب؛ الدين يتعامل مع مسائل الحياة والموت. إجعل أعمالك الخيريّة دراماتيكيّة (مسرحيّة)،أعطِ كلماتك المحبّة معنىً دينيّاً، اغمر كلّ شيء بالطقوس والخرافات التي ترجع إلى عهد الطفولة. من خلال تماهيك بالمشاعر التي تثيرها، سيرى الناس هالة الكاريزما فوق رأسك.

الخطيب المحاضر. في هارلم في بدايات العقد السادس من القرن العشرين، قليلٌ من الأمريكيّين من ذوي الأصول الإفريقيّة كانوا على علمٍ بأمّة الإسلام (وهي حركةٌ إسلاميّةٌ قوامها من الأمريكيّين السود، تأسّست في

أمريكا في عام 1930 ويعتقد أتباعها أنّ الأمريكيّين السود ينحدرون من أصولٍ إسلاميّة: المترجم)، أو وطؤوا معبدها ولو لمرّةٍ واحدة. كانت الأمّة تنادي بأنّ الناس البيض كانوا من سلالة الشيطان وأنّ الله سيحرّر العرق الأسود ذات يوم. هذا المبدأ لم يكن ليعني كثيراً للهارلميّين، الذين كانوا يذهبون إلى الكنيسة التماساً للعزاء الرّوحي ويلجؤون في المسائل العمليّة إلى سياسيّيهم المحلّيين. لكن في عام 1954، قدم ممثّلٌ جديد لأمّة الإسلام إلى هارلم.

اسم الممثّل كان مالكولم إكس، وكان واسع الاطّلاع (عن طريق المطالعة) وفصيحاً، ومع ذلك فقد كانت إيماءاته وكلماته تتميّز غضباً. سرت الأنباء: البيض كانوا قد أعدموا والد مالكولم من غير محاكمةٍ قانونيّة. كان قد نشأ في مؤسّسةٍ لرعاية الأحداث، ومن ثمّ كسب عيشه كمجرم صغير وقليل الأهمّية قبل أن يتمّ اعتقاله لارتكابه السّطو حيث أمضى ستّ سنواتٍ في السجن. حياته القصيرة (كان في التاسعة والعشرين فقط في ذلك العمر) كانت عبارة عن شجارٍ واحدٍ طويلٍ مع القانون، ومع ذلك فعندما تنظر إليه الآن فإنّك ترى رجلاً واثقاً ومتعلّماً. لم يكن أحدٌ قد مدّ له يد المساعدة؛ كان قد بنى نفسه بنفسه. الهارلميّون بدؤوا يرون مالكولم في كلّ مكان، موزّعاً النشرات الإعلانيّة ومخاطباً اليافعين. كان يقف خارج كنائسهم، وعند انتهاء القدّاس، كان يشير إلى الواعظ ويقول: «هو يمثّل إله البيض وأنا أمثّل إله السود.» بدأ الفضوليّون بالاستماع إليه وهو يعظ في معبدٍ لأمّة الإسلام. كان يطلب منهم أن يمعنوا النّظر في الظروف الواقعيّة لحياتهم: «عندما تفرغون من النظر إلى مكان عيشكم، عندها ... تَمَشّوا عبر المنتزه المركزي،» كان يقول لهم «انظروا إلى شقق الرّجل الأبيض. انظروا إلى وال ستريت الخاصّة به!» (شارع في مانهاتن في مدينة نيويورك حيث تتوضّع بورصة نيويورك والعديد من المؤسّسات الماليّة الكبرى في أمريكا: المترجم.) كلماته كانت قويّة، وخاصّةً بالنّسبة لممثّل (وكيل).

في عام 1957، شهد شابٌّ مسلم في هارلم عدّة رجال شرطة وهم ينهالون بالضّرب على رجلٍ أسود سكران. عندما احتجّ المسلم، شرع رجال الشّرطة بضربه حتّى أفقدوه الوعي واقتادوه بخشونة إلى السجن. فاحتشد جمعٌ غاضب خارج مركز الشرطة، استعداداً للقيام بأعمال شغب. طلب مفوّض الشرطة من مالكولم أن يفضّ الحشد بعد أن أُخْبِرَ أنّ مالكولم هو

الوحيد القادر على منع العنف. رفض مالكولم. صار المفوّض يتكلّم باعتدال وأخذ يتوسّل إلى مالكولم أن يعيد النظر في موقفه. حدّد مالكولم ببرودة أعصاب الشروط اللازمة كي يتعاون: عناية طبّية للمسلم المضروب، وعقابٌ ملائم لضبّاط الشرطة. وافق المفوّض بفتور. شرح مالكولم الاتّفاق خارج المحطّة وتفرّق الحشد. أصبح بطلاً بين ليلةٍ وضحاها في هارلم وفي أنحاء البلاد ـ أخيراً أخذ رجلٌ زمام المبادرة. ارتفعت العضويّة في معبده بشكلٍ كبير.

بدأ مالكولم بالتكلّم في كلّ الولايات الأمريكيّة. لم يقرأ أبداً من نصٍّ مكتوب؛ كان ينظر إلى أعين الجمهور مباشرةً، ويؤشّر بإصبعه. غضبه كان جليّاً في نبرة صوته لكن ليس كما تجلّى في طاقته الجبّارة والعروق المنتفخة في عنقه ـ فقد كان دائماً متمالكاً لنفسه وفصيحاً. كان العديد من القادة السود السابقين قد استخدموا كلماتٍ حذرة، وطلبوا من أتباعهم أن يتعاملوا بصبرٍ وتهذيب مع واقعهم الاجتماعي، مهما كان هذا الواقع غير منصف. كم شكّل مالكولم راحةً وفرجاً. سخر من الذين يميّزون عنصريّاً، سخر من الليبراليّين، سخر من الرئيس؛ لم ينجُ شخصٌ أبيضَ من ازدرائه. إذا كان البيض عنيفين، قال مالكولم، فيجب أن يُرَدّ عليهم بلغة العنف، فهي اللغة الوحيدة التي يفهمون. «العدائيّة هي شيءٌ جيّد!» صرخ مالكولم. «فقد احتُجِزَت وكُبِتَت لمدّةٍ طويلةٍ جدّاً.» قال مالكولم ردّاً على الشعبيّة المتزايدة للقائد مارتن لوثر كينغ جونيور الذي لم يكن يؤمن بالعنف: «أيّ شخصٍ يستطيع الجلوس. امرأة عجوز تستطيع الجلوس. حشدٌ يستطيع الجلوس.... الوقوف والتّصدّي يحتاجان رجلاً.»

كان لمالكولم إكس أثرٌ مقوٍّ على العديد من الذين شعروا بنفس الغضب الذي شعر به لكن لم يجرؤوا على التعبير عنه. في جنازته ـ اغتيل في عام 1965، في أحد خطاباته ـ ألقى الممثّل أوزي دايڤيس بكلمة التأبين أمام حشدٍ كبيرٍ ومتهيّجٍ عاطفيّاً: «كان مالكولم أميرنا الأسود المتألّق.»

كان مالكولم إكس كاريزماتيّاً من نمط النبي موسى: كان خطيباً. قوّة هذا النوع من الكاريزما يتأتّى من تعبيره عن عواطف قاتمة وسوداويّة كانت قد تنامت عبر سنواتٍ من الاضطهاد. إنّ الخطيب من خلال عمله هذا يمنح

فرصةً لإطلاق المشاعر الكظيمة والمحبوسة لدى الناس الآخرين - لإطلاق العدائيّة المقنّعة بالتهذيب القسري والابتسامات. الخطباء يجب أن يكونوا جزءاً من الحشد الذي يعاني، لكن بدرجة أكبر: إذ أنّ ألمهم يجب أن يكون مثلاً يُقتَدى به ونموذجاً لآلام غيرهم. تاريخ مالكولم الشخصي كان جزءاً لا يتجزّأ من الكاريزما التي لديه. درسه - أنّ السود يجب أن يساعدوا أنفسهم، بدلاً من أن ينتظروا البيض حتّى ينهضوا بهم - عنى أكثر بكثير بسبب السنوات التي قضاها هو نفسه في السجن، ولأنّه كان قد اتّبع مبدأه الخاص القاضي بتعليم نفسه بنفسه، وبانتشال نفسه من الحضيض. الخطيب يجب أن يكون مثلاً حيّاً للإصلاح الشخصي.

جوهر الكاريزما هو عاطفة طاغية تعبّر عن نفسها من خلال إيماءاتك، نبرة صوتك، والإشارات الخفيّة التي تكون أقوى لكونها لا يُعَبّر عنها صراحةً. أنت تشعر بشيءٍ على نحوٍ أعمق من الآخرين، ولا يوجد شيءٌ أكثر قوّةً وأكثر قدرةً على خلق التفاعل الكاريزماتي من الكره، وخاصّةً عندما ينبع من مشاعر ظلمٍ واضطهادٍ عميقة الجذور. عبّر عما يخشى الآخرون التعبير عنه وسوف يرون قوّةً عظيمةً فيك. قل ما يريدون قوله لكن لا يستطيعون. إيّاك والخوف من المضيّ بعيداً جدّاً. إذا كنت تمثّل انعتاقاً من الظلم والقمع، فإنّه يكون لديك هامشٌ إضافيّ لأن تمضي وتتوغّل إلى ما هو أبعد حتّى. تكلّم موسى عن العنف، عن تدمير أعدائه عن بكرة أبيهم. لغةٌ كهذه توحّد صفوف المقموعين وتجعلهم يشعرون بأنّهم أحياء أكثر. لكن هذا لا يعني أنّه شيءٌ لا تستطيع التحكم به من ناحيتك. شعر مالكولم إكس بالغضب منذ البداية، لكن فقط في السّجن علّم نفسه فن الخطابة، وكيف يبثّ انفعالاته. لايوجد شيءٌ أكثر كاريزماتيّةً من الإحساس بأنّ شخصاً ما يناضل بعاطفةٍ عظيمة بدلاً من أن يستسلم لها ببساطة.

الممثّل الأوليمبي. في 24 كانون الثاني من عام 1960 اندلع عصيانٌ مسلّحٌ في الجزائر، التي كانت عندها لا تزال مستعمرةً فرنسيّة. العصيان كان يقوده جنودٌ فرنسيّون من الجناح الأيمن، وهدفه كان إحباط اقتراح الرئيس شارل ديغول القاضي بمنح الجزائر حق تقرير المصير. كان العصاة سيستولون على الجزائر باسم فرنسا إذا لزم الأمر.

لعدّة أيّام عصيبة، التزم ديغول البالغ السبعين عاماً من العمر صمتاً غريباً. بعدها في 29 كانون الثاني، في الثامنة صباحاً ظهر على التّلفزيون الفرنسي. كان الجمهور مشدوهاً حتّى قبل أن يتفوّه بكلمةٍ واحدة، فقد كان يرتدي بزّته القديمة من الحرب العالميّة الثانية، بزّةٌ كان يعرفها الجميع والتي كانت تخلق استجابةً عاطفيّةً قويّة. ديغول كان بطل المقاومة ومنقذ الوطن في أحلك لحظاته. لكن تلك البزّة لم تُرَ منذ وقتٍ غير قصير. بعدها تكلّم ديغول، مذكّراً شعبه، بأسلوبه الهادئ والواثق، بكلِّ ما كانوا قد أنجزوه سويّةً خلال تحرير فرنسا من الألمان. بالتدريج انتقل من هذه القضايا المشحونة وطنيّاً إلى الثورة في الجزائر، والإهانة التي وجّهتها إلى روح التحرّر. أنهى خطابه بتكرير كلماته المشهورة التي ألقاها في 18 حزيران من عام 1940: «مرّةً أخرى أدعوا جميع الفرنسيّين، أينما كانوا، ومهما كانوا، ليتّحدوا من جديد مع فرنسا. عاشت الجمهوريّة! عاشت فرنسا!»

كان الخطاب يخدم غايتين. أظهر أنّ ديغول كان عازماً تماماً على ألاّ يتساهل أبداً مع المتمرّدين. ثانياً أن يمسّ قلوب كل الفرنسيّين الوطنيّين، وخاصّةً في الجيش. سرعان ما مات العصيان، ولم يشكّ أحد في الصّلة ما بين فشل العصيان وأداء ديغول على التلفزيون.

في السنة التي تلت، صوّت الفرنسيّون بشكلٍ طاغٍ لصالح حق الجزائر في تقرير مصيرها. في عام 1961 عقد ديغول مؤتمراً صحفيّاً أوضح فيه أنّ فرنسا كانت ستمنح الجزائر قريباً الاستقلال الكامل. بعد أحد عشر يوماً من ذلك، أصدر جنرالاتٌ فرنسيّون في الجزائر بلاغاً رسميّاً ينصّ على أنّهم قد استولوا على البلاد ويعلن حالة الحصار. هذه كانت اللحظة الأخطر على الإطلاق: هؤلاء الجنرالات الذين ينتمون إلى اليمين المتطرّف كانوا مستعدّين لأن يذهبوا إلى أبعد مدى بعد أن ووجِهوا باستقلال الجزائر الوشيك. كان من الممكن أن تندلع حربٌ أهليّة، وتطيح بحكومة ديغول.

في الليلة التالية، ظهر ديغول على التلفزيون من جديد، وهو يرتدي بزّته القديمة مرّةً أخرى. هزأ من الجنرالات، من خلال مقارنته إيّاهم بحكّام أمريكا الجنوبيّة الإنقلابيّين. تكلّم برباطة جأشٍ وصرامة. بعدها، وبشكلٍ مفاجئ، لدى نهاية خطابه الأخيرة، ارتفع صوته بل وحتّى تهدّج عندما استصرخ الجماهير: «أيتها الفرنسيّات، أيّها الفرنسيّون، ساعدوني!» لقد

كانت اللحظة الأكثر تحريكاً للمشاعر من بين كلّ ظهوراته على التلفزيون. غمرت العاطفة الجنود الفرنسيّون الّذين كانوا يستمعون إلى الرّاديو. في اليوم التالي قاموا بمظاهرةٍ كبرى تأييداً لديغول. استسلم الجنرالات بعد يومين من المظاهرة. في 1 تمّوز من عام 1962 أعلن ديغول استقلال الجزائر.

في عام 1940 بعد الاجتياح الألماني لفرنسا، هرب ديغول إلى إنكلترا من أجل أن يجنّد جيشاً من شأنه أن يعود في نهاية الأمر إلى فرنسا من أجل التحرير. في البداية كان لوحده، وبدت أنّ مهمّته يائسة. لكنّه حظي بمساعدة وينستون تشرشل، وبمباركة هذا الأخير أعطى سلسلةً من الحوارات على الراديو والتي بثّتها البي بي سي إلى فرنسا. صوته الغريب والمنوّم مغناطيسيّاً، ذو الاهتزازات الدراميّة، كان يلج غرف المعيشة الفرنسيّة في الأمسيات. قلّةٌ من مستمعيه كانوا يعرفون كيف كان يبدو، لكنّ نبرته كانت غايةً في الثقة وإلهاب المشاعر، حيث أنّه جنّد جيشاً صامتاً من المؤمنين. على المستوى الشخصي، كان ديغول رجلاً غريباً يطيل التفكير والذي سلوكه الواثق يمكن أن يثير الانزعاج بنفس السهولة التي يمكنه فيها أن يستميل الآخرين. لكن ذاك الصوت عبر الراديو كان يتحلّى بكاريزما شديدة. كان ديغول أوّل أستاذٍ عظيم للإعلام الحديث، لأنّه استطاع بيسرٍ وسهولة أن ينقل مهاراته الدراميّة إلى التلفزيون، حيث كان بروده الثّلجي، رباطة جأشه، تمالكه الكامل لنفسه يجعل المستمعين يشعرون بأنّهم مرتاحون ومُلهَمون على حدٍّ سواء.

لقد أصبح العالم أكثر تشظّياً. فالأمّة لا تلتفّ بعد الآن في الشوارع أو في الساحات؛ يُلَمّ شمل الأمّة في غرف المعيشة، حيث يكون بمقدور الناس الذين يشاهدون التلفزيون في كافّة أنحاء البلاد أن يكونوا لوحدهم ومع الآخرين في آنٍ معاً. يجب أن تكون الكاريزما قابلةً للنّقل عبر موجات البث وإلاّ فلن يكون لها قيمة. لكنّه يكون من الأسهل إبرازها في بعض الأحيان من خلال التلفزيون، لأنّ التلفزيون يصنع مناشدةً شخصيّة (إذ يبدو أنّ الكاريزماتيّ يخاطبك *أنت*) ولأنّه من السّهل اصطناع الكاريزما للّحظات القليلة التي تقضيها أمام الكاميرا. أفضل شيءٍ عند الظهور على التلفزيون هو، كما فهم ديغول، أن تشعّ بالرزانة والثّقة، وأن تستخدم المؤثّرات

الدراماتيكيّة باقتصاد. برودة ديغول الإجماليّة جعلت اللحظات القصيرة التي كان يمرّر فيها نكتةً لاذعة أو يرفع صوته مؤثّرةً بشكلٍ مضاعف. من خلال البقاء رصيناً وعدم التوكيد على هذا الشيء، فقد نوّم مستمعيه مغناطيسيّاً. (يستطيع وجهك أن يعبّر بشكلٍ أكبر بكثير إذا كان صوتك أقلّ حدّةً.) كان ينقل الأحاسيس والعواطف مرئيّاً ـ البزّة، الخلفيّة ـ ومن خلال استخدام كلماتٍ مشحونةً بعينها: التحرير، جان دارك. كلّما أجهد نفسه بدرجةٍ أقل ابتغاءٍ للأثر، بدا صادقاً بشكلٍ أكبر.

كل هذا يجب أن يُنَسّقَ بحذر بحيث يحقّق أقصى ما يمكن من التأثير. وشّح أو طعّم هدوءك بالمفاجآت؛ إصعد نحو الذّروة؛ أبقِ الأشياء مختصرة ومحكمة وجامعة. الشيء الوحيد الذي لا يمكن التظاهر به هو الثقة بالنفس، التي هي المكوّن الجوهري للكاريزما من أيّام موسى. إذا فضحت أضواءُ الكاميرا شعورك باللاأمان، فلن تُفلِح كل خدع العالم في إعادة تركيب (تصليح) الكاريزما التي كانت لديك مجدّداً.

الرمز: المصباح. غير مرئيّ للعين، مرور التيّار
خلال السلك في الوعاء الزجاجي يولّد حرارةً
تتحوّل إلى وهج. كل ما نراه هو الضياء. في
الظلمة الحالكة، المصباح ينير
الدرب.

المخاطر

في يومٍ سارّ من شهر أيّار من عام 1794، تجمّع مواطنوا باريس في منتزهٍ من أجل إقامة مهرجان الكائن الأسمى. كان اهتمامهم مركّزاً على ماكسيميليان دي روبيسبيير الذي كان رئيس لجنة السلامة العامّة، والرّجل الذي كان قد جاء بفكرة المهرجان في المقام الأوّل. الفكرة كانت بسيطة: من أجل مقاتلة الإلحاد، «الاعتراف بوجود كائنٍ أسمى وبخلود الروح كقوّتين موجّهتين للكون.»

كان يوم انتصار لروبيسبيير. استهلّ الإحتفالات وهو يقف أمام الجماهير مرتدياً بزّته ذات اللون الأزرق السماوي وجوربيه الأبيضين. كان الحشد يهيم به؛ ففي النهاية، كان قد صان أهداف الثورة الفرنسيّة في غمرة النشاطات والنقاشات السياسيّة الحادّة التي كانت قد تبعتها. في السنة السابقة، كان قد استهلّ عهد الإرهاب، الذي طهّر الثورة من أعدائها من خلال إرسالهم إلى المقصلة. كان قد ساعد أيضاً على توجيه البلاد خلال الحرب مع النمساويّين والبروسيّين. ما جعل الحشود تحبّه، وخاصّةً من النساء، كان طهارته المنزّهة عن الفساد (عاش حياةً في غاية التواضع والبساطة)، رفضه للتّسويات، شغفه بالثورة الذي كان واضحاً في كلّ أفعاله، ولغة خطاباته الرومانسيّة، والتي لم يكن من الممكن ألاّ تلهم. لقد كان إلهاً. ذلك اليوم كان جميلاً وينبئُ بمستقبلٍ عظيمٍ للثورة.

بعد شهرين من ذلك، ألقى روبيسبيير خطاباً كان يحسبه أنّه سيضمن مكانته في التاريخ، لأنّه اعتزم التلميح إلى نهاية الإرهاب وبداية حقبةٍ جديدة لفرنسا. سرت إشاعةٌ مفادها أنّه كان سيستدعي آخر حفنةٍ من الناس من أجل إرسالهم إلى المقصلة؛ المجموعة الأخيرة التي كانت تهدّد سلامة الثورة. صعد على المنبر ليخاطب المؤتمر الحاكم للبلاد، وهو يرتدي نفس الثياب التي كان قد لبسها في يوم المهرجان. الخطاب كان مطوّلاً (استمرّ ثلاث ساعاتٍ تقريباً)، وتضمّن وصفاً مشبوب العاطفة للقيم والفضائل التي كان قد ساعد على صونها. كان هنالك أيضاً حديثٌ عن مؤامرات، خيانة، وأعداء لم تتم تسميتهم.

الاستجابة كانت حماسيّة، لكن بدرجة أقلّ نوعاً ما من المعتاد.

الخطاب كان قد أرهق العديد من الممثّلين. ومن ثمّ سُمِعَ صوتٌ وحيد، صوت رجلٍ يُدعى بوردون، الذي عارض فكرة أن تتم طباعة خطاب روبيسبيير، الأمر الذي شكّل رفضاً مستتراً. بشكلٍ مفاجئ نهض آخرون من جميع الجوانب، واتّهموه بالالتباس والغموض: كان قد تكلّم عن مؤامراتٍ وتهديدات دون أن يسمّي المذنبين. رفض أن يكون محدّداً عندما طُلِبَ منه ذلك، مفضّلاً أن يسمّي الأسماء فيما بعد. في اليوم التالي وقف روبيسبيير ليدافع عن خطابه إلّا أن الممثّلين أخرسوه بالصراخ عليه. بعد عدّة ساعات، كان هو من أُرْسِلَ إلى المقصلة. في 28 تموز، وَسَط تجمّع من المواطنين الذين بدا أنّهم في مزاجٍ أكثر احتفاليّةً حتّى من المزاج الذي كانوا عليه في مهرجان الكائن الأسمى. وقع رأس روبيسبيير في السلّة، متبوعاً بالهتافات المدوّية. انتهى عهد الإرهاب.

العديد من أولئك الذين بدوا أنّهم معجبون بروبيسبيير كان يُضمِرون له في الواقع امتعاضاً من الشدة بحيث كان يتآكلهم ـ لقد كان *غايةً* في الاستقامة والعفّة، *غايةً* في التفوّق، هذا الأمر كان ثقيل الوطأة عليهم. بعض هؤلاء الرجال كانوا قد تآمروا ضدّه، وكانوا ينتظرون أقلّ علامة ضعف ـ والتي ظهرت في ذلك اليوم المُقدّر عندما أدلى بخطابه الأخير. من خلال رفضه لتسمية أعدائه، كان قد أظهر إمّا رغبةً لإنهاء إراقة الدماء أو رهبةً من أنّهم سينقضّون عليه قبل أن يتسنّى له أمر قتلهم. غذّى المتآمرون هذه الشرارة فاستحالت لهباً. خلال يومين، أوّلاً جهاز الحكم ومن ثمّ أمّةٌ انقلبت ضد شخصٍ كاريزماتيّ كان يُبَجّل ويُوَقّر قبل شهرين.

الكاريزما هي من سرعة الزوال والتطاير كالانفعالات التي تثيرها. إنّها تحرّك عواطف الحب في معظم الأحيان. لكن من الصعب المحافظة على مشاعر كهذه. علماء النفس يتحدّثون عن «الإعياء الجنسي أو الشهواني» - وهي اللحظات التالية للحب والتي تشعر فيها أنّك متعبٌ منه وممتعض. الواقع يتسلّل، الحب يتحوّل إلى كره. الإعياء الجنسي أو الشهواني هو تهديدٌ يحيق بكلّ الكاريزماتيّين. غالباً ما يحوز الكاريزماتيّ على الحبّ بواسطة لعب دور المخلّص، أي من خلال إنقاذ الناس من ظرفٍ صعبٍ ما، لكن

بمجرّد ما يشعرون بالأمان، تصبح الكاريزما أقلّ إغوائيّةً لهم. يحتاج الكاريزماتيّون إلى الخطر والمجازفة. هم ليسوا بيروقراطيّين مُتَهادين؛ بعضهم يبقي الخطر مستمرّاً بشكلٍ متعمّد، مثلما تعوّد كل من ديغول وكينيدي، أو كما فعل روبيسبيير في عهد الإرهاب. لكنّ الناس يسأمون من هذا، وينقلبون ضدّك عندما تندُّ عنك أوهى علامة ضعف. وكرههم الآن سوف يضاهي الحب الذي أظهروه من قبل.

الدفاع الوحيد هو أن تفهم الكاريزما التي لديك فهماً كاملاً. وَلَعُك، غضبك، ثقتك تجعلك كاريزماتيّاً، لكن الكثير من الكاريزما ولمدّةٍ طويلة يخلق التعب والإجهاد، ورغبةً بالسكينة والنظام. النوع الأفضل من الكاريزما يُبتَدَع بشكلٍ واعٍ ومتعمّد ويُحْتَفَظُ به تحت السيطرة. تستطيع أن تتوهّج ثقةً واتّقاداً عندما تحتاج إلى ذلك، فتلهب الحشود وتلهمهم. لكن عندما تنتهي المغامرة، تستطيع أن تَركُن إلى الروتين، فتُضعِفُ الحرارة، لكن دون أن تُطفئها. (لربّما روبيسبيير كان يخطّط من أجل هذه الخطوة، لكنّ تخطيطه هذا جاء متأخّراً يوماً واحداً.) سوف يُعجَب الناس بضبطك لنفسك وقدرتك على التكيّف. علاقة الحبّ التي تربطهم بك سوف تدنو من الشعور الاعتيادي الذي يشعر به الزوج والزوجة نحو بعضهما البعض. حتّى أنّه سيتاح لك مجالٌ أن تبدو مملاً وبسيطاً بعض الشيء - الدور الذي بإمكانه أيضاً أن يبدو كاريزماتيّاً، إذا لُعِب بالشكل الصحيح. تذكّر: الكاريزما تعتمد على النجاح، وأفضل طريقةٍ لمواصلة النجاح، بعد الهجمة الكاريزماتيّة المبدئيّة، هي أن تكون عمليّاً بل وحتّى حذراً. ماوتسي تونغ كان رجلاً مُلَغّزاً ومتشامخاً، والذي كان لديه بالنسبة إلى الكثيرين كاريزما تبعث على الرهبة. عانى العديد من النكسات التي كانت ستشكّل نهاية أيّ رجلٍ آخر أقلّ ذكاءً، لكنّه كان يتراجع بعد كلّ هزيمة، فيصبح عمليّاً، حليماً، مرناً؛ أقلّه لبرهةٍ من الزمن. هذا حماه من ردّة فعلٍ عكسيّة.

هناك بديلٌ آخر: أن تلعب دور النبي المزوّد بالسلاح. تبعاً لماكياڤيللي، بالرّغم من أنّ النبي قد يكتسب القوّة من خلال شخصيّته الكاريزماتيّة، إلّا أنّه لن يستطيع أن يصمد طويلاً دون القوّة اللازمة لدعمها. هو يحتاج إلى جيش. العامّة سوف تملّه وتسأم منه؛ فهم بحاجةٍ إلى أن يُجْبَروا. كون النبي مسلّحاً لا يستلزم أسلحة بالمعنى الحرفي، وإنّما يتطلّب جانباً قويّاً من

الشخصيّة، والذي بإمكانك أن تدعمه بالفعل (أي بالعمل). لسوء الحظ فإنّ هذا يعني أن تكون عديم الرحمة مع أعدائك ما دمت ممسكاً بالسلطة. ولا أحد يخلق أعداءً ألدّ ممّا يخلقه الكاريزماتيّ.

أخيراً، لا يوجد شيءٌ أكثر خطورة من أن تَخلُف شخصاً كاريزماتيّاً. هذه الشخصيّات غير تقليديّة، وأسلوبهم في الحكم يكون شخصيّاً، وموسوماً بجموح وتطرّف شخصيّاتهم. غالباً ما يخلّفون فوضى في أثرهم. الشخص الذي يخلفُ الكاريزماتي يجد نفسه في ورطة، والتي لايراها الناس على أيّة حال. هم يُغفِلون ملهمهم ويلومون الخَلَف. تجنّب هذا الوضع مهما كان الثمن. إذا لم يكن بالإمكان تفاديه، فلا تحاول أن تتابع ما قد بدأه الكاريزماتيّ؛ إذهب في اتّجاهٍ آخر. من خلال كونك عمليّاً، جديراً بالثقة، وصريحاً، فإنّك غالباً ما تستطيع أن تولّد نوعاً غريباً من الكاريزما عن طريق التباين. تلك كانت الطريقة التي تدبّر من خلالها هاري ترومان ليس أن يصمد وحسب إزاء إرث روزفلت بل ويؤسّس أيضاً نمطه الخاص من الكاريزما.

النجم

الحياة اليومية قاسية، ومعظمنا يسعى للهروب منها من خلال أحلام اليقظة والمنام. النجوم يتغذون على هذا الضعف؛ ويبرزون عن الآخرين من خلال أسلوبٍ جذابٍ ومميز، فهم يجعلوننا نرغب في مشاهدتهم ومراقبتهم. وفي نفس الوقت يكونون غامضين وأثيريين، محافظين على بعدهم وتَحَفُّظِهم، بحيث يدعوننا نتخيل عنهم أكثر مما يوجد في الحقيقة. خاصيتهم الشبيهة بالأحلام تعمل على اللاوعي لدينا؛ نحن لسنا مدركين حتى لمدى تقليدنا لهم. تعلّم أن تصبحَ محطَّ إعجابٍ وانبهار بواسطة إظهار حضور النجم البرّاق ولكن المحيّر والمراوغ.

النجم المستبد بالشهوة

ذات يوم من عام 1922 في برلين ألمانيا، جرى إعلانٌ عن الحاجة لممثّلة للقيام بدور شابّةٍ شهوانيّة في فيلمٍ يُدعى *مأساة الحب*. من بين مئات الممثّلات المستقتلات اللواتي ظهرن، فإنّ معظمهنّ كنّ على استعدادٍ للقيام بأيّ شيء للحصول على انتباه المخرج، بما في ذلك عرض أنفسهنّ عليه. على أيّ حال فقد كانت هنالك امرأةٌ شابّةٌ في الرتل، والتي كانت ترتدي بشكلٍ بسيط، ولم تقم بأيّة واحدةٍ من التصرّفات اليائسة والغريبة اللاتي قامت بها الفتيات الأخريات. ومع ذلك فقد برزت بأيّة حال.

الوجه الهادئ الوضّاء الذي لم يكن يطلب أيّ شيء، الذي كان ببساطة موجوداً ومنتظراً ـ هو اعتقد أنّه كان وجهاً خالياً؛ وجهاً يمكن أن تعتريه أيّ نسمة تعبير. كان المرء يستطيع أن يتخيّل فيه أيّ شيء. لقد كان أشبه بمنزلٍ خاوٍ جميل ينتظر السجّادات والصور. كان يتحلّى بجميع الإمكانات ـ كان يمكن أن يصبح قصراً أو ماخوراً. كان ذلك يعتمد على الشخص الذي يملؤه. كم كان محدوداً

الفتاة كانت تحمل جرواً يرتدي الطوق، وكانت قد زيّنت عنق الجرو بقلادةٍ أنيقة. لاحظها على الفور المخرج المسؤول عن توزيع الأدوار. راقبها بينما كانت تقف في الصف، وهي تحمل الجرو بهدوءٍ بين ذراعيها منكفئةً على نفسها. عندما كانت تدخنّ، فإنّها كانت تفعل ذلك ببطء وبطريقةٍ موحية. افتُتن بساقيها ووجهها، والطريقة المتلويّة التي كانت تمشي بها، ولمسة البرودة في عينيها. في الوقت الذي وصلت فيه إلى المقدّمة، كان قد اختارها أساساً. اسمها كان مارلين ديتريتش.

بحلول عام 1929، عندما قدم المخرج النمساوي ـ الأمريكي جوزيف فون شتيرنبرغ إلى برلين ليبدأ العمل بفيلم *الملاك الأزرق*، كانت ديتريتش البالغة من العمر السابعة والعشرين ذائعة الصيت في عالم السينما والمسرح في برلين. فيلم *الملاك الأزرق* كان عن امرأةٍ تدعى لولا ـ لولا والتي كانت تنقضّ على الرجال بطريقةٍ ساديّة؛ كل صفوة ممثّلات برلين أَرَدن الدور ـ باستثناء (وذلك في الظاهر) ديتريتش التي حرصت على أن يعرف الغير أنّها

تنظر إلى الدور على أنّه يحطّ من القدر؛ لذا كان على فون شتيرنبرغ أن يختار من الممثّلات الأخريات اللاتي كنّ في ذهنه. بعد وصوله إلى برلين بفترةٍ قصيرة، على أيّ حال، فقد حضر فون شتيرنبرغ مسرحيّةً موسيقيّة لكي يشاهد ممثّلاً (رجلاً) كان يفكّر في أن يسند له دوراً في *الملاك الأزرق*. كانت ديتريتش نجمة المسرحيّة، وحالما ظهرت على الخشبة، فقد وجد فون شتيرنبرغ أنّه لا يستطيع أن يرفع ناظريه عنها. حدّقت فيه بشكلٍ مباشر ووقح، كتحديقة الرجال؛ ومن ثمّ كانت هناك تلك الساقان، والطريقة التي اتّكأت فيها بشكلٍ مثيرٍ على الحائط. نسي فون شتيرنبرغ أمر الممثّل الذي كان قد قدم لرؤيته. كان قد وجد ضالّته (لولا ـ لولاهُ.)

بالمقارنة كلّ ما كان منجزاً ومصنّفاً أساساً.

ـ إيريك ماريا ريمارك، عن مارلين ديتريتش، *قوس النصر*

تدبّر فون شترنبرغ أن يقنع ديتريتش بأن تأخذ الدور، وباشر العمل على الفور، مشكّلاً إيّاها على شاكلة لولا التي صوّرها في مخيّلته. غيّر شعرها ورسم خطّاً فضّياً على أنفها ليجعلها تبدو أنحف، وعلّمها أن تنظر إلى الكاميرا بنفس الوقاحة والغطرسة اللتين كان قد رآهما على الخشبة. عندما بدأ التصوير، فقد خلق نظام إضاءةٍ خاصّاً بها لوحدها ـ ضوءٌ يتعقّبها أينما ذهبت، ووُضّح هذا الضّوء بشكلٍ استراتيجيّ بواسطة الضباب والدخان. إذ كان مهووساً «بصنيعته»، فقد تبعها حيثما ذهبت. لم يكن يسمح لأيّ شخصٍ بالاقتراب منها.

مارلين ديتريتش ليست ممثّلةً، على شاكلة سارة برناردت؛ وإنّما أسطورة، على غرار فراين.

ـ مقتبس عن آندريه مالرو من *النجوم*، إدجار مورين، ترجمة ريتشارد هاورد

حقّق *الملاك الأزرق* نجاحاً باهراً في ألمانيا. افتتن الجمهور بديتريتش: بتلك النظرة القاسية الباردة التي تلوح في عينيها وهي تباعد ما بين ساقيها على الكرسي، كاشفةً بذلك ثوبها التحتي؛ بطريقتها في نيل الانتباه على الشاشة ودون أدنى مشقّة. هُوِسَ بها آخرون عدا عن فون شتيرنبرغ. كانت الأمنية الأخيرة لرجلٍ يُحتضر من السرطان، الكونت ساشا كولوفرات، أن يرى ساقي مارلين شخصيّاً. لبّت ديتريتش طلبه، إذ زارته في المستشفى ورفعت تنّورتها؛ تنهّد وقال «شكراً لك. أستطيع الآن أن أموت وأنا سعيد.» سرعان ما أحضرت ستوديوهات باراماونت ديتريتش إلى هوليوود، حيث ما لبث الجميع أن تحدّث عنها. في الحفلات، كانت جميع العيون تتّجه إليها عندما تدخل إلى الغرفة. كانت تُرافَق من قبل أشدّ الرجال وسامةً في

عندما رأى بيجماليون هؤلاء النسوة، وهنّ يعشن هكذا حياة مولعة بالأذى، فقد ثارت ثائرته ضدّ العيوب الكثيرة التي غرستها الطبيعة في الجنس الأنثوي، وكان قد عاش لمدّةٍ طويلة كأعزب، دون أن

هوليوود، وكانت ترتدي ثياباً جميلةً وغير اعتياديّة في آنٍ معاً ـ بيجامةٌ من نسيجٍ تتخلّله خيوطٌ من الذهب، بذلة بحّار مع قبّعةٍ على شكل يخت. في اليوم التالي كان ذلك الزّي أو المظهر يُستَنسَخ من قبل حميع نساء المدينة؛ ثمّ كان يمتد إلى المجلاّت، حيث تبدأ صيحةٌ جديدةٌ كلّياً في عالم الموضة.

لكن موضع الافتتان الحقيقي كان وجهها بلا ريب. الأمر الذي أسر فون شتيرنبرغ كان خلوّ وجهها من التعبير والانفعال ـ حيث كان يستطيع بالاعتماد على خدعة إضاءةٍ بسيطة أن يصنع من ذلك الوجه أيّ شيءٍ يريد. توقّفت ديتريتش أخيراً عن العمل مع فون شتيرنبرغ، لكنّها لم تنسَ ما كان قد علّمها. ذات ليلةٍ في عام 1951، كان المخرج فريتز لانغ ـ الذي كان بصدد أن يوجّهها في فيلم *المزرعة السيّئة الصيت* ـ يقود سيّارته بمحاذاة مكتبه عندما رأى وميض ضوءٍ من النافذة. فترجّل من سيّارته، مخافة السطو، ثمّ صعد على الدرج ببطءٍ وحذر واختلس النظر من شقٍّ في الباب: لقد كانت ديتريتش تلتقط صوراً لنفسها في المرآة، وتدرس وجهها من جميع الزوايا.

تشاركه منزله أيّة زوجة. لكنّه في تلك الأثناء، واعتماداً على موهبةٍ فنيّةٍ رائعة، قام ببراعة بنحت تمثالٍ من العاج الثلجيّ البياض. جعله مُحَبَباً إلى النفس أكثر من أيّ امرأةٍ على وجه البسيطة، ووقع في حبّ إبداعه الخاصّ. تمتع التمثال بكلّ مظاهر الفتاة الحقيقيّة، حيث أنّه بدا حيّاً، ويريد التحرك، إن لم يمنعنا الحياء من قول ذلك. كانت تحفته تخفي بذكاءٍ بالغ أنّها تحفة. حدّق بيجماليون بتعجّب، وبزغ في قلبه حبٌّ شغوفٌ لهذه الصورة ذات الشكل البشري. كثيراً ما مرّر يديه على التحفة، متحسّساً إيّاها ليرى فيما إذا كانت من اللحم أو العاج، ومع ذلك فإنّه لم يكن ليعترف أنّها كانت بأكملها من العاج. كان يقبّل التمثال،

كانت مارلين ديتريتش تقف على مسافةٍ من نفسها: أي أنّها كانت تستطيع أن تدرس وجهها، رجليها، جسمها، كما لو كانت شخصاً آخر. هذا أعطاها القدرة على صياغة شكلها، محوّلةً مظهرها للتأثير في الآخرين. كانت تستطيع التوضّع تماماً بالطريقة التي من شأنها أن تثير الرجل كأشد ما تكون الإثارة، خلوّ وجهها من التعبير كان يدع الرجل يراها وفقاً لأهوائه ونزواته، أكانت هذه النزوات تتمحور حول الساديّة، الحسّية، أو الخطر. وكان كلّ رجلٍ يلتقي بها أو يشاهدها على الشاشة، يستغرق في خيالاتٍ متّصلة عنها. فعل الأثر مفعوله مع النساء أيضاً؛ فقد كانت تُظهِر خصائص «الجنس دون أن يكون لها جنس.» تبعاً لتعبير أحد الكتّاب. لكن هذه المسافة ما بينها وبين نفسها أضفت عليها بروداً (جفاءً) معيّناً، أكان على الشاشة أو على المستوى الشخصي. كانت مثل شيءٍ جميل، شيءٌ يثير الهوس به ويستبدّ هو وحده دون غيره بالرّغبة ونُعجَب به بالطريقة التي نُعجَب بعملٍ فنّي.

الفَتِش أو البدّ هو غرضٌ أو شيء يولّد استجابةً عاطفيّة ويجعلنا ننفخ

الحياة فيه. بما أنّه غرض فإنّنا نستطيع أن نتخيّل أيّ شيءٍ بصدده. إنّ معظم الناس متقلّبو المزاج، معقّدون، وتحكمهم ردّات فعلهم بشكلٍ كبير بحيث لا نستطيع أن نراهم كأشياء نستطيع الهوس والولع بها (لا نستطيع أن نُضفي عليها بعداً فَتِشيّاً.) قوّة النجم المستبد بالشهوة (كَفِتش) تأتي من القدرة على أن يصبح غرضاً أو شيئاً، وليس أيّ غرض وإنّما غرضٌ نتعلّق به تعلّقاً شديداً ويستبدّ لوحده بإعجابنا وهوسنا، غرضٌ يحفّز تخيّلاتٍ ونزواتٍ عدّة. النّجوم الفَتشيّون (المستبدّون بالشهوة) هم مثال الكمال، كتمثال إلهٍ أو إلهةٍ يونانيّة. الأثر يكون مذهلاً ومغوياً. شرطه الأساسي هو البعد عن الذات (المسافة الفاصلة ما بين الشخص ونفسه.) إذا كنت ترى نفسك كغرض، فسيراك الآخرون كذلك. مظهرٌ أثيريّ وشبيهٌ بالأحلام سوف يعزّز الأثر.

أنت شاشةٌ بيضاء. اطفُ عبر الحياة دون التزامات أو عهود ولسوف يرغب الناس بالاستيلاء عليك والاستغراق فيك والتهامك. من بين جميع أعضاء جسمك التي تسترعي انتباهاً هوسيّاً (فتشيّاً)، فإنّ أقواها هو الوجه؛ لذا تعلّم أن تُدَوزِن وجهك كأداةٍ موسيقيّة، جاعلاً إيّاه يشعّ بغموضٍ ساحر للتأثير في الآخرين. ونظراً لأنّك ستضطرّ إلى أن تبزّ النجوم الآخرين أو تبرز أكثر منهم، فأنت تحتاج لأن تطوّر أسلوباً يتّسم بلفت الانتباه. كانت ديتريتش ممارسةً فذّةً لهذا الفن، أسلوبها كان أنيقاً بما فيه الكفاية حتّى يُبهِر، غريباً بما فيه الكفاية حتّى يستعبد ويأسر. تذكّر، صورتك وحضورك الخاصّين هما موادّ تستطيع التّحكّم بها. الإحساس بأنّك منخرطٌ بهذه النوع من اللعب سيجعل الناس يرونك على أنّك متفوّقٌ وأسمى منزلةً، وأنّك جديرٌ بالتقليد.

كان لديها هكذا طريقة طبيعيّة في المشي والقعود ... هكذا اقتصادٌ بالإيماءات، بحيث أصبحت تستحوذ على الانتباه كمودجيلياني (الرسام والنحّات الإيطالي)... كان لديها خاصّية النجوميّة الأساسيّة والأولى: كان بإمكانها أن تكون مهيبةً وفخمةً من خلال عدم فعلها لأيّ شيء.

- الممثّلة البرلينيّة ليلي دارڤاس في معرض حديثها عن مارلين ديتريتش

ويتخيّل أنّ التمثال يردّ له القبلة، ويتحدّث إليه ويعانقه، وظنّ بأنّه كان يشعر بأصابعه تغوصُ في الأوصال التي يلمسها، لذا فقد كان يخشى من أن تظهر كدماتٌ حيث كان يضغط اللحم. في بعض الأحيان كان يخاطبه مطرياً، وفي أحيانٍ أخرى كان يجلب له هدايا من النوع الذي تستمتع به الفتيات... كان يُلبس التمثال بأثواب النساء، ويضع الخواتم في أصابعه، وقلاداتٍ طويلة حول عنقه..... كلّ هذه الحليّ أصبحت أيضاً جزءاً من الصورة، التي لم تكن أقلّ جمالاً بدونها. وضع بيجماليون التحفة بعدئذٍ على أريكةٍ مغطّاةٍ بأقمشةٍ أرجوانيّة، وأسند رأسها على وساداتٍ ناعمة كي يرتاح، كما لو أنّه كان

النجم الأسطوري

في 2 تموز من عام 1960، قبل عدّة أسابيع من مؤتمر تلك السنة القومي الديمقراطي، أعلن الرئيس السابق هاري ترومان على الملأ أن جون إف كينيدي ـ الذي كان قد حصل على دعم عددٍ كافٍ من المندوبين لكي يتمّ اختياره كمرشّح حزبه للرئاسة ـ كان غرّاً وقليل الخبرة جدّاً بالنسبة لهذا المنصب. استجابة كينيدي كانت مذهلة: دعا إلى مؤتمرٍ صحفيّ يُبَثّ على الهواء مباشرةً وفي كلّ أرجاء الأمّة، في 4 حزيران. أبرزَت دراميّة المؤتمر من خلال واقع أنّه كان في إجازة، ولذلك فلم يره أو يتّصل به أيّ شخصٍ إلى أن آن أوان الحدث نفسه. عندها، في الموعد المقرّر، دخل كينيدي غرفة المؤتمر بخطىً واسعة كعمدةٍ يدخل مدينة دودج. بدأ بذكر أنّه كان قد خاض في جميع الانتخابات الخاصّة باختيار مرشّحين للرئاسة عن حزبه، بكلفةٍ معتبرة من المال والجهد، وأنّه قد هزم خصومه على نحوٍ عادلٍ وقاطع. فمن يكون ترومان حتّى يدور حول العمليّة الديمقراطيّة؟ «هذا البلد بلدٌ فتيّ،» مضى كينيدي في حديثه، وأصبح صوته أكثر ارتفاعاً، «أوجِدَ من قبل رجالٍ يافعين ... ولا يزال فتيّ القلب... العالم متغيّر، الأساليب القديمة لن تجدي نفعاً، ... حان الوقت من أجل جيلٍ جديدٍ من القادة يكون بمستوى المشكلات الجديدة والفرص الجديدة.» حتّى أعداء كينيدي وافقوا على أنّ خطابه ذلك اليوم كان محرّكاً للمشاعر. أدار تحدّي ترومان رأساً على عقب: المشكلة لم تكن قلّة خبرته وإنّما احتكار الجيل القديم للسلطة. كان أسلوبه بنفس بلاغة كلماته، فأداؤه استدعى إلى الذهن أفلاماً من تلك الحقبة ـ ألان لاد في *شان* وهو يواجه أصحاب مربي الماشية الفاسدين الأكبر سنّاً، أو جيمس دين في *ثورةٌ بلا قضيّة*. كان كينيدي يشابه دين حتّى، وخاصّةً بسيماء الاستقلاليّة والتحفّظ الهادئ.

بعد عدّة أشهر، بعد أن تمّت الموافقة عليه كمرشّح الديمقراطيّين، اتّخذ كينيدي وضعيّة القتال ضد خصمه الجمهوري، ريتشارد نيكسون. كان نيكسون حادّ الذهن؛ وعلم الإجابات اللازمة للأسئلة التي كانت ستطرح وحاور باعتدادٍ بالنّفس، وهو يورد إحصاءاتٍ لإنجازات إدارة آيزنهاور، التي خدم فيها كنائب رئيس. لكن تحت أضواء الكاميرات، على شاشات الأبيض والأسود، فقد كانت صورته كالأشباح ـ ذقنه التي كانت تحتاج إلى حلاقةٍ

بمقدورها أن تقدّرها، ودعاها رفيقة سريره.
• مهرجان ڤينوس، الذي لا يُحتَفَل بغيره بمثل هكذا أبهة في كلّ قبرص، كان يجري عندئذٍ، والبقرات الصغيرات، ذوات القرون المعقوفة والمطليّة بالذهب من أجل المناسبة، كانت تتساقط عند المذبح بينما كان الفأس يدقّ أعناقهنّ الثلجيّة البياض. كان الدخان يتصاعد من البخور عندما كان بيجماليون واقفاً عند المذبح، بعد أن قدم قربانه، وهو يصلّي بخشوع، قائلاً: «إذا كنتم أيها الآلهة قادرين على وهب كلّ الأشياء، فأنا أدعو أن تكون زوجتي» ـ لم يجرؤ على القول: «العذراء العاجيّة،» بل أنهى بقوله: «واحدةٌ مثل العذراء العاجيّة.» إلّا أنّ ڤينوس الشقراء، التي كانت حاضرةً شخصيّاً في عيدها،

أخرى في المساء (لسرعة نموّها وكثافتها) كانت مغطّاةً بالبودرة، آثارٌ من العرق كانت على حاجبيه وخدّيه، كان وجهه ينضح بالتعب وعينيه تَطرُفان وتنظران في كل الاتّجاهات، وجسده متصلّباً. ما الذي كان يقلقه لهذه الدرجة؟ التباين بينه وبين كينيدي كان مروّعاً. كم كان حريٌّ بنيكسون أن ينظر إلى خصمه كينيدي الذي نظر في عيون جمهوره مباشرةً وخاطبهم في غرف نومهم كما لم يفعل أيّ سياسيٍّ من قبل. إذا تكلّم نيكسون بلغة الأرقام والتفاصيل، فإنّ كينيدي تكلّم عن الحرّية، عن بناء مجتمعٍ جديد، عن استعادة روح أمريكا الطليعيّة والرياديّة. أسلوبه كان صادقاً وتوكيديّاً. لم تكن كلماته محدّدة، لكنّه جعل مستمعيه يتخيّلون مستقبلاً باهراً.

فهمت مغزى الصلاة وكإشارةٍ إلى أنّ الآلهة كانت مطبوعةً على الكرم والرقّة، فإنّ النار اشتعلت ثلاثاً، مطلقةً لساناً من النار عبر الهواء. عندما عاد بيجماليون إلى بيته فقد توجّه مباشرةً إلى تمثال الفتاة التي أحبّ، انحنى فوق الأريكة، وقبلها. بدت دافئةً: وضع شفتيه عليها ثانيةً، ولمس ثديها بيديه ـ فقد العاج قساوته لدى لمسته وأصبح طريّاً.

ـ أوڤيد، *التحوّل*، ترجمة ماريم. إنس

في اليوم التالي للمناظرة، حلّقت أسهم كينيدي في استطلاعات الرأي بطريقةٍ عجائبيّة، وحيثما ذهب كانت تستقبله حشود الفتيات بهتافات الاستحسان والتهليل وهنّ يقفزن ويصرخن. زوجته الجميلة جاكي كينيدي كانت بجانبه، لقد كان أميراً ديمقراطيّاً إن جاز التعبير. الآن أصبحت ظهوراته المتلفزة عبارة عن أحداث. انتُخِبَ رئيساً في تلك الدورة الانتخابيّة، وكان خطاب التولية الذي قام به ـ الذي بُثَّ أيضاً على التلفزيون ـ محرّكاً للمشاعر. كان يوماً شتويّاً وبارداً. في الخلفيّة جلس آيزنهاور متكوّراً بمعطفٍ ووشاح، وقد بدا مسنّاً ومهزوماً. لكنّ كينيدي وقف حاسر الرأس ودون معطف ليخاطب الأمّة: «لا أعتقد أنّ أيّ واحدٍ منّا على استعدادٍ لتبادل المواقع مع أيِّ شعبٍ أو أيِّ جيلٍ آخر. الطاقة، الإيمان، التفاني الذين نستحضرهم في هذا المسعى ستنير بلدنا وكل الذين يخدموه ـ ووهج تلك النار يستطيع بحق أن ينير العالم.»

جلب جون إف كينيدي إلى الأخبار المتلفزة والصحافة المصوّرة المكوِّنين الأكثر تفشّياً في عالم الأفلام: صفة النجوميّة والقصّة الأسطوريّة. مع الشكل الملائم للعرض على

عبر الشهور التي تلت، قام كينيدي بمؤتمرات صحفيّة لا تُعَد ولا تُحصى أمام كاميرات التلفزة، الأمر الذي لم يجرؤ على فعله أيّ رئيسٍ سابق. لم يكن خائفاً في مواجهة وابل العدسات والأسئلة، بل تحدّث ببرودة أعصاب وبقليلٍ من السخرية. ما الذي كان يدور خلف تلك العينين وتلك الابتسامة؟ أراد الناس معرفة المزيد عنه. أغاظت المجلاّت قرّاءها بالمعلومات ـ صور لكينيدي مع زوجته وأطفاله، أو وهو يلعب كرة القدم على مرج البيت الأبيض، خلقت المقابلات الإحساس بأنّه رجلٌ كرّس نفسه لأسرته، وبأنّه، على الرّغم من ذلك، رجلٌ يختلط مع النجوم الساحرين كندٍّ لهم. انصهرت

جميع الصور في بوتقةٍ واحدة ـ سباق الفضاء، وكالة السلام، مواجهة كينيدي للسوڤييت بشجاعة أثناء أزمة الصواريخ الكوبيّة، تماماً كما كان قد واجه ترومان.

بعد اغتيال كينيدي، قالت جاكي في مقابلة أنّه كان يستمع قبل ذهابه إلى النوم إلى مسرحيّات برودواي الموسيقيّة، والمسرحيّة المفضّلة بالنسبة إليه كانت *كاميلوت*، وبالتحديد المقطع الذي يقول: «لا تدع للنسيان/ أنّه كان هنالك ذات مرّة مكان/ للحظةٍ قصيرةٍ ساطعةٍ/ كان ذلك المكان يُعرَفُ باسم كاميلوت. سيكون هنالك مجدّداً رؤساء عظماء، قالت جاكي، لكن لن يكون هنالك أبداً «كاميلوت آخر.» بدا أنّ اسم «كاميلوت» قد تشبّث بالأذهان، جاعلاً من الألف اليوم التي قضاها كينيدي في المكتب ترنّ كالأسطورة.

إغواء كينيدي للشعب الأمريكي كان مُتَعَمّداً ومدروساً. هذا الإغواء غلب عليه أيضاً الطابع الهوليوودي أكثر من الواشنطني، الأمر الذي لم يكن ليفاجئ: فوالد كينيدي، جوزيف، كان منتج أفلامٍ ذات مرّة، وكينيدي نفسه كان قد أمضى بعض الوقت في هوليوود، وهو يعاشر الممثّلين دون كلفة محاولاً أن يتصوّر ما الذي جعلهم نجوماً. افتُتِن بشكلٍ خاص بكلّ من، غاري كوبر، مونتغمري كليفت، وكاري غرانت؛ وغالباً ما كان يتّصل بغرانت طلباً للنصيحة.

هوليوود كانت قد وجدت طريقةً لتوحيد البلد بأكمله حول مواضيع، أو أساطير معيّنة ـ غالباً الأسطورة الأمريكيّة العظيمة عن الغرب. جسّد النجوم العظام أنماطاً خرافيّة (أسطوريّة): جون واين جسّد البطريرك، كليفت الثائر البروميثيوسي (نسبةً إلى بروميثيوس الذي سرق النار من السماء وعلّم البشر استعمالها: المترجم)، جيمي ستيوارت البطل النبيل، مارلين مونرو الحوريّة. هؤلاء لم يكونوا مجرّد بشرٍ فانين وإنّما آلهةً وإلاهاتٍ تتمحور حولهم الأحلام والخيالات. كانت كل أفعال وحركات كينيدي قد أُطِّرَت بأعراف هوليوود وأُفرِغَت في قوالبها. لم يتجادل مع خصومه، وإنّما واجههم بطريقةٍ دراماتيكيّة (مسرحيّة). كان يتّخذ وضعيّاتٍ (أي يقف أو يجلس

التلفزيون، مهارات تقديم النفس، الفانتازيات البطوليّة، والذكاء الإبداعي، فإنّ كينيدي كان جاهزاً بألمعيّة لإظهار شخصيّةٍ تلفيزيونيّة مهمّة. أخذ من غير إذنٍ لغة ومواضيع ثقافة الجماهير، وخاصّةً من هوليوود، ونقلها إلى الأخبار. من خلال هذه الاستراتيجيّة فقد جعل الأخبار أشبه بالأحلام والأفلام ـ والأخيرة هي حقل تمثّل فيه الصور السيناريوهات التي تنسجم مع أعمق أتواق المُشاهِد... لم يظهر أبداً في فيلمٍ حقيقيّ، لكنّه بالأحرى حوّل جهاز التلفزيون إلى شاشة السينما الخاصّة به، فأصبح أعظم نجمٍ سينمائيّ في القرن العشرين.

ـ جون هِلمان، هوس *كينيدي: أسطورة*

بطريقةٍ معيّنة للفت النظر) وبطرقٍ تسحر الناظر ـ أكان مع زوجته، مع أطفاله، أم لوحده على المنصّة. كان يستنسخ التعابير الوجهيّة، الحضور، لعميدٍ أو صانع براميل. لم يناقش تفاصيل السياسة ولكنّه كان يصبح فصيحاً حيال المواضيع الأسطوريّة الكبرى، من النوع الذي من شأنه أن يوحّد أمّةً منقسمة. وكلّ هذا كان مُعَدّاً للتلفزيون، فكينيدي وُجِدَ في المقام الأوّل كصورةٍ على التلفاز. تلك الصورة لازمت أحلامنا. حرّك كينيدي قبل اغتياله بوقتٍ غير قليل أحلاماً عن براءة أمريكا الضائعة من خلال ندائه لاستنهاض الروح الرياديّة، وتجلّى نداؤه هذا من خلال ما يعرف بالتخم الجديد (وهو برنامجٌ تشريعيّ قُدِّم في عهد الرئيس كينيدي ويتضمّن تشريعاتٍ اجتماعيّة واقتصاديّة وقوانين الإسكان والحد الأدنى من الأجور وإنشاء وكالة السلام: المترجم.)

جون إف كينيدي الأمريكية

من بين جميع أنماط الشخصيّة، لربّما يكون النجم الأسطوري هو الأقوى على الإطلاق. ينقسم الناس وفقاً لجميع الفئات المُدرَكة بشكلٍ واعٍ ـ العرق، الجنس، الطبقة، الدين، التوجّه السياسي. لذا فإنّه من المستحيل أن تحرز السلطة على نطاقٍ واسع، أو أن تفوز بالانتخابات، من خلال الاعتماد على إدراكٍ واعٍ؛ فمناشدة أيّ فئةٍ بعينها لن تؤدّي سوى إلى إقصاءِ أخرى. لكن في اللاوعي فهنالك الكثير ممّا نشترك به. كلّنا فانون، كلّنا نعلم الخوف، كلّنا قد وُسِمنا بوسمة آبائنا وشخصيّاتهم؛ ولا شيء يناشد ويستحضر هذه التجربة المشتركة أكثر من الأسطورة. أنماط الأسطورة ـ التي تلد نتيجة الصراع ما بين مشاعر العجز من جهة والتعطّش للخلود من جهةٍ أخرى ـ تكون مطبوعةً في أعماق ذهن كلّ واحدٍ فينا.

لكنّنا قد رأينا أنّ تاريخ النجوم، إذا اعتبرناه كظاهرةٍ إجمالية، يكرر، بما يتناسب مع مداه وحجمه، تاريخ الآلهة. فأمام الآلهة (أمام النجوم) فإنّ الكون الأسطوريّ (الشاشة) كان مأهولاً بالأشباح أو الأطياف المحبّبة بسحر وفتنة القرين عند الآلهة (البديل عند النجم.)

النجوم الأسطوريّون هم رموز أسطورة وقد بُعِثَت فيها (في الرموز) الحياة. لكي تنتحل قواهم، فعليك أوّلاً أن تدرس حضورهم الجسماني ـ كيف يتبنّون أسلوباً مميّزاً، وكيف يكونون باردي الأعصاب ويأسرون الأبصار. ومن ثمّ عليك أن تنتحل وضعة (وقفة) الشخصيّة الأسطوريّة: الثائر، البطريرك الحكيم، المغامر. (وضعة النجم الذي اتّخذ أحد هذه الوقفات الأسطوريّة قد تفي بالمطلوب.) اجعل هذه الصلات خفيّة؛ فلا يجب أبداً أن تكون واضحةً بالنسبة للعقل الواعي. كلماتك وأفعالك يجب أن تستدعي تأويلاتٍ أبعد من مظهرها السطحي؛ يجب أن تبدو أنّك تتعامل

• عدّةٌ من هذه التجلّيات قد اتّخذت بالتدريج هيئةً وقواماً، أخذت شكلاً وتضخّمت وأزهرت لتصبح آلهةً وإلاهات. وبينما كانت بعض آلهة الهيكل الرئيسية تقوم بتحويل نفسها إلى آلهة الخلاص الأبطال، فإنّ الإلاهات ـ النجمات

ليس مع قضايا محدّدة وأساسيّة وتفاصيل وإنّما مع قضايا حياةٍ وموت، حب وكره، سلطانٌ وفوضى. خصمك، على نحوٍ مشابه، يجب أن يُؤطَّر ليس كمجرّد عدوّ لأسبابٍ تتّصل بالآيديولوجيا أو المنافسة وإنّما كنذلٍ ووغدٍ وشيطان. الناس سريعو التأثّر جدّاً بالأسطورة، لذا فاجعل نفسك بطل دراما عظيمة. واحتفظ بمسافتك ـ دع الناس يتماهون معك دون أن يكونون قادرين على لمسك. هم يستطيعون فقط أن يشاهدوا ويحلموا.

حياة جاك كانت على علاقةٍ بالخرافة، السحر، الأسطورة، القصص البطوليّة، والرواية، أكثر ممّا كانت مع النظريّات والعلوم السياسيّة.

ـ جاكلين كينيدي، بعد أسبوع من وفاة جون كينيدي

المفاتيح إلى الشخصيّة

الإغواء هو نوع من الإغواء الذي يسعى لأن يتجاوز الوعي، وأن يحرّك العقل اللاواعي بدلاً من ذلك. السبب من وراء ذلك بسيط: نحن محاطون كثيراً بالحوافز التي تتنافس لنيل انتباهنا، وتُمطِرنا برسائل واضحة، وبالناس المتلاعبين والسياسيّين بشكلٍ علني وصريح، والذين نادراً ما نُسحَرُ أو نُخدَع بهم. لقد أصبحنا بشكلٍ متزايد أكثر تشكيكاً بنبل الدوافع الإنسانيّة وغيريّتها. حاولْ أن تقنع شخصاً من خلال مخاطبة وعيه، من خلال قول ما تريد بصراحة ومن دون تحفّظ، من خلال كشف كل أوراقك، وعلى ماذا تأمل أن تحصل؟ أنت مجرّد إزعاجٍ آخر يجب تجاهله.

لكي تتحاشى هذا المصير عليك أن تتعلّم فن الإيحاء، أي فن الوصول إلى اللاوعي. التعبير الأكثر إفصاحاً عن اللاوعي هو الحلم، الذي يتّصل بطريقةٍ معقّدة بالأسطورة؛ عندما نستيقظ من حلم، فإنّه غالباً ما تلازمنا صوره ورسائله الملتبسة. تشكّل الأحلام هاجساً لنا وتستبد بأفكارنا لأنّها تمزج الحقيقي مع غير الحقيقي. هي مليئة بالأشخاص الحقيقيّين، وغالباً ما تتعامل مع أوضاع حقيقيّة، ومع ذلك فهي غير عقلانيّة بطريقة سارّة، حيث

يقمن بأنسنة أنفسهنّ ليصبحن وسيطاتٍ جدد ما بين عالم الأحلام الخيالي وبين حياة الرجل اليوميّة على الأرض... • أبطال الأفلام ... هم، وبطريقةٍ هزيلة، أبطالٌ أسطوريّون من ناحية أنّهم يصبحون ذوي صفاتٍ أسمى من صفات البشر. النجم هو ممثّل/لة يتشرّب بعضاً من الجوهر البطولي لبطل/لة الفيلم ـ أي الجوهر السماوي والأسطوري ـ والذي يغني بدوره هذه المادّة أو الجوهر من خلال مساهمته/ها الخاصّة. عندما نتكلّم عن أسطورة النجم، فإنّ أوّل شيءٍ نعنيه هو عمليّة التأليه التي يخضع لها الممثّل، وهي العمليّة التي تجعله معبود الجماهير.

ـ إدجار مورين، *النجوم*. ترجمة ريتشارد هاورد

تدفع بالحقائق إلى أقاصي الإثارة والتشويق. إذا كان كلّ شيءٍ في الحلم حقيقيّاً، فلن يكون له قوّةٌ علينا؛ إذا كان كلّ شيءٍ غير حقيقيّ، فسنشعر بأنّنا أقلّ تعلّقاً وانشغالاً بمسرّاته ومخاوفه. صهره للعنصرين (الحقيقي وغير الحقيقي) هو ما يجعله ينتابنا ويطاردنا. هذا ما أطلق عليه فرويد اسم «الخارق للطبيعة»: شيءٌ يبدو غريباً ومألوفاً في آنٍ معاً.

نحن نختبر أحياناً الخارق للطبيعة في حياة اليقظة - في الديجاڤو (وهو شعور المرء بأنّه قد اختبر تجربةً ما من قبل بالرغم من أنّه في الحقيقة يختبر هذه التجربة للمرّة الأولى: المترجم)، مصادفة عجائبيّة، حدثٌ غريب يعيد إلى الذهن تجربةً من الطفولة. بإمكان الناس أن يكون لهم تأثيرٌ مشابه. الإيماءات، الكلمات، وجود رجالٍ مثل كينيدي وآندي وارهول، على سبيل المثال، يستدعون ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي على حدٍّ سواء: قد لا ندرك هذا (وكيف يمكننا حقّاً؟)، لكنّهم مثل رموز الأحلام وشخوصها بالنسبة لنا. لديهم خصائص تُرسيهم في الواقع - إخلاصهم، مرحهم، شهوانيتهم - لكن في نفس الوقت فإنّ تحفّظهم (عدم إبدائهم اهتماماً أو عطفاً)، تشامخهم، وخاصيّاتهم التي تكاد تكون سرياليّة (غير مألوفة وعجيبة بحيث تبدو أنّها لا تنتمي للواقع) تجعلهم يبدون كشيءٍ يخرج من عالم الأفلام.

لهذه الأنماط أثرٌ استحواذيّ ومستبدٌّ على الناس. سواءٌ على المستوى العام أم الخاص، فهم يُغووننا ويجعلوننا نرغب بتملّكهم من كلتا الناحيتين الجسديّة والنفسيّة. لكنّنا كيف يمكن أن نتملّك شخصاً من عالم الأحلام، أو نجماً سينمائيّاً أو سياسيّاً، أو حتّى واحداً من فاتني وساحري الحياة الحقيقيّة، مثل وارهول، الذين قد يعبرون مسارنا؟ نصبح مهووسين بهم كوننا غير قادرين على الحصول عليهم - هم ينتابون أفكارنا، أحلامنا وتخيّلاتنا. نحن نقلّدهم باللاوعي. عالم النفس ساندور فيرينتزي يسمّي هذه الظاهرة بـ «تبنّي قيم الغير»: شخصٌ آخر يصبح جزءاً من الأنا الخاص بنا، نحن ندمج شخصه في نفسنا بحيث يصبح مبدأً هادياً. تلك هي القوّة الإغوائيّة الغادرة للنجم، قوّةٌ تستطيع انتحالها من خلال تحويل نفسك إلى شيفرة، أي إلى مزيج من الحقيقي وغير الحقيقي. معظم الناس عاديّون ومبتذلون وتافهون

العمر: 22، الجنس: أنثى، الجنسيّة بريطانيّة، المهنة: طالبة طبّ «[ديانا دوربين] أصبحت معبودتي السينمائيّة الأولى والوحيدة. أردت أن أشبهها قدر الإمكان، بكلٍّ من سلوكي وثيابي. كلّما كنت بصدد جلب ثوبٍ جديد، فإنّي كنت أبحث في مجموعتي عن صورةٍ جميلةٍ على نحوٍ خاصّ لديانا وأطلب ثوباً مشابهاً للذي ترتديه. كنت أسرّح شعري بحيث يصبح شبيهاً بشعرها قدر استطاعتي. إذا وجدت نفسي في أيّ موقفٍ مزعجٍ أو مثير فإنّي كنت أتساءل عمّا كانت ديانا لتفعل وأعدّل ردود فعلي الخاصّة تبعاً لذلك...» •

العمر: 26، الجنس: الأنثى، الجنسيّة: بريطانيّة. «لقد وقعت مرّةً واحدةً فقط في حبّ ممثّلٍ سينمائيّ.

على نحوٍ ميئوسٍ منه؛ وهذا شيءٌ مغرقٌ في كونه حقيقيّاً. ما تحتاج لأن تفعله هو أن تجعل نفسك أثيريّاً أو بالغ الرقة. كلماتك وأفعالك يجب أن تنبع من لاوعيك - أن تكون فضفاضةً بدرجةٍ معيّنة. يجب أن تُحجِم قليلاً، ثمّ تكشف بين الحين والآخر عن سمةٍ في شخصك ممّا سيجعل الناس يتساءلون عمّا إذا كانوا يعرفونك حقّ المعرفة.

لقد كان كونراد ڤايدت. جاذبيّته المغناطيسيّة وشخصيّته نالتا منّي. صوته وإيماءاته سحروني. كرهته، خفت منه، أحببته. عندما مات فقد بدا بالنسبة إلي أنّ جزءاً حيويّاً من ذاكرتي قد مات أيضاً، وأنّ عالم أحلامي قد أصبح ضحلاً.»

- جاي. بي. ماير، *السينما البريطانيّة وجمهورها*

النجم هو إبداعٌ من إبداعات السينما المعاصرة. هذا ليس مفاجئاً: الفيلم يعيد خلق عالم الأحلام. نحن نشاهد الفيلم في الظلام، ونحن نصف نائمين. الصور حقيقيّة بما فيه الكفاية، وتصوّر بدرجاتٍ متفاوتة مواقف واقعيّة، لكنّها إسقاطات، أضواءٌ مترجرجة، صور - نعلم أنّها ليست حقيقيّة. كما لو كنّا نشاهد حلم شخصٍ آخر. لقد كانت السينما، وليس المسرح، من خلقت النجم.

على خشبة المسرح، فإنّ الممثّلين يكونون بعيدين وضائعين بين الحشود، وحقيقيّين أكثر من اللازم نتيجة تواجدهم جسديّاً. الأمر الذي مكّن السينما من تصنيع النجم وتشكيله هو اللقطات السينمائيّة المأخوذة عن قرب، والتي تفصل الممثّلين بشكلٍ مفاجئ عن السياق والبيئة المحيطة، ممّا يملأ ذهنك بصورتهم. اللقطات المأخوذة عن قرب تبدو أنّها لا تكشف الشيء الكثير عن الشخصيّات التي يلعبونها وإنّما عنهم أنفسهم. نستطيع أن نلمح شيئاً عن جريتا جاربو نفسها عندما ننظر عن كثب إلى وجهها. إيّاك أن تنسى هذا وأنت تشكّل نفسك كنجم. أوّلاً، يجب أن يكون لديك حضورٌ عريضٌ كهذا يخوّلك من أن تملأ عقل المستهدف بنفس الطريقة التي تملأ بها اللقطة المأخوذة عن قرب الشاشة. عليك أن تتحلّى بأسلوبٍ أو حضور يجعلك تبرز وتتفوّق على أيٍّ واحدٍ آخر. كن غامضاً وشبيهاً بالحلم، لكن دون أن تكون بعيداً أو غائباً - أنت لا تريد الناس أن يكونوا غير قادرين على التركيز عليك أو تذكّرك. يجب أن يروك في عقولهم عندما لا تكون أمامهم.

الإنسان البدائي يبجّل أوثاناً من الخشب والحجر؛ أمّا الإنسان المتحضّر فأوثاناً من اللحم والدم.

- جورج برنارد شو

ثانياً، نمّ وجهاً غامضاً وخالياً من التعبير، فهو النقطة التي تشعّ نجوميّة. هذا يسمح للناس بأن يقرؤوا فيك أيّ شيءٍ يريدون، وأن يتخيّلوا بأنّهم يستطيعون أن يروا شخصيّتك، بل وحتّى روحك. بدلاً من أن يشير لأمزجة

عندما تصادف أشعّة العين شيئاً صافياً وحسن الصقل - أكان حديداً مصقولاً

وعواطف، بدلاً من أن يُسرِف ويسفّ في التعبير عن العواطف، فإنّ النجم يستدعي التفسيرات والتأويلات. تلك كانت القوّة الاستحواذيّة في وجه جاربو أو ديتريتش، أو حتى كينيدي الذي شكّل تعبيراته وصاغها على غرار تلك التي عند جايمس دين.

يكون الشخص الحي ديناميكيّاً ومتغيّراً بينما يكون الشيء أو الصورة هامداً ومنفعلاً، لكنّه يحفّز تخيّلاتنا من خلال سلبيّته. يستطيع الشخص أن يظفر بتلك القوّة من خلال أن يصبح نوعاً من الشيء أو الغرض. دجّال القرن الثامن عشر العظيم الكونت سان ـ جرمان كان من نواحٍ عديدة مشروع نجم. كان يظهر بشكلٍ مفاجئ في أحد البلدات ـ لم يكن أحدٌ يعلم من أين أتى ـ وكان يتكلّم بلغاتٍ عديدة، لكنّ لهجته لم تكن تنتمي لبلدٍ بعينه. ولم يكن واضحاً كم كان عمره ـ من الجليّ أنّه ليس شابّاً، لكنّ وجهه كان يتمتّع بضياءٍ ينمّ عن الصّحة. كان الكونت يخرج في الليل فقط. كان دائماً يتّشح بالسواد، ويرتدي مجوهراتٍ مذهلة. شكّل وصوله إلى بلاط لويس الخامس عشر حدثاً مثيراً على الفور، فقد كان يرشح بالثروة، لكن لم يكن أحد يعلم ما مصدرها. جعل الملك ومدام بومبادور يؤمنان بأنّ لديه قوىً خارقة، من ضمنها القدرة على تحويل المواد البخسة إلى ذهب (هبة حجر الفلاسفة)، لكنّه لم يقم بأيّ ادّعاءاتٍ عظيمة عن نفسه؛ كان كلّه إيحاءً بإيحاء. لم يقل أبداً نعم أو لا، فقط ربّما. كان يجلس على العشاء لكن لم يره أحدٌ قط وهو يأكل. أعطى ذات مرّة المدام بومبادور هديّةً من الحلوى في صندوقٍ تتغيّر ألوانه وملامحه تبعاً للطريقة التي تحمله بها؛ قالت أنّ هذا الشيء الخلاّب ذكّرها بالكونت نفسه. لم يكن أحدٌ قد رأى قط لوحاتٍ أغرب من اللوحات التي كان يرسمها الكونت ـ الألوان كانت جدُّ نابضةً بالحياة لدرجة أنّه عندما كان يرسم الجواهر، فإنّ الناس كانوا يعتقدون بأنّها حقيقيّة. استقتل الرسّامون ليعرفوا أسراره لكنّه لم يكشفها قط. كان يغادر البلدة كما دخلها، بشكلٍ هادئ ومفاجئ. لم يبارح أبداً ذهن كازانوڤا ـ الذي كان أكبر معجبيه ـ مذ التقاه. عندما توفّي فلم يصدّق أحدٌ هذا؛ بعد مضيّ سنينٍ وعقود بل وقرنٍ على وفاته، فقد كان الناس لا

أم زجاجاً أم ماء، حجراً برّاقاً، أو أيّ مادّةٍ أخرى لمّاعةٍ ووضّاءة ومتمتّعةٍ بالرونق، التألّق، والتلألؤ ... فإنّ أشعّة العين تلك تنعكس عائدةً، والمشاهد عندئذٍ يرى نفسه ويحصل على رؤيةٍ عيانيّة لشخصه بالذات. هذا ما تراه عندما تنظر إلى المرآة؛ في ذلك الموقف أنت تكون كما لو أنّك تنظر إلى نفسك من خلال عيني شخصٍ آخر.

ـ ابن حزم، *طوق الحمام: بحث في فنّ وممارسة الحبّ عند العرب*، ترجمة آي. جاي. آربيري

إنّ المجموعة الوحيدة المهمّة من الإغواء الجماعي التي أنتجتها العصور الحديثة [هي] جماعة نجوم الأفلام أو معبودي الشاشة... لقد كانوا

يزالون متأكّدين من أنّه يختبئ في مكانٍ ما. شخصٌ بمثل قواه لا يموت أبداً.

تمتّع الكونت بكلّ مواصفات النجم. كلّ ما يتعلّق به كان غامضاً وعرضةً للتفاسير. برز من بين الحشد كونه كان استثنائيّاً ونابضاً بالحياة. اعتقد الناس بأنّه لا يموت، تماماً كالنجم الذي لا يبدو أنّه يعمّر أو يتلاشى. كلماته كانت كحضوره ـ ساحرة، متنوّعة، غريبة، وذات معنى غير واضح. هكذا هي القوّة التي تستطيع نيلها من خلال تحويل نفسك إلى شيءٍ متألّق.

شكّل آندي وارهول أيضاً هاجساً لكلّ من عرفه. كان لديه أسلوبٌ مميّز ـ ذلك الشعر المستعار الفضّي ـ ووجهه كان خالياً من التعبير وغامضاً. لم يعرف الناس أبداً بما كان يفكّر؛ فقد كان كلوحاته مجرّد سطح. إنّ وارهول وسان ـ جرمان يذكّروننا من خلال طبيعة حضورهم باللوحات العظيمة من القرن السابع عشر والتي تعتمد تقنيّة الأبعاد الثلاثيّة، أو بصور إم سي إيشر ـ مزيجاتٌ ساحرة من الواقعيّة والاستحالة، والتي تجعل الناس يتساءلون بتعجّب عمّا إذا كانوا حقيقيّين أو من محض الخيال.

ينبغي للنجم أن يبرز، وهذا قد يستلزم ميلاً معيّناً إلى الدراما، من النوع الذي كانت ديتريتش تظهره عندما تحضر إلى الحفلات. ولو أنّه في بعض الأحيان يمكن خلق أثرٍ أكثر ملازمةً للذهن وشبيه بالحلم من خلال لمساتٍ خفيّة: الطريقة التي تدخّن بها السيجارة، تغيّر في مقام الصوت أو ارتفاعه، طريقةٌ في المشي. إنّ الأشياء الصغيرة في أغلب الأحيان هي ما يجذب الناس ويثير اهتمامهم بشكلٍ كبير، وتجعلهم يقلّدونك ـ خصلة الشعر فوق عين ڤيرونيكا لايك اليمنى، صوت كاري غرانت، ابتسامة كينيدي الساخرة. بالرّغم من أنّ هذه الفوارق الدقيقة لا تكاد تُسَجّل في العقل الظاهر، إلّا أنّها يمكن أن تكون في اللاوعي بمثل جاذبيّة شيءٍ ذي شكلٍ ملفتٍ للنظر أو لونٍ أخّاذ. في اللاوعي فإنّنا ننجذب على نحوٍ غريب للأشياء التي ليس لها معنى سوى مظهرها الساحر.

النجوم يجعلوننا نرغب بمعرفة المزيد عنهم. عليك أن تتعلّم كيف تثير فضول الناس من خلال أن تدعهم يلمحون شيئاً من حياتك الخاصّة، شيئاً يبدو أنّه يكشف عنصراً أو جانباً من شخصيّتك. دعهم يتخيّلون ويتصوّرون. السّمة التي غالباً ما تطلق هذا التفاعل هي مسحةٌ من الروحانيّة

أسطورتنا الوحيدة في عصرٍ غير قادر على توليد أساطير أو رموز إغواءٍ عظام بالمقارنة مع أساطير ورموز الميثيولوجيا أو الفنّ.

• تكمن قوّة السينما في أسطورتها. أمّا حجارتها، صورها النفسيّة، خياليّتها، أو واقعيّتها، الانطباعات ذات المعنى التي تتركها ـ فكلّها أشياءٌ ثانويّة. الأسطورة فقط هي القويّة، وفي قلب التصوير السينمائي يكمن الإغواء ـ الخاصّ بشخصيّةٍ إغوائيّةٍ شهيرة، رجل أو امرأة (لكن امرأة في المقام الأوّل) ـ المتصل تحديداً بقوّة الصورة السينمائيّة السالبة للّب ولكن الغزارة..

• النجمة ليست كائناً سامياً أو مثاليّاً بأيّ شكلٍ من الأشكال: فهي مصطنعة.. إنّ حضورها يخدم غاية غمر كلّ الإدراك والتعبير تحت افتتانٍ

التي يمكنها أن تكون إغوائيّةً بشكلٍ شيطانيّ، مثل اهتمام جايمس دين بالفلسفة الشرقيّة ومسائل السحر والتنجيم. أثرٌ من الطيبة أو سعة الصدر يمكن أن يكون لديه أثرٌ مشابه. النجوم هم مثل آلهة جبل الأولمب الذين يعيشون من أجل الحب واللهو. الأشياء التي تحبّها أنت ـ الناس، الهوايات، الحيوانات ـ تكشف نوع الجمال المعنوي الذي يحبّ الناس أن يروه في النجم. استثمر هذه الرّغبة من خلال إظهارك للناس لمحاتٍ خاطفةً عن حياتك الخاصّة، القضايا التي تناضل من أجلها، الشخص الذي تربطك معه علاقة حبّ (في الوقت الراهن).

طريقةٌ أخرى في الإغواء يتّبعها النجوم تكون من خلال جعلهم إيّانا نتمثّلهم ونتماهى بهم، ممّا يمنحنا إثارةً بالوكالة (بالنيابة). هذا كان ما فعله كينيدي في مؤتمره الصحفي عن ترومان: من خلال وضع نفسه موضع الشّاب الذي ظلمه وأخطأ بحقّه رجلٌ أكبر سنّاً، فإنّه أثار صراع أجيالٍ نموذجيّاً، وجعل الشباب يتماهون به. (ساعدته شعبيّة ورواج شخصيّة المراهق المظلوم والمتمرّد في أفلام هوليوود.) المفتاح هو أن تمثّل طرازاً أو نمطاً، كما مثّل جيمي ستيوارت عصارة الإنسان الأمريكي النموذجي، وكاري غرانت الأريستقراطي الصقيل. الناس الذين من فئتك أو نمطك سوف ينجذبون إليك، يتمثّلون بك، ويشاطرونك بهجتك أو ألمك. الجاذبيّة يجب أن تكون في اللاوعي، وتُنْقَلَ ليس من خلال الكلمات وإنّما من خلال المواقف والطروحات. يشعر الناس الآن وأكثر من أيّ وقتٍ مضى باللاأمان، وهويّاتهم في حالة تدفّق وتغيّرٍ متواصل. ساعدهم على أن يثبتوا على دورٍ في الحياة وسوف يتقاطرون للتماهي بك. ببساطة إجعل نمطك دراماتيكيّاً، ملحوظاً، وسهل المحاكاة. القوّة التي تتمتّع بها في التأثير على إحساس الناس بأنفسهم في هذا الصدد هي قوّة ماكرة وعميقة.

تذكّر: كلّ شخصٍ هو صاحب دورٍ يؤدّيه أمام الناس. الناس لا تعرف بالضبط بماذا تفكّر أنت أو تشعر؛ هم يحكمون عليك من خلال مظهرك. أنت ممثّل. وأكثر الممثّلين كفاءةً يتمتّعون بمسافةٍ داخليّة: هم يستطيعون، مثل ديتريتش، أن ينمّطوا مظهرهم الفيزيائي وكأنّهم يستقبلونه من الخارج. هذه المسافة الداخليّة تسحرنا. يكون النجوم مرحين ولعوبين تجاه أنفسهم، فهم

طقوسيّ بالفراغ، تحت وجد نظرتها وزيف ابتسامتها. هذه هي الكيفيّة التي تتبوّأ من خلالها مرتبة الأسطورة وتصبح محطّ طقوس تزلّف وانبهارٍ جماعيّة. • إنّ صعود معبودي السينما وآلهة الجماهير، كان وسيبقى قصّةً محوريّةً في العصور الحديثة... لا يوجد جدوى من غضّ النظر عنه كمجرّد أحلام الجماهير المَعمية. إنّه لحدوثٌ إغوائيّ ... • تأكّد من أنّ الإغواء في عصر الجماهير لم يُعد مثل ذلك الذي في... علاقات سريّة خطرة أو يوميّات مغوي ولا، فيما يتعلّق بهذا الخصوص، مثل الإغواء الموجود في الميثيولوجيا القديمة، والذي من غير شكّ يحتوي على أغنى القصص بالإغواء. كان الإغواء حاراً في

دائماً يعدّلون من صورتهم، ويكيّفونها بما يتناسب وروح العصر. لا شيءٌ يدعو للضّحك أكثر من أنموذجٍ كان يتماشى مع الموضة من عشر سنوات ولم يعد كذلك. النجوم يجب أن يجدّدوا دائماً لمعانهم وبريقهم أو فليواجهوا أسوأ مصيرٍ ممكن: النسيان.

هذه العصور، أمّا لدى معبودينا المعاصرين فإنّه بارد، نتيجةً لكونه تقاطعاً لوسطين باردين، الأوّل هو الصورة والثاني هو الجمهور... • لا يتأتّى الانبهار بالنجمات أو المغويات العظيمات من موهبتهنّ أو ذكائهنّ أبداً، وإنّما من غيابهنّ. هنّ يُبهرن من خلال زيفهنّ وبرودتهنّ - برودة الماكياج التي تشبه برودة الكلمات التي شكّلت الأساطير.... • هذه الدمى الإغوائيّة العظيمة هي أقنعتنا، وتماثيل الجزيرة الشرقيّة (من الميثيولوجيا الإغريقيّة).

- جان بودريلارد، *الإغواء*، ترجمة برايان سينجر

الرمز: الوثن. قطعةٌ من الحجر منحوتةٌ على شكل إله، ربّما تتلألأ بالذهب والجواهر. عيون العابدين تملأ الحجر بالحياة، متخيّلةً أنّه يمتلك قوىً حقيقيّة. شكله يسمح لهم بأن يروا ما يريدون رؤيته - إلهٌ - لكنّه في الواقع مجرّد قطعةٍ من الحجر. الإله يعيش في مخيّلاتهم.

المخاطر

النجوم يخلقون أوهاماً من الممتع رؤيتها. تكمن الخطورة في أنّ الناس يسأمون منهم - فالوهم لا يعود يسحر - ويتحوّلون إلى نجم آخر. دع هذا يحصل وسوف تجد أنّه من الصعب جدّاً أن تستعيد مكانك في المجرّة. يجب أن تبقي الأنظار عليك مهما كان الثمن.

لا تقلق من سوء السمعة، أو من شوائب على صورتك؛ فنحن متسامحون بشكلٍ ملفت إزاء نجومنا. بعد موت الرئيس كينيدي، انبلجت كل أنواع الحقائق غير السارة عنه - العلاقات الغراميّة غير المحدودة، الإدمان على المجازفة والخطر. ولا واحدة من هذه الحقائق قلّلت من جاذبيته. وفي

إذا أردت أن تعرف

كلّ شيءٍ عن آندي وارهول، فما عليك إلّا أن تنظر إلى سطح رسوماتي وأفلامي وشخصي، فهنالك أنا. إذ لا يوجد شيءٌ وراءه.

ـ آندي وارهول، مُقتبَس في *المحَدِّق في النجوم: حياة وعالم وأفلام آندي وارهول*، ستيفين كوخ

الواقع فلا تزال العامّةُ تعتبره واحداً من أعظم رؤساء أمريكا. واجه إيرول فلين العديد من الفضائح، بما فيها قضيّة اغتصاب مشهورة؛ إلّا أنّ هذه الفضائح لم تؤدِّ إلّا إلى تعزيز صورته الخليعة. بمجرّد ما يتعرّف الناس على نجم، فإنّ أيّ نوعٍ من الدعاية، حتّى ولو كان سيّئاً ـ سيغذّي الهوس ببساطة. بالطبع تستطيعُ أن تشتطّ وتمضي إلى أبعد مدى: فالناس يحبّون أن يتمتّع النجم بجمالٍ خارق، وكثيرٌ من الهشاشة البشريّة ستقود في نهاية المطاف إلى تحريرهم من الوهم. لكنّ الدعاية السيّئة أقلّ خطراً من الاختفاء لمدّةٍ أطول من اللازم، أو من أن تُغرِق في نأيك وبعدك. لا تستطيع أن تلازم أحلام الناس إذا لم يرَوك أبداً. في نفس الوقت، لا يمكنك أن تدع الناس يألفونك أكثر من اللازم، أو أن تدع صورتك تصبح قابلةً لأن يُتَنَبّأ بها. سوف ينقلب الناس ضدّك في لحظة إذا أخذت في إضجارهم، فالضجر هو الشرّ الاجتماعيّ المطلق.

لعلّ أكبر خطرٍ يواجهه النجوم هو الانتباه المتواصل الذي يثيرونه. الانتباه الاستحواذي أو المفرط يمكن أن يصبح مربكاً إن لم يكن أسوأ. كما تستطيع أيّ امرأةٍ جذّابةٍ أن تشهد، فإنّه من المتعب أن تكون موضعاً للتّحديق والنظرات المتفرّسة طوال الوقت، ويمكن أن يكون الأثر مدمّراً، كما يظهر في قصّة مارلين مونرو. يكون الحل في أن تطوّر (تنمّي) ذلك النوع من المسافة التي ما بينك وبين نفسك والذي كان عند ديتريتش ـ تناول الانتباه والإعجاب الأعمى بمقدارٍ ضئيل، وحافظ على حدٍّ معيّن من الانفصال(عدم التعلّق) والتجرّد عنهما. قارب صورتك الخاصّة وادنُ منها بطريقةٍ لعوبةٍ ومرحة. الأهم من هذا كلّه، هو ألاّ تصبح مهووساً أبداً بالخاصّية الاستحواذيّة لاهتمام الناس بك.

نقيض المُغوي

المُغوون يجتذبونك
بواسطة الاهتمام المركز المميز الذي
يوجهونه نحوك دون غيرك. نقيضو المُغوين
هم المعاكس التام لذلك؛ غير آمنين،
مُستَغرقين في ذواتهم، وغير قادرين على
فهم نفسية الشخص الآخر، فهم يُنَفرون
بالمعنى الحرفي للكلمة. نقيضو المُغوين لا
يتَحلون بنظرة متوازنة وصادقة عن
شخصياتِهم، ولا يُدركون أبداً متى
يضايقون ويتطفلون ويكثرون من الكلام.
هم يفتقرون إلى الحذاقة والرقة لخلق وعد
اللذة الذي يتطلّبه الإغواء. اجتثّ واستأصل
الخصائص الضد - إغوائية (المنفرة) من
شخصك وأدركْها في الآخرين - لا يوجد
أي متعة أو منفعة في التعامل مع
نقيض المغوي.

التصنيف المنهجي للمنفّرين

المنفّرون (نقيضو ـ المغوين) يأتون بمختلف الأشكال والأنواع، لكن جميعهم تقريباً يتشاركون بصفةٍ مميّزة واحدة، وهي مصدر التنفير لديهم: اللاأمان (أو الشعور به). كلّنا غير آمنين، ونعاني لهذا السبب. ومع ذلك فإنّنا نستطيع التغلّب على هذه المشاعر في بعض الأحيان؛ مشاغلة إغوائيّة بإمكانها أن تنتشلنا من استغراقنا المعتاد بذواتنا، فنشعر أنّنا مشحونون (بالطاقة والحياة) وواثقون للدرجة التي نغوي أو نُغوى بها. لكنّ المنفّرين لا يشعرون بالأمان لدرجةٍ لا يستطيعون معها الانخراط في العمليّة الإغوائيّة. حاجاتهم، حصرهم النفسي، إدراكهم لنقائصهم وخوفهم من ملاحظة الناس لها تجعلهم منغلقين. هم يفسّرون أقلّ التباسٍ من قِبَلك كاستخفافٍ وازدراءٍ لأناهم (الأنا الخاص بهم)؛ وينظرون لأدنى إشارة انسحاب كخيانة، ومن المرجّح أن يشتكوا ويتذمّروا بمرارة حيال هذا.

علّق عندئذٍ الكونت لودوڤيكو مبتسماً: «أعدك بأنّ متودّدنا العاقل لن يتصرّف بمثل هذا الغباء ليظفر بالحظوة عند امرأة.» • فردّ سيزار جونزاجا: «ولا أذكر أنّ رجلاً تصرّف بمثل هذا الغباء سوى نبيلٍ ذي سمعةٍ حسنة، لن أذكر اسمه كي لا أُخزيه.» • فقالت الدوقة: «حسنٌ، أخبرنا على الأقلّ ماذا فعل.» • فاستأنف سيزار عندئذٍ: «كان محبوباً من قبل سيّدةٍ عظيمة المقام، وقدم سرّاً إلى البلدة التي كانت

هذا يبدو سهلاً: المنفّرون ينفّرون، لذا فانفر ـ تحاشاهم. ولكن لسوء الحظ فإنّ العديد من المنفّرين لا يمكن اكتشاف أنّهم هكذا للوهلة الأولى. هم أكثر خفيةً، وإن لم تكن حذراً فسوف يوقعونك في شرك أكثر العلاقات إزعاجاً. يجب أن تبحث عن أدلّةٍ عن انهماكهم بذواتهم وعدم الشعور بالأمان: لعلّهم غير كريمين، أو يجادلون بتشبّثٍ وعنادٍ غير معهودَين، أو ميّالون بشكلٍ مفرط لإصدار الأحكام. لعلّهم يجودون عليك بمديحٍ لا تستحقّه، أو يعلنون حبّهم قبل أن يعرفوا أيّ شيءٍ عنك. أو، الأهمّ من هذا كلّه، لا ينتبهون للتفاصيل. نظراً لأنّهم لا يستطيعون رؤية ما يجعلك مختلفاً، فهم لا يستطيعون مفاجأتك باهتمامٍ دقيق (أي تتناسب دقّته ومدى اختلافك).

من الضروري جدّاً التعرّف على الخصائص الضد ـ إغوائيّة ليس فقط

في الآخرين وإنّما في أنفسنا أيضاً. جميعنا تقريباً لديه واحدةٌ أو اثنتان من الخصائص التنفيريّة بشكلٍ مستترٍ وكامنٍ في شخصه، وللمدى الذي نستطيع إليه اقتلاعها، نصبح أكثر إغوائيّةً. غياب الكرم، على سبيل المثال، لا يشير بالضرورة إلى أنّ الشخص منفّر إذا كان ذلك خطؤه الوحيد، لكن الشخص غير الكريم نادراً ما يكون جذّاباً بحق. الإغواء يقتضي ضمناً أن تنفتح على الآخرين، حتّى لو لم يكن هذا لغاياتٍ سوى التضليل والخداع؛ أن تكون غير قادرٍ على الإعطاء من خلال إنفاق المال يعني عادةً عدم القدرة على العطاء بشكلٍ عام. استأصل البخل. إنّه عائقٌ أمام القوّة وخطيئة عظمى في الإغواء.

من الأفضل أن تُخلِّ نفسك من المنفّرين باكراً، قبل أن يبثّوا مجسّاتهم المحتاجة فيك، لذا تعلّم أن تقرأ الإشارات. هذه هي الأنماط الرئيسة.

الفجّ. إذا كان الإغواء نوعاً من المراسم والطقوس، فجزءٌ من المتعة يكون في مدّته - الوقت الذي يستغرقه، الانتظار الذي يزيد التوقّع والتشوّق. ذوو الرّغبات البهيميّة ليس لديهم صبر لهذه الأشياء؛ هم يُعنَون فقط بمتعتهم الخاصّة، وليس أبداً بمتعتك. أن تكون صبوراً يعني أنّك تفكّر بالشخص الآخر، الأمر الذي لا يكفّ عن إثارة الإعجاب. عدم الصبر لديه أثرٌ معاكس: الفجّون يؤذونك بغرورهم وأنانيّتهم، فهم يفترضون أنّك غايةٌ في الاهتمام بهم لدرجة أنّك لا تملك سبباً للانتظار. مباشرةً تحت ذلك الغرور، أيضا، يوجد إحساسٌ طاحن بالدونية، وهم يبالغون في ردّة فعلهم إذا رفضتهم بازدراء أو جعلتهم ينتظرون. إذا اشتبهت أنّك تتعامل مع فجّ، فقُمْ بإجراء فحص - إجعل ذلك الشخص ينتظر. ستخبرك ردّة فعلها أو فعله عن كلّ شيءٍ تحتاج لمعرفته.

الخنّاق. الخنّاقون يقعون في حبّك قبل أن تكون حتّى نصف مدركٍ لوجودهم. هذه السمة تكون خدّاعة - قد تعتقد أنّهم قد وجدوا أنّك تتمتّع بتأثيرٍ عظيم بحيث لا يمكن مقاومتك - لكن الواقع هو أنّهم يعانون من فراغٍ داخليّ، حفرةٌ عميقةٌ من الحاجة لا يمكن ملأها. إيّاك والتورّط مع الخنّاقين؛

فيها بناءً على طلبها. بعد أن رآها واستمتع بصحبتها إلى أقصى حدّ سمحت له به، أخذ يتنهّد ويندُب بمرارة، ليظهر الكرب الذي كان يعاني منه لدى اضطراره لمغادرتها، وتوسّل إليها كي لا تنساه أبداً؛ وبعدئذٍ أضاف أنّه يجب عليها أن تدفع تكاليف إقامته في النزل، نظراً لأنّها من طلبت مجيئه، ولذلك، فقد اعتقد أنّه ليس من الخطأ أبداً ألاّ يكون مسؤولاً عن أيّة نفقاتٍ للرحلة.» • عند هذه الجملة، صارت كلّ النساء تضحك وتقول أنّ الرجل بالكاد يستحقّ صفة الجنتلمان؛ وشعر العديد من الرجال بالخزي الذي كان حريّاً به أن يستشعره، هذا إذا حدث وصار عنده الوعي لإدراك كم كان هذا السلوك مشيناً في حقيقته.

فمن المستحيل تقريباً أن تحرّر نفسك منهم دون صدمة. هم يتشبّثون ويلتصقون بك إلى أن تُجْبَرَ على الإنسحاب، وعندئذٍ يغرقونك في الذنب. نحن نميل لأن ننسب صفاتٍ مثاليّةً لمن نحب، لكن الحب يستغرق وقتاً حتّى ينمو ويتطوّر. ميّز الخنّاقين من خلال مدى سرعة هيامهم بك. أن تكون موضعَ إعجابٍ كبير قد يمنح دفعةً خاطفةً للأنا الذي عندك، لكنّك في قرارة نفسك تحسّ بأنّ عواطفهم الشديدة لا تتّصل بأيّ شيءٍ عملته. ثق بهذه الغرائز.

- بلتزار كاستيليوني، *كتاب رجل البلاط*، ترجمة جورج بُل

نموذجٌ آخر مختلفٌ قليلاً يندرج تحت عنوان الخنّاق هو الخاضع، وهو الشخص الذي يقلّدك بطريقةٍ صاغرة وخانعة. اكتشف هذه الأنماط من البداية من خلال رؤية إذا ما كانوا قادرين على أن يكوّنوا فكرةً ما خاصّة بهم. عدم القدرة على الاختلاف بالرأي معك هو علامة سيّئة.

دعونا نرى كيف يتناقص الحبّ. هذا يحدث من خلال سهولة الوصول إلى سلوانه، ومن خلال كون الشخص قادراً على التحدّث مطوّلاً مع من يحبّ، ومن خلال الملابس والمشية غير المناسبة للمحبوب، ومن خلال الحلول المفاجئ للفقر... • سببٌ آخر لتناقص الحبّ هو الإدراك لسوء سمعة الحبيب ومعرفة حوادث عن بخله، شخصيّته السيّئة، وعن ولعه بالأذى بشكلٍ عامّ؛ وكذلك أيّة علاقة مع امرأة أخرى، حتّى لو لم تتضمّن أيّة مشاعر حبّ. يتناقص الحبّ أيضاً إذا أدركت المرأة أنّ حبيبها أحمق وغير فَطِن، أو إذا رأت أنّه يشتطّ

المنظّر في الأخلاق. الإغواء لعبة، ويجب تولّيه بخفّة ظلٍّ ومرح. كلّ شيءٍ مشروع في الحبّ والإغواء؛ الأخلاقيّات لا تدخل أبداً في الصورة. من ناحيةٍ ثانية فإنّ شخصيّة المنظّر في الأخلاق تتّسم بالتصلّب. هؤلاء هم أناسٌ يتّبعون أفكاراً ثابتةً ويحاولون أن يجعلوك تخضع لمعاييرهم. هم يريدون تغييرك، أن يجعلوا منك شخصاً أفضل، لذلك فهم ينتقدون ويصدرون الأحكام بشكلٍ متواصل - تلك هي متعتهم في الحياة. في الحقيقة فإنّ أفكارهم الأخلاقيّة تنبع من تعاستهم الخاصّة، وتقنّع رغبتهم بالسيطرة على من حولهم. عدم قدرتهم على التكيّف والاستمتاع تجعل من التعرّف إليهم أمراً سهلاً؛ تصلّبهم العقلي قد يُرافَقُ أيضاً بتصلّبٍ جسديّ. من الصعب عدم أخذ انتقاداتهم على محملٍ شخصيّ لذا فمن الأفضل تجنّب حضورهم وتعليقاتهم المسمومة.

البخيل. البخل يشير إلى أكثر ممّا هو مشكلة مع المال. هو علامةٌ على شيءٍ مقيَّدٍ في شخصيّة الإنسان - شيءٌ يمنعهم من الاسترخاء والانطلاق لأخذ المجازفات. هي الخصلة الأكثر تنفيراً على الإطلاق، ولا يجوز أن تسمح لنفسك بالاستسلام إليها. معظم البخيلين لا يدركون بأنّ لديهم مشكلة؛ هم في الواقع يتخيّلون أنّهم كرماء عندما يعطون أحدهم شيئاً

ككسرةٍ خسيسة. انظر بقسوة إلى نفسك ـ لعلّك أبخل ممّا تعتقد. جرّب أن تعطي بحرّيةٍ أكبر من مالك ومن نفسك على حدٍّ سواء وسوف ترى الإغواء الكامن في الكرم الانتقائي. بالطبع يجب أن تبقي كرمك تحت السيطرة. إعطاء الكثير يمكن أن يكون علامة يأس، وكأنّك تحاول أن تشتري أحدهم.

الأخرق. الخرقى هم أشخاصٌ واعون ومشغولون بنقصهم وضعفهم، ويؤدّي وعيهم هذا إلى تركيز وعيك بنقصك الخاص. في البداية قد تعتقد أنّهم يفكّرون فيك وبشدّة، الأمر الذي يجعلهم مرتبكين. في الواقع هم لا يفكّرون إلّا بأنفسهم ـ فهم قلقون حيال كيف يبدون، أو حيال العواقب المترتّبة عن محاولة إغوائهم إيّاك. عادةً ما يكون قلقهم معدياً: إذ سرعان ما تبدأ أنت أيضاً بالقلق حيال نفسك. نادراً ما يصل الخرقى إلى آخر مراحل الإغواء، لكنّهم حتّى لو ساروا كل تلك المسافة، فإنّهم يفسدونها أيضاً. السلاح الأساسي في الإغواء هو الجرأة، أي أن تحرم الهدف من الوقت اللازم للتوقّف والتفكير. الخرقى ليس لديهم إحساس بالتوقيت. قد تجد أنّه من المسلّي أن تحاول تدريبهم أو تعليمهم، لكنّهم إذا ظلّوا خرقى بعد سنٍّ معيّنة، فالقضيّة على الأرجح ميئوسٌ منها ـ هم غير قادرين على الخروج من أنفسهم (النظر أو الاهتمام خارج أنفسهم.)

المتبجّح. أكثر الإغواءات فعّاليّةً هي تلك التي تقودها النظرات، الأعمال غير المباشرة، الإغراءات المادّية. الكلمات لها المكان، لكنّ كثيراً من الكلام سيؤدّي عموماً لكسر السحر، إذ يُبرز الخلافات السطحيّة ويخفّف من قيمة الأشياء. الناس الذين يتكلّمون كثيراً في أغلب الأحيان يتكلّمون عن أنفسهم. لم يحوزوا أبداً ذلك الصوت الداخلي الذي يتساءل، هل أنا أُضجِرُكَ؟ أن تكون متبجّحاً يعني أنّك تعاني من أنانيّةٍ عميقة الجذور. إيّاك أن تقاطع أو تناقش هذه الأنماط ـ فهذا لا يؤدّي سوى إلى تغذية تبجّحهم. تعلّم أن تتحكّم بلسانك مهما كان الثّمن.

المرتكس (الانفعالي). المرتكسون (ويُقصَد بهذا من تغلبُ ردودُ

في مطالباته بالحبّ، غير آبهٍ بحياء شريكته ولا راغبٍ في أن يغفر لها ارتباكاتها. يَجدُر بالعاشق المخلص أن يختار أقسى آلام الحبّ ولا أن يتسبب لها الحرج من خلال مطالباته، أو يتلذّذ في رفض وازدراء احتشامها؛ لأنّ الشخص الذي يفكّر حصراً في حصيلة متعته الخاصّة، ويتجاهل صالح الشريك، يجب أن يُدعى خائناً وليس عاشقاً. • الحبّ يعاني من التناقص أيضاً إذا أدركت المرأة أنّ حبيبها جبانٌ في الحرب، أو رأت أنّه لا يتحلّى بالصبر، أو موصومٌ برذيلة الغرور. لا يوجد شيءٌ يبدو أنّه أكثر ملاءمةً لشخصيّة أيّ عاشقٍ من أن يكون مرتدياً لزينة التواضع، وغير ممسوسٍ أبداً بعريّ الغرور. علاوةً على ذلك أيضاً فإنّ

الأفعال على تصرّفاتهم) يكونون مفرطي الحساسيّة، ليس تجاهك وإنّما تجاه الأنا الخاص بهم. هم يمشّطون كلّ كلمةٍ من كلماتك وكلّ فعلٍ من أفعالك بحثاً عن علامات استخفافٍ بزهوّهم وغرورهم. إذا تراجعت بشكلٍ استراتيجيّ، كما يجب في بعض الأحيان أن تفعل في الإغواء، فسوف تنتابهم الأفكار السوداويّة ويتهجّمون عليك كلامياً. هم ميّالون إلى الانتحاب والشكوى، اللتين تعتبران خصلتين ضد ـ إغوائيّتين (منفّرتين) بشكلٍ كبيرٍ جدّاً. اختبرهم من خلال إلقاء نكتةٍ ظريفةٍ عنهم أو قصّةٍ يكونون هم موضوعها: ينبغي لنا كلّنا أن نكون قادرين على أن نضحك على أنفسنا بعض الشيء، لكن المرتكس لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً. تستطيع أن تقرأ الامتعاض في عيونهم. امحُ أيّة خصائص تتّسم بردّ الفعل من شخصك ـ فهي تنفّر الناس بشكلٍ غير واعي.

الإسهاب الذي يتكلّم به الأحمق أو العصابيّ غالباً ما يُنقص من الحبّ. هناك العديد من المتحمّسين لإطالة كلماتهم المجنونة في حضرة المرأة، اعتقاداً منهم بأنّهم يرضونها إذا وظّفوا لغةً حمقاء وغير حكيمة، لكنّهم في الواقع مخدوعون بشكلٍ غريب. بالفعل، إنّ من يعتقد أنّ سلوكه الأحمق يرضي المرأة الحكيمة يعاني من أشدّ درجات فقر العقل والحسّ.

ـ آندرياس كابيلانوس، «كيف يتناقص الحبّ،» ترجمة بي. جاي. والش

السوقيّ. السوقيّون لا يراعون ولاينتبهون للتفاصيل التي هي للإغواء في غاية الأهمّية. تستطيع أن ترى ذلك سواءٌ في مظهرهم الشخصي ـ ثيابهم عديمة الذوق تبعاً لجميع المقاييس ـ أم في أفعالهم: هم لايعلمون أنّه من الأفضل أحياناً أن يتحكّم المرء بنفسه وأن يرفض الإذعان لنزواته ودوافعه الخاصّة. السوقيّون سوف يثرثرون ويقولون أيّ شيءٍ على الملأ. ليس لديهم إحساسٌ بالتوقيت وقلّما يكونون على انسجامٍ مع ذوقك. اللاتحفّظ هو علامةٌ أكيدة للسوقيّة (كأن تتكلّم للآخرين عن علاقاتك الجنسيّة، على سبيل المثال)؛ قد يبدو هذا الشيء نتيجة الاندفاع لكنّ مصدره الحقيقي هو أنانيّتهم الفطريّة، وعدم قدرتهم على رؤية أنفسهم كما يراهم الآخرون. عدا عن تفادي السوقيّين، يجب أن تجعل نفسك على النقيض منهم ـ فاللباقة، الأناقة، والاهتمام بالتفاصيل كلّها مُتَطَلّباتٌ أساسيّة للمغوي.

أمثلة عن نقيض ـ المغوي

الرجال الحقيقيّون / لا يجدر بهم أن يبالغوا بالعناية بمظهرهم الحسن.../ حافظ على نظافتك بشكلٍ مرضٍ، مارس

1. كلاوديوس حفيد زوجة الإمبراطور الروماني العظيم أغسطس، كان يُعتبَر كمعتوهٍ عندما كان شابّاً، وكان يُعامَلُ على نحوٍ سيّءٍ من قبل

كلّ أفراد أسرته تقريباً. ابن أخيه كاليغولا، الذي أصبح إمبراطوراً في عام 37 للميلاد، جعل من تعذيبه رياضةً، فكان يجعله يركض حول القصر بالسرعة القصوى كتكفيرٍ عن غبائه، وجعله يرتدي بيديه خفّين ملوّثين عند العشاء، وهكذا. عندما تقدّم كلاوديوس في السن، بدا أنّه أصبح أكثر غباءً حتّى (بطيء الفهم)، وبينما كان جميع أقربائه يعيشون تحت التهديد الدائم بالاغتيال، فإنّه كان متروكاً وشأنه. لذا فعندما اغتالت عصبةٌ من الجنود كاليغولا في عام 41 للميلاد وأعلنت كلاوديوس إمبراطوراً، شكّل ذلك مفاجأةً كبرى للجميع بما فيهم كلاوديوس ذاته. كونه لم تكن لديه رغبةٌ بالحكم، فقد فوّض معظم صلاحيّات الحكم لنساءٍ كان يثق بهنّ ويأتمنهنّ على أسراره (مجموعة من العبدات المُعتَقات) وأمضى وقته يفعل ما كان يحلو له أكثر من أيّ شيء: الأكل، شرب النبيذ، القمار، والفسق.

زوجة كلاوديوس، ڤاليريا ميسالينا، كانت واحدة من أجمل نساء روما على الإطلاق. بالرّغم من أنّ كلاوديوس بدا مولعاً بها، إلّا أنّه لم يُعِرها اهتماماً، فبدأت هي بإقامة العلاقات الغراميّة. في البداية كانت متكتّمة، لكن عبر السنين، كونها استُفِزَّت بتجاهل زوجها لها وإهماله، فقد أصبحت أكثر فأكثر فسوقاً. أمرت ببناء غرفةٍ لها في القصر حيث استمتعت بعددٍ لا حصر له من الرجال، باذلةً أفضل ما بوسعها كي تبدو مثل أشهر عاهرة في روما، والتي كُتِبَ اسمها على الباب. أيّ شخصٍ كان يرفض مبادرتها أو تحرّشها كان يُعْدَم. كان كل من في روما تقريباً يعلم بحفلات اللهو والسمر هذه، لكنّ كلاوديوس لم يقل شيئاً؛ لقد بدا غافلاً عمّا يحدث.

عظيماً كان شغف ميسالينا بعشيقها المفضّل، جايوس سيليوس، لدرجة أنّها قرّرت الزواج به، بالرّغم من أنّ كليهما كان متزوّجاً أساساً. بينما كان كلاوديوس بعيداً، عقدا حفل زفافٍ مرخّصٍ بصكٍّ زواج كان كلاوديوس قد وقّعه بالحيلة (أي احتالوا عليه). بعد الحفل، انتقل جايوس إلى القصر. الآن فإنّ صدمة وتقزّز المدينة بأكملها أجبرا كلاوديوس أخيراً على التصرّف، فأمر بإعدام جايوس وعشّاق ميسالينا الآخرين ـ لكن ليس ميسالينا نفسها. ومع ذلك فقد تعقّبتها جماعةٌ من الجنود الغاضبين بسبب الفضيحة وطعنوها حتّى الموت. عندما بُلِّغَ الإمبراطور بهذا، ما كان منه إلّا أن طلب مزيداً من

الرياضة، تمرّن في الهواء الطلق / تَشَمّس كي تكتسب السمرة؛ إحرص بشكلٍ دقيق على أن ينطبق لباسك على مقاسك / وعلى أن يكون غير ملطّخ؛ لا تشدّ رباط حذائك أكثر من اللازم / أو تتجاهل أيّة أزرار صدئة، أو تتبختر / في ثيابٍ أكبر من مقاسك. لا تدع حلاّقاً غير كفؤ / يدمّر لك منظرك؛ فكلٌّ من الشعر واللحية يتطلّب / اهتمام خبير. أبقِ أظافرك مقلّمة، وخاليةً من الأوساخ؛ / لا تدع تلك الشعرات الطويلة تنبت / من منخريك، إحرص على أن تكون رائحة أنفاسك غير مزعجة أبداً، / تفادى رائحة الرجل النتنة / فذلك يغضّن الأنوف تقززاً... / كنت على وشك أن أحذّركنّ أيّها

النبيذ واستأنف وجبته. بعد ذلك بعدّة ليالي سأل عن سبب عدم مشاركة الإمبراطورة إيّاه طعام العشاء؛ الأمر الذي أذهل عبيده.

لا شيء أكثر استفزازاً من أن لا تُعارَ اهتماماً. خلال عمليّة الإغواء، قد تضطرّ لأن تنسحب بعض الأحيان، كي تُخضِعَ هدفك للحظاتٍ من الشك. لكن إهمالاً مطوّلاً لن يؤدّي إلى كسر التعويذة الإغوائيّة وحسب، وإنّما بإمكانه أن يولّد الكره. كان كلاوديوس متطرّفاً في هذا السلوك. عدم حساسيّته كانت وليدة الضرورة: من خلال التصرّف كأبله، فقد أخفى طموحه وحمى نفسه من بين متنافسين خطرين. لكن تبلّد إحساسه أصبح طبيعةً ثانية في شخصه. أصبح كلاوديوس قذراً، ولم يَعُد يلاحظ ما كان يجري من حوله. كان لعدم انتباهه وعدم اكتراثه بزوجته أثرٌ عميق: كيف - هي تساءلت - يمكن لرجلٍ، وخاصّةً غير جذّابٍ من الناحية الجسديّة مثل كلاوديوس ألاّ يلاحظني، أو يعبأ بعلاقاتي مع الرجال الآخرين. لكنّه بدا أنّ أيّ شيءٍ تفعله لم يكن ذا أهميّةٍ بالنسبة له.

بلغ كلاوديوس الحد الأقصى، لكنّ طيف قلّة الانتباه والإهمال واسع. كثيرٌ من الناس لا يعيرون التفاصيل والإشارات التي يرسلها الشخص الآخر سوى قليلٍ من الاهتمام. تبلّدت حواسّهم نتيجة العمل ومشقّة الحياة والإستغراق بالذات. نحن غالباً ما نلاحظ هذا الانطفاء في الشحنة الإغوائيّة بين شخصين، وخاصّةً ما بين زوجين مقترنين ببعضهما البعض منذ سنين. والإمعان في هذا يثير الغضب ومشاعر مريرة. غالباً لدى الشخص الذي قد خُدِعَ من قبل الشريك الذي بدأ الآليّة بأنماط اللاانتباه.

2. في عام 1639، حاصر الجيش الفرنسي مدينة تورين الإيطاليّة. ضابطان فرنسيّان، الفارس (والكونت لاحقاً) دي جرامونت وصديقه متّى، قرّرا أن يحوّلا انتباههما نحو نساء المدينة الجميلات. نساء بعض ألمع رجال تورين كنَّ أكثر من قابلات - أزواجهنّ كانوا مشغولين، واحتفظوا بعشيقاتٍ لهم. شرط النساء الوحيد كان أن يلعب المطارد وفقاً لأصول النبالة والكياسة.

[النسوة] من الآباط النتنة المشعرة كالمعزاة / والشعر القاسي على سيقانكنّ، / لكنّني لست أقوم بإرشاد فتياتٍ قرويّات من القوقاز، / أو نساءٍ مستهتراتٍ وصخّابات من حوض نهر ميز - لذا فما يجب / عليّ أن أذكّركنّ به هو ألاّ تدعن أسنانكنّ تصفرّ بالكامل / نتيجة الإهمال، أو تنسين غسل أيديكنّ كلّ صباح. أنتنّ تعلمن كيفيّة تلميع بشرتكنّ / بالبودرة وبإضافة الحمرة إلى الوجه الشاحب،/ ظلّلوا ببراعة خطّ الحاجب غير المصقول، / ألصقوا لصوقاً تجميليّاً على خدٍّ لا تشوبه شائبة. / لن تجفلن من تكحيل أعينكنّ بالمسكرة الغامقة / أو بلمسةٍ من الزعفران الصقلّي.../ لكن لا تدعي حبيبك يرى كل تلك المرطبانات والعبوات / على

الفارس ومتّى كانا سريعين في إيجاد شريكتين، حيث اختار الفارس الآنسة دي سانتا ـ جرمان الجميلة والتي كانت ستُخطَب عن قريب، وقدّم متّى خدماته لسيّدة أكبر عمراً وأكثر حنكة، مدام دي سينانت. أخذ الفارس يلبس اللون الأخضر، ومتّى الأزرق، كونهما اللونان المفضّلان عند سيّدتيهما. في اليوم الثاني من المغازلة زار الثنائيّان قصراً خارج المدينة. الفارس كان ساحراً بالكامل، حيث جعل الآنسة دي سانتا ـ جرمان تضحك بصخب على نكاته، لكنّ متّى لم يصب هذا النجاح؛ لم يكن له صبر لموضوع التودّد والكياسة هذا، وعندما أخذت مدام سينانت تتمشّى، فقد ضغط يدها وعبّر عن لواعج نفسه. ذُعِرَت السيّدة بالطبع، وعندما عادا إلى تورين تركته دون أن تنظر إليه. كونه غير مدركٍ أنّه كان قد أزعجها، فقد اعتقد أنّها قد اجتاحتها العواطف، وسُرّ من نفسه بعض الشيء. لكن الفارس دي جرامونت الذي تساءل عن سبب افتراق الثنائيّين، زار مدام دي سينانت وسألها كيف جرى اللقاء. أخبرته الحقيقة ـ متّى كان قد استغنى عن الشكليّات وكان جاهزاً لمضاجعتها. ضحك الفارس وفكّر بينه وبين نفسه كم كان سيدير الأمور بشكلٍ مختلف لو كان هو من يتودّد إلى المدام المحبّبة.

طاولة زينتك: فأفضل/ الماكياج هو ما يبقى غير واضح. الوجه المطلي بالبودرة بكثافة سوف يُقصّر عنقك المتعرّق / وسيخلق النفور بشكلٍ مؤكّد. وتلك المادّة اللزجة من الصوف غير المغسول ـ / المصنوعة ربّما في أثينا، لكن يا عزيزتي، الرائحة! ـ / المُستخدمة ككريم للوجه: تحاشي استعمالها. عندما تكونين برفقة أحدهم / لا تضعي موادّ على بثورك، ولا تشرعي في تنظيف أسنانك: / فالنتيجة قد تكون جذّابة، لكنّ العمليّة مقزّزة.....

ـ أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

عبر الأيّام القليلة التي تلت تابع متّى إساءة فهم الإشارات. لم يقم بزيارة زوج المدام دي سينانت، كما كانت تقتضي العادة. عندما ذهب الاثنان لامتطاء الخيل سويّةً، فقد أخذ يطارد الأرانب البريّة، وكأنّها كانت الفريسة الأكثر إثارة للاهتمام، وعندما تناول مسحوق التبغ غفل عن أن يقدّم لها بعضاً منه. في تلك الأثناء استمرّ بالقيام بمبادراته الجريئة أكثر من اللازم. أخيراً كانت المدام قد رأت بما فيه الكفاية، وتذمّرت منه مباشرةً. اعتذر متّى؛ إذ لم يكن مدركاً لأخطائه. بعد أن تأثّرت باعتذاره، أصبحت السيّدة أكثر من مستعدّة لاستئناف الغزل ـ لكن بعد عدّة أيّام من ذلك، بعد عدّة محاولات عبثيّة لخطب الودّ، افترض متّى مجدّداً أنّها كانت جاهزةً للفراش. لخيبة أمله، فقد رفضته كما من قبل. قال متّى للفارس: «لا أعتقد أنّ [النساء] يمكن أن ينزعجن بشكلٍ كبير إذا امتنع أحدهم عن العبث المضيّع للوقت وتوجّه مباشرةً إلى غايته (المواقعة).» لكن السبّل كانت قد تقطّعت ما بين المدام دي سينانت وما بينه، والفارس دي جرامونت، بعد أن رأى فرصةً

لكن إذا تشبّث العاشق عندما يُصرَف، كقطٍّ في الشتاء أمام مدفأة، ولم يكن يستطيع أن يتحمّل الرحيل،

لا يستطيع تفويتها، انتهز فرصة استيائها من خلال ملاطفتها سرّاً وبالشكل المناسب، فظفر في آخر الأمر بالوصال الذي حاول متّى أن يفرضه.

لا يوجد شيءٌ أكثر مناقضةً للإغواء (تنفيراً) من الشعور بأنّ أحدهم يفترض بأنّك خاصّته أو ملكه (أي أنّك أمرٌ مسلّمٌ به)، وأنّه ليس من الممكن أن يكون بمقدورك مقاومتهم. أدنى مظهر لهذا النوع من الغرور يكون مميتاً للإغواء؛ يجب أن تثبت نفسك، تأخذ وقتك، وتفوز بقلب هدفك. لعلّك تخاف من أنّ معدّل سيرٍ أبطأ سيؤدي إلى جرح مشاعره، أو جعله يفقد الاهتمام. لكن من المرجّح أكثر أن يعكس الخوف حالة اللاأمان التي عندك وشعورك بها، واللاأمان ينفّر دائماً. في الحقيقة، فكلّما استغرقت وقتاً أكثر، كلّما أظهرت عمق اهتمامك، وكلّما كانت التعويذة (السحر) التي تخلقها أعمق.

في عالمٍ ذي شكليّاتٍ وطقوسٍ قليلة، فإنّ الإغواء هو واحدٌ من بقايا أو آثار الماضي القليلة التي تحتفظ بالأنماط القديمة. إنّه طقس، وشعائره يجب أن تُطاع ويُحتَفَل بها. تُظْهِر العجلة ليس عمق مشاعرك وإنّما درجة استغراقك وانهماكك بذاتك. قد يكون من الممكن في بعض الأحيان أن تُعَجّل شخصاً ما نحو الحب، لكن لن تكون مكافأتك سوى غياب المتعة الذي ينتجه هذا النوع من الحب. إذا كنت مندفعاً ومتهوّراً بشكلٍ طبيعيّ، فافعل ما بوسعك لإخفاء هذا. من الغريب بما فيه الكفاية أن يُقْرَأ الجهد الذي تبذله لِلَجم نفسك من قبل هدفك على أنّه شيءٌ شديد الإغواء.

3. في باريس في ثلاثينات القرن الثامن عشر عاش شابٌّ يُدعى ميليكور، الذي كان تماماً في السّن الذي يخوّله أن يحظى بعلاقته الأولى. صديقة أمّه المدام دي لورساي، كانت أرملةً في حوالي الأربعين، جميلةً وساحرةً، لكن كان لها سمعة بأنّها لا تُمَسّ؛ كصبيّ، كان ميليكور متيّماً بها، لكن لم يتوقّع أبداً أن تبادله الحبّ. لذا كانت مفاجأته وفرحته عظيمتين بأن يدرك أمّا وقد أصبح كبيراً بما فيه الكفاية، أنّ نظرات مدام دي لورساي الحنونة بدت أنّها تشير إلى أكثر ممّا هو مجرّد اهتمامٍ أموميّ به.

فيجب أن تُتخذ وسائل معيّنة لجعله يفهم؛ وهذه الوسائل يجب أن تكون فظّةً أكثر فأكثر، إلى أن تمته في الصميم. • عليها أن تمنع عنه السرير، وتسخر منه، وتُغضِبه؛ عليها أن تستعدي أمّها عليه؛ عليها أن تعامله بقلّة صدقٍ واضحة، وأن تسعى كلّ المساعي لتحطيمه؛ يجب أن يُستَبق رحيله بشكلٍ علنيّ، ويجب أن يُعارَض ذوقه وتُحبط رغباته، ويُزدَرى فقره؛ يجب عليها أن تدعه يرى أنّها متعاطفةٌ مع رجلٍ آخر، وأن توجّه إليه اللوم بكلماتٍ قاسية في جميع المناسبات؛ وأن تُخبر عنه الأكاذيب لأصدقائها الطفيليين، وأن تقاطع كلامه، وترسله في مهمّاتٍ متكررة بعيداً عن المنزل. ينبغي لها أن تلتمس مناسباتٍ للشجار، وأن تجعله ضحيّةً لألف خيانةٍ

لأكثر من شهرين كان ميليكور يرتعد في حضرة دي لورساي. كان يخاف منها، ولا يعلم ما العمل. ذات أمسيةٍ كانوا يناقشون مسرحيّةً عُرِضَت مؤخّراً. فأشادت المدام بحسن الطريقة التي من خلالها صرّح أحد أبطال المسرحيّة بحبّه لامرأة. ثمّ استأنفت بعد أن لاحظت قلق ميليكور الواضح: «إذا لم أكن مخطئة فالاعتراف بالحب لا يمكن أن يبدو كمسألةٍ بهذا الإحراج إلّا إذا كان لديك أنت نفسك اعترافٌ لتدلي به.» علمت المدام دي لورساي تماماً أنّها كانت سبب ارتباك الشاب، لكنّها استأنفت قائلةً ـ بقصد إغاظة الشاب ـ عليك أن تخبرني بمن تحبّ. اعترف ميليكور أخيراً: لقد كانت المدام بالفعل هي من يتوق إليها. نصحته صديقة أمّه بألاّ يفكّر بها بتلك الطريقة، لكنّها تنهّدت أيضاً، وأعطته نظرةً طويلةً وواهنة. كلماتها قالت شيئاً، بينما عيناها شيئاً آخر ـ لعلّها لم تكن لاتُمَسّ أو متعذّرة المنال كما كان قد ظنّ. ومع ذلك فعندما انتهت الأمسية، قالت المدام دي لورساي أنّها تشكّ أنّ مشاعره ستستمرّ، وتركت الشاب معكّراً كونها لم تقل شيئاً عن مبادلتها حبّه.

منزليّة متعمّدة؛ عليها أن تُرهِق دماغها في استنباط الأفعال التي تُغيظه؛ وأن تتبادل النظرات مع رجلٍ آخر في حضوره، وأن تنغمس في تهتّكٍ منكرٍ أمام عينيه؛ وأن تغادر المنزل ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وتدع الأمر يبدو على أنه لايوجد حاجةٌ حقيقيّة لفعل ذلك. كلّ هذه الوسائل ناجعة لإرشاد الرجل إلى باب الخروج.

ـ *الحبّ الشرقي*، المجلّد الثاني: موجَز *كشيمندرا للمومسات*، ترجمة إي. بوويس ماثرز

عبر الأيّام القليلة التي تلت، طلب ميليكور من المدام دي لورساي بشكلٍ متكرّر أن تعلن حبّها له، فرفضت بنفس التكرار. في آخر الأمر قرّر الشاب أن قضيّته ميئوسٌ منها، واستسلم؛ لكن بعد عدّة ليالٍ من ذلك، في سهرةٍ في بيتها، بدا فستانها أكثر إغراءً من المعتاد، ونظراتها له جعلت الدّم يغلي في عروقه. بادلها النظرات، وتبعها في أرجاء المكان، بينما حرصت على ترك مقدارٍ بسيطٍ من المسافة، مخافة أن يحسّ الآخرون بما كان يجري. ومع ذلك فقد استطاعت تدبّر إمكانيّة بقائه دون أن يثير الشكوك بعد أن يغادر الضيوف الآخرون.

تماماً كما تحبّ النساء الرجال الذين يتحلّون أثناء الحرب بالبسالة والجسارة، فإنّهنّ بطريقة مماثلة يحببن الرجال الذين من هذا الصنف في الحبّ؛ والرجل الجبان والذي

عندما أصبحا أخيراً لوحدهما، أجلسته بقربها على الأريكة. بالكاد استطاع التكلّم؛ والصمت كان غير مريح. لكي تحمله على الكلام، فقد أثارت نفس الموضوع القديم: يفاعته كانت ستجعل من حبّه لها نزوةً عابرة. بدلاً من إنكار ذلك بدا مغتمّاً، واستمرّ بالحفاظ على مسافةٍ مهذّبة، حتّى صرخت أخيراً، وبسخرية واضحة، «إذا كان معروفاً أنّك هنا بموافقتي، وأنّني قد رتّبت ذلك معك طوعاً ... فما عسى الناس ألاّ يقولوا؟ ومع ذلك فكم

هم مخطئون، لأنّه لا يمكن أن يكون هنالك شخصٌ أكثر احتراماً منك.» فأمسك بيدها ونظر في عينيها كونه قد حُرِّض على عمل شيء. احمرّت خجلاً وأخبرته بأنّ عليه الانصراف، لكن الطريقة التي كانت تجلس بها على الأريكة وتنظر إليه اقترحتا أنّه يجب أن يفعل عكس ذلك. ومع ذلك فقد ظلّ ميليكور متردّداً: أخبرته بأنّ عليه الذهاب، وإذا عصى فمن الممكن أن تثير فضيحة، وألاّ تسامحه أبداً؛ كان سيجعل من نفسه أحمقاً، وسيسمع الجميع بالحادثة بمن فيهم أمّه. سرعان ما نهض وهو يعتذر عن جرأته اللحظيّة أو الخاطفة. نظرتها المشدوهة والباردة نوعاً ما عَنَت أنّه كان بالفعل قد مضى أبعد بكثيرٍ من اللازم، أو هكذا خُيِّل إليه، وقال الوداع وانصرف.

يظهر ميليكور والمدام دي لورساي في رواية *الرأس المعاند والقلب*، التي كتبها في عام 1738 كريبيلون فيل الذي استمدّ شخصيّاته من أناسٍ فاسقين كان يعرفهم في فرنسا ذلك العصر. بالنسبة لِكريبيلون فيل، فالإغواء كلّه عبارة عن إشارات أو يتمحور حولها ـ حول القدرة على إرسالها وقراءتها. هذا ليس بسبب أنّ الجنسانيّة مكبوتة وتحتاج إلى أن تُتَكَلّم عن طريق الشِّفرة. وإنّما لأنّ التواصل غير المحكي (من خلال الثياب، الإيماءات، الأفعال) هو الشكل الأكثر متعةً وإثارةً وإغوائيّةً في اللغة.

في رواية كريبيلون فيل، فإنّ المدام دي لورساي هي مغويةٌ ذكيّة كانت تجد متعةً وإثارة في إدخال الشباب اليافعين في عالم الغواية والجنس. ومع ذلك فهي لا تستطيع أن تتخطّى غباوة الشباب التي عند ميليكور، غير القادر على قراءة إشاراتها لأنّه مُستَغرِقٌ في أفكاره الخاصّة. لاحقاً في القصّة، تتدبّر تعليمه، لكن في الحياة الحقيقيّة يوجد الكثيرون ممّن لا يمكن تعليمهم. هم حرفيّون أكثر من اللازم وغير حسّاسين للتفاصيل التي تحتوي على القوة الإغوائيّة. هم لا ينفّرونك أكثر ممّا يضايقونك ويستفزّونك بقراءاتهم الخاطئة على الدوام، دائماً يرون الحياة من خلف حجاب الأنا الخاص بهم وغير قادرين على رؤية الأشياء كما هي. ميليكور عالقٌ جدّاً في نفسه لدرجة أنّه لا يستطيع رؤية أنّ المدام تتوقع منه أن يقوم بالخطوة الجريئة التي ستضطر للاستسلام لها. يظهر تردّده أنّه يفكّر في نفسه، وليس فيها؛ أنّه قلقٌ حيال

يُفرِط أو يفترِط في احترام المرأة لن يظفر أبداً بالحظوة عندهنّ. ليس مُراد القول أنّهنّ يردن الرجال أن يكونوا غايةً في الصلف والجرأة والوقاحة، لدرجة أن يطرحونهنّ أرضاً باستخدام القوّة المحضة؛ بل بالأحرى أنّهن يشتهين فيهم نوعاً معيّناً من التواضع الصلب، أو صلابةً متواضعة والتي لرّبما كانت أفضل. ففي حين أنّ النساء أنفسهنّ لسن داعرات، ولن يتحرّشن بالرجال أو يقمن حقيقةً بعرض الوصال، إلّا أنّهنّ يعلمن بشكلٍ جيّد كيف يوقظن الشهوات والأهواء، ويقمن بالاستدراج إلى المناوشة على نحوٍ ظريف وحصيف بحيث يكون الرجل الذي لا يخطف الفرصة من ناصيتها وينضمّ إلى المناوشة، وذلك دون أيّ رهبةٍ

كيف يبدو، بدلاً من الشعور بأنّ فتنتها وسحرها قد استبدّتا به. لا شيء يمكن أن يكون منفّراً أو على النقيض من الإغواء أكثر من هذا. تعرّف على هذه الأنماط، وإذا كانوا قد تخطّوا سن اليفاعة والشباب الذي من شأنه أن يَعذُرَهم، فلا توقع نفسك في شرك ارتباكهم وخرقهم - إذ سوف يُعْدونك بالشك.

4. في البلاط الهاياني في يابان أواخر القرن العاشر، النبيل الشاب كارو - الابن المزعوم للمغوي العظيم جنجي نفسه - لم يجنِ شيئاً سوى سوء الحظ في الحب. كان قد أصبح متيّماً بأميرة شابّة، أويجيمي، التي كانت تعيش في بيتٍ خَرِبٍ متهدّم في الريف، فأبوها كان قد وقع في ظروفٍ صعبة. ثمّ في أحد الأيّام صادف أخت أويجيمي، ناكانوكيمي، التي أقنعته بأنّها هي كانت في الواقع من يحبّ. عاد إلى البلاط كونه كان مشوّشاً، ولم يقم بزيارة الأختين لبعض الوقت. ومن ثمّ مات أبوهما، متبوعاً بعد ذلك بفترةٍ قصيرة بأويجيمي نفسها.

الآن أدرك كارو خطأه: كان يحبّ أويجيمي منذ البداية، وكانت قد ماتت من القنوط من أنّه سيهتمّ أو سيعبأ بها. لم يكن ليلتقي بمثلها ثانيةً قطّ؛ كانت كل ما يستطيع التفكير به. عندما أتت ناكانوكيمي للعيش في البلاط بعد أن مات أبوها وأختها، حوّل كارو البيت الذي عاشت فيه أويجيمي وأسرتها إلى مقام.

ذات يوم، بعد أن رأت ناكانوكيمي السوداويّة التي كان كارو قد انحدر إليها، أخبرته بأنّ هنالك أختاً ثالثة، يوكيفون، والتي تشابه محبوبته أويجيمي وأنّها عاشت مختبئةً في مكانٍ بعيد في الريف. دبّت الحياة في كارو - لعلّه يحظى بفرصة ليخلّص نفسه من الخطيئة التي ارتكبها، وليغيّر الماضي. لكن كيف يتسنّى له أن يقابل هذه المرأة؟ أتى وقتٌ زار فيه الضريح كي يقدّم فروض الولاء والاحترام لأويجيمي الراحلة، وسمع أنّ يوكيفون الغامضة كانت هناك أيضاً. فتدبّر أن يلقي نظرة خاطفة عليها من شقّ الباب وهو مهتاجٌ ومتشوّق. رؤيته لها خطفت أنفاسه: بالرّغم من أنّها كانت فتاةً ريفيّة عاديّةً الجمال جدّاً، إلّا أنّها كانت في عيني كارو التجسيد الحي

للمقام الرفيع أو لعظمة الشأن، ودون أيّ وازعٍ من ضمير أو خوفٍ أو أيّ نوعٍ من التردّد، أحمق من غير ريب ورعديداً مخلوع الفؤاد، وشخصاً جديراً بأن يتخلّى عنه الحظّ الطيّب إلى الأبد. •
سمعت عن صديقين نبيلَين ومرموقين كانت سيّدتان جديرتان بالاحترام وليستا بأيّ شكلٍ من الأشكال من نوعيّةٍ متواضعة، قد دبّرتا معهما موعداً سريّاً في باريس ذات يوم للتنزّه في حديقة. ابتعدت السيّدتان عن بعضهما البعض حتّى انفصلتا، كلٌّ على حدة مع مرافقها في ممشى مختلف. وكان كلّ ممشى مُغَطّى بشكلٍ كثيفٍ للغاية بتعريشةٍ من الأغصان لدرجة أنّ ضوء النهار كان بالكاد يستطيع النفاذ إلى هنالك، وبرودة المكان كانت

لأويجيمي. صوتها، في هذه الأثناء، كان مثل صوت ناكانوكيمي، التي أحبّها أيضاً. اغرورقت عيناه بالدّموع.

بعد عدّة أشهرٍ من ذلك تدبّر كارو أن يجد البيت في الجبال حيث كانت يوكيفون تسكن. زارها هناك، ولم تخيّبه. قال لها: «كنت قد لمحتك لمرّة واحدة من خلال تصدّعٍ في الباب ولم تفارقي ذهني منذ ذلك الحين.» ومن ثمّ رفعها بذراعيه وحملها إلى عربةٍ كانت بالانتظار. كان سيقلّها إلى المزار ثانيةً، وأعادت الرحلة له صورة أويجيمي؛ فاغرورقت عيناه مجدّداً بالدموع. نظر إلى يوكيفون وأخذ يقارنها في صمت مع أويجيمي ـ ثيابها كانت أقلّ حلاوةً لكنّ شعرها كان جميلاً.

عندما كانت أويجيمي حيّةً، كانت تلعب وكارو الكوتو سويّةً، لذا أخرج الكوتو بمجرّد وصوله إلى المقام. يوكيفون لم تكن تلعب بمثل مستوى أويجيمي، وتصرّفاتها كانت أقلّ تشذيباً وصقلاً. هذا لم يكن يقلقه ـ إذ كان سيعطيها دروساً، محوّلاً إيّاها بذلك إلى سيّدة راقية. لكن عندها ـ كما كان قد فعل مع أويجيمي ـ عاد إلى القصر تاركاً وراءه يوكيفوين في المقام وهي ملتاعةٌ من الأسى والشوق. مضى بعض الوقت قبل أن يزورها مجدّداً؛ كانت قد تحسّنت وأصبحت أكثر جمالاً من ذي قبل، لكنّه لم يستطع أن يتوقّف عن التفكير في أويجيمي. تركها مرّةً أخرى، بعد أن وعدها بإحضارها إلى القصر، لكن انقضت أسابيعٌ أكثر هذه المرّة، وأخيراً تلقّى أنباءً مفادها أنّ يوكيفون كانت قد اختفت، بعد أن شوهِدَت آخر مرّة وهي تتوجّه نحو النهر. كانت قد انتحرت على الأرجح.

في حفل الجناز الذي أقيم من أجل يوكيفون، كان كارو قد دمّره الإحساس بالذنب: لماذا لم يذهب لعندها في وقتٍ أبكر؟ إنّها تستحقّ مصيراً أفضل.

كارو والأخريات يظهرون في الرواية اليابانيّة من القرن الحادي عشر قصّة جنجي، التي ألّفتها النبيلة موراساكي شيكيبو. الشخصيّات مستمدّة من أشخاصٍ كانت الكاتبة تعرفهم، لكن نمط كارو يظهر في كل الثقافات والعصور: هؤلاء هم رجالٌ ونساء يبدو أنّهم يبحثون عن شريكٍ مثاليّ.

مُستَحبّةً للغاية. وعندها كان واحدٌ من الرفيقين رجلاً جريئاً، عرف جيداً أنّ الجَمعة كانت قد عُمِلَت لغرضٍ آخر غير مجرد المَشي وتنسّم الهواء، وقدّر من وجه سيّدته الذي رأى أنّه كان يشتعل بالرغبة أنّها كان لديها أتواقاً لتذوّق طعام آخر غير زبيب المُسكّات الذي تدلّى من التعريشة، كما قدّر من خطابها الساخن، اللعوب، وشديد التوق، أنّ هنالك فرصةً غايةً في الروعة يجب انتهازها. لذا قام بإمساكها دون أن يتكلّف أيّة رسميّات فارغة، وطرحها على مَضجعٍ صغير مصنوعٍ من الأعشاب وتراب الأرض، وقام بشكلٍ سارٍّ جدّاً بممارسة اشتهائه لها، دون أن تتفوّه أبداً بأيّة كلمةٍ ما عدا: «يا للسماء! يا سيّدي، ماذا فاعلٌ

الشّريك الذي لديهم لا يكون أبداً حسناً تماماً؛ الشخص يمتعهم ويثيرهم للوهلة الأولى، لكن سرعان ما يرون الأغلاط، وعندما يعبر شخصٌ جديدٌ مسارهم، وهو أو هي يبدو/ تبدو أفضل من الشخص الذي يعرفون فإن هذا الشخص يصبح في طيّ النسيان. غالباً ما تحاول هذه الأنماط أن تعمل على البشري غير الكامل الذي أثارهم وشوّقهم، من أجل تحسينه ثقافيّاً وأخلاقيّاً. لكن هذا يتكشّف عن كونه أمراً غير مرضٍ أبداً لكلا الطرفين. الحقيقة عن هذا النمط أو الفئة هي ليست أنهم يبحثون عن مثالٍ بل أنّهم غير سعداءٍ تجاه أنفسهم بشكلٍ يصعب إصلاحه. قد تحسب خطأً أنّ عدم رضاهم هو عبارة عن معايير مثاليّةٍ عالية، لكن في ضوء الواقع فلا شيء يمكنه إرضاؤهم حقّاً، لأنّ عدم سعادتهم تكون عميقة الجذور. تستطيع تمييزهم من خلال ماضيهم، المحفوف بقصصٍ رومانسيّةٍ عاصفةٍ لم تعمّر طويلاً. أيضاً، هم يميلون لمقارنتك بالآخرين، ولمحاولة صنعك من جديد. قد لا تدرك في البداية ما قد أقحمت نفسك فيه، لكنّ أناساً كهؤلاء سيتكشّفون في آخر المطاف عن كونهم منفّرين بشكلٍ عضال لأنّهم لا يستطيعون رؤية خصائصك الفذّة. إقطع شأفة الرومانس قبل أن يبدأ. هؤلاء الأنماط هم ساديّون في الخفاء وسيعذّبونك بأهدافهم التي لا يمكن الوصول إليها.

5. في عام 1762، في مدينة تورين الإيطاليّة، التقى جيوڤاني جياكومو كازانوڤا لأوّل مرّة بكونتٍ (أ.ب.)، وهو سيّدٌ نبيل من ميلانو بدا أنّه يحبّه (يحبّ كازانوڤا) بشكلٍ هائل. كان قد عانى الكونت أوقاتاً عصيبة وأقرضه كازانوڤا بعض المال. كعرفانٍ بالجميل، دعا الكونت كازانوڤا ليمكث معه وزوجته في ميلانو. قال الكونت أنّ زوجته كانت من برشلونة وأنّ جمالها كان محطّ إعجابٍ كبير وواسع النطاق. أرى الكونت رسائلها لكازانوڤا، والتي كانت مكتوبة بخفّة دمّ آسرة؛ تخيّلها كازانوڤا كجائزةٍ تستحق الإغواء. فمضى إلى ميلانو.

لدى وصوله إلى منزل الكونت، وجد كازانوڤا أن السيّدة الإسبانيّة كانت جميلةً بالتأكيد، لكنّها كانت أيضاً هادئة وجدّية. شيءٌ بصددها كان قد أزعجه. عندما أفرغ حقيبته من الثياب، رأت الكونتيسّة رداءً أحمر رائعاً،

أنت؟ أنت بالتأكيد الرجل الأكثر جنوناً وغرابةً في تاريخ البشريّة! إذا قدم أيّ شخصٍ، فماذا سيقول؟ إذهب بحقّ السماء!» لكنّ الرجل تابع من دون أن يزعج نفسه وبشكلٍ حسنٍ للغاية ما كان قد بدأه إلى أن انتهى، وهي أيضاً، في حالةٍ من الرضى الشديد لدرجة أنّهما عاودا الكرّة من جديد بعد أن طافا بالممشى ثلاث أو أربع مرّات. بعد ذلك ببرهة، بينما كانا يتمشّيان في ممشىً آخر مفتوح، فقد رأيا في مكانٍ آخر من الحديقة الاثنين الآخرين وهما يتمشّيان مع بعضهما البعض دونما وجهة أو غاية تماماً كما تركاهما في البداية. وعندئذٍ قالت السيّدة التي حصلت على مرادها للرجل الذي يشاطرها نفس الحالة، «أنا موقنة تماماً من أنّ

مزيّناً بفرو السمّور الأسود، من بين مقتنياته. شرح كازانوڤا أنّه كان هديّةً لأيّ سيّدةٍ من ميلان تفوز بقلبه.

في الليلة التالية على العشاء، صارت الكونتيسّة فجأةً أكثر ودّاً، إذ أخذت تمازح وتغيظ كازانوڤا. وصفت الرداء بالرشوة ـ كان يستخدمه حتى يقنع المرأة بالاستسلام له. بل على العكس من ذلك، قال كازانوڤا، فأنا لا أعطيه إلّا بعد نيل المراد، كعربون تقدير. في تلك الأمسية، وهم في عربة تقلّهم على طريق العودة من الأوبرا، سألته إذا كان بإمكان صديقةٍ غنيّةٍ لها أن تشتري الثوب، وعندما أجاب بلا، انزعجت بشكلٍ واضح. كونه أحسّ بلعبتها، فقد اقترح كازانوڤا أن يقدّم لها رداء فرو السمّور إذا كانت لطيفةً معه. هذا لم يؤدِّ إلّا لإغضابها، فتشاجرا.

أخيراً كان كازانوڤا قد سئم من تقلّب مزاج الكونتيسّة: باع الرداء مقابل 15000 لصديقتها الغنيّة، التي بدورها أعطتها إيّاه، كما كانت قد خطّطت منذ البداية. لكن ليثبت عدم اهتمامه بالمال، فقد أخبر كازانوڤا الكونتيسّة أنّه على استعدادٍ ليعطيها الـ 15000، دون قيدٍ أو شرط. قالت له: «أنت رجلٌ سيّئٌ للغاية لكنّك تستطيع البقاء فأنت تسلّيني. واستأنفت سلوكها المتّسم بالغنج، لكنّ كازانوڤا لم يُخدَع. وقال لها: «ليس ذنبي، يا سيّدتي، إذا كان لسحرك تأثيرٌ محدودٌ للغاية عليّ.» «هذه هي الـ 15000 إذا كان ذلك يرضيك.» وضع المال على الطاولة وانصرف، تاركاً الكونتيسّة تستشيط غضباً وهي تهدّد وتتوعّد.

عندما التقى كازانوڤا لأوّل مرّة بالكونتيسّة، فقد نفّره منها عاملان. الأوّل، اعتدادها بنفسها: فبدلاً من أن تنخرط في عمليّة أخذٍ وردٍّ للإغواء، فقد طالبت بإخضاع الرجل. الاعتداد بالنفس يمكنه أن يعكس ثقةً بالنفس، مشيراً إلى أنّك لن تُذِلّ نفسك أمام الآخرين، تماماً كما يمكنه أن ينبع ـ وعلى الرّغم من ذلك ـ من مركّب نقص، والذي يتطلّب أن يذلّ الآخرون أنفسهم أمامك. يتطلّب الإغواء انفتاحاً على الشخص الآخر، واستعداداً للانحناء والتكيّف. العنفوان أو الكبرياء الزائد، دون أيّ شيءٍ يبرّره هو أمرٌ منفّرٌ بشكلٍ كبير.

فلاناً قد لعب دور المتزمّت السخيف، ولم يمنح سيّدته أيّة تسلية سوى الكلمات، الخُطَب الحسنة، والتنزّه.» • عندما اجتمع الأربعة مع بعضهم البعض فيما بعد، فقد سارعت كلّ سيّدةٍ لتسأل رفيقتها عن الطريقة التي سارت بها الأمور معها. عندها فقد أجابت السيّدة التي أُشبِعَت رغباتها بأنّها كانت على خير ما يُرام وبصورةٍ استثنائيّة، بالفعل لقد كانت كذلك؛ بالفعل أنّه بالكاد يمكنها أن تكون أفضل حالاً ممّا كانت عليه عندئذٍ. الأخرى التي كانت ساخطةً، أكّدت من ناحيتها أنّها اضطرّت للتعاطي مع أكبر مغفّل وأجبن عاشقٍ كانت قد رأته على الإطلاق؛ وخلال ذلك كلّه كان بإمكان الرجلين أن يريانهنّ وهما

الصفة الثانية التي أثارت اشمئزاز كازانوڤا كانت طمع الكونتيسّة: ألعابها الصغيرة المغناجيّة كانت مصمَّمَةً فقط للحصول على الثوب - لم يكن لديها اهتمامٌ بالرومانس. كان الإغواء بالنسبة لكازانوڤا عبارة عن لعبةٍ خفيفة الظل وممتعة يلعبها الناس من أجل تسليتهم المتبادلة. لم يكن هنالك ضيرٌ، في منظومة الأشياء لديه، إذا كانت المرأة تريد المال والهدايا أيضاً؛ فتلك رغبةٌ يستطيع فهمها، وكان رجلاً كريماً. لكنّه شعر أيضاً أنّ هذه رغبةٌ يتعيّن على المرأة إخفاءها - إذ يجب عليها أن تخلق الانطباع بأنّ ما تسعى وراءه هو المتعة. الشخص الذي يحتال بشكلٍ واضح للحصول على المال أو جائزةٍ مادّيّةٍ أخرى لا يسعه إلّا أن يوقع النفور والاشمئزاز في النفوس. إذا كانت تلك نيّتك، إذا كنت تبحث عن شيءٍ عدا عن اللذّة - عن المال، السلطة - فلا تُظهِر ذلك أبداً. مسحةٌ من الدوافع الخفيّة هي شيءٌ منفّر. إيّاك وأن تدع أيّ شيء يحطّم الوهم.

6. في عام 1868، استضافت الملكة ڤيكتوريا (ملكة بريطانيا) اجتماعها الخاص الأوّل برئيس وزراء البلاد الجديد، ويليام غلادستون. كانت قد التقت به من قبل، وعلمت بصيته كشخصٍ يؤمن بالأخلاق إيماناً مطلقاً، لكن هذا الاجتماع كان يُرادُ منه أن يكون مراسميّاً، وأن يتمّ فيه تبادل المجاملات والأحاديث الخفيفة. لكنّ غلادستون لم يكن لديه صبرٌ لهذه الأشياء. في ذلك الاجتماع الأوّل شرح للملكة نظريّته في الملَكيّة: آمن بأنّ على الملكة أن تلعب دوراً يُقتَدى به في إنكلترا - دوراً كانت قد فشلت مؤخّراً في الارتقاء إليه، لأنّها كانت انعزاليّةً بشكلٍ مفرط.

صبغت هذه المحاضرة المستقبل بصبغة سيّئة، والأشياء لم تتّجه إلّا نحو الأسوأ: سرعان ما بدأت ڤيكتوريا بتلقّي الرسائل من غلادستون الذي مضى في معالجة الموضوع بشكلٍ أكثر عمقاً. نصف تلك الرسائل لم تتجشّم عناء قراءتها، وسرعان ما أخذت تفعل أيّ شيء باستطاعتها لتفادي الاحتكاك مع زعيم حكومتها؛ إذا اضطرّت لأن تراه، فإنّها كانت تحرص على جعل اللقاء أقصر ما يمكن. لتحقيق هذه الغاية، فإنّها لم تكن تسمح له بالجلوس في حضرتها، أملاً منها في أنّ رجلاً في مثل عمره سرعان ما سيملّ ويغادر. لأنّه بمجرّد ما كان يشرع بالكلام عن موضوعٍ عزيزٍ على قلبه، فإنّه لم يكن

تضحكان وتصيحان مع بعضهما البعض أثناء المشي: «أوه! أيها المغفّل السخيف! يا أيها الرعديد الجبان المخجول!» عندئذٍ قال الزير الناجح لرفيقه: «أصغِ إلى سيّدتينا اللتين تصيحان عليك، وتهزآن بك بشكلٍ مؤلم. وستكتشف أنّك بالغت بلعب دور المتزمّت والمغرور في هذه الواقعة.» أقرّ بصحّة ذلك لأبعد درجات الحدود؛ لكنّ الأوان كان قد فات على إصلاح خطئه، لأنّ الفرصة لم تعطه مسكةً أخرى ليمسك بها بواسطتها.

- سيجنور دي برانتوم، حيوات *السيدات الجميلات والمهيبات*، ترجمة آي. آر ألينسون

يلاحظ نظرة عدم الاهتمام لديك أو الدموع في عينيك نتيجة التثاؤب. مذكّراته الدبلوماسيّة أو حتّى أبسط القضايا (التي يكتب عنها) كان يجب أن تُترجَم إلى إنكليزيّةٍ بسيطة (واضحة) من قبل أحد أعضاء طاقمها كي تتمكّن من قراءتها. لكن الأسوأ من هذا كلّه كانت الطريقة التي يجادلها بها، فقد كانت لمناقشاته طريقة في جعلها تشعر بأنّها غبيّة. تعلّمت سريعاً أن تومئ برأسها كي تظهر على أنّها تتّفق مع أيّ وجهة نظرٍ مجرّدةٍ كان يحاول أن يوضّحها. كتبت في رسالةٍ إلى أمين سرّها ـ مشيرةً إلى نفسها بصيغة الغائب، «لطالما استشعرت عناداً وتعجرفاً تسلّطيّين في سلوك [غلادستون] ... واللذين لم تعان منهما من *أيّ شخصٍ* آخر، واللذين كانا أكثر ما كرهته فيه.» تقسّت هذه المشاعر عبر السنين حتّى أصبحت كرهاً لا يلين.

كرئيسٍ لحزب الأحرار، كان لغلادستون خصمٌ رهيبٌ اسمه بنجامين دزرائيللي الذي كان رئيس حزب المحافظين. كان ينظر لدزرائيللي كشخصٍ لا يقيم وزناً للاعتبارات الأخلاقيّة، كيهودي شيطاني. في إحدى جلسات البرلمان، هاجم غلادستون منافسه كلاميّاً، مسجّلاً نقطةً بعد نقطة وهو يصف النتائج التي ستودي إليها سياسات خصمه. تصاعد غضبه أثناء كلامه (كما كان يحدث عادةً عندما يتحدّث عن دزرائيللي)، فلكم الطاولة بقوّة جعلت الأقلام والأوراق تطير. أثناء كلّ هذا بدا دزرائيللي نصف نائم. عندما انتهى غلادستون من الكلام، فتح عينيه ونهض على قدميه ومشى بهدوء نحو الطاولة. وقال: «السيّد المستقيم الجدير بالإحترام قد تكلّم بكثيرٍ من الانفعال، كثيرٍ من الفصاحة، وكثيرٍ من ـ أحم ـ العنف.» ثمّ استأنف بعد توقّفٍ تعمّد إطالته، «لكن يمكن إصلاح الضرر» ـ وباشر بلمّ الأشياء التي كانت قد وقعت من الطاولة وأعادها إلى مكانها. الخطاب الذي تلا كان غايةً في البراعة في تباينه الهادئ والساحر مع خطاب غلادستون. سُحِرَ أعضاء البرلمان، واتّفقوا جميعاً أنّه كان قد فاز في ذلك اليوم.

إذا كان دزرائيللي مثال الساحر والمغوي الاجتماعي، فغلادستون كان مثال المنفّر أو نقيض المغوي. بالطبع كان له مؤيّدون، معظمهم من العناصر الأكثر تزمّتاً في المجتمع ـ فاز مرّتين على دزرائيللي في الانتخابات العامّة.

لكنّه وجد من الصعب أن يوسّع جاذبيّته إلى ما بعد حلقة المؤمنين. النساء تحديداً وجدن أنّه لا يُطاق. بالطبع لم يكن لهنّ حق التصويت في ذلك الزمن، لذا لم يشكّلوا من الناحية السياسيّة سوى عائقٍ بسيط؛ لكن غلادستون كان يضيق ذرعاً بوجهة النظر النسائيّة. كان يشعر أنّ المرأة يجب أن تتعلّم رؤية الأشياء كما يراها الرجل، وكان هدفه في الحياة أن يعلّم أولئك الذين شعر أنّهم غير عقلانيّين أو الذين قد تخلّى عنهم الله.

لم يكن يلزم غلادستون وقتاً طويلاً قبل أن يرهق أعصاب أيّ شخصٍ كان. فتلك هي طبيعة الأشخاص المقتنعين بحقيقةٍ ما، لكن ليس لديهم سعة صدر أو حلمٌ إزاء منظورٍ آخر أو للتعامل مع نفسيّة شخصٍ آخر. هؤلاء الأشخاص هم متنمّرون على من هم أضعف منه، وغالباً ما ينالون مرادهم على المدى القصير، وخاصّةً عند الأشخاص الأقل عدوانيّةً. لكنّهم يثيرون الكثير من الامتعاض والمشاعر السلبيّة (البغض) الكظيمة، والتي تؤدّي إلى إيقاعهم في آخر الأمر. الناس يميّزون الطبيعة الحقيقيّة الكامنة تحت موقفهم الأخلاقي والقويم، الذي غالباً ما يكون غطاءً للعبة القوّة - فالأخلاقيّة هي شكلٌ من أشكال القوّة. لا يسعى المغوي أبداً لأن يقنع بشكلٍ مباشر، لا يستعرض أبداً أخلاقيّاته/ها، لا يحاضر أو يفرض نفسه أبداً. كلّ شيءٍ مصقولٌ، يستهدف سيكولوجيّة الإنسان، وغير مباشر.

الرمز: السرطان. في عالم
قاسٍ، يبقى السرطان على قيد الحياة
بواسطة قوقعته المتقسّية، بواسطة تهديد كلاّبيه،
وبواسطة الاختباء في الرمال. لا أحد يجرؤ على الاقتراب
أكثر من اللازم. لكن السرطان لا يستطيع مفاجأة عدوّه
ويتمتّع بالقليل من الحركيّة. قوّته الدفاعيّة هي محدوديّته المطلقة.

استخدامات عكس ـ الإغواء

أفضل طريقة لتفادي الوقوع في شرك نقيض المغوي تكون من خلال تمييزهم حالاً وتجنّبهم، لكنّهم غالباً ما يخدعوننا. يكون التورّط مع هذه الأنماط مؤلماً، ومن الصعب التحرّر منه، لأنّه كلّما كانت ردّة الفعل التي تظهرها أكثر عاطفيّة، بدوت أكثر ارتباطاً وتورّطاً. لا تغضب ـ فهذا قد لا يؤدّي سوى لتشجيعهم أو لمفاقمة ميولهم المنفّرة. بدلاً من ذلك، تصرّف بقلّة ودّ وعدم اكتراث، لا تُعِرهم اهتماماً واجعلهم يشعرون بمدى قلّة أهمّيتهم لك. أفضل ترياقٍ مضادٌّ للمنفّر هو أن تكون أنت نفسك منفّراً.

كان لكليوباترا أثرٌ مدمّرٌ على كلّ رجلٍ عَبَرَ طريقها. أوكتاڤيوس ـ الذي أصبح الإمبراطور أغسطس فيما بعد، والرجل الذي سيهزم ويدمّر عشيق كليوباترا مارك أنتوني ـ كان مدركاً تماماً لقوّتها، وصان نفسه تجاه هذه القوّة من خلال كونه دائماً غايةً في اللطف والودّ معها، ودمثاً لأقصى درجات الحدود، لكن دون أن يظهر أبداً أدنى عاطفة، أكانت عاطفة حبٍّ أو كره. بكلمةٍ أخرى، عاملها كما لو كانت أيّ امرأةٍ أخرى. لم تستطع أن تصطاده بشباكها بعد أن ووجِهَت بهذا المسلك. جعل أوكتاڤيوس من عكس ـ الإغواء دفاعه ضد أكثر امرأةٍ جذّابةٍ على نحوٍ لا يُقاوَم في التاريخ. تذكّر: الإغواء هو لعبة انتباه، أي لعبة ملأ عقل الشخص الآخر تدريجيّاً بحضورك. البعد وعدم الانتباه أو الاهتمام سيخلقان التأثير المعاكس، ويمكن استخدامهم كوسيلةٍ تكتيكيّة عندما تبرز الحاجة.

أخيراً، إذا أردت حقّاً أن «تنفّر»، فادّعِ الخصائص المُدرَجة في بداية الفصل. نقّ؛ تكلّم كثيراً، وخاصّةً عن نفسك؛ البس بطريقة تتنافى وذوق الشخص الآخر؛ لاتهتم بالتفاصيل؛ إخنق، وهكذا. تحذير: إيّاك أن تردّ بفظاظة أكثر من اللازم مع النمط المجادل والمتبجّح. الكلمات لن تكون إلّا مثل النار للهشيم. تبنَّ استراتيجيّة الملكة ڤكتوريا: أومئْ برأسك، اظهرْ كمن يوافق، ثمّ جِدْ عذراً لإنهاء المحادثة بشكلٍ مختصر. فهذا هو الدفاع الوحيد.

ضحايا المغوي

الأنماط الثمانية عشر

كل الناس الذين من حولك هم ضحايا محتملة للإغواء، لكن أولاً يجب أن تعرف مع أي نمطٍ من الضحية أنت تتعامل. الضحايا يُصنّفون من خلال ما يحسّون أنّهم يفتقدوه في حياتهم ـ مغامرة، انتباه، رومانس، تجربة شقيّة، تحفيز فكري أو جسدي، إلخ. بمجرّد ما تتعرّف على نمطهم، تكون قد حصلت على المكوّنات الضرورية للإغواء: ستكون الشخص الذي سيمنحهم ما يعوزونه ولا يستطيعون أن يستحصلوه بمفردهم. لدى دراسة الضحايا المحتملة، تعلّم أن ترى الحقيقة الكامنة خلف المظهر. فالشخص الهيّاب قد يتوق للعب دور النجم؛ المتزمّت قد يتوق لإثارةٍ تتّسم بالانتهاك والإثم. إيّاك أن تحاول إغواء نمطك الخاص.

؟ ؟ ؟ ؟

؟ ؟

؟

نظريّة الضحيّة

لا أحد في هذا العالم يشعر بأنّه كاملٌ متكامل. كلّنا نشعر بوجود فجوةٍ ما في شخصيتنا، شيءٌ نحتاجه أو نريده لكنّنا لا نستطيع الحصول عليه بمفردنا. عندما نقع في الحبّ، فغالباً ما يكون ذلك مع شخصٍ يبدو أنّه يملأ تلك الفجوة. عادةً ما تحدث العمليّة في اللاوعي وتعتمد على الحظ: نحن ننتظر أن يمرّ الشخص المناسب في طريقنا، وعندما نقع في حبّهم فإنّنا نأمل بأن يبادلونا الحب. لكنّ المُغوي لا يترك هذه الأشياء للصدفة أو الحظ.

إنظر إلى الناس من حولك. إنسَ ظاهرهم الاجتماعي، سماتهم الشخصيّة البيّنة؛ انظر إلى ما وراء كل هذا، مركّزاً على الثغرات، الحلقات المفقودة في أنفسهم وعقولهم. تلك هي المادّة الخام لأيّ إغواء. أَعِر الانتباه وعن قرب لثيابهم، إيماءاتهم، تعليقاتهم المرتجلة، الأشياء التي في بيوتهم، نظراتٌ معيّنة في أعينهم؛ إحملهم على الكلام عن ماضيهم، وخاصّةً عن غراميّاتهم القديمة. وشيئاً فشيئاً سوف يبرز للعيان مخطّط تلك الأشياء المفقودة. إفهم شيئاً: يرسل الناس باستمرار إشاراتٍ عمّا ينقصهم. هم يتوقون للكمال، أكان وهماً أم حقيقة، وإذا تأتّى من شخصٍ آخر، فسيكون لذلك الشخص سلطانٌ هائلٌ عليهم. قد ندعوهم ضحايا للإغواء، لكنّهم ضحايا طوعيّون (أي اختاروا أن يكونوا كذلك) في معظم الأحوال إن لم يكن كلّها.

هذا الفصل يرسم إطار الثمانية عشر نمطاً من الضحايا، حيث يعاني كلّ واحدٍ منها من نقصٍ رئيسيّ. بالرغم من أنّ هدفك قد يتكشّف عن خصائص أكثر من نمطٍ واحد، إلّا أنّه يكون هنالك في المعتاد حاجةٌ مشتركةٌ تربط هذه الخصائص ببعضها البعض. لعلّك ترى شخصاً على أنّه «متزمّتٌ

معاصر» و«نجمٌ محضٌ» على حدٍّ سواء، لكنّ القاسم المشترك ما بين هذين النمطين هو الشعور بالقمع والكبح، وبالتالي رغبةٌ في أن يكون شقيّاً ومشاكساً، مترافقةٌ مع الخوف من أن لا يكون قادراً أو جريئاً بما فيه الكفاية. عند التعرّف على نمط ضحيّتك، فكن حريصاً على ألاّ تَغُرّك المظاهر الخارجيّة. إذ غالباً ما ننمّي - وبشكلٍ مُتَعَمّدٍ وغير واعٍ على حدٍّ سواء - مظهراً اجتماعيّاً (خارجيّاً) مصمّماً خصّيصاً لكي يخفي مكامن الضعف والنقص لدينا. على سبيل المثال، قد تظنّ أنّك تتعامل مع أشخاص جلفين وساخرين، دون أن تدرك أنّ لديهم في أعماقهم نواةً عاطفيّةً رقيقة. هم يتوقون توقاً شديداً للرومانس. وستضيّع الفرصة بأن تُغويهم بحقّ إلّا إذا تعرّفت على نمطهم والعواطف الراقدة تحت جلافتهم وقسوتهم. أهمّ شيء على الإطلاق هو أن تتخلّص بالكامل من الطبع المفرط الذي يحملك على الاعتقاد بأنّ الناس الآخرين يعانون من نفس النقص الذي تعانيه. قد تلتمس الراحة والأمن، لكنّك من خلال منح الراحة والأمن لشخصٍ آخر، استناداً على الافتراض بأنّهم لابدّ وأن يرغبوا بهما أيضاً، فإنّك ستؤدّي على الأرجح إلى خنقهم (عاطفيّاً) ودفعهم بعيداً عنك.

لا تحاول أبداً أن تغوي شخصاً ما من نفس نمطك. فستكونان مثل أحجيتين تنقصهما نفس الأجزاء.

الأنماط الثمانية عشر

الخليع التائب (المُصْلَح) أو الحوريّة التائبة. الناس من هذا الطراز كانوا فيما مضى مغوين سعداء محظوظين، والذين كان طريقهم سالكاً مع الجنس الآخر. لكن أتى اليوم الذي أُجبِروا فيه على التخلّي عن هذا - شخصٌ ما حشرهم في علاقة، كانوا يواجهون الكثير من العدائيّة الاجتماعيّة، كانوا يتقدّمون في السن وقرّروا الاستقرار. أيّاً يكن السبب، كن متأكّداً من أنّهم يشعرون ببعض الامتعاض وحسّ الخسارة، وكأنّهم خسروا أحد أوصالهم. نحن نحاول دائماً أن نسترد الملذّات التي اختبرناها في الماضي، لكنّ الإغواء يكون كبيراً بشكلٍ خاص للخليع أو الحوريّة التائبين لأنّ الملذّات التي وجدوها في الإغواء كانت كبيرة. هذه الأنماط جاهزة للقطاف: كل المطلوب هو أن تعبر طريقهم وتعرض عليهم فرصة استئناف طرق الخليع

والحوريّة الخاصّة بهم. ستغلي الدماء في عروقهم وسيجتاحهم نداء شبابهم.

من الضروري جدّاً، على الرغم من ذلك، أن تمنح هؤلاء الأنماط الوهم بأنّهم من يقوم بالإغواء. مع الخليع التائب، يجب أن تطلق شرارة اهتمامه بشكلٍ غير مباشر، ومن ثمّ تدعه يحترق ويتوهّج بالرّغبة. مع الحوريّة التائبة، أنت تحتاج إلى أن تعطيها الانطباع بأنّها لا تزال تملك القدرة التي لا يمكن مقاومتها على اجتذاب الرجل وجعله يتخلّى عن كل شيء من أجلها. تذكّر أنّ ما تقدّمه لهذه الأنماط هو ليس علاقةً أخرى، تقييدٌ آخر، وإنّما الفرصة للهرب من الزريبة والانطلاق بعض الشيء. لا تدع همّتك تتثبط إذا كانوا مرتبطين بعلاقةٍ ما؛ فارتباطٌ أو التزامٌ موجودٌ سابقاً غالباً ما يكون النقيض الأمثل الذي من شأنه أن يُبرزَ ميّزاتك. إذا كانت غايتك أن تشبكهم بعلاقة، فأخفِ ذلك قدر استطاعتك وأدرك أن ذلك قد لا يكون ممكناً. الخليع أو الحوريّة ليسا مخلصين بالطبيعة؛ قدرتك على أن تُشعِل المشاعر القديمة ستمنحك القوّة، لكن عندها سوف تضطر لأن تتعايش مع تبِعات طرقهم اللامبالية.

الحالم الخائب. هؤلاء الأنماط قضوا على الأرجح كثيراً من الوقت لوحدهم عندما كانوا أطفالاً. لكي يروّحوا عن أنفسهم فقد طوّروا حياةً خياليّة غنيّة، تغذّت بالكتب والأفلام وبأنواعٍ أخرى من الثقافة الشعبية. وكلّما تقدّموا بالسّن صار من الصعب التوفيقُ ما بين حياتهم التخيّليّة وبين الحقيقة، ولذا فهم غالباً ما يُخَيّب أملهم بما يحصلون عليه. هذا صحيحٌ بشكلٍ خاص في العلاقات. لقد كانوا يحلمون بالأبطال الرومانسيّين، بالخطر والتشويق، لكن ما يحصلون عليه هو عاشقون بعيوبٍ وزلاّتٍ بشريّة، أي النقائص ونقاط الضعف التافهة والتي نجدها في حياتنا اليوميّة. بمرور السنين، قد يجبرون أنفسهم على التنازل والقبول بالتسويات، وإلاّ فسوف يضطرّون لأن يقضوا حياتهم وحيدين؛ لكنّهم يشعرون ـ تحت قشرة المظاهر السطحية ـ بالمرارة ويظلّون متعطّشين لشيءٍ مهيبٍ ورومانسيّ.

تستطيع التعرّف على هذا النمط من خلال الكتب التي يقرؤون والأفلام التي يشاهدون، ومن خلال الطريقة التي تنتصب بها أذناهم عندما يَخْبَرون بمغامراتٍ من الحياة الحقيقيّة تدبّر بعض الناس أن يحقّقوها. في

ثيابهم ومفروشات منازلهم تستطيع أن تستشفّ ذائقةٌ للرومانس الوفير أو الدراما. غالباً ما يكونون عالقين في علاقاتٍ رتيبة وكئيبة، حيث يُظهر بعضٌ من التعليقات هنا وهناك خيبة أملهم وتوتّرهم الداخلي.

تشكّل هذه الأنماط ضحايا ممتازة ومرضية. أوّلاً، عادةً ما يكون لديهم كمٌّ كبير من الشغف والطاقة المكبوتين، والذي يمكن أن تحرّره وتركّزه على نفسك. ولديهم أيضاً مخيّلاتٌ عظيمة وسيستجيبون لأيّ شيءٍ تقدّمه لهم إذا كان يلفّه الغموض أو الرومانس حتّى ولو بشكلٍ غير واضح. كل ما تحتاج لفعله هو أن تخفي بعضاً من خصائصك الأقلّ سموّاً وأن تعطيها (للخصائص) دوراً في أحلامهم. هذه قد تكون الفرصة لتحقيق مغامراتهم أو لأن يُغازَلوا من قبل نفسٍ فارسةٍ شهمة. إذا أعطيتهم جزءاً ممّا يريدون فسوف يتخيّلون الباقي. لا تدع الواقع يحطّم الوهم الذي تبدعه مهما كلّف الأمر. لحظةٌ واحدةٌ من التفاهة أو الحقارة وسيذهبون إلى غير رجعة، وهم مُخَيَّبو الأمل على نحوٍ أكثر مرارة من أيٍّ وقتٍ مضى.

الملكيّ المُدَلَّل. هؤلاء الناس كانوا النموذج التقليدي للأطفال المدلّلين. كل طلباتهم ورغباتهم كانت تُلَبّى من قبلِ والدٍ يهيم بهم - تسالي لا تنتهي، موكب من الألعاب، أيّ شيءٍ يبقيهم سعداء ليوم أو اثنين. بينما يتعلّم العديد من الأطفال أن يسلّوا أنفسهم من خلال ابتكارٌ الألعاب وإيجاد الأصدقاء، فإنّ الملكيّين المدلّلين يُعَلَّمون أنّ الآخرين سيقومون بتسليتهم. يصبحون كُسالى نتيجة الدلال، وبينما يتقدّمون بالسن ولا يعود الوالد موجوداً لتدليلهم، فإنّهم يميلون للشعور بالضجر والتّململ إلى حدٍّ بعيد. حلّهم يكون في إيجاد المتعة من خلال التنوّع، أي من خلال الانتقال بسرعة من شخص لشخص، عملٍ لعمل، أو مكانٍ لمكان قبل أن يبدأ السّأم والضجر. هم لا يقيمون علاقاتٍ طويلة المدى لأنّ العادة والروتين لا مفرَّ منهما في هذه العلاقات. لكنّ بحثهم المتواصل عن التنوّع يُتْعِبُهُم ولا يأتي دون ثمن: مشاكل في العمل، مسلسلات من الغراميّات غير المرضية، أصدقاء مُبَعثَرون في أنحاء المعمورة كافّة. لا تحسب أنّ تململهم وعدم إخلاصهم هما صفتان حقيقيّتان - إنّ ما يبحث عنه الأمير المدلّل أو الأميرة المدلّلة حقّاً هو شخصٌ واحد، رمز الوالد، الذي سيمنحهم الدلال الذي يلتمسونه.

كي تغوي هذا النمط، كن مستعدّاً لمنحهم الكثير من ضروب الإلهاء والتسلية ـ أماكن جديدة للزيارة، خبرات غير مألوفة، مشاهد وألوان لافتة. يجب أن تحافظ على مسحةٍ من الغموض، بحيث تفاجئ هدفك بشكلٍ مستمرّ بجانبٍ جديدٍ من شخصيتك. التنوّع هو المفتاح. بمجرّد ما يقع الملكيّون المدلّلون في الشرك، تصبح الأشياء أسهل لأنّهم سرعان ما يصبحون معتمدين عليك فتستطيع أن تبذل مجهوداً أقلّ. هذه الأنماط تشكّل ضحايا ممتازة ـ سيكونون أوفياء ومخلصين لك بنفس القدر الذي كانوا عليه فيما مضى تجاه أمّهم أو أبيهم. لكنّك ستضطر للقيام بمعظم العمل. إذا كنت تسعى وراء علاقةٍ طويلة المدى، فأخفِ ذلك. قدّم أمناً طويل الأجل للملكيّ المدلّل وسيهرب منك مذعوراً والهلع ينتابه. تعرّف على هذه الأنماط من خلال الاضطراب العظيم الذي لوّن ماضيهم ـ تغييراتٌ في العمل، سفر، علاقات قصيرة الأجل ـ ومن خلال سيماء الأرستقراطيّة، أيّاً تكن طبقتهم الاجتماعيّة، التي تتأتّى من كون المرء قد عومِل فيما مضى كملك.

المتزمّت المعاصر. التزمّت الجنسي لا يزال موجوداً، لكنّه أقلّ شيوعاً ممّا كان عليه في السابق. التزمّت، على أيّة حال لا يقتصر أبداً على الجنس فقط؛ المتزمّت هو شخصٌ مفرط الاهتمام بالمظاهر، وبما يعتبره المجتمع سلوكاً مناسباً ومقبولاً. المتزمّتون يقون بشكلٍ صارمٍ ودقيقٍ جدّاً ضمن حدود الصواب لأنّهم يخافون من حكم المجتمع أكثر من أيّ شيء. بالنظر إليه في ضوء هذا العَرض، يكون التزمّت على نفس القدر من التفشّي والانتشار كما كان دائماً.

المتزمّت المعاصر هو شخصٌ شديد الاهتمام بمعايير الصلاح، العدل، ما يُعْتَبَر حسّاساً من الناحية السياسيّة، الذوق، إلخ. ما يميّز نمط المتزمّت المعاصر، على الرغم من ذلك، بالإضافة إلى المتزمّت القديم، هو أنّهم في قرارة أنفسهم يستمتعون ويُؤسَرون حقّاً بالمُتَع والملذّات التي تتّسم بالانتهاك والذنب. كونهم يخافون من هذا الجذب، فهم يركضون في الاتّجاه المعاكس ويصبحون أكثر الناس على الإطلاق صوابيّةً وصلاحاً. هم يميلون لارتداء الألوان الكئيبة والباهتة؛ وبالتأكيد لا يجازفون بارتداء آخر صيحات الموضة. بإمكانهم أن يكونوا ميّالين لإصدار الأحكام القاسية والمبرمة بحق الآخرين ونقّادين للأناس الأقل صوابيّةً والذين يتولّون المجازفات. هم أيضاً مدمنون

على الروتين، الذي يمنحهم وسيلةً لرصّ اهتياجهم واضطرابهم الداخليّين.

يشعر المتزمّتون الجدد سرّاً بأنّهم مقموعون باستقامتهم ويتوقون للتجاوز والانتهاك. تماماً كما يشكّل المتزمّتون جنسيّاً أهدافاً رئيسيّة للخليع أو الحوريّة، فإنّ المتزمّت المعاصر غالباً ما يُغْرى بالدرجة الأولى بشخصٍ ذي جانبٍ خطيرٍ أو مشاكس. إذا رغبت بنمط المتزمّت الجديد، فلا تغرّنّك انتقاداتهم أو أحكامهم بحقّك. فهي لا تعدو عن كونها علامةً لمدى عمق انسحارهم وافتتانهم بك؛ فأنت تَشغَل ذهنهم. أنت غالباً ما تستطيع استدراج المتزمّتين الجدد نحو الإغواء، في الواقع، من خلال منحهم فرصة لانتقادك أو حتّى لمحاولة إصلاحك. بالطبع لا يجب أن تدع شيئاً ممّا يقولون يتغلغل إلى أعماقك، لكن الآن لديك العذر الأمثل لقضاء الوقت معهم - والمتزمّتون المعاصرون يمكن إغواؤُهم ببساطة من خلال كونهم على تماسٍ معك. هذه الأنماط تشكّل في الواقع ضحايا ممتازة ومجزية. سيفيضون بالمشاعر والطاقات بمجرّد ما تجعلهم ينفتحون ويتخلّون عن صوابيّتهم. وقد يغرقونك حتّى. لعلّهم على علاقةٍ مع شخصٍ على نفس القدر من الرتابة والكآبة التي هم أنفسهم يبدون عليها. - لا تدع همّتك تتثبّط. فهم ببساطة نائمون وينتظرون ببساطة أن يتم إيقاظهم.

النجم المحَطّم. كلّنا نريد الانتباه، كلّنا نريد أن نسطع، لكن هذه الرغبات بالنسبة لمعظمنا تكون عابرةً وسهلة الإسكات. المشكلة مع النجوم المحطّمين هي أنّهم في مرحلةٍ بعينها من حياتهم وجدوا أنفسهم مركز الاهتمام - لربّما كانوا جميلين، ساحرين ومفعمين بالحياة، لعلّهم كانوا رياضيّين، أو كان لديهم موهبة أخرى - لكن هذه الأيّام قد ولّت. قد يبدون ظاهريّاً أنّهم قد قبلوا بهذا الواقع، لكن من الصعب تَخَطّي ذكرى كون المرء قد تألّق ولمع في يومٍ من الأيّام. على العموم، فإنّ الظهور بمظهر من يريد الاهتمام، أو من يحاول البروز، لا يُنْظَرُ إليه بكثيرٍ من الاستحسان في المجتمع الراقي أو في مكان العمل. لذا فَلِكي ينسجموا مع من حولهم، يتعلّم النجوم المحطّمون أن يرصّوا رغباتهم؛ لكنّهم يمتعضون أيضاً نتيجة فشلهم في الحصول على الانتباه الذي يشعرون أنّهم يستحقّونه. تستطيع التعرّف على النجوم المحطّمين في لحظاتٍ عفويّةٍ معيّنة يكونون قد تخلّوا فيها عن حذرهم:

يتلقّون فجأةً بعض الانتباه في محيطٍ اجتماعيٍّ معيّن، ما يجعلهم يتوهّجون؛ إذ يذكرون أيّام مجدهم، فيلوح بريقٌ في عيونهم. هذا الانتباه بمثابة النبيذ: قليلٌ منه في الجسم، ويصبح مفعماً بالحيويّة.

إغواء هذا النمط بسيط: فقط إجعلهم مركز الاهتمام. عندما تكون برفقتهم، تصرّف كما لو كانوا نجوماً وأنت تنعم بضيائهم. احملهم على الحديث وخاصّةً عن أنفسهم. في المواقف الاجتماعيّة، عتّمْ على مزاياك ودعهم يبدون طريفين ومشرقين بالقياس بك. على العموم إلعب دور الساحر. المكافأة التي تجنيها من إغواء النجوم المحطّمين هي أنّك تحرّك مشاعر قويّة. سيشعرون بامتنانٍ بالغ لك لأنّك جعلتهم يسطعون. إلى المدى الذي يشعرون إليه أنّهم كانوا قد حُطّموا أو كُظِمَت مشاعرهم، فإنّ تخفيف ذلك الألم يطلق كثافةً عاطفيّة وشغفاً، كلّها موجّهة نحوك. سوف يقعون في حبّك بجنون. إذا كان لديك أنت نفسك نزعاتٌ نجوميّة أو غندوريّة فمن الحكمة أن تتفادى ضحايا كهؤلاء. عاجلاً أم آجلاً ستظهر هذه الميول، وستكون المنافسة بشعة فيما بينكما.

المبتدئ. ما يميّز المبتدئين عن البريئين المعتادين من اليافعين هي أنّهم فضوليّون على نحوٍ لايقاوّم. لديهم تجربة قليلة في هذا العالم هذا إن كان لديهم تجربة، لكنّهم كانوا معرّضين له بطريقةٍ غير مباشرة ـ من خلال الصحف، الأفلام والكتب. كونهم يجدون براءتهم كعبءٍ ثقيل، فهم يتوقون لأن يُلَقّنوا طرائق الحياة. الجميع يراهم غايةً في العذوبة والبراءة، لكنّهم يعرفون أنّ هذا ليس صحيحاً ـ لا يمكنهم أن يكونوا ملائكيّين للدّرجة التي يعتقدها الناس.

إغواء المبتدئ سهل. لكن تطبيقه بشكلٍ حسن، يحتاج قليلاً من الفن. المبتدئون يهتمّون بالناس ذوي الخبرة، وخاصّةً الناس الذين لديهم لمسةٌ من الفساد والشر. لكنّك، وعلى الرّغم من ذلك، إذا جعلت تلك اللمسة قويّة أكثر من اللازم، فسوف يخافون ويرتعبون. الأمر الذي يفعل أفضل مفعولٍ مع المبتدئ هو مزيجٌ من الخصائص. أنت نفسك شبيهٌ بالأطفال نوعاً ما، وذو روحٍ مرحة. في نفس الوقت، من الواضح أنّ لديك أغواراً مُخَبّأة، بل وحتّى شرّيرة. (هذا كان سر نجاح اللورد بايرون مع العديد من النساء

البريئات.) أنت تُدخِل مبتدئيك ليس فقط في عالم الجنس وإنّما في عالم التجربة، إذ تُعَرّضهم لأفكارٍ جديدة وتأخذهم إلى أماكن وعوالم جديدة وذلك من الناحية الحرفيّة والمجازيّة على حدٍّ سواء. لا تجعل إغواءك بشعاً أو قذراً ـ فكلّ شيءٍ يجب أن يكون رومانسيّاً، حتّى بما في ذلك الجانب الشرير والمظلم من الحياة. الأناس اليافعون لديهم مثاليّاتهم؛ لذلك فإنّه من الأفضل أن تبادرهم بلمسةٍ جماليّة. اللغة الإغوائيّة ـ كما الاهتمام بالتفاصيل ـ يصنع المعجزات مع المبتدئين. المشاهد اللافتة والأحداث النابضة بالحياة تروق لحواسّهم المرهفة. هذه التكتيكات تضلّلهم بسهولة، لأنّهم تعوزهم الخبرة اللازمة لتبيّن الطبيعة الحقيقيّة لهذه التكتيكات.

في بعض الأحيان يكون المبتدئون قد تقدّموا بالعمر قليلاً وتعلّموا على الأقل بعضاً من أساليب هذه الحياة. ومع ذلك يضعون قناعاً من البراءة، لأنّهم يرون القوّة التي تحوزها على الناس الأكبر سنّاً. هؤلاء هم المبتدؤون المتظاهرون بالخجل الذين يدركون اللعبة التي يلعبونها ـ لكنّهم يظلّون مبتدئين. قد يكون تضليلهم أمراً أقلّ سهولة من المبتدئين الأنقى، لكن طريقة إغوائهم هي نفسها إلى حدٍّ كبير ـ إمزج البراءة والفساد وسوف تسحرهم.

الفاتح. هؤلاء الأنماط لديهم كميّة غير اعتياديّة من الطاقة، والتي يجدون أنّه من الصعب التحكّم بها. هم دائماً في حالة طوافٍ وبحثٍ عن أناسٍ للتغلّب عليهم، وعقباتٍ للتّذليل. لن يكون بإمكانك التعرّف دائماً على الفاتحين من خلال مظهرهم ـ من الجائز أن يبدوا خجولين بعض الشيء في المواقف الاجتماعيّة وأن يبدوا درجةً معيّنةً من التحفّظ. لا تنظر إلى كلماتهم أومظهرهم وإنّما إلى أفعالهم، في العمل والعلاقات. هم يعشقون السلطة، ويحصلون عليها بطريقةٍ أو بأخرى.

يميل الفاتحون لأن يكونوا عاطفيّين، لكن عواطفهم لا تتجلّى إلّا على شكل انفجارات وذلك عندما يتعرّضون للضغط. أسوأ شيءٍ تستطيع أن تفعله معهم في مسائل الغرام هو أن تظلّ سلبيّاً وتجعل من نفسك فريسةً سهلة؛ قد يستغلّون ضعفك، لكنّهم سرعان ما سيرمونك ويتركونك بعد أن ملّوا من استخدامك. يجب أن تمنح الفاتحين فرصةً ليكونوا عدوانيّين وليتخطّوا مقاومةً أو عائقاً ما، قبل أن تدعهم يعتقدون أنّهم قد تغلّبوا عليك.

يتعيّن عليك أن تقدّم لهم مطاردة جيّدة. تستطيع تحقيق هذا من خلال التصرّف على أنّك صعب المنال ومزاجيّ ومن خلال استخدام الغنج. لا تهولك عدائيّتهم وطاقتهم ـ فذلك بالتحديد هو ما تستطيع أن تديره لصالحك. كي تكسر شوكتهم، دعهم يصولوا ويجولوا مثل الثور. في آخر المطاف سيصبحون ضعيفين ومعتمدين، مثلما أصبح نابوليون عبداً لجوزفين.

يكون الفاتح رجلاً على العموم لكن هناك الكثير من الفاتحات الإناث ـ لو آندرياس سالوم وناتالي بارني هما فاتحاتٌ مشهورات. الفاتحات الإناث سوف يخضعن للغنج تماماً مثلما يخضع الفاتحون الذكور.

عابد الغرائب. الأشياء الغريبة تثير وتأسر اهتمام معظمنا. ما يميّز عابد الغرائب عن بقيّتنا هو درجة هذا الاهتمام، الذي يبدو أنّه يحكم كلّ خياراتهم في الحياة. في الحقيقة هم يشعرون بالفراغ الداخلي ولديهم جرعة قويّة من مقت الذات. هم لا يحبّون المكان الذي ينحدرون منه أيّاً يكن هذا المكان، ولا طبقتهم الاجتماعية (عادةً طبقة وسطى أو أعلى)، ولا ثقافتهم لأنهم لا يحبون أنفسهم.

هذه الأنماط يسهل التعرّف إليها. هم يحبّون السفر؛ بيوتهم ملأى *بأشياء* من أماكن بعيدة؛ هم يقدّسون موسيقى أو فن هذه الثقافة الأجنبية أو تلك. غالباً ما يكون لديهم مسحةٌ تمرّديّة قويّة. من الواضح أن طريقة إغوائهم تكون من خلال وضع نفسك موضع الشيء الغريب ـ إذا لم تظهر على الأقل أنّك تنحدر من خلفيّةٍ أو عرقٍ مختلفين، أو أنّك تتحلّى بهالةٍ غريبةٍ ما، فلا يجب أن تجشّم نفسك حتّى عناء المحاولة. لكنّه من الممكن دائماً أن تؤكّد وتشدّد على ما يجعلك غريباً، وأن تجعل من غرابتك نوعاً من المسرح لتسليتهم. ثيابك، الأشياء التي تتكلّم عنها، الأماكن التي تأخذهم إليها، كلّها تشير إلى اختلافك. بالغ قليلاً وسوف يتخيّلون الباقي، لأنّ هذه الأنماط تنزع إلى تضليل وخداع الذات.عابدو الغرائب، على أيّة حال، لا يشكّلون ضحايا مميّزين بشكلٍ خاص. أيّاً تكن الغرابة أو الفرادة التي تتحلّى بها فسرعان ما ستبدو مبتذلةً وتافهةً بالنسبة لهم، وسيرغبون بشيءٍ آخر. أن تحافظ على شوقهم هو صراعٌ بحدّ ذاته. الشعور الكامن باللاأمان سيبقيك على حافّة الهاوية.

أحد تنويعات هذا النمط هو الرجل أو المرأة العالقان في علاقةٍ مملّة وسخيفة، مهنة غير مميّزة، بلدة نائية. إنّها الظروف، بالمقارنة مع العصاب الشخصي، الذي يجعل هؤلاء الناس يقدّسون ما هو دخيل وغريب؛ وهذا النوع من عابدي الغرائب أفضل كضحايا من النمط المتّسم بكره الذات، لأنّك تستطيع أن تقدّم لهم هروباً مؤقّتاً من أيّاً يكن الشيء الذي يغمّهم ويحزنهم. لكن لا شيء سوف يمنح عابدي الغرائب الأصيلين هروباً من ذواتهم.

ملكة الدراما. هنالك أشخاصٌ لا يستطيعون الاستغناء عن دراما متواصلة في حياتهم - إنّها طريقتهم في إبعاد الضجر. أكبر خطأٍ يمكن أن ترتكبه لدى إغواء مُفتَعِلي الدراما هؤلاء هو أن تأتي حاملاً الاستقرار والأمن. فهذا لن يؤدّي إلّا لجعلهم يسعون وراء الأزمات. تحبّ ملكات الدراما في أغلب الأحيان (وهنالك الكثير من الرجال في هذه الفئة) لعب دور الضحيّة. هم يريدون موضوعاً ليشتكوا ويتذمّروا منه، هم يريدون الألم. الألم هو مصدر سعادةٍ بالنسبة لهم. مع هذا النمط، يجب أن تكون مستعدّاً وقادراً على إعطائهم العلاج الذهنيّ القاسي الذي يرغبون. ذلك هو الأسلوب الوحيد لإغوائهم على نحوٍ عميق. في اللحظة التي تصبح فيها لطيفاً أكثر من اللازم، سوف يجدون سبباً ما للعراك أو يتخلّصون منك.

تستطيع أن تتعرّف على ملكات الدراما من خلال عدد الناس الذين قد آذوهم، المآسي والصدمات التي حلّت عليهم. في الحالات المتطرّفة، يمكنهم أن يكونوا أنانيّين على نحوٍ ميئوسٍ منه ومنفّرين، لكن معظمهم غير مؤذٍ نسبيّاً ويشكّلون ضحايا حسنة إذا كان بمقدورك أن تتعايش مع الاضطراب والاهتياج العاطفيّين. إذا كنت تريد لسببٍ ما أن تكون على علاقةٍ طويلة الأمد مع هذا النمط، فستكون مضطرّاً باستمرار لأن تُدْخِل أو تحقن الدراما في علاقتك. هذا يمكن أن يكون تحدّياً مثيراً للبعض ومصدراً لتجديد العلاقة باستمرار. لكن يتوجّب عليك عموماً أن ترى الارتباط مع ملكة الدراما كشيءٍ زائلٍ أو عابر وكطريقة لإدخال قليلٍ من الدراما إلى حياتك الخاصّة.

البرفيسور. هذه الأنماط لا تستطيع الخروج من فخ التحليل والنّقد لكلّ

ما يعبر طريقهم. عقولهم مفرطة النمو والتنبه. حتى عندما يتكلّمون عن الحب أو الجنس، فإنّهم يفعلون هذا بمقدارٍ عظيم من التفكير والتحليل. كونهم قد طوّروا عقولهم على حساب أجسامهم، فالعديد منهم يشعرون بأنّهم أدنى من الآخرين جسديّاً ويعوّضون عن ذلك من خلال التباهي بتفوّقهم الفكري على الآخرين. أسلوبهم في الحديث غالباً ما يتّسم بالتشبّث بالرّأي والسخرية ـ أنت لا تعرف حقّاً ماذا يقولون، لكنّهم تحسّ بأنّهم ينظرون إليك نظرة استعلاء. هم يحبّون أن يخرجوا من سجونهم العقليّة، هم يحبّون المادّية البحتة، دون أيّ تحليل، لكنّهم لا يستطيعون الذهاب إلى هناك دون مساعدة. تنخرط الأنماط البروفيسوريّة أحياناً في علاقاتٍ مع أنماطٍ بروفيسوريّة أيضاً، أو مع أناسٍ يستطيعون التعامل معهم على أنّهم أقلّ شأناً وقيمةً. لكنّهم يتوقون في أعماق نفسهم لأن يُخْضَعوا من قبل شخصٍ ما ذي حضورٍ جسمانيّ ـ خليع أو حوريّة، على سبيل المثال.

الأنماط البروفيسوريّة تَصلُح لأن تكون ضحايا مثاليّة، لأنّه يكمن تحت قوّتهم الفكريّة شعورٌ طاحنٌ باللاأمان. دعهم يشعرون بأنّهم دونجوانيّون (جمع دونجوان) أو حوريّات، حتّى ولو لأبسط الدرجات، وسيصبحون عبيداً لك. العديد منهم لديه مسحةٌ مازوشيّة ستظهر بمجرّد ما تحرّك حواسّهم النائمة. أنت تمنحهم هروباً من العقل، لذا إجعل ذلك كاملاً قدر استطاعتك: إذاكان لديك أنت نفسك ميولٌ فكريّة، فاخفها. فإنّها لن تؤدّي إلّا إلى إثارة عصارة التنافس عند أهدافك وجعل عقولهم تعمل. دع أساتذتك البرفيسوريّين يحتفظون بحس تفوّقهم الفكري، دعهم يحكمون عليك. ستعلم ما يحاولون إخفاءه: أنّك من يمسك بزمام السيطرة، لأنكّ تقدّم لهم الشيء الذي لا يستطيع أحدٌ سواك تقديمه لهم ـ التحفيز الجسدي.

الحسناء. من بداية حياتها، تتعرّض الحسناء للتحديق من قبل الآخرين. رغبتهم بالنظر إليها هي مصدر قوّتها، لكنّها أيضاً مصدر لكثيرٍ من التعاسة: هي تقلق دائماً مخافة انحسار قواها، ومخافة ألاّ تجذب الاهتمام بعد الآن. إذا كانت صادقةً مع نفسها، فستستشعر أيضاً أنّ كون المرء مُبَجّلاً بسبب جماله فقط هو شيءٌ رتيبٌ وغير مرضي ـ وموحِش. العديد من الرجال يخافون من الحسناء ويفضّلون تبجيلها من بعيد؛ ينجذب إليها آخرون، لكن ليس بقصد المحادثة. الحسناء تعاني من العزلة.

بما أنّ لديها الكثير من النقص، فإنّ إغواء الحسناء يكون أمراً سهلاً نسبيّاً، وإذا عملت ذلك بشكلٍ صحيح، تكون قد ظفرت ليس بلقطةٍ مُثَمّنةٍ جدّاً وحسب وإنّما بشخصٍ سوف يصبح معتمداً على ما تقدّمه. أهم شيءٍ في هذا الباب من الإغواء هو أن تُقَدّر تلك الجوانب لدى الحسناء والتي لا يُقدّرها أيّ شخصٍ آخر ـ ذكاؤها (الذي عادةً ما يكون أعلى ممّا يتخيّل الناس)، مهاراتها، شخصيّتها. بالتأكيد عليك أن تهيم بجسدها ـ لا يجوز أن تثير أيّ شعورٍ باللاأمان في المجال الأوحد الذي تعرف فيه قوّتها، تلك القوّة التي تعتمد عليها أكبر اعتماد ـ لكنّك أيضاً يجب أن تهيم بعقلها وروحها. التحفيز الفكري سوف يفعل مفعوله مع الحسناء، إذ يلهيها عن شكوكها وعن الأشياء التي تشعر حيالها باللاأمان، ويجعلك تبدو على أنّك تقدّر ذلك الجانب من شخصيّتها.

بما أنّ الجمال دائماً يُنْظَرُ إليه، فهي تنزع لأن تكون سلبيّة. على الرغم من ذلك فغالباً ما يكمن الإحباط تحت سلبيّتها وانكفائها: الحسناء تحبّ أن تكون أكثر فاعليّة وأن تأخذ في الواقع بعضاً من المطاردة على عاتقها. قليلٌ من الغنجيّة يمكن أن تفعل مفعولها هنا: في مرحلةٍ ما في خضمّ هيامك، يمكنك أن تصبح بارداً بعض الشيء، داعياً إيّاها بذلك لأن تسعى وراءك. درّبها على أن تكون أكثر فاعليّة وسيكون لديك ضحيّةٌ ممتازة. الجانب السلبي الوحيد يكمن في أنّ مواطن الشعور باللاأمان العديدة عندها تتطلّب انتباهاً ومراعاةً دائمين.

الطفل المعمّر. بعض الناس يرفضون أن ينضجوا. لعلّهم يخافون من الموت أو من أن يصبحوا مسنّين؛ لعلّهم مرتبطون شغفاً بالحياة التي عاشوها كأطفال. كونهم لا يحبّون المسؤوليّة، فهم يناضلون لتحويل كلّ شيء إلى لعبٍ واستجمام. في عقدهم الثالث يمكنهم أن يكونوا ساحرين، في الرابع مثيرين للاهتمام، لكن في الوقت الذي يبلغون فيه عقدهم الخامس يبدؤون في أن يصبحوا غير مقبولين.

على النقيض ممّا قد تتصوّر، فالطفل المعمّر لا يريد أن يكون على علاقةٍ مع طفلٍ معمّرٍ آخر، بالرغم من أن المركّب قد يبدو أنّه يزيد من فرص اللعب والعبث. الطفل المعمّر لا يريد منافسةً، وإنّما رمزاً أبويّاً. إذا رغبت في أن

تغوي هذا النمط، فيجب عليك أن تكون مستعداً لتكون الشخص المسؤول والرصين. تلك قد تكون طريقةً غريبةً للإغواء، لكنّها تنجع في هذه الحالة. يجب أن تظهر على أنّك تحب روح الطفل المعمّر الغضّة (ويكون أفضل إذا كنت تحبّها حقّاً)، وأنّك تستطيع التعاطي والانشغال معها، لكنّك تظلّ الراشد المتساهل. من خلال كونك مسؤولاً فأنت تطلق وتحرّر الطفل كي يلعب. إلعب دور الراشد المحبّ لأقصى حدّ، الذي لايصدر الأحكام على سلوكهم أو ينتقدهم قطّ، وستتشكّل عندها رابطة قويّة. الأطفال المعمّرون قد يكونوا مسلّين لبعض الوقت لكنّهم، مثل جميع الأطفال، غالباً ما يكونون نرجسيّين بشكلٍ طاغٍ. هذا يحدّ المتعة التي تستطيع الحصول عليها وأنت معهم. يجب أن تنظر إليهم كتسالٍ (تزجيةٍ) قصيرة الأمد أو منافذ مؤقّتة لغرائزك الأبويّة المحبَطة.

المنقذ. غالباً ما ننجذب للناس الذين يبدون هشاشةً أو ضعفاً ـ حزنهم أو اكتئابهم يمكن أن يكون في الواقع مغوياً بحقّ. هناك أناسٌ، من جهةٍ ثانية، يمضون في هذا إلى حدٍّ أبعد بكثير، إذ يبدو أنّهم ينجذبون فقط للناس الذين يعانون من المشاكل. قد يبدو هذا نبيلاً، لكن المنقذين عادةً ما يكون لديهم دوافع معقّدة: غالباً ما يكون لديهم سجايا حسّاسة ويريدون أن يساعدوا بحقّ. في نفس الوقت، فإنّ حل مشاكل الناس يعطيهم نوعاً من القوّة التي يستسيغون ـ إنّها تجعلهم يشعرون بأنّهم أعلى مقاماً وبأنّهم مسيطرون. إنّها أيضاً الطريقة المثلى لإلهائهم عن مشاكلهم الخاصّة. أنت تستطيع التعرّف على هذه الأنماط من خلال تفهّمهم لمشاعر الآخرين ـ هم ينصتون بشكلٍ حسن ويحاولون حضّك على أن تُسِرّ بمكنونات نفسك وتتكلّم. ستلاحظ أيضاً أنّ لديهم سجلاً من العلاقات مع الناس الاتّكاليّين ومع الناس الذين يعانون من الاضطرابات والمشاكل.

المنقذون بإمكانهم أن يشكّلوا ضحايا من الطراز الأوّل، وخاصّةً إذا كنت تستمتع بالاهتمام الفروسيّ أو الأمومي. إذا كنت امرأة، فالعبي دور الآنسة التي في قلب الخطر أو المحنة، معطيةً بذلك الرجل الفرصةَ التي يتوق إليها السواد الأعظم من الرجال ـ أن يقوموا بدور الفارس. إذا كنت رجلاً فالعب دور الصبي الذي لا يُحسِن التعامل مع هذا العالم الفظّ؛ المنقذة

الأنثوية سوف تحيطك باهتمام أموميّ، فتحقّق بذلك لنفسها الإرضاء الإضافي الناجم عن الشعور بأنّها أكثر قوّةً وإمساكاً بزمام الأمور من الرجل. مسحةٌ من الحزن سوف تستدرج أحد الجنسين. بالغْ بضعفك، لكن ليس من خلال الكلمات أو الإيماءات الصريحة ـ دعهم *يحسّون* بأنّك قد حظيت بقليلٍ جدّاً من الحب، بأنّك مررت بسلسلةٍ من العلاقات السيئة، بأنّك قد تلقّيت معاملةً غير عادلة ولا منصفة في الحياة. بعد أن استدرجت المنقذ بفرصة أن يقوم بمساعدتك، فإنّك تستطيع أن تُذكي نيران العلاقة بإمدادٍ متواصلٍ من الاحتياجات ومن التذكير بكونك سهل العطب وتحتاج بالتالي إلى الحماية. تستطيع أيضاً أن تستدعي إنقاذاً أخلاقيّاً: أنت سيّئ. قد ارتكبت أشياء سيّئةً. أنت تحتاج إلى يد صارمة ولكن محبّة. في هذه الحالة فإنّ المنقذ ينحو للشعور بأنّه أسمى أخلاقيّاً، لكنّه يشعر أيضاً برعشةٍ بالوكالة نتيجة الارتباط مع شخصٍ شقيّ.

المتهتّك. هذه الأنماط قد عاشت حياةً رغيدة واختبرت العديد من الملذّات. لديهم على الأرجح، أو كان لديهم فيما مضى، كمّيةً معتبرة من المال ليموّلوا عيشهم المتمحور حول المتعة واستقصائها. في الظاهر يبدو أنّهم ساخرون وسئمون نتيجةً لفرط حصولهم على ما يريدون، لكنّ دنيويّتهم غالباً ما تخفي وجدانيّةً حاولوا قمعها. المتهتّكون هم مغوون من الطراز الأوّل، لكنّ هنالك نمطٌ وحيد يستطيع إغواءهم ـ اليافع والبريء. عندما يتقدّمون في العمر، فإنّهم يتوقون توقاً شديداً لشبابهم الضائع؛ ويفتقدون براءتهم التي ضاعت منذ زمنٍ طويل، فيأخذون في اشتهائها لدى الآخرين.

إذا أردت إغواءهم ولا بدّ، فيجب على الأرجح أن تكون شابّاً وأن تحتفظ على الأقل بمظهر البراءة. من السهل إبراز هذا ـ أظْهِر مدى قلّة خبرتك في الحياة، وكيف لازلت ترى الأشياء كطفل. من الجيّد أيضاً أن تبدو على أنّك تقاوم تودّدهم وتقرّبهم: المتهتّكون سوف يعتقدون أنّه من المثير والمشوّق أن يطاردوك. تستطيع حتّى أن تبدو على أنّك لا تحبّهم أو تثق بهم ـ فهذا سوف يحفّزهم حقّاً. من خلال كونك الشخص الذي يقاوم، تكون أنت من يتحكّم بالديناميكيّة. ونظراً لأنّك تتمتّع بالشباب الذي يفتقدون، فإنّك تستطيع أن تظلّ صاحب اليد العليا وتجعلهم يقعون في

حبّك بجنون. غالباً ما سيكونون عرضةً لسقوطٍ كهذا، لأنّهم كبحوا ورضّوا ميولهم الرومانسيّة لفترةٍ طويلةٍ جدّاً لدرجة أنّهم يفقدون السيطرة عندما تنطلق أو تنفجر. إيّاك أن تستسلم أبكر من اللازم، وإيّاك أن تتخلّى عن احتراسك ـ فهذه الأنماط يمكن أن تكون خطرة.

عابد الصورة (المثالية) أو الوثن. الكلّ يشعر بنقصٍ داخليّ لكنّ عابدي الصورة لديهم فراغٌ أكبر من معظم الناس. لا يمكنهم أن يرضوا عن أنفسهم، لذلك يجوبون العالم بحثاً عن شيءٍ ليؤلّهوه، شيءٍ ليملأ فراغهم الداخلي. هذا غالباً ما يتّخذ شكل اهتمامٍ وولعٍ كبيرين بالشؤون الروحيّة أو في قضيّةٍ ذات شأن؛ من خلال التركيز على شيءٍ يُفْتَرَضُ أنّه متسام، فإنّهم يُلهونَ أنفسهم عن فراغهم الداخلي الخاصّ، وعمّا لا يحبّونه بأنفسهم. عابدو الصورة يسهل اكتشافهم ـ هم أولئك الذين يصبّون طاقاتهم في قضيّةٍ أو دينٍ ما. هم غالباً ما يرتحلون بمرور السنين، تاركين طائفةً لينتموا إلى أخرى.

الوسيلة لإغواء هذه الأنماط تكون في أن تصبح ببساطة موضوع تأليههم، أن تأخذ مكان القضيّة أو الدين الذين هم من أجله غاية في التكريس والإخلاص. في البداية قد تضطر لأن تبدو كأنّك تشاركهم اهتماماتهم الروحية، فتنضمّ لهم في عبادتهم، أو ربّما تعرّضهم لقضيّة جديدة؛ والتي ستحل محلّها في آخر المطاف. مع هذا النمط يجب عليك أن تخفي عيوبك، أو على الأقل تضفي عليها بريقاً من الطهر والورع كالذي عند القدّيسين. كن عاديّاً وسيمرّ بك عابدو الصورة مرور الكرام. لكن إعكس صورة الصفات التي يتطلّعون لأن يتحلّوا بها هم أنفسهم وسوف يسبغون هيامهم عليك بالتدريج. أبقِ كلّ شيءٍ على مستوىً راقٍ ورفيع ـ دع الرومانس والدين يتدفّقان كشيءٍ واحد.

أبقِ شيئين في ذهنك عندما تغوي هذا النمط. أوّلاً عقولهم تميل نحو النشاط الزائد، ممّا يجعلهم شكّاكين إلى حدٍّ بعيد، بما أنّهم غالباً ما يفتقرون إلى التحفيز الجسدي، ونظراً لأنّ التحفيز الجسدي سوف يصرف اهتمامهم، فأعطهم قليلاً منه: رحلة جبليّة، رحلة في القارب، أو الجنس سوف يفي بالمطلوب. لكنّ هذا يتطلّب الكثير من العمل، لأنّ عقولهم دائمة العمل. ثانياً، هم غالباً ما يعانون من تقديرٍ منخفضٍ للنفس. لا تحاول أن ترفعه؛

لأنّهم سيتبيّنون حقيقة نواياك، ولأنّ جهودك للثّناء عليهم ستصطدم بصورتهم الخاصّة عن أنفسهم. هم من سيقومون بتأليهك؛ ولست أنت من سيقوم بتأليههم. عابدو المثل الأعلى يشكّلون ضحايا وافية بالمراد بشكلٍ ممتاز في المدى القصير، لكنّ حاجتهم اللانهائيّة للبحث ستقودهم في نهاية المطاف ليبحثوا عن شيءٍ جديد ليعبدوه ويهيموا به.

الحسّي الشهواني. ما يَسِم هؤلاء الأنماط هو ليس حبّهم للذّة وإنّما حواسّهم المفرطة النشاط. يظهرون هذه الخاصّية أحياناً في مظهرهم - من خلال اهتمامهم بالموضة، الألوان، الأسلوب. لكن في بعض الأحيان يكون الأمر أكثر مداورة. لأنّهم غاية في الحساسيّة، فهم غالباً ما يكونون خجولين إلى حدٍّ بعيد، وسينفرون من البروز والاستعراض. ستتعرّف إليهم من خلال مدى استجابتهم لبيئتهم، فهم لا يستطيعون احتمال غرفةٍ يعوزها ضوء الشمس، ويكتئبون نتيجةً لرؤيتهم ألواناً معيّنة، أو يُستَثارون ببعض الروائح. حدث وأنّهم يعيشون في ثقافةٍ لا تولي أهمّيةً للخبرة الحسّية (اللهمّ باستثناء حاسّة البصر). لذا فما ينقص الحسّي هو بالضبط تجارب وخبرات حسيّة كافية ليقدّرها ويستسيغها.

المبدأ الرئيسي لإغوائهم يكون في أن تستهدف حواسّهم، كأن تأخذهم إلى أماكن جميلة وتهتم بالتفاصيل، وتحيطهم بالمشاهد اللافتة، وبالطبع أن تستخدم كثيراً من المغريات الجسديّة والماديّة. الحسيّون، كالحيوانات، يمكن أن يُستَدرَجوا بطعم الألوان والروائح. ناشد أكبر عددٍ ممكنٍ من الحواس، ممّا يبقي أهدافك مشتّتين وضعفاء. غالباً ما يكون إغواء الحسيّين سهلاً وسريعاً، وتستطيع أن تستخدم نفس التكتيكات (الوسائل) مراراً وتكراراً لتبقِ على اهتمامهم، بالرغم من أنه من الحكمة أن تنوّع إغراءاتك الحسيّة بعض الشيء، في النوع إن لم يكن في النوعية. تلك كانت الكيفيّة التي عملت بها كليوباترة على مارك أنتوني، الذي كان متأصّل الحسّية. هذه الضحايا تشكّل ضحايا رائعة لأنّهم سهلو الانقياد نسبيّاً إذا أعطيتهم ما يريدون.

القائد المستوحد. الناس الأقوياء ليسوا مختلفين بالضرورة عن أيّ

شخصٍ آخر، لكنّهم يُعامَلون بشكلٍ مختلف، وهذا لديه أثرٌ كبيرٌ على شخصيّاتهم. الجميع من حولهم ينزع لأن يكون متزلّفاً وشبيهاً برجال البلاط، ولأن يكون مُغرِضاً، ولأن يرغب بالحصول على شيءٍ ما منهم. هذا يجعلهم شكّاكين وقليلي الثقة بمن حولهم، وغير مدوّري الزوايا بعض الشيء (متصلّبين)، لكن لا تخلط ما بين مظهر الأمر وحقيقته: يتوق القادة المستوحدون لأن يُغْوَوا، لأن يحظوا بشخصٍ يكسر عزلتهم ويخضعهم. المشكلة هي أنّ معظم الناس يخافون حتّى من المحاولة، أو يستخدمون أنواع التكتيكات ـ الإطراء، السحر ـ التي يعرفون طبيعتها الحقيقيّة ويحتقرون. حتّى تغوي هذه الأنماط، فمن الأفضل أن تتصرّف كندٍّ لهم أو حتّى كأعلى منهم ـ فهذه هو النوع من المعاملة الذي لا يحصلون عليه أبداً. إذا كنت صريحاً معهم لدرجة الفظاظة فستبدو خالياً من الرياء والتكلّف، وسوف يتأثّرون ـ أنت تهتم بما فيه الكفاية لأن تكون صادقاً، حتّى لو عرّضك هذا لبعض المخاطرة. (أن تكون صريحاً لدرجة الفظاظة مع أصحاب النفوذ يمكن أن يكون خطراً.) يمكن أن يُجعَل القادة المستوحدون عاطفيّين من خلال إنزال الألم بهم متبوعاً بالحنان.

هذا هو واحدٌ من أصعب الأنماط إغواءً، ليس فقط لأنّهم شكّاكون وإنّما لأنّ عقولهم تكون مُثقلةً بالهموم والمسؤوليّات. لديهم مساحةٌ فكريّة أقل للإغواء. ستضطرّ لأن تكون صبوراً وذكيّاً، حتّى تملأ أذهانهم تدريجيّاً بأفكارٍ عنك. إنجح، على الرغم من هذا، وستستطيع أن تحوز على نفوذٍ عظيمٍ في المقابل، لأنّهم سيصبحون معتمدين عليك في وحدتهم.

الجنس العائم. جميعنا لديه مزيجٌ ممّا هو ذكوري وما هو أنثوي في شخصيّاتنا، لكن معظمنا يتعلّم أن ينمّي ويُظهِر الجانب المقبول اجتماعيّاً بينما يقمع الآخر. الناس الذين ينتمون إلى نمط الجنس العائم يشعرون أنّ الفصل ما بين الجنسين في فئتين متميّزتين هو عبءٌ ثقيل. يعتقد البعض أنّهم مكبوتون أو مثليّون مستترون، لكن هذا مفهومٌ خاطئ: قد يكونون مشتهين للجنس المغاير بصورة قاطعة لكنّ جوانبهم المذكّرة والمؤنّثة تكون في حالة تدفّق، ولأنّ هذا قد يربك البعض إذا أظهروه، فهم يتعلّمون قمعه، ربّما من

خلال الذهاب إلى أحد الطرفين. هم في الواقع يحبّون أن يكونوا قادرين على التلاعب بجنسهم، وأن يُعطوا تعبيراً كاملاً لكلا الجانبين. العديد من الناس يمكن تصنيفهم ضمن هذا النمط دون أن يكون ذلك جليّاً: امرأةٌ ما يمكن أن تتمتّع بطاقة ذكوريّة، رجلٌ ما يمكن أن يتمتّع بجانبٍ جماليٍّ متطوّر. لا تبحث عن العلامات الظاهرة، لأنّ هذه الأنماط غالباً ما يعبّرون عن ميولهم هذه بشكلٍ سرّي، فيبقونها وراء حُجُبٍ. هذا يجعلهم عرضةً للإغواء القويّ.

ما يبحث عنه نمط الجنس العائم حقّاً هو شخصٌ آخر غير متأكّدٍ من جنسه، نظيرهم من الجنس الآخر. أرِهم أنّهم يستطيعون الاسترخاء في حضورك والتعبير عن الجانب المقموع من شخصيّاتهم. إذا كان لديك ميول كهذه، فهذه هي الحالة الوحيدة التي يكون فيها من الأفضل أن تغوي نفس نمطك من الجنس الآخر. كلّ شخصٍ سيحرّك الرغبات المكبوتة في الآخر وسيحوز بشكلٍ مفاجئ على رخصةٍ لاكتشاف جميع الأنواع من التراكيب والتوليفات الجنسيّة (من ناحية الذكورة والأنوثة)، دون الخوف من أن تصدر بحقّه الأحكام. إذا لم تكن تنتمي لفئة الجنس العائم، فدع هذا النمط وشأنه. لأنّك لن تفعل شيئاً سوى تقييدهم وخلق مزيدٍ من الإزعاج.

القسم الثاني
العملية الإغوائية

معظمنا يدرك أنّ تصرّفاتٍ معيّنة من قبلنا يكون لها تأثيرٌ سارّ وإغوائي على الشخص الذي نحبّ أن نغوي. المشكلة هي أنّنا عموماً غارقون في أنفسنا حتّى الأذنين: نحن نفكّر بما نريد من الآخرين أكثر ممّا يمكن أن يريدونه منّا. قد نفعل شيئاً مغوياً في بعض الأحيان، لكنّنا غالباً ما نتبع هذا بتصرّفٍ أنانيٍّ أو عدوانيّ (فنحن مستعجلون كي نحصل على ما نريد)؛ أو، ودون إدراكٍ لما نفعل، نظهر جانباً وضيعاً ومبتذلاً من أنفسنا، فنحطّم أيّة أوهامٍ أو تخيّلاتٍ كان من الممكن أن تكون لدى الشخص عنّا. محاولاتنا في الإغواء عادةً لا تستمرّ طويلاً بما فيه الكفاية لتخلق أثراً.

أنت لن تغوي أيّ أحد بالاعتماد ببساطة على شخصيّتك الساحرة، أو من خلال القيام بين الحين والآخر بشيءٍ نبيلٍ أو مغرٍ. الإغواء هو عمليّة أو مسيرة تحدث عبر فترةٍ زمنيّة ـ كلّما استغرقت وقتاً أطول وتقدّمت بشكلٍ أبطأ، نفذت إلى عقول ضحيّتك على نحوٍ أعمق. إنّه فنٌّ يتطلّب صبراً، تركيزاً، وتفكيراً استراتيجيّاً. يجب أن تكون متقدّماً دائماً على ضحيّتك بخطوة واحدة، فتذرّ الغبار في عيونهم، وترمي تعويذتك، وتبقيهم في حالة عدم توازن.

الفصول الأربعة والعشرون في هذا القسم ستسلّحك بسلسلةٍ من التكتيكات (الوسائل) التي ستساعدك على أن تخرج من نفسك لتدخل عقل ضحيّتك، وذلك لكي تستطيع أن تعزف على أوتار الإغواء كما تعزف على آلة موسيقيّة. الفصول مرتّبة وفق تسلسلٍ فضفاض أو غيرمحكم، فتمضي من الاتّصال الأوّلي مع ضحيّتك إلى الخاتمة الموفّقة. هذا التسلسل أو الترتيب يستند إلى قوانين سرمديّة تحكم نفس الإنسان. نظراً لأنّ أفكار الناس

تدور حول اهتماماتهم اليوميّة ومكامن اللاأمان عندهم، فإنّك لا تستطيع أن تشرع في الإغواء إلّا إذا هدهدت ضروب قلقهم بالتدريج وملأت عقولهم المشتّتة بأفكارٍ عنك. ستساعدك الفصول الافتتاحيّة على تحقيق هذا. هناك ميلٌ طبيعيٌّ في العلاقات يفضي إلى أن يألف الناس بعضهم بعضاً إلى الدرجة التي يبدأ عندها الضجر والركود بالحلول. الغموض هو الدم الذي يمد الإغواء بالحياة والحفاظ عليه يستلزم أن تفاجئ ضحاياك باستمرار، وأن تصعّد الأمور، بل وحتّى أن تصدمهم. لا يجب أن يستقرّ الإغواء أبداً في روتينٍ مريح. الفصول الوسطى والأخيرة سترشدك في فن المناوبة ما بين الأمل واليأس، اللذة والألم، إلى أن تضعف ضحاياك وتستسلم. في كلّ مرحلة، يمهّد أحد التكتيكات للذي يليه، ممّا يخوّلك بأن تدفع بالأمور إلى مراحل أبعد بالاعتماد على ما هو أكثر جسارة وعنفاً. لا يجوز للمغوي أن يكون هيّاباً أو رحيماً.

لمساعدتك كي تمضي بالإغواء قدماً، فقد رُتِّبَت الفصول في أربعة مراحل، كلّ ذات هدفٍ محدّد يُسعى وراءه: حمل الضحيّة على التفكير بك؛ إحراز النفاذ إلى مشاعرهم من خلال خلق لحظاتٍ من المتعة والارتباك؛ النفاذ إلى مستوياتٍ أعمق من خلال العمل على لاوعيهم، ومن خلال إثارة الرغبات المكبوتة؛ وأخيراً، إحداث الاستسلام الجسدي. (المراحل مُعَلّمة ومُفَسّرة بمقدّمة موجزة وبشكلٍ واضح.) من خلال اتّباع هذه المراحل سوف تعمل بشكلٍ أكثر فعّاليّة على عقل ضحيّتك وستخلق الطقس ذي الإيقاع المتنامي على نحوٍ بطيء ومنوّمٍ مغناطيسيّاً. في الواقع، يمكن النظر إلى العمليّة الإغوائيّة كنوعٍ من طقس الإدخال إلى شيءٍ جديد أو طقس التلقين، والذي تقتلع فيه الناس من عاداتهم، وتعطيهم (تلقّنهم) خبراتٍ جديدة، وتخضعهم لامتحانات، قبل أن تجعلهم يستهلّون (تُدخِلَهم) حياةً جديدة.

من الأفضل أن تقرأ كل الفصول كي تحظى بأكبر قدرٍ ممكن من المعرفة. عندما يحين وقت تطبيق هذه التكتيكات، ستحتاج لأن تنتقي وتختار التكتيكات الملائمة لضحيّتك دون غيرها؛ بضعةٌ فقط من هذه التكتيكات تكفي في بعض الأحيان، وذلك تبعاً لمستوى المقاومة الذي تواجهه ولتعقيد مشاكل ضحيّتك. هذه التكتيكات يمكن تطبيقها بدرجة

مساوية في الإغواءات الاجتماعيّة والسياسيّة، لكن باستثناء المكوّن الجنسي في المرحلة الرابعة.

مهما كلّف الأمر، قاوم الإغراء بأن تُسرِع نحو ذروة إغوائك، أو بأن ترتجل. ففي هذه الحالة أنت لا تكون إغوائيّاً وإنّما أنانيّاً. كلّ شيءٍ في الحياة اليوميّة يُفعَلُ على نحوٍ متسرّع وإرتجالي، فمن الضروري إذن أن تقدّم شيئاً مختلفاً. من خلال احترام عامل الوقت واحترام العمليّة الإغوائيّة فإنّك لن تكسر وحسب فقط مقاومة ضحاياك، بل وستجعلهم يقعون في الحب.

المرحلة الأولى

الفَصل ـ
إثارة الاهتمام والرغبة

تعيش ضحاياك في عوالمهم الخاصّة، عقولهم مشغولة بضروب القلق والحصر وبالهموم اليومية. هدفك في هذه المرحلة الأولية هو أن تفصلهم ببطء عن ذلك العالم المغلق وتملأ أذهانهم بأفكارٍ عنك. بمجرّد ما تكون قد قررت من ستغوي (1: اختر الضحيّة المناسبة)، تكون مهمّتك الأولى هي أن تلفت انتباه ضحيّتك، أن تثير الاهتمام بك. بالنسبة لأولئك الذين قد يكونون أكثر مقاومةً أو صعوبة، فإنّه يتعيّن عليك أن تلجأ إلى مقاربةٍ أكثر بطأً ومكراً، فتكسب صداقتهم أوّلاً (2: إخلق شعوراً زائفاً بالأمان ـ ادنُ بشكل غير مباشر)؛ بالنسبة لأولئك الضجرين والذين لا يصعب الوصول إليهم، ستفلح معهم مقاربةٌ أكثر دراماتيكية، فإمّا أن تسحرهم بحضورٍ غامض (3: أرسل إشارات مختلطة) أو أن تبدو شخصاً يشتهيه ويتقاتل عليه الآخرون(4: إظهر كموضِع للرغبة).

بمجرّد ما يُؤسر اهتمام الشخص بالشكل المناسب، يتوجّب عليك أن تحوّل اهتمامهم إلى شيءٍ أقوى ـ الرغبة. الرغبة يسبقها عموماً الشعور بالفراغ، بشيءٍ مفقودٍ من الداخل يحتاج إلى تلبية. يجب أن تغرس عامداً هكذا مشاعر، إجعل ضحاياك مدركةً للمغامرة والرومانس المفقودين في حياتهم

(5: إخلق حاجة ـ أَثِر القلق وعدم الرضى). إذا رؤوك على أنك الشخص الذي سيملأ فراغهم، فسوف يُزهِر الاهتمام رغبة. الرغبة يجب أن تُذكى من خلال غرس أفكارٍ في ذهنهم بطريقةٍ غير مباشرة، تلميحاتٍ عن الملذات الإغوائية التي تنتظرهم (6: أتقن فن الإيحاء). مماثلة قيم ضحاياك، إشباع رغباتهم وأمزجتهم سوف يسحرهم ويبهجهم (7: إدخل نفسيّاتهم). المزيد المزيد من أفكارهم تدور حولك الآن دون أن يدركوا كيف حصل ذلك. آن الأوان من أجل شيءٍ أقوى. استدرجهم بمتعةٍ أو مغامرة لا يمكن مقاومتها (8: إخلق الإغراء) وسوف يتبعون قيادتك.

1

اختر الضحية المناسبة

كل شيء يعتمد على هدف
إغوائك. ادرس فريستك بشكلٍ شامل،
وانتقِ فقط أولئك الذين يَثبُت أنهم قابلون للتأثر
بسحرك وفتنتك. الضحايا المناسبون هم أولئك الذين تستطيع
أن تملأ فراغاً لديهم. أولئك الذين يرون فيك شيئاً مميزاً. هم غالباً
ما يكونون معزولين أو على الأقل غير سعداء نوعاً ما (ربما بسبب
ظروف غير مؤاتية حدثت مؤخّراً)، أو يمكن بسهولة جعلهم كذلك ـ
لأن الشخص الراضي والقانع بشكل كامل يكاد يكون إغواؤه
مستحيلاً. الضحية المثالية لديها خاصية طبيعية معينة تجذبك.
العواطف القوية التي تلهبها هذه الخاصية ستساعد على
جعل مناوراتك الإغوائية تبدو أكثر طبيعية وفعاليةً.
الضحية المثالية تتيح المجال للمطاردة
الأمثـــــل.

التحضير للاصطياد

كان الڤيكونت دي ڤالمون خليعاً سيّئ الصيت في باريس العقد الثامن من القرن الثامن عشر، وسالب عذريّة العديد من الفتيات والمغوي البارع لزوجات الأرستقراطيّين اللامعين. لكن بعد فترة أخذ التكرار يُشعِره بالسأم؛ كانت نجاحاته تتأتّى بسهولة بالغة لذا قرّر ذات سنة، خلال شهر آب القائظ والطويل، أن يأخذ إجازةً من باريس ويزور عمّته في قصرها الواقع في الأرياف. لم تكن الحياة هناك كما اعتاد عليه - كان هناك نزهاتٌ ريفيّة، دردشات مع القس المحلّي، لعب بالورق. أصدقاؤه في المدينة، وخاصّةً رفيقته الفاسقة والمؤتمنة على أسراره الماركيزة دي ميرتويل، توقّعوه أن يُهرَع عائداً.

اليوم التاسع • هل أصبحت أعمى؟ هل فقدت عين الروح الباطنيّة قواها؟ كنت قد رأيتها، لكنّ الأمر كان كما لو أنّني رأيت شيئاً من الفردوس وقد تجسّد - بشكلٍ كلّيٍ تماماً كانت صورتها قد اختفت من ذهني مجدّداً. بلا جدوى أحاول استجماع كلّ قواي النفسيّة من أجل استحضار هذه الصورة. إذا حدث ورأيتها في أيّ وقت، فسأكون قادراً على تمييزها حالاً، حتّى ولو وقفت بين المئات. لقد اختفت

على أيّة حال فقد كان هنالك ضيوفٌ آخرون في القصر بمن فيهم المدام دي تورڤيل، البالغة من العمر الثانية والعشرين والتي كان زوجها غائباً بشكلٍ مؤقّت لقضاء عمل في مكانٍ آخر. كانت المدام قابعةً في القصر وهي تذبل شوقاً انتظاراً لعودة زوجها إليها. كان ڤالمون قد التقاها من قبل؛ كانت جميلةً بالتأكيد، لكن كان لها صيتٌ كامرأةٍ متزمّتة ومخلصةٍ لزوجها للغاية. لم تكن سيّدة بلاط؛ ذوقها في اللباس كان شنيعاً (كانت تغطّي عنقها دائماً بكشكشٍ ضخم) وافتقد حديثها للظرافة. لكن لسببٍ ما - بعيداً عن باريس - فقد بدأ ڤالمون يرى هذه السمات بطريقة مختلفة. تبعها إلى الكنيسة حيث كانت تذهب كلّ صباحٍ للصلاة. ألقى نظراتٍ خاطفة عليها على العشاء وعندما كانت تلعب الورق. على خلاف نساء باريس، فإنّها بدت غير مدركةٍ لمفاتنها وسحرها؛ الأمر الذي أثاره. بسبب الحرارة، ارتدت ثوباً بسيطاً من الكتّان أظهر شكل جسمها. غطّت صدرها قطعة من النسيج القطني الرقيق، ما جعله يمضي إلى ما هو أبعد من تخيّله. شعرها الذي لم يكن متماشياً مع الموضة نتيجة بعثرته الخفيفة، كان يستدعي إلى الذهن

صورة غرفة النوم. ووجهها - لم يكن قد لاحظ كم كان وجهها معبّراً. كانت ملامحها تضيء عندما تعطي صدقةً لمتسوّل؛ وتحمرّ خجلاً إثر أبسط مديح. كانت غاية في العفويّة والانعتاق من مراقبة الذات. وعندما كانت تتكلّم عن زوجها، أو عن مسائل دينيّة، فإنّه كان يستطيع أن يحس بعمق مشاعرها. ماذا لو قُيِّضَ لهذه الطبيعة الشغوفة أن تخرج عن مسارها ذات يوم وتصبّ في علاقة حبّ....

مدّد ڤالمون إقامته في القصر، ما أبهج عمّته التي لم تستطع أن تحزر سبب ذلك. وكتب إلى الماركيزة دي ميرتويل، مفسّراً مطمحه الجديد: إغواء المدام دي تورڤيل. لم تستطع الماركيزة التصديق. هل هو يريد إغواء هذه المتزمّتة والمتحشّمة؟ إذا نجح، فكم ستكون اللذة التي ستمنحه إيّاها قليلة، وإذا فشل فيا له من عار - الخليع والفاسق العظيم غير قادرٍ على إغواء زوجةٍ كان زوجها بعيداً عنها! كتبت رسالة ساخرة لم تؤدِّ إلّا إلى زيادة لهيب ڤالمون. إخضاع امرأةٍ مشهورةٍ بفضيلتها كهذه كان سيتكشّف عن كونه أعظم إغواءاته. لم يكن صيته إلّا ليتعزّز.

على الرغم من ذلك فقد كان هنالك عائقٌ بدا أنّه سيجعل النجاح شبه مستحيل: الجميع كان يعرف بصيت ڤالمون، بمن فيهم المدام. علمت كم كان خطراً أن تكون معه لوحدها في أيّ وقت، وكيف كان الناس سيتحدّثون عن أدنى تزاملٍ معه. فعل ڤالمون كل شيء ليناقض سمعته، لا بل وحتّى اشتطّ في ذلك لدرجة أنه صار يرتاد مراسم الكنيسة وبدا أنّه تائبٌ عن أساليبه القديمة. لاحظت المدام هذا، لكنّها أبقت على مسافة فاصلة. كان التحدّي الذي قدّمته لڤالمون لا يُقاوم، لكن هل كان بإمكانه أن يكون بمستوى التحدّي؟

قرّر ڤالمون أن يجسّ النبض. تدبّر في أحد الأيام نزهةً على الأقدام مع المدام وعمّته. اختار طريقاً مبهجاً لم يكونوا قد أخذوه من قبل، لكنّهم في نقطةٍ معيّنة وصلوا خندقاً غير ملائم لأن تعبره سيّدة دون مساعدة. إلّا أنّ ڤالمون قال أنّ بقيّة من الطريق كان أجمل بكثير من أن يقفلوا عائدين، ورفع عمّته بأناقة بين ذراعيه وحملها عبر الخندق، ما جعل المدام تضحك بصخب. لكن عندها كان دورها قد حان، حيث تعمّد ڤالمون أن يرفعها بأسلوبٍ تعوزه الرشاقة نوعاً ما، لكي تمسك بذراعيه، وبينما كان يحملها

الآن، وعين روحي تحاول بلا طائل أن تظفر بها وبأتواقها. كنت أمشي بمحاذاة شارع لانجليني، بشكلٍ لا مبالٍ في الظاهر ودون الانتباه إلى البيئة المحيطة، بالرغم من أنّ نظرتي المستكشفة الخاطفة لم تترك شيئاً إلّا ولَحِظَتْهُ - وعندها وقعت عيناي عليها. تسمّرت عيناي عليها بثبات دون أن تطرفا. لم تعودا تطيعان إرادة صاحبهما؛ لقد كان من المستحيل بالنسبة إليّ أن أشيح بنظري وبالتالي أغضّ الطرف عن الشيء الذي أردت مشاهدته - لم أنظر، بل حدّقت. كما يتجمّد المُثاقف وهو يُحكِم طعنته، كذلك كانت عيناي مُثبتتين، ومشلولتين في الاتّجاه الذي اتّخذتاه في البداية. لقد كان من المستحيل أن أنظر إلى الأسفل، أو أسحب نظرتي، أو أرى،

قبالته فقد استطاع أن يحسّ بقلبها وهو ينبض على نحوٍ أسرع، ورأى وجهها وقد تورّد. رأت عمّته هذا أيضاً، وصاحت، «الطفلة خائفة!» لكنّ الشعور الذي راود ڤالمون كان من نوعٍ آخر. الآن صار يعلم أنّ بالامكان مواجهة التحدّي. الإغواء يمكن الشروع به.

التفسير. ڤالمون، مدام دي تورڤيل، وماركيزة دي ميرتويل كلّها شخصيّات في الرواية الفرنسية من القرن الثامن عشر *علاقات سرّية خطرة*، التي ألّفها شوديرلو دي لاكلو. (شخصيّة ڤالمون كانت مستمدّة من عدّة خليعين من الحياة الحقيقيّة في ذلك الزمن، أبرزهم على الإطلاق كان الدوق دي رايشيليو.) في القصّة، ينتاب ڤالمون القلق من أنّ إغواءاته قد أصبحت ميكانيكيّة؛ إذ كان يبادر بحركة أو خطوة، والنساء كنّ يستجبن في جميع الأحوال تقريباً بنفس الطريقة. لكن لا يجب أن يسلك إغواءان نفس المسار - فهدفٌ مختلف يُفترَضُ به أن يغيّر الديناميكيّة بأكملها. تلخّصت مشكلة ڤالمون في أنّه كان دائماً يغوي الطراز نفسه - الطراز الخاطئ. أدرك هذا عندما التقى بمدام تورڤيل.

لم يقرّر إغواءها بدافعٍ من كون زوجها كونتاً، أو بدافعٍ من كونها أنيقة اللباس، أو مشتهاةً من الرجال الآخرين - الأسباب المعتادة. اختارها لأنّها كانت قد أغوته أساساً بأسلوبها غير المقصود. ذراعٌ مكشوف، ضحكةٌ غير مُتَمَرّنٍ عليها، أسلوبٌ مرح - كل هذه الأمور أسرت انتباهه، لأنّ لا واحدةً منها كانت مُتَصَنّعة. بمجرّد ما وقع تحت سحرها، أصبحت رغبته من القوة بحيث جعلت مناوراته اللاحقة تبدو أقلّ تعمّداً وتدبيراً؛ فمن الواضح أنّه غير قادرٍ على ضبط نفسه. وعواطفه القويّة سوف تعديها بالتدريج.

عدا عن الأثر الذي كان للمدام على ڤالمون، فقد كان لديها صفاتٌ أخرى جعلت منها الضحيّة المثاليّة. إنّها ضجرة، الأمر الذي يشدّها نحو المغامرة. هي ساذجة، وغير قادرة على أن تتبيّن طبيعة حيله الحقيقيّة. أخيراً، كعب أخيل: هي تعتقد أنّها منيعةٌ أمام الإغواء. كلّنا تقريباً عرضةٌ لجاذبيّة وفتنة الناس الآخرين، ونأخذ احتياطاتنا إزاء زلّاتٍ غير مرغوبٍ بها. لم تأخذ المدام دي تورڤيل أيّة احتياطاتٍ. ما إن اختبرها ڤالمون عند الخندق ورأى أنّها غير حصينة جسديّاً، حتّى علم أنّها ستقع في آخر المطاف.

لأنّني رأيت أكثر من اللازم بكثير. الشيء الوحيد الذي احتفظت به هو أنّها كانت ترتدي عباءةً خضراء - يمكن للمرء أن يسمّي هذه الظاهرة بالتمسّك بقطرة المطر بدلاً من الغمام؛ قد أفلتت منّي ... وتركت خلفها عباءتها فقط .... تركت الفتاة انطباعاً قويّاً لديّ. • اليوم السادس عشر • لا أشعر بنفاذ الصبر، لأنه لا بدّ وأنّها تعيش هنا في المدينة، وهذا كافٍ بالنسبة إليّ في الوقت الراهن. هذه الإمكانيّة هي الشرط اللازم للظهور المناسب لصورتها - سيُستَمتَع بكلّ شيء بجرعاتٍ بطيئة... • اليوم التاسع عشر • إنّ اسمها إذن هو كورديليا! إنّه اسمٌ جميل، وذلك مهمّ أيضاً، لأنّه غالباً ما يكون في غاية الإزعاج أن تضطر

الحياة قصيرة، ولا يجب أن تُضَيّع في مطاردة وإغواء الناس الخطأ. اختيار الهدف هو عاملٌ حاسم؛ فهو الذي يحضّر للإغواء وهو الذي سيحدّد كل شيءٍ آخر سيتبع. الضحيّة المثاليّة ليست هي تلك التي تتحلّى بملامح وجهيّة معيّنة، أو بنفس الذوق في الموسيقى، أو تشاركك نفس الأهداف بالحياة. هذه هي الكيفيّة التي من خلالها يختار المغوي/ية المبتذل/لة (العادي/ية) أهدافه أو أهدافها. الضحيّة المثاليّة هي الشخص الذي يثيرك ويحرّكك بطريقةٍ لا يمكن تفسيرها بالكلمات، والذي تأثيره عليك لا يمتّ بصلة للأمور السطحيّة. هو أو هي غالباً ما يتمتّع/تتمتّع بخاصّيةٍ أنت نفسك تفتقدها، وربّما حتى تحسدها سرّاً. المدام، على سبيل المثال، تمتّعت ببراءة كان ڤالمون قد خسرها منذ زمنٍ بعيد هذا إن كان عنده براءة من الأساس. يجب أن يكون هناك مقدارٌ بسيطٌ من التوتّر ـ الضحيّة قد تخافك قليلاً، أو حتى تكرهك بعض الشيء. توتّرٌ كهذا يكون مليئاً بالشهوانيّة الكامنة وسيجعل الإغواء مفعماً بالحياة أكثر. كن خلاّقاً أكثر في انتقائك لفريستك وستُكافأ بإغواءٍ أكثر إثارةً وتشويقاً. بالطبع، كل ما تقدّم لا يعني شيئاً إذا كانت ضحيتك المحتملة غير منفتحةٍ لتأثيرك. اختبر الشخص أوّلاً. ما إن تشعر بأنّه أو بأنّها أيضاً عرضةٌ لإغرائك وسحرك حتّى يصبح من الممكن عندها للاصطياد أن يبدأ.

لأن تلقّب الاسم القبيح بألطف الصفات وأجملها على الإطلاق.

ـ سورين كيركيجارد، *يوميّات مغوي*، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا إتش هونغ

الحبّ، كما يُفهَم من قِبَل دون جوان، هو عبارة عن شعور قريبٍ من الولوع بالصيد. هو توقٌ إلى نشاطٍ محتاجٍ إلى تنوعٍ لا ينقطع من الحوافز لتحدّي المهارة.

ـ ستندال، *الحبّ*، ترجمة جيلبرت وسوزان سايل

> *إنّه ضربةٌ من الحظ السعيد أن تجد شخصاً يستحق الإغواء... معظم الناس يندفعون رأساً، يصبحون مرتبطين (منخرطين) أو يفعلون أشياء أخرى غبيّة، وفي طرفة عين ينتهي كل شيء، دون أن يعرفوا ما ربحوا وما خسروا.*
>
> ـ سورين كيركيجارد

ليست نوعيّة الشيء المُشتَهى هي ما يُعطينا المتعة، وإنّما طاقة شهواتنا.

ـ شارل بودلير، *نهاية دون جوان*

المفاتيح إلى الإغواء

خلال الحياة نجد أنفسنا مضطرين لإقناع الناس ـ لإغوائهم. سيكون البعض منفتحين نسبيّاً لتأثيرنا، حتّى ولو بطرق خفيّة، بينما يكون الآخرون منيعين أمام سحرنا وفتنتنا. ربّما نجد هذا على أنّه شيءٌ غامضٌ ووراء قدرتنا

ابنة الرغبة يجب أن تكافح، ليكون لديها

على الفهم، لكن تلك ليست طريقة فعّالة للتعامل مع الحياة. المغوون، أكانوا مغوين اجتماعيّين أم جنسيّين، يفضّلون أن يختاروا المميّزين. هم يقصدون في أغلب الأحيان الناس الذين يُبدون بعضاً من القابلية تجاههم، ويتفادون أولئك الذين لا يمكن زحزحتهم أو تحريك مشاعرهم. أن تترك الناس الذين لا يمكنك بلوغهم أو التأثير فيهم هي لوحدها طريقةٌ حكيمة؛ فأنت لا تستطيع أن تغوي الجميع. من ناحيةٍ أخرى، يجب عليك أن تفتّش بشكلٍ فعّال عن الفريسة التي تستجيب بالشكل الصحيح. هذا سيجعل إغواءاتك أكثر متعةً وإرضاءً بكثير.

كيف تتعرّف على ضحاياك؟ بالطريقة التي يتجاوبون من خلالها معك. عليك ألاّ تعير الانتباه أكثر من اللازم لاستجاباتهم الواعية - إنّ الشخص الذي يحاول بشكلٍ واضح أن يرضيك أو يسحرك يفعل ذلك على الأرجح بقصد مداعبة أوتار غرورك، لأنّه يريد شيئاً ما منك. عوضاً عن ذلك، أعِر انتباهاً أكبر لتلك الاستجابات التي تقع خارج نطاق السيطرة الواعية - احمرارٌ في الوجه، محاكاةٌ لا إراديّة لبعض إيماءاتك، خجلٌ غير اعتياديّ، وحتّى ربما التماعةٌ من الغضب أو الامتعاض. كل هذه تُظهِر أنّه لديك أثرٌ على الشخص وأنّه عرضةٌ لتأثيرك.

مثل ڤالمون، تستطيع أيضاً التعرّف على الأهداف الصحيحة من خلال أثرهم أو تأثيرهم عليك. ربّما يجعلونك مضطرباً - لعلّهم ينسجمون مع فكرةٍ مثاليّةٍ عميقة الجذور في طفولتك، أو يمثّلون نوعاً ما من المحظور الشخصي الذي يثيرك، أو يوحون بأنّهم الشخص الذي تتخيّل أن تكونه إذا كنت من الجنس الآخر. عندما يكون للشخص هذا الأثر العميق عليك، فهذا من شأنه أن يحوّل كل مناوراتك اللاحقة. وجهك وإيماءاتك يصبحون أكثر حيويّة. تصبح لديك طاقةٌ أكبر؛ عندما تقاومك ضحاياك (كما ينبغي للضحيّة الجيّدة أن تفعل) ستصبح أنت بدورك خلاّقاً أكثر، ومدفوعاً أكثر لتخطّي مقاومتهم. سيمضي الإغواء قدماً مثل مسرحيّةٍ جيدة. رغبتك القويّة ستعدي الهدف وتعطيه الإحساس الخطير بأنّ لديه نفوذاً عليك. بالطبع، أنت في النهاية من يمسك بزمام السلطة بما أنّك تحرّك عواطف ضحاياك في اللحظات المناسبة، فتقودهم بين إقدام وإحجام. المغوون الجيّدون يختارون الأهداف التي تلهمهم لكنّهم يعلمون كيف ومتى يضبطون أنفسهم.

العشّاق التالون، كلٌّ بدوره، بحيث يكونون مطمئنّين لها بشكلٍ متبادل: صبيّ تحرر قبل الأوان بكثير من سلطة أبيه ومشورته، كاتبٌ يتمتّع بمنصبه مع أميرٍ بسيطٍ نوعاً ما، ابن تاجرٍ يتجلّى كبرياؤه بمزاحمة العشّاق الآخرين، ناسكٌ عبدٌ للحبّ في الخفاء، ابن ملكٍ ذي حماقاتٍ لا تُعدُّ ولا تُحصى والذي لديه ميلٌ للنذالة، الابن الريفي لأحد أفراد طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس، عشيق امرأةٍ متزوّجة، مغنٍّ قد وضع في جيبه للتو مبلغاً كبيراً من المال، صاحب قافلةٍ من العربات لكن الذي أصبح كذلك مؤخّراً.... هذه التعليمات الموجزة تقبل كمّاً لا نهائيّاً من التأويلات، يا طفلي العزيز، وذلك تبعاً للظروف؛ وتتطلّب ذكاءً،

إيّاك وأن تندفع إلى الذراعين المنتظرين لأوّل شخصٍ يبدو أنّك تروق له. فذلك ليس إغواءً وإنّما قلّة ثقةٍ بالنفس ناجمةٌ عن عدم الشعور بالأمان. الحاجة التي تشدّك سوف تفضي إلى ارتباطٍ ضعيف المستوى، وسيذبل الاهتمام عند كلا الطرفين. إنظر إلى الأنماط التي لم تأخذها في عين الإعتبار من قبل ـ ذلك هو المكان الذي ستجد فيه التحدّي والمغامرة. الصيّادون المتمرّسون لا يختارون فريستهم تبعاً لمدى سهولة الإمساك بها؛ هم يسعون وراء الإثارة الخاصّة بالمطاردة، صراع حياةٍ أو موت ـ كلّما كان أعنف كان أفضل.

تبصُّراً وتأمّلاً للتعامل على أفضل وجه مع كلّ حالةٍ بعينها.

ـ الحبّ الشرقي، المجلّد الثاني: موجز *كشيمندرا عن المومسات،* ترجمة إي. بوويز ماثرز

بالرّغم من أنّ كون الضحيّة مثاليّةً بالنسبة لك هو أمرٌ يتوقّف عليك، إلّا أنّ بعض الأنماط يكونون ملائمين لإغواءٍ أكثر إرضاءً. كازانوڤا كان يحب الفتيات غير السعيدات، أو اللواتي كنّ قد عانين من محنةٍ مؤخّراً. هذه الأنماط راقوا لرغبته بأن يلعب دور المنقذ، لكن تفضيله هذا كان من مقتضيات الضرورة أيضاً: فإغواء الناس السعداء يكون أكثر صعوبةً بكثير. حالة الرضى والقناعة التي لديهم تجعل من المتعذّر الحصول عليهم أو التأثير فيهم. من الأسهل دائماً الاصطياد في الماء العكر. كذلك الأمر، فإنّ مسحةً من الحزن تكون مغويةً بحقّ بحدّ ذاتها ـ جنجي، بطل الرواية اليابانيّة *حكاية جنجي*، لم يكن بإمكانه أن يقاوم المرأة ذات المسحة السوداويّة. في كتاب كيركيجارد *يوميّات مغوي*، فإنّ القاصّ جوهانس لديه شرطٌ أساسيٌّ في ضحيّته: يجب أن يكون لديها مخيّلة. لذلك فهو يختار امرأةً تعيش في عالمٍ خياليّ، امرأةً سوف تغلّف كل إيماءة من إيماءاته بالشعر، وتتخيّل أكثر بكثير ممّا هو هنالك (موجودٌ حقّاً). إنّ إغواء الشخص الذي ليس لديه مخيّلة هو صعبٌ تماماً كصعوبة إغواء الشخص السعيد.

النساء اللواتي يمكن الظفر بوصالهنّ بسهولة هنّ: ... المرأة التي تتلفّت نحوك يميناً وشمالاً؛ ... المرأة التي تكره زوجها، أو التي يكرهها زوجها؛ ... المرأة التي لم تحظَ بأيّ أولاد؛ ... المرأة التي تكون مولعة جدّاً بالمجتمع الراقي؛ المرأة التي تبدو ظاهريّاً على أنها شديدة الحنوّ على زوجها؛ زوجة الممثّل؛ الأرملة؛ ... المرأة المولعة بالمُتع؛ ... المرأة الفارغة، المرأة التي يكون زوجها أدنى منها شأناً أو مقدرةً؛ المرأة التي تكون معتدّةً

بالنسبة للنساء، فغالباً ما يكون الرجل المتمتّع بصفات الرجل الحقّ هو الضحيّة المثاليّة. كان مارك أنتوني من هذا النوع ـ أحبّ المتعة، كان عاطفيّاً إلى حدٍّ بعيد، وعندما كان الأمر يتعلّق بالمرأة، فإنّه كان من الصعب عليه أن يفكّر بوضوح. سَهُلَ على كليوباترة التلاعب به. ما إن استحوذت على مشاعره، حتّى أبقته بشكلٍ دائم تحت السيطرة. المرأة لا يجب أبداً أن تُحبَطَ أمام الرجل الذي يبدو عدوانيّاً بشكلٍ زائد. هو غالباً ما يكون الضحيّة المثاليّة. من السهل، باستخدام بعض الخدع المغناجيّة، أن تديري العدوانيّة

رأساً على عقب وتجعليه عبدك. هؤلاء الرجال يستمتعون في الواقع بأن يُجْعَلوا الساعين وراء المرأة.

بمهارتها في الفنون؛ ... المرأة التي يستخفّ بها زوجها دون أيّ سبب؛ ... المرأة التي يكون زوجها مكرساً للسفر؛ زوجة تاجر الجواهر؛ المرأة الغيورة، المرأة المشتهية لما هو ملكٌ لغيرها.

ـ *فنّ الحبّ الهندوسي*، تحرير إدوارد ويندسور

كن حذراً فيما يتعلّق بالمظاهر. الشخص الذي يبدو شغوفاً بشكلٍ بركانيّ غالباً ما يخفي شعوراً باللاأمان وانشغالاً بالذات. هذا ما فشل معظم الرجال في ملاحظته عند محظيّة القرن التاسع عشر لولا مونتيز. بدت غاية في الدراماتيكيّة والإثارة. لكنّها في الواقع كانت امرأةً مضطربةً ومهووسةً بنفسها، لكن في الوقت الذي اكتشفوا فيه ذلك كان قد فات الأوان ـ إذ كانوا قد أصبحوا متورّطين معها ولم يستطيعوا أن يخلّصوا أنفسهم قبل شهورٍ من الدراما والعذاب. الناس الذين يبدون ظاهريّاً على أنّهم متحفّظون (ينؤون بأنفسهم) أو خجولون غالباً ما يكونون أهدافاً أفضل من المنبسطين (أي المنفتحين). هم مستقتلون لأن يُخرجوا من قوقعتهم، والمياه الساكنة تكون عميقة الغور.

الفراغ يحفر الحبّ، الفراغ يراقب المحروم من الحبّ، / الفراغ هو سبب الشر اللطيف / وسنده. تخلّص من الفراغ وسينكسر قوس كيوبيد، / ستنطفئ مشاعله وتصبح موضع ازدراء. / كما يتمتّع العنب بالخمر، والحور بالماء، / وقصب السبخات بالأراضي المستنقعيّة، كذلك تحبّ / ڤينوس / الفراغ... / لماذا تعتقد أنّ آجيستوس / قد

الناس الذين لديهم الكثير من الوقت بين أيديهم يكونون قابلين جدّاً للإغواء. إذ يكون لديهم مساحةٌ عقليّة لتملأها. توليا دارجونا، المحظيّة الإيطاليّة السيئة الصيت من القرن السادس عشر، كانت تفضّل الشباب اليافعين كضحايا لها؛ بالإضافة للأسباب الجسديّة لهذا التفضيل، فقد كانوا أكثر تبطّلاً من الرجال العاملين ذوي المهن، وبالتالي أقلّ قدرةً على الدفاع عن أنفسهم أمام مغويةٍ حاذقةٍ كهذه. من ناحيةٍ أخرى، عليك أن تتجنّب عموماً الناس مشغولي البال بالأعمال والتجارة ـ فالإغواء يتطلّب الانتباه، والأناس المشغولون يكون لديهم مساحةٌ قليلةٌ جدّاً في أذهانهم لتشغلها أنت.

تبعاً لفرويد، الإغواء يبدأ في مرحلةٍ مبكّرةٍ من الحياة، في علاقتنا مع والدينا. هم يغووننا مادّياً من خلال كلٍّ من الاتّصال الجسدي ومن خلال إشباع الرغبات مثل الجوع، ونحن بالمقابل نحاول أن نغويهم كي يعيرونا الانتباه. نحن مخلوقاتٌ قابلةٌ بالفطرة (بالطبيعة) للإغواء طوال حياتنا. نحن كلّنا نريد أن نُغْوى؛ نتوق لأن ننشدّ خارج أنفسنا، خارج روتيننا وإلى دراما الحب الشهواني والجنسي. والشيء الذي يشدّنا أكثر من أيّ شيءٍ آخر هو الشعور بأنّ شخصاً ما يتمتّع بشيءٍ ليس عندنا، خاصّيةٌ نتمنّاها. ضحاياك

المثاليّون هم غالباً الأناس الذين يعتقدون أنّ لديك شيئاً لا يملكونه، والذين سوف يُسْحَرون عندما يُمْنَحونَه. ضحايا كهؤلاء قد يتّصفون بمزاجٍ معاكسٍ تماماً لمزاجك، وهذا الاختلاف سوف يخلق توتّراً مثيراً.

عندما التقت جيانغ كينغ، المعروفة لاحقاً باسم المدام ماو، بماوتسي تونغ في عام 1937 في انسحابه الجبليّ في غرب الصين، فقد استطاعت أن تحس بمدى تعطّشه لقليلٍ من الألوان في حياته: جميع نساء المعسكر كنّ يرتدين مثل الرجال، ويتجنّبن بالكامل أيّة حلي نسائيّة. كانت جيانغ ممثّلةً في شانغهاي، وكانت يمكن أن توصَفَ بأيّ شيء إلّا التقشّف. أمّنت له ما كان ينقصه، وأعطته أيضاً المتعة المُضافة لكونه قادراً على تثقيفها في الشيوعيّة، الشيء الذي كان يروق لعقدة بيجماليون التي لديه ـ الرغبة بالهيمنة والسيطرة وإعادة صنع الشخص من جديد. في الواقع لقد كانت جيانغ كينغ من تحكّم بزوجها المستقبلي.

أعظم نقصٍ على الإطلاق هو نقص الإثارة والمغامرة، واللتين هما بالضبط ما يقدّمه الإغواء. في عام 1964، التقى الممثّل الصيني شي باي بو الذي كان قد أحرز شهرةً كممثّلٍ للشخصيّات النسائيّة، ببرنارد بوريسكو الذي كان ديبلوماسيّاً شابّاً يعمل في السفارة الفرنسيّة في الصين. كان بوريسكو قد قدم إلى الصين بحثاً عن المغامرة، وخُيّب ظنّه لكونه لم يحظَ إلّا بقليلٍ من الاحتكاك مع المواطنين الصينيّين. بادّعائه كونه امرأةً وأنّه أُجْبِرَ عندما كان لايزال طفلاً على أن يعيش كصبي ـ من المُفتَرَض أنّ عائلته كان لديها أساساً الكثير من البنات ـ استغلّ شي باي بو ضجر الشاب الفرنسي واستياءه كي يتلاعب به. استدرج بوريسكو ببطءٍ إلى علاقةٍ دامت لسنوات (بوريسكو كان قد حظي سابقاً بتجارب مثليّة، لكنّه اعتبر نفسه مشتهياً للمغاير) وذلك من خلال تلفيق قصّة عن الأضاليل والخدع التي اضطرّ لأن يخوضها. في آخر المطاف اقتيد الديبلوماسي للتجسّس لصالح الصينيّين. في كل تلك الأثناء كان يعتقد بشكلٍ راسخ بأنّ شي باي بو كان امرأة ـ توقه للمغامرة كان قد جعل منه قابلاً للسقوط لهذه الدرجة. الأنماط المكبوتة هي الضحايا المثلى للإغواء العميق.

الناس الذين يكبتون شهوة اللذة يشكّلون ضحايا مؤاتية وخاصّةً في

أصبح زانياً؟ الجواب سهل: لقد كان عاطلاً عن العمل ـ وسئماً. / كان كلّ الآخرين يشنّون حملةً / بعيداً في طروادة: كانت كلّ اليونان قد نقلت / قوّاتها إلى هنالك. افترض أنّه تاق إلى الحرب توقاً شديداً؟ لم يكن لدى مدينة آرجوس / حروباً لتقدّمها. افترض أنّه أولع بالمحاكم؟ / لم يكن لدى آرجوس دعاوي. كان الحبّ أفضل من عدم القيام بشيء. / تلك هي الطريقة التي ينسلّ بها كيوبيد ويلبث.

ـ أوفيد، *علاجات للحبّ*، ترجمة بيتر غرين

الصينيّون لديهم مثلٌ سائر: «عندما يكون اليانغ في صعود، فإنّ الين يولَد،» والذي يعني، بعد أن يُترجَم إلى لغتنا، أنّه عندما يكون الرجل قد

أواخر حياتهم. أمضى الإمبراطور الصيني مينغ هوانغ معظم عهده وهو يحاول أن يخلّص بلاطه من إدمانه المكلف للترف والبذخ، وكان هو نفسه مثالاً للتقشّف والفضيلة. لكن تغيّر كل شيء في اللحظة التي رأى فيها المحظيّة يانغ كواي ـ فاي وهي تستحمّ في بحيرة القصر. كانت أكثر النساء سحراً وفتنةً في المملكة وكانت عشيقة ابنه. فاز بها الإمبراطور باستخدام نفوذه ـ ليصبح من بعدها مجرّد عبدها الذليل.

اختيار الضحيّة المناسبة هو على نفس الدرجة من الأهمّية في مجال السياسة. مغوو الجماهير مثل نابوليون أو جون إف. كينيدي يقدّمون لجمهورهم ما ينقصه بالضبط. عندما استلم نابوليون زمام السلطة، كان حس الاعتزاز والافتخار لدى الفرنسيّين منكسراً نتيجة تبعات الثورة الفرنسيّة الدمويّة. قدّم لهم المجد والفتح. أدرك كينيدي أنّ الأمريكيّين كانوا سئمين إزاء الراحة المُسَخِّفة لسنوات آيزنهاور؛ أعطاهم المغامرة والمجازفة. الأهم من هذا، أنّه كيّف جاذبيّته بحيث تروق للشريحة الأكثر تأثّراً بها: الجيل الشاب. يعلم السياسيّون الناجحون أنّه لن يتأثّر الجميع بسِحرهم، لكنّهم إذا استطاعوا أن يجدوا مجموعةً من المؤمنين وذوي حاجةٍ يمكنهم تلبيتها، فإنّهم يكونون قد حصلوا على مؤيّدين سوف يدعمونهم مهما كانت الظروف.

كرس الجانب الأفضل من حياته من أجل شؤون العيش العاديّة، فإنّ الين أو الجانب العاطفي من طبيعته، يصعد إلى السطح ويطالب بحقوقه. عندما تحدث هذه الفترة، فإنّ كل ما كان يبدو مهمّاً في السابق يفقد دلالته. أمل الوهم الخادع يقود الرجل في اتّجاهاتٍ شتّى، آخذاً إيّاه في انحرافاتٍ غريبةٍ ومعقّدةٍ عن مساره الأصلي في الحياة. مينغ هوانغ، «الإمبراطور اللامع» من سلالة تانغ الحاكمة، كان مثالاً على الحقيقة العميقة لهذه النظريّة. من اللحظة التي رأى فيها يانغ كواي ـ فاي وهي تستحمّ في البحيرة قريباً من قصره في جبال لي، كان مُقَدّراً عليه بأن يجلس عند قدميها، كي يتعلّم منها الأسرار العاطفيّة لما

الرمز: لعبة كبيرة. الأُسُود خطرون ـ أن تصطادهم يعني أن تعرف رعشة المجازفة. النمور ذكية وسريعة، فتقدّم بالتالي إثارة المطاردة الصعبة. إيّاك أن تندفع بعجلة نحو الصيد. إعرف فريستك واخترها بعناية. لا تضيّع الوقت في الألعاب الصغيرة ـ الأرانب التي تقع في الأشراك، ابن عرس الذي يدخل الفخ المُعَطَّر. التحدّي متعة.

يدعوه الصينيون بالين.

- إلواز تالكوت هيبرت، *الشاش المُطَرز: مُوصوفات لنساء صينيات مشهورات*

الانقلاب

لا يوجد انقلابٌ ممكن لهذا التكتيك. لا يمكن ربح شيءٍ من محاولة إغواء الشخص المنغلق تجاهك، أو الذي لا يمكنه أن يمنح المتعة والمطاردة التي تحتاجها.

2

إخلق شعوراً زائفاً بالأمان ــ ادنُ بشكل غير مباشر

إذا كنت مباشراً أكثر
من اللازم من البداية فإنك تخاطر
بأن تثير مقاومةً لن تَضعُف أبداً. في
البداية لا يجب أن يكون هناك أي أثرٍ من سلوك
المُغوي أو سيمائه في تصرفاتك. الإغواء يجب أن يسير
في البداية في خط مائل، أي بشكلٍ غير مباشر، حتى لا
يشعر بك الهدف إلا بشكلٍ تدريجي. إلزم الحدود الخارجية
لحياة هدفك ـ اقترب من خلال طرف ثالث، أو اظهرْ بمظهر من
يسعى لعلاقة حيادية نسبياً، منتقلاً بذلك تدريجياً من الصديق إلى
الحبيب. رتّب للقاءٍ حينيّ «تصادفيّ»، وكأنّك أنت وهدفك كان
مقدّراً لكما أن تكونا متآلفين ـ لا شيء أكثر إغوائيّةً من الإحساس
بتدخّل القدر. هدهد الهدف إلى أن يشعر بالأمان، ثم اهجم.

من الصديق إلى الحبيب

آنا ماري لويس دورليانز، التي كانت دوقة مونتبنسيير، المعروفة في فرنسا القرن السابع عشر باسم *المدموزيل العظمى*، لم تكن قد عرفت الحبّ أبداً في حياتها. كانت والدتها قد ماتت عندما كانت لا تزال يافعة؛ تزوّج أبوها من جديد وتجاهلها. انحدرت من واحدة من ألمع عائلات أوروبا: فقد كان جدّها الملك هنري الرابع؛ وكان الملك المستقبلي لويس الرابع عشر نسيبها. عندما كانت شابّة تمّ اقتراح عقد قرانها على ملك إسبانيا المترمّل، وعلى ابن إمبراطور الإمبراطوريّة الرومانيّة المقدّسة، وحتّى على نسيبها لويس نفسه، من ضمن آخرين كثر. لكن كل هذه القرانات كانت مصمّمة لتخدم أهدافاً سياسيّة، أو بسبب ثروة أسرتها الهائلة. لم يتجشّم أحدٌ عناء التودّد إليها؛ فقد كان حتّى لقاؤها بطالبي يدها أمراً نادراً. لجعل الأمور أسوأ، كانت المدام العظمى مثاليّةً آمنت بقيم الفروسيّة عتيقة الطراز: الشجاعة، الصدق، الفضيلة. كانت تكره وتشمئزّ من المتآمرين الذين دوافعهم لمغازلتها كانت مريبةً في أفضل الأحوال. بمن كانت تستطيع أن تثق؟ وجدت سبباً لترفضهم بازدراء واحداً تلو الآخر. بدا أنّ العنوسة ستكون مصيرها.

العديد من النساء يهمن بما هو مراوغ، / ويكرهن التلهف الزائد. لذا فالعب دور الصعب المنال، / إمنع الضجر من التنامي. ولا تدع استعطافاتك تبدو واثقةً من تملّكها لما تبتغي. أوحِ بالجنس / مموهاً بالصداقة. لقد رأيت كائناتٍ غايةً في العناد / وقد خُدِعن بهذه المناورة، التحوّل من الرفقة إلى المُواقعة.

ـ أوڤيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

في شهر نيسان من عام 1669، التقت الآنسة العظمى التي كانت عندها في الثانية والأربعين بواحدٍ من أغرب الرجال في البلاط: الماركيز أنطون بيجيلان، المعروف لاحقاً باسم الدوق دي لوزان. الماركيز الذي كان أثير الملك لويس ويبلغ من العمر السادسة والثلاثون، كان جنديّاً شجاعاً وذا خفّة دمٍّ لاذعة. كان أيضاً دون جواناً يتعذّر شفاؤه. بالرغم من أنّه كان قصيراً، وبالتأكيد لم يكن وسيماً، إلّا أنّ سلوكه الصفيق ومآثره العسكريّة جعلوه لا يُقاوَم بالنسبة للنساء. المدموزيل العظمى كانت قد لاحظته قبل

في الشارع، لا أوقفها، أو إنّني

بضعة سنين، وأُعجِبَت بأناقته وجسارته. لكنّها لم تحظَ بمحادثةٍ حقيقيّةٍ معه ـ ولو قصيرة ـ إلّا في هذه المرّة، وبالرغم من أنّها كانت تعلم بسمعته كقاهرٍ للنساء، إلّا أنّها وجدته ساحراً. بعد بضعة أيّام التقيا ببعضهما البعض بالصدفة مجدّداً؛ في هذه المرّة كانت المحادثة أطول، وأثبت دوق لوزان أنّه كان أذكى ممّا كانت قد تخيّلت ـ تحدّثا عن الكاتب المسرحي كورنيل (المفضّل عندها)، عن البطولة، وعن مواضيع راقية أخرى. الآن أصبحت لقاءاتهم أكثر تكراراً. كانوا قد أصبحوا أصدقاء. دوّنت آنا ماري في دفتر يوميّاتها أنّ محادثاتها مع لوزان ـ عندما كانت تحدث ـ كانت الجزء الأكثر إشراقاً في يومها؛ وأنّها كانت تشعر بغيابه عندما لم يكن في البلاط. بالتأكيد لقاءاتها معه كانت من التكرار بما فيه الكفاية بحيث لم يكن من الممكن أن يتموا دون قصدٍ منه (لم يكونوا عرضيّين)، لكنّه دائماً بدا متفاجئاً برؤيتها. في نفس الوقت، أشارت إلى أنّها شعرت بأحاسيس غريبة ومربكة كانت تتسلّل إليها، لم تعرف ما السبب.

أتبادل معها التحيّة لكن من دون أن أقترب أبداً، وإنّما أكافح دائماً حفاظاً على مسافة فاصلة. من المُفترض أنّ لقاءاتنا المتكررة تلفت نظرها بشكلٍ واضح؛ من الواضح أنّها تلاحظ كوكباً جديداً يلوح في أفقها، والذي تعدّى مساره بشكلٍ مزعجٍ مسارها ولكن من الملفت أنّها لم تجد تعدّيه هذا مزعجاً، وإنّما لم يكن لديها أدنى فكرة عن القانون الذي يحكم هذه الحركية.... قبل أن أبدأ هجومي، يجب عليّ أوّلاً أن أتعرّف عليها وعلى مجمل حالتها العقليّة.

ـ سورين كيركيجارد، *يوميّات مغوي*، ترجمة هاورد في. هونغ وإدنا إتش. هونغ

انقضى بعض الزمن وكانت المدموزيل العظمى ستغادر باريس لأسبوعٍ أو اثنين. عندها دنا منها لوزان بدون إنذار وقدّم التماساً عاطفيّاً كي تعتبره المؤتمن على أسرارها، الصديق العظيم المستعد لتنفيذ أيّ تكليفٍ تحتاج أن يُنجَز بينما كانت بعيدة. كان شاعريّاً وفروسيّاً، لكن ماذا كان يعني حقّاً؟ في دفتر يوميّاتها واجهت آنا ماري أخيراً الأحاسيس التي كانت تجيش بداخلها منذ محادثتهما الأولى: «قلت لنفسي، هذه ليست تأمّلات مبهمة؛ لا بدّ أن يكون هنالك باعثٌ لكل هذه الأحاسيس، ولم أستطع تصوّر ما كان هذا الباعث.... أخيراً، بعد أن أقلقت نفسي بهذا لعدّة أيّام، أدركت أنّه كان م. دي لوزان من أحببت، أنّه كان هو من انسلّ إلى قلبي بطريقةٍ ما وأسره.»

بعد أن أدركت مصدر أحاسيسها، أصبحت المدموزيل العظمى أكثر مباشرةً. إذا كان لوزان سيصبح موضع ثقتها والمؤتمن على أسرارها، فبإمكانها إذن أن تتحدّث معه عن الزواج، عن عروض الزواج التي لا تزال تُقدّم لها. الموضوع قد يعطيه فرصة للتعبير عن مشاعره؛ لعلّه يُظهر الغيرة. لسوء الحظ فلم يبدُ أنّ لوزان فهم التلميح. بدلاً من ذلك سألها عن سبب تفكيرها بالزواج أصلاً ـ فقد بدت سعيدةً جدّاً. إضافةً إلى ذلك، فمن يا

لم يكن قد تكلّم قبل

ترى عساه أن يستحقّها؟ استمرّ هذا لأسابيع. لم تستطع أن تنتزع منه أيّة معلوماتٍ شخصيّة. لكنّها تفهمّت نوعاً ما ـ كان هنالك الفارق في المنزلة (كانت أعلى منه بكثير) والعمر (كانت أعمر منه بست سنوات). بعد ذلك بعدّة أشهر توفّيت زوجة شقيق الملك، واقترح الملك لويس على المدموزيل العظمى أن تحل محلّ امرأة أخيه الراحلة ـ أي أن تتزوّج أخاه. تقزّزت آنا ماري؛ من الواضح أنّ أخاه كان يحاول وضع يده على ثروتها. سألت لوزان عن رأيه. ولمّا كان من أتباع الملك المخلصين، أجاب، بأنّهم يجب أن يطيعوا الرغبة الملكيّة. لم يُسِرّها جوابه، ولجعل الأمور أسوأ، فقد كفّ عن زيارتها، وكأنّه لم يكن من اللائق لهما أن يكونا صديقين. تلك كانت القشّة التي كسرت ظهر البعير. أخبرت المدموزيل العظمى الملك أنّها لن تتزوّج من أخيه، وذلك كان ما كان.

الآن قابلت آنا ماري لوزان، وأخبرته أنّها ستكتب على قطعة ورق اسم الرجل الذي كانت تريد الزواج منه من البداية. كان يتعيّن عليه أن يضع الورقة تحت وسادته ويقرأها في صباح اليوم التالي. عندما فعل ذلك، وجد الكلمات «*إنّه إنت*». عندما رأى المدموزيل العظمى في مساء اليوم التالي، قال لوزان أنّها لا بدّ كانت تمزح؛ وأنّها ستجعله أضحوكة البلاط. أصرّت على أنّها كانت جدّية. بدا مصدوماً ومتفاجئاً ـ لكن ليس بمقدار تفاجؤ بقيّة البلاط بعد بضعة أسابيع من ذلك، عندما تمّ إعلان الخطوبة ما بين هذا الدون جوان المنخفض المنزلة نسبيّاً والسيّدة التي تحتل ثاني أعلى مكانة بين النساء في فرنسا، هذه السيّدة المعروفة بعفّتها ومهارتها في الدفاع عن هذه العفّة.

التفسير. كان الدوق دي لوزان واحداً من أعظم المغوين في التاريخ، وإغواؤه البطيء والمطّرد للمدموزيل العظمى كان رائعة إغواءاته. طريقته كانت بسيطة: المواربة (كون الشيء غير مباشر). عندما أحسّ باهتمامها به في تلك المحادثة الأولى، فقد قرّر أن يفتنها ويحظى بانتباهها عن طريق الصداقة. كان سيصبح صديقها الأكثر تفانياً. في البداية كان ذلك ساحراً؛ رجلٌ يأخذ من وقته ليتحدّث إليها، عن الشعر، التاريخ، مآثر الحروب ـ مواضيعها المفضّلة. أخذت بالتدريج تثق به وتفضي بدخيلة نفسها إليه. ومن ثمّ، تقريباً دون أن تدرك ذلك، تغيّرت مشاعرها إلى اتّجاهٍ آخر كلّياً: رجل

الثيران التي كانت في طريقها إلى الشاطئ من مراعيها الجبلية، وذلك كما أمر جوبيتر؛ كانت تتجه إلى الرمال التي اعتادت أن تلعب عليها ابنة الملك العظيم [أوروبا] مع بنات صور اليافعات اللواتي كنّ وصيفاتها. • ... متخلّياً عن جلال سلطته، قام أب وحاكم الآلهة، الذي تسيطر يده على الصاعقة الملتهبة ذات الأفرع الثلاث، والذي تهزّ إيماءة رأسه الكون، باتّخاذ هيئة ثور؛ وانخرط بالخوار بعد أن امتزج مع بقيّة الثيران، وسار متمهّلاً على العشب الغضيض، فكان بذلك مشهداً جميلاً للناظر. جلده كان أبيضاً كالثلج غير الموطوء، كالثلج الذي لم تُذِبه بعد رياح الجنوب الماطرة. برزت عضلات عنقه، وتدلّت طيّاتٌ عميقة من الجلد على

النساء المطلق كان مهتمّاً فقط بالصداقة؟ لم يكن منجذباً إليها كامرأة؟ هذه الأفكار جعلتها تدرك أنّها كانت قد وقعت في حبّه. هذا، جزئيّاً، كان ما جعلها في آخر المطاف ترفض الزواج من شقيق الملك - وذلك كان قراراً سبّبه لوزان نفسه بذكاءٍ ومواربة، عندما كفّ عن زيارتها. وكيف له أن يكون ساعياً وراء المال أو الموقع أو الجنس، في حين أنّه لم يقم بأيّ مبادرةٍ أو خطوة من أيّ نوع؟ كلاّ، لقد كان إغواء لوزان من الألمعيّة بحيث جعل المدموزيل العظمى تعتقد بأنّها كانت هي من يقوم بالخطوات كلّها.

بمجرّد ما تكون قد اخترْت الضحيّة المناسبة، يتعيّن عليك أن تحظى بانتباهه أو انتباهها. الانتقال من الصداقة إلى الحبّ يمكنه أن يحرز النجاح دون أن يلفت النظر إليه كمناورة. أوّلاً فإنّ محادثاتك الودّية (المتّخذة طابع الصداقة) مع أهدافك ستجلب لك معلوماتٍ قيّمةٍ عن شخصيّاتهم، أذواقهم، نقاط ضعفهم، أتواق طفولتهم التي تحكم سلوكهم كراشدين. (لوزان، على سبيل المثال، استطاع أن يتكيّف بذكاء مع ذوق ماري ما إن درسها عن كثب.) ثانياً، من خلال قضاء الوقت مع أهدافك فإنّك تستطيع أن تجعلهم مرتاحين معك. عندما يعتقدون بأنّك مهتمٌّ فقط بأفكارهم، بعشرتهم، فسوف يُخَفّضون مقاومتهم، ما يبدّد التوتّر المعتاد ما بين الجنسين. هم الآن حسّاسون وسريعو التأثّر، لأنّ صداقتك معهم كانت قد فتحت البوّابة الذهبيّة لأجسامهم: أي عقولهم. في هذه المرحلة فإنّ أيّ تعليقٍ مرتجل، أيّ تماس جسدي طفيف، سوف يطلق شرارة فكرة مختلفة، الأمر الذي سيباغتهم على حين غرّة: من الممكن ربّما أن يكون هنالك شيءٌ آخر بينكما. ما إن يتحرّك ذلك الأحساس، فسوف يتساءلون في تعجّب عن سبب عدم إقدامك على خطوة، وسيأخذون زمام المبادرة هم أنفسهم، مستمتعين بالوهم بأنّهم من يسيطر على مجريات الأحداث. لا يوجد شيءٌ أكثر فعّاليّةً في الإغواء من جعل المُغْوَين يعتقدون بأنّهم من يقوم بالإغواء.

أنا لا أدنو منها، أنا فقط أطوف حول محيط وجودها.... هذه هي الشبكة الأولى التي يجب أن تُغزَلَ حولها.

- سورين كيركيجارد

جَنبيه. صحيحٌ أنّ قرنيه كانا صغيرين، لكنّهما كانا معمولين بشكلٍ غايةٍ في الجمال لدرجة تجعلك تُقسِم بأنّهما من صنع فنّان، إذ كانا أكثر صقلاً ولمعاناً من أيّة جوهرة. لم يكن هنالك وعيدٌ في خاطره أو عينيه؛ فقد بدا رائقاً تماماً. • امتلأت ابنة آجنور [أوروبا] بالإعجاب بالنور الذي كان غايةً في الجمال والودّ. وبالرغم من أنّه بدا لطيفاً، إلّا أنّها كانت خائفةً في البداية من لمسه؛ بعدئذٍ اقتربت منه، وأدنت أزهاراً من شفتيه اللامعتين. ابتهج العاشق، قبل أن يستطيع تحقيق لذّته المَرجوّة، فقبّل يديها. بالكاد استطاع انتظار التتمّة، ولم يستطع كبح جماح نفسه إلّا بشقّ الأنفس. • الآن صار يمرح ويلعب على المرج الأخضر، ثم اضطجع فغطّى

المفتاح للإغواء

ما تسعى أنت وراءه كمغوي هو القدرة على تحريك الناس في الاتّجاه الذي ترغبهم أن يذهبوا فيه. لكنّ اللعبة محفوفة بالمخاطر؛ ففي اللحظة التي يشعرون فيها أنّهم يتصرّفون تحت تأثيرك، فسوف يصبحون ممتعضين. نحن مخلوقاتٌ لا تطيق الشعور بأنّنا نطيع إرادة شخصٍ آخر. إذا ما لاحظ أهدافك هذا، فسوف ينقلبون ضدّك عاجلاً أم آجلاً. لكن ماذا لو كان بإمكانك أن تجعلهم يفعلون ما تريد دون أن يدركوا ذلك؟ ماذا لو ظنّوا *أنّهم* من يدير الدفّة؟ تلك هي قوّة المواربة (الأسلوب غير المباشر) ولا يستطيع مغوٍ أن يرمي بتعويذته دونها.

أوّل خطوة يجب إتقانها هي خطوةٌ بسيطة: ما إن تختار الشخص المناسب، فيجب عليك أن تجعل هذا الشخص يأتي إليك. إذا استطعت، في المراحل الابتدائيّة، أن تجعل أهدافك يظنّون بأنّهم من يقوم بالخطوة الأولى، تكون قد ربحت اللعبة. لن يكون هنالك امتعاض، ولا ردّ فعلٍ مشاكس، ولا بارانويا (جنون الاضطهاد).

أن تجعلهم يأتون إليك يتطلّب إعطاؤهم مسافة. هذا يمكن إنجازه من خلال عدّة طرق. تستطيع أن تلازم محيط تواجدهم، فتدعهم يلاحظونك في عدّة أماكن لكن دون أن تدنو منهم أبداً. ستلفت انتباههم بهذه الطريقة، وإذا أرادوا أن يسدّوا الثغرة (أن يتواصلوا معك)، فيجب عليهم أن يأتو إليك. تستطيع أن تصادقهم، كما فعل لوزان مع المدموزيل العظمى، إذْ أخذ يقترب منها باطّراد بينما ظلّ محافظاً في نفس الوقت على المسافة الملائمة للأصدقاء من الجنس الآخر. تستطيع أن تلعب معهم أيضاً لعبة القط والفأر، فتبدو للوهلة الأولى مهتمّاً، ومن ثمّ تخطو متراجعاً ـ فتستدرجهم بشكلٍ فعّال إلى شبكتك. أيّاً كان ما تفعله، ومهما يكن نوع الإغواء الذي تمارس، فعليك مهما كان الثمن أن تتفادى الميل الطبيعي للضغط على أهدافك. لا ترتكب خطأ الاعتقاد بأنّهم سوف يفقدون الاهتمام إن لم تمارس ضغطاً، أو أنّهم سيستمتعون بفيضٍ من الاهتمام. الاهتمام الزائد في بداية العلاقة سيوحي فقط باللاأمان، وسيوقظ الشكوك حيال دوافعك. لكن الأسوأ من هذا كلّه، هو أنّه لن يعطي أهدافك أيّ مجالٍ لكي يتخيّلوا. خذ خطوةً إلى الوراء؛

الأبيض الثلجيّ الرمل الأصفر. تحررت الأميرة من خوفها بالتدريج وربّتت بيديها البريئتين على صدره عندما قدّمه لكي تداعبه، وعلّقت أكاليل زهرٍ ناضرةٍ على قرنيه: إلى أن غامرت أخيراً بامتطاء الثور، دون أن تعلم أنّها كانت على ظهره. بعدئذٍ انسحبت الآلهة من الشاطئ بتمهّل، بعد أن غرسوا أوّلاً الحوافر التي كانت جزئاً من هيئته عند الأمواج المتكسّرة على الشاطئ، وبعدها تابعوا يمخرون عباب البحر، إلى أن حمل غنيمته عبر أصقاع البحار.

ـ أوڤيد، *التحوّل*، ترجمة ماري إم. إنس

بضعة التأمّلات هذه تقودنا إلى الفهم بأنّ ـ نظراً لأنّه في محاولة الإغواء يكون

ودع الأفكار التي تثيرها أنت تَحضُرهم وكأنّها أفكارهم الخاصّة. هذا يكتسب أهمّيةً مضاعفة إذا كنت تتعامل مع شخصٍ لديه أثرٌ عميقٌ عليك.

لا نستطيع أبداً أن نفهم الجنس الآخر حقّ الفهم. هم دائماً غامضون بالنسبة إلينا، والغموض هو الذي يمنح التوتّر المبهج جدّاً في الإغواء؛ لكنّه أيضاً مصدرٌ للارتباك والتقلقل. مشهورٌ تساؤل فرويد المتعجّب عمّا تريده النساء حقّاً؛ حتّى بالنسبة لأكثر المفكّرين النفسيّين تبصّراً، كان الجنس الآخر أرضاً أجنبيّة (مجهولة). بالنسبة لكلٍّ من الرجال والنساء، يوجد هنالك مشاعر عميقة الجذور بالخوف والقلق فيما يتعلّق بالجنس الآخر. عليك في المراحل الأوّليّة للإغواء، إذن، أن تجد أساليب لتهدّئ أيّ إحساسٍ بالارتياب (سوء الظن) والذي قد يختبره الشخص الآخر. (الإحساس بالخطر والخوف يمكنه أن يقوّي الإغواء في مراحل لاحقة، لكنّك إذا أثرت هذه المشاعر في المراحل الأولى، فالمرجّح هو أن تخيف الهدف وتبعده.) أسّس مسافةً حياديّة، ابدُ على أنّك غير مؤذٍ، فتعطي بذلك لنفسك مجالاً كي تتحرّك. نمّى كازانوڤا أنوثةً طفيفةً في شخصه ـ اهتمامٌ بالملابس، المسرح، الأمور المنزلية ـ الأمر الذي تجده الفتيات اليافعات مريحاً. تكلّمت المحظيّة توليا دارجونا من عصر النهضة، التي طوّرت صداقاتٍ مع مفكّري وشعراء عصرها العظام، عن الأدب والسياسة ـ أيّ شيءٍ عدا المخدع (وأيّ شيءٍ ما عدا المال الذي كان أيضاً هدفها). جوهانس، القاصّ في مؤلّف سورين كيركيجارد *يوميّات مغوي*، يتبع هدفه، كورديليا من مسافة؛ عندما يتقاطع طريقاهما، فإنّه يتصرّف بتهذيب وخجلٍ ظاهريّ. وبينما بدأت كورديليا بالتعرّف عليه أكثر فإنّه لم يخفها. في الواقع لقد كان وديعاً (غير مؤذٍ) لدرجة أخذت عندها تتمنّى لو أنّه كان أقلّ وداعةً.

الدوق إلينغتون الذي كان فنّان جازٍ عظيم ومغوياً من الطراز الأوّل، كان في أوّل الأمر يدوّخ السيّدات بشكله الحسن، ثيابه العصريّة، والكاريزما التي لديه. لكن ما إن يكون لوحده مع امرأة، فإنّه كان يرجع خطوةً إلى الخلف، ويصبح مفرط التهذيب، ولا يتكلّم إلّا قليلاً. المحادثة العاديّة بإمكانها أن تكون تكتيكاً لامعاً؛ فهي تنوّم الهدف مغناطيسيّاً. بهوتُ وفتور ملامحك مظهرك يضفي قوّةً مضخّمة على أخفى كلمةٍ إيحائيّة وأقلّ نظرة. لا تذكر الحبّ أبداً وستجعل غيابه أبلغ من أيِّ كلامٍ ـ ستتساءل ضحاياك

رهناً على الرجل القيام بالخطوات الأولى ـ الإغواء بالنسبة للمغوي لا يعدو عن كونه اختصاراً للمسافة، التي هي الاختلاف بين الجنسين في هذه الحالة، ومن أجل تحقيق هذا فإنّه من الضروري أن يؤنّث نفسه أو يتمثّل على الأقل بموضوع إغوائه... كما كتب آلان روجر: «إذا كان هنالك إغواء، فإنّ المغوي هو من يَضلّ أوّلاً، بمعنى أنّه يتخلّى عن جنسه الخاصّ... ممّا لا شكّ فيه أنّ الإغواء يسعى نحو الخاتمة الجنسيّة، لكنّه لا يصل إلى هناك إلّا من خلال خلق نوعٍ من الصورة الزائفة عن المكان المتّسم بالانحلال والفساد. إنّ المُغوي ليس إلّا سحاقيّاً.»

ـ فريديريك مونيرون، *المُغوي: تخيل إغواء دون جيوڤاني ليك جاغر*

في تعجّب عن سبب عدم تحدّثك أبداً عن مشاعرك، وأثناء مراودة هذه الأفكار لهم، فإنّهم سوف يشتطّون في ذلك، ويحاولون تخيّل ما يدور في ذهنك غير ذلك. هم سيكونون من يذكر موضوع الحب أو العاطفة. الفتور (التبلّد) المتعمّد لديه تطبيقاتٌ عديدة. في العلاج النفسي يقوم الدكتور باستجاباتٍ أو إجاباتٍ أحاديّة المقطع اللفظي كي يستدرج المرضى، ويجعلهم يسترخون وينفتحون. في المفاوضات الدوليّة، كان هنري كيسنجر يُضجِر الديبلوماسيّين لدرجة النعاس بالتفاصيل المملّة، ومن ثمّ ينقضّ بمطالب جريئة. في بداية الإغواء فإنّه غالباً ما تكون الكلمات الأقل حيويّةً أكثرُ فعّاليّةً من الكلمات المفعمة بالمعاني ـ فالهدف يتجاهلها، وينظر إلى وجهك، ويبدأ بالتخيّل والاستغراق في أحلام اليقظة، فيقع تحت سحرك.

الوصول إلى أهدافك من خلال أناسٍ آخرين هو أسلوبٌ في غاية الفاعليّة؛ اخترق دائرتهم ولن يُنظَر إليك كغريب بعد الآن. كان الكونت دي جرامونت (المُغوي من القرن السابع عشر) قبل أن يقدم على أي خطوة، يصادق خادمة مُستَهدَفَته المسؤولة عن غرف نومها، خادمها الخاصّ، صديقتها، أو حتّى حبيبها. بهذه الطريقة كان يستطيع أن يجمع المعلومات، بحيث يجد طريقةً لكي يقترب منها بطريقةٍ لا توحي بالخطر. كان يستطيع أيضاً أن يغرس الأفكار، فيقول أشياء من الممكن أن يوصلها الطرف الثالث، أشياء من شأنها أن تأسر اهتمام المرأة، وخاصّةً عندما تسمعها من شخصٍ تعرفه.

آمنت نينون دي لانكلو (محظيّة القرن السابع عشر والمخطّطة الاستراتيجيّة للإغواء) بأنّ إخفاء المرء لمقاصده لم يكن ضرورةً وحسب، وإنّما أمراً من شأنه أن يضيف لمتعة اللعبة. شَعَرَت بأنّ الرجل لا يجب أبداً أن يصرّح بمشاعره وخاصّةً في البداية. فهذا أمرٌ يثير السخط والارتياب. «تقتنع المرأة بشكلٍ أفضل بكثير بأنّها محبوبة من خلال ما تخمّنه أكثر ممّا تقتنع من خلال ما تسمعه،» علّقت نينون ذات مرّة. غالباً ما ينبع تعجّل المرء في التصريح عن مشاعره أو مشاعرها من رغبةٍ مزيّفةٍ للإرضاء، معتقداً أنّ هذا سوف يطري الشخص الآخر. لكن الرغبة بالإرضاء بإمكانها أن تضايق وتغيظ. الأطفال، القطط، والمغناجون يجذبوننا من خلال عدم المحاولة

بينما كان [جوبيتر] يمضي جيئةً وذهاباً وهو منشغل، فقد توقّف لدى رؤيته لعذراءِ أركاديّة. طال لهيب الشغف كيانه حتّى أعمق أعماقه. هذه الفتاة لم تكن ممّن يقضين وقتهنّ في حياكة الصوف الناعم أو في تجريب تسريحاتٍ مختلفة لشعرها. لقد كانت واحدةً من محاربات إلهة الصيد ديانا، والتي ترتدي رداءها العسكري المُزرّر بواسطة الدبوس، وتعقد ضفائر شعرها الثائرة بشريطٍ أبيض، وتحمل بيدها رمحاً خفيفاً أو قوساً... • الشمس في عليائها كانت في كبد السماء عندما دخلت بستاناً لم تكن أشجاره قد مسّها فأسٌ. هنا تناولت كنانتها من على كتفيها، أرخت قوسها المِطواع، واستلقت على المرج، ساندةً رأسها على كنانتها المطليّة.

ظاهرياً، وحتّى من خلال الظهور على أنّهم غير مهتمّين. تعلّم أن تخفي مشاعرك وتدع الناس يتصوّرون ما الذي يحصل لوحدهم.

في كل مجالات الحياة، عليك ألاّ تعطي الانطباع أبداً بأنّك تحتال للحصول على شيء - فذلك سوف يثير مقاومةً لن تستطيع تحييدها أبداً. تعلّم أن تدنو من الناس بشكلٍ جانبيّ. عتّمْ ألوانك، انخرطْ، اظهرْ على أنّه لا يصدر منك تهديدٌ أو خطر، وعندها سيكون لديك مجالٌ أكبر للمناورة فيما بعد. هذا المبدأ صحيحٌ أيضاً في مجال السياسة، حيث أنّ الطموح العلني غالباً ما يخيف الناس. كان ڤلاديمير إيليتش لينين يبدو للوهلة الأولى كأيّ روسيٍّ عاديّ؛ كان يرتدي كعامل، يتكلّم بلهجةٍ فلاّحيّة، ولم يكن لديه سيماءٌ من العظمة. هذا ما حدا بالجماهير للشعور بالراحة والتماهي معه. ومع ذلك فقد كان، بطبيعة الحال، يكمن تحت هذا الشكل الرقيق ظاهرياً شخصٌ شديد الذكاء ودائم المناورة. في الوقت الذي أدرك فيه الناس هذا كان قد فات الأوان.

عندما رآها جوبيتر هكذا، متعبة وغير محميّة، قال: «إليك سرّاً لن تعرفه زوجتي أبداً؛ أو إذا اطّلعت عليه، فإنّه سيستحقّ لومها وتأنيبها!» • ودون أن يضيع الوقت فقد اتّخذ مظهر ديانا وزيّها، وخاطب الفتاة بقوله، «أين كنت تصطادين يا أعزّ رفيقاتي؟ عند أيّة سلسلةٍ جبليّة؟» نهضت نفسها من على العشب وصاحت: «تحيّاتي يا سيّدتي المقدّسة، يا من أنت في نظري أعظم من جوبيتر نفسه - ولا آبه إن سمعني!» ضحك جوبيتر لسماعه كلماتها. ابتهج لكونه مُفضّلاً على نفسه، فقبّلها - لكن من دون التحفّظ الذي يميّز قبلات العذراوات: وبينما شرعت بإخباره عن مآثرها في الصيد، منعها بعناق، وكشف عن نفسه الحقيقيّة من خلال

الرمز: شبكة العنكبوت. يجد العنكبوت زاويةً حميدةً ليغزل فيها شبكته. كلّما استغرقت الشبكة وقتاً أطول، كلّما كانت بنيتها أكثر روعة، ومع ذلك فقلّةٌ تلاحظها - فخيوطها الشفافة بالكاد تكون مرئيّة. العنكبوت لا يحتاج لأن يتصيّد الطعام، أو حتّى لأن يتحرّك. يقبع بهدوءٍ في الزاوية، منتظراً ضحاياه كي يقدموا بملء إرادتهم، ويزجّوا بأنفسهم في شرك الشبكة.

أعلم عن رجلٍ لديه حبيبةٌ غايةٌ في الودّ والانشراح معه؛ لكن إذا أفصح عن أنّه يحبّها ولو بأدنى إيماءة، فإنّ المحبوبة تصبح بعيدةً عنه بُعدَ الثريّا، التي نجومها معلّقة في مكانٍ عالٍ جدّاً من السماء. المطلوب في هذه الحالات هو نوعٌ من فنّ الحكم؛ فالطرف المَعني كان يتمتّع بصحبة حبيبته بشدّة ولأقصى درجة، لكنّه إذا لمّح مجرّد تلميح بمكنونات مشاعره، فإنّه لن يحصل إلّا على كسرةٍ بائسةٍ من الحظوة لدى محبوبته، ولن ينوبه من المقايضة سوى تحمّل كلّ الغرور والتقلّب اللذين يقدر الحبّ على إحداثهما.

ـ ابن حزم، *طوق الحمام: بحث في فنّ وممارسة الحبّ عند العرب*، ترجمة آي. جاي. آربيري

عملٍ مُخزٍ. كونها أبعد ما تكون عن المُطاوعة، فقد قاومته كأشدّ ما تستطيع المرأة... لكن كيف يمكن لفتاةٍ أن تتغلّب على رجلٍ ومن تستطيع أن تهزم جوبيتر؟ كان له ما أراد، وعاد إلى السماء.

ـ أوڤيد، *التحوّل*، ترجمة ماري إم. إنِس

الانقلاب

أفضّل أن أسمع كلبي وهو ينبح على غراب من أن يقسم رجلٌ بأنّه يحبّني.

ـ بياتريس، في *كثيرٌ من اللغط حول شيءٍ تافه*، ويليام شكسبير

في الحرب، أنت تحتاج إلى مساحة لتنظّم فِرَقِك، ومجالاً للمناورة. كلّما كان بحوزتك حيّزٌ أكبر، كان بإمكان استراتيجيّتك أن تكون معقّدةً أكثر. لكنّه في بعض الأحيان يكون من الأفضل أن تربك العدوّ، من خلال عدم إعطائه وقتاً للتفكير أو للمقاومة. بالرغم من أنّ كازانوڤا كيّف استراتيجيّاته بما يتناسب مع المرأة صاحبة العلاقة، إلّا أنّه غالباً ما كان يحاول أن يولّد انطباعاً فوريّاً، من خلال إثارة رغبتها من اللقاء الأوّل. لربّما كان يمارس بعض البسالة، فينقذ امرأةً من خطرٍ يتهدّدها؛ لعلّه كان يلبس بطريقة تجعل هدفه يلاحظه من بين الحشود. في كلتا الحالتين، فإنّه كان يتحرّك بسرعةٍ خاطفة بمجرّد ما يلفت انتباه المرأة. حوريّة مثل كليوباترة كانت تحاول أن تحرز أثراً جسمانيّاً فوريّاً على الرجال، فلا تمنح ضحاياها الوقت أو المجال للتراجع. كانت تستخدم عنصر المفاجأة. الفترة الأولى من احتكاكك بأحدهم يمكنها أن تتضمّن مستوىً من الرغبة لن يتكرّر أبداً؛ الجسارة ستقوم بالباقي.

لكنّ هذه إغواءاتٌ قصيرة. الحوريّات والكازانوڤات يستحصلون على اللذة فقط من خلال كمّ أو عدد ضحاياهم، إذ يتحرّكون بسرعة من فتح إلى فتح، وهذا بإمكانه أن يكون متعباً. استنزف كازانوڤا نفسه؛ الحوريّاتُ لا تُشبَعُ رغبتهنّ أبداً فهنّ نهمات. *الإغواء* غير المباشر والمُشَيّد بعناية قد يُخَفّض عدد فتوحاتك، لكن بنسبة أقلّ من نسبة تحسين نوعيّتها.

3

أرسل رسائل مختلطة

حالما يصبح الناس مدركين لوجودك، وربما مشدودين بشكلٍ غامض، فإنك بحاجةٍ لأن تثير اهتمامهم قبل أن يستقر على أحدٍ آخر. الشيء الواضح والصارخ قد يشدّ انتباهنا للوهلة الأولى، لكنّ ذلك الانتباه غالباً ما يعمّر قصيراً؛ في المدى الطويل، يكون الالتباس أكثر فعّاليّةً وقوّةً بكثير. معظمنا واضحٌ أكثر من اللزوم ـ بدلاً من ذلك، كن صعباً على التصور والفهم. أرسل إيماءات وإشارات مختلطة من كلا النوعين: الناعم والخشن، المتسامي والفظ، البريئة والخبيثة. مزيجٌ من الخصائص يوحي بالعمق، الذي يُبهر ويفتن تماماً كما يُربك. هالة من الألغاز المحيرة سوف تجعل الناس راغبين بمعرفة المزيد، وتجتذبهم إلى داخل دائرتك. إخلق نفوذاً كهذا من خلال التلميح إلى شيء متناقض بداخلك.

الطيّب والشرير

في عام 1806، عندما كانت بروسيا وفرنسا تتحاربان، أُسِرَ أوغست، أمير بروسيا الوسيم البالغ من العمر الرابعة والعشرين وابن أخ فريديريك العظيم، من قبل نابوليون. بدلاً من حبسه، فقد سمح له نابوليون بالتجوّل في الأراضي الفرنسية، لكن تحت مراقبةٍ دقيقة من قبل جواسيس. كان الأمير مُكرّساً للملذّات وأمضى وقته في التنقّل من بلدة لبلدة، مُغوِياً الفتيات اليافعات. في عام 1807 قرّر أن يزور قصر دي كوبيه، في سويسرا، حيث كانت تعيش الكاتبة الفرنسية العظيمة مدام دي ستايل.

كان ريتشارد قد رأى جولييت في حفلةٍ راقصةٍ أخرى، وهي تؤكّد بحياءٍ متظاهر أنّها لن ترقص، وبعد برهة، قامت بخلع عباءتها المسائية الثقيلة، لتظهر تحتها ثوباً خفيفاً. سرت الهمهمات والهمسات من كلّ الجهات عن غنجها وتصنّعها. كانت ترتدي، كعهدها، ثوباً من الساتان الأبيض الذي يتّصل بأسفل الظهر، مظهراً بذلك كتفيها الفاتنين. ناشدها الرجال بأن ترقص لهم... طافت على أنغام الموسيقى الهادئة في الغرفة بثوبها

استُقبِل أوغست من قبل مضيفته بأكبر قدرٍ استطاعت تدبّره من الكياسة والاحتفاليّة. بعد أن قدّمته إلى ضيوفها الآخرين، فقد انسحبوا إلى قاعة الاستقبال حيث تحدّثوا عن حرب نابوليون في إسبانيا والموضات الرائجة في باريس، وأشياء من هذا القبيل. فجأةً انفتح الباب ودخل ضيفٌ آخر، امرأةٌ كانت قد تدبّرت بطريقةٍ أو بأخرى البقاء في غرفتها خلال الهرج والمرج الذي رافق دخول الأمير. لقد كانت المدام ريكاميير البالغة ثلاثين عاماً من العمر والتي كانت أقرب صديقات المدام دي ستايل. قدّمت نفسها للأمير ومن ثمّ تراجعت إلى غرفتها.

كان أوغست يعلم أنّ المدام ريكامبير كانت في القصر. في الواقع كان قد سمع العديد من القصص عن هذه المرأة الشائنة السمعة والتي كانت تُعتَبَر أجمل نساء فرنسا في السنوات التي تلت الثورة الفرنسيّة. جُنّ جنون الرجال بها وخاصّةً في الحفلات الراقصة عندما كانت تخلع شالها المسائي - مظهرةً بذلك ثيابها البيضاء الشفّافة التي كانت قد أكسبتها شهرتها - وترقص باستسلامٍ وانعتاقٍ كاملين. الرسامان جيرارد وداڤيد خلّدا وجهها

وأزياءها، بل وحتّى قدميها، اللتين اعتُبِرَتا أجمل قدمين كان قد رآهما أحدٌ على الإطلاق؛ وكانت قد سحقت قلب لوشيان بونابرت، شقيق الإمبراطور نابوليون. كان أوغست يفضّل الفتيات اللواتي كنّ أصغر سنّاً من المدام ريكامبير، وكان قد قدم إلى القصر ليستريح. لكن تلك اللحظات القليلة التي استحوذت فيها على المشهد بحضورها المباغت أخذته على حين غرّة: كانت بالجمال الذي تحدّث الناس عنه، لكن الشيء الذي كان أخّاذاً أكثر من جمالها كان نظرتها تلك التي كانت تبدو غايةً في العذوبة، وبالفعل ملائكيّة، وذات مسحةٍ من الحزن. تابع الضيوف الآخرون أحاديثهم، لكن أوغست لم يستطع سوى التفكير بالمدام ريكامبير.

راقبها على العشاء ذلك المساء. لم تتكلّم كثيراً، وأبقت عينيها خفيضتين، لكنّها نظرت أمامها مرّةً أو اثنتين - مباشرةً إلى الأمير. بعد العشاء اجتمع الضيوف على الشرفة الخارجيّة، حيث أُحضِرّت قيثارة. من حسن حظ الأمير، أنّ المدام ريكامبير أخذت تعزف، صادحةً بأغنية حبّ. لكن عندئذٍ تغيّرت فجأةً: كانت هنالك نظرةٌ خبيثةٌ في عينيها عندما كانت تنظر إليه (على عجل.) الصوت الملائكي، النظرات الخاطفة، الطاقة التي أفعمت وجهها بالحياة، جعلت عقله يدور. كان مضطرباً. عندما حدث نفس الشيء في الليلة التالية، قرّر الأمير أن يمدّد إقامته في القصر.

في الأيام التي تلت، قام الأمير والمدام ريكامبير بنزهاتٍ على الأقدام مع بعضهما البعض، جذّفا في البحيرة، وذهبا إلى حفلاتٍ راقصةٍ حيث ضمّها أخيراً بين ذراعيه. كانا يتحدّثان حتّى وقتٍ متأخرٍ من الليل. لكن لم يتّضح شيء بالنسبة إليه: كانت تبدو غايةً في الروحانيّة، غايةً في النبل، وبعد ذلك كان هنالك لمسة يد، أو تعليقٌ مُغازِل. بعد أسبوعين من الإقامة في القصر، نسي أكثر عازبي أوروبا جدارةً كل عاداته الفاسقة وطلب يد المدام ريكامبير للزواج. كان سيتحوّل إلى الكاثوليكيّة (دينها)، وكانت ستطلّق زوجها الأعمر منها بكثير. (كانت قد أخبرته أنّ زواجها لم يكتمل بالدخول عليها ولذا فإنّه بإمكان الكنيسة الكاثوليكيّة أن تبطله.) كانت بعدها ستقدم للعيش معه في بروسيا. وعدت المدام بأن تفعل ما يطلبه منها. هُرِعَ الأمير إلى بروسيا التماساً لموافقة عائلته، وعادت المدام إلى باريس لتضمن الإبطال المنشود. أغرقها أوغست برسائل الحبّ، وانتظر. انقضى

الإغريقي الشفّاف. كان رأسها مغطّى بشالٍ من نسيج قطنيّ رقيق. انحنت للجمهور بخفر، وبعد ذلك، دارت حول نفسها برشاقة، ولوّحت بوشاحٍ أمسكته برؤوس أصابعها بحيث يتّخذ، على التوالي، شكل ستارة من الجوخ، خِمار، غيمة. كلّ هذا بمزيج غريب من الدقّة والتراخي. استخدمت عينيها بطريقةٍ خفيّةٍ ساحرة - «رقصت بعينيها.» اعتقدت النساء أن كلّ ذلك التموّج لجسدها والشبيه بتموّج الأفعى، وكلّ ذلك التمايل الإيقاعي واللامبالي للرأس، كانا حتميّين؛ سيق الرجال إلى عالم من النعيم السماوي. كانت جولييت لا بدّ وأنها ملاك، وكانت أخطر بكثير من أن تبدو كملاك! خَفُتَت الموسيقى. فجأةً، وبواسطة حيلةٍ رشيقة، انسدل شعر

الوقت؛ شعر بأنّه كان على حافّة الجنون. وبعد ذلك، أخيراً، وصلته رسالة: مفادها أنّها قد غيّرت رأيها.

بعد ذلك بعدّة أشهر، أرسلت المدام ريكامبير هديّةً إلى أوغست: لوحة جيرارد المشهورة التي تصوّرها وهي مستلقية على صوفا. أمضى الأمير ساعاتٍ أمامها، وهو يحاول إدراك الغموض الكامن وراء تحديقتها. كان قد انضمّ إلى مجموعة فتوحاتها - من الرجال من أمثال الكاتب بنجامين كونستانت الذي قال عنها: «كانت حبّي الأخير. أصبحت لبقيّة حياتي كشجرةٍ ضربتها الصاعقة.»

جولييت الكستنائي وغطّى وجهها. توارت عن الأنظار نحو حجرة لباسها الخافتة الإضاءة وهي تلهث قليلاً. ولحق بها الحشد إلى هناك فرؤوها مضطجعةً على سريرها الضيّق في ثوبٍ فضفاض لا يُرتَدى أمام الرجال، وتبدو شاحبةً على نحوٍ أنيق، مثل الأميرة الخرافية بسيشة في لوحة الرسّام جيرارد، بينما كانت خادماتها يبرّدن جبينها بالكولونيا.

- مارغريت تراونسر، *المدام ريكامبير*

التفسير. قائمة فتوحات المدام ريكامبير ازدادت إثارةً للخشية والإعجاب بازديادها في السن: كان من ضمنها الأمير ميترنيش، دوق ويللينغتون، الكاتبان كونستانت وشاتوبريان. كانت بالنسبة لكل هؤلاء الرجال هاجساً لم يزدد إلّا حدّةً عندما كانوا بعيدين عنها. كان مصدر قوّتها مضاعفاً. أوّلاً، كان لديها وجهٌ ملائكيّ جذب الرّجال إليها. كان يخاطب العواطف الأبويّة، إذ يسحر ببراءته. لكن ومن ثمّ كان هنالك خاصّيةٌ ثانية تظهر من خلال النظرات المغازلة، الرقص الجامح، المرح المفاجئ - كلّ هذا أخذ الرجال على حين غرّة. من الواضح أنّها كانت تتحلّى بصفاتٍ أكثر (بأغوارٍ أعمق) ممّا ظنّوا، لقد كانت تتمتّع بتعقيدٌ آسر. عندما كانوا لوحدهم، كانوا يجدون أنفسهم وهم يفكّرون مليّاً بهذه الصفات، وكأنّ سمّاً كان يجري في عروقهم. كانت المدام ريكامبير لغزاً، أحجيةً تحتاج إلى حلّ. أيّاً يكن الشيء الذي تريده أنت، أكان شيطانةً مغناجيّة أم إلهةً لا تُطال، فقد كان بإمكانها أن تبدو كذلك. بالتأكيد شجّعت هذا الوهم من خلال الإبقاء على مسافةٍ فاصلةٍ معيّنة ما بينها وبين الرجال، كي لا يكون بإمكانهم أبداً أن يتصوّروها. وكانت ملكة الأثر المُدَبَّر، مثل دخولها المفاجئ في قصر دي كوبيه، الذي جعلها مركز الاهتمام، حتّى ولو لبضع ثوان.

كانت يدا [أوسكار وايلد] سمينتين ورخوتين، إذ كانت مُصافحته تعوزها الشدّة، ولدى أوّل لقاءٍ معه كان الشخص يرتدّ نافراً من ترهّلها المترف جدّاً، لكن سرعان ما كان يُتَخَطّى هذا البغض الشديد عندما يبدأ بالكلام، لأنّ

تتضمّن العمليّة الإغوائيّة أن تملأ عقل الشخص بصورتك. وإلاّ فإنّ براءتك، أو جمالك، أو غنجك من الممكن أن تجذب انتباههم لكن ليس هوسهم. لكي تُعمّق الاهتمام، يجب عليك أن تلمّح إلى تعقيدٍ لا يمكن

استيعابه في أسبوعٍ أو اثنين. أنت غموضٌ محيّر، إغراءٌ لا يُقاوَم، يَعِدُ بلذّةٍ ومتعةٍ عظيمتين لو كان بالإمكان فقط تملّكه. ما إن يبدؤوا بالتخيّل عنك، حتّى يصبحوا على شفير منحدر الإغواء الزلق، ولن يكونوا قادرين على منع أنفسهم من الإنزلاق.

المتصنّع والطبيعي

ضربة الموسم الكبرى في برودواي في عام 1881 كانت أوبريت *الصبر* لجيلبير وسوليفان، وهي أُهجُوّة (مقطوعة هجائيّة) للعالَم البوهيمي الخاص بمحبّي الجمال والغنادير الذين أصبحوا غايةً في الرواج في لندن. للاستفادة من هذه الموضة (هذا الرواج) فقد قرّر متعهّدو الأوبريت دعوة واحدٍ من أكثر محبّي الجمال في إنكلترا سوءاً في السمعة من أجل القيام بجولة من المحاضرات: أوسكار وايلد. وايلد الذي كان في السابعة والعشرين من العمر في ذلك الوقت كان مشهوراً بسبب الصورة أو الشخصية التي يتّخذها أمام الجمهور أكثر ممّا اشتُهِر من وراء مجموعة أعماله الصغيرة. كان المتعهّدون الأمريكيّون واثقين من أنّ جمهورهم كان سيُفْتَن بهذا الرجل الذي تخيّلوه دائماً على أنّه يمشي وفي يده زهرة، لكنّهم لم يتوقّعوا أبداً أن يستمرّ هذا الافتتان؛ فهو كان سيلقي بضعة محاضرات قبل أن تَبلى جدّته ويرسلوه إلى منزله. كان العرض سخيّاً فقبل وايلد. لدى وصوله إلى نيويورك، سأله موظّفٌ في الجمارك عمّا إذا كان لديه شيء ليصرّح به، فأجاب: «ليس لديّ شيء لأصرّح به باستثناء عبقريّتي.»

انهمرت الدعوات ـ مجتمع نيويورك كان متلهّفاً لالتقاء غريب الأطوار هذا. النساء وجدنه ساحراً، لكن الصحافة كانت أقلّ كرماً ولطفاً؛ أطلقت عليه صحيفة *نيويورك تايمز* لقب «محبّ الجمال الدجّال.» ومن ثمّ أعطى محاضرته الأولى بعد أسبوعٍ من وصوله. القاعة كانت مليئةً بالكامل؛ حيث قدم أكثر من ألف شخص، معظمهم قدموا لمجرّد رؤية كيف كان يبدو. لم يخبْ أملهم. لم يحمل وايلد زهرة، وكان أطول ممّا توقّعوا، لكنّ شعره كان طويلاً ومسبلاً وارتدى بذّةً وربطة عنق من المخمل الأخضر، بالإضافة إلى بنطالٍ قصيرٍ (ينتهي عند الركبة) وجوارب من الحرير. أحسّ العديد من

لطافته الحقيقيّة ورغبته بالإرضاء كانتا تجعلان الشخص ينسى ما كان غير سارّ في مظهره الجسماني وفي عملية التعرّف عليه، وتضفيان سحراً على تصرّفاته، ورشاقةً على دقّة كلامه. كانت النظرة الأولى عنه تؤثّر في الناس بطرق متعدّدة. كان البعض بالكاد يستطيعون لجم ضحكهم، شعر آخرون بالعدائيّة، قلّة تأذّوا من «الشخص البغيض،» كان العديد مدركين لكونهم غير مرتاحين، لكن باستثناء قلّة قليلة لم تستطع أبداً أن تتعافى من الإحساس الأوّل بالنفور وظلّت بالتالي تتحاشاه، فإنّ كلا الجنسين وجدوه جذّاباً على نحوٍ لا يُقاوَم، وبالنسبة لشبّان عصره، يقول دابليو. بي. ياتس، كان مثل رمز منتصرٍ وجسور من عصرٍ آخر.

الجمهور بالنفور عندما تطلّعوا إليه من مقاعدهم، فقد كانت هذه التركيبة من الجثّة الضخمة والملابس الجميلة منفّرةً بعض الشيء. بعض الناس ضحكوا دون تحفّظ، آخرون لم يستطيعوا إخفاء انزعاجهم وتقلقلهم. توقّعوا أن يكرهوه. عندها بدأ بالتكلّم.

- هيسكيث بيرسون، أوسكار وايلد: حياته وذكاؤه

كان الموضوع «النهضة الإنكليزيّة» أي حركة «الفن لأجل الفن» في إنكلترا أواخر القرن التاسع عشر. أثبت صوت وايلد قدرته على التنويم المغناطيسي؛ تحدّث بنوعٍ من البحور أو الأوزان، بطريقةٍ متكلّفة ومتصنّعة، وقلّةٌ فهموا حقّاً ما كان يقوله، لكن الخطاب كان ظريفاً جدّاً ومتدفّقاً. مظهره كان بالتأكيد غريباً، لكن ككلّ، لم يكن نيويوركيٌّ قد رأى أو سمع في كلّ حياته رجلاً آسراً كهذا، ولقيت المحاضرة نجاحاً كبيراً. حتى الصحافة تحمّست لها. في بوسطن بعد عدّة أسابيع من ذلك، كان ستّون طالباً من هارڤارد قد حضّروا كميناً: كانوا سيجعلون من هذا الشاعر المخنّث أضحوكةً من خلال ارتداء بنطالاتٍ قصيرة، وحمل أزهار، والتصفيق بشكلٍ مبالغٍ في علوّه لدى دخوله. لم يرتبك وايلد أو يهتاج مقدار أنملة. ضحك الجمهور على تعليقاته الارتجاليّة بشكلٍ هيستيريٍّ، وعندما قاطعه التلاميذ بالصراخ والتعليقات الساخرة ظلّ محافظاً على وقاره، فلم يبدِ أيّ غضبٍ على الإطلاق. مرّةً أخرى، فإنّ التباين ما بين سلوكه وبين مظهره المادّي جعله يبدو استثنائيّاً. تولّد لدى العديدين انطباعٌ إيجابيٌّ عميق، وكان وايلد في طريقه لأن يصبح ظاهرةً مثيرة.

في يومٍ من الأيّام كان يوجد مغناطيس، وفي محيطه القريب عاشت بضع برادات حديد. ذات يوم شعرت برادتان أو ثلاث برغبة مفاجئة بالذهاب وزيارة المغناطيس، وبدأت بالتكلّم كم أنّ فعل شيءٍ كهذا سيكون ظريفاً. سمعت براداتٍ أخرى الحديث مصادفةً، وعُدِيَت أيضاً بنفس الرغبة. انضمّت أخريات، إلى أن بدأت كلّ البرادات في آخر الأمر تناقش المسألة، وشيئاً فشيئاً تحوّلت هذه الرغبة الغامضة إلى دافعٍ ملحّ. «لماذا لا نذهب اليوم؟» قالت إحدى البرادات؛ لكنّ أخرياتٍ كان رأيهنّ أنّه من الأفضل الانتظار حتّى الغد. في تلك الأثناء، ومن

جولة المحاضرات القصيرة تحوّلت إلى شأنٍ أثار اهتمام البلد بأكمله. في سان فرانسيسكو، أثبت هذا الزائر المحاضر في الفن والجماليّات أنّه قادرٌ على بزّ الجميع في الشرب والبوكر، الأمر الذي جعله ضربة الموسم. في طريق عودته من الساحل الغربي، كان على وايلد أن يتوقّف عدّة مرّات في كولورادو، حيث حُذِّر من أنّه إذا تجرّأ الشاعر المُتَصَبين الوسيم (أي وايلد) على الظهور في بلدة ليدڤيل المليئة بالمناجم، فإنّه سيُعلّق من أعلى شجرة. لقد كانت دعوةً لم يكن من الممكن لوايلد أن يرفضها. تجاهل صرخات الاستهجان والنظرات الشريرة لدى وصوله إلى ليدڤيل؛ زار المناجم، شرب ولعب الورق، ومن ثمّ حاضر عن بوتشيللي وسيليني في الحانات. وقع عمّال المناجم تحت سحره كسائر الناس، حتّى أنّهم سمّوا منجماً باسمه. سُمِعَ

أحد رعاة البقر وهو يقول ذات مرّة، «ذلك الرفيق هو رجل فنّ، لكنّه يستطيع أن يشرب معنا حتّى نسكر ومن ثمّ يقلّنا اثنين اثنين إلى المنزل.»

التفسير. في خرافةٍ ألّفها بشكلٍ ارتجاليّ على العشاء ذات مرّة، تحدّث وايلد عن برادات حديدٍ تملّكتها رغبةٌ مفاجئة بزيارة مغناطيسٍ قريب. أثناء تحدّثهم مع بعضهم البعض عن هذا، فقد وجدوا أنفسهم وهم يقتربون من المغناطيس دون أن يعلموا كيف أو لماذا. في آخر المطاف وجدوا أنفسهم وقد اندفعو ضربةً واحدةً إلى جانب المغناطيس. «ومن ثمّ ابتسم المغناطيس ـ لأنّ برادات الحديد لم يساورها أدنى شك في أنّها قامت بتلك الزيارة بناءً على محض إرادتها.» كذلك كان الأثر الذي حازه وايلد نفسه على جميع من حوله.

كانت جاذبيّة وايلد أكثر من حصيلة ثانويّة لشخصيته، لقد كانت مدروسة تماماً ومعدّة كي تخدم الغاية المنشودة منها. كمعجبٍ بالتناقض (بالمفارقات)، فقد شدّد عامداً على غرابته والتباسه، على التضارب ما بين مظهره المتكلّف وبين أدائه الظريف والعفويّ. كان بالشكل الطبيعي دافئاً وعفويّاً، إلّا أنّه شكّل صورةً له مناقضةً لطبيعته. كان الناس يُنَفَّرون، يتشوّشون، يُؤسَرون، وفي آخر المطاف ينشدّون إلى هذا الرجل الذي بدا من المستحيل تصوّره.

التناقض مغوٍ لأنّه يتلاعب بالمعنى. نحن نشعر سرّاً بالغمّ إزاء العقلانيّة التي تحكم حياتنا، حيث أنّ كل شيء يُقْصَدُ منه أن يعني شيئاً؛ أمّا الإغواء، على النقيض من هذا، فيزدهر على الغموض والالتباس، على الإشارات والرسائل المختلطة، على أيّ شيءٍ يمتنع على التفسير ويروغ منه. معظم الناس واضحون بشكلٍ مزعج. إذا كانت شخصيتهم استعراضيّة، فقد ننجذب وننشدُّ إليهم لحظيّاً، لكنّ الانجذاب يبلى ويضعف؛ إذ لا يوجد عمق، ولا حركة مضادّة، كي تبقينا. المبدأ الرئيسي لكلٍّ من لَفْتِ الانتباه وإبقائه يكون من خلال إشعاعك بالغموض. ولا أحد يكون غامضاً بالشكل الطبيعي، أقلّه ليس لمدّةٍ طويلة؛ الغموض هو شيءٌ يتوجّب عليك أن تعمل عليه، فهو حيلةٌ من قبلك، وشيءٌ يجب أن يستخدم من بداية الإغواء. دعْ جانباً من

دون أن يلاحظن ذلك، كنّ يقتربن على نحوٍ لا إراديّ من المغناطيس، الذي رقد هناك بشكلٍ هادئٍ تماماً، دون أن يلتفت إليهنّ في الظاهر. وهكذا استمرّين بالنقاش، بينما كنّ يقتربن من جارهنّ دون أن يحسّوا بذلك؛ وكلّما تكلّمن أكثر، كلّما شعرن بالدافع يزداد قوّة، إلى أن صرّحت البرادات الأقلّ صبراً بأنّهنّ سيذهبن في ذلك اليوم، بغض النظر عمّا ستفعله البقيّة. تمّ سماع البعض وهنّ يقلن أنّه كان من واجبهنّ زيارة المغناطيس، وأنّه كان ينبغي لهنّ أن يذهبن قبل ذلك بكثير. وبينما كنّ يتحدّثن، فإنّهنّ كنّ على الدوام يقتربن أكثر فأكثر، دون أن يدركن أنّهنّ كنّ يتحركن. بعدئذٍ، وأخيراً، هيمنت البرادات الأقلّ صبراً، وصاح المجموع

شخصيّتك يظهر، بحيث يلاحظه الجميع. (في المثال عن وايلد، ذلك كان تظاهرٌ متصنّع تعبّر عنه ثيابه ووضعاته.) لكن أرسل أيضاً رسالة مختلطة - إيماءةٌ أو إشارةٌ ما بأنّك لست ما تبدو عليه، بأنّك متناقض. لا تقلق إذا كانت هذه الخاصّية الثانويّة سلبيّة، كالخطر، القسوة، أو عدم الاكتراث بالمعايير الأخلاقيّة؛ فالناس سوف ينجذبون إلى الشخص الغامض بأيّ حال، والطيبة الكاملة نادراً ما تكون إغوائية.

التناقض عنده كان مجرد الحقيقة وهي تقف على رأسها لتلفت الانتباه.

- ريتشارد لي جالين، في معرض حديثٍ له عن صديقه أوسكار وايلد

المفاتيح إلى الإغواء

لا شيء يمكن أن يبدأ في الإغواء ما لم يكن بإمكانك أن تلفت وتستبقي انتباه ضحيّتك، بحيث يصبح حضورك الجسدي حضوراً ذهنيّاً ملازماً. من السهل تماماً في الواقع أن تخلق ذلك الاضطراب الأول - من خلال أسلوب لباسٍ مغرٍ، نظرةٌ موحية، شيءٌ متطرّفٌ عنك. لكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ عقولنا تُقصَف بوابلٍ من الصور - ليس فقط من الإعلام وإنّما من فوضى الحياة اليوميّة. والعديد من هذه الصور تكون أخّاذةً إلى حدٍّ بعيد. فتصبح أنت مجرّد شيءٍ إضافيّ يصرخ طلباً للانتباه؛ جاذبيّتك سوف تمر مرور الكرام إلّا إذا أطلقت شرارة النوع الأكثر بقاءً من التعويذة التي تجعل الناس يفكّرون فيك في غيابك. هذا يعني أن تشغل مخيلاتهم، وأن تجعلهم يعتقدون بأنّك تتحلّى بميّزاتٍ أكثر ممّا يرون. ما إن يبدؤوا بتزيين صورتك بخيالاتهم، يكونوا قد عَلِقوا.

هذا على أيّ حال يجب أن يُفعَلَ منذ البداية، قبل أن تعرف أهدافك أكثر من اللازم وتتبلور انطباعاتهم عنك. هذا يجب أن يحدث في اللحظة التي تقع عيونهم عليك. من خلال إرسال رسائل مختلطة في ذلك اللقاء الأول، تكون قد خلقت قليلاً من المفاجأة، قليلاً من التوتّر: فأنت تبدو على

بأكمله مدفوعاً بنزوة لا تُقاوَم، «لا يوجَد فائدة من الانتظار. سنذهب اليوم. سنذهب في الحال.» وبعدها اندفعن بقوةٍ في كتلةٍ مُجمعة، وفي لحظةٍ أخرى كنّ يتشبّثن بإحكام بالمغناطيس من جميع الجوانب. عندها ابتسم المغناطيس - لأنّ برادات الحديد لم يخامرها الظنّ إطلاقاً سوى أنّهنّ كنّ يقمن بالزيارة بناءً على إرادتهنّ الخاصّة.

- أوسكار وايلد، كما اقتُبِس من قبل ريتشارد لي جالين في أوسكار وايلد: حياته وذكاؤه، هيسكيث بيرسون

الآن كانت المثاقفة المُرتَجَلة [بالرماح] قد انتهت والفرسان يتفرقون وكلّ يذهب في دربه إلى حيث أملت عليه أفكاره؛ صادف أنّ ريڤالان كان متوجّهاً حيث كانت بلانشفلور

أنّك شيءٌ ما (بريء، وقح، ذكي، ساخر)، لكنّك ترميهم أيضاً بلمحاتٍ من شيءٍ آخر (شيطانيّ، خجول، عفوي، حزين). أبقِ الأشياء رقيقةً وخفيّة: إذا كانت الخاصية الثانية أقوى من اللزوم، فسوف تبدو مصاباً بفصام الشخصية. لكن دعهم يتساءلون في تعجّب عن سبب احتمال كونك خجولاً أو حزيناً تحت سخريتك الذكيّة الوقحة، وستكون قد لفتّ انتباههم. امنحهم التباساً من شأنه أن يدعهم يرون ما يودّون رؤيته، وإئسر مخيّلتهم بلمحاتٍ خاطفةٍ مختلسة إلى روحك القاتمة.

الفيلسوف الإغريقي سقراط كان واحداً من أعظم مغوي التاريخ؛ الشبّان الذين اتّبعوه كطلاّب لم يفتتنوا بأفكاره وحسب، وإنّما وقعوا في حبّه. واحدٌ من هؤلاء الشبّان كان آلسيبيادس، الشاب السيئ الصيت المنغمس في الملذّات والذي أصبح شخصيّةً سياسيّةً بارزةً قرابة نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. في *الندوة* لأفلاطون، يصف ألسيبيادس القوى الإغوائية التي عند سقراط من خلال مقارنتها بالتماثيل الصغيرة لسايلينوس (إله من آلهة الغابات) التي صُنِعَت في ذلك الوقت. في الأسطورة اليونانيّة، كان سايلينوس قبيحاً جدّاً، لكنّه كان أيضاً نبيّاً حكيماً. وبالتالي فقد كانت تماثيل سايلينوس مجوّفة، وعندما تفتحها، ستجد تماثيل صغيرة للآلهة بداخلها - الحقيقة والجمال الداخليّين تحت المظهر غير الجذّاب. ولذا، بالنسبة لألسيبيادس، فقد كان سقراط على نفس الشاكلة، إذ كان قبيحاً لدرجة التنفير لكنّ وجهه كان يشع بالجمال الداخلي والقناعة. الأثر كان مربكاً وجذّاباً. كليوباترا، وهي مغويةٌ عظيمةٌ أخرى من العصور القديمة، كانت ترسل أيضاً رسائل مختلطة: لقد كانت تبعاً لجميع المقاييس مغريةً من الناحية المادية، وتجلّى ذلك في صوتها، وجهها، جسمها، وأسلوبها؛ وتحلّت أيضاً بعقلٍ نشطٍ وألمعيّ، جعلها تبدو ذات روحٍ ذكوريّة بالنسبة للعديد من كتّاب عصرها. هذه الخصائص المتناقضة أعطتها تعقيداً، والتعقيد أعطاها نفوذاً.

لكي تلفت وتأسر الانتباه، يتوجّب عليك أن تُظهِر صفاتٍ تتناقض مع مظهرك الجسماني، الأمر الذي يخلق عمقاً وغموضاً. إذا كان لديك وجهٌ جميل وسيماءٌ من البراءة، فأطلق تلميحاتٍ عن شيءٍ قاتم، بل وحتّى وحشيٌّ بشكلٍ غامض في شخصيّتك. هذا لا يتجلّى من خلال كلماتك، وإنّما من خلال سلوكك. كان لدى الممثّل إيرول فلين وجهٌ ملائكيٌّ صبيانيّ ومسحةٌ

المحبة تجلس. لدى رؤيته لهذا، فقد أسرع لعندها على صهوة حصانه وحياها وهو ينظر في عينيها بمنتهى الحبور. • «فليحفظكِ الرب أيتها، المرأة المحبة!» • «شكراً لك،» قالت الفتاة، وتابعت بمنتهى الحياء، «عسى الله القدير، الذي يجعل كل القلوب سعيدة، يُسعِد قلبك وعقلك! وتشكراتي الممتنة لك! - ومع ذلك فلن أنسى عتبي عليك.» • «آه، أيتها المرأة الرقيقة، ما الذي قد ارتكبتُه؟» كان ردّ ريڤالان الدّمث. • «أنت قد أزعجتني من خلال صديقٍ لي، أفضل صديقٍ حظيت به في كل حياتي.» • «يا للسماء،» فكر بينه وبين نفسه، «ما الذي يعنيه هذا؟ ما الذي قد فعلته وأزعجها؟ ماذا تقول أنني ارتكبت؟» وتخيل تلقائياً أنه لا بدّ ألحق أذيّة بأحد أقاربها في وقتٍ ما في

خفيفةٌ من الحزن. تحت هذا المظهر الخارجي، من جهةٍ ثانية، كانت النساء تستطيع استشعار قسوةٍ كامنة، مسحةٌ إجرامية، نوعٌ مثيرٌ من الخطورة. لعبة الخصائص المتناقضة هذه كانت تولّد اهتماماً هوسياً. المكافئ الأنثوي لهذا النمط تجسّده مارلين مونرو؛ كان لديها وجه وصوت فتاةٍ صغيرة، لكن شيئاً شهوانياً وفاحشاً كان ينبعث منها بقوّةٍ أيضاً. المدام ريكامييه كانت تفعل كلّ ذلك بعينيها - فنظرة الملاك، كان يقاطعها فجأةً شيءٌ شهوانيّ وغنجيّ.

اللعب بأدوار الجنس (من حيث الذكورة والأنوثة) هو نوعٌ من المفارقة الآسرة التي كان لها تاريخٌ طويل في الإغواء. أعظم الدونجوانيّين كان لديهم مسحةٌ من الجمال والأنوثة، وأشد المحظيّات جاذبيّةً كان لديهم مسحةٌ من الذكورة. على الرغم من ذلك فإنّ الاستراتيجيّة لا تكتسب قوّتها إلّا عندما يُلَمَّح إلى الخاصّية الثانوية مجرّد تلميح؛ إذا كان الخليط واضحاً أو صارخاً أكثر من اللازم فسوف يبدو غريباً أو حتّى مهدّداً. المحظيّة الفرنسيّة العظيمة من القرن السابع عشر نينون دي لانكلو كانت أنثويّة المظهر بلا ريب، ومع ذلك فقد صُدِم كل من التقى بها بلمسة العدوانيّة والاستقلالية التي لديها - لكن مجرّد لمسة. الروائي الإيطالي من أواخر القرن التاسع عشر جابرييل دانونزيو كان بالتأكيد ذكورياً في مقارباته، لكن كان هنالك رقّةٌ ومراعاةٌ ممزوجتين مع رجولته، واهتمامٌ بالحليّ النسائية. من الممكن التلاعب بالتركيبات (من هذه الخصائص) ومزجها بجميع الطرق التي تخطر على البال: كان أوسكار وايلد أنثوياً إلى حدٍّ بعيد في مظهره وسلوكه، لكنّ الإيحاء الضمني بأنّه كان في الواقع رجلاً بحقّ جذب كلاً من الرجال والنساء إليه.

دمج الحرارة الجسديّة مع البرودة العاطفيّة هو تنويعٌ فعّال على هذا الموضوع. الغنادير من أمثال بو برمل وآندي وارهول يجمعون ما بين المظهر الجسماني الصارخ وبين نوعٍ من البرود والجفاء في السلوك، إذ يحافظون على مسافةٍ تفصلهم عن كل الأشياء والأشخاص. هم لافتون ومحيّرون معاً، والناس يمضون حياتهم وهم يسعون خلف رجالٍ كهؤلاء، محاولةً منهم لتحطيم مَنَعَتُهم (صعوبة الوصول إليهم). (قوّة الناس صعبي المنال ظاهرياً تكون مغويةً بشكلٍ شيطانيّ؛ فنحن نريد أن نكون من يكسرهم.) هم أيضاً يلفّون أنفسهم بالالتباس والغموض، فإمّا يتكلّمون قليلاً جدّاً أو

رياضاتهم الفروسيّة وذلك كان سبب اغتياظها منه. لكن "لا، الصديق الذي أشارت إليه كان قلبها، والذي في صميمه جعلها تعاني: ذلك كان الصديق الذي كانت تتكلّم عنه. لكنّه لم يكن يعلم شيئاً عن ذلك. • "أيتها المرأة المحبة،" قال بكلّ ما لديه من سحره المألوف، "لا أريدك أن تكوني غاضبةً منّي أو تحملي ضدّي أيّة نوايا غير حسنة. لذا، إذا كان ما تقولينه لي صحيحاً، فانطقي بالحكم عليّ بنفسك: سأقوم بأيّ شيءٍ تأمرين به." • "لا أكرهك أكثر ممّا ينبغي بسبب ما حصل،" كان جواب الفتاة الرقيقة، "ولا أحبّك بسببه. لكن لتدرك الإصلاحات التي يجب أن تقوم بها للخطأ الذي ارتكبته بحقّي، فسوف أختبرك في وقتٍ آخر." • وهكذا انحنى كمن

يتكلّمون عن مسائل سطحيّة، فيُلمِعون إلى أغوارٍ في الشخصيّة لا يمكنك أن تسبرها أبداً. عندما كانت مارلين ديتريتش تدخل إلى غرفة، أو تصل إلى حفلة، كانت كل العيون تنشدّ إليها بشكلٍ حتميّ. أوّلاً كانت هناك ثيابها المذهلة، المُختارة بحيث تجعل الرؤوس تدور. ومن ثمّ كانت هنالك مسحةٌ من عدم الاكتراث ورباطة الجأش. هُوِسَ الرجال بها وكذلك النساء، إذ كانوا يفكّرون بها طويلاً بعد أن تكون قد تلاشت ذكريات الأمسية الأخرى. تذكّر: ذلك الانطباع الأول، ذلك المدخل، هو أمرٌ جوهريّ. أن تُظهِر رغبةً زائدةً بالحصول على الاهتمام هو أمرٌ يشير إلى عدم الأمان، وغالباً ما سيقود الناس بعيداً؛ إذا تصرّفت، من ناحيةٍ ثانية، بكثيرٍ من البرود وعدم الاهتمام فلن يتجشّم أحدٌ عناء الاقتراب. الخدعة هي في أن تجمع هذين الموقفين في نفس الوقت. هذا هو جوهر الغنج والدلال.

ربّما لديك سمعةٌ حسنة أو شهرة بالنسبة لخاصيّةٍ معيّنة، والتي تَرِد إلى الذهن عندما يراك الناس. من الأفضل أن تستبقي على اهتمامهم من خلال الإيحاء بأنّه وراء هذه السمعة يوجد خاصيّة أخرى كامنة. لم يكن لأحدٍ سمعةٌ أكثر قتامةً وإثماً من اللورد بايرون. ما جعل النساء تُجَنّ به هو أنّه خلف هذا المظهر الخارجي البارد بعض الشيء والازدرائي، استطعن أن يستشعرن بأنّه كان في الواقع رومانسياً إلى حدٍّ بعيد، بل وحتّى روحانيّاً. شدّد بايرون على هذا من خلال الأجواء السوداويّة وأفعاله النبيلة التي كان يفعلها بين الحين والآخر. بعد أن ينصعقن ويرتبكن، كانت العديد من النساء تعتقد بأنّهن من سيعدنه إلى جادة الصواب، وسيجعلن منه حبيباً مخلصاً. بمجرّد ما تعلّل المرأة نفسها بهكذا أمل، فإنّها تصبح تحت تأثير سحره بالكامل. ليس من الصعب خلق هكذا تأثير إغوائي. إذا كنت معروفاً بكونك عقلانياً إلى درجة كبيرة، على سبيل المثال، فلمّح إلى شيءٍ غير عقلاني. جوهانز، القاص في مُؤَلَّف كيركيجارد *يوميّات مغوي*، في بادئ الأمر يعامل كورديليا الشابة بتهذيبٍ عمليّ، كما تقودها سمعته لأن تتوقّع. لكنّها سرعان ما تسمعه مصادفةً وهو يبدي ملاحظاتٍ تشير من طرفٍ خفيٍّ إلى مسحةٍ شاعريّة وجامحة في شخصه؛ فتتشوّق وتُؤسَر.

هذه المبادئ لها تطبيقات تصل إلى ما وراء نطاق الإغواء الجنسي. لكي تأسر انتباه جمهورٍ غفير، لكي تغويهم حتّى يفكروا فيك، فأنت تحتاج

يهتم بالانصراف، وهي، الفتاة المحبة، تتنهّدت بشكلٍ غايةٍ في الخفاء بسبب رحيله وقالت برقّة: «آه، فليباركك الرب أيها الصديق العزيز!» من ذلك الحين فصاعداً صارت أفكارهما تتقاطع. • انصرف ريڤالان وهو يفكّر مليّاً بأشياء كثيرة. تأمّل من جميع الأوجه السبب الذي من شأنه أن يجعل بلانشفلور مغتاظةً منه، وما عساه أن يكمن وراء المسألة برمّتها. فكّر في ترحيبها، في كلماتها؛ درس تنهّدها بدقّة، وداعها، سلوكها برمّته... لكن بما أنّه لم يكن متأكّداً من دافعها - أكانت تصرّفت بدافع من العداوة أم من الحبّ - فقد مشى مضطرباً وهو في حيرةٍ من أمره. اضطربت أفكاره ولم تستقر على شيء. في لحظةٍ كان يتوصّل إلى رأي، ثم فجأةً

لأن تَخلُطَ رسائلك وإشاراتك. أظهر خاصّيةً واحدة أكثر من اللازم ـ حتّى ولو كانت خاصيّةً نبيلة، كالمعرفة أو الكفاءة ـ وسيشعر الناس بأنّك تفتقر إلى الإنسانيّة. جميعنا معقّدون وملتبسون ومليئون بالدوافع المتناقضة؛ إذا أظهرت جانباً يتيماً، حتّى ولو كان جانبك الطيّب، فإنّك سوف تنهك أعصاب الناس. سوف يرتابون في كونك منافقاً. المهاتما غاندي، الذي كان رمزاً للقداسة، اعترف علانيّةً بالشعور بالغضب وحبّ الانتقام. جون إف كينيدي، الشخصيّة الأمريكية الوطنية الأكثر إغوائيّةً في العصور الحديثة، كان مفارقةً على قدمين: أرستقراطيٌّ من الساحل الشرقي، لكن لديه شغف ومودّة الرجل العادي، رجلٌ واضح الرجولة ـ بطل حرب ـ لكن ذا هشاشةٍ كامنةٍ تستطيع أن تستشعرها تحت ذلك، مفكّرٌ يحب الثقافة الشعبيّة. انشدّ الناس إلى كينيدي كما انشدّت برادات الحديد في الخرافة التي رواها وايلد. سطحٌ برّاق قد يتحلّى بسحرٍ من ناحية الديكور والزينة، لكن ما يشدّ عيناك إلى لوحة هو عمق الأرضيّة، التباسٌ لا يمكن تفسيره، أو تعقيدٌ سرياليّ.

يتوصّل إلى رأي آخر، إلى أن أوقع نفسه في شرك رغبته الخاصّة لدرجة أنّه أصبح عاجزاً عن الإفلات... • إنّ ارتباكه قد وضعه في ورطة، لأنّه لم يعلم إن كانت تريد له الخير أم الشر؛ لم يستطع أن يتبيّن أكانت تحبّه أم تكرهه. كانت جميع بوادر الأمل واليأس التي فكّر بها تقوده في آنٍ معاً بين الإقدام والإحجام ـ فانشطر بين الأمل والقنوط اللذين تنازعاه سجالاً وبلا هوادة. حدّثه الأمل عن الحبّ، واليأس عن الكراهية. لم يستطع بسبب هذا الصراع الداخلي أن يُجَيِر اعتقاده الراسخ لا إلى الكراهية ولا حتّى إلى الحبّ. وهكذا انجرفت مشاعره كسفينةٍ في مرفأٍ غير آمن ـ قاده الأمل نحو المرسى، في حين قاده اليأس بعيداً عنه. لم يجد استقراراً في كلتا الحالتين. فلم

الرمز: ستارة المسرح. على الخشبة، فإنّ طيّات الستارة القانية الحَمار والثقيلة تشدّ عينيك بسطحها المنوّم مغناطيسيّاً. لكن ما يسحرك ويشدّك حقّاً هو ما تعتقد أنّه قد يحصل وراء الستارة ـ الضوء الذي يتخلّل الستارة، الإيحاء بسرّ، شيءٌ ما على وشك الحصول. أنت تشعر برعشة مختلسٍ للنظر وهو يهمّ بمشاهدة عرض.

فكرة أنّ عنصرين مختلفين قد اتّحدا بابتسامة الموناليزا هي فكرةٌ صدمت عدّة نقّاد. فهم يجدون، كنتيجة منطقيّة، في السيماء الفلورنسية (نسبةً إلى مدينة فلورنسا) خير تمثيلٍ للتناقضات التي

تسود الحياة الجنسيّة للنساء؛ التناقض ما بين التحفّظ والإغواء، وما بين الحنان الأكثر تفانياً والشهوانيّة المتطلّبة بشكلٍ عديم الرحمة - فتستهلك الرجال كما لو أنّهم كائناتٌ ليست من هذا الكوكب.

- سيغموند فرويد، *ليوناردو دافنشي وذكرى طفولته*، ترجمة ألان تايسون

يتّفق الأمل واليأس على أيّ طريقٍ يسلكان بصاحبهما. عندما دنا اليأس وأخبره أنّ بلانشفلور كانت عدوّته فقد ترنّح وسعى نحو الهرب: لكن في نفس اللحظة اقترب الأمل، حاملاً له حبّها، وطموحٌ أثير، وهكذا بقي بحكم الاضطرار. لم يعلم إلى أين يتّجه في وجه هذا التضارب: لم يستطع أن يمضي إلى أيّ مكان. كلّما جاهد من أجل الهرب، أجبره الحبّ على العودة بشكلٍ أكثر حزماً. بقدر ما ناضل من أجل الفرار، بقدر ما أرجعه الحبّ وبشكلٍ أكثر قوّة.

- جوتفريد فون ستراسبورغ، *تريستان*، ترجمة آي. تي هاتو

الانقلاب

التعقيد الذي تشير إليه للناس الآخرين لن يؤثّر في الناس بالشكل المناسب إلّا إذا كانت لديهم القدرة على الاستمتاع بالغموض. بعض الناس يحبّون أن تظلّ الأشياء بسيطة، ويعوزهم الصبر اللازم لملاحقة شخصٍ يصيبهم بالاضطراب. هم يفضّلون أن ينبهروا ويُجتاحَوا. المحظيّة العظيمة من الحقبة الجميلة (وهي حقبة امتازت برقيٍّ ثقافيٍّ واجتماعيّ وأمن وازدهار عامّين، وامتدّت من العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر وحتّى السنين التي سبقت الحرب العالميّة الأولى: المترجم) المعروفة باسم لابلا أوتيرو (أوتيرو الجميلة) كانت تمارس سحراً مركّباً على الفنانين والسياسيين الذين وقعوا في حبّها، لكن عندما كانت تتعامل مع الرجال الأكثر بساطة وشهوانيّةً فإنّها كانت تذهلهم من خلال المشاهد اللافتة والجمال. عندما كان يلتقي بامرأة للمرة الأولى، كان كازانوفا يرتدي أروع الثياب بالإضافة إلى المجوهرات والألوان البرّاقة لكي يبهر العين؛ كان يستخدم ردّة فعل الضحيّة ليقدّر فيما لو كانت تحتاج إلى إغواءٍ أكثر تعقيداً. بعض ضحاياه، وخاصّةً الفتيات اليافعات، لم يكنّ بحاجة لأكثر من المظهر البرّاق والآسر الذي كان ما يردنه حقّاً، والإغواء كان يظلّ على ذلك المستوى.

كل شيء يعتمد على هدفك: لا تتجشّم عناء خلق العمق للناس الذين يفتقرون للحساسيّة بالنسبة لهذه الأشياء، أو الذين قد ينفرون حتّى أو ينزعجون بسببه. تستطيع التعرّف على هذه الأنماط من خلال تفضيلهم للملذّات البسيطة في الحياة، وقلّة صبرهم إزاء قصّةٍ أكثر غنىً بالتفاصيل. معهم، أبقِ الأمور بسيطة.

4

اظهر كموضِعٍ للرغبة ـ إخلق مثلثات

قلةٌ تنجذب للشخص الذي يتحاشاه الآخرون أو يتجاهلونه؛ الناس يتجمعون حول أولئك الذين اجتذبوا الاهتمام من قبل. نحن نرغب بما يرغبه الناس. لكي تجتذب ضحاياك على نحوٍ أقرب وتجعلهم مُتَعطشين لتملكك، يتوجب عليك أن تخلق هالة من المرغوبية ـ أي كونك مرغوباً فيك ومتودداً إليك من قبل الكثيرين. سيكون من دواعي زهوهم أن يكونوا الموضع الأثير لاهتمامك، أن يفوزوا بانتزاعك بعيداً من جمهور المعجبين. فَبرِكْ وهمْ الشعبية من خلال إحاطة نفسك بأفرادٍ من الجنس الآخر ـ أصدقاء، عاشقين سابقين، متودّدين حاليين. إخلق مثلّثات من شأنها أن تثير التنافس وترفع قيمتك. ابنِ سمعةً تسبقك: إذا كان العديد قد استسلموا لسحرك وفتنتك، فلا بدّ من أن يكون هناك سبب.

خلق مثلّثات

في أمسيةٍ من عام 1882، زار الفيلسوف البروسي باول ري، الذي كان يعيش في روما في ذلك الوقت، منزل سيّدة متقدّمة في السن كانت تدير صالوناً للكتّاب والفنّانين. لاحظ ري قادمةً جديدة هناك، فتاة روسيّة تبلغ الحادي والعشرين من العمر واسمها لو فون سالوم، كانت قد قدمت إلى روما لتمضي عطلةً مع أمّها. قدّم ري نفسه وبدأ محادثةً استمرّت حتّى وقتٍ متأخّرٍ من الليل. أفكارها عن الله والأخلاقيّات كانت مشابهة لأفكاره؛ كانت تتكلّم بشغفٍ وجدّيةٍ كبيرين، لكن في نفس الوقت كانت عيناها تبدوان أنّهما تغازلانه. عبر الأيام القليلة التي تلت صار ري وسالوم يتمشّيان مع بعضهما البعض عبر المدينة في نزهاتٍ طويلة. أُسِر بطريقة تفكيرها (عقلها) ومع ذلك فقد اضطرب إزاء المشاعر التي أثارتها، لذا أراد أن يمضي معها وقتاً أكثر. ثمّ ذات يوم، أذهلته باقتراح: علمت أنّه كان صديقاً مقرّباً للفيلسوف الألماني فريديريك نيتشة الذي كان أيضاً يزور إيطاليا في نفس الوقت. ثلاثتهم، هي قالت، يجب أن يسافروا مع بعضهم البعض ـ لا، بالأحرى يعيشوا مع بعضهم البعض، في نوعٍ من علاقةٍ جنسيّةٍ ثلاثيّة خاصّةٍ بالفلاسفة. كناقدٍ مرّ للأخلاقيّات المسيحيّة، وجد ري أنّ الفكرة سارّةٌ جدّاً. كتب لصديقه عن سالوم، واصفاً كم كانت مستقتلةً للّقاء به. بعد عدّة رسائل كهذه، هُرِع نيتشة إلى روما.

دعوني أخبركم عن رجلٍ مرموقٍ عرفته ذات مرّة والذي، بالرغم من أنّه كان ذا مظهرٍ مُمرضٍ وسلوكٍ حيِيّ، وكذلك الأمر محارباً كفؤاً للغاية، إلّا أنّه لم يكن مميّزاً جدّاً فيما يتعلّق بأيّ واحدةٍ من هذه الخصائص، إذ كان يوجد الكثير ممّن كانوا مساوين له أو حتّى متفوّقين عليه. لكن، وكما شاءت الأقدار، فقد وقعت سيّدةٌ بعينها في حبّه بشكلٍ شديدٍ جدّاً. اعتقدت بأنّه يبادلها الشعور، وبينما كان حبها له ينمو يوماً

كان ري قد دعا نيتشة ليرضي سالوم، وليثير إعجابها؛ أراد أيضاً أن يرى إذا كان نيتشة يشاركه حماسته حيال أفكار الفتاة اليافعة. لكن بمجرّد وصول نيتشة، فقد حدث شيءٌ غير سارّ: كان من الواضح أنّ الفيلسوف العظيم، الذي لطالما أحبّ الوحدة، افتُتن بسالوم. بدلاً من أن يتشاركوا ثلاثتهم في مناقشاتٍ فكريّة مع بعضهم البعض، فقد بدا أن نيتشة كان

يرسم خطّةً سريّةً ليستفرد بالفتاة. عندما ضبط ري نيتشة وسالوم وهما يتحادثان مع بعضهما البعض دون أن يشملاه، فقد شعر برعشات الغيرة. فلتذهب هذه العلاقة الجنسيّة الفلسفيّة الثلاثيّة إلى الجحيم: سالوم كانت له، هو كان من اكتشفها، ولن يشاركها، حتّى مع صديقه الحميم. عليه أن يستفرد بها بطريقةٍ أو بأخرى. فقط عندها سيكون بإمكانه أن يتودّد إليها ويفوز بها.

كانت المدام سالوم قد قرّرت أن ترجع هي وابنتها إلى روسيا، لكن سالوم أرادت أن تبقى في أوروبا. تدخّل ري، مقترحاً أن يسافر مع الأم وابنتها إلى ألمانيا ويقدّمهنّ إلى أمّه، التي، وعد، بأن تعتني بالفتاة وتتصرّف كمشرفةٍ عليها. (علم ري أنّ والدته ستكون وصيّةً غير صارمة بأفضل الأحوال.) وافقت المدام سالوم على هذا الاقتراح، لكن زحزحة نيتشة كانت أصعب: قرّر أن ينضمّ إليهم في رحلتهم نحو الشمال إلى بيت ري في بروسيا. في مرحلةٍ من الرحلة، تمشّى نيتشة وسالوم لوحدهما، وعندما عادا، كان قد راود ري شعورٌ بأنّ شيئاً جنسيّاً قد حصل بينهما. غلت دماؤه؛ فقد كانت سالوم تفلت من يده.

أخيراً تفرّقت المجموعة، الأم عادت إلى روسيا، نيتشة إلى قصره الصيفي في تاوتنبرغ، ري وسالوم ظلّوا في منزل ري. لكن سالوم لم تبقَ طويلاً: فقد قبلت دعوةً من نيتشة لتزوره، بدون إشراف، في تاوتنبرغ. في غيابها تآكل الشك والغضب ري. رغب بها أكثر من أيّ وقتٍ مضى، وكان مستعدّاً لمعاودة مضاعفة جهوده. عندما قدمت أخيراً، نفّس ري عن مرارته، صابّاً جام غضبه على نيتشة، منتقداً فلسفته، ومتسائلاً عن حقيقة دوافعه تجاه الفتاة. لكنّ سالوم وقفت إلى جانب نيتشة. ري كان في حالة يأس؛ فقد شعر بأنّه فقدها إلى الأبد. ومع ذلك فقد فاجأته مجدّداً بعد ذلك ببضعة أيّام: إذ كانت قد قرّرت أن تعيش معه ومعه لوحده.

أخيراً حصل ري على مراده أو هكذا ظنّ. استقرّ الزوجان (أي الاثنان) في برلين، حيث استأجرا شقة. لكنّ الآن ولسوء حظّ ري، فقد تكرّر النمط القديم. عاشا مع بعضهما البعض لكن صار الشباب من كلّ جانبٍ يتودّدون إلى سالوم. أثيرة برلين، التي أثارت إعجابهم بروحها المستقلّة، ورفضها

بعد يوم، ولم يكن هناك أيّ وسيلة متاحة لهما ليتكلّما مع بعضهما البعض، فقد باحت بمشاعرها لسيّدة أخرى أملت بأن تكون عوناً لها في هذه العلاقة. الآن هذه السيّدة لم تكن أدنى من الأولى بمثقال ذرّة لا بالمكانة ولا بالجمال؛ وحدث أنّه عندما سمعت الكلام عن الشاب (الذي لم تره قطّ) بمثل ذلك الحبّ، وبدأت تُدرك أنّ المرأة الأخرى، التي علمت أنّها كانت غايةً في التحفّظ والذكاء، أحبّته بما تعجز الكلمات عن وصفه، فإنّها أخذت فوراً بالتخيل بأنّ لا بدّ وأنّه أوسم الرجال وأحكمهم وأعقلهم على الإطلاق، وباختصار، أكثر رجلٍ في العالم استحقاقاً لحبّها. وهكذا وقعت في حبه، وهي التي لم تقع عيناها عليه قطّ،

للتسوية، كانت محاطة على الدوام بحريم من الرجال، الذين كانوا يشيرون إليها بـ«سعادتها». مرّةً أخرى وجد ري نفسه وهو ينافس من أجل الحصول على انتباهها. بعد أن وصل إلى حافّة اليأس، تركها بعد عدّة سنوات، وانتحر في نهاية المطاف.

في عام 1911، التقى سيغموند فرويد بسالوم (التي أصبحت معروفةً في ذلك الوقت باسم لو آندرياس ـ سالوم) في مؤتمرٍ في ألمانيا. قالت أنّها تريد أن تكرّس نفسها لحركة التحليل النفسي، ووجدها فرويد ساحرةً، بالرّغم من أنّه كان يعرف، كالجميع، قصّة علاقتها الشائنة مع نيتشة (انظر الصفحة 105، «الغندور»). لم يكن لدى سالوم خلفيّةٌ في التحليل النفسي أو في العلاج من أيّ نوع، لكنّ فرويد قبلها في الحلقة الضيّقة من أتباعه الذين كانوا يحضرون محاضراته الخاصّة. بعد أن انضمّت إلى الحلقة بفترة قصيرة، فقد وقع في حبّها واحدٌ من أكثر طلاّب فرويد وعداً وألمعيّة، الدكتور ڤيكتور تاسك، الذي كان يصغرها بستّة عشر عاماً. كانت علاقة سالوم بفرويد أفلاطونيّة، لكنّه كان قد تولّع بها ولعاً شديداً. عندما كانت تفوّت محاضرة، فإنّه كان يُحبَط ويرسل لها زهوراً ورسائل قصيرة. ارتباطها بعلاقة حبٍّ مع تاسك جعله غيوراً بشدّة، وبدأ بالتنافس للاستئثار باهتمامها. كان تاسك بمثابة ابنٍ له، لكنّ الابن كان يهدّد بسرقة محبوبة الأب الأفلاطونيّة. سرعان ما هجرت تاسك على أيّة حال. الآن أصبحت صداقتها مع فرويد أقوى من أيّ وقتٍ مضى، وهكذا استمرّت حتّى وفاتها في عام 1937.

التفسير. لم يقع الرجال في حبّ لو آندرياس ـ سالوم وحسب؛ وإنّما اجتاحتهم الرغبة أيضاً بتملّكها وانتزاعها بعيداً من الآخرين، ليكونوا المالك الفخور لجسدها وروحها. نادراً ما رؤوها لوحدها؛ فقد كانت دائماً ما تحيط نفسها بطريقةٍ أو بأخرى برجالٍ آخرين. عندما رأت أنّ ري كان مهتمّاً بها، فقد أشارت إلى رغبتها بالتقاء نيتشة. هذا ألهب ري، وجعله يرغب بالزواج منها وبأن يحتفظ بها لنفسه، لكنّها أصرّت على اللقاء بصديقه. وَشَت رسائله لنيتشة برغبته بهذه المرأة، وهذا بدوره أضرم رغبة نيتشة بها، حتّى قبل أن يكون قد التقاها. في كلّ مرّةٍ كان يختلي بها أحد الرجلين، يكون الرجل

بشكلٍ مشبوب العاطفة لدرجة أنّها خطّطت لأن تفوز به ليس لصديقتها وإنّما لنفسها. ونجحت في هذا بقليلٍ من الجهد، لأنّها كانت بالفعل امرأةً أجدر بأن يُتَوَدّد إليها من أن تقوم هي بالتودّد. واستمعوا الآن إلى التتمّة الرائعة: لم يمضِ وقتٌ طويل قبلَ أن تقع رسالةٌ كانت قد كتبتها إلى حبيبها في يد امرأةٍ أخرى تضاهيها في المنزلة والسحر والجمال؛ وكونها كانت، كمعظم النساء، محبّة للاطّلاع ومتلهّفةً لتعلّم الأسرار، فقد فتحت الرسالة وقرأتها. كونها أدركت أنّها كانت مكتوبةً من أعماق الشغف، وبأكثر المصطلحات اتّقاداً بالحبّ، فقد حرّكها التعاطف بدايةً، لأنّها كانت تعلم تماماً مصدر الرسالة ومن كانت

الآخر في خلفيّة الصورة. فيما بعد، فإنّ معظم الرجال الذين التقوا بها كانوا يعرفون بعلاقتها الشائنة مع نيتشة، وهذا لم يؤدِّ إلّا إلى زيادة رغبتهم بتملّكها، وبمزاحمة ذكرى نيتشة. ميل فرويد لها، على نحوٍ مشابه، تحوّل إلى رغبةٍ قويّة عندما اضطرّ للتنافس مع تاسك للاستئثار بانتباهها. فيما يخصّ سالوم: فقد كانت ذكيّة وجذّابة بما فيه الكفاية، لكنّ استراتيجيّتها الدائمة في فرض مثلّثٍ من العلاقات على المتودّدين إليها جعل الرّغبة بها قويّة جدّاً. وبينما كانوا يتقاتلون عليها، كانت تمسك بزمام القوّة، لكونها مرغوبة من الجميع وغير خاضعةٍ لأحد.

تخاطب؛ لكن بعدئذٍ فإنّ سطوة الكلمات التي قرأت كانت كبيرةً لدرجة أنّها صارت تقلّبها في ذهنها وتتخيّل من أيّ صنفٍ من الرجال هو حتّى كان قادراً على إيقاظ حبٍّ عظيم كهذا، هي نفسها بدأت تحبّه في تلك اللحظة؛ ودون ريب أنّ الرسالة كانت مؤثّرةً أكثر بكثير ممّا لو كان الشاب قد كتبها لها بنفسه. وتماماً كما يحدث في بعض الأحيان أنّ السّم المُعَدّ لقتل الأمير يقتل من يتذوّق طعامه، كذلك فإنّ المرأة المسكينة شربت من خلال جشعها إكسير الحبّ المُعَدّ لأخرى. ما عسانا أن نقول أكثر من هذا؟ العلاقة لم تكن سرّاً، وتطوّرت الأمور لدرجة أنّ العديد من النساء الأخريات إضافةً إلى هاتين بذلن غاية الجهد

رغبتنا بالشخص الآخر تتضمّن في جميع الأحوال تقريباً اعتباراتٍ اجتماعيّة: نحن ننجذب لهؤلاء الذين يُعتَبَرون جذّابين في نظر الآخرين. نرغب في أن نتملّكهم ونخطفهم بعيداً. تستطيع أن تصدّق كل الهراء العاطفي الذي ترغب في تصديقه عن الرغبة، لكن في النهاية، فإنّ معظم الرغبة تتعلّق بالغرور والطمع. لا تنتحب وتنظّر في مجال الأخلاق عن أنانيّة الناس، وإنّما ببساطة استخدمها لصالحك. الوهم بأنّك مرغوبٌ من قبل الآخرين سيجعلك أكثر جاذبيّةً لضحاياك من وجهك الجميل أو جسمك المثالي. والطريقة الأكثر فاعليّة في خلق ذلك الوهم تكون من خلال خلق مثلّث: إفرض شخصاً آخر، وبشكلٍ خفيّ إجعل ضحيّتك تدرك كم أنّ هذا الشخص الآخر يريدك. النقطة الثالثة على المثلّث لا يجب بالضرورة أن تكون شخصاً واحداً فقط: أَحِط نفسك بالمعجبين، أَظهِر فتوحاتك الغابرة - بكلمةٍ أخرى، غلّف نفسك بهالةٍ من المرغوبيّة. اجعل ضحاياك تتنافس مع ماضيك وحاضرك. سيتوقون لتملّكك كلّك لأنفسهم، مانحين إيّاك بذلك قوّةً عظيمة ما دمت تروغ من قبضتهم. إفشَل في أن تجعل نفسك موضعاً للرغبة مباشرةً من البداية، وستصبح في نهاية المطاف عبد نزوات وتقلّبات محبوبيك المثير للشفقة والسخرية - سيتخلّون عنك في اللحظة التي يفقدون فيها الاهتمام.

[الشخص] سيرغب بأيّ شيءٍ ما دام مقتنعاً بأنّه مرغوبٌ من قبل شخصٍ آخر هو معجبٌ به.

- رينية جيرارد

المفاتيح للإغواء

نحن مخلوقات اجتماعيّة، ونتأثّر بشكلٍ هائل بأذواق ورغبات الناس الآخرين. تخيّل تجمّعاً اجتماعيّاً كبيراً. أنت ترى رجلاً لوحده، لا يكلّمه أحد مهما مرّ من الوقت، والذي يهيم في المكان دون أن يرافقه أحد؛ ألا يوجد نوعٌ من العزلة المتحقّقة ذاتيّاً بشأنه؟ لماذا هو لوحده، لماذا هو مُتَجَنّب؟ لا بدّ أن يكون هنالك سبب. إلى أن يشفق أحدهم عليه ويبدأ محادثةً معه، فسيبدو مرفوضاً وغير مرغوبٍ فيه. لكن يوجد هنالك في ركنٍ آخر من المكان امرأةٌ محاطةٌ بالناس. هم يضحكون على تعليقاتها، وعندما يضحكون، ينضم آخرون للمجموعة، بعد أن جذبهم المرح الذي يسودها. عندما تتنقّل في المكان، الناس يتبعونها. لا بدّ أن يكون هنالك سبب.

والعناية للظفر بحب هذا الرجل، وذلك نكايةً بالأخريات من جهة واقتداءً بهنّ من جهةٍ أخرى، فتشاجرن عليه لفترة كما يتشاجر الصبية على الكرز.

ـ بلثزار كاستيليوني، *كتاب رجل الحاشية*، ترجمة جورج بُل

في كلتا الحالتين، بالطبع، فإنّه ليس بالضرورة حقّاً أن يكون هنالك سببٌ على الإطلاق. الرجل المُتَجاهَل قد يتحلّى بخصائص ساحرةٍ بحق، هذا إن حدث وتكلّمت معه؛ لكنّك على الأرجح لن تتكلّم. المرغوبيّة هي وهم اجتماعي. هي لا تنبع ممّا تقوله أو تفعله، أو أيِّ نوعٍ من التباهي أو الترويج الذاتي، بقدر ما تنبع من الإحساس بأنّ الناس الآخرين يرغبون بك. لكي تحوّل اهتمام ضحاياك إلى شيءٍ أعمق، إلى الرغبة، يتوجّب عليك أن تجعلهم يرونك كشخصٍ يعزّه الآخرون ويشتهونه. تتّسم الرغبة بكلٍّ من المحاكاة (نحبّ ما يحبّه الآخرون) والتنافس (نحبّ أن نأخذ من الآخرين ما لديهم). كأطفال، كنّا نريد أن نحتكر اهتمام والدينا، أن نسحبه بعيداً عن الإخوة الآخرين. حسّ المنافسة هذا يتخلّل الرغبة البشريّة، ويتكرّر طوال حياتنا. إجعل الناس يتنافسون للحصول على انتباهك، إجعلهم يرونك على أنّك مطلوبٌ من قبل جميع الآخرين. عندها ستلفّك هالة المرغوبيّة.

سيكون من مصلحتك بشكلٍ كبير أن تسلّي الفتاة التي سوف تحظى بها بوصفٍ لعدد النساء اللواتي يحببنك، ولعروض الصداقة الواضحة التي قدّمنها لك؛ لأنّ هذا لن يثبت وحسب أنّك أثيرٌ عظيم لدى السيّدات، ورجل مجدٍ حقيقيٍ، ولكن سيقنعها أيضاً بأنّها قد تحظى بشرف إدراجها في نفس القائمة، وبأنّها ستُطرى بنفس الطريقة، في حضرة

معجبوك قد يكونون أصدقاءك أو حتّى مغازليك. سمِّ هذا الشيء أثر الحريم (الحرملك). باولين بونابرت، أخت نابوليون، رفعت قيمتها في أعين الرجال من خلال إحاطة نفسها على الدوام بمجموعةٍ من الرجال المُوَلَّهين في الحفلات الراقصة والسهرات. إذا ذهبت لتتمشّى، فلم تكن تفعل ذلك أبداً برفقة رجلٍ واحد، وإنّما برفقة اثنين أو ثلاثة. لعلّ هؤلاء الرجال كانوا

أصدقاءها ببساطة، أو حتّى مجرّد مساعدين وطفيليّات؛ رؤيتهم كانت كافية لتوحي بأنّها كانت مثمّنة ومرغوبة، امرأة تستحقُّ التقاتل عليها. آندي وارهول، أيضاً، أحاط نفسه بأكثر الناس سحراً وإثارةً للاهتمام من الذين استطاع إيجادهم. أن تكون جزءاً من حلقته الداخليّة كان يعني أنّك أيضاً مرغوبٌ بك. من خلال وضع نفسه في المنتصف لكن إبقاء نفسه بعيداً عنها كلّها، فقد جعل الجميع يتنافس للحصول على انتباهه. أثار رغبة الناس بامتلاكه من خلال الانكفاء.

صديقاتك الإناث الأخريات. هذا سوف يبهجها إلى حدٍّ كبير، ولا يجدر بك أن تتفاجأ إن أظهرت إعجابها بشخصيتك برمي ذراعيها على عنقك في التو واللحظة.

- لولا مونتيز، فنون *وأسرار الجمال، مع إشارة إلى رجال في فن الإبهار*

ممارساتٌ كهذه لن تحفّز رغباتٍ تنافسيّة وحسب، وإنّما تستهدف أيضاً نقطة الضعف الرئيسة لدى الناس: الغرور وتقدير الذات. نستطيع تحمّل الشعور بأنّ شخصاً آخر، يتحلّى بموهبة أكبر، أو مالٍ أكثر، لكنّ الإحساس بأنّ منافساً يتحلّى بقدرٍ أكبر من المرغوبيّة ممّا نتحلّى به - فذلك شيءٌ لا يُحتمل. في بداية القرن الثامن عشر، تدبّر الدوق دي رايشليو، الخليع العظيم، أن يغوي شابّةً متديّنةً بعض الشيء لكنّ زوجها الأبله غالباً ما كان بعيداً عنها. بعد ذلك استأنف ليغوي جارتها في الطابق العلوي، والتي كانت أرملةً في مقتبل العمر. عندما اكتشفت المرأتان بأنّه كان يذهب من واحدةٍ إلى الأخرى في نفس الليلة، فقد واجهتاه. رجلٌ أقلّ شأناً كان سيهرب، لكن ليس الدوق؛ فقد كان يفهم ديناميكيّة الغرور (الزهو) والرغبة. ولا واحدة من المرأتين كانت راغبةً بالشعور بأنّه يفضّل الأخرى. وهكذا تدبّر ترتيب علاقة جنسيّة ثلاثيّة على نحوٍ مصغّر، بعد أن عرف أنّهن الآن كانتا ستتصارعان فيما بينهما كي تكون كلّ واحدةٍ الأثيرة عنده. عندما يكون زهو الناس وخيلاءهم على المحكّ، فإنّك تستطيع أن تجعلهم يفعلون أيّ شيءٍ تريده. تبعاً لستندال، إذا كان هنالك امرأة أنت مهتمٌّ بها، فاهتمّ بأختها. ذلك سيثير رغبةً مثلّثة.

رغبة [رينيه] جيرارد المتسمة بالتقليد والمحاكاة تحدث عندما يرغب عنصرٌ إفراديّ بشيء لأنّه مرغوبٌ من قبل عنصرٍ آخر والذي يُشارُ إليه في هذا الموقع كمزاحم: تُصاغ الرغبة على غرار أماني وأفعال الآخر. يقول فيليب لاكولابارث أنّ «الفرضيّة الأساسيّة التي يستوي عليها تحليل جيرارد المشهور [هي أنّ] كلّ رغبة

صيتك - ماضيك المجيد كمغوٍ - هو طريقة فعّالة في خلق هالةٍ من المرغوبيّة. رمت النساء بأنفسهنّ على قدميّ إيرول فلين، ليس بسبب وجهه الوسيم، وبالتأكيد ليس بسبب مهاراته في التمثيل، وإنّما بسبب سمعته. علمن بأنّ النساء الأخريات وجدن أنّ جاذبيّته لا تُقاوَم. ما إن أسّس تلك

السمعة، حتّى لم يعد مضطرّاً لملاحقة الفتيات بعد ذلك؛ كنّ يأتين إليه. الرجال الذين يعتقدون بأنّ صيت الخلاعة سيجعل النساء تخافهم وترتاب بهم، وأنّ صيتاً كهذا يجب أن يُعَتّم عليه، هم مخطئون تماماً. على النقيض من ذلك، فإنّ صيتاً كهذا يجعلهم أكثر جاذبيّة. دوقة دي مونبنسيير، *المدموزيل العظمى*، من فرنسا القرن السابع عشر، بدأت بالاستمتاع بصداقة الخليع لوزان، لكن سرعان ما عكّرت صفوها فكرة مزعجة: إذا لم يجدها رجلٌ بمثل ماضي لوزان كحبيبةٍ محتملة، فهذا يعني بالضرورة أنّه يوجد فيها خللٌ ما. هذا القلق وهذا الحصر دفعاها في النهاية إلى ما بين ذراعيه. أن تكون عضواً في نادي مغوٍ عظيم من الفتوحات يمكنه أن يكون مسألة خيلاء وكبرياء. نكون سعداء بهذه الصحبة، بأن يذيع اسمنا كحبيبة هذا الرجل أو حبيب هذه المرأة. سمعتك الخاصّة قد لا تكون مغريةً لهذه الدرجة، لكنّك يجب أن توجد طريقة لتوحي لضحيّتك، بأنّ آخرين، آخرين كثر، قد وجدوا أنّك شخصٌ جذّاب ومرغوبٌ فيه. هذا شيءٌ مطمئن. لا يوجد شيءٌ كمطعمٍ مليءٍ بالطاولات الفارغة أكثر قدرةً على إقناعك بعدم الدخول.

هي رغبة الآخر (وليست الرغبة بالشيء بشكلٍ مباشر)، كل بنية من بنى الرغبة هي بنية مثلّثية (تتضمّن الآخر ـ كوسيط أو مثال يُحتَذى ـ والذي تحاكي رغبتك رغبته)، بالتالي فإنّ كلّ رغبة منذ استهلالها تكون موسومةً بالكره والتزاحم؛ باختصار، فإنّ مصدر الرغبة هو التقليد ـ المحاكاة ـ ولم تتشكّل على الإطلاق رغبةٌ من شأنها ألاّ ترغب على الفور بموت أو اختفاء النموذج أو الرمز التمثيلي الذي كان السبب في نشوئها.

ـ جايمس ماندرل، دون جوان ونقطة الشرف

استخدام التباينات هو تنويعٌ على استراتيجيّة المثلّث: استغلالٌ مقتصد للناس الأغبياء أو غير الجذّابين قد يعزّز مرغوبيّتك بالمقارنة. في حدثٍ اجتماعيّ، على سبيل المثال، احرص على أن يضطرّ هدفك للتحادث مع أكثر شخصٍ مملٍّ في المتناول. تعال للإنقاذ وسيكون هدفك مبتهجاً لرؤيتك. في *يوميّات المغوي*، للكاتب سورين كيركيجارد، كان لدى جوهانز مخطّطات تجاه كورديليا اليافعة البريئة. شجّع صديقه إدوارد على التودّد إليها وملاطفتها كونه كان يعلم أنّه خجولٌ وبليد بشكلٍ ميئوسٍ منه؛ عدّة أسابيع من مجاملة وملاطفة إدوارد ستجعل عينيها تطوفان بحثاً عن شخصٍ آخر، *أيّ شخصٍ* آخر، وسيحرص جوهانز على أن تقع عيناها عليه. يعمد جوهانز للتخطيط الاستراتيجي والمناورة، لكنّ أيّ وسطٍ اجتماعيٍّ تقريباً يحتوي على متناقضات تستطيع استخدامها والاستفادة منها بشكلٍ يكاد يكون طبيعيّاً. الممثّلة الإنكليزيّة نيل جوين من القرن السابع عشر أصبحت العشيقة الأساسيّة للملك تشارلز الثاني لأنّ ظرافتها وعدم تكلّفها جعلاها أكثر جاذبيّةً ومرغوبيّةً بما لا يقاس بالمقارنة مع العديد من سيّدات بلاط تشارلز

من المزعج أنّ صديقنا الجديد يحبّ الصبي. لكن أليست أفضل الأشياء في

المتشنّجات والمدّعيات. عندما التقت الممثّلة جيانغ كينغ (من شانغهاي) بماوتسي تونغ، في عام 1937، فإنّها لم تضطر لفعل الكثير حتّى تغويه؛ فالنساء الأخريات في معسكره الجبلي في ينان كنّ يرتدين كالرجال، وغير أنثويّات بلا جدال. النظر إليها لوحده كان كافياً لإغواء ماو، الذي سرعان ما هجر زوجته من أجلها. لكي تستخدم التباينات وتستفيد منها، فعليك إمّا أن تطوّر وتعرض تلك الصفات المميّزة (حس الفكاهة، الحيويّة، وهلمّ جرّاً) التي تكون الأندر في مجموعتك الاجتماعيّة الخاصّة، أو أن تختار مجموعةً تكون فيها خصائصك الطبيعيّة نادرةً، وبالتالي ستشعّ.

استخدام المتباينات لديه تشعّباتٌ واسعة في عالم السياسة، لأنّ الشخصيّة السياسيّة يجب عليها أيضاً أن تغوي وتبدو مرغوبة. تعلّم أن تشدّد على الخصائص التي يفتقر إليها منافسوك. بيتر الثاني الذي كان قيصر روسيا في القرن الثامن عشر، كان مغروراً وغير مسؤول، لذا فإنّ زوجته، كاثرين العظمى فعلت كلّ ما بوسعها لكي تبدو متواضعة وجديرةٌ بالاعتماد عليها. عندما عاد ڤلاديمير لينين إلى روسيا في عام 1917 بعد الإطاحة بالقيصر نيكولاس الثاني، فقد أظهر الحسم والانضباط ـ وهذا بالضبط ما لم يكن يتمتّع به أيّ قائدٍ في ذلك الوقت. في السباق الرئاسي الأمريكي في عام 1980، فإنّ حيرة (تردّد) جيمي كارتر جعلت رونالد ريغان الموطّد العزم يبدو مرغوباً. تغوي المتباينات بشكلٍ هائل لأنها لا تعتمد على كلماتك أو ترويجك لنفسك. يقرؤها الجمهور بشكلٍ غير واعٍ، ويرى ما يريد رؤيته.

أخيراً، فإنّ ظهورك بمظهر المشتهى والمرغوب فيه سوف يرفع من قيمتك، لكن غالباً ما يكون بإمكان الكيفيّة التي تطرح بها نفسك أن تؤثّر على هذا أيضاً (على قيمتك.) لا تدع أهدافك تراك كثيراً؛ أبقِ على مسافتك، اظهر على أنّك شيءٌ لا يمكن بلوغه، وبعيدٌ عن متناولهم، الشيء النادر والذي لا يمكن الحصول عليه إلّا بصعوبة يُقَدَّرُ أكثر على وجه العموم.

الحياة مُتاحةٌ بالمجّان للجميع؟ الشمس تشرق على الجميع. القمر، برفقة عددٍ لا يُحصى من النجوم، يقود حتّى الوحوش إلى المرعى. هل يسعك أن تفكّر بشيءٍ أجمل من الماء؟ لكنّه يتدفّق للعالم بأسره. هل الحبّ لوحده إذن شيءٌ مُختَلَس ومسروق بدلاً من أن يكون مصدر فخرٍ وسعادة؟ بالضبط، ذلك ما هو عليه تماماً ـ لا أريد أيّاً من الأشياء الحلوة في الحياة إن لم يكن الأناس الآخرين بحاسدين لها.

- بيترونيوس، *الساتيريكون*، ترجمة جاي. بي. سوليڤان

الرمز: المداليّة الشيء الذي
يجعلك ترغب بالفوز بالمداليّة، وأن تنظر إليها
كشيءٍ يستحقّ الحصول عليه، هو مشهد المتنافسين
الآخرين. البعض، بدافعِ من روح الكرم، قد يرغبون في
أن يكافئوا الجميع على المحاولة، لكنّ المداليّة عندها
تخسر قيمتها. لا يجب أن تمثّل انتصارك وحسب
وإنّما خسارة كل الآخرين أيضاً.

معظم الوقت نفضّل شيئاً على آخر لأنّ ذلك ما يفضّله أصدقاؤنا أساساً أو لأنّ ذلك الشيء قد وُسِم بأهمّيةٍ إجتماعيّة. الراشدون، عندما يكونون جائعين، يكونون تماماً مثل الأطفال في سعيهم وراء الطعام الذي يأخذه الآخرون. في علاقاتهم الغراميّة، هم يسعون وراء الرجل الذي أو المرأة التي يجده/ها الآخرون جذّاباً/بةً ويتركون أولئك الذين لا يُسعى وراءهم. عندما نقول عن رجلٍ أو امرأة أنّه جذّاب/بة، فإنّ ما نعنيه بحقّ هو أنّ الآخرين يرغبون بهم. ليس السبب هو أنّهم يتمتّعون بخاصّيّةٍ محدّدة، وإنّما السبب هو أنّهم ينسجمون مع طرازٍ مطابقٍ للزي الحديث في الوقت الحاضر.

ـ سيرج موسكوفيتشي، *زمن العامّة: بحث في علم نفس الجماهير.*
ترجمة جاي. سي وايتهاوس

الانقلاب

لا يوجد انقلاب. من الجوهري أن تبدو مرغوباً في عيون الآخرين.

5

إخلق حاجة ـ أَثِر القلق وعدم الرضى

الشخص الراضي على نحوٍ
كامل لا يمكن إغواؤه. التوتر وعدم الانسجام
لا بد أن يُغرَسا في عقول أهدافك. أثِر فيهم مشاعر
السخط وعدم السعادة حيال ظروفهم وحيال أنفسهم: حياتهم
تفتقر إلى المغامرة، لقد حادوا عن مثاليات صِباهم، قد أصبحوا
مملّين. مشاعر عدم الكفاءة التي تخلقها سوف تعطيك الحيِّز
لِتَنْدُس بنفسك، وتجعلهم يرون فيك الإجابة على مشاكلهم.
الألم والقلق هم المُوَطِّئان الصحيحان للّذة.
تعلم أن تُصَنِّع الحاجة التي تستطيع
أن تسدَّها.

فتح جرح

في بلدة التنجيم عن الفحم التي تُدعى إيستوود، في وسط إنكلترا، كان يُعتبَر داڤيد هربرت لورانس كنوعٍ من الغلام غريب الأطوار. كان شاحباً ورقيق الصحّة، ولم يكن لديه وقتٌ للألعاب أو الاهتمامات الصبيانيّة، بل كان مهتمّاً بالأدب؛ ويفضّل صحبة البنات اللاتي كنّ يشكّلن معظم أصدقائه. لورانس غالباً ما كان يزور أسرة شامبرز الذين كانوا جيرانه إلى أن انتقلوا من إيستوود إلى مزرعةٍ ليست بعيدة. كان يحبّ أن يدرس مع بنات أسرة شامبرز، وخاصّةً جيسي؛ كانت خجولة وجديّة، وحَملُها على الانفتاح (الإفصاح) والثقة به كان تحدّياً ممتعاً. تنامى تعلّق جيسي بلورانس إلى حدٍّ بعيد عبر السنين، وأصبحا صديقين عزيزين.

لا يمكن لأحدٍ الوقوع في الحبّ إذا كان راضياً ولو جزئياً بما لديه أو عمّ هو عليه. تجربة الوقوع في الحبّ تنشأ من إحباطٍ شديد، أي من عدم القدرة على إيجاد شيءٍ ذي قيمة في الحياة اليوميّة. «عارض» القابليّة للوقوع في الحبّ هو ليس رغبةً واعيةً لفعل هذا، أي الرغبة الشديدة بإغناء حياتنا؛ وإنّما هو الإحساس العميق بانعدام القيمة وبعدم امتلاك شيءٍ ثمين وبالعار لعدم امتلاك شيءٍ كهذا... لهذا السبب، يحدث الوقوع في الحبّ

ذات يوم من عام 1906، لم يأتِ لورانس ـ الذي كان في الحادية والعشرين من عمره في ذلك الوقت ـ في الوقت المعتاد لدراسته مع جيسي. وصل أخيراً لكنْ متأخّراً جدّاً، وفي مزاجٍ لم تكن قد رأته فيه من قبل ـ مشغول البال وصامتاً. الآن حان دورها لكي تجعله يفضي بسريرة نفسه. تكلّم أخيراً: شعر بأنّها كانت تصبح قريبةً منه للغاية. ماذا عن مستقبلها؟ من كانت ستتزوّج؟ بالتأكيد ليس هو، هكذا قال، لأنّهم كانوا مجرّد أصدقاء. لكنّه ليس إنصافاً من قبله أن يمنع عنها رؤية الآخرين. يجب بالطبع أن يظلّوا أصدقاء وأن تظلّ لهم أحاديثهم، لكن لعلّه من الأجدر بهم أن تكون (أي أحاديثهم) أقلّ تواتراً. عندما انتهى من كلامه وغادر، شعرت بفراغٍ غريب. لم تكن مضطرّةً بعد لأن تفكّر أو تعبأ كثيراً بالحب أو الزواج. فجأةً صارت تنتابها الشكوك. كيف سيكون مستقبلها؟ لماذا لم تكن تفكّر به؟ شعرت بالقلق والانزعاج، دون أن تعرف لماذا.

استمرّ لورانس بالزيارة، لكنّ كلّ شيءٍ كان قد تغيّر. انتقدها لكلّ شاردة وواردة. لم تكن جذّابةً جدّاً من الناحية الجسديّة. أيّ نوعٍ من الزوجات ستكون على أيّة حال؟ الرجل يحتاج من المرأة إلى أكثر من مجرّد الكلام. شبّهها براهبة. أخذا يلتقيان بشكلٍ أقلّ. عندما، في وقتٍ لاحق، قبل لورانس وظيفةً كمعلّم في مدرسةٍ خارج لندن، فإنّها شعرت بالراحة جزئيّاً للتخلّص منه لبعض الوقت. لكنّه عندما قال لها: الوداع، ولمحّ إلى أنّه قد يكون الوداع الأخير، انهارت وبكت. بعدها بدأ بإرسال رسائل أسبوعيّة لها. كان يكتب عن الفتيات اللاتي كان يلتقي بهنّ؛ لعلّ إحداهنّ ستكون زوجته. أخيراً، زارته في لندن بناءً على طلبه. انسجما مع بعضهما البعض بشكلٍ حسن، كما في الأيّام الخوالي، لكنّه استمرّ بمضايقتها عن مستقبلها وعلى نحوٍ موصول، ناكئاً بذلك ذاك الجرح القديم. عاد إلى إيستوود في عيد الميلاد، وبدا متهلّلاً عندما زارها. كان قد قرّر أنّ جيسي هي من كان ينبغي عليه الزواج بها، وأنّه في الواقع كان منجذباً إليها من البداية. طلب منها أن يبقيا الأمر سرّاً لبعض الوقت؛ فبالرغم من أنّ مسيرته المهنيّة ككاتب كانت آخذةً بالصعود (روايته الأولى كانت على وشك أن تُنشَر)، إلّا أنّه كان بحاجةٍ لجني مزيدٍ من المال. أُخِذَت جيسي على حين غرّة بهذا الإعلان المفاجئ وغمرتها السعادة، فوافقت على كلّ شيء وأصبحا عاشقين.

بشكلٍ أكثر تكراراً عند النّاس اليافعين، نظراً لكونهم عرضة للشك على نحوٍ عميق، وغير واثقين من قيمتهم، وغالباً ما يخجلون من أنفسهم. نفس الشيء ينطبق على الناس من الفئات العمريّة الأخرى عندما يفقدون شيئاً من حياتهم - عندما ينتهي شبابهم أو عندما يبدؤون بالتقدّم بالسن.

- فرانسيسكو آلبيوني، *الوقوع في الحبّ*، ترجمة لورانس ڤنوتي

سرعان ما تكرّر النمط القديم على أيّة حال: الانتقادات، الانفصالات، التصريحات بأنّه كان مرتبطاً بفتاةٍ أخرى. هذا لم يؤدِّ إلّا إلى زيادة إحكام سيطرته عليها. أخيراً قرّرت ألاّ تراه أبداً وذلك في عام 1912 بعد أن انزعجت من تصويره (وصفه) إيّاها في روايته التي يتناول فيه سيرته الذاتيّة *أبناء وأحبّاء*. لكنّ لورانس ظلّ هوساً وهاجساً رافقها مدى الحياة.

في عام 1913، بدأت شابّةٌ إنكليزيّةٌ تُدعى آيڤي لو، كانت قد قرأت روايات لورانس، بالتراسل معه، وكانت رسائلها تتفجّر بالإعجاب. في ذلك الحين كان لورانس متزوّجاً من امرأةٍ ألمانيّة، البارونة فريدا فون رايختوفن. دعاها لتزوره وزوجته في إيطاليا، الأمر الذي فاجأ لو على الرغم من تمنّيها له. علمت أنّه كان دونجواناً بشكلٍ أو بآخر، لكنّها كانت متلهّفةً للّقاء به،

«ماذا يمكن للحبّ أن يكون إذاً؟» قلت أنا. «شيءٌ فانٍ؟» «هيهات.» «حسنٌ، ماذا؟» «كما في أمثلتي السابقة، هو في منتصف الطريق بين ما هو فانٍ وما هو خالد.» أيّ نوعٍ من الكينونة يكون إذاً، يا ديوتيما؟» «هو روحٌ عظيمة، يا سقراط؛ كلّ شيءٍ ذي طبيعةٍ

فقبلت دعوته. لم يكن لورانس كما توقّعته: فصوته كان حادّاً، وعيناه ثاقبتان، وكان فيه جانبٌ أنثويٌّ بشكلٍ غامض. سرعان ما أخذا يتنزّهان سويّةً، وصار لورانس يثق بلو ويفضي بدخيلة نفسه إليها. شعرت بأنّهما كانا يصبحان صديقين، الأمر الذي أسعدها. ومن ثمّ فجأةً، قبل أن تهمّ بالرحيل مباشرةً، شنّ عليها سلسلةً من الانتقادات ـ كانت غاية في اللاعفويّة، ويسهل التنبّؤ جدّاً بتصرّفاتها، وبشريّتها أقل من تلك التي عند الروبوت. اضطرّت للموافقة بالرّغم من أنّ هذا التهجّم غير المتوقّع أزعجها وصدمها للغاية ـ فقد كان ما قاله صحيحاً. ما الذي يمكن أن يكون قد رآه فيها في المقام الأوّل؟ من كانت هي على أيّة حال. غادرت لو إيطاليا وهي تشعر بالفراغ ـ لكن لورانس استمرّ بإرسال الرسائل لها، وكأنّ شيئاً لم يحصل. سرعان ما أدركت أنّها وقعت في حبّه بجنون، بالرغم من كل شيء كان قد قاله لها. أو لم يكن ذلك بالرّغم مما قاله لها، وإنّما بسببه؟

في عام 1914، تلقّى الكاتب جون ميدلتون ـ مَري رسالةً من لورانس الذي كان صديقه الحميم. في الرسالة، وبشكلٍ خارجٍ عن أيّ سياق، انتقد لورانس ميدلتون ـ مَري لكونه عديم العاطفة وغير دمثٍ بما فيه الكفاية مع زوجته، الروائيّة كاثرين مانسفيلد. كتب ميدلتون ـ مَري فيما بعد، «لم أشعر أبداً حيال رجلٍ من قبل مثلما جعلتني هذه الرسالة أشعر تجاهه. لقد كانت شيئاً جديداً وفريداً بالنسبة لتجربتي؛ وكانت لتظلّ كذلك.» لقد شعر بأنّه تحت انتقادات لورانس يكمن نوعٌ غريبٌ من الحبّ. كلّما رأى لورانس من ذلك الحين فصاعداً، كان يشعر بانجذابٍ جسديٍّ غريب لم يستطع تفسيره.

التفسير. عدد النساء، والرجال الذين وقعوا تحت سحر لورانس كان مذهلاً بالقياس إلى كم كان بإمكانه أن يكون بغيضاً ومزعجاً. في جميع الحالات تقريباً كانت العلاقة تبدأ بالصداقة ـ بالأحاديث الصريحة، تبادل الأسرار، الرابط الروحي. ومن ثمّ، في معظم الحالات إن لم يكن كلّها، كان ينقلب ضدّهم فجأةً، ويتفوّه بانتقاداتٍ شخصيّة لاذعة وقاسية. يكون قد عرفهم جيّداً في ذلك الحين، والانتقادات غالباً ما كانت صحيحةً فعلاً،

روحية يكون نصف إله ونصف رجل.» ... «من أبويه؟» سألت أنا. «تلك قصّةٌ طويلة نوعاً ما،» أجابت هي، «لكنني سأخبرك. في اليوم الذي وُلِدَت فيه أفروديت، كانت الآلهة تقيم مأدبةً، ومن بينهم الحيلة الذي هو ابن الإختراع؛ وبعد العشاء، قدمت الفاقة كي تتوسّل، بعد أن رأت أنّ الحفلة كانت دائرة، ووقفت على الباب. الآن كان الحيلة سكراناً بالرحيق الإلهي ـ فيسعني أن أقول أنّ النبيذ لم يُكتَشَف بعد ـ فذهب إلى حديقة زيوس، وغلبه النوم. وهكذا فإنّ الفاقة نامت معه فحبلت بالحبّ، وذلك بقصد التخفيف من حالتها البائسة. بما أنّ الحبّ تكون في يوم ميلاد أفروديت، وبما أنّ لديه أيضاً شغفاً فطرياً بما هو جميل، وبالتالي بجمال

وتضرب وتراً حسّاساً. هذا كان حتماً سيحدث اضطراباً لدى ضحاياه، وإحساساً بالقلق والحصر، نتيجة الشعور بأنّهم يعانون من خللٍ ما. كانوا يشعرون بالتمزّق (الانقسام) الداخلي بعد أن زُلزِل إحساسهم المعتاد بالحالة السويّة (بأنّهم أسوياء). فتارةً يتساءلون في تعجّبٍ عن سبب فعله لهذا، وتارةً يصدّقون أنّ كل ما قاله كان صحيحاً. بعدئذٍ، في تلك اللحظات من الشك في أنفسهم ومقدراتهم، كانوا يتلقّون رسالةً أو زيارةً منه يكون فيها شخصه المعتاد الساحر.

الآن أصبحوا يرونه بعينٍ مختلفة، وأصبحوا ضعفاء وهشّين وبحاجةٍ لشيءٍ ما؛ وهو يبدو غايةً في القوّة. عندها كان يشدّهم إليه، بعد أن تتحوّل مشاعر الصداقة إلى التعلّق والرغبة. بمجرّد ما يشعرون بعدم الثقة حيال أنفسهم، يكونون عرضةً للوقوع بالحب.

معظمنا نحمي أنفسنا من قسوة الحياة من خلال الاستسلام للأعمال الروتينية والنمطية، ومن خلال إغلاق أنفسنا عن الآخرين. لكن يكمن تحت هذه العادات إحساس مروّع باللاأمان والدفاعيّة. نحن نشعر بأنّنا لا نعيش حقّاً. يجب على المغوي أن ينكأ هذا الجرح ويجلب هذه الأفكار نصف الواعية إلى خانة الوعي الكامل. هذا ما فعله لورانس: طعناته المفاجئة وغير المتوقّعة والوحشيّة كانت تصيب الناس في نقطة ضعفهم.

بالرغم من أنّ لورانس حظي بنجاحٍ عظيم من خلال مقاربته الجبهيّة، إلّا أنّه في أغلب الأحيان يكون من الأفضل إثارة الأفكار عن عدم الكفاءة واللاتأكّد (عدم الثقة) بشكلٍ غير مباشر، من خلال التلميح إلى مقارناتٍ بنفسك أو بالآخرين، ومن خلال الإيحاء بطريقةٍ ما أنّ حياة ضحاياك ليست بالعظمة التي هم يعتقدونها. أنت تريد أن تجعلهم يشعرون بحالة حربٍ وصراعٍ مع أنفسهم، مُمزَّقين في اتّجاهين، وقلقين حيال هذا. القلق أو الحصر، الذي هو شعورٌ بالنقص والحاجة هو المُؤهّب لكل الرغبة. هذه الهزّات والارتجاجات في عقل الضحيّة تخلق مجالاً لك لكي تَدُسّ بسُمّك، المشابه لنداء الحوريّة للمغامرة أو الإشباع الذي سيجعلهم يتبعونك إلى داخل

أفروديت نفسها، فقد أصبح تابعها وخادمها. مجدّداً، نظراً لأنّ الحيلة أبوه والفاقة أمّه، فإنّه يحمل هاتين الصفتين. هو دائماً فقير، وأبعد ما يكون عن كونه حسّاساً وجميلاً، كما يتخيّل معظم الناس، فهو كالح، حافٍ وشريد، ونتيجة عوزه للسرير فإنّه ينام دائماً في العراء، على الأرض، على عتبات الأبواب، وفي الشارع. هو يتقفّى أثر أمّه لحدّ الآن ويعيش في العوز. لكن، وبما أنّه ابن أبيه، فإنّه يخطّط دائماً ليحصل لنفسه على أيّ شيءٍ جميلٍ وحسنٍ؛ هو جريء وهجومي ومتّقد، إذ دائماً ما يبتكر الحيل مثل الصياد البارع.»

- أفلاطون، *الندوة*، ترجمة والتر هاميلتون

نحن جميعاً مثل قطع النقود التي يقسمها الأطفال إلى نصفين لكي تصبح تذكاراً -

شبكتك. من دون القلق (الحصر) والإحساس بالنقص لا يمكن أن يكون هنالك إغواء.

الرغبة والحبّ يختبئان لمن يختبرهم أشياء أو خصائص لا يملكها المرء في الوقت الحاضر وإنّما يفتقر إليها.

ـ سقراط

صانعين اثنتين من الواحدة، مثل السمك المفلطح ـ وكلٌ منّا يبحث أبد الدهر عن النصف الذي سوف يتمّمه ... وهكذا فإنّ كلّ هذا اللغط هو تذكار من حالتنا الأصلية عندما كنّا كاملين، والآن، عندما نتوق لذلك الكمال البدائي ونسعى وراءه، فإنّنا نقول أنّنا في حالة حبّ.

ـ خطاب أريستوفان في *الندوة* لأفلاطون، مُقتبس في *دونجوان ونقطة الشرف* لجايمس ماندرل

المفاتيح للإغواء

الجميع يرتدي قناعاً في المجتمع؛ نحن ندّعي أنّنا أكثر ثقةً بأنفسنا ممّا نحن عليه في الواقع. نحن لا نريد الناس الآخرين أن يلمحوا النفس المشكّكة التي في داخلنا. في الحقيقة، فأنّ أنواتنا (جمع أنا) وشخصيّاتنا هي أكثر هشاشةً بكثير مما تبدو عليه؛ هي تغطّي مشاعر الارتباك والفراغ. كمغوٍ، عليك ألاّ تخلط أبداً ما بين مظهر الشخص وحقيقته. الناس دائماً عرضةٌ لأن يُغوَوا، لأنّ الجميع في الواقع يفتقر إلى حسّ الكمال، ويشعر بأنّ شيئاً ما مفقودٌ في داخله. أخرج شكوكهم وأسباب قلقهم إلى السطح وعندها يمكن قيادتهم وإغراءهم حتّى يتبعوك.

لا أحد يستطيع أن يراك كشخصٍ يمكن اتّباعه أو الوقوع في حبّه إلّا إذا فكّروا أوّلاً بأنفسهم بطريقةٍ ما، وبما يفتقدونه. قبل أن يستأنف الإغواء، عليك أوّلاً أن تضع مرآةً أمامهم كي يلمحوا من خلالها ذاك الفراغ الداخلي. كونهم قد أصبحوا مدركين لوجود نقص، فإنّهم يستطيعون الآن أن يركّزوا عليك بوصفك الشخص الذي يستطيع أن يملأ ذلك المكان الفارغ. تذكّر: معظمنا كسولون. أن نتخلّص لوحدنا (دون مساعدة) من مشاعر الضجر أو عدم الكفاءة يتطلّب كثيراً من الجهد؛ أن تدع شخصاً آخر يقوم بالعمل هو أمرٌ أسهل وأكثر تشويقاً على حدٍّ سواء. الرغبة بأن يكون لدينا شخصٌ يملأ فراغنا هو الضعف الذي يقتات عليه جميع المغوين. إجعل الناس قلقين حيال مستقبلهم، إجعلهم محبطين ومكتئبين، إجعلهم يتساءلون

دون جون: سُعِدت بلقياك، أيتها الفتاة الجميلة! ماذا! هل يوجد هنالك مخلوقاتٌ جميلة مثلك فيما بين هذه الحقول والأشجار والصخور؟ • شارلوتا: أنا كما ترى يا سيّدي. • دون جون: هل أنت من هذه القرية؟ • شارلوتا: نعم يا

عن هويّتهم، إجعلهم يستشعرون الضجر الذي ينخر حياتهم. الأرض مجهّزة. يمكن أن تُزرَع بذور الإغواء.

في محاورة أفلاطون *الندوة* ـ وهي البحث الأقدم في الغرب عن الحب، ونصٌّ ذي أثرٍ حاسمٍ على أفكارنا عن الرغبة ـ تشرح المحظيّة ديوتيما لسقراط نسب إيروس، إله الحبّ. والد إيروس كان الحيلة، أو المكر، ووالدته كانت الفقر، أو الحاجة. يحذو إيروس حذو والديه: فهو في حالة حاجةٍ دائمة، فيلجأ للمكر والتآمر كي يلبّيها. كإلهٍ للحبّ، يعلم أنّ الحب لا يمكن أن يُحدَثَ في الشخص الآخر إلّا إذا شعر أيضاً بالحاجة. وذلك ما كانت تفعله سهامه: باختراق لحم الناس، تجعلهم يشعرون بنقص، بألم، بجوع. هذا هو جوهر مهمّتك كمغوي. على غرار إيروس، عليك أن تخلق جرحاً في ضحيّتك، من خلال استهداف نقطة ضعفهم، أي الصدع في تقديرهم لذاتهم. إذا كانوا عالقين في وضعٍ مملّ، فاجعلهم يستشعرون هذا على نحوٍ أعمق، وذلك من خلال إثارة الموضوع والتحدّث عنه «ببراءة». ما تحتاج إليه هو جرح، شعورٌ باللاأمان تستطيع توسيعه قليلاً، قلقٌ يُستَطاع تلطيفه كأفضل ما يكون من خلال الارتباط مع شخصٍ آخر، هو أنت بالتحديد. يجب أن يحسّوا بالجرح قبل أن يقعوا في الحب. لاحظ كيف كان لورانس يثير القلق، من خلال الاستهداف الدائم لنقطة ضعف ضحاياه: بالنسبة لجيسي شامبرز، برودتها الجسديّة؛ بالنسبة لآيڤي لو، افتقارها للعفويّة؛ بالنسبة لميدلتون ـ مَري، افتقاره للكياسة.

استطاعت كليوباترة أن تجعل قيصر ينام معها من أوّل ليلةِ التقاها، لكنّ الإغواء الحقيقي، أي الإغواء الذي جعله عبداً لها، بدأ فيما بعد. في محادثاتهم اللاحقة تحدّثت بشكلٍ متكرّر عن الإسكندر العظيم، وهو البطل الذي من المفترض أنّها تتحدّر منه. لم يكن بإمكان أحد أن يُقارَن به. فبالتضمين، جُعِل قيصر يشعر بالدونيّة. من خلال فهمها أنّ قيصر كان غير آمنٍ تحت قناع بسالته، أيقظت كليوباترة فيه قلقاً وجوعاً كي يثبت عظمته. بمجرّد ما شعر بهذه الطريقة كان من السهل المضيّ في إغوائه. الشكوك حول رجولته كانت نقطة ضعفه.

ستيدي. • دون جون: ما اسمك؟ • شارلوتا: شارلوتا في خدمتك يا ستيدي. • دون جون: يا لها من شخصٍ رقيق! يا لها من عينين نفّاذتين! • شارلوتا: لقد جعلتني أستحي يا ستيدي... • دون جون: يا شارلوتا الجميلة، أنت لست متزوّجة، هل أنت كذلك؟ • شارلوتا: لا يا ستيدي، لكنّي سأتزوّج قريباً، من بيرو، ابن جودي سيمونيتا. • دون جون: ماذا! هل يصحّ أن تصبح واحدةٌ مثلك زوجة فلّاح! كلاّ، لا؛ ذلك تدنيسٌ لمثل هذا الجمال. أنت لم تُخلَقي لتعيشي في قرية. أنت بالتأكيد تستحقّين نصيباً أفضل، والسماء، التي تعرف ذلك بشكلٍ أفضل، أحضرتني إلى هنا بهدف منع هذا الزواج وإنصاف جمالك؛ لأنني باختصار، يا شارلوتا

عندما اغتيل قيصر، حوّلت كليوباترة أنظارها نحو مارك أنتوني الذي كان أحد خلفاء قيصر على قيادة روما. أحبَّ أنتوني المتعة والمشاهد الخلاّبة، وذوقه كان فجّاً وغير صقيل. ظهرت له أوّل ما ظهرت على متن بارجةٍ ملكيّة، ومن ثمّ أقامت له مأدبة طعامٍ وشراب. كلّ شيءٍ كان مجهّزاً ليوحي له بتفوّق الأسلوب المصري في الحياة على الروماني، أقلّه عندما كان يتعلّق الأمر بالمتعة. كان الرومانيون مملّين وبسطاء بالمقارنة. وبمجرّد ما جُعِل أنتوني يشعر بكم الأشياء التي كانت تفوته (كان يفتقدها) وهو في صحبة جنوده البليدين وزوجته الوقور، كان من الممكن جعله ينظر إلى كليوباترة كتجسيدٍ لكل ما هو مثير ومشوّق. أصبح عبداً لها.

هذا هو إغراء المجلوب أو الدخيل (الغريب). في دورك كمغوي، حاول أن تطرح نفسك كقادمٍ من الخارج، كغريبٍ إلى حدٍّ ما. أنت تمثّل التغيير، الاختلاف، كسر الروتين. إجعل ضحاياك يشعرون بأن حياتهم مملّة بالمقارنة وأنّ أصدقاءهم أقلّ إمتاعاً ممّا كانوا قد تصوّروا. جعل لورانس أهدافه يشعرون بأنّهم غير كفؤين على المستوى الشخصي؛ إذا وجدت أنّه من الصعب أن تكون بهذه القسوة، فركّز على أصدقائهم، ظروفهم، الجوانب الخارجيّة لحياتهم. هناك العديد من الأساطير عن دون جوان، لكنّها غالباً ما تصفه وهو يغوي فتاةً ريفيّة من خلال جعلها تشعر بأنّ حياتها قرويّة بشكلٍ مرعب. هو، في تلك الأثناء، كان يرتدي ثياباً برّاقة ويتصرّف بطريقة النبلاء. كان دائماً من مكانٍ آخر ما، فهو غريبٌ ومجلوب. أوّلاً كانت تستشعر الملل الذي في حياتها، ومن ثمّ كانت تراه كخلاصها. تذكّر: يفضّل الناس الشعور بأنّه إذا كانت حياتهم غير ممتعة، فذلك ليس بسببهم وإنّما بسبب ظروفهم، الناس البليدون الذين يعرفون، البلدة التي وُلِدوا فيها. ما إن تجعلهم يشعرون بإغراء الشيء الغريب (الدخيل)، حتى يصبح الإغواء سهلاً.

مجالٌ آخر يكون استهدافه مغوياً بطريقة شيطانيّة هو ماضي الضحيّة. أن تتقدّم في السّن يعني أن تتخلّى عن مثاليّات الشباب أو تضحّي بقسم منها، وأن تصبح أقلّ عفويّةً، وأقلّ حياةً بمعنى من المعاني. هذه المعرفةُ موجودة بشكلٍ ساكنٍ فينا جميعاً. كمغوٍ يجب أن تُخرج هذه المعرفة إلى السطح، بأن توضح كم أنّ الناس قد انحرفوا عن أهدافهم ومثاليّاتهم

الرقيقة، أحبّك من كلّ قلبي، وإذا قبلت فسوف أنجيك من هذا المكان البائس، وأضعك في المنزلة التي تستحقّين. هذا الحبّ هو بلا شكّ حبٌّ مفاجئ، لكنّه نتيجة جمالك العظيم. لقد أحببتك في ربع ساعة بمقدار الحبّ الذي كنت سأحبّ فيه أخرى في ستّة أشهر.

ـ موليير، *دون جون؛ أو الفاسق*، ترجمة جون أوزل، في *مسرح دون جون*، تحرير أوسكار ماندل

لأنّني أقف الليلة قبالة الغرب (الأمريكي) على ما كان ذات مرّة الحدّ أو التخم الأخير. من الأراضي التي تمتدّ لثلاثة آلاف ميلٍ من خلفي، فإنّ الروّاد الأوائل (الأقدمين) تخلّوا عن سلامتهم، راحتهم، وفي بعض الأحيان أرواحهم ليبنوا عالماً جديداً هنا في الغرب. لم يكونوا

القديمة. أنت، بدورك، تقدّم نفسك كممثّلٍ لتلك المثاليّات، كمقدّم الفرصة لاسترداد الشباب الضائع من خلال المغامرة ـ من خلال الإغواء. في سنواتها الأخيرة، ملكة إنكلترا (إليزابيث الأولى) كانت معروفةً بكونها حاكمةً متطلّبة وصارمة نوعاً ما. وضعت نصب عينيها ألاّ تدع رجال بلاطها يرون أيّ شيءٍ ناعمٍ أو ضعيفٍ فيها. لكن روبرت ديڤيرو، إيرل إيسيكس الثاني، قدم إلى البلاط. كان أفتى بكثير من الملكة، وكان يوبّخها على فظاظتها. كانت الملكة تسامحه ـ فقد كان مليئاً للغاية بالحماسة والمرح والعفويّة، وبالتالي لم يكن يستطيع ضبط نفسه. لكنّ تعليقاته أثارت اهتمامها وانجذابها بشكلٍ كبير؛ في حضور الإيرل كانت تتذكّر كل مثاليّات الشباب ـ القوّة والنشاط، السحر الأنثوي ـ الذين كانوا قد اختفوا من حينه من حياتها. كانت تشعر أيضاً بقليلٍ من الروح البنّاتية عندما كانت بقربه. الشيخوخة تُغوى دائماً من قبل الصّبا، لكن أوّلاً يجب على الشّباب أن يوضّحوا ما الّذي يفتقده المسنّون، وكيف صار وخسروا مثاليّاتهم. فقط عندها سيشعرون أنّ حضور الشباب سيجعلهم يستردّون تلك الشرارة، وتلك الروح الثائرة والمتمرّدة التي تآمر كل من العمر والمجتمع على قمعها.

هذا المفهوم لديه تطبيقاتٌ لا نهائيّة. المؤسّسات والسياسيّون يعلمون أنّهم لا يستطيعون استدراج جمهورهم نحو شراء ما يريدونهم أن يشتروا، أو فعلهم ما يريدون أن يفعلوا، إلّا إذا أيقظوا فيهم أوّلاً حسّاً من الحاجة وعدم الرضى. إجعل الجماهير غير متأكّدة من هويّتها وعندها تستطيع المساعدة على تحديدها من أجلهم. هذا الشيء صحيحٌ بالنسبة للمجموعات والأمم كما هو بالنسبة للأفراد: لا يمكن إغواؤهم إلّا إذا جُعِلوا يشعرون بنقصٍ ما. جزء من استراتيجيّة حملة جون إف كينيدي الانتخابيّة في عام 1960 كان جعل الأمريكيّين يشعرون بعدم السعادة إزاء الخمسينات، فلم يذكر استقرار الأمّة الاقتصادي أو بروزها كقوّة عظمى. بدلاً من ذلك، أشار ضمناً إلى أن تلك الحقبة كانت موسومة بالامتثال، غياب المجازفة والمغامرة، وفقدان قيم الريادة. أن تصوّت لكينيدي كان أن تخوض مغامرةً جماعيّة، أن ترجع للمثاليّات التي كنت قد تخلّيت عنها. لكن قبل أن ينضمّ أيّ أحدٍ إلى حملته كان يجب أن يُجعَلَ مدركاً لمدى خسارته، ولما يفتقده. المجموعة، مثل الفرد، يمكن أن تغوص في وحل الروتين، وأن تتوه عن أهدافها الأصيلة.

أسرى شكوكهم الخاصّة، لم يكونوا سجناء للثمن الذي يتوجّب أن يدفعوه هم أنفسهم. لم يكن شعارهم «كلّ رجلٍ يسعى فقط لصالحه الخاصّ» ـ وإنّما «الجميع مكرّسون لخدمة القضيّة المشتركة.» كانوا مصمّمين على جعل ذلك العالم قويّاً وحرّاً، وأن يتغلّبوا على أخطاره وقسوته، أن يقهروا أعداءهم الذين يهدّدونهم من الداخل والخارج... • في يومنا الحاضر قد يقول البعض أن تلك الصراعات قد ولّت كلّها ـ أنّ كلّ الآفاق قد اكتُشِفَت، أنّ كلّ المعارك قد رُبِحَت، أنّه لم يَعُد يوجَد حدٌّ أو تخمٌ أمريكيّ. • لكنّني موقنٌ من أنّ ولا واحدٍ من هذا الجمع الغفير سيتّفق مع هذا الرأي... • أنا أنبئكم بأنّ التخم الجديد موجودٌ هنا إذا ما نشدناه أم لا... سيكون من الأسهل

كثيرٌ من الإزدهار سيُضعِفُ من قوّتها. تستطيع أن تغوي أمّةً بكاملها من خلال استهداف لأمانها الجمعي، ذلك الإحساس المستتر (الكامن) بأنّ ليس كلّ شيءٍ هو ما يبدو عليه. إثارة السخط تجاه الحاضر وتذكير الناس بماضيهم المجيد يمكنه أن يزعزع إحساسهم بالهويّة. عندها تستطيع أن تكون الشخص الذي سيعيد تحديدها وتعريفها ـ إنّه إغواءٌ جليل.

الارتداد عن ذلك التخم، والنظر إلى عاديّة الماضي، وأن تهدهدنا النوايا الجيّدة والبلاغة المميّزة ـ وأولئك الذين يفضّلون ذلك المسار لا يجدر بهم منحي أصواتهم، بغضّ النظر عن حزبهم. • لكنّني أؤمن بأنّ العصر يتطلّب إبداعاً، ابتكاراً، مخيلةً، وقراراً. أنا أطلب منكم جميعاً أن تكونوا روّاداً جدداً في ذلك التخم الجديد. ندائي موجّه لذوي القلوب الشابّة، بغضّ النظر عن العمر.

ـ جون إف. كينيدي، خطاب القبول بوصفه المرشّح الرئاسي عن الحزب الديمقراطي، مُقتَبَس في هوس كينيدي: أسطورة جون إف كينيدي الأمريكية لجون هِلمان

الرمز: سهم كيوبيد. إنّ ما يوقظ الرغبة في المُغوي هو ليس اللمسة الناعمة أو الإحساس السارّ؛ وإنّما الجرح. السهم يخلق ألماً، وجعاً، حاجةً للخلاص. قبل الرغبة يجب أن يكون هنالك الألم. سدّد السهم نحو أضعف نقطةٍ لدى الضحيّة، فتخلق بذلك جرحاً تستطيع نكأه وإعادة نكئه.

إنّ إيقاع الحياة العادي يتذبذب بالشكل العام ما بين الرضى المعتدل عن النفس وبين الانزعاج الطفيف منها، الناشئ من المعرفة بمواطن النقص الذاتية. نحن نحبّ أن نكون على نفس قدر وسامة، شباب، قوّة أو ذكاء الأناس الآخرين من معارفنا. نتمنّى أن نستطيع أن ننجز بمقدار ما ينجزون، نتوق لمزايا ومراكز مشابهة، ولنفس النجاح أو نجاح أكبر. أن تكون مسروراً من نفسك هو الاستثناء، وفي أحوالٍ كثيرة، يكون ستاراً دخانيّاً (مُعتّماً) نصنعه لأنفسنا وبالطبع للآخرين. في مكانٍ ما منه يوجد شعورٌ مُتَخَلِّفٌ بالانزعاج من أنفسنا وقليلٌ من كره الذات. أنا أؤكّد بأنّ زيادة روحيّة عدم الرضى هذه تجعل الشخص عرضةً بشكلٍ خاصّ لِـ «الوقوع في الحبّ.» ... في

معظم الأحوال يكون موقف القلق هذا غير واعٍ، لكن في بعض الأحوال يصل إلى عتبة الإدراك على شكل اضطراب طفيف، أو عدم رضى راكد، أو فهمٍ لكون المرء منزعجاً دون أن يدرك السبب.

ثيودور رايك، *عن الحبّ والشهوة*

الانقلاب

إذا اشتططت (مضيت أبعد من اللازم) في تخفيض تقدير أهدافك لأنفسهم فقد يشعرون باللاأمان لدرجةٍ كبيرة فيحجمون عن دخول إغوائك. لا تكن ثقيل الوطأة؛ على غرار لورانس، أَتبع الهجوم الجارح بإيماءٍ مسكّنة. وإلاّ فسوف تنفّرهم ببساطة.

غالباً ما يكون السحر مسلكاً أكثر خفاءً وفعّاليّةً للإغواء. دائماً ما جعل رئيس الوزراء بنجامين دزرائيللّي من العصر الڤيكتوري الناس يشعرون بشعورٍ *أفضل* حيال أنفسهم. كان ينزل عند رغباتهم ويجعلهم مركز الاهتمام، ويجعلهم يشعرون بأنّهم ظرفاء ونابضون بالحياة. كان نعمةً على زهوّهم وكبريائهم، وتنامى إدمانهم عليه. هذا نوعٌ من الإغواء المنتشر أو المتخلّل (غير المكثّف)، أي إغواءٌ يفتقر إلى التوتّر والمشاعر العميقة التي يثيرها النوع الجنسي؛ إنّه يتجاوز تعطّش الناس، وحاجتهم لنوعٍ ما من الإرضاء. لكنّك إذا كنت بارعاً وذكيّاً، فيمكنك أن تجعل من هذا الإغواء (المعمّم أو غير المكثّف) وسيلةً لتخفيض دفاعاتهم، وخلق صداقةٍ لا تنذر بشرّ (غير مهدّدة.) بمجرّد ما يصبحون تحت سحرك بهذه الطريقة، فإنّك تستطيع عندها أن تفتح جرحاً. بالفعل، فإنّ دزرائيللّي بعد أن كان قد سحر الملكة ڤيكتوريا وأسّس صداقةً معها، جعلها تشعر على نحوٍ غامض بأنّها غير كفؤةٍ أو ملائمةٍ لتأسيس إمبراطوريّةٍ ولتحقيق أهدافها المثاليّة. كلّ شيءٍ يعتمد على الهدف. الناس الذين تخترقهم من كلّ جانب مشاعر اللاأمان قد يتطلّبون نوعاً أرقّ. سدّد سهامك لحظة شعورهم بالراحة تجاهك.

6

أتقن فن الإيحاء

أن تجعل أهدافك يشعرون بعدم الرضى
وبحاجة لانتباهك هو شيءٌ جوهري، ولكن إذا
كنت واضحاً أكثر من اللزوم، فإنّهم سوف
يتبيّنون طبيعتك الحقيقيّة ويصبحون دفاعيين.
لا يوجد دفاعٌ معروف، على أيّةِ حال، ضد
الإيحاء - فن زرع الأفكار في عقول الناس
بواسطة الرمي بتلميحات صعبة
التحديد والتي تأخذ جذراً (تنغرس)
بعد ذلك بعدّة أيام، بل وتظهر لهم وكأنها
أفكارهم الخاصة. إخلق نوعاً من اللغة الضمنية -
تصريحات جريئة متبوعة بتراجع واعتذار، تعليقات
ملتبسة، أحاديث اعتيادية مُرَفقة بتلميحات
مُغرية - التي تدخل لاوعي الهدف لتنقل
قصدك الحقيقي. إجعل كلّ شيءٍ موحياً.

دسّ الرغبة (الإيحاء بها)

ذات أمسيةٍ في سبعينات القرن الثامن عشر، ذهب شابٌّ إلى أوبرا باريس ليلتقي بحبيبته الكونتيسة دي ــــ. الزوجان (الثنائيّ) كانا يتشاجران، وكان متلهّفاً لرؤيتها مجدّداً. لم تكن الكونتيسة قد وصلت بعد إلى مقصورتها، لكن من مقصورةٍ مجاورة قامت صديقةٌ لها، المدام دي تي ــــ، بدعوة الشابّ لينضمّ إليها، منوّهةً أنّها كانت ضربة حظٍّ رائعة أن يلتقيا ذلك المساء ـ يجب عليه أن يظلّ بصحبتها في رحلةٍ كان عليها أن تقوم بها. كان الشابّ يريد على وجه السرعة أن يرى الكونتيسة، لكنّ المدام كانت ساحرةً وملحّةٍ لذا وافق على مرافقتها. قبل أن يستطيع سؤالها لماذا أو أين، فقد رافقته بسرعة إلى عربتها في الخارج، التي انطلقت مسرعةً بعد ذلك.

بينما كنّا على وشك دخول حجرة النوم، أوقفتني وقالت بجدّيّة، «تذكّر أنّه لا يُفترض بك أبداً أن ترى أو حتّى تفكّر بأنّك يمكن أن ترى الحرم الذي أنت على وشك دخوله...» •.. كلّ ذلك كان أشبه بطقس إدخال. قادتني من يدي عبر رواقٍ ضيّقٍ ومظلم. كان قلبي يدقّ وكأنّني كنت شابّاً قد اهتدى حديثاً إلى مذهبٍ من المذاهب ووُضِع تحت الامتحان قبل الاحتفال بالأسرار العظيمة... • «لكنّك

عندها أمر الشاب مضيفته أن تخبره إلى أين كانت ستأخذه. في البداية لم تزد عن الضحك، لكنّها أخيراً أخبرته: إلى قصر زوجها. الزوجان كانا قد انفصلا لكنّهما قرّرا أن يتصالحا؛ لكنّ زوجها كان ثقيل الظل، وشعرت بأنّ شابّاً ساحراً مثل هذا الشاب من شأنه أن يطرّي الأمور وينفخ فيها الحياة. أُسِر الشاب: فقد كانت المدام أكبر سنّاً منه، وذات سمعةٍ بأنّها رسميّةٌ نوعاً ما، بالرغم من أنّه كان يعرف أيضاً أنّ لديها عشيقاً، ماركيزاً. لماذا كانت قد اختارته لهذه النزهة؟ لم تكن قصّتها جديرةً تماماً بالتصديق. بعد ذلك، أثناء سير العربة، اقترحت أن ينظر من النافذة إلى المنظر الطبيعي، بينما كانت تنظر هي أيضاً. كان عليه أن يميل باتجاهها كي يفعل هذا، وفي تمام اللحظة التي مال فيها، ارتجّت العربة. أمسكت بيده وارتمت بين ذراعيه.

ظلّت هناك للحظة، ومن ثمّ انتفضت مبتعدةً عنه. بعد صمتٍ محرج، قالت، «هل تعتزم إقناعي بكوني تصرّفت بطيشٍ وحماقة بحقّك؟» احتجّ أنّ الحادثة كانت عرضيّة وطمأنها بأنّه سيتأدّب ويسلك سلوكاً حسناً. في الحقيقة فإنّ وجودها بين ذراعيه كان قد جعله يفكّر بطريقة أخرى.

وصلا إلى القصر. أتى الزوج لملاقاته، وعبّر الشابّ عن إعجابه بالمبنى: «ما تراه هو لا شيء،» قاطعت المدام، «عليّ أن آخذك إلى شقّة السيّد.» قبل أن يستطيع سؤالها ماذا عنت، كان الموضوع قد تغيّر بسرعة. الزوج كان بالفعل ثقيل الظلّ ومملاًّ، لكنّه انصرف معتذراً بعد العشاء. الآن المدام والشاب كانا لوحدهما. دعته ليتمشّى معها في الحدائق؛ لقد كانت أمسيةً رائعة، وبينما كانا يتمشّيان، دسّت بذراعها عند ذراعه. قالت أنّها لم تكن قلقةً من أنّه سيستغلّها، لأنّها تعلم كم كان متعلّقاً بصديقتها العزيزة (الكونتيسة). تكلّما عن أشياءٍ أخرى، ومن ثمّ عادت إلى موضوع محبوبته: «هل تجعلك سعيداً حقّاً؟ آه، أخشى أن يكون الحال على النقيض من هذا، وهذا يؤلمني.... ألست غالباً ضحيّة نزواتها الغريبة؟» تفاجأ الشاب عندما بدأت المدام بالتكلّم عن الكونتيسة بطريقةٍ جعلتها تبدو غير مخلصةٍ له (الأمر الذي كان يخامره الشك إزاءه). تثاءبت المدام ـ ندمت لقولها هكذا أشياء عن صديقتها، وطلبت منه المغفرة؛ بعدئذٍ، وكأنّ فكرةً جديدةً خطرت ببالها، ذكرت سرادقاً مجاوراً، ونوّهت بأنّه مكانٌ مبهج ومليءٌ بالذكريات السعيدة. لكن المُخجِل في الموضوع أنّه كان مقفلاً ولم يكن بحوزتها المفتاح. ومع ذلك فقد وجدا طريقهما إلى السرادق، وإذا به كان الباب مفتوحاً. لقد كان مظلماً من الداخل، لكن الشاب استطاع أن يحسّ بأنّه كان مكاناً للقاءات العاشقين السريّة. دخلا وغرقا في صوفا، وقبل أن يعرف ما الذي أتى عليه، أخذها بين ذراعيه. بدت المدام وكأنّها تدفعه بعيداً، لكنّها استسلمت بعد ذلك. أخيراً عادت لرشدها: يجب عليهما أن يرجعا إلى المنزل. هل مضى بعيداً أكثر من اللازم؟ عليه أن يحاول ضبط نفسه.

بينما كانا يتمشّيان عائدين إلى المنزل، نوّهت المدام، «يا لها من ليلةٍ

يا أيّتها الكونتيسة ...» قالت لي أن أتوقّف. كنت أهتم بالرد عندما انفتحت الأبواب؛ فقاطع الإعجاب كلامي. كنت منشدهاً ومسروراً، ولم أعد أعلم ماذا حلّ بي، وبدأت أؤمن بالسحر بشكلٍ قويّ... في الحقيقة، وجدت نفسي في قفصٍ واسعٍ من المرايا التي رُسِمَت عليها الصور بشكلٍ فنّيٍ للغاية لدرجة أنّها ولّدت الوهم بوجود كلّ الأشياء التي تمثّلها.

ـ ڤيڤانت دينون، «لا يوم غد»، في *مجموعة الفاسق الأدبيّة المختارة*، تحرير مايكل فيهير

منذ عدّة سنوات خلَت، في مدينتنا المحلّية، حيث يزدهر المكر والخداع أكثر من الحبّ أو الوفاء، كان يوجد امرأةٌ نبيلة ذات جمالٍ صارخ

سارّةٍ قضيناها لتوّنا.» هل كانت تشير إلى ما كان قد حدث في السرادق؟ «هناك في القصر غرفةٌ أكثر سحراً حتّى،» وتابعت الكلام، «لكنّني لا أستطيع أن أريك شيئاً،» مشيرةً ضمناً إلى أنّه كان جريئاً أكثر من اللازم. كانت قد ذكرت هذه الغرفة («شقّة السيد») عدّة مرّاتٍ من قبل؛ لم يستطع التخيّل ما الذي كان مثيراً فيها لهذه الدرجة، لكن في ذلك الحين كان مستقتلاً ليراها وأصرّ أن تريه إيّاها. «إذا وعدت بأن تكون عاقلاً،» أجابت، وعيناها تتوسّعان. قادته عبر عتمة المنزل إلى الغرفة التي ولحسن حظّه كانت نوعاً من معبدٍ للمتعة واللذة: كان هنالك مرايا على الجدران، رسوم ثلاثيّة الأبعاد تصوّر مشهد غابة، بل وحتّى غاراً مظلماً، وتمثالاً مكلّلاً بالزهر لإيروس. بعد أن غمره المزاج في المكان، استأنف الشابّ بسرعة ما كان قد بدأه في السرادق، وفقد كلّ إحساسٍ بالزمن لو لم يهرع خادمٌ لعندهما ويحذّرهما من أنّ الضوء كان يبزغ في الخارج - وبالتالي فالسيّد على وشك أن يفيق.

انفصلا بسرعة. في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، عندما كان الشابّ يستعدّ للرحيل، قالت مضيفته، «وداعاً، أيّها السيّد أنا مدينةٌ لك بالكثير من المسرّات؛ لكنّني قد أوفيتك بحلمٍ جميل. الآن حبّك يدعوك للعودة.... لا تمنح الكونتيسّة سبباً للتشاجر معي.» بعد أن فكّر مليّاً بتجربته وهو في طريق عودته، لم يستطع التصوّر ماذا كانت تعني. راوده الأحساس الغامض بأنّه كان قد استُخدِم (استُغِلّ) لكنّ الملذّات التي استحضرها فاقت الشكوك.

التفسير. المدام دي تي ــــــ هي شخصيّة في القصّة الخلاعيّة القصيرة من القرن الثامن عشر «لا يوم غد»، التي ألّفها ڤيڤانت دينون. الشاب هو راوية القصّة. بالرّغم من أنها خياليّة، إلّا أن تقنيّات المدام كانت تستند بوضوح على تقنيّات بعض الفاسقين المعروفين جيّداً في ذلك العصر، والذين كانوا سادةً في لعبة الإغواء. وأخطر أسلحتهم على الإطلاق كان الإيحاء - الوسيلة التي ألقت من خلالها المدام برقيتها على الشاب، جاعلةً إيّاه يظهر

وتربية لا تشوبها الأخطاء، والتي حبتها الطبيعة بأنبل طبعٍ وبأحدّ ذكاءٍ يمكن أن يوجَد لدى أيّ امرأةٍ أخرى في عصرها... • هذه المرأة، كونها ذات محتدٍ كريم وكونها وجدت نفسها وقد زُوّجت من تاجر ألبسةٍ صوفيّة لأنه صادف أنّه غنيّ جدّاً، فإنّها لم تكن قادرة على كظم احتقارها الذي شعرت به في قلبها، لأنها كانت وبشكلٍ راسخ ممّن يتبنّون الرأي القائل بأنّه لا رجل ذي منزلةٍ وضيعة يستحقّ زوجةً من النبلاء مهما كان غنيّاً. ولدى اكتشافها أنّ كلّ ما كان قادراً على فعله بالرغم من ثروته الطائلة، كان تمييز الصوف من القطن، أو الإشراف على تركيب نول، أو مناقشة مزايا خيط معيّن مع حائكة، فقد اعتزمت بقدر ما كان

بمظهر المعتدي، ويمنحها ليلة اللذة التي اشتهت، وصائنةً سمعتها البريئة، كلّ هذا بضربةٍ واحدة. فقد كان هو، برغم كل شيء، من بادر بالوصال، أو هكذا بدا. في الحقيقة، هي كانت من تدير الدفّة، فتزرع في ذهنه الأفكار التي كانت تريدها بالضبط. تلك المناوشة الجسديّة في العربة، على سبيل المثال، التي كانت قد دبّرتها من خلال دعوته للاقتراب: وبّخته فيما بعد لكونه جريئاً (صفيقاً)، لكن ما بقي في ذهنه كان إثارة اللحظة. حديثها عن الكونتيسة جعله يشعر بالتشوّش والذنب؛ لكنّها بعدئذٍ لمّحت إلى أنّ حبيبته لم تكن مخلصة، غارسةً بذرةً أخرى في ذهنه: الغضب، والرغبة بالانتقام. بعد ذلك طلبت منه أن ينسى ما قالته ويسامحها لقولها إيّاه، وهذا تكتيكٌ إيحائيٌّ جوهريّ: «أنا أسألك أن تنسى ماقُلتُه، لكنّني أعلم أنّك لا تستطيع؛ الفكرة ستظلّ في ذهنك.» بعد أن حُرِّض واستُفِزّ بهذه الطريقة، كان محتوماً أنّه كان سيمسك بها في السرادق. ذكرت عدّة مرّات الغرفة في القصر - بالطبع أصرّ على الذهاب إلى هناك. غلّفت الأمسية بجوٍّ من الغموض والالتباس. حتّى كلماتها «إذا وعدت بأن تكون عاقلاً» يمكن أن تُفَسَّر بعدّة طرق. أُلهِب عقل الشاب وقلبه بكل المشاعر - السخط، الاضطراب، الرغبة - التي كانت قد غرستها في نفسه بشكل غير مباشر.

تعلّم أن تجعل كل شيء تقوله أو تفعله نوعاً من الإغواء وخاصّةً في المراحل الأولى من الإغواء. دُسّ (إغرس) الشك بتعليقٍ هنا وتعليقٍ هناك عن أناسٍ آخرين في حياة الضحيّة، جاعلاً الضحيّة بذلك تشعر بأنّها حسّاسة (سريعة التأثّر) وهشّة. تماسٌّ جسديٌّ طفيف يوحي (يدسّ) بالرغبة، كما تفعل نظرة عابرة ولكن جديرة بالذكر، أو نبرة صوتٍ دافئةٍ بشكلٍ غير معتاد، وكلاهما لأوجز اللحظات. تعليقٌ عابر يوحي بأنّ شيئاً ما حول الضحيّة يثير اهتمامك؛ لكن أبقِ أسلوبك خفيّاً ومصقولاً، فكلماتك تكشف إمكانيّةً وتخلق شكّاً. أنت تزرع بذوراً ستتجذّر في الأسابيع التي ستقدم. عندما لا تكون هنالك، فإنّ أهدافك سوف يتخيّلون عن الأفكار التي قد أثرتها، وستعتريهم الشكوك. هم يُقتادونَ ببطءٍ إلى شبكتك، دون أن يدركوا أنّك أنت المسيطر. كيف سيتسنّى لهم أن يقاوموا أو يصبحوا دفاعيّين إذا لم يستطيعوا حتّى أن يروا ماذا يحصل؟

ذلك بمقدورها أن لا يكون لها علاقة من قريبٍ أو بعيد بملامساته الوحشيّة. علاوةً على ذلك فقد كانت مصمّمةً على التماس متعتها في مكانٍ آخر، بصحبة واحدٍ يبدو أنّه أكثر استحقاقاً لحبّها، وهذا كان ما حصل، إذ وقعت عميقاً في حبّ رجلٍ غايةٍ في الجدارة وفي منتصف الثلاثينات من العمر. وعندما كان يمرّ يومٌ دون أن تضع عيناها عليه، فإنّ القلق كان ينتابها طوال الليل. • لكنّ الرّجل لم يشتبه بأيّ شيءٍ من كلّ هذا؛ ولم يلحظها، وفيما يتعلّق بها، فإنّها لمّا كانت حذرةً جدّاً، فلم تغامر بالتصريح عن حبّها من خلال إرسال خادمةٍ أو كتابة رسالة، خوفاً من المخاطر التي قد يستتبعها هذا. لكنّها كونها لاحظت أنّه كان على علاقةٍ

ما يميّز الإيحاء عن الأنواع الأخرى من التأثير النفسي، كالأمر أو إعطاء جزءٍ من معلومة أو وصيّة، هو أنّ الفكرة في حالة الإيحاء تُثار في دماغ الشخص الآخر دون أن تُفحَص فيما يتعلّق بأصلها وإنّما تُتقبَل تماماً كما لو أنّها كانت قد نشأت بشكلٍ عفويّ في ذلك الدماغ.

ـ سيغموند فرويد

المفاتيح للإغواء

أنت لا تستطيع المرور عبر هذه الحياة دون أن تحاول بطريقةٍ أو بأخرى أن تقنع الناس بشيءٍ ما. اتّبع الطريق المباشر، من خلال قولك ما تريد بالضبط، وقد تجعلك صراحتك تشعر بأنّك جيّد لكنّك على الأرجح لن تصل إلى أيِّ مكان. للناس مجموعات أفكارهم الخاصّة، التي تتقسّى وتتحجّر من خلال العادة؛ عندما تدخل كلماتك إلى عقولهم فإنّها تتنافس مع الآلاف من الأفكار المسبقة الموجودة هنالك أساساً ولا تؤدّي إلى أيّة نتيجة. علاوةً على ذلك، فإنّ الناس يمتعضون من محاولتك لإقناعهم، وكأنّهم غير قادرين على اتّخاذ القرار بأنفسهم ـ وكأنّك تعلم أكثر منهم. فكّر عوضاً عن ذلك في قوّة الدّس والإيحاء. إنّها تتطلّب قليلاً من الصبر والفن، لكن النتائج تستحقُّ أكثر من ذلك بكثير.

الطريقة التي يعمل بها الدسُّ أو الإيحاء بسيطة: يُرمى بإشارةٍ مُقَنَّعةٍ بتعليقٍ أو لقاءٍ عاديّ. تكون هذه الإشارة حول مسألةٍ عاطفيّةٍ ما ـ متعة ممكنة لكن غير محقّقة بعد، غياب الإثارة في حياة الشخص. تُسَجَّل الإشارة (التلميح) في العقل الباطن للهدف كطعنةٍ خفيّةٍ في مكامن اللاأمان لديه أو لديها؛ وسرعان ما يُنسى مصدرها. إنّها أرقُّ وأخفى بكثير من أن تكون بارزةً في ذلك الوقت، وفيما بعد، عندما تتجذّر وتنمو، تبدو أنّها قد بزغت بشكلٍ طبيعيٍّ من عقل الهدف بعينه، وكأنّها كانت هنالك من البداية. الدّس أو الإيحاء يدعك تتجاوز مقاومة الناس الطبيعيّة، لأنّهم يبدون على أنّهم يستمعون فقط لما قد نشأ في أنفسهم. إنّها لغةٌ قائمةٌ بحدّ ذاتها،

حميمةٍ جدّاً مع كاهنٍ بعينه، ممتلئ الجسم وأخرق، إلّا أنّه كان يُعتَبر بالرغم من ذلك راهباً قديراً بشكلٍ استثنائيّ بسبب أسلوبه الورع في الحياة لأبعد درجات الحدود، فقد قدّرت أنّ هذا الشخص سيخدم كوسيطٍ مثاليّ فيما بينها وبين الرجل الذي أحبّت. وهكذا، بعد أن تأمّلت بالاستراتيجيّة التي ستتبنّى، قامت بزيارةٍ في ساعةٍ ملائمة من النهار، إلى الكنيسة حيث كان يتواجد، وبعد أن وصلت إليه، قامت بسؤاله عمّا إذا كان يقبل بأن يسمع اعترافها. • نظراً لأنّه كان يستطيع أن يجزم من نظرةٍ واحدة بأنّها كانت سيّدة ذات منزلةٍ رفيعة، فقد أصغى الراهب بسرور إلى اعترافها، وعندما وصلت إلى نهايته،

تتواصل مباشرةً مع اللاوعي. لا يستطيع مغوٍ ولا مقنعٌ أن يأمل بالنجاح دون إتقان لغة وفنّ الإيحاء.

وصل رجلٌ غريبٌ ذات مرّة إلى بلاط لويس الخامس عشر. لم يكن أحدٌ يعلم شيئاً عنه، ولهجته وعمره كانا من غير الممكن تحديدهما. دعا نفسه الكونت سان ـ جرمان. كان يبدو عليه الثراء؛ فقد التمعت جميع أنواع الجواهر والأحجار الكريمة على جاكيتّته، كمّيه، حذائه وأصابعه. كان يستطيع أن يعزف الكمان لدرجة الكمال، ويرسم بشكلٍ رائعٍ إلى حدٍّ استثنائيّ. لكن أكثر شيءٍ مُسكِرٍ فيه كان حديثه.

في الحقيقة، كان الكونت أكبر دجّالٍ ومشعوذٍ في القرن الثامن عشر ـ رجلٌ أتقن فنّ الإيحاء. عندما كان يتكلّم، كانت تنزلق منه كلمةٌ هنا وكلمةٌ هناك ـ تلميحٌ غامضٌ إلى إكسير الحياة أو إلى حجر الفلاسفة، الذي يحوّل المعادن الخسيسة إلى ذهب. لم يقل أنّه كان يمتلك هذه الأشياء، لكنّه جعلك تقرنه مع قواها. لو ادّعى ببساطة أنّه يمتلكها، فلم يكن أحدٌ ليصدّقه وكان الناس سيعرضون عنه. كان الكونت يشير إلى رجلٍ كان قد مات من أربعين عاماً كما لو أنّه كان يعرفه شخصيّاً؛ إذا كان الحالُ كذلك، فلا بدّ أن يكون الكونت في العقد التاسع من عمره، بالرغم من أنّه كان يبدو في عقده الخامس. ذكر إكسير الحياة.... بدا شابّاً للغاية....

المبدأ الرئيسي لكلمات الكونت كان الغموض والإبهام. كان دائماً يلقي بتلميحاته في قلب الأحاديث الرشيقة، كعلاماتٍ موسيقيّة جميلة في لحنٍ سائر. فقط بعد انقضاء الحديث كان الناس يفكّرون فيما قاله. بعد فترة، بدأ الناس بالتوافد لعنده، وبالاستفسار منه عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة، دون أن يدركوا أنّه كان هو من زرع هذه الأفكار في عقولهم. تذكّر: لِتزرع فكرةً إغوائيّة عليك أن تُشاغِل مخيّلات الناس، أحلامهم، وأعمق أتواقهم. ما يجعل عجلة الأمور تدور هو الإيحاء بالأشياء التي يريد الناس سماعها أساساً ـ إمكانيّة المتعة، الثروة، الصحة، المغامرة. في النهاية، فإنّ هذه الأشياء يتبيّن بالضبط أنّها ما يبدو أنّك تقدّمها لهم. سيأتون لعندك كما لو كان ذلك بملء إرادتهم واختيارهم، دون أن يدركوا أنّك دسست الفكرة في رؤوسهم.

في عام 1807، قرّر نابوليون بونابرت أنّه كان من الهام جدّاً أن

فإنّها تابعت كالآتي: • «أبتي، كما سأشرح لك الآن، فإنّه يوجد مسألةٌ معيّنةٌ، أجد نفسي مُجبرةً إزاءها على التماس نصيحتك ومساعدتك. بعد أن أخبرتك باسمي قبلاً، فأنا متأكّدة من أنّك سوف تعرف من عائلتي ومن زوجي. هو يحبّني بهيام أكثر من الحياة نفسها، وبما أنّه غنيّ بشكلٍ هائل، فإنّه لا يعاني من أدنى صعوبة أو تردّد في تزويدي بكلّ شيءٍ أُظهِر تجاهه توقاً. وبالتالي، فإنّ حبّي له غير محدودٍ بحقّ، وإذا كانت مجرّد أفكاري، ناهيك عن أفعالي، ستجري على نحوٍ متعارض مع أمانيه وشرفه، فسأكون أكثر استحقاقاً لنار جهنّم من ألأم امرأةٍ عرفتها البسيطة. • «الآن، هناك شخصٌ بعينه، ذو مظهرٍ محترم وهو

يكسب القيصر الروسي ألكساندر الأول إلى صفّه. أراد شيئين من القيصر: معاهدة سلام يتّفقان من خلالها على اقتسام أوروبا والشرق الأوسط؛ وتحالف من طريق الزواج (المصاهرة)، يطلّق من خلاله زوجته جوزفين ويتزوّج من عائلة القيصر. بدلاً من اقتراح هذه الأشياء بطريقة مباشرة، فقد قرّر نابوليون أن يغوي القيصر. فمضى إلى التنفيذ مستخدماً اللقاءات الاجتماعيّة المهذّبة والمحادثات الوديّة كساحة معركته. زلّة لسان ظاهريّة كشفت أنّ جوزفين لا تستطيع أن تنجب؛ غيّر نابوليون الحديث بسرعة. تعليقٌ من هنا وتعليقٌ من هناك بدا أنّه يوحي بربط مصير فرنسا وروسيا ببعضهما البعض. ذات ليلة، تحدّث عن رغبته بأن يكون لديه أولاد وتنهّد بحزن، وذلك مباشرةً قبل أن يهمّا بالافتراق، ومن ثمّ اعتذر ليذهب إلى السرير، تاركاً القيصر لينام على هذا. رافق القيصر لحضور مسرحيّة تتحدّث عن المجد، الشرف، والإمبراطوريّة؛ في المحادثات اللاحقة، استطاع أن يخفي إيحاءاته تحت قناع مناقشة المسرحيّة. خلال بضعة أسابيع، كان القيصر يتكلّم مع وزرائه عن تحالفٍ عن طريق الزواج ومعاهدة مع فرنسا كما لو كانت أفكاره الخاصّة.

زلاّت اللسان، التعليقات التي تبدو ظاهريّاً على أنّها غير مقصودة وتأخذ وقتاً حتّى تختمر، الإشارات (مِن يشير) الإغرائية، التصريحات التي تعتذر عنها بسرعة ـ جميعها تتمتّع بقوّة إيحائيّة هائلة. هي تتسلّل إلى لاوعي الإنسان كالسمّ، وتتّخذ شخصيّةً مستقلّةً خاصّةً بها. المبدأ الأساسي للنجاح في إيحاءاتك يكمن في أن تقوم بها عندما تكون أهدافك في أكثر حالاتهم استرخاءً وعدم انتباه، لكي لا يكونوا مدركين لما يحصل. الإغاظة المهذّبة غالباً ما تكون الواجهة المثلى لهذا؛ فالناس يكونون مستغرقين فيما سيقولونه بعد، أو في أفكارهم الخاصّة. بالكاد ستُسَجّل ملاحظاتك، وهذا ما تريده.

في حملةٍ من حملاته الأولى، خاطب جون إف. كينيدي مجموعةً من المحاربين القدامى. مآثر كينيدي الشجاعة خلال الحرب العالمية الثانية ـ حادثة بي تي ـ 109 كانت قد صنعت منه بطل حرب ـ كانت معروفةً من قبل الجميع؛ لكن في خطابه، كان يتحدّث عن الرجال الآخرين الذين

على معرفةٍ وثيقةٍ بك إن لم أكن مخطئة. أنا حقّاً لا أعرف اسمه، لكنّه طويل ووسيم، ثيابه بنّية اللون وأنيقة التصميم، ويبدو أنّه ضرب حصاراً حولي، ولعلّ سبب ذلك أنّه غير مدركٍ لطبيعتي المصمّمة. دائماً وأبداً يلتفت إليّ كلّما نظرت من النافذة أو وقفت بباب بيتي أو غادرت المنزل، وأنا في الواقع متفاجئة لكونه ليس هنا الآن. لا داعي للقول أنّني منزعجة جدّاً حيال كلّ هذا، لأنّ أسلوب تعاطيه كثيراً ما يَصِم المرأة الفاضلة بصيتٍ سيّءٍ، حتّى لو كانت بريئةً تماماً. •» ... بمحبّة الله، إذن، أتوسّل إليك بأن تكلّمه بشدّة وتقنعه بأن يحجم عن إلحاحه المزعج. هنالك العديد من النساء الأخريات اللواتي من غير ريب

يجدن هذا النوع من التصرّف مسلّياً، واللواتي سيستمتعن بكونهنّ مرموقاتٍ بنظراتٍ غراميّة ومُتَجَسَّس عليهنّ من قِبله، لكن أنا شخصيّاً ليس لديّ ميلٌ لهذا الشيء البتّة، وأجد هذا النوع من السلوك مزعجاً بشكلٍ استثنائيّ.» • وبعد أن فرغت من كلامها، قامت السيّدة بإحناء رأسها وكأنّها كانت كانت على وشك الإنفجار بالبكاء. • أدرك الراهب المُوَقّر مباشرةً من كانت تشير إليه، وبعد أن دعا لها بحرارة بصفاء السريرة ... فقد وعد بأن يتّخذ كل الخطوات اللازمة ليضمن توقّف رفيقه عن إزعاجها... • بعد ذلك بفترة قصيرة، قام الرجل المَعني بإحدى زياراته المعتادة إلى الراهب، وبعد أن تحادثا سويّةً لبرهة عن مواضيع

شاركوا، دون أن يذكر نفسه أبداً. كان يعلم، على أيّة حال، أنّ ما فعله كان حاضراً في ذهن الجميع، لأنّه في الواقع كان قد وضعه هناك. لم يؤدِّ وحسب صمت كينيدي إزاء ذلك الموضوع إلى جعلهم يفكّرون فيه لوحدهم، بل وجعل كينيدي يبدو متواضعاً وحييّاً، وهي من الصفات التي تقترن بالبطولة. في الإغواء، كما نصحت المحظيّة الفرنسية نينون دي لانكلو، من الأفضل ألاّ تتكلّم عن حبّك للشخص. دع هدفك يقرأ ذلك في سلوكك. صمتك عن الموضوع سيكون له قوّةٌ إيحائيّةٌ أكبر ممّا لو تحدّثت عنه مباشرةً.

ليست الكلمات هي وحدها التي تَدُسّ وتوحي؛ أَعِر الانتباه للإيماءات والنظرات. التقنيّة المفضّلة لدى المدام ريكامبير كانت أن تبقي كلماتها عاديّة والنظرة التي في عينيها مغرية. تدفّق الحديث كان يمنع الرجال من التفكير عميقاً بهذه النظرات العرضيّة، إلّا أنّها كانت تلازمهم. اشتُهِر اللورد بايرون بِـ «نظرته التحتيّة»: فبينما كان الجميع يناقشون موضوعاً ما غير مثيرٍ للاهتمام، كان يحني رأسه إلى الأسفل، لكن عندها كانت تراه إحدى الفتيات (الهدف) وهو يسترق النظر إليها، بينما لا يزال رأسه منحنياً. تلك النظرة كانت تبدو خطيرةً، ومتحدّيةً لكنّها في نفس الوقت ملتبسة وغامضة؛ العديد من النساء وقعن في شباكها. الوجه يتكلّم لغته الخاصّة. نحن متعوّدون على قراءة وجوه الناس، التي غالباً ما تكون مؤشّراً أفضل عن مشاعرهم ممّا يقولون، والذي (أي ما يقولون) يسهل التحكّم به. بما أنّ الناس يقرؤون نظراتك على الدوام، فاستخدمها لإرسال إشارات الدّس والإيحاء التي تختار.

أخيراً، سبب نجاعة الإيحاء أو الدّس لا يكمن فقط في أنّه يتجاوز مقاومة الناس الطبيعيةّ، بل وأيضاً في أنّه لغة المتعة. يوجد قليلٌ جدّاً من الغموض في هذا العالم؛ السواد الأعظم من الناس يقولون بالضبط ما يشعرون أو يريدون. نحن نتوق لشيءٍ ملغّزٍ ومبهم، لشيءٍ يغذّي تخيّلاتنا. بسبب غياب الإيحاء والالتباس في الحياة اليوميّة، فإنّ الشخص الذي يستخدمهما يبدو فجأةً على أنّه يتحلّى بشيءٍ مغرٍ وواعد. إنّه نوعٌ من اللعبة

المدغدغة ـ ما الجديد الذي عند هذا الشخص؟ ماذا يعني أو تعني؟ التلميحات، الإيحاءات، والدّس تخلق جوّاً إغوائيّاً، إذ تشير إلى أنّ ضحيّتها لم يَعُد مشغولاً بالأعمال الروتينيّة للحياة اليوميّة وإنّما دخل عالماً جديداً.

عامّة، قام الراهب بأخذه إلى ركنٍ من المكان وأنّبه بطريقةٍ رقيقةٍ جدّاً على النظرات الغراميّة التي، كما أفهمته السيّدة، كان يلقيها باتّجاهها. • ذُهِل الرجل وذلك لم يكن أمراً غير طبيعيّ، لأنّه لم ينظر أبداً بتلك الكثرة إلى السيّدة وكان من النادر جدّاً أن يمّر من عند منزلها... • بما أنّ الرجل كان نوعاً ما أحدّ ملاحظةً من الراهب المُوقّر، فلم يكن بطيئاً تماماً بتقدير ذكاء السيّدة، فرسم على وجهه تعبيراً مرتبكاً بعض الشيء، ووعد بألاّ يزعجها بعد ذلك. لكنّه بعد أن ودّع الراهب، فقد اتّجه نحو منزل السيّدة، التي كانت تقوم بمراقبةٍ مستمرّة من نافذةٍ بالغة الصغر بحيث تراه إذا حدث ومرّ بجانب المنزل... ومن ذلك

الرمز: البذرة.
التربة مُحضّرة بعناية. تُزرَع البذور قبل شهور. بمجرّد ما تصبح في الأرض، فلا أحد يعلم من اليد التي رمت بها هناك. فهنّ جزءٌ من الأرض. أخفِ تلاعباتك من خلال زرعِ بذورٍ تأخذ جذوراً لوحدها.

النظرات هي المدفعيّة الثقيلة للغزل: فكلّ شيءٍ يمكن أن ينقل من خلال نظرة، ومع ذلك فإنّه من الممكن إنكار تلك النظرة، لأنّه لا يُمكن الاستشهاد بها كلمةً بكلمة.

ـ ستندال، مُقتبَس في *النقيصة: مقتطفات أدبيّة مختارة*، تحرير ريتشارد داڤنبورت ـ هينس

اليوم فصاعداً، واصل بمنتهى التعقّل ما بدأه معطياً الانطباع بأنه كان منهمكاً بالكامل بعملٍ آخر، وأصبح زائراً نظامياً للحيّ.

- جيوڤاني بوكاتشيو، *عمل العشرة أيام*، ترجمة جاي. إتش ماك ويليام

الانقلاب

الخطر في الإيحاء يكمن في أنّه عندما تترك الأشياء ملتبسة فإنّ هدفك قد يسيء تفسيرها. هنالك لحظات، وخاصّةً في المراحل اللاحقة من الإغواء، عندما يكون من الأفضل أن تعبّر عن فكرتك بشكلٍ مباشر، وخاصّةً ما إن تعلم أنّ هدفك سيرحّب بها، غالباً ما تصرّف كازانوڤا بهذه الطريقة. عندما كان يحسّ بأنّ امرأةً ترغب به، وتحتاج إلى قليلٍ من التهيئة، فإنّه كان يستخدم تعليقاً مسرفاً في التعبير عن العاطفة وصادقاً ومباشراً كي يُفقِدها الاتّزان ويسكرها كدواءٍ مخدّر ويجعلها تقع تحت سحره. نادراً ما كان جابرييل دانونزيو (الخليع والكاتب) يتوانى عندما يلتقي بامرأة يرغب بها. فالإطراء كان يتدفّق من فمه وقلمه. كان يسحر «بصدقه» (الصدق يمكن التظاهر به وادّعاؤه، وهو مجرّد استراتيجيّة واحدة من ضمن الأخريات). لكنّ هذا يفلح فقط عندما تشعر بأنّ الهدف قد أصبح ملكك بسهولة. إذا لم يكن الحال كذلك، فإنّ الدفاعات والارتيابات التي يثيرها هجومك المباشر ستجعل إغواءك لهدفك مستحيلاً. عندما يخامرك الشك، تكون المواربة (الأسلوب غير المباشر) هي الطريق الأفضل.

7

ادخل في نفسِيَّاتهم (روحهم)

معظم
النــــــاس
منغَلقون في عوالمهم
الخاصة، مما يجعلهم عنيدين
وعسيري الإقناع. الطريقة لتستدرجهم
خارج قوقعتهم وتَنصُب إغواءك هي أن تدخل
أمزجتهم ونفسياتهم. إلعب وفقاً لقوانينهم واستمتع
بما يستمتعون به وكيّف نفسك مع أمزجتهم. بعملك لهذا سوف
تداعب نرجسيتهم العميقة الجذور وتُخَفِّض دفاعاتهم. سينفتحون، ويصبحون
عرضةً لتأثيرك الخفي بعد أن نوَمّتْهم مغناطيسيّاً صورة المرآة التي تقدّمها. سرعان
ما ستستطيع أن تبدّل الديناميكيّة: ما إن تكون قد دخلت نفسيّتهم حتّى
تستطيع أن تجعلهم يلجوا في نفسيّتك، في مرحلةٍ يكون عندها
التراجع قد فات أوانه. تساهل مع تقلّباتهم ونزواتهم
وبذلك تكون قد حرمتهم من أي
شيءٍ ليبدو ردَّ فعلٍ إزاءه
أو يقاوموه.

استراتيجيّة التساهل والتسامح

هل أنت متلهّف للاحتفاظ بخليلتك؟ / أقنعها بأنّها قد زلزلت كيانك / بنظراتها المدوّخة. إذا كان الأرجوان هو ما ترتديه، فأثني على الأرجوان؛ / عندما ترتدي ثوباً حريريّاً، قل أنّ الحرير / هو أكثر ما يناسبها على الإطلاق... أبدِ إعجابك / بصوتها عندما تغنّي، وبحركاتها عندما ترقص، / إصرخ «ثانيةً!» عندما تتوقّف. يمكنك أن تطري حتّى / أداءها في السرير، موهبتها في ممارسة الحبّ - / تلفّظ بما أثار إعجابك. / بالرغم

في أوكتوبر من عام 1961، مُنِحَت الصحفيّة سيندي آدامز مقابلةً حصريّة مع رئيس إندونيسيا (سوكارنو). لقد كانت ضربةً موفّقةً استثنائيّةً وغير متوقّعة، فآدامز كانت صحفيّةً مغمورةً في ذلك الوقت، بينما سوكارنو كان شخصيةً عالميّةً بارزة في خضمّ أزمة. كان قائداً للنضال من أجل استقلال إندونيسيا، ورئيساً لها منذ عام 1949، عندما تخلّى الهولّنديّون أخيراً عن المستعمرة. كانت قد جعلته سياسته الخارجيّة الجريئة مكروهاً لدى الولايات المتّحدة من بداية ستّينات القرن الماضي، وأخذ البعض ينادونه بهتلر آسيا.

قرّرت آدامز ألاّ تُرَوَّع أو يُهَوّل عليها من قبل سوكارنو وذلك من أجل أن تُقَدّم مقابلةً رشيقة ومفعمة بالحياة، لذا بدأت المحادثة بممازحته. ممّا فاجأها وأسعدها أنّ أسلوبها في كسر الجليد قد فعل فعله: كان سوكارنو دافئاً معها. ترك المقابلة تستغرق أكثر من ساعة ونيّف، وعندما انتهت حمّلها بالهدايا. كان نجاحها لافتاً بما فيه الكفاية، لكنّ النجاح الأكبر كان الرسائل الودّية التي أخذت تتلقّاها منه بعد أن عادت هي وزوجها إلى نيويورك. بعد عدّة سنوات اقترح أن تتعاون معه في كتابة مذكّراته الذاتيّة.

ارتبكت آدامز التي كانت معتادةً على كتابة المقالات الإطنابيّة عن مشاهير الدرجة الثالثة. كانت تعلم صيت سوكارنو كدونجوانٍ شيطانيّ - *المغوي العظيم*، كما كان يدعوه الفرنسيّون. كان لديه أربع زوجات والمئات من الفتوحات الجنسيّة. كان وسيماً، ومن الواضح أنّه كان منجذباً إليها، لكن لِمَ اختارها لهذه المهمّة ذات الإعتبار والهيبة؟ لعلّ الليبيدو الذي لديه كان أقوى بكثير من أن يعبأ بهكذا أشياء. على الرغم من ذلك، فقد كان عرضاً لا تستطيع أن ترفضه.

في عام 1964، عادت آدامز إلى إندونيسيا. كانت قد قرّرت أن تحافظ على استراتيجيّتها: ستكون السيّدة الصريحة والجريئة التي بدت أنّها سحرت سوكارنو قبل ثلاث سنوات. خلال مقابلتها الأولى معه من أجل الكتاب، تذمّرت بلهجةٍ قويّةٍ نوعاً ما حيال الغرف التي خُصِّصَت لها من أجل السكنى. بعثت برسالةٍ له - كما لو كان سكرتيرها - من أجل أن يوقّعها، حيث فصّلت فيها كيفيّة المعاملة الخاصّة التي كانت تتوقّعها من قبل الجميع بلا استثناء. وقّع الرسالة وعمل بما فيها، الأمر الذي أذهلها.

الأمر التالي على جدول أعمال آدامز كان رحلةً في إندونيسيا لتجري مقابلاتٍ مع الناس الذين عرفوا سوكارنو في صباه وشبابه. لذا اشتكت له عن الطائرة التي كانت ستقلّها، وقالت عنها أنّها غير آمنة. «سأقول لك أمراً يا عزيزي،» قالت له، «أعتقد أنّه يجب عليك أن تمنحني طائرةً خاصّة.» فأجاب وقد ظهر عليه الارتباك نوعاً ما: «حسنٌ». إلّا أنّها تابعت القول: واحدةٌ، على أيّ حال، لا تكفي؛ وطالبت بعدّة طائرات وهليكوبتر وبطيّارٍ خاصّ، كفؤ. وافق على كلّ شيء. لم يبدُ على قائد إندونيسيا الخوف من آدامز وحسب، لكنّه كان أيضاً تحت سحرها بالكامل. أطرى ذكاءها وظرافتها. اعترف لها في إحدى المرّات، «هل تعلمين لماذا أفعل هذه السيرة الذاتيّة؟ ... فقط بسببك، ذلك هو السبب.» انتبه لثيابها وأثنى على أطقمها، ملاحظاً أيّ تغييرٍ طرأ عليهم. كان أشبه بمتودّدٍ متزلّف منه بـ«هتلر آسيا.»

من المحتوم، بطبيعة الحال، أنّه حاول مواقعتها عدّة مرّات. فقد كانت امرأةً جذّابة. أوّلاً كان يضع يده على يدها، ومن ثمّ يسرق قبلة. رفضته بازدراء في كلّ مرّة، موضحةً أنّها كانت سعيدةً بزواجها، لكنّها قلقت: إذا كان كلّ ما يريده هو علاقة غراميّة، فإنّ اتّفاق الكتاب بأكمله يمكن أن ينهار. مجدّداً، على الرغم من ذلك، بدت أنّ استراتيجيّة الصراحة والمُباشرة التي اتّبعتها على أنّها الاستراتيجيّة الصحيحة. من المفاجئ أنّه تراجع من دون غضب أو امتعاض. وعد بأنّ تعلّقه بها سيبقى أفلاطونيّاً (عذريّاً). وَجَب عليها الاعتراف بأنّه لم يكن أبداً كما توقّعته، أو كما وُصِفَ لها. لعلّه كان يحبّ أن يُسَيطَر عليه من قبل النساء.

استمرّت المقابلات لعدّة شهور، ولاحظت تغيّراتٍ طفيفة عنده. ظلّت تخاطبه بألفة (بعدم كلفة)، مُتبِلةً المحادثة بتعليقاتٍ جريئة، لكنّه الآن كان يرد على هذه التعليقات بتعليقاتٍ مماثلة، مستمتعاً بهذا النوع من المشاكسة

من أنّها قد تظهر عنفاً في تصرّفاتها أكثر من أيّة ميدوسا، / إلّا أنّ حبيبها سيصفها دائماً على أنّها رقيقة / ولطيفة. لكن إحرص على ألّا تكشف نفسك بينما تقوم بمجاملاتٍ مَزوحة كهذه، لا تسمح / لتعبيرك بأن يخرب الرسالة. يكون الفنّ غايةً في الفاعليّة / عندما يُخفى. كشف أمرك سيفقدك مصداقيتك إلى الأبد.

- أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

الصبي الصغير (أو البنت) يسعى لسحر والديه. في الأدب الشرقي، يُعتَبر التقليد واحداً من طرق الجذب. النصوص السنسكريتية، على سبيل المثال، تعطي دوراً مهمّاً لحيلة المرأة التي تستنسخ ثياب وتعابير حبيبها وطريقته في الكلام. هذا النوع من الدراما المتّسم بالتقليد والمحاكاة يستحثّ المرأة التي، «كونها غير قادرة على الاتّحاد مع محبوبها، تحاكيه كي تشتّت أفكاره.»

(المضايقة) الأنيقة. تبنّى نفس المزاج المفعم بالحياة الذي فرضته على نفسها بشكلٍ استراتيجيّ. في البداية كان يلبس بذّته العسكريّة، أو بذلاته الإيطاليّة. الآن أصبح يلبس بشكلٍ اعتيادي، بل وحتّى يمشي حافياً، بعد أن انسجم مع أسلوب علاقتهما غير الرسمي. ذات ليلة أثنى على لون شعرها. فشرحت له أنّها كانت تصبغ شعرها باستخدام صبغة كليرول،اللون الأسود المزرقّ. أراد أن يحصل على نفس اللون؛ لذا كان عليها أن تحضر له عبوة. عملت كما طلب منها، متخيّلةً أنّه كان يمزح، لكنّه بعد بضعة أيّام طلب أن تتواجد في القصر لكي تصبغ شعره. فعلت كذلك، والآن أصبح لديهما نفس لون الشعر بالضبط.

الكتاب، *سوكارنو: السيرة الذاتية كما روتها سيندي آدامز*، نُشِرَ في عام 1965. ما فاجأ القرّاء الأمريكيّين أنّ الكتاب حمل الانطباع بأنّ سوكارنو كان ساحراً ومحبوباً بشكلٍ لافت، وتلك بالفعل كانت الكيفيّة التي وصفته بها آدامز للجميع. إذا جادلها أيّ شخص، كانت تقول أنّهم لم يعرفوه كما عرفته. سُرَّ سوكارنو، وانتشر الكتاب على نطاقٍ واسع. ساعده الكتاب على كسب التأييد والتعاطف في إندونيسيا، حيث كان الآن مهدّداً بانقلابٍ عسكريّ. ولم يتفاجأ سوكارنو ـ إذ كان يعلم أنّ آدامز ستؤدّي عملاً أفضل بكثير (فيما يتعلّق بمذكّراته) من أيّ صحفيٍّ «جادّ».

التفسير. من كان يقوم بإغواء من؟ إنّه كان سوكارنو من قام بالإغواء، وإغواؤه لآدامز اتّبع تسلسلاً تقليديّاً. أوّلاً، اختار الضحيّة المناسبة. صحفيّةٌ ذات خبرة كانت سترفض إغراء العلاقة الشخصيّة مع صاحب العمل، وصحفيٌّ رجل سيكون أقلّ عرضةً لسحره. لذلك اختار امرأةً، والتي كانت خبراتها الصحفيّة تكمن في مكانٍ آخر. أرسل رسائل مختلطة: فقد كان ودوداً معها، لكنّه لمحّ إلى نوعٍ آخر من الاهتمام أيضاً. بعد ذلك، أي بعد أن دسّ الشك في ذهنها (لعلّه كان يريد مجرّد علاقة؟)، انتقل لمحاكاتها (عكس صورة تصرّفاتها). سايرها وتماشى مع كلّ حالاتها، وانكفأ متراجعاً في كلّ مرّة تذمّرت فيها. تدليل الأشخاص والتساهل معهم هو نمطٌ من دخول نفسيّتهم، من خلال جعلهم يسيطرون في الوقت الراهن.

لربّما تودّدات (تحرّشات) سوكارنو لآدامز أظهرت شهوته التي لا يمكن

• الطفل أيضاً، مستخدماً أدوات السلوكيات المقلّدة، يلبس، وإلى ما هنالك، سعياً منه إلى سحر الأب أو الأم إلى أن يحقّق مأربه السحري الذي هو إذن «تشتيت أفكارهما.» التماهي يعني أنّ المرء يتخلّى ولا يتخلّى عن الرغبات العاشقة. إنّه إغراءٌ يستخدمه الطفل ليأسر اهتمام والديه والذي، يجب أن نعترف، ينصاعان له. الشيء نفسه ينطبق على الجماهير، الذين يحاكون قائدهم، يحملون اسمه ويكررون إيماءاته. هم ينحنون له، لكن في نفس الوقت وبشكلٍ غير واعٍ ينصبون فخّاً لاحتجازه. الاحتفالات والتظاهرات العظيمة هي بالضبط مناسبات تسحر فيها العوامّ القائد والعكس بالعكس.

- سيرج موسكوفيتشي، *عصر العامّة*، ترجمة جاي. سي. وايتهاوس

أخي السادس، الذي

التحكّم بها أثناء العمل، أو لعلّها كانت أكثر دهاءً ومكراً. كان لديه صيتٌ كدونجوان؛ أن يعجز عن التحرّش بها كان من شأنه أن يجرح مشاعرها. (النساء غالباً ما ينزعجن أقل ممّا تتصوّر عندما يجدهن أحدهم جذّابات، وسوكارنو كان ذكيّاً بما فيه الكفاية ليعطي كلّ واحدة منهنّ الانطباع بأنّها كانت الأثيرة عنده.) لذا قرّر أن يسلك طريقاً مختصراً كي يدخل في نفسيّتها بشكلٍ أعمق، وذلك من خلال محاكاة سيماء اللاتكلّف التي لديها، بل وحتّى تأنيث نفسه بشكلٍ بسيط من خلال اتّخاذ لون شعرها. النتيجة كانت أنّها كوّنت عنه انطباعاً مغايراً لما توقّعت أو خشيت أن يكونه. أقلّه لم يكن مصدر تهديد، وفي النهاية فقد كانت هي من يمسك بزمام السيطرة. الأمر الذي فشلت آدامز في إدراكه كان أنّه ما إن تخلّت عن دفاعاتها حتّى أصبحت غافلةً عن مدى عمق مشاغلته لعواطفها. لم تكن هي من سحرته، بل كان هو من سحرها. ما أراده من البداية كان ما حصل عليه: سيرة ذاتيّة بقلم أجنبيّة متعاطفة والتي قدّمت للعالم وصفاً (تصويراً) جذّاباً عن رجلٍ كان يرتاب في أمره الكثيرون.

من بين كل التكتيكات الإغوائيّة، لربّما يكون دخول روح الشخص هو أكثرها شيطانيّةً. فهذا التكتيك يعطي ضحاياك الشعور بأنّهم من يقوم بالإغواء. واقِعُ قيامك بإشباع رغباتهم ومحاكاتهم ودخولك نفسيّاتهم يوحي بأنّك تحت سحرهم. أنت لست مغوياً خطيراً كي يُحْذَرَ منه، وإنّما ليّن العريكة وغير مُهَدِّد. الانتباه الذي تعيرهم إيّاه يُسكِرُهم ـ بما أنّك تعكس صورتهم، فإنّ كل شيء يرونه ويسمعونه منك يعكس أذواقهم والأنا الخاصّ بهم. وياله من دعم لغرورهم. كلّ هذا يحضّر للإغواء، أي لسلسلة المناورات التي سوفَ تقلب الديناميكيّة رأساً على عقب. ما إن يتخلّوا عن دفاعاتهم حتّى يصبحوا عرضةً لتأثيرك. سرعان ما ستبدأ بقيادة الرقصة، ودون حتّى أن يلاحظوا، سيجدون أنفسهم وقد دخلوا نفسيّتك. هذه هي نهاية اللعبة.

النساء لا يشعرن بالطمأنينة والراحة إلّا مع أولئك الذين يجازفون معهنّ ويدخلون نفسيّاتهنّ.

ـ نينون دي لانكلو

قام أمير المؤمنين بقطع كلتا شفتيه، يُدعى شقاشق. • كان فقيراً جدّاً خلال شبابه. ذات يوم، بينما كان يتوسّل في شوارع بغداد، مرّ بقصرٍ سنـــيّ، حيث وقف ببوّابته صفٌّ مهيبٌ من الخدم والحشم. أخبرَ أخي لدى استعلامه بأنّ المنزل كان ملكاً لفردٍ من أسرة برمسيد الثريّة والمتنفّذة. دنا شقاشق من حرّاس الباب واستجدى صدقةً. • «إدخل،» قالوا له، «وسيعطيك سيّدنا كل ما تشتهيه.» • دخل أخي في الردهة السامقة وتابع سيره نحو قاعةٍ فسيحةٍ مُبلّطةٍ بالمرمر، مزدانةٍ بالسجف وتطلّ على حديقةٍ جميلة. وقف مذهولاً للحظة، دون أن يعلم إلى حيث يتّجه، وبعد ذلك تقدّم إلى النهاية البعيدة من القاعة. هناك، بين الطنافس، اتكأ رجلٌ عجوزٌ بهيّ الطلعة وذو لحيةٍ طويلة، والذي ميّزه أخي مباشرةً كسيّد المنزل. • «ماذا أستطيع فعله لك يا

المفاتيح للإغواء

واحد من أكبر مصادر الإحباط في حياتنا يكمن في عناد وتصلّب الناس الآخرين. ما أصعب الوصول إليهم، وجعلهم يرون الأشياء كما نراها (وفقاً لمنظورنا). غالباً ما يخامرنا الانطباع بأنّه عندما يبدو أنّهم يستمعون لنا، ويتّفقون معنا ظاهريّاً، فإنّ كلّ ذلك عبارة عن مظاهر سطحيّة ـ ففي اللحظة التي نغيب فيها، يرتدّون إلى أفكارهم الخاصّة. نمضي حياتنا ونحن نصطدم ونتناطح بالناس الآخرين، كما لو كانوا جدراناً حجريّة. لكن بدلاً من التذمّر حيال مدى إساءة فهم الناس لك أو تجاهلهم إيّاك، لمَ لا تحاول شيئاً مختلفاً: عوضاً عن رؤية الناس كمضطغنين وضيعين أو لامبالين، عوضاً عن محاولة تصوّر سبب تصرّفهم بالطريقة التي بها يتصرّفون، انظر إليهم من خلال عينيّ المغوي. الطريقة لاستمالة (استدراج) الناس خارج عنادهم وهوسهم الذاتي الفطريّين تكون من خلال دخول نفسيّاتهم.

كلّنا نرجسيّون. عندما كنّا أطفالاً كانت نرجسيّتنا ماديّة أو جسمانيّة: كنّا مولعين بصورتنا الخاصّة وجسمنا كما لو كان كائناً مستقلاًّ عنّا. عندما نتقدّم في السّن تنحو نرجسيّتنا نحواً أكثر سيكولوجيّةً: نصبح مُستَغرَقين بأذواقنا، آرائنا، خبراتنا. تتشكّل من حولنا قوقعةٌ قاسية. المفارقة تكمن في أنّ الطريقة لاستمالة الناس خارج هذه القوقعة تكون من خلال أن نصبح مثلهم، أي أن نصبح في الواقع كنوعٍ من انعكاسٍ لهم على المرآة. أنت لست مضطرّاً لأن تنفق أيّاماً في دراسة ذهنيّاتهم؛ ببساطة تكيّف مع أمزجتهم وأذواقهم، سايرهم وادّعِ الموافقة مع أيّ شيءٍ يقذفونه في وجهك. ستخفّض دفاعيّتهم الفطريّة من خلال فعلك لهذا. إحساسهم بالتقدير الذاتي لن يشعر بأنّه مهدّد من قبل غرابتك أو عاداتك المختلفة. الناس يحبّون أنفسهم بحقّ، لكنّ أكثر شيءٍ يحبّونه على الإطلاق هو أن يروا أفكارهم وأذواقهم وقد انعكست عند شخصٍ آخر. هذا يصادق عليهم وعلى آرائهم وأذواقهم. هم يسترخون بعد أن نوّمَتْهُم مغناطيسيّاً صورتهم المنعكسة. أمّا وأن جدارهم الداخلي قد تقوّض وانهار، تستطيع عندها أن تحملهم على الانفتاح، وأن تقلب في آخر المطاف الديناميكيّة رأساً على عقب. ما إن يُصبِحوا منفتحين لك، يصبح من السهل أن تعديهم بأمزجتك وحرارتك

صديقي؟» سأل الرجل المسّن، بينما كان ينهض ليرحّب بأخي. • عندما أجاب شقاشق بأنّه متوسّل جائع، فإنّ الرجل المسّن عبّر عن أعمق درجات التعاطف ومزّق ثيابه الجميلة، صارخاً: «هل من الممكن أن يكون هنالك رجلٌ يمثل جوعك في المدينة التي أقطن فيها ؟ إنّه بالفعل عارٌ لا يمكنني تحمّله!» بعد ذلك طمأن أخي، مستطرداً: «أصرّ على أن تبقى معي وتشاطرني عشائي.» • لدى هذه العبارة قام سيّد المنزل بتصفيقةِ بيديه واستدعى أحد العبيد: «إجلب الحوض والإبريق.» بعد ذلك قال لأخي: «أقبِل يا صديقي واغسل يديك.» • نهض شقاشق ليهمّ بهذا، لكنّه لم يرَ لا حوضاً ولا إبريقاً. ارتبك لدى رؤيته لمضيفه وهو يقوم بإيماءاتٍ وكأنّه كان يصبّ الماء على يديه من وعاءٍ غير مرئيّ ومن ثم يجفّف يديه بمنشفةٍ غير مرئيّة. عندما انتهى، نادى

الخاصّة. دخولك في روح الشخص الآخر هو نوع من التنويم المغناطيسي؛ إنّه الشكل الأكثر فاعليّة وغدراً من الإقناع الذي يعرفه الإنسان.

في الرواية الصينيّة من القرن الثامن عشر *حلم حجرة النوم الحمراء*، كل فتيات منزل شيا المزدهر يحببن باو يو الخليع. هو وسيمٌ من غير ريب، لكن ما يجعله لا يُقاوَم هو قدرته الخارقة للطبيعة على دخول روح الفتاة اليافعة. أمضى باو يو شبابه حول الفتيات، اللواتي لطالما فضّل صحبتهنّ. كنتيجةٍ لذلك لم يعطِ الانطباع بكونه عدوانيّاً أو مصدر تهديد. كان يُمنَح الدخول إلى غرف الفتيات اللواتي كنّ يرونه في كلّ مكان، وكلّما رأينه وقعن تحت سحره. لا يمكن القول بأنّ باو يو كان أنثويّاً؛ فهو يظلّ رجلاً، لكن رجلاً من شأنه أن يكون على قدرٍ متفاوتٍ من الرجولة تبعاً لما يقتضيه الموقف. إلفته للفتيات منحته المرونة كي يدخل نفسيّاتهن.

هذا امتيازٌ عظيم. الاختلاف ما بين الجنسين هو ما يجعل الحبّ والإغواء ممكنين، لكنّه يشمل أيضاً على عنصر الخوف وعدم الثقة. قد تخاف المرأة من عدوان الرجل وعنفه؛ والرجل غالباً ما يكون غير قادرٍ على ولوج روح المرأة، لذا يبقى غريباً ومصدر تهديد. معظم المغوين في التاريخ، من كازانوفا لجون إف. كينيدي، ترعرعوا وهم محاطون بالنساء وتحلّوا بلمسةٍ أنثويّة هم أنفسهم. الفيلسوف سورين كيركيجارد، في روايته *يوميّات مغوي*، ينصح بإمضاء وقتٍ أكبر مع الجنس الآخر، من أجل معرفة «العدو» ونقاط ضعفه لكي تستطيع تحويل هذه المعرفة إلى صالحك.

نينون دي لانكلو، التي كانت واحدةً من أعظم المُغويات اللاتي عشن على سطح المعمورة، تحلّت بخصائص ذكوريّة واضحة. كانت تستطيع أن تُثير إعجاب الرجل بذكائها الفلسفيّ المتّقد، وتسحره من خلال ظهورها كمن يشاطره اهتمامه بالسياسة والحرب. طوّر العديد من الرجال صداقاتٍ عميقة معها، فقط ليقعوا بعدها في الحب بجنون. الرجولة لدى المرأة تسترضي الرجال تماماً كما تفعل الأنوثة لدى الرجل مع الإناث. بالنسبة للرجل، يمكن لغرابة المرأة أن تخلق إحباطاً بل وحتّى عدوانيّةً. قد يُغرى أو يُستَدرَج لواقعةٍ جنسيّة، لكنّ رقيةً (سحراً) أطول أمداً لا يمكن أن تُخلَق دون إغواءٍ فكريٍّ مرافق. المفتاح هو أن تدخلي روحه. الرجال غالباً ما يُغوَون بالعنصر الرجولي في سلوك أو شخصيّة المرأة.

المضيف الخدم: «أحضروا الطاولة!» • أسرع عددٌ من الخدم إلى داخل وخارج القاعة كما لو أنّهم كانوا يحضّرون لوجبة. كان أخي لا يزال لا يستطيع أن يرى شيئاً. ومع ذلك فقد دعاه مضيفه ليجلس على طاولةٍ تخيّلية، بقوله، «شرّفني بتناولك لهذا اللحم.» • حرّك الرجل المسنّ يديه وكأنّه كان يلمس صحوناً غير مرئيّة، وكذلك حرّك فكه وشفتيه كما لو أنّه كان يمضغ. بعد ذلك قال لشقاشق: «كل قدر استطاعتك يا صديقي، لأنه لا بدّ وأنّك جوعان.» • بدأ أخي بتحريك فكّه، ليمضغ ويبتلع، وكأنّه كان يأكل، بينما استمرّ العجوز بملاطفته قائلاً: «كل يا صديقي، ولاحظ جودة الخبز وبياضه.» • «لهذا الرجل،» فكّر شقاشق، «لا بدّ وأنّه مولَع بالمداعبات السمجة.» لذا قال، «إنّه يا سيّدي، أكثر بياضاً من أيّ خبزٍ رأيته في كلّ حياتي، ولم أتذوّق مثله في

في رواية *كلاريسّا* (1748) التي كتبها ساموبل ريتشاردسون، يتمّ التودّد لكلاريسّا اليافعة والورعة من قِبَل الخليع سيّء الصيت لوڤلايس. كلاريسّا كانت تعلم بسمعة لوڤلايس، لكنّه لم يتصرّف في معظم الأحيان كما توقّعت منه أن يتصرّف: فقد كان مهذّباً، وبدا حزيناً بعض الشيء ومضطرباً. في إحدى المرّات كانت تكتشف أنّه عمل عملاً في غاية النبل والإحسان مع عائلةٍ تعاني من العَوَز، فيعطي مالاً للأب، ويساعد ابنة الرجل على الزواج، ويقدّم لهم النصيحة الحكيمة. في النهاية اعترف لوڤلايس لكلاريسّا بما كانت قد اشتبهت به: كان يريد أن يتوب وأن يغيّر طرائقه. رسائله لها كانت عاطفيّة، وتكاد تكون دينيّةً في شغفها وهيامها. لعلّها ستكون من يقوده إلى جادة الصواب والاستقامة؟ لكن لوڤلايس كان قد أوقعها في شراكه: كان يستخدم تكتيك المغوي الخاص بعكس صورة (محاكاة) ميولها، في هذه الحالة روحانيّتها. بمجرّد ما تخلّت عن دفاعاتها، بمجرّد ما آمنت أنّها تستطيع إصلاحه، فقد حُكِمَ عليها بالوقوع: الآن أصبح بإمكانه أن يدسّ بروحه في رسائله ولقاءاته معها. تذكّر: الكلمة ذات المغزى أو التأثير هي «الروح»، وهي غالباً ما تكون بالضبط المكان الذي يجب استهدافه. من خلال ظهورك كمن يعكس صورة مبادئ أحدهم الروحيّة، تستطيع أن تؤسّس تناغماً عميق الجذور ما بينكما، والذي يمكن عندها أن ينتقل إلى المجال المادّي (الجنسي.)

عندما انتقلت جوزفين بايكر إلى باريس، في عام 1925، كجزءٍ من عملٍ مسرحيّ غنائيٍّ وراقص يتكوّن بأكمله من السود، فإنّ فرادَتها جعلتها نبأً مثيراً بين ليلةٍ وضحاها. لكنّ الفرنسيّين اشتُهِروا بتقلّبهم، وأحسّت بايكر بأنّ اهتمامهم بها سينتقل بسرعة إلى شخصٍ آخر. دخلت إلى روحهم، وذلك لكي تغويهم إلى الأبد. تعلّمت الفرنسيّة وبدأت تغنّي بها. بدأت تلبس وتتصرّف كسيّدةٍ فرنسيّةٍ أنيقة، وكأنّ لسان حالها يقول أنّها تفضّل أسلوب الحياة الفرنسي على الأمريكي. الدول مثل الناس: لديها مكامن لأمانٍ عديدة، وتشعر بأنّها مهدّدة من قبل الأعراف والتقاليد الأخرى. غالباً ما يكون مُغوياً بحقّ بالنسبة إلى شعبٍ من الشعوب أن يروا غريباً وقد تبنّى طرائقهم وعاداتهم. بنجامين دزرائيللّي وُلِدَ وعاش حياته كلّها في إنكلترا، لكنّه كان يهوديّ المنبت، وكان ذا ملامح غريبة؛ فاعتبره الإنكليز المحلّيون

عمري.» • «هذا الخبز،» قال المضيف، «خُبِزَ من قبل عبدةٍ كنت قد اشتريتها بخمسمئة دينار.» بعدئذٍ نادى أحد عبيده: «أحضروا السجق، وضعوا فيها الكثير من الدهن!» • ... عندها حرّك المضيف أصابعه وكأنّه كان يلتقط لقمةً من صحنٍ خياليّ، ودسّ الطعام الشهيّ غير المرئي في فم أخي. • تابع العجوز بالإطناب عن مزايا الأطباق المتعدّدة، بينما أصبح أخي يتضوّر جوعاً لدرجة أنّه كان مستعدّاً لأن يموت من أجل كسرة خبز شعير. • «هل تذوّقت في كلّ عمرك أيّ شيءٍ أطيب من،» تابع العجوز، «التوابل في هذه الأطباق؟» • «كلاّ، إطلاقاً،» أجاب شقاشق. • «كل بحماسةٍ إذن،» قال مضيفه، «ولا تخجل!» • «أشكرك يا سيّدي،» أجاب شقاشق، «لكنّني أكلت أساساً حتّى التخمة.» • لكنّ الرجل المسنّ عند ذلك قام بالتصفيق مجدّداً وصرخ:

دخيلاً. ومع ذلك فقد كان أكثر إنكليزيّةً في سلوكه وذوقه من كثيرٍ من رجال الإنكليز، وكان هذا جزءاً من سحره، الذي برهنه من خلال تزعّمه للحزب المحافظ. إذا كنت غريباً أو دخيلاً (كحال معظمنا في نهاية المطاف)، فحوّل ذلك إلى ميزة: تلاعب بطبيعتك الأجنبيّة بطريقةٍ تُظْهِر للمجموعة مدى عمق تفضيلك لأذواقهم وعاداتهم على تلك الخاصّة بك.

في عام 1752، قرّر الخليع سالتيكوف الذائع الصيت أن يكون أوّل رجلٍ في البلاط الروسي يغوي الدوقة الكبرى البالغة من العمر الثالثة والعشرين، إمبراطورة المستقبل كاثرين العظمى. علم أنّها كانت متوحّدة؛ زوجها بيتر تجاهلها، كالعديد من رجال البلاط الآخرين. ومع ذلك فقد كانت العقبات هائلة: كان يتم التجسّس عليها ليل نهار. ومع ذلك فقد تدبّر سالتيكوف مصادقتها، ودخول دائرتها (حلقتها) الصغيرة جدّاً. استفرد بها أخيراً، وأوضح لها مدى تفهّمه لوحدتها، ومدى عمق كرهه لزوجها، وكم شاركها اهتمامها بالأفكار الجديدة التي كانت تجتاح أوروبا. سرعان ما وجد نفسه قادراً على تدبير لقاءاتٍ أخرى، حيث أعطاها الانطباع بأنّه عندما كان معها، فإنّه لم يَعُد شيءٌ آخر في العالم يهمّه. وقعت كاثرين عميقاً في حبّه، وأصبح في الواقع أوّل حبيبٍ لها. كان سالتيكوف قد دخل روحها.

عندما تعكس صورة الناس، تكون قد ركّزت اهتماماً بالغاً عليهم. سيستشعرون الجهد الذي تجشّمته، وسيجدون ذلك مطرياً. من الواضح أنّك قد اخترتهم، وفصلتهم عن البقيّة. يبدو أنّه لا يوجد شيءٌ آخر في حياتك إلّا هم - طباعهم، أذواقهم، روحهم (نفسيّاتهم). كلّما ركّزت عليهم، كان السحر الذي تولّده، والأثر المُسكِر الذي تمارسه على غرورهم وخيلائهم أكثر عمقاً.

يعاني العديد منّا صعوبةً في التوفيق ما بين الشخص الذي نحن عليه الآن وما بين الشخص الذي نريد أن نكونه. نحن خائبو الأمل لكوننا تنازلنا عن مثاليّات صبانا، ولا نزال نتصوّر أنفسنا كذلك الشخص الواعد الذي يُتوَسَّمُ فيه كثيرٌ من بشائر النجاح، لكن الظروف منعته من تحقيقه. عندما تعكس صورة شخص (تحاكيه)، لا تتوقّف عند الشخص الذي أصبحه؛ وإنّما

«أحضروا الخمر!» • ... «سيّدي،» قال شقاشق، «إنّ كرمك يغمرني!» ورفع القدح غير المرئي إلى شفتيه، وتظاهر بأنّه رشفه دفعةً واحدة. • «فلتنعم بالصحّة والمرح!» هتف العجوز وهو يتظاهر بصبّ بعض النبيذ لنفسه وشربه. ناول قدحاً آخر لضيفه، واستمرّ الاثنان على هذا المنوال إلى أن تظاهر شقاشق بأنّه سكران وأخذ يدير رأسه من جهةٍ إلى جهة. عندئذٍ، أخذ مضيفه الكريم على حين غرّة، إذ رفع ذراعه عالياً حتّى بان بياض إبطه، وناوله ضربةً على عنقه جعلت القاعة تردّد صداها. وأتبع هذه الضربة بضربة ثانية. • نهض العجوز مغضباً وصرخ: «ماذا تفعل أيها الكائن الحقير؟» • «سيّدي» ردّ أخي، «لقد استقبلت عبدك المتواضع في منزلك وأغدقته بكرمك؛ لقد أطعمته أفضل الطعام وأطفأت ظمأه بأقوى أنواع الخمور. واحسرتاه، لقد أصبح سكراناً، ونسي

ادخل روح ذلك الشخص المثالي الذي يريد أن يكونه. هذه هي الكيفيّة التي تدبّر بها الكاتب الفرنسي شاتوبريان أن يصبح مغوياً عظيماً بالرغم من بشاعته الشكليّة. أثناء نشأته في أواخر القرن الثامن عشر، كانت الرومانتيكيّة (في الأدب) آخذةً في الرواج، والعديد من الشابات شعرن بغمٍّ عميق نتيجة غياب الرومانس في حياتهم. كان شاتوبريان يعيد إيقاظ الحلم الذي كان لديهن كفتياتٍ يافعات بأن يجرفهن الحبّ وأن يحقّقن مثاليّاتهن الرومانسيّة. هذا النوع من دخول روح الآخر لعلّه يكون الأكثر فاعليّة، لأنّه يجعل الناس يشعرون بشعورٍ أفضل إزاء أنفسهم. أثناء حضورك، فإنّهم يعيشون حياة الشخص الذي أرادوا أن يكونوه ـ عاشقٌ عظيم، بطلٌ رومانسيّ، وما شاكل. اكتشف تلك المثاليّات المحطّمة وحاكِها، باعثاً فيها الحياة من جديد من خلال عكسها مجدّداً على هدفك. قلّةٌ تستطيع مقاومة هذا الإغراء.

الرمز: مرآة الصيّاد.
القُبَرة هو طائرٌ لذيذ المذاق، لكن يَصعُب
الإمساك به. في الحقل، يضع الصيّاد مرآةً على حامل.
القُبرة تحطّ أمام المرآة، وتَخطو تارةً إلى الأمام وتارةً إلى الخلف،
بعد أن انتشت بصورتها الخاصّة المتحرّكة وبرقصة التزاوج الزائفة
التي ترى تأديتها أمام عينيها. الطائر يفقد كلّ الإحساس بمحيطه بعد
أن نُوِّمَ مغناطيسيّاً، إلى أن تُحكِم شبكة الصيّاد الإمساك به قبالة المرآة.

الانقلاب

في عام 1897 في برلين، التقى الشاعر راينر ماريا رايلكة ـ الذي كانت سمعته ستعمّ العالم فيما بعد ـ بلو آندرياس سالوم، الكاتبة روسيّة المولد والحسناء التي اشتُهِرَت بتحطيمها لقلب نيتشة. كانت الأثيرة عند مفكّري برلين، وبالرغم من أنّ رايلكة كان في الثانية والعشرين وهي في السادسة

السلوك الحسن! لكنّك غايةٌ في النبل يا سيّدي، وبالتأكيد أنّك ستغفر إساءته.» • انفجر العجوز بالضحك عندما سمع هذه الكلمات وقال: «لقد مزحت لفترةٍ طويلة مع جميع أنماط الرجال، لكن لم يتحلَّ واحدٌ منهم بمثل صبرك أو ظرافتك ليساير فكاهتي كما سايرت أنت. سأغفر لك الآن بسبب ذلك، وأطلب منك حقيقةً أن تأكل وتشرب معي، وأن تكون نديمي ما حييت.» • بعد ذلك أمر الرجل المسنّ خدمه بتقديم كلّ الأطباق التي تناولاها في الوهم، وبعد أن أكل وأخي حتّى التخمة قاما بالذهاب إلى حجرة الشراب، حيث صدحت نساءٌ جميلات بالغناء والموسيقى. العجوز من أسرة برمسيد أعطى شقاشق ثوب شرف وجعله نديمه الدائم.

ـ «حكاية شقاشق، الشقيق السادس للحلاّق،» *حكايا من ألف ليلة وليلة،*

ترجمة إن. جاي. داوود

والثلاثين، إلّا أنّه وقع في حبّها بجنون. غمرها برسائل الحبّ، التي أظهرت أنّه قد قرأ جميع كتبها واطّلع على ميولها اطّلاعاً حميماً. تصادق الاثنان. سرعان ما كانت تحرّر شعره، وهو تمسّك بكلّ كلمةٍ من كلماتها.

شعرت سالوم بالإطراء نتيجة محاكاة رايلكة لروحها (عكسه لصورتها) وأُسِرَت بالاهتمام المركّز الذي وجّهه لها وبالمشاركة الروحيّة التي بدأ بتنميتها. أصبحت عشيقته. لكنّها كانت قلقةً على مستقبله؛ كان من الصعب جني العيش كشاعر، لذا شجّعته على تعلّم لغتها الأصليّة، الروسيّة، ويصبح مترجماً. اتّبع نصيحتها بحماسٍ بالغ لدرجة أنّه استطاع تكلّم الروسيّة خلال بضعة شهور. زارا روسيا سويّةً حيث انبهر بما رآه ـ الفلاّحين، التقاليد الشعبيّة، الفنّ، العمارة. عندما عاد إلى برلين، حوّل مسكنه إلى نوعٍ من المقام لروسيا، وبدأ يرتدي ثياب الفلاّحين الروس ويطعّم حديثه بعباراتٍ روسيّة. الآن سرعان ما انطفأ سحر محاكاته. في البداية شعرت سالوم بالإطراء لكونه يشاركها اهتماماتها بهذه الحماسة، لكنّها الآن أصبحت ترى هذا كشيءٍ آخر: بدا أنّه لا يتمتّع بشخصيّةٍ حقيقيّة. كان قد أصبح تابعاً لها فيما يخصّ احترامه وتقديره لذاته. كانت كل تصرّفاته غايةً في العبوديّة. في عام 1899، أنهت العلاقة، الأمر الذي شكّل فاجعةً له.

هذه الرغبة بمستنسخ عنّا من الجنس الآخر والذي يشابهنا تماماً على الرغم من أنه مختلف، الرغبة بمخلوقٍ سحريّ والذي هو نحن، بينما يتمتّع بميزة الموجود المستقل التي تفوق كلّ ما نتخيله... نجد آثاراً لهذه الرغبة حتى في أكثر ظروف الحبّ اعتياديّةً: في الانجذاب المربوط لأيّ تغيّر، أيّ تنكر، كما في أهميّة انسجام النفس مع الآخر وتكررها فيه... العواطف الغراميّة الجياشة والتي لا سبيل إلى تهدئتها كلّها مرتبطة بواقع أنّ الكائن يتخيل بأنه يرى أكثر جوانب نفسه خفاءً تتجسّس عليه من وراء حجاب أعين الآخر.

ـ روبرت موسيل، مقتبس في *الحبّ المعلن*، لدينيس دي روجمون، ترجمة ريتشارد هاورد

الدرس بسيط: دخولك إلى روح الشخص يجب أن يكون تكتيكاً، وسيلةً لإخضاعه أو إخضاعها لسحرك. لا يمكنك أن تكون ببساطة إسفنجةً تتشرّب طباع الآخر وأمزجته. إحمل مرآةً قبالتهم لفترةٍ أطول من اللازم وسيتبيّنون حقيقتك وينفرون منك. تحت التشابه معهم الذي تجعلهم يرونه، يتوجّب عليك أن تحتفظ بإحساسٍ كامنٍ بهويّتك الخاصّة. عندما يحين الوقت، فإنّه يجب عليك أن تقودهم إلى روحك؛ إذ لا يمكنك أن تعيش على بساطهم. المغزى: إيّاك وأن تمضي في المحاكاة (حمل المرآة) أبعد من اللازم. فهي مفيدة فقط في المرحلة الأولى من الإغواء؛ في مرحلةٍ ما منه يجب أن تُعْكَس الديناميكيّة.

8

اخلق الإغراء

استدرج الهدف بعمق إلى إغوائك من خلال خلق الإغراء المناسب: لمحة من المُتع القادمة. كما أغوت الأفعى حواء بوعد المعرفة المحرمة، يتوجّب عليك أن توقظ رغبةً في أهدافك لا يستطيعون التّحكم بها. جِد نقطة الضعف لديهم، الأمنية التي لم تتحقق بعد، وأَشِر من طرفٍ خفي إلى أنّك تستطيع قيادتهم نحوها. قد تكون ثروةً، قد تكون مغامرة، قد تكون لذّاتٌ مُحَرمة وآثمة؛ المفتاح هو أن تُبقي الأشياء ملفوفةً بالغموض. دلَّ بالجائزة أمام أعينهم، مرجئاً الإشباع، ودع عقولهم تقوم بالباقي. المستقبل يبدو مكتنزاً بالفرص. أثر فضولاً أقوى من الشكوك والمخاوف التي ترافقه، وسوف يتبعونك.

الشيء المغري وبعيد المنال

في وقتٍ ما من ثمانينات القرن التاسع عشر، كان رجلٌ نبيل يُدعى دون جوان دي توديلاّس يتمشّى في منتزهٍ في مدريد عندما رأى امرأةً في بداية العشرينات وهي تنزل من عربة، متبوعةً بطفلٍ في الثانية من عمره ومربّية أطفال. كانت السيّدة اليافعة أنيقة الملبس، لكن ما خطف أنفاس دون جوان كان شبهها بامرأةٍ كان قد عرفها من حوالي الثلاث سنوات. بالتأكيد لم يكن من الجائز أن تكون نفس الشخص. المرأة التي كان يعرفها، كريستيتا موروروويلاّ، كانت فتاة استعراض في مسارح الدرجة الثانية. كانت يتيمةً وفقيرةً جدّاً ـ من المستبعد أن تكون ظروفها تغيّرت لهذه الدرجة: اقترب منها: نفس الوجه الجميل. ومن ثمّ سمع صوتها. صُدِمَ لدرجة أنّه اضطرّ إلى الجلوس: كانت بالفعل نفس المرأة.

بالنسبة لهاتين الجريمتين فإنّ تانتالوس عوقِب بدمار مملكته، وبعد موته على يدي زيوس، بالعذاب الخالد برفقة إيكسيون، سيسيفوس، تيتيوس، الدانايدّين، وآخرين. بينما كان الآن يتحرق عطشاً ويتضوّر جوعاً، فقد وقف أمام غصن من شجرةٍ مثمرة تدلّى على بحيرةٍ ضحلة. كانت أمواجها تصطدم بخصره، وتصل أحياناً إلى ذقنه، ومع ذلك فإنّه كلّما انحنى ليشرب، فإنّ الماء كان يرتدّ بعيداً عنه، ولم يبقَ سوى الوحل الأسود

كان دون جوان مغوياً لا سبيل إلى تغييره، والذي كانت فتوحاته لاتُعَدّ ولا تُحصى ومن جميع الألوان والأصناف. لكنّه تذكّر علاقته مع كريستيتّا بشكلٍ واضحٍ تماماً، لأنّها كانت يافعةً للغاية ـ لقد كانت أكثر الفتيات التي التقى بهنّ سحراً. كان قد رآها في المسرح، تودّد إليها وراودها عن نفسها بشكلٍ مواظب، وتدبّر إقناعها بأن ترافقه في رحلةً إلى بلدةٍ على جانب البحر. بالرغم من أنّهم نزلا في غرفتين منفصلتين، إلّا أنّه لم يكن هنالك شيءٌ ليوقف دون جوان: لفّق قصّةً عن متاعب العمل، كاسباً بذلك تعاطفها، وفي لحظةٍ من الرقّة والحنان استغلّ ضعفها. تركها بعد عدّة أيّام بذريعة الاضطرار لتولّي بعض الأعمال. اعتقد أنّه لن يراها بعد ذلك أبداً. نتيجةً لشعوره بالذنب ـ وهو أمرٌ نادر الحصول بالنسبة له ـ فقد أرسل

لها 5000 بيزيتّا، مدّعياً بأنّه سيرجع إليها في آخر المطاف. ذهب إلى باريس بدلاً من ذلك. لم يكن قد رجع إلى مدريد إلّا مؤخّراً.

أثناء جلوسه وتذكّره لكلّ هذا، فإنّ فكرةً عكّرت صفوه: هل من الممكن أن يكون الولد ولده؟ إن لم يكن، فلا بدّ أنّها تزوّجت بشكلٍ شبه فوريّ بعد علاقتهما. كيف بإمكانها أن تفعل شيئاً كهذا؟ من الواضح أنّها كانت غنيّةً الآن. من زوجها يا ترى؟ هل يعلم عن ماضيها؟ خالطت اضطرابه رغبةٌ شديدة. كانت غاية في الصبا والجمال. لماذا تخلّى عنها بهذه السهولة؟ عليه أن يسترجعها بطريقةٍ أو بأخرى، حتّى ولو كانت متزوّجة.

بدأ دون جوان بالتردّد على المنتزه يوميّاً. رآها عدّة مرّاتٍ أخرى؛ التقت عيناهما، لكنّها تظاهرت بعدم ملاحظته. تتبّع المربّية في أحد نزهاتها القصيرة، وبدأ محادثةً معها، وسألها عن زوج سيّدتها. أخبرته أنّ اسم الرجل كان السينيور مارتينيز، وأنّه كان في رحلة عملٍ طويلة؛ أخبرته أيضاً أين تعيش كريستيتا. أعطاها دون جوان رسالةً موجزةً لتسلّمها إلى سيّدتها. بعدها تمشّى حول منزل كريستيتا ـ الذي كان عبارةً عن قصرٍ جميل. تأكّدت أسوأ مخاوفه: كانت قد تزوّجت من أجل المال.

رفضت كريستيتا مقابلته. أصرّ، وأرسل مزيداً من الرسائل. أخيراً لتتجنّب فضيحةً، وافقت على رؤيته، لكن لمرّةٍ واحدة فقط، في المنتزه. استعدّ للّقاء بعناية واحتراس: إغواؤها من جديد من شأنه أن يكون عمليّةً دقيقة وحسّاسة. لكنّه عندما رآها تتّجه نحوه، وهي ترفل في ثيابها الجميلة، فإنّ أحاسيسه وشهوته أطاحتا به. أخبرها بأنّها كانت له فقط دون غيره من الرجال. اعتبرت كريستيتا هذا الكلام بمثابة إهانةٍ لها؛ من الواضح أنّ ظروفها الراهنة كانت تمنعها من لقائه بعد ذلك حتّى ولو لمرّةٍ واحدةٍ فقط. مع ذلك، فقد استطاع أن يستشعر عواطف قويّةً تجاهه تحت برودتها (جفائها). توسّل كي يراها مجدّداً، لكنّها ذهبت دون أن تعد بشيء. أرسل لها مزيداً من الرسائل، بينما كان يشغّل عقله بأقصى طاقاته لكي يجمّع عناصر الصورة

عند قدميه؛ أو، إذا نجح في عمره في غرْف حفنةٍ من الماء، فإنّها كانت تنزلق من يده قبل أن يستطيع فعل أكثر من مجرّد ترطيب شفتيه المتشقّقتين، الأمر الذي تركه أكثر ظمأً من أيّ وقتٍ مضى. كانت الشجرة محمّلة بالكمثرى والتفّاح اليانع، التين الطيّب، الزيتون الناضج والرمّان، اللواتي تدلّت على كتفيه؛ لكنّه كلّما مدّ يده ليتناول ثمرةً حلوة المذاق، كانت عصفةٌ من الريح تدفعها بعيداً عن متناوله.

ـ روبرت غرايفز، *الأساطير الإغريقيّة*، المجلّد الثاني

دون جوان: *آرمينتا، استمعي إلى الحقيقة ـ أفليست النساء صديقاتٍ للحقيقة؟ أنا رجلٌ من النبلاء، وريث أسرة تينوريوس العريقة، فاتحي سيفيل. إنّ أبي هو أكثر رجلٍ نفوذاً*

كلّها: من كان هذا السنيور مارتينيز؟ ما الذي يدعوه لأن يتزوّج من فتاة استعراض؟ ما الذي جرى حتّى انتُزِعَت منه كريستيتا؟

أخيراً وافقت كريستيتا على لقاء دون جوان مرّةً أخرى بعد، في المسرح، حيث لا يجرؤ على إثارة فضيحة. جلسا في مقصورةٍ حيث يستطيعان الكلام. طمأنته بأنّ الطفل لم يكن طفله. قالت بأنّه الآن يريدها فقط لأنّها ملكٌ لغيره، لأنّه لا يستطيع الحصول عليها. قال أنّه كان مستعدّاً لفعل أيّ شيءٍ لاستعادتها. بدت عيناها في بعض اللحظات وكأنّهما تغازلانه، الأمر الذي أربكه. لكنّها عندها بدت على وشك البكاء، وأراحت رأسها على كتفه - لكنّها نهضت مباشرةً، وكأنّها أدركت أنّ ذلك كان خطأً. قالت أنّ هذا كان لقاؤهما الأخير وفرّت بسرعة. كان دون جوان مهتاجاً وقلقاً لأبعد درجات الحدود. كانت تلعب معه؛ كانت مغناجاً. كان يدّعي وحسب أنّه قد تغيّر، لكن لعلّ هذا كان صحيحاً: لم تعامله أيّ امرأةٍ على الإطلاق بهذه الطريقة من قبل. لم يكن ليسمح بهذا أبداً.

لم ينم دون جوان جيّداً في الليالي التي تلت. كلّ ما استطاع التفكير به كان كريستيتا. راودته كوابيس حول قتله لزوجها، حوله هو وقد تقدّم في السن وصار وحيداً. كان ذلك أكثر ممّا يستطيع تحمّله بكثير. صار لزاماً عليه أن يغادر البلدة. أرسل لها رسالة وداع، لكن وياللمفاجأة، فقد أتاه جوابها: أرادت رؤيته، كان بجعبتها شيءٌ تريد البوح به له. أصبح الآن أضعف بكثير من أن يُقاوِم. التقى بها على جسرٍ في الليل، كما طلبت منه. عندها لم تبذل أيّ جهدٍ للتحكّم بنفسها: نعم لا زالت تحبّ دون جوان، وكانت جاهزةً لأن تهرب معه. لكنّه يجب أن يأتي إلى منزلها في الغد، في وضح النهار ويأخذها بعيداً. لا يجوز أن يكون هنالك كتمانٌ أو سريّة.

وافق دون جوان على مطالبها، إذ كان سعيداً لدرجة لا توصف. ذهب في اليوم التالي إلى القصر في الساعة المقرّرة، وسأل عن السنيورة مارتينيز. قالت المرأة التي وقفت بالباب أنّه لم يكن هنالك أحدٌ بهذا الإسم. أصرّ دون جوان: اسمها هو كريستيتا. آه، كريستيتا، قالت المرأة: هي تعيش

واعتباراً في البلاط بعد الملك... شاءت الصدفة أن أراكِ على هذا الطريق. يتصرّف الحبّ أحياناً بطريقةٍ تفاجئ حتّى الحبّ نفسه... • آرمينتا: لا أعلم إذا كان ما تقول هو الحقيقة أم لغةٌ منمّقة كاذبة. أنا متزوّجة من باتريسيو، الجميع يعلم هذا. كيف يمكن للزواج أن يبطل، حتّى لو هجرني؟ • دون جوان: عندما لا يكتمل الزواج بالدخول على المرأة، أكان ذلك عن طريق المكر أو الخداع، فإنّه يمكن إبطاله... • آرمينتا: أنت محقّ. لكن، فليساعدني الرب، ألن تتخلّى عنّي في اللحظة التي تفرّقني فيها عن زوجي؟.. • دون جوان: آرمينتا، يا ضوء عيوني، غداً ستنزلق قدمك في خفٍّ من الفضّة اللمّاعة وذي أزرار من الذهب الخالص. وسيُطوِّق عنقك المرمريّ بقلادةٍ

جميلة؛ وستشع على أصابعك خواتم الجمشت كالنجوم، وستتدلّى من أذنيك الأقراط النفيسة. • *آرمينتا: أنا لك.*

- تريسو دي مولينا *فتى سيڤيل اللعوب*، ترجمة آدريين إم. سكيتزانو وأوسكار ماندل، في *مسرح دون جوان*، تحرير ماندل

في الخلف، مع النزلاء الآخرين. توجّه دون جوان وهو مضطرب إلى الفناء الخلفي للقصر. هنالك ظنَّ أنّه رأى ابنها وهو يلعب في الشارع في ثيابٍ متّسخة. لكن لا، قال لنفسه، لا بدّ وأنّه طفلٌ آخر ما. توجّه إلى باب كريستيتا، ففتحت هي نفسها الباب بدلاً من خادمتها. دخل. لقد كانت غرفة شخصٍ فقير. حيث تدلّت ثياب كريستيتا الأنيقة على مشاجب مجهّزة كيفما اتُّفِق. كما لو كان في حلم، جلس مشدوهاً وهو يستمع بينما كانت كريستيتا تكشف الحقيقة.

لم تكن متزوّجة، ولم يكن لديها ولد. بعد أن كان قد هجرها بأشهر، أدركت أنّها كانت ضحيّةً لمغوٍ من الطراز الأوّل. كانت لا تزال مغرمةً بدونجوان، لكنّها كانت مصمّمةً على عكس الآية. أخذت الخمسة آلاف بيزيتة التي كان قد أرسلها لها واشترت ثياباً باهظة الثمن، بعد أن اكتشفت من خلال صديقٍ مشترك أنّه كان قد عاد إلى مدريد. استعارت ابن الجيران، وطلبت من نسيبتهم أن تلعب دور مربّية الطفل، واستأجرت عربة ـ كلّ هذا لتخلق وهماً محكَماً ومفصَّلاً لم يعشعش سوى في ذهنه. لم تضطرّ كريستيتا حتّى إلى الكذب: في الواقع لم تقل أبداً أنّها كانت متزوّجة أو أنّه كان لديها طفلٌ. علمت أنّ كونه غير قادرٍ على الحصول عليها سيجعله يرغب بها أكثر من أيِّ وقتٍ مضى. لقد كانت الطريقة الوحيدة لتغوي رجلاً مثله.

مُربَكاً بالمدى الذي وصلت إليه، وبالانفعالات التي أثارته فيه بشكلٍ غايةٍ في البراعة والحذق، فإنّ دون جوان سامح كريستيتا وطلب يدها للزواج. إلّا أنّها رفضت بتهذيب، الأمر الذي فاجأه وربّما أراحه. قالت أنّهما في اللحظة التي سيتزوّجان فيها فإنّ عينيه ستطوفان في مكانٍ آخر. فقط إذا بقيا كما كانا فإنّها تستطيع عندها أن تكون صاحبة اليد العليا. لم يكن لدون جوان من خيارٍ سوى القبول.

الآن كانت الأفعى الشيطان أكثر خبثاً من أيّ مخلوقٍ بريٍّ آخر كان الربّ قد خلقه. قال للمرأة، «هل قال الربّ، ’لا يجدر بك أن تأكلي من أيّ شجرة من الحديقة‘؟» وقالت المرأة للشيطان، «يمكننا أن نأكل من ثمار أشجار الحديقة؛ لكنّ الرب قال، ’يجب ألاّ تأكلي من ثمار الشجرة التي في وسط الحديقة، ولا يجب أن تمسّيها، لئلاّ تموتي.‘» لكنّ الشيطان قال للمرأة، «لن تموتي. لأنّ الله

التفسير. كريستيتا ودون جوان هما شخصيتان في رواية دولتشي إي

سابروسا (حلوة ولذيذة، 1891)، التي ألّفها الكاتب الإسباني خاسينتو أوكتاڤيو بيكون. معظم أعمال بيكون تعالج مغوين ذكوراً وضحاياهم من الإناث، وهذا موضوعٌ درسه وعرف الكثير عنه. بعد أن تخلّى عنها دون جوان، فقد فكّرت مليّاً بطبيعته وقرّرت أن تضرب عصفورين بحجرٍ واحد: أن تنتقم وأن تستعيده. لكن كيف لها أن تغري هكذا رجل؟ ما إن يتذوّق الفاكهة، حتّى لا يعود يرغب بها. ما كان يأتيه بسهولة، أو يقع بين ذراعيه، لم يكن ليشكّل إغراءً له. الأمر الذي من شأنه أن يدفع بدون جوان لكي يرغب بكريستيتا مجدّداً، ويسعى من أجلها، كان الإحساس بأنّ غيره قد سبقه إليها قبلاً، بأنّها كانت ثمرة محرّمة. تلك كانت نقطة ضعفه ـ ذلك كان سبب ملاحقته للعذراوات والنساء المتزوّجات، أي النساء اللواتي لم يكن يُفترَض به أن يحصل عليهن. فكّرت منطقيّاً في أنّه بالنسبة للرّجل فإنّ العشب دائماً يبدو أكثر اخضراراً في مكانٍ آخر (مزمار الحيّ لا يطرب). لذا كانت ستجعل من نفسها ذلك الشيء البعيد والمغري والمُتَعذِّر الحصول عليه، كي تعذّبه من خلال إثارة رغبته دون إشباعها، وتحرّك فيه انفعالاتٍ وأحاسيس لا يمكنه التحكّم بها. كان يعلم كم كانت ساحرةً ومثيرةً للرغبة بالنسبة إليه ذات مرّة. فكرة تملّكها مجدّداً، واللذة التي تخيّل أنّه سيحصل عليها من وراء ذلك، كانتا أكثر بكثير ممّا يستطيع حمله أو التعامل معه: ابتلع الطعم.

يعرف أنّك عندما تأكلين منها فسوف تتفتّح بصيرتك، وستصبحين مثل الله، تعلمين الخير من الشر.» وهكذا فعندما رأت المرأة أنّ الشجرة كانت صالحةً للأكل، وأنّها كانت مسرّةً للناظر، وأنّ الشجرة تُشتَهى لجعلها المرء حكيماً، فإنّها أخذت من فاكهتها وأكلت؛ وكذلك أعطت بعضاً منها لزوجها، فأكل.

ـ سفر التكوين 3:1، العهد القديم

أيّتها المغوية القويّة، يا أيّتها الفرصة.

ـ جون درايدن

الإغراء هو مسيرةٌ مزدوجة. أوّلاً أنت غَنِجٌ ومُغازِل؛ أنت تثير الرغبة من خلال الوعد أو بالأحرى التلويح بالمتعة والإلهاء عن الحياة اليوميّة. في نفس الوقت، أنت توضح لأهدافك بأنّهم لا يستطيعون الحصول عليك، أقلّه ليس مباشرةً. أنت تؤسّس حاجزاً، نوعاً من التوتّر.

بينما كان ماسيتو يستمع، فقد راوده توقٌ هائلٌ ليذهب مع هؤلاء الراهبات ويبقى معهنّ لدرجة أنّ جسده بأكمله صارت تدغدغه الإثارة، لأنّه كان واضحاً ممّا سمعه أنّه كان بإمكانه أن

كان يسهل خلق هذه الحواجز في العصور السابقة، من خلال استغلال أو الإفادة من الحواجز الاجتماعيّة الموجودة أصلاً ـ الحواجز التي تفرضها الطبقة، العرق، الزواج، الدين. في العصر الراهن يجب أن تكون الحواجز نفسيّةً: قلبك مأخوذٌ من قبل شخصٍ آخر؛ أنت حقّاً لست مهتمّاً بالهدف؛

سرٌّ ما يجعلك تحجم؛ التوقيت سيّء؛ أنت لست جيّداً بما فيه الكفاية بالنسبة للشخص الآخر؛ الشخص الآخر ليس جيّداً بما فيه الكفاية بالنسبة لك؛ وأشياء من هذا القبيل. على نحوٍ معاكس، يمكن أن تختار شخصاً لديه حاجزٌ طبيعيّ: كأن يكونوا مأخوذين، أو غير مُقدّرٍ لهم أن يكونوا لك. هذه الحواجز (الموانع) أكثر خِفيةً من الحواجز الاجتماعيّة أو الدينيّة، لكنّها تظلُّ حواجز على الرغم من ذلك، والآلية النفسيّة التي تحكمها تبقى نفسها. المفارقة هي أنّ الناس يُثارون بما لا يستطيعون أو لا يحقُّ لهم الحصول عليه. إخلق هذا الصراع الداخلي ـ هنالك تشوّقٌ واهتمام، لكنّك غير مُتاح ـ وستضمن بذلك استقتالهم للحصول عليك كما استقتل تانتالوس للحصول على الماء (تانتالوس: ملكٌ تزعم الأسطورة الإغريقيّة أنّه عوقِبَ بأن غُمِرَ إلى ذقنه في الماء وقد تدلّت الأغصان المثقلة بالفاكهة قرب شفتيه ولكنّ كلاًّ من الماء والفاكهة كان يرتدّ بعيداً عنه كلّما حاول بلوغه: المترجم). وكحال دون جوان وكريستيتا، كلّما جعلت أهدافك تلاحقك أكثر، تخيّلوا بأنّهم المبادرون. إغواؤك مُقَنّعٌ بشكلٍ كامل.

يحقّق ما بذهنه. لكن كونه أدرك أنّه لن يصل إلى أيّ مكان إذا كشف عن نواياه الحقيقيّة لنوتو، فقد أجاب: • «كم كنت محقّاً في تركك [لدير الراهبات]! ما هو نوع الحياة الذي يمكن للرجل أن يحظى به عندما يكون محاطاً بالعديد من النساء؟ قد يكون أيضاً عائشاً مع عصابةٍ من الشياطين. لماذا، لأنهن في أكثر الأحيان لا يعرفن ماذا يجول بخاطرهنّ.» • لكنّهما عندما فرغا من الكلام، فإنّ ماسيتو بدأ بالتفكير بالخطوات التي عليه اتّباعها كي يمكنه الذهاب والبقاء معهنّ. كونه يعرف أنّه قادرٌ تماماً على تنفيذ المهامّ التي ذكرها نوتو، فإنّه لم يساوره القلق حيال عدم الحصول على العمل على خلفيّة ذلك السبب بالتحديد، لكنّه كان خائفاً من أن يُخذَل

الطريقة الوحيدة للتخلّص من الإغراء هي أن تستسلم له.

ـ أوسكار وايلد.

المفاتيح للإغواء

الناس يناضلون معظم الوقت لكي يحافظوا على الأمان وعلى حسّ التوازن في حياتهم. إذا كانوا سيقتلعون أنفسهم من جذورهم في مطاردتهم لكلّ شخصٍ جديد أو حلمٍ يعبر أمامهم، فإنّهم لن يستطيعوا أن يصمدوا في وجه الكدح اليومي. هم عادةً ما يفوزون في النضال، لكنّه لا يأتي بسهولة. العالم مليء بالإغراء. هم يقرؤون عن أناسٍ يملكون أكثر ممّا هم يملكون. عن

مغامراتٍ يخوضها آخرون، عن أناسٍ وجدوا الثروة والسعادة. الأمان الذي يكافحون من أجله، والذي يبدو أنّه موجودٌ في حياتهم، هو وهمٌ في الحقيقة. إنّه يغطّي توتّراً دائماً.

كمغوٍ، لا يجوز أبداً أن تخلط ما بين مظهر الناس وبين حقيقتهم. أنت تعلم أنّ نضالهم لإبقاء النظام في حياتهم لأمرٌ مرهق، وأنّ الشّك والندم يتآكلهم. من الصعب أن تكون طيّباً وفاضلاً (مستقيماً)، الأمر الذي يتطلّب دائماً أن تقمع أقوى الرغبات. بهذه المعرفة في الذهن يصبح الإغواء سهلاً. ليس الإغراء ما يريده الناس؛ فالإغراء يحصل كلّ يوم. ما يريده الناس هو أن يخضعوا للإغراء، أن يستسلموا. تلك هي الطريقة الوحيدة ليتخلّصوا من التوتّر في حياتهم. مقاومة الإغراء تكلّف أكثر بكثير من الاستسلام له.

مهمّتك إذن، هي أن تخلق إغراءً أقوى من الإغراء اليومي. يجب أن يكون مركّزاً عليهم، ويستهدفهم كأفراد ـ يستهدف نقاط ضعفهم. إفهم أمراً: كلّ واحدٍ لديه نقطة ضعفٍ رئيسيّة، تنشأ عنها نقاط الضعف الأخرى. جِدْ مكمنَ اللاأمان ذاكَ الذي يعود إلى طفولتهم، ذلك النقص في حياتهم، وعندها يكون بيدك المفتاح لإغرائهم. قد يكون ضعفهم الطمع، الغرور، الضجر، رغبةٌ مكبوتةٌ ما، جوعٌ للثّمرة المحرّمة. هم يشيرون إلى ذلك من خلال التفاصيل الصغيرة التي تروغ (تفلت) من تحكّمهم الواعي: أسلوبهم في اللباس، تعليقٌ مرتجل. ماضيهم، وبالتحديد غراميّاتهم التي خلت، ستكون مليئةً بالأدلّة والمعلومات. امنحهم إغراءً قويّاً، مصمّماً على قياس ضعفهم أو بما يتناسب معه، وعندها تستطيع أن تجعل أمل المتعة الذي تحرّكه فيهم يبرز بشكلٍ أكبر من المخاوف والشكوك التي ترافقه.

في عام 1621، رغب ملك إسبانيا فيليب رغبةً شديدة في أن يَعقُدَ تحالفاً مع إنكلترا من خلال تزويج ابنته لابن الملك الإنكليزي، جايمس الأوّل. بدا جايمس متقبّلاً للفكرة، لكنّه ماطل في الوقت. سفير إسبانيا في البلاط الإنكليزي، جوندومار، كُلِّف بمهمّة المضيّ قدماً بخطّة فيليب. وضع السفيرُ أثيرَ الملك نُصبَ عينيه، دوق بيكنغهام (الإيرل سابقاً).

بسبب فتوّته ومظهره الجذّاب بشكلٍ غير اعتياديّ. وهكذا، بعد أن رفض عدداً من الحيل الممكنة الأخرى، فإنّه في آخر المطاف فكّر بينه وبين نفسه: «الدير بعيدٌ جدّاً، وهنالك لا أحد يعرفني. إذا استطعت التظاهر بكوني مغفّلاً أبكم، فسوف يأخذونني بالتأكيد.» تشبّث بإصرار بهذا الحدس، ولذا فقد لبس أسمال الفقراء وعلّق فأساً على كتفه، ووضع الدير نصب عينيه دون أن يخبر أحداً إلى أين كان يتّجه. لدى وصوله، فإنّه صار يتجوّل في الفناء، حيث شاء الحظّ أن يلتقي بالوكيل، وبفضل إيماءاتٍ كتلك التي يستخدمها البكم، فإنّه أعطى الانطباع بأنّه كان يتوسّل من أجل الطعام، بمقابل أن يقوم بأيّ تقطيع حطبٍ يُطلَبُ منه. • قدّم له الوكيل الطعام بسرور، وبعد ذلك

علم جوندومار نقطة ضعف الدوق الأساسيّة: الغرور (الزهو أو الخيلاء). كان بيكنغهام متعطّشاً للمجد والمغامرة اللذين من شأنهما أن يعزّزا من شهرته؛ كانت مهمّاته المحدودة تسبّب له الضجر، وكان يشكو مرّ الشكوى ومستاءً بسبب هذا. أوّل شيءٍ فعله السفير كان أن امتدحه (تملّقه) بإطناب ـ إذ قال أنّ الدوق كان أقدر رجلٍ في المملكة وكان من المخزي أن لا يُفَوَّض إلّا بمهمّاتٍ محدودة. بعد ذلك، أخذ يهمس في أذنه عن مغامرةٍ عظيمة. الدوق، كما كان جوندومار يعرف، كان يؤيّد الزواج من الأميرة الإسبانيّة، لكن مفاوضات الزواج اللعينة هذه كانت تستغرق الكثير من الوقت، دون أن تؤدّي إلى نتيجة. ماذا لو كان الدوق سيرافق ابن الملك، صديقه الحميم الأمير تشارلز، إلى إسبانيا؟ بالطبع، هذا يجب أن يُعمَلَ في السّر، دون حرسٍ أو مرافقين، لأنّ الحكومة الإنكليزيّة ووزراءها لن يجيزوا أبداً هذه الرحلة. لكن هذا سيجعلها أكثر خطورةً ورومانسيّةً بكثير. ما إن يصبح في مدريد، حتى يستطيع الأمير أن يلقي بنفسه عند قدميّ الأميرة ماريّا، معلناً حبّه الخالد، ويرجع بها إلى إنكلترا مُظَفّراً. كم سيكون عملاً شهماً وفروسيّاً وخالصاً من أجل الحبّ. كان كلّ الفضل سيُنسَب إلى الدوق وسيذيع اسمه لقرون.

استخفّت الفكرة الدوق، وأقنع تشارلز بالشروع بها؛ وأقنعا أيضاً الملك جايمس المُمانع بعد كثيرٍ من الجدال. كانت الرحلة كارثةً أو كادت (كان على تشارلز أن يتحوّل إلى الكاثوليكيّة ليحظى بماريّا)، والزواج لم يحصل أبداً، لكنّ جوندومار كان قد قام بعمله. هو لم يرشِ الدوق بعروضٍ من المال أو السلطة ـ وإنّما استهدف الجزء الطفوليّ من شخصه والذي لم ينضج أبداً. الطفل لا يتمتّع بالقوّة الكافية لكي يقاوم. هو يريد كلّ شيءٍ، وفي الحال، ونادراً ما يفكّر بالعواقب. الطفل يكمن مترصّداً لدى الجميع ـ من خلال لذّةٍ حُرِموا منها، أو رغبةٍ مقموعة. إضرب على ذلك الوتر، أغرهم بالدمية المناسبة (مغامرة، مال، مرح)، وسيحيدون عن عقلانيّتهم الراشدة المعتادة. تعرّف على ضعفهم من خلال أيّ سلوكٍ طفوليّ يظهرونه في حياتهم اليوميّة ـ هذا

قدّم له كومةً من جذوع الأشجار التي لم يكن نوتو قادراً على تحطيبها... باللروعة، عندما اكتشف الوكيل كم أنه كان حدائقيّاً ممتازاً، فقد أومأ لماسيتّو سائلاً إيّاه إن كان يريد البقاء هناك، وقام الأخير بإشاراتٍ مفادها أنّه كان مستعدّاً للقيام بأيّ شيءٍ يريده الوكيل... • الآن، ذات يوم، عندما صادف أنّ ماسيتو كان يستريح بعد فترةٍ من العمل المضني، فقد اقتربت منه راهبتان يافعتان واللتان كانتا تتمشّيان في الحديقة. بما أنّه أعطاهما الانطباع بأنّه كان نائماً، فقد بدأتا بالتحديق به، وقالت أجرأ الاثنتين لرفيقتها: • «إذا أمكنني التيقّن من أنّك ستبقين هذا سرّاً، فسوف أخبرك عن فكرةٍ لطالما جالت في ذهني، والتي قد تخدم مصلحتنا المتبادلة.» •

هو رأس جبل الجليد.

عُيِّن نابوليون بونابرت قائداً أعلى للجيش الفرنسي في عام 1796. مهمّته كانت أن يهزم القوّات النمساويّة التي كانت قد استولت على شمال إيطاليا. كانت العقبات هائلة: كان نابوليون يبلغ فقط السادسة والعشرين من العمر في ذلك الوقت؛ القادة الذين تحته كانوا يحسدونه على موقعه ويشكّكون في قدراته. كان جنوده منهكين، ويعانون من سوء التغذية، ولا تُدفَعُ لهم رواتب كما ينبغي، وكثيري التشكّي والتظلّم. كيف له أن يحفّز هذه الجماعة أو يدفع بها لمقاتلة الجيش النمساوي المتمرّس؟ بينما كان يستعدّ لاجتياز الألب إلى إيطاليا، قام نابوليون بإلقاء خطابٍ لقوّاته لربّما كان نقطة التحوّل في مسيرته المهنيّة، وفي حياته: «أيّها الجنود، أنتم أنصاف جياعٍ وأنصاف عراة. الحكومة تدين لكم بالكثير، لكنّها لا تستطيع أن تفعل لكم أيّ شيء. إنّ صبركم وشجاعتكم يشرّفانكم، لكنّهما لا يمنحانكم المجد.... سأقودكم إلى أكثر سهول العالم خصوبةً. هناك ستجدون مدناً مزدهرة ومقاطعاتٍ مكتظّة. هناك ستجنون العزّة والمجد والثروة.» كان للخطاب أثرٌ قويّ. أطلّ نفس هؤلاء الجنود على وادي بيدمونت بعد عدّة أيّامٍ من تسلّق الجبال الشاق. كان لكلمات نابوليون صدى في آذانهم، وأصبحت عصابةٌ متذمّرةٌ ورَثّة الملابس جيشاً ملهماً اجتاح شمال إيطاليا في مطاردة النمساويّين.

استخدام نابوليون للإغراء كان ذا عنصرين: وراءكم يوجد ماضٍ كالحٌ ومقيت؛ أمامكم يوجد مستقبلٌ من الثروة والمجد، *إذا* اتّبعتموني. أن تُظْهِر بوضوح أنّ الهدف ليس لديه شيءٌ ليخسره وكلّ شيءٍ ليربحه هو شيءٌ متمّمٌ ومكمّلٌ لاستراتيجيّة الإغراء. الحاضر يحمل قليلاً من الأمل، المستقبل يمكن أن يكون مليئاً بالمتعة والإثارة. تذكّر، على الرّغم من ذلك، أن تبقي المكاسب المستقبليّة غامضة وبعيدة المنال نوعاً ما. كن دقيقاً وواضحاً أكثر من اللزوم وستخيّب الأمل؛ إجعل الوعد وشيك التحقّق أكثر من اللازم، ولن تكون قادراً على أن تؤجّل الإرضاء بما فيه الكفاية لتحصل على مرادك.

«أخبريني بالله عليك،» ردّت الأخرى. «يمكنك أن تتأكّدي تماماً من أنّني لن أتحدّث عن الأمر لأيّ شخصٍ كان.» • بدأت الجريئة بالتكلّم بشكلٍ أكثر صراحة. • «أنا أتساءل في تعجّب،» قالت «فيما إذا كنت قد فكّرت في عمرك بهذه الحياة المتزمّتة التي يجب علينا أن نحياها، وكيف أنّ الرجال الوحيدين الذين يجرؤون على وطء هذا المكان هم الوكيل، الذي هو رجلٌ كهل، وحدائقتنا المغفّل هذا. علاوةً على ذلك فإنّني غالباً ما سمعت، من قبل عدّة سيّداتٍ كنّ قد قدمن لزيارتنا، أنّ كلّ الملذّات الأخرى في العالم هي مجرّد تفاهاتٍ بالمقارنة مع اللذّة التي تختبرها المرأة عندما تكون بصحبة رجلٍ. لذا فقد كنت أفكر، نظراً لأنّه ليس لديّ

وُجِدَت الحواجز والتوتّرات في الإغراء لتمنع الناس من الاستسلام بسهولة أو سطحيّة أكثر من اللازم. أنت تريدهم أن يناضلوا، أن يقاوموا، أن يكونوا قلقين. الملكة ڤيكتوريا وقعت بالتأكيد في حبّ رئيس وزرائها، بنجامين دزرائيللي، لكن كان هنالك حواجز الدين (كان يهوديّاً داكن البشرة)، الطبقة (هي، بالطبع، كانت ملكة)، منظومة القيم الاجتماعيّة (كانت هي مثالاً للفضيلة، كان هو غندوراً مشهوراً). العلاقة لم تكتمل أبداً، لكن يا لها من لذّة أسبغتها هذه الحواجز على لقاءاتهم اليوميّة، التي كانت ملأى بالغزل المتواصل.

معظم الحواجز الاجتماعيّة كهذه زالت اليوم، لذا يجب عليك فبركتها ـ إنّها الطريقة الوحيدة لإضافة البهارات إلى الإغواء. المحرّمات من أي نوع هي مصدر للتوتّر، وهي في وقتنا الراهن حواجز نفسيّة، وليست دينيّة. أنت تبحث عن قليلٍ من الكبت، رغبةٌ سرّيةٌ ما من شأنها أن تجعل الضحيّة تتضايق إذا ضربت على وترها، لكن في نفس الوقت تكون مصدر إغراءٍ أكبر بكثير. إبحث في ماضيهم؛ أيّ شيءٍ يبدو أنّهم يخافون أو يفرّون منه قد يحمل الإجابة. قد يكون توقٌ لرمز الأب أو الأم، أو رغبة مثليّة كامنة. لعلّك تستطيع إشباع تلك الرغبة من خلال تقديم نفسك كامرأةٍ مسترجلة أو رجلٌ متأنّث. لآخرين يمكنك أن تلعب دور لوليتا (ويقصد بها دور الفتاة المراهقة المرغوبة جنسيّاً)، أو دور البابا ـ شخصٌ ليس من المفترض بهم أن يحوزوا عليه، الجانب المظلم من شخصيّتهم. أَبقِ الصلة غامضة ـ أنت تريدهم أن يحاولوا الوصول إلى شيءٍ محيّر، شيءٌ ينبثق من مخيّلتهم الخاصّة.

في لندن في عام 1769، التقى كازانوڤا بامرأةٍ شابّة تُدعى شاربيلون. كانت أصغر منه بكثير، وأجمل امرأةٍ عرفها في حياته على الإطلاق، وذات سمعةٍ كمدمّرةٍ للرجال. في أحد لقاءاتهم الأولى قالت له مباشرةً أنّه سيقع في حبّها وأنّها ستدمّره. لم يصدّق أحدٌ أنّه كان سيطاردها، إلّا أنّ هذا ما حصل. في كلّ لقاءٍ كانت تلمّح إلى أنّها قد تستسلم ـ ربّما في المرّة القادمة،

شخصٌ آخر في المتناول، بأنّني أحبّ أن أكتشف بمساعدة هذا الرجل الأخرس فيما إذا كنّ يقلن الحقيقة. وبينما يحدث هذا، فإنّه لا يمكن أن يكون هنالك رجلٌ أفضل لهذه الغاية، لأنّه حتّى لو أراد البوح بالسر، فإنّه لن يكون قادراً على هذا. لن يعرف حتّى كيفيّة الشرح، لأنّه يمكنك أن تري بنفسك كم أنّ هذا الشخص عبارة عن شابٍّ أخرقٍ، متخلّفٍ عقليّاً وأبله. سأكون مسرورةً بأن أعلم ما رأيك بالفكرة.» • «يا للهول!» قالت الأخرى. «ألا تدركين بأنّنا قد عاهدنا الله على صون عذريّتنا؟» • «أفّ!» قالت الأولى. «نحن دائماً نأخذ أمامه عهوداً لا نفي بها أبداً! ماذا يهمّ إن أخفقنا بالحفاظ على هذا العهد؟ يستطيع دائماً إيجاد فتياتٍ أخرياتٍ يصنّ

إذا كان لطيفاً معها. أشعلت فضوله ـ كم كانت كبيرةً اللذة التي كانت ستهبها؛ كان أوّل من سيروّضها. كتب فيما بعد، «سمّ الرغبة اخترق كل كياني بشكلٍ شامل، وكان باستطاعتها أن تسلبني كلّ شيءٍ أملكه لو أنّها أرادت ذلك. كنت مستعدّاً لأن أتصرّف كمتسوّل من أجل مجرّد قبلةٍ واحدة.» هذه «العلاقة» أدّت إلى دماره بالفعل؛ فقد أذلّته. قدّرت شاربيلون بدقّة أن نقطة ضعف كازانوڤا الرئيسية كانت تعطّشه لانتزاع الحبّ والإعجاب، لتخطّي التحدّيات، ولاختبار ما لم يكن قد اختبره أيّ رجلٍ آخر. تحت هذا كان يكمن نوعٌ من المازوشيّة، تلذّذٌ بالألم الذي يمكن للمرأة أن تمنحه إيّاه. من خلال لعب دور المرأة المستحيلة، وإغرائه تارةً ثمّ إحباطه، قدّمت الإغراء المطلق. ما سيؤدّي الغرض غالباً هو إعطاء الهدف الإحساس بأنّك تشكّل تحدّياً، جائزةٌ يجب كسبها. من خلال امتلاكهم إيّاك سيحصلون على ما لم يحصل عليه أحد. قد يختبرون الألم حتّى؛ لكنّ الألم قريبٌ إلى اللذة، ويحمل إغراءاته الخاصّة.

نقرأ في العهد القديم أنّ «داڤيد نهض من أريكته ومشى على سطح بيت الملك ... [و] رأى من على السطح امرأةً تستحمّ؛ والمرأة كانت آيةً في الجمال.» المرأة كانت باتشبا. استدعاها داڤيد، أغواها (من المُفتَرَض)، ومن ثمّ سار ليتخلّص من زوجها، يورايا، في معركة. على أيّ حال فقد كانت باتشبا من أغوت داڤيد في واقع الحال. استحمّت على سطحها في وقتٍ كانت تعلم أنّ داڤيد سيكون عنده واقفاً على شرفته. بعد أن أغرت رجلاً كانت تعلم أنّ لديه ضعفاً تجاه النساء، فإنّها لعبت دور المغناج، مجبرةً إيّاه بذلك على ملاحقتها. هذا ما يُعرَف باستراتيجيّة الفرصة: امنح شخصاً ضعيفاً الفرصة للحصول على ما يتحرّق للحصول إليه وذلك من خلال مجرّد وضع نفسك في متناول أيديهم، وكأنّ ذلك حدث عرضاً. غالباً ما يكون الإغراء مسألة توقيت، أي عبور مسار الناس الضعفاء في اللحظة المناسبة، معطياً إيّاهم بذلك الفرصة للاستسلام.

استخدمت باتشبا كامل جسدها كطُعم، لكن غالباً ما يكون استخدام

عذريتهنّ له.» • ... قبل أن يحين وقت رحيلهنّ، فقد قامت كلّ واحدةٍ منهنّ باختباراتٍ متكررة لقدرة هذا المغفّل على الامتطاء، وفيما بعد، عندما كانتا مشغولتين بتبادل الأقاصيص عن الأمر برمّته، فقد اتّفقتا على أنّ كلّ لحظةٍ منه كانت تجربةً ممتعةً بقدر ما حُملَتا على الاعتقاد، وأكثر من ممتعةٍ في الواقع. ومن ذلك الحين فصاعداً، وكلّما بزغت الفرصة، فإنّهنّ كانتا تمضيان ما طاب لهنّ من الساعات السارّة بين ذراعيّ الرجل المغفّل. • ذات يوم، على أيّ حال، فقد صادف أنّ رفيقةً لهنّ نظرت من حجرتها، فرأت ما كان يجري، ولفتت انتباه اثنتين آخرتين لما كان يحدث. بعد أن تناقشن بالمسألة بين بعضهنّ البعض، فقد قرّرن في البداية أن يبلّغن عن الراهبتين للراهبة الأمّ. لكنّهنّ

جزءٍ من الجسم أكثر فاعليّةً، إذ يخلق أثراً شبيهاً بالفتش. كانت المدام ريكامبير تدعك تلمح جسدها تحت الثياب الشفافة التي ترتديها، لكن فقط لبرهة، وذلك عندما كانت تخلع رداءها الخارجي لترقص. كان الرجال يرجعون من الأمسية وهُم يحلمون بالقليل الذي رؤوه. حرصت الإمبراطورة جوزفين على كشف ذراعيها الجميلين أمام الملأ. أعطِ الأهداف مجرّد جزءٍ منك ليتخيّلوا (يحلموا) بصدده، خالقاً بذلك إغراءً متواصلاً في أذهانهم.

الرمز: التفاحة

في جنّة عدن. الثمرة تبدو مُغريةً بشكل، وأنت لا يُفتَرَضُ بك أن تأكل منها؛ فهي محرّمة. لكنّ ذلك بالضبط هو السبب الذي يجعلك تفكّر فيها ليلاً ونهاراً. أنت تراها لكن لا يمكنك الحصول عليها. والطريقة الوحيدة لتتخلّص من هذا الإغراء تكون من خلال الاستسلام وتـذوّق الثمـــرة.

غيرن رأيهنّ بعد ذلك، وبالاتّفاق المشترك مع الراهبتين الأخريتين، قمن بأخذ نصيبهنّ من ماسيتو. وبسبب حماقاتٍ متعدّدة، فقد انضمّت الثلاث المتبقّيات فيما بعد، واحدةً تلو الأخرى.

• أخيراً فإنّ الراهبة الأمّ التي كانت لا تزال لا تعلم بكلّ هذا، كانت تقوم بنزهةٍ في الحديقة ذات يوم حارٍّ جدّاً، ودون رفقة أحد عندما رأت ماسيتو متمدّداً في نومٍ عميق في ظلّ شجرة لوز. كثرة الامتطاء في الليل لم تترك له سوى القليل من القوّة لأعمال النهار، وهكذا استلقى هنالك، بينما كانت الريح تداعب ثيابه، تاركة إيّاه مكشوفاً بالكامل. كونها وجدت نفسها لوحدها، فقد وقفت السيّدة مُثبّتة العينين على هذا المشهد، وقد تملّكتها نفس الرغبة التي كانت قد

الانقلاب

عكس الإغراء هو الأمان أو الرضى، وكلاهما مهلكٌ للإغواء. إذا لم يكن بإمكانك أن تستدرج (تغوي) الناس من راحتهم المعتادة، فلا يمكنك أن تغويهم. إذا أشبعت الرغبة التي أيقظتها، يكون الإغواء قد انتهى. لا يوجد انقلابٌ للإغراء. بالرغم من أنّه يمكن تخطّي بعض المراحل، إلّا أنّ الإغواء لا يمكن أن يسير دون شكلٍ ما من الإغراء، لذا فإنّه من الأفضل دائماً أن تخطّط له باهتمام، مصمّماً إيّاه بما يتناسب تماماً مع ضعف وطفوليّة هدفك بالتحديد.

استسلمت لها قبلاً الراهبات اللواتي تحت إشرافها. وهكذا، بعد أن أيقظت ماسيتو، فإنّها أخذته إلى غرفتها، حيث استبقته لعدّة أيام، مثيرةً بذلك تشكياتٍ مريرة من الراهبات بدعوى أنّ الحدائقي قد تعطّل عن العمل في الحديقة. قبل أن تعيده إلى مأواه الخاصّ، فإنّها استمتعت بشكلٍ متكرر باللذة الوحيدة التي لطالما حظت بعنيف شجبها، ومن ذلك الحين فصاعداً صارت تطالب بحصص إضافية، تبلغ بشكلٍ معتبر أكثر من نصيبها العادل بكثير.

- جيوڤاني بوكاتشيو، *عمل العشرة أيام*، ترجمة جاي. إتش ماك ويليام

المرحلة الثانية

ضلّل ـ
إخلق المتعة والتشوّش

ضحاياك مهتمّون بالشكل الكافي ورغبتهم بك تتنامى، لكنّ تعلّقهم ضعيف وقد يقرّرون التراجع في أي لحظة. الهدف في هذه المرحلة هو أن تمعن في تضليل ضحاياك لدرجةٍ ـ من خلال إبقائهم متهيّجين عاطفيّاً ومُشَتّوشين، مانحاً إيّاهم المتعة لكن جاعلاً إيّاهم راغبين في المزيد ـ لا يعود عندها التراجع ممكناً. مُطالعتهم بمفاجأةٍ سارّة سيجعلهم يرونك كشخصٍ لا يمكن التنبؤ بتصرّفاته (وذلك أمرٌ يبعث على السرور)، لكنّه سيبقيهم أيضاً في حالة عدم توازن (9: أبقهم في حالة ترقّب ـ ماذا سيأتي بعد؟). الاستخدام البارع للكلمات الناعمة والمبهجة سيسكرهم وسيثير التخيّلات (10: استخدم القوة الشيطانية للكلمات لزرع الارتباك والفوضى). اللمسات الجماليّة والطقوسيّات البسيطة السارّة ستدغدغ حواسّهم، وتشتّت عقولهم (11: اهتمّ بالتفاصيل).

أعظم خطر يحيق بك في هذه المرحلة هو مجرّد مسحةٍ من الروتين أو الاعتياد. يجب عليك أن تبقي على بعض الغموض، وبعض المسافة كي يصبح ضحاياك مهووسين بك لدى غيابك (12: أضفِ مسحة شاعرية على حضورك). قد يدركون أنّهم أخذوا في الوقوع في حبّك، لكنّهم يجب ألاّ يرتابوا أبداً في مدى تأتّي هذا من تلاعبك. عرضٌ حَسَنُ التوقيت لضعفك،

لمدى العاطفيّة التي أصبحت عليها تحت تأثيرهم ستساعد على إخفاء آثار فعلتك (13: جرّد من السلاح من خلال الضعف والهشاشة الاستراتيجيّين.) لكي تثير ضحاياك وتجعلهم على درجة كبيرة من العاطفيّة، يجب عليك أن تمنحهم الإحساس بأنّهم في الواقع يعيشون بعضاً من الأحلام التي أثرتها في مخيّلتهم (14: إخلط الأماني بالحقائق). من خلال منحك أو تحقيقك لمجرد جزءٍ من الخيال، ستجعلهم يعودون طلباً للمزيد. تركيزك للانتباه عليهم سوف يجعل العالم يتلاشى من حولهم، ومجرّد أخذهم في رحلة سوف يضلّلهم بعيداً (15: إعزل ضحيّتك). لا مجال للعودة.

9

أبقهم في حالة ترقّب ـ ماذا سيأتي بعد؟

في اللحظة التي يشعر فيها الناس أنّهم يعرفون ماذا يتوقّعون منك، تكون تعويذتك السحريّة قد انحلّت. بل أكثر من هذا: تكون قد تنازلت لهم عن السلطة. الطريقة الوحيدة لتقود المُغوِيّ على طول الخط وتحتفظ باليد العليا تكون من خلال خلق التشوُّق والمفاجأة المُعَدّة مسبقاً. الناس يحبّون الغموض، وهذا هو المفتاح لاستدراجهم على نحوٍ أعمق نحو شبكتك. تصرّف بطريقةٍ تدعهم يتساءلون، ما آخر مستجدّاتك؟ أن تعمل شيئاً لا يتوقعونه منك سوف يعطيهم شعوراً سارّاً بالعفوية ـ لن يكونوا قادرين على أن يستشرفوا ماذا سيأتي بعد. أنت دائماً متحكّم ومتقدّم بخطوة. إمنح الضحيّة الإثارة من خلال تغييرٍ مفاجئٍ للاتجاه.

المفاجأة المدبّرة

في عام 1753، التقى جيوڤاني كازانوڤا البالغ الثامنة والعشرين من العمر بفتاةٍ تُدعى كاترينا ووقع في حبّها. والدها كان يعلم أيّ نوعٍ من الرجال كان كازانوڤا، وليمنع حدوث نوعٍ من المنغّصات قبل أن يستطيع تزويجها، فقد أرسلها إلى ديرٍ بعيد في جزيرة مورانو التابعة للبندقيّة، حيث كانت ستبقى لأربع سنوات.

أنا موقنٌ من أنّي سأفاجئ [الشعب الفرنسي]. فالفعل الجسور يقلق راحة الناس، وهم ينشدهون إزاء الجدة اللافتة.

- نابوليون بونابرت، مُقتَبس في *نابوليون* لإميل لودفيج، ترجمة إيدين وسيدار بول

كازانوڤا، من جهةٍ ثانية، لم يكن الشخص الذي يُرَوَّع أو تُثَبَّط همّته. هرّب رسائل إلى كاترينا. بدأ بحضور القدّاس في الدير عدّة مرّاتٍ في الأسبوع، حيث استطاع أن يسترق النظر إليها. بدأت الراهبات بالتحدّث بين بعضهنّ البعض: من هذا الرجل الوسيم الذي يكثر التردّد؟ ذات صباح، عندما كان كازانوڤا يغادر القدّاس وعلى وشك أن يستقلّ زورقاً، مرّت بجانبه خادمةٌ من الدير وألقت برسالةٍ عند قدميه. التقطها إذ اعتقد أنّها كانت من كاترينا؛ صاحبتها كانت راهبةً من الدير كانت قد لحظته في العديد من زياراته وأرادت التعرّف إليه. هل كان مهتمّاً؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فعليه أن يقدم إلى قاعة الاستقبال في وقتٍ محدّد، عندما كانت الراهبة ستستقبل ضيفاً من العالم الخارجي؛ صديقتها والتي كانت كونتيسة. كان بإمكانه أن يقف على مبعدة ويراقبها كي يقرّر إذا ما كانت تروق له.

الهمّ الأوّل لدى أيّ غندور هو ألاّ يفعل أبداً ما يتوقّعه منه الآخرون، وأن يمضي دائماً لما هو أبعد... غير المُتوقّع يمكنه ألاّ يعدو عن إيماءة أو بادرة، ولكنّه بادرة غير اعتياديّة بالكامل.

أثارت الرسالة اهتمام كازانوڤا وأسرته كأشدّ ما يكون: فقد كان أسلوبها رزيناً وفخماً، لكن في نفس الوقت كان هنالك شيءٌ ما شقيٌّ ومشاكسٌ فيها. وخاصّةً من راهبة. كان عليه أن يكتشف المزيد. في اليوم والوقت المحدّدين، وقف في جانب قاعة استقبال الدير ورأى امرأةً أنيقة الثياب وهي تتحدّث مع راهبةٍ تجلس خلف حاجزٍ مُشَبَّك. دُهِشَ لسماعه

اسم الراهبة: فقد كانت ماتيلدا إم.، وهي فتاةٌ من البندقيّة وفي مطلع العشرينات من عمرها، كان قرارها في دخول الدير قد فاجأ المدينة بأكملها. لكنّه ذُهِل للغاية عندما استطاع رؤية أنّها كانت شابّةً جميلة الأوصاف تحت رداء الراهبة الذي كانت ترتديه وخاصّةً عيناها اللتان كانتا زرقاوين لامعتين. لعلّها كانت تحتاج لقضاء خدمة، واعتزمت أن تستخدمه كمخلب قط (مجرّد أداة لتحقيق مرادها).

غلبه الفضول. بعد عدّة أيّام عاد إلى الدير وطلب رؤيتها. تسارع نبض قلبه بينما كان ينتظرها ـ فلم يكن يعرف ماذا ينتظره. ظهرت أخيراً وجلست خلف الحاجز المُشَبَّك. كانا لوحدهما في الغرفة، وقالت أنّها تستطيع أن ترتّب عشاءً خاصّاً بهما في ڤيلاّ صغيرة مجاورة. ابتهج كازانوڤا، لكنّه تساءل في تعجّب مع أيِّ نوعٍ من الراهبات كان يتعامل. سألها «و ـ هل لديك عشيقٌ غيري؟». فأجابت، «لديّ صديق، وهو سيّدي بكل ما في الكلمة من معنى. وإنّه هو من أدين له بثروتي.» سألته إذا كان لديه حبيبة؛ فأجاب بنعم. أردفت بعد ذلك بنبرةٍ غامضة، «أنا أحذّرك بأنّه ما إن تسمح لي بأخذ مكانها في قلبك، فلا يوجد قوّةٌ على سطح الأرض تستطيع أن تنتزعني منه.» بعد ذلك أعطته مفتاح الڤيلاّ وأخبرته أن يلتقي بها هناك بعد يومين. قبّلها من خلال الحاجز المُشَبَّك وغادرها وهو دائخ. كتب كازانوڤا، «انقضى اليومان التاليان وأنا في حالة تلهّفٍ محموم، الأمر الذي منعني من النوم والأكل. فقبل وبالإضافة إلى عراقة المحتد، الجمال والظرافة، فقد كانت معشوقتي الجديدة تمتلك سحراً إضافياً: كانت ثمرة محرّمة. كنت على وشك أن أصبح منافساً للكنيسة.» تخيّلها في رداء الرهبنة، وبرأسها الحليق.

وصل إلى الڤيلاّ في الساعة المحدّدة. كانت ماتيلدا بانتظاره. كانت ترتدي ثوباً أنيقاً، الأمر الذي فاجأه، وكانت قد تدبّرت بطريقةٍ أو بأخرى ألاّ يُحلَقَ شعر رأسها الذي سرّحته عندئذٍ على شكل كعكةٍ كبيرة. أخذ كازانوڤا يقبّلها. قاومت لكن بشكلٍ طفيفٍ فقط، ومن ثمّ انسحبت وهي تقول أنّ الوجبة كانت جاهزةً من أجلهما. قامت خلال العشاء بإيضاح بعض الحلقات المفقودة: خوّلها مالها بأن ترشي أناساً معيّنين، لكي تستطيع الفرار من الدير بين الحين والآخر. كانت قد ذكرت كازانوڤا لصديقها

قام ألسيبايديس بقطع ذيل كلبه كي يفاجئ الناس. عندما رأى نظرات أصدقائه وهم يحدّقون في الحيوان الأبتر، فإنّه قال: «آه، ذلك بالضبط ما أردت حصوله: ما دام الأثينيون يتهامسون عن هذا، فإنّهم لن يقولوا عنّي ما هو أسوأ.» • جذب الانتباه هو ليس الهدف الأوحد للغندور، فهو يريد أسره بواسطة أساليب غير متوقّعة، بل وحتّى سخيفة. من بعد ألسيبايديس، كم من غندورٍ صاعدٍ قام بقطع ذيل كلبه! بارون ساينت ـ كريك، على سبيل المثال، وقصّة جزمته والبوظة: ذات يومٍ حارٍّ جدّاً، طلب كوبين من البوظة من محلّ تورتوني، وقام بتقديم الكوب ذي نكهة الڤانيليا لجزمته اليمنى، والكوب ذي نكهة الفريز لجزمته اليسرى... أحبّ الكونت سانت ـ

وسيّدها، فوافق على علاقتهما السريّة. لا بدّ أنّه متقدّمٌ في السن؟ سأل كازانوڤا. فأجابت بالنفي وأضافت بينما كانت عيناها تتلألآن: هو في الأربعينات ووسيمٌ بحقّ. بعد العشاء، رنّ جرسٌ ـ الذي كان الإشارة التي تنبّهها لضرورة العودة بسرعة إلى الدير، وإلاّ فسوف يتمّ اكتشاف فعلتها. بدّلت ثيابها مرتديةً مجدّداً رداء الراهبة وغادرت.

بدا أنّ صورةً ذهنيّةً جميلة تمتدّ أمام ناظري كازانوڤا، عن شهورٍ يقضيها في الڤيلاّ مع هذا المخلوق الجميل، وكلّها بفضل هذا السيّد الغامض الذي دفع كلّ التكاليف. سرعان ما عاد إلى الدير من أجل أن يرتّب من أجل اللقاء التالي. كانا سيتواعدان في ساحةٍ في البندقيّة، ومن ثمّ ينسحبان إلى الڤيلاّ. في الزمان والمكان المحدّدين رأى كازانوڤا رجلاً يقترب منه. تراجع كازانوڤا مذعوراً خوفاً من أن يكون هذا الرجل هو صديقها الغامض، أو رجلٌ آخر ما أُرسِل لقتله. حام الرجل خلفه ثمّ دنا منه: لقد كانت ماتيلدا، وهي ترتدي قناعاً وثياباً رجّاليّة. ضحكت على حالة الرعب التي سبّبتها له. يا لها من راهبة شيطانيّة. كان عليه أن يعترف أنّها أثارته من خلال تنكّرها بثياب الرجل حتّى أكثر من ذي قبل.

بدأ كازانوڤا يشكّ في أنّ الأمر برمّته لم يكن كما يبدو ظاهريّاً. فأوّلاً، وجد مجموعةً من الروايات والكتيّبات الإباحيّة في منزل ماتيلدا. ثانياً كانت تدلي بتعليقاتٍ تجديفيّة، عن المرح ـ على سبيل المثال ـ الذي سيعيشونه سويّةً خلال فترة الصوم عندما «يميتان شهواتهما.» أمّا وأنّها صارت تشير إلى صديقها الغامض على أنّه حبيبها فقد وضع خطّةً في ذهنه لينتزعها من هذا الرجل ومن الدير، فيفرّ معها وتصبح ملكه لوحده.

بعد ذلك بعدّة أيّام استلم رسالةً منها تحمل اعترافاً: خلال واحدةٍ من لقاءاتهم السريّة الشغوفة في الڤيلاّ، كان حبيبها مختبئاً في الخزانة، وهو يشاهد كلّ شيء. أخبرته أن حبيبها كان السفير الفرنسي وأنّ كازانوڤا كان قد أثار إعجابه. لم يكن كازانوڤا من يُخدَع بمثل هذا، ومع ذلك فقد عاد صاغراً إلى الدير كي يرتّب للقاءٍ سرّيٍّ آخر. هذه المرّة ظهرت في الساعة التي كانا قد اتّفقا عليها، وعانقها ـ فقط ليكتشف أنّه كان يعانق كاترينا التي كانت ترتدي ثياب ماتيلدا. كانت ماتيلدا قد صادقت كاترينا وعلمت

جرمان أن يأخذ أصدقاءه إلى المسرح، في عربته المبهجة للحواس والمخطّطة بالساتان الزهري والتي يقودها حصانان سوداوان ذوي ذيولٍ هائلة؛ فسألهم بنبرته تلك التي لا يمكن تقليدها: «أي فقرةٍ من التسلية تحبّون مشاهدتها؟ الڤودڤيل، أم حفلة المنوّعات، أم مسرح بالايز الملكي؟ أمنح لنفسي الحقّ بأن أحجز مقصورةً لثلاثتهم معاً.» ما إن اتّخذ القرار، حتّى أخذ وبنظرة ازدراءٍ شديد البطاقات غير المستعملة، لفّها، واستخدمها لإشعال سيجاره.

ـ مود دي بيليروش، *الغندور اللعوب*

بينما جلس شاهزمان على واحدةٍ من النوافذ المطلّة على حديقة الملك، فقد رأى باباً ينفتح في القصر، ويخرج منه

قصّتها. من الواضح أنّها أشفقت عليها، لذا دبّرت الأمر بحيث تستطيع كاترينا أن تغادر الدير في المساء وتلتقي بكازانوڤا. قبل ذلك ببضعة شهور كان كازانوڤا متيّماً بهذه الفتاة، لكنّه كان قد نسي بشأنها. مقارنةً بماتيلدا الذكيّة فقد كانت كاترينا عبارة عن إنسانة مُضجِرة ومُتَكَلّفة. لم يستطع إخفاء خيبة أمله. وكان يتحرّق لرؤية ماتيلدا.

كان كازانوڤا غاضباً من الخدعة التي حاكتها ماتيلدا. لكنّه غفر لها كلّ شيء عندما رآها مجدّداً بعد بضعة أيّام. كما توقّعت خلال لقائهم الأوّل، فقد كانت سلطتها عليه كاملة. كان قد أصبح عبدها، ومدمناً على أهوائها وعلى المُتَع الخطرة التي قدّمتها. من كان يعلم أيّ فعلٍ متهوّر كان يمكن أن يقدم عليه لو لم تَحُل الظروف دون استمرار علاقتهما.

التفسير. كان كازانوڤا من يمسك بزمام السيطرة في جميع إغواءاته (تقريباً). كان هو من يقود؛ إذ يأخذ ضحيّته في رحلةٍ إلى مكانٍ مجهول، ويستدرجها إلى شبكته. من بين جميع مذكّراته كانت قصّة ماتيلدا هي الإغواء الوحيد الذي - ولحسن حظّه - انعكست فيه الآية: فقد كان المَغويّ، الضحيّة المُربَكة والمُحَيَّرة.

ما جعل كازانوڤا عبداً لماتيلدا كان نفس التكتيك الذي كان قد استخدمه على عددٍ لا يُحصى من الفتيات: الإغراء الذي لا يُقاوَم لكون المرء مُقاداً من قبل شخصٍ آخر، ولرعشة المفاجأة ولقوّة الغموض. كلّ مرّةٍ غادر فيها ماتيلدا كان رأسه يدور بالأسئلة. قدرتها على الاستمرار في مفاجأته أبقاها دائماً في ذهنه، الأمر الذي عمّق سحرها ومحا كاترينا من تفكيره. كلّ مفاجأةٍ كانت تُدرَسُ بعناية من ناحية الأثر الذي سوف تنتجه. الرسالة الأولى غير المتوقّعة أثارت فضوله، كما فعلت نظرتها الأولى تلك في غرفة الانتظار؛ ورؤيتها بشكلٍ مفاجئ وهي ترتدي كامرأةٍ أنيقة أثارت فيه رغبةً شديدة؛ بعد ذلك فإنّ رؤيتها وهي متنكّرة بثياب رجلٍ عزّزت الطبيعة الانتهاكيّة المثيرة لعلاقتهم السريّة. زعزعت المفاجآت توازنه، إلّا أنّها تركته يتحرّق شوقاً وهو ينتظر المفاجأة التالية. حتّى المفاجآت غير السارّة، كذلك

عشرون من العبدات الإناث وعشرون من الزنوج. وبينهم كانت امرأة أخيه [الملك شهريار]، وهي امرأةٌ ذات جمالٍ فائق. اتّجه الجمع نحو النافورة، حيث خلعوا ثيابهم جميعاً وجلسوا على العشب. عندئذٍ صاحت زوجة الملك: «تعال يا مسعود!» فأسرع إليها عَبد أسود، وامتطاها بعد أن غمرها بالقبل والعناق. كذلك فعل الزنوج مع العبدات، إذ عربدوا سويّةً حتّى قارب الليل على الهبوط... •..

وهكذا أخبر شاهزمان شقيقه [الملك شهريار] بكلّ ما رآه في حديقة الملك ذلك اليوم... •

عند ذلك أعلن شهريار عن عزمه على القيام بحملةٍ أخرى. انطلق الجنود خارج المدينة بخيامهم، ولحق بهم الملك شهريار. وبعد أن مكث لبرهة في

اللقاء مع كاترينا والذي كانت ماتيلدا قد دبّرته، أبقته عاطفيّاً وضعيفاً. لقاؤه مع كاترينا البايخة نوعاً ما في تلك اللحظة لم يؤدِّ إلّا إلى جعله يتوق بهذه الشدة إلى ماتيلدا.

في الإغواء، أنت تحتاج لأن تخلق حالة توتّرٍ وترقّبٍ دائمة، إحساساً بأنّه معك لا يمكن التنبؤ بشيء. لا تفكّر بهذا كتحدٍّ شاقّ. أنت تخلق نوعاً من الدراما في الحياة الحقيقيّة، لذا صبّ طاقاتك الخلاّقة فيها، واحظَ ببعض المتعة والفرح. هناك جميع أنواع المفاجآت المدبّرة التي تستطيع أن تباغت بها ضحاياك ـ كأن ترسل رسالةً دون سابق إنذار، أو أن تظهر بشكلٍ غير متوقّع، أو تأخذهم إلى مكان لم يزوروه من قبل أبداً. لكن أفضل المفاجآت هي التي تظهر شيئاً ما جديداً عن شخصيّتك. وهذه يجب أن تُحَضَّر مسبقاً. في تلك الأسابيع الأولى، ستميل أهدافك لأن تطلق أحكاماً متسرّعة (مرتجلة) عنك وذلك بناءً على المظاهر. لعلّهم يرونك خجولاً، عمليّاً، أو متزمّتاً بعض الشيء. أنت تعلم أنّ انطباعهم هذا هو ليس حقيقة ما أنت عليه، وإنّما هو الكيفيّة التي تتصرّف بها في الأوضاع الاجتماعيّة. دعهم، على أيّة حال، يحملون هذه الانطباعات، بل وأبرزْها بعض الشيء، دون مبالغة: فعلى سبيل المثال، إظْهَرْ أكثر تَحفّظاً من المعتاد بقليل. وعندها يكون عندك مجالٌ لتفاجئهم على نحوٍ مباغت بعملٍ جريءٍ أو شاعريٍّ أو مشاغب. كما فعلت ماتيلدا مع كازانوڤا ـ أولاً راهبة تريد علاقةً غراميّة، ومن ثمّ فاسقة (خليعة)، ومن ثمّ مغوية ذات مسحةٍ ساديّة. بينما يجهدون أنفسهم لمحاولة تصوّرك، فإنّهم سيفكّرون بك طوال الوقت، وسيرغبون بمعرفة المزيد عنك. سيقودهم فضولهم عميقاً إلى داخل شبكتك، إلى أن يكون الأوان قد فات بالنسبة إليهم كي يرجعوا.

> *هذا هو القانون دائماً بالنسبة للشخص المثير للاهتمام.... إذا كان الشخص يعرف فقط كيف يفاجئ، فإنّه سوف يربح اللعبة دائماً. طاقة الشخص المعني تُعَلّق بشكلٍ مؤقّت، الأمر الذي يجعل من قدرته على التصرّف شيئاً متعذّراً.*
>
> ـ سورين كيركيجارد

المخيم، فقد أعطى الأوامر لعبيده بألاّ يُسمَح لأحدٍ بالدخول إلى خيمة الملك. تنكّر بعد ذلك وعاد إلى القصر دون أن يلاحظه أحد حيث كان أخوه بانتظاره. جلسا سويّةً على واحدةٍ من النوافذ التي تطلّ على الحديقة؛ وبعد أن كانا جالسين هنالك لبرهة، فقد ظهرت الملكة ونساؤها مع العبيد السود، وتصرّفوا كما كان شاهزمان قد وصف... • ما إن دخلوا إلى القصر، حتّى أمر الملك شهريار بإعدام زوجته مع نسائها والعبيد السود. ومن ذلك الحين فصاعداً جعلها عادةً أن يأخذ عذراءً (كزوجة) إلى سريره كلّ ليلة، ويقتلها في صبيحة اليوم التالي. تابع فعل هذا لثلاث سنوات، إلى أن سرت جَلَبة بين الناس، وفرّ قسمٌ منهم مع بناتهم إلى

المفاتيح للإغواء

عادةً ما يكون الطفل مخلوقاً عنيداً ومتصلّباً يتعمّد فعل ما هو معاكسٌ لما نطلبه منه. لكن هنالك سيناريو يتيم يتخلّى الأطفال فيه عن عنادهم المعتاد: وذلك عندما يوعَدون بمفاجأة. لعلّها هديّة مخبّأة بصندوق، لعبةٌ ذات نهايةٍ لا يمكن التنبؤ بها، رحلةٌ إلى مكانٍ مجهول، قصّةٌ مشوّقةٌ ذات نهايةٍ مفاجئة. في تلك اللحظات عندما يكون الأطفال منتظرين لمفاجأة، فإنّ قوّة إرادتهم تكون معطّلة (معلّقة). هم سيكونون تحت رحمتك (عبيداً لك) ما دمت تدلّي بالإمكانيّة أمامهم. هذه العادة الطفوليّة عادةً ما تكون مطمورةً في أعماقنا، وهي مصدر سعادةٍ إنسانيّةٍ أوّليّة: سعادة كوننا نُحمَلُ من شخصٍ يعلم إلى أين يذهب، والذي يأخذنا في رحلة. (لربّما بهجتنا في كوننا نُحمَلُ على طول الرحلة تشتمل الذكرى الدفينة لكوننا كُنّا نُحمَلُ حرفيّاً، من قبل والد، عندما كنّا صغاراً.)

نحصل على رعشةٍ مشابهة عندما نشاهد فيلماً أو نقرأ روايةً مثيرة: إذ نكون بين يدي المخرج أو الكاتب وهو يقودنا على طول الخط، آخذاً إيّانا من مفاجأة لمفاجأة ومن تطوّرٍ لآخر. نقبع في مقاعدنا، نقلب الصفحات، ونحن سعداء بحالة العبوديّة التي يسببها لنا التشويق. إنّها اللذّة التي تنتاب المرأة لكونها تُقادُ من قبل راقصٍ واثق، مُتَخَلِّيَةً في تلك الأثناء عن أيّة دفاعيّة قد تستشعرها وتاركةً الشخص الآخر يقوم بالعمل. الوقوع في الحبّ يتضمّن التوقّع أو الترقّب؛ نحن على وشك الانطلاق في اتّجاهٍ جديد، دخول حياةٍ جديدة، حيث سيكون كلّ شيءٍ غريباً. يحتاج المَغوي إلى أن يُقاد، إلى أن يُحمَلَ كطفل. إذا كان يمكن التنبؤ بتصرّفاتك، فإنّ السحر سوف يخبو؛ فالحياة اليوميّة يمكن التنبؤ بها. كان الملك شهريار، في رواية *ألف ليلة وليلة* العربيّة، كلّ ليلةٍ يتّخذ لنفسه عذراءً كزوجة، ومن ثمّ يقتلها في صبيحة اليوم التالي. إحدى هذه العذراوات، شهرزاد، تدبّرت الهروب من هذا المصير من خلال إخبار الملك قصّةً لا يمكن إكمالها إلّا في اليوم التالي. هي تفعل هذا ليلةً تلو الأخرى، مبقيةً بذلك الملك في حالة ترقّبٍ وتشوّقٍ دائمين. عندما تنتهي قصّة، كانت تسارع في إخبار أخرى. فعلت هذا لما يقارب الثلاث

خارج البلاد. • الآن كان لدى الوزير ابنتان. الكبرى تُدعى شهرزاد والصغرى دنيازاد. تمتّعت شهرزاد بالعديد من المآثر وكانت ضليعةً في حكمة الشعراء وأساطير الملوك الأقدمين. • لاحظت شهرزاد في ذلك اليوم قلق أبيها وسألته عمّا كان يعكّر صفوه. عندما أخبرها الوزير عن ورطته، فقد قالت: «أعطني كزوجةٍ إلى الملك؛ فإمّا أموت فداءً لبنات المسلمين، أو أحيا وأكون سبب خلاصهم.» استحلفها جدّيّاً ألاّ تقوم بهكذا مخاطرة؛ إلّا أنّ شهرزاد كانت عاقدة العزم، ولم تكن لتذعن لاستعطافات أبيها... • وهكذا ألبس الوزير ابنته ثياب العرس وزيّنها بالجواهر واستعدّ لإعلان زفافها للملك. • قبل أن تقول الوداع لأختها، فإنّ شهرزاد

سنوات، إلى أن قرّر الملك أخيراً أن يوفّر حياتها. أنت مثل شهرزاد: من دون قصصٍ جديدة، ودون الإحساس بالترقّب والتوقّع، فإنّ إغواءك سيموت. واصل إذكاء النيران ليلةً بعد ليلة. أهدافك لن تعرف أبداً ماذا سيأتي بعد ـ ما هي المفاجآت التي تخبّئها لهم. كما حصل مع الملك شهريار، فإنّهم سيكونون تحت سيطرتك ما دمت قادراً على إبقائهم يحزرون ويخمّنون.

في عام 1765، التقى كازانوڤا بكونتيسةٍ إيطاليّة شابّة تُدعى كليمنتينا كانت تعيش مع شقيقتيها في قصرٍ ريفيّ. كانت كليمنتينا تحبّ القراءة، ولم تكن تهتمّ كثيراً بالرجال الذين كانوا يحومون حولها. أضاف كازانوڤا نفسه إلى مجموعهم، إذ أخذ يشتري لها الكتب، وينخرط معها في مناقشاتٍ أدبيّة، لكنّها لم تكن أكثر اكتراثاً بشأنه ممّا كانت بشأن الآخرين. لكنّه ذات يوم دعا الأسرة بأكملها في رحلةٍ قصيرة، ولم يخبرهم إلى أين كانوا ذاهبين. تكدّسوا في العربة وأخذوا يحزرون طوال الطريق إلى أين كانت الوجهة. بعد عدّة ساعاتٍ من ذلك دخلوا ميلان ـ ويا لها من فرحة، فالأخوات لم يكنّ قد ذهبن إلى هنالك قط. قادهم كازانوڤا إلى شقّته، حيث عُرِضَت ثلاث أثواب ـ وهي أروع أثوابٍ كانت الفتيات قد رأينها في عمرهنّ. أخبرهنّ أنّه كان هنالك ثوبٌ لكلّ واحدةٍ من الأخوات، وأنّ الثوب الأخضر كان لكليمنتينا. ارتدت الثوب بينما كانت مذهولة وأضاء وجهها. لم تتوقّف المفاجآت ـ فقد كانت هناك الوجبات الشهيّة، الشامبانيا، والألعاب. في الوقت الذي وصلن فيه إلى القصر، في وقتٍ متأخّرٍ من عصر ذلك اليوم، كانت كليمنتينا قد وقعت في حبّ كازانوڤا على نحوٍ لا شفاء منه.

كان السبب بسيطاً: المفاجأة تخلق لحظةً تكون فيها دفاعات الناس موضوعةً جانباً بحيث يمكن لعواطف جديدة أن تدخل. إذا كانت المفاجأة سارّة، فسوف يسري السّم الإغوائيّ في عروقهم دون أن يدركوا ذلك. أيّ حدثٍ مفاجئ لديه أثرٌ مشابه، فهو يضرب (يمسُّ) عواطفنا مباشرةً قبل أن نتصرّف بطريقة دفاعيّة. الخليعون يعرفون هذه القوّة جيّداً.

لاحظت امرأةٌ شابّةٌ متزوّجة في بلاط لويس الخامس عشر، في فرنسا

أعطت أختها هذه التعليمات: «عندما أُستقبَل من قبل الملك فإنّي سوف أرسل وراءك. وبعد أن يفرغ الملك من الدخول عليّ، يجب عليك أن تقولي: 'أخبريني يا أختي عن قصّةٍ خرافيّة لتزجية الليل.' ومن ثمّ فسأحكي لك حكايةً ستكون، إن شاء الله، وسيلة خلاصنا.» • مضى الوزير مع ابنته لعند الملك. وعندما كان الملك قد أخذ العذراء شهرزاد إلى حجرة نومه وواقعها، فإنّها انتحبت وقالت: «لديّ أختٌ صغيرة أريد أن أودّعها.» • أرسل الملك وراء دنيازاد. عندما وصلت، فقد قامت برمي ذراعيها حول عنق أختها، وأجلست نفسها بقربها. • بعد ذلك قالت دنيازاد لشهرزاد: «إحكي لنا يا أختي حكايةً خرافية حتّى تمرّ الليلة بشكلٍ سارّ.» •

القرن الثامن عشر، رجل بلاطٍ شابّاً ووسيماً وهو يراقبها، في الأوبرا أوّلاً، وبعد ذلك في الكنيسة. بعد أن أجرت تحرّياتها، وجدت أنّه كان الدوق دي رايشليو، الذي كان أشهر خليعٍ في فرنسا. لم تكن امرأةٌ بمأمنٍ من هذا الرجل، وحُذِّرَت من أنّه كان من المستحيل مقاومته، وأنّه ينبغي لها أن تتفاداه مهما كان الثمن. أجابت بأنّ هذا هراء، فهي سعيدةٌ بزواجها، ولا يمكن له أن يغويها. وضحكت على إصراره عندما رأته مرّةً ثانية. كان يتنكّر كمتسوّل ويدنو منها في المنتزه، أو يقود عربته بمحاذاة عربتها. لم يكن عدوانيّاً أبداً، وبدا أنّه غير مؤذٍ بما فيه الكفاية. سمحت له بأن يتكلّم معها في البلاط؛ كان ساحراً وظريفاً، وطلب حتّى أن يلتقي بزوجها.

مرّت الأسابيع، وأدركت المرأة أنّها كانت قد ارتكبت خطأً: تلهّفت لرؤية الماركيز. كانت قد وضعت دفاعاتها جانباً. هذا يجب أن يتوقّف. عندها أخذت تتجنّبه، وبدا أنّه يحترم مشاعرها: فقد كفّ عن مضايقتها. ثمّ في أحد الأيّام، بعد أسابيع من ذلك، كانت في عِزبةِ صديقتها عندما ظهر الماركيز بشكلٍ مفاجئ. احمرّت وارتجفت وانسحبت، لكنّ ظهوره غير المتوقّع أخذها على حين غرّة ـ كان قد دفعها إلى حافّة الهاوية. بعد عدّة أيّامٍ من ذلك أصبحت ضحيّةً أخرى من ضحايا رايشليو. بالطبع كان قد دبّر الأمر برمّته، بما فيه ما كان يُفتَرَض أنّه لقاءٌ مفاجئ.

المباغتة لا تخلق صدمةً إغوائيّةً وحسب، بل وتخفي التلاعبات أيضاً. إظهر في مكانٍ ما على نحوٍ غير متوقّع، قل أو افعل شيئاً مفاجئاً، وعندها لن يكون لدى الناس وقتٌ كي يتصوّروا أنّ حركتك كانت محسوبة ومُعَدّة مسبقاً. خذهم إلى مكانٍ جديدٍ ما وكأنّ ذلك خطر ببالك للتو، بُح بشكلٍ مفاجئ بسرٍّ ما. سيصبحون مربكين لدرجةٍ لا يمكنهم عندها تبيّن حقيقتك وحقيقة تصرّفاتك وذلك بعد أن جُعِلوا حسّاسين وهشّين من الناحية العاطفيّة. أيّ شيءٍ يحدث بشكلٍ مفاجئ يبدو طبيعيّاً، وأيّ شيءٍ يبدو طبيعيّاً يكون له سحرٌ إغوائيٌّ.

كانت جوزفين بايكر قد سحرت الجمهور الفرنسي بالكامل من خلال رقصها الجامح وذلك بعد أشهرٍ فقط من وصولها إلى باريس في عام 1926.

فأجابت «بكلّ سرور، إن كان الملك يسمح بذلك.» • فاستمع الملك، الذي كان يعاني من الأرق، بتلهّفٍ إلى حكاية شهرزاد: في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، في مدينة البصرة، عاش هناك خيّاطٌ ثريّ والذي كان مولعاً بالرياضة والمرح.... • [مرّت حوالي ثلاث سنوات.] خلال هذا الوقت كانت شهرزاد قد أنجبت ثلاثة أبناء لشهريار. في الليلة الأولى بعد الألف، عندما كانت قد انتهت من قصّة معروف، فإنّها نهضت وقبّلت الأرض أمامه قائلةً: «أيّها الملك المُبجّل، لألف ليلةٍ وليلة كنت أسرد لك خرافات العصور الأولى وأساطير الملوك الأقدمين. هل أكون جريئةً لحدّ الصفاقة إن طلبت معروفاً من

لكنّها استطاعت بعد ذلك بأقلّ من سنة أن تحسّ بتضاؤل اهتمامهم. كانت قد كرهت منذ الطفولة الإحساس بأنّها لا تتحكّم بحياتها. لماذا تكون تحت رحمة الجمهور المتقلّب؟ تركت باريس وعادت بعد عام، لكن بسلوكٍ مختلفٍ كلّياً ـ فالآن أصبحت تلعب دور سيّدةٍ فرنسيّة أنيقة، والتي صادف أنّها راقصةٌ ومؤدّيةٌ مبدعة. وقع الفرنسيّون في حبّها مجدّداً؛ وعادت موازين القوّة إلى صالحها. إذا كانت عين العامّة (الجمهور) مسلّطةً عليك، فعليك أن تتعلّم من خدعة المفاجأة هذه. الناس يملّون، ليس من حياتهم وحسب وإنّما من الناس الذين غايتهم أن يمنعوا عنهم الضجر. في اللحظة التي يستطيعون فيها أن يتوقّعوا خطوتك التالية، فسوف يأكلونك حيّا. ظلّ الفنّان آندي وارهول يتنقّل من تقمّصٍ إلى تقمّص (شخصيّة)، ولم يكن أحدٌ بقادرٍ على توقّع التقمّص التالي ـ فنّان، صانع أفلام، رجل مجتمعٍ وعلاقات. إحتفظ دائماً بمفاجأةٍ تحت كمّك. لتحتفظ باهتمام العامّة، عليك أن تجعلهم يتحزّرون ويخمّنون بشكلٍ دائم. دع الأخلاقيّين يتّهمونك بالمراء، وبأنّك لا تتمتّع بجوهرٍ أو مركز (ثقل). هم في الواقع يغارون من الحريّة والروح المرحة واللعوبة اللتين تظهرهما في الجانب المرئي لشخصيّتك (الذي تُريه للعالم الخارجي).

أخيراً قد تعتقد أنّه من الحكمة أن تقدّم نفسك كشخصٍ يمكن الاعتماد عليه، وليس خاضعاً للأهواء والنزوات. إذا كان الأمر كذلك، فأنت في الواقع مجرّد رعديدٍ مخلوع الفؤاد. فالشروع بالإغواء يتطلّب شجاعةً وجهداً. كونك جديرٌ بأن يُعتَمَد عليك هو شيءٌ جيّد لاجتذاب الناس، لكن واظب على هذا وستصبح مملاً وثقيل الظل. الكلاب جديرةٌ بالاعتماد عليها، أمّا المغوي فلا. إذا كنت، من ناحيةٍ أخرى، تفضّل أن ترتجل، ظنّاً منك أنّ أيّ نوعٍ من التخطيط أو الحسابات هو مناقضٌ لروح المفاجأة، فأنت ترتكب خطأً كبيراً. الارتجال المتواصل يعني ببساطة أنّك كسول، ولا تفكّر إلّا بنفسك. ما يغوي الشخص في أغلب الأحيان هو الشعور بأنّك قد بذلت جهداً من أجله. أنت لا يجب أن تتشدّق بهذا، لكن يجب أن توضّح ذلك من خلال الهدايا التي تقدّمها، النزهات الصغيرة التي تخطّطها، والإغاظات الصغيرة (هنا بمعنى إثارة الرغبة دون إشباعها) التي تغري الناس بواسطتها.

جلالتك؟» • أجاب الملك: «إطلبي، وستُلبّى لك.» • نادت شهرزاد المرضعات قائلةً: «أحضروا لي أولادي.» • ... «إنظر إلى هؤلاء [الصبية الصغار] الثلاثة الذين وهبهنا إيّاهم الله. أتوسّل إليك من أجلهم أن تحفظ حياتي. لأنّك إذا قضيت على حياة أمّ هؤلاء الأطفال، فإنّهم لن يجدوا أيّ واحدةٍ من بين النساء تحبهم كما أحبّهم.» • عانق الملك أبناءه الثلاثة واغرورقت عيناه بالدموع وهو يجيبها: «أقسم بالله يا شهرزاد بأنّه قد غُفِر لك أساساً وقبل مقدم هؤلاء الأطفال. أحببتك لأنّني وجدتك بسيطةً ورقيقة، حكيمةً وفصيحة. فليباركك الله، وليبارك أباك وأمّك، أسلافك وكلّ ذرّيتك. آهٍ يا شهرزاد، إنّ هذه الليلة الأولى بعد

الألف لأكثر ضياء بالنسبة لنا من النهار!»

ـ حكايا من ألف ليلة وليلة، ترجمة إن. جاي. داوود

جهودٌ صغيرة كهذه تكون مكافأتها أكثر من سخيّة، إذ ستُكافأ بانتزاع قلب وإرادة المَغوي.

الرمز: الأفعوانيّة. السيّارة ترتفع ببطءٍ نحو الأعلى، ومن ثمّ تدفعك فجأةً بشكلٍ عنيف نحو الفضاء، تقذفك إلى الجانب، وترمي بك رأساً على عقب، في كلّ اتّجاهٍ ممكن. الركاب يضحكون ويصرخون. ما يثيرهم هو الانعتاق، ومنح زمام السيطرة لشخصٍ آخر، والذي يسيّرهم باتّجاهاتٍ غير متوقّعة. ما هي الإثارة الجديدة التي تنتظرهم خلف المنعطف التالي؟

الانقلاب

يمكن للمفاجأة أن تكون غير مفاجِئة إذا تابعت فعل الشيء نفسه مراراً وتكراراً. حاولت جيانغ كينغ أن تفاجئ زوجها ماوتسي تونغ من خلال تقلّباتٍ مفاجئة في المزاج: من القسوة إلى اللطف ومن اللطف إلى القسوة. أُسِر وأُثيرَ اهتمامه في البداية؛ إذ أحبّ الشعور بعدم معرفة ماذا سيأتي. سرعان ما أصبحت تبدّلات مزاج زوجة ماو والتي يُفترَض أنّه لم يكن من الممكن التنبؤ بها لا تسبّب له غير الإزعاج. أنت تحتاج لأن تنوّع طرق مفاجآتك. عندما كانت المدام دي بومبادور عشيقةً للملك لويس الخامس عشر الدائم الملل، فإنّها كانت تقوم بكلّ مفاجأة بشكلٍ مختلف ـ تسليةٌ جديدة، لعبةٌ جديدة، موضة جديدة، مزاجٌ جديد. لم يكن بإمكانه أبداً أن يتوقّع ماذا سيأتي بعد، وبينما كان ينتظر المفاجأة الجديدة، فإنّ ضبطه لنفسه كان يُعَطَّلُ مؤقّتاً. لم يكن رجلٌ بعبدٍ لامرأة كما كان لويس للمدام دي بومبادور. عندما تسلك اتّجاهاً جديداً إجعله جديداً بحقّ.

10

استخدم القوة الشيطانية للكلمات لزرع الارتباك والفوضى

من
الصعب جعل
الناس يصغون؛ فهم
مستهلكون في أفكارهم ورغباتهم
الخاصة، ولديهم قليلٌ من الوقت لتلك التي
تخصُّك. تكمن الخدعة في جعلهم يسمعون في أن
تقول ما يودّون سماعه، أن تملأ آذانهم بأيِّ شيئ سارٍّ لهم.
هذا هو جوهر اللغة الإغوائية. ألهب مشاعر الناس بالتعابير المُضَمّنة، أطرِهم،
خفّف من وطأة عدم شعورهم بالأمان والثقة، طوِّقهم بالأحلام، بالكلمات
العذبة والوعود، وعندها لن يصغوا إليك فحسب، لا بل وسيفقدون
إرادتهم لمقاومتك. أَبقِ لغتك غامضة، ودعهم يستخلصون
منها ما طاب لهم من المعنى. استخدم الكتابة
لتثير التخيّلات ولتخلق صورةً
مثاليّـةً عـــن
نفسك.

الخطابة الإغوائيّة

بعد أن فرغنا من التعامل مع عمليّة التحريض على العصيان، يجب علينا التعامل مع عمليّة الإغواء.

- موريس كريجل - ڤالريمون عن شارل ديغول، بعد فترةٍ قصيرة من تولّي الجنرال للسلطة

قامت عشيقتي بإغلاق أبوابها في وجهي... / فلجأت إلى الأشعار والإطراءات،/ أي إلى أسلحتي الطبيعيّة. الكلمات العذبة / تحطّم

في الثالث عشر من أيّار في عام 1958، استولى رجالٌ فرنسيّون من الجناح الأيمن بالإضافة للمتعاطفين معهم من الجيش على السلطة في الجزائر، التي كانت في ذلك الوقت مستعمرةً فرنسيّة. كانوا يخشون من أن تمنح حكومة فرنسا الإشتراكيّة الاستقلال للجزائر. الآن، بعد أن أصبحت الجزائر تحت سيطرتهم، هدّدوا بأن يستولوا على كلّ فرنسا. بدت الحرب الأهليّة وشيكة الحدوث.

في هذه اللحظة المنذرة بالكارثة تحوّلت كل الأنظار إلى الجنرال شارل ديغول، بطل الحرب العالميّة الثانية الذي كان قد لعب دوراً أساسيّاً في تحرير فرنسا من النازيّين. كان ديغول قد اعتكف السياسة في السنوات العشر المنصرمة، بعد أن تقزّز من الاقتتال الداخلي ما بين الأحزاب المتنوّعة. ظلّ شعبيّاً (محبوباً) جدّاً، وكان يُنظَرُ إليه على أنّه الرجل الأوحد القادر على توحيد البلاد، لكنّه كان محافظاً أيضاً، لذا شعر اليمينيّون بالثقة من أنّه إذا استلم زمام السلطة فإنّه سوف يخدم قضيّتهم. بعد أيّام من انقلاب 13 أيّار، انهارت الحكومة الفرنسيّة ـ الجمهوريّة الرابعة ـ وطلب البرلمان من ديغول أن يساعد في تشكيل حكومةٍ جديدة، الجمهوريّة الخامسة. طلب أن يُمنَحَ سلطاتٍ كاملة لأربعة أشهر فكان له ذلك. في 4 حزيران، أي بعد أيّامٍ من تولّيه لمنصب رئيس الحكومة، طار ديغول إلى الجزائر.

غمرت النشوة سكّان المستعمرة الفرنسيّين. لقد كان انقلابهم هو ما أتى بشكلٍ غير مباشر بديغول إلى السلطة؛ وبالتأكيد، أو هكذا تصوّروا، أنّه كان قادماً ليشكرهم، وليطمئنهم أنّ الجزائر ستظلّ فرنسيّة. عندما وصل إلى الجزائر العاصمة، كان آلاف الناس قد احتشدوا في ساحة المدينة الرئيسيّة.

الجوّ كان مهرجانيّاً للغاية ـ فقد كانت هنالك الأعلام والموسيقى وهتافاتٌ لا تُحصى بِـ «*الجزائر فرنسيّة*،» وهو شعار المستعمرين الفرنسيّين. فجأةً ظهر ديغول على شرفةٍ تطلّ على الساحة. هاج الحشد وماج. رفع الجنرال، الذي كان رجلاً طويلاً للغاية، ذراعيه فوق رأسه، فتضاعف حجم الهتافات. كان الجمهور يتوسّل إليه لينضمّ إليهم. عوضاً عن ذلك أنزل ذراعيه إلى أن حلّ الصمت، ومن ثمّ فتحهما باتّساع، وقال بصوته العميق وبشكلٍ بطيءٍ وجدّي «لقد فهمتكم.» كانت هنالك لحظةٌ من الصمت، وبعد ذلك، أي بعد أن تشرّبت كلماته إلى أذهانهم، ساد هديرٌ يصمّ الآذان: لقد فهمهم. هذا كان كل ما يريدون سماعه.

استأنف ديغول بالتكلّم عن عظمة فرنسا. فانطلقت المزيد من الهتافات. وعد بأنّه سيكون هنالك انتخاباتٌ جديدة، وأنّه «سينظر كيف سيرتّب بقيّة الأمور مع أولئك الممثّلين المُنتَخَبين.» نعم، حكومة جديدة، هذا ما أراده الحشد بالضبط ـ مزيدٌ من الهتافات. كان «سيجد مكاناً للجزائر» في «الطقم» الفرنسي. يجب أن يكون هنالك «انضباطٌ تام، دون قيدٍ أو شرط» ـ من يستطيع أن يجادل في هذا؟ أنهى خطابه بنداءٍ عالٍ: «*عاشت الجمهوريّة! عاشت فرنسا!*» وهو الشعار العاطفي الذي كان الصيحة التي استجمعت القوى لقتال النازيّين. الجميع ردّد النداء. في الأيّام التي تلت قام ديغول بخطاباتٍ مشابهة حول الجزائر، أمام حشودٍ مهتاجة بدرجة مساوية.

لم يتمّ فهم خطابات ديغول إلّا بعد أن عاد إلى فرنسا: فلم يعد ولو لمرّة واحدة بأن يبقي الجزائر فرنسيّة. في الواقع كان قد لمّح بأنّه قد يعطي للعرب حقّ التصويت، وأنّه قد يمنح عفواً للثوّار الجزائريّين الذين كانوا يقاتلون لإخراج الفرنسيّين عنوةً من البلاد. بطريقةٍ ما ـ في خضمّ الإثارة التي خلقتها كلماته ـ فقد أخفق سكّان المستعمرة (الفرنسيّون) في التركيز على معناها الحقيقي. كان ديغول قد خدعهم. وبالفعل عمل في الأشهر التي تلت على منح الجزائر استقلالها ـ مهمّةٌ أنجزها أخيراً في عام 1962.

التفسير. لم يكن ديغول ليعبأ بمستعمرةٍ فرنسيّة قديمة، ولا بما تمثّله لبعض الناس الفرنسيّين. ولم يكنّ أيّ تعاطفٍ مع أيّ شخصٍ يحرّض على

سلاسل الأبواب. هنالك سحرٌ في الشعر، بإمكان / قواه أن تخسف القمر اللعين، / تردّ الشمس، وتقطّع الأفاعي إرباً / أو تجعل الأنهار تمشي بعكس اتّجاهها. / الأبواب ليست بندٍّ لسحرٍ كهذا، فأعتى الأقفال يمكن أن تُفتَح بسحر إفتح يا سمسم./ لكنّ القصائد الملحميّة هي محض خسارةٍ بالنسبة لي. فلن أصل إلى أيّ مكان من خلال أخيل / السريع الخطو، أو أيٍّ من ابني آتريوس./ أيّاً يكن اسمه ذلك الذي ضيّع عشرين عاماً على الحرب والترحال، / أو هيكتور المسكين الذي سُحِل على الرمال ـ / فإنّ كلّ هذا ليس جيداً. لكن أغدق الكلمات الجميلة في وصف فتاةٍ ما / وبالمقابل فإنّها سترقّ عاجلاً أم آجلاً، / فتنال جائزةً

حربٍ أهليّة. وهكذا، عندما مضى إلى الجزائر العاصمة، فإنّه كان لديه خطّةٌ طويلة المدى: أن يضعف اليمينيّين من خلال حملهم على الاقتتال فيما بينهم، وأن يسعى لاستقلال الجزائر. هدفه قصير المدى كان أن يهدّئ التوتّر ويكسب لنفسه بعض الوقت. لم يكن ليكذب على سكّان المستعمرة من خلال القول بأنّه كان يدعم قضيّتهم - فذلك كان سيسبّب المتاعب في الوطن عندما يرجع. بدلاً من ذلك فقد ضلّلهم بواسطة الخطابة الإغوائيّة، وأسكرهم بالكلمات. عبارته المشهورة «لقد فهمتكم» كان يمكن أن تعني ببساطة، «أنا أفهم الخطر الذي تمثّلون.» لكنّ الجمهور المتهلّل (شديد الابتهاج) والمتوقّع لتأييده ودعمه فهمها بالطريقة التي أرادها. قام ديغول بإشاراتٍ إلى مواضيع عاطفيّة وذلك لكي يبقهم في حالة انفعالٍ بالغ - فأشار إلى المقاومة الفرنسيّة خلال الحرب العالميّة الثانية، على سبيل المثال، وللحاجة «للانضباط،» وهي كلمةٌ تروق لليمينيّين بشكلٍ كبير. ملأ آذانهم بالوعود - حكومة جديدة، مستقبل مجيد. دفعهم إلى الهتاف، الأمر الذي خلق رابطاً عاطفيّاً. تكلّم بنبرةٍ دراماتيكيّة وعاطفةٍ مرتعشة. خلقت كلماتُه نوعاً من الهياج.

لم يكن ديغول يحاول أن يعبّر عن مشاعره أو أن يتكلّم الحقيقة؛ وإنّما كان يحاول أن ينتج أثراً. هذا هو مفتاح الخطابة الإغوائيّة. إذا كنت تتكلّم مع شخصٍ مفرد أو مع حشد، فحاول هذه التجربة الصغيرة: إكبح جماح رغبتك في التحدّث عمّا يجول في خاطرك. قبل أن تفتح فمك، إسأل نفسك هذا السؤال: ما الذي يمكن أن أقوله بحيث يُحدِث الأثر الأكثر إرضاءً لمستمعيّ؟ هذا غالباً ما يستلزم إطراء الأنا التي لديهم، تسكين شعورهم باللاأمان، إعطاؤهم آمالاً مبهمة بالمستقبل، التعاطف مع عذابهم وكدحهم («لقد فهمتكم»). إبدأ بشيءٍ سارّ وكلّ ما يلي سيكون سهلاً: ستتلاشى دفاعات الناس. سيصبحون سهلي الانقياد وعرضةً للإيحاء. فكّر بكلماتك كدواءٍ مسكرٍ من شأنه أن يجعل الناس عاطفيّين ومشوّشين. أَبقِ لغتك غامضة وملتبسة، فتدع بذلك أهدافك يملؤون الفجوات بتخيّلاتهم وتصوّراتهم. بدلاً من أن يجبروك على الرحيل، أو أن يصبحوا ساخطين أو دفاعيّين، أو أن ينفد صبرهم قبل أن تسكت، فسيكونون مطواعين وسعيدين بكلماتك ذات الوقع العذب.

سخيّة على جهودك. لذا فالوداع يا أيّتها الرموز الأسطوريّة - فالمقابل الذي تعرضون لن يغريني. فما أريده هو سربٌ من الحسان / المنتشيات جميعاً بسماعهنّ أغاني الحبّ الخاصّة بي.

- أوڤيد، علاقات الحبّ، ترجمة بيتر غرين

عندما تتلقّى رسالة، عندما يسري سمّها العذب في دمها، فعندها تكون الكلمة كافية لتوقظ حبّها وتلهبه... سوف يمنع حضوري الشخصي حالة النشوة. إذا كنت حاضراً من خلال الرسالة فقط، فيمكنها بسهولة أن تتعامل معي؛ وسوف تخلط إلى حدٍّ معيّن ما بيني وبين مخلوقٍ أكثر أفلاطونيّةً يهيم في حبّها. عندئذٍ، أيضاً، يستطيع المرء في الرسالة بيسرٍ أن

الكتابة الإغوائيّة

في عصر يومٍ ربيعيٍّ في أواخر ثلاثينات القرن التاسع عشر، في شارعٍ في كوبنهاغن، لمح رجلٌ يُدعى جوهانز شابّةً جميلةً بشكلٍ خاطف. لقدْ كانت مستغرقةً في نفسها، إلّا أنّها كانت بريئةً بشكلٍ يثير البهجة. سحرته فتبعها من بعيد حتّى اهتدى إلى مقرّ سكنها. قام بالاستعلام عنها عبر الأسابيع التي تلت فاكتشف المزيد عنها. اسمها كان كورديليا وول وكانت تعيش مع عمّتها. كانت الاثنتان تعيشان بهدوء؛ كانت كورديليا تحبّ القراءة، وأن تكون لوحدها. إغواء الفتيات الصغيرات كان اختصاص جوهانز، لكنّ كورديليا كانت لقطة: كانت قد رفضت أساساً عدّة متقدّمين لائقين (جديرين.)

قدّر جوهانز أنّ كورديليا كانت تنتظر (بتحرّق) من الحياة شيئاً أكثر، شيئاً رفيعاً ويشابه الكتب التي كانت تقرؤها وأحلام اليقظة التي كان من المفترض أنّها من خلالها تزجي عزلتها. تدبّر أن يقدّم نفسه وبدأ بالتردّد إلى منزلها، بصحبة صديقٍ له يُدعى إدوارد. هذا الشاب كان لديه مخطّطاته الخاصّة للتودّد من كورديليا، لكنّه كان أخرق، وكابد العناء كي يرضيها. أمّا جوهانز، من الجهة الأخرى، فقد تجاهلها عمليّاً، وصادق عمّتها بدلاً منها. كانا يتكلّمان عن أكثر الأشياء عاديّةً - حياة المزرعة، أيّ شيءٌ كان يدور في الأخبار. بين الحين والآخر كان جوهانز يغيّر مسار الحديث إلى شيءٍ أكثر فلسفيّة، لأنّه لاحظ، من طرف عينه، أنّ كورديليا كانت عندها تصغي إليه باهتمام، بينما لا تزال تتظاهر بأنّها تستمع إلى إدوارد.

استمرّ هذا لعدّة أسابيع. جوهانز وكورديليا بالكاد تكلّما، لكنّه كان بوسعه أن يؤكّد أنّه أسر اهتمامها، وأنّ إدوارد أزعجها إلى أبعد درجات الحدود. ذات صباح - بعد أن علم أنّ عمّتها كانت خارج المنزل - زارها في البيت. لقد كانت المرّة الأولى التي اجتمع فيها جوهانز مع كورديليا لوحدهما. واستهلّ زيارته بطلب يدها وذلك بأكبر قدرٍ ممكن من التحفّظ والتهذيب. لا حاجة للقول أنّها صُدِمَت وأُربِكَت. فرجلٌ لم يكن قد أظهر لها أدنى درجة من الاهتمام أصبح فجأةً يريد الزواج بها؟ كانت متفاجئةً جدّاً لدرجة أنّها أحالت المسألة إلى عمّتها التي، كما توقّع جوهانز، أعطتها

يطلق العنان لنفسه؛ ففي الرسالة أستطيع أن أرمي بنفسي عند قدميها بطريقةٍ فخمة، إلخ. - وهذا شيءٌ من شأنه أن يبدو بسهولة كهراء إذا فعلته في الحقيقة، وسيضيع عندئذٍ الوهم... • بالإجمال، فإن الرسائل كانت وستظلّ وسيلةً لا تقدّر بثمن لإثارة إعجاب الفتيات اليافعات؛ غالباً ما تتمتّع الرسالة البائدة بأثرٍ أكبر بكثير من الكلمة الحيّة. الرسالة هي تواصلٌ سرّي؛ فمن يكتبها يكون سيّد الموقف، ولا يشعر بالوطأة الناجمة عن الوجود الفعلي لأيّ شخص، وأعتقد جازماً بأنّ الفتاة اليافعة تفضّل أن تكون لوحدها مع التصوّر المثالي لحبيبها.

- سورين كيركيجارد، *يوميّات*

الموافقة. لو مانعت كورديليا، كانت عمّتها ستحترم رغبتها؛ إلّا أنّها لم تفعل.

من الناحية الخارجيّة، كان كلّ شيءٍ قد تغيّر. أصبح الإثنان مخطوبين. الآن أصبح جوهانز يذهب إلى المنزل لوحده، يجلس مع كورديليا، يمسك بيدها ويتحدّث معها. لكن من الداخل حرص على أن تبقى الأمور كما كانت. فقد ظلّ نائياً (متحفّظاً) ومهذّباً. كان في بعض الأحيان يتخلّى عن تحفّظه وبروده وخاصّةً عند الحديث عن الأدب (الذي كان الموضوع المفضّل لدى كورديليا)، لكنّه عند نقطةٍ معيّنة كان يرجع دائماً إلى مواضيع أكثر اعتياديّةً. كان يعلم أنّ هذا من شأنه أن يحبط كورديليا التي كانت تتوقّع منه الآن أن يصبح مختلفاً. علاوةً على ذلك فقد كان يأخذها، عندما يخرجان سويّةً، إلى حفلاتٍ رسميّة مخصّصة للمرتبطين (المخطوبين). كم كان ذلك تقليديّاً ومملاً (مبتذلاً)! هل كان هذا ما يُفترَض بالحبّ والزواج أن يكونا عليه؟ أي هل هما هؤلاء الناس الذين شاخوا قبل الأوان وهم يتحدّثون عن بيوتهم وعن مستقبلهم الكئيب والكالح؟ كورديليا التي كان أقلّ ما يمكن القول عنها هو أنّها كانت خجولة، طلبت من جوهانز أن يكفّ عن جرّها إلى هذه المناسبات. أرض المعركة كانت مهيّأة. فقد كانت كورديليا مشوّشة وقلقة. بعدئذٍ أرسل لها جوهانز رسالة وذلك بعد بضعة أسابيع من خطوبتهما. هنا وصف لها حالة روحه، ويقينه من أنّه كان يحبّها. تحدّث بلغة المجاز والاستعارة، ملمّحاً أنّه كان ينتظر لسنوات ظهور كورديليا بينما كانت المشكاة في يده؛ وأخذ يمزج ويزاوج ما بين المجاز والحقيقة في جيئةٍ وذهاب. كان الأسلوب شعريّاً والكلمات أَشَعَّت بالرغبة، لكنّ الرسالة بمجملها كانت غامضةً وملتبسةً بشكلٍ سارّ ـ فقد كانت كورديليا قادرةً على إعادة قراءة الرسالة عشر مرّات دون أن تكون متأكّدةً من فحواها. في اليوم التالي تلقّى جوهانز ردّاً. الكتابة كانت بسيطةً ومباشرة، لكن مليئةً بالعاطفة: كتبت كورديليا أنّ رسالته كانت قد أسعدتها للغاية وأنّها لم تكن تتخيّل وجود هذا الجانب في شخصيته. ردّ عليها كتابةً بأنّه قد تغير. لم يقل كيف أو لماذا، لكنّ التضمين كان أنّ هذا حدث بسببها.

الآن أصبحت رسائله تَرِدُ بشكلٍ شبه يوميّ. كانت الرسائل من نفس الطول تقريباً، وذات أسلوبٍ شعريّ تحدوه لمسةٌ من الجنون، كما لو أنّه كان

مغوي، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا إتش. هونغ

دع الشمع المبسوط على ألواحٍ رقيقة يمّهد الطريق لك، دع الشمع يمضي قبلك كشاهدٍ على رغبتك ـ / أسمعها كلماتك المطربة، الكلمات التي تحاكي العاشق: / وتذكّر مهما تكن أنت، أن تلقي ببعضٍ من الاستعطافات / الرقيقة. الاستعطافات هي ما جعل أخيل يُرجِع جثمان هكتور إلى برايم؛ صوت الصلاة يؤثّر / حتّى في الإله الغاضب. إقطع وعوداً، ما الضير بالوعود؟ هنا المضمار الذي يستطيع فيه أيّ واحدٍ أن يلعب دور الغني... /الرسالة المُقنعة / هي الشيء الذي يجب أن تبدأ به، اكتشف عقلها،/ استطلع البيئة المحيطة. رسالةٌ حُفِرت على سطح تفّاحة وشت

سكراناً بالحبّ. تحدّث عن الأساطير الإغريقيّة، مشبّهاً إيّاها بحوريّةٍ ونفسه بنهرٍ وقع بحبّ عذراء. قال أنّ روحه كانت مجرّد انعكاسٍ لصورتها؛ فقد كانت كلّ ما يستطيع رؤيته أو التفكير به. في تلك الأثناء لاحظ تغيّراتٍ عند كورديليا: فرسائلها أصبحت أكثر شعريّة وأقلّ انكباحاً. من دون أن تدرك لذلك فقد كانت تكرّر أفكاره وتحاكي أسلوبه ولغته المجازيّة (التصويريّة) كما لو كانوا أفكارها وأسلوبها ولغتها. بالإضافة إلى ذلك فقد صارت عصبيّة المزاج عندما كانا يلتقيان شخصيّاً. حرص على أن ينحو النحو نفسه: متحفّظاً وفخماً، لكن كان بمقدوره أن يؤكّد أنّها كانت تراه بطريقةٍ مختلفة، وتستشعر في داخله أعماقاً لم يكن بإمكانها سبرها. أمام الملأ كانت تعلّق على كلّ كلمةٍ من كلماته. لا بدّ أنّها كانت تتذكّر رسائله، لأنّها كانت تشير إليها بشكلٍ دائم في أحاديثهما. تلك الرسائل كانت حياةً سرّية تشاطروها. والآن عندما كانت تمسك بيده، فإنّها كانت تفعل هذا بشكلٍ أكثر إحكاماً من ذي قبل. عبّرت عيناها عن نفاد صبر، وكأنّها كانت تأمل في أيّ لحظةٍ أن يقوم بعملٍ جريء.

جعل جوهانز رسائله أقصر لكن أكثر، فصار في بعض الأحيان يرسل عدّة رسائل في اليوم الواحد. اللغة المجازيّة أصبحت أكثر ماديّةً وإيحائيّةً، والأسلوب أكثر تفكّكاً، كما لو أنّه بالكاد يستطيع تنظيم أفكاره وترتيبها. في بعض الأحيان كان يرسل مفكّرةً مكوّنةً من مجرّد جملةٍ أو اثنتين. ذات مرّة، في حفلةٍ في منزل كورديليا، ألقى بمفكّرة في سلّة الحياكة التي لديها وراقبها وهي تُهرَع بعيداً لقراءتها، تورّد وجهها خجلاً. رأى في رسائلها أماراتٍ لعاطفةٍ واهتياجٍ عظيمين. كتبت أنّها كانت قد كرهت مسألة الخطبة برمّتها ـ فقد كانت دون مستوى حبّهما ـ فكانت بذلك تردّد صدى رأي كان قد لمّح إليه في رسالةٍ سابقة.

كان كلّ شيءٍ جاهزاً. سرعان ما كانت ستصبح له، بالطريقة التي أرادها. كانت ستفسخ الخطوبة. ترتيب موعدٍ في الريف كان أمراً بسيطاً ـ في الواقع لقد كانت هي من اقترحه. لقد كان هذا هو أكثر إغواءاته براعةً.

بسيدايب: فقد وقعت في شرك كلماتها الخاصّة. / نصيحتي إذن، يا شبّان روما، هي أن تتعلّموا فنون المحامي النبيل ـ وذلك ليس فقط من أجل أن تُخوّلوا / الدفاع عن موكّلٍ مضطربٍ ما: فالمرأة ستستسلم للبلاغة، شأنها في ذلك شأن الجماهير، / أو عضو مجلس الشيوخ البارز، / أو القاضي الوقور. وبالرغم من ذلك، فعليك أن تخفي / قواك، وتتفادى الكلمات الإطنابيّة، / ولا تبدو رفيع الثقافة أكثر من اللزوم. من عساه أن يتكلّم مع عشيقته بطريقةٍ خطابيّة سوى المغفّل الساذج؟ الأسلوب المُغرِق في الثقافة والأدب / من شأنه أن ينفّر الفتيات أكثر ممّا يجذبهنّ. استخدم لغةً اعتياديّةً، / كلماتٍ مألوفة ولكن مُلاطفةً في نفس الوقت ـ كما لو أنّك

التفسير. جوهانز وكورديليا هما شخصيتان في رواية *يوميّات مغوي* (1843) التي تقوم مقام السيرة الذاتيّة (وإنّما بشكلٍ غير محكم وفضفاض)

لكاتبها الفيلسوف الدانماركي سورين كيركيجارد. جوهانز هو مُغوٍ محنّكٌ لأبعد درجات الحدود، ومتخصّصٌ بالعمل على عقل ضحيته. وهذا هو بالتحديد المجال الذي فشل فيه طلاّب يد كورديليا السابقون: فقد بدؤوا بفرض أنفسهم، وهذا خطأٌ شائع. نحن نعتقد أنّه من خلال المواظبة والإصرار، ومن خلال غمر أهدافنا بالاهتمام الرومانسي، فإنّنا نقنعهم بحبّنا وعاطفتنا. بدلاً من ذلك فإنّنا نقنعهم بنفاد صبرنا وقلّة إحساسنا بالأمان (بالثقة). الاهتمام الهجوميّ والجامح ليس مُطرِياً لأنّه ليس مُوَجّهاً للشخص المُراد فقط. وإنّما هو شهوةٌ مطلقة العنان في طور العمل؛ والهدف يستطيع تمييز حقيقتها. جوهانز أذكى بكثير من أن يبدأ بوضوحٍ أكثر من اللازم. عوضاً عن ذلك، فإنّه يرجع خطوةً إلى الوراء، فيأسر اهتمام كورديليا من خلال التصرّف ببرودٍ نوعاً ما، وخلق الانطباع بعناية بأنّه رجلٌ رسميّ ومتكتّمٌ بعض الشيء. عندئذٍ فقط فاجأها برسالته الأولى. من الواضح أنّه يوجد غنىً في شخصيته أكثر ممّا ظنّت، وما إن أخذت تعتقد بهذا، حتى انفلتت مخيّلتها من عقالها. الآن يستطيع أن يُسكِرَها برسائله، وذلك عن طريق خلق حضورٍ يلازمها كشبح. كلماته بالإضافة إلى الصور التي تصفها ودلالاتها الشعريّة، كانت تدور في ذهنها بشكلٍ دائم. وهذا هو الإغواء المطلق: أن تمتلك عقلها قبل أن تُخْضِع جسدها.

قصّة جوهانز تُظهِر كم أنّ الرسالة هي سلاحٌ فعّال في جعبة المغوي. لكن من المهمّ تعلّم كيفيّة دمج الرسائل في الإغواء. من الأفضل ألاّ تبدأ بكتابة الرسائل قبل مضيّ عدّة أسابيع على الأقل من الاتّصال (التعرّف) الأوّلي. دع ضحاياك تكوّن انطباعاً عنك: أنت تبدو مثيراً للاهتمام، ومع ذلك فأنت لا تُبدي اهتماماً بهم على نحوٍ خاصّ. عندما تحسّ بأنّهم يفكّرون فيك، يكون عندها الوقت لتصدمهم برسالتك الأولى. أيّ رغبةٍ تعبّر عنها تجاههم ستأتي كمفاجأة؛ سيُدَغدَغ زهوّهم وسيرغبون بالمزيد. الآن إجعل رسائلك متكرّرة، في الواقع أكثر تواتراً (تكراراً) من ظهورك الشخصي. هذا سوف يعطيهم الوقت والمجال ليضفوا عليك أبعاداً مثاليّة، الأمر الذي يكون أكثر صعوبةً إذا كنت أمام وجههم على الدوام. بعد أن يكونوا قد وقعوا تحت سحرك، تستطيع دائماً أن ترجع خطوةً إلى الخلف، فتجعل الرسائل أقلّ ـ دعهم يعتقدون بأنّك تفقد الاهتمام وعندها سوف يتعطّشون للمزيد.

/ كنت هناك، في حضرتها. إذا رفضت رسالتك، / وأرجعتها غير مقروءة، فثابر على ما بدأته.

ـ أوڤيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

وبالتالي فإنّ الشخص غير القادر على كتابة الرسائل والمدّونات لن يصبح أبداً مغوياً خطيراً.

ـ سورين كيركيجارد، *إمّا/أو*، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا إتش. هونغ

وقفت هيرا ذات العرش الذهبي على جرفٍ شديد الانحدار/ في جبل الأوليمب فرأت أخاها،/ الذي كان أخا زوجها أيضاً، منهمكاً في ميادين المجد الإنساني، / فرقص قلبها طرباً. بعد ذلك رأت زيوس / جالساً على أعلى قمة في جبال آيدا /

صمّم رسائلك كعربون إجلالٍ وتقدير لأهدافك. إجعل أيّ شيءٍ تكتبه يرتدّ إليهم، وكأنّهم كلّ ما تستطيع التفكير فيه - وهذا أثرٌ يسبّب الانفعال بشدّة. إذا رويت نادرةً (حكاية)، فاجعلها تتّصل بهم بطريقةٍ أو بأخرى. كتابتك للرسائل هي نوعٌ من المرآة التي تحملها أمامهم - سيرون أنفسهم منعكسين من خلال رغبتك. إذا كانوا لا يحبّونك لسببٍ من الأسباب، فاكتب لهم وكأنّهم يحبّونك. تذكّر: نغمة رسائلك هي ما سوف يثير اهتمامهم. إذا كانت لغتك رفيعة، شعريّة، وخلاّقةً في إطرائها، فستعديهم رغماً عنهم. لا تجادل أبداً، لا تدافع عن نفسك أبداً، لا تتّهمهم أبداً بكونهم متحجّري القلوب. فذلك سوف يُفسِد السحر.

الرسالة يمكن أن توحي بالعاطفة عندما تظهر في حالة عدم تنظيم، فتنتقل من موضوعٍ لآخر. من الواضح أنّه من الصعب عليك أن تفكّر؛ فحبّك قد شوّشك. الأفكار غير المنظّمة هي أفكارٌ مثيرة. لا تُضِع وقتك على المعلومات الحقيقيّة؛ ركّز على المشاعر والأحاسيس، مستخدماً التعابير المكتنزة بالتضامين. إغرس الأفكار من خلال إلقاء التلميحات، والكتابة بشكلٍ موحٍ دون أن تفسّر نفسك. إيّاك أن تُحاضِر، إيّاك أن تبدو مفكّراً أو أرفع مقاماً - فإنّك لن تؤدّي سوى إلى جعل نفسك متشامخاً ومغروراً، وهذا أمرٌ مهلك. من الأفضل بكثير أن تتحدّث بلغةٍ عاميّة (غير فصيحة)، لكن مع مسحةٍ شاعريّة لكي ترتقي باللغة فوق مستوى الإبتذال والشيء المألوف. لا تصبح عاطفياً - فهذا متعب، ومباشر أكثر من اللزوم. من الأفضل أن توحي بالأثر الذي يمارسه هدفك عليك من أن تتحدّث عن مشاعرك بشكلٍ متدفّق (متفجّر). إبقَ مبهماً وملتبساً، مفسحاً بذلك المجال للقارئ لكي يحلم ويتخيّل. هدف كتابتك هو ليس أن تعبّر عن نفسك وإنّما أن تخلق عاطفةً في القارئ، وأن تنثر الاضطراب (التشوّش) والرغبة.

ستعلم أنّ رسائلك تتمتّع بالأثر المناسب (المطلوب) عندما تبدأ أهدافك بمحاكاة أفكارك وإعادة الكلمات التي كتبتها، أكان ذلك كتابةً (في رسائلهم) أم شفاهاً. إنّه الوقت المناسب للانتقال إلى المرحلة الأكثر جسديّةً وشهوانيّةً. استخدم اللغة التي ترتعش بالتضمينات الجنسيّة، أو، خيرٌ من هذا حتّى، أوحِ بالجنسانيّة من خلال جعل رسائلك أقصر وأكثر تواتراً، بل وأكثر فوضويّةً (أقلّ تنظيماً) من ذي قبل. لا يوجد شيءٌ أكثر إثارةً وشهوانيّةً من

وهو يتميّز غيظاً. تأمّلت هيرا ذات عيون المها لبرهة في كيفيّة خداع / عقل زيوس حامل الدرع، / وأفضل خطّةٍ تراءت لها / كانت أن تنهض نفسها وتذهب إلى آيدا، / لتغويه، وتصبّ بعدها على أجفانه / وعقله الماكر نوماً هنيئاً ودافئاً... / عندما كان كلّ شيءٍ على ما يُرام، فإنّها خطت خارج غرفتها ونادت أفروديت / وكلّمتها على انفراد: / «يا طفلتي العزيزة، أنا أتساءل فيما إذا كنت ستؤدّين لي خدمةً، أو أنّك سترفضين غاضبةً لأنّني / أفضّل الإغريق بينما تفضّلين أنت الطروادّيين؟» فردّت ابنة زيوس (أفروديت): / «يا أيّتها الإلهة المبجّلة بوصفك ابنة كرونوس، / أفضي بدخيلتك. أخبريني ماذا تريدين / وسألبّي طلبك إذا

الرسالة القصيرة المبتورة. أفكارك غير مُنجَزة وناقصة؛ إذ لا يمكن إكمالها إلّا من الشخص الآخر.

من سجاناريللاّ إلى دونجوان: حسنٌ، ما يجب عليّ قوله هو أنّ ... لا أعلم ماذا أقول؛ فأنت تبدّل الحقائق من خلال كلماتك بطريقةٍ تجعلك تبدو أنّك محقٌّ؛ إلّا أنّك، وهذه حقيقة الموضوع، لست كذلك. لديّ أصفى الأفكار في العالم، وكلماتك قد شوّشتها بالكامل.

- موليير

المفاتيح للإغواء

نادراً ما نفكّر قبل أن نتكلّم. فالطبيعة البشريّة تدفعنا إلى قول أوّل ما يخطر في ذهننا ـ وعادةً ما يخطر أوّلاً يكون شيئاً يتعلّق فينا. نحن نستخدم الكلمات بشكلٍ أساسيّ لنعبّر عن أحاسيسنا، أفكارنا، وآرائنا. (كذلك لنتذمّر ونجادل.) هذا لأنّنا إجمالاً مُستغرَقون بأنفسنا ـ أكثر شخصٍ يثير اهتمامنا على الإطلاق هو نفسنا. إلى حدٍّ معيّن يكون هذا محتوماً ويتعذّر اجتنابه، وعبر معظم حياتنا لا يوجد ضيرٌ كبيرٌ فيه؛ نستطيع أن نؤدّي أعمالنا ووظائفنا بشكلٍ حسنٍ تماماً بهذه الطريقة. في الإغواء، من جهةٍ ثانية، هذا يحدُّ من إمكانيّاتنا.

لا تستطيع الإغواء دون القدرة على الخروج من كيانك وولوج كيان الشخص الآخر، واختراق (فهم) نفسيته. المبدأ الرئيس للّغة الإغوائيّة لا يكمن في الكلمات التي تتفوّه بها، أو في نبرة صوتك الإغوائيّة؛ وإنّما في التبديل الجذري للمنظور والعادات والطباع. عليك أن تكفّ عن قول أيّ شيءٍ يخطر ببالك ـ عليك أن تضبط الدافع الذي يدفعك لأن تثرثر ولأن تقذف بآرائك. المفتاح أو المبدأ الرئيسي هو أن ترى الكلمات كوسيلةٍ لا لإيصال الأفكار والمشاعر الحقيقيّة وإنّما لخلق الاضطراب، الغبطة والنشوة.

الفرق ما بين اللغة العاديّة واللغة الإغوائيّة هو مثل الفرق ما بين الضجيج والموسيقى. الضجيج موجودٌ دائم في الحياة العصريّة، وشيءٌ مزعج

كان ذلك بمقدوري.» / فأجابت هيرا، وكلّها نيّة للخداع: / «أعطني الآن الجنس والرغبة / اللتين تستخدمين لإخضاع الفانين والبشر...» / فردّت أفروديت كثيرة الابتسام: / «كيف لي، أو كيف يمكنني أن أرفض شخصاً ينام في دبر زيوس الكلّي القدرة؟» وقامت لدى قولها لهذا بنزع حزامٍ من صدرها منمّقٍ ومرصّعٍ بالحلي الساحرة. / الجنس موجودٌ فيه، وكذلك الرغبة، والكلام / العذب الإغوائيّ، اللذان يخدعان حتّى الرجل الحكيم... / كانت هيرا تحثّ الخطى نحو جارجاروس، / أعلى قمّة في آيدا، عندما رآها زيوس. / وعندما رآها فقد غلّفته الشهوة، / تماماً كما غلّفته في أوّل مرّةٍ مارسا فيها الحبّ، / وتسلّلا إلى

نتجاهله إذا كان ذلك باستطاعتنا. لغتنا العاديّة أشبه بالضجّة ـ فالناس قد يستمعون إلينا بأذنٍ واحدة بينما نكون منطلقين في الحديث عن أنفسنا، لكن في كلّ مرّة (نتحدّث فيها عن أنفسنا) تكون أفكارهم بعيدة كلّ البعد (عنّا وعن حديثنا.) بين الحين والآخر تنتصب آذانهم عندما يلامسهم شيءٌ ممّا نقول، لكن هذا يدوم فقط للّحظة التي نعود فيها إلى قصّةٍ أخرى إضافيّةٍ عن أنفسنا. منذ وقتٍ مبكّر كطفولتنا نحن نتعلّم أن نتجاهل هذا النوع من الضجيج (وخاصّةً عندما يأتي من والدينا).

الموسيقى، من الجهة الأخرى، تكون مُغوية، وتجذب بحقّ. القصد منها المتعة. اللحن أو الإيقاع يبقى في وجداننا لأيّام بعد سماعنا إيّاه، فيبدّل مزاجنا وعواطفنا، يسبّب لنا الاسترخاء أو الإثارة. لكي تعمل موسيقى عوضاً عن الضجّة، عليك أن تقول أشياء تسرّ ـ أشياءٌ ذات صلةٍ بحياة الناس، وتمسّ زهوّهم. إذا كان لديهم العديد من المشاكل، عندها تستطيع أن تُنتِج الأثر نفسه من خلال صرف انتباههم، وتركيز انتباههم بعيداً عن أنفسهم من خلال قول أشياء ظريفةٍ ومسلّية، أو أشياء تجعل المستقبل يبدو برّاقاً وواعداً. الوعود والإطراء هي موسيقى بالنسبة لأذنيّ أيٍّ كان. هذه لغةٌ مصمّمةٌ لتحرّك الناس وتخفّض دفاعاتهم. إنّها لغةٌ مصمّمةٌ لهم، ليست موجّهةٌ عليهم.

كان الكاتب الإيطالي جابرييل دانونزيو غير جذّابٍ من الناحية الشكليّة، ومع ذلك فلم يكن بإمكان النساء مقاومته. حتّى أولئك اللواتي علمن بصيته كدونجوان ولم يحببنه لهذا السبب (الممثّلة إليانورا ديوز والراقصة إيزادورا دونكان، على سبيل المثال) وقعن تحت سحره. السرّ كان تدفّق الكلمات التي كان يغلّف المرأة فيها. كان صوته موسيقيّاً ولغته شعريّة، لكنّ أكثر شيءٍ يثير الإعجاب على الإطلاق كان أنّه يعرف كيف يطري. كان إطراؤه يستهدف نقطة ضعف المرأة بالتحديد، أي المجالات التي تحتاج فيها للتعزيز والتأييد ولإضفاء الشرعيّة. إذا كانت هنالك امرأةٌ جميلة، ومع ذلك تفتقر للثقة في حصافتها وفطنتها؟ فقد كان يحرص على أن ينوّه بأنّه سُحِر (خُلِبَ لُبّه) ليس فقط بجمالها وإنّما بعقلها. قد يقارنها ببطلةٍ في أثرٍ أدبيّ، أو لشخصيّةٍ أسطوريّة مختارة بعناية. كان يتضاعف حجم الأنا لدى المرأة التي تتكلّم معه.

السرير من خلف ظهر أبويهما. / وقف بالقرب منها وقال: / «لماذا تركت الأوليمب يا هيرا؟ / وأين أحصنتك وعربتك؟» / فأجابت هيرا، وكلّها نيّةٌ للخداع: / «أنا منطلقةٌ لأزور أقاصي الأرض / وأبي أوقيانوس وأمي تيثس / اللذان أحبّاني وربّياني في منزلهما...» / فأجاب زيوس والضباب يندفع من حوله: / «كذلك يمكنك الذهاب إلى هنالك فيما بعد. / فلنذهب إلى الفراش الآن لكي نمارس الحبّ. / لم تشعرني أيّ إلهةٍ أو امرأةٍ أبداً بأنّني مجتاحٌ بالشهوة لهذه الدرجة... / لم أحبب أيّ شخص قطّ كما أحبّك الآن، / ولم أكن أبداً في قبضة رغبةٍ بهكذا عذوبة.»/ فردّت هيرا، وكلّها نيّة للخداع: / «هل تدرك ما تقول، يا

الإطراء هو لغةٌ إغوائيّة في أصفى أشكالها. غرضها أو القصد منها هو ليس أن تعبّر عن حقيقة أو شعورٍ حقيقيّ، وإنّما فقط أن تخلق أثراً على المتلقّي. على غرار دانونزيو، تعلّم أن توجّه إطراءك مباشرةً نحو مكامن اللاأمان عند الشخص. على سبيل المثال، إذا كان هنالك رجلٌ يعمل كممثّلٍ بارع ويشعر بالثقة حيال مهاراته الاحترافيّة، فسيكون إطراؤه حول تمثيله ذا أثرٍ ضئيل، وقد يؤدّي حتّى إلى نتيجةٍ معاكسة - فمن الممكن أن يشعر بأنّه فوق الحاجة لمداعبة الأنا الذي لديه، وسيظهر إغواؤك على أنّه يشي بالعكس. لكنّنا دعنا نقول أنّ هذا الممثّل هو موسيقيٌّ أو رسّامٌ هاوٍ. وهو يقوم بهذا العمل لوحده، دون دعمٍ احترافيّ أو دعاية، وهو مدركٌ تماماً أنّ آخرين يكسبون رزقهم من وراء هذا العمل. إطراء ادّعاءاته الفنّية سيستخفّه مباشرةً ويكسبك كمّاً مضاعفاً من النقاط. تعلّم أن تكتشف جوانب أنا الشخص التي تحتاج للمصادقة عليها والتأييد. إجعل ذلك مفاجأة، شيءٌ لم يكن أحدٌ آخر قد فكّر من قبل في امتداحه - شيءٌ تستطيع وصفه كموهبة أو خاصّية إيجابيّة لم يكن قد لاحظها الآخرون. تكلّم بقليلٍ من الرعشة، كما لو أنّ مفاتن هدفك قد غمرتك وأربكتك وهيّجتك عاطفيّاً.

الإطراء يمكن أن يكون نوعاً من المداعبة التمهيديّة اللفظيّة. قوى الإغواء عند أفروديت، التي قيل عنها أنّها تنبع من الحزام الرائع الذي ترتديه، اشتملت عذوبةً في اللغة - وهي مهارةٌ تمهّد الطريق للأفكار الجنسيّة بمساعدة الكلمات الرقيقة والمطرية. الشعور باللاأمان والشكوك الذاتيّة التي تدفع للشكوى باستمرار يكون لديها أثرٌ مخمّدٌ على الليبيدو أو الشهوة. إجعل أهدافك تشعر بالأمان وبأنّهم مُغرُون من خلال كلماتك المغرية وعندها ستذهب مقاومتهم أدراج الرياح.

أحياناً يكون أكثر شيءٍ تسمعه بعثاً على السرور هو الوعد بشيءٍ رائع، مستقبلٌ غامض ولكنّه ورديّ ينتظرك عند أوّل منعطف. كان فرانكلين ديلانو روزفلت، في خطاباته العامّة، قليلاً ما يتحدّث عن برامج محدّدة للتعامل مع الركود الإقتصادي؛ كان يستخدم بدلاً من ذلك بلاغةً وخطابةً تستنهض الهمم ليرسم صورةً عن مستقبل أمريكا المجيد. في الأساطير المتنوّعة عن دونجوان، كان المغوي العظيم يُرَكّز انتباه المرأة مباشرةً على المستقبل، على عالمٍ خياليّ كان يعدها بأن يخطفها إليه. صمّم كلماتك

مولاي المهيب. / فكرة أن نضطجع نحن هنا على آيدا / ونمارس الحبّ في العراء وفي وضح النهار! / ماذا لو رآنا أحد الفانين / ونحن نائمون، ومضى ليخبر جميع الآلهة الآخرين؟ عندها لن أستطيع أبداً أن أشمخ بنفسي / وأرجع إلى المنزل. سيكون ذلك مخزياً. / لكنّك إذا كنت حقّاً تريد فعل هذا، / فهنالك غرفة النوم التي بناها لك ابنك العزيز هيفاستوس، ذات الأبواب المنيعة. دعنا نذهب / إلى هنالك ونضطجع، بما أنّك في المزاج الملائم. »/ فردّ زيوس الذي يجمع الغيوم: / «لا تقلقي يا هيرا إزاء رؤية أيّ إلهٍ أو رجلٍ لنا. إذ سألفّك بغيمةٍ كثيفةٍ / ولامعةٍ للغاية لدرجة أنّ حتّى هيليوس (إله الشمس) لن يتمكّن من التجسّس علينا، / وهو الذي نوره

يشكّل أحدَّ إبصارٍ على الإطلاق.»

- هوميروس، *الإلياذة*، ترجمة ستانلي لومباردو

العذبة بما يتناسب تماماً مع أو على قياس مشاكل أهدافك وأحلامهم بالتحديد. عِدْ بشيءٍ قابلٍ للتحقيق، بشيءٍ ممكن، لكن لا تجعله محدّداً أكثر من اللازم؛ فأنت تدعوهم إلى الحلم. إذا كانوا غارقين في وحل الروتين المملّ، فتحدّث عن المغامرة، ويُفَضَّل أن تكون هذه المغامرة معك. لا تناقش كيف سيُحَقّق الحلم؛ تحدّث عنه وكأنّه موجودٌ أساساً وبشكلٍ سحريّ، في مكانٍ ما من المستقبل. إرفع أفكار الناس نحو الغيوم وسوف يسترخون، ستوضع دفاعاتهم جانباً، وسيصبح من الأسهل بكثير أن تناور وأن تضلّهم عن الطريق المستقيم. كلماتك تصبح نوعاً من الدواء المنشّط والمنعش.

أنتوني: يا أيّها الأصدقاء، يا أيّها الرومان، يا أهل الريف، أعيروني أسماعكم؛ / جئت لأدفن قيصر، لا لأمتجده. / الشر الذي يرتكبه الرجال يعيش بعد موتهم؛ / الخير غالباً ما يكون مدفوناً مع عظامهم. / لذا فدع خير قيصر يندفن معه... / أنا لا أتكلّم لأدحض كلام بروتوس، / ولكن أنا هنا لأقول ما أعرفه حقّ المعرفة. / أنتم جميعاً أحببتموه فيما مضى،/ وذلك ليس دون سبب. / ما السبب الذي يمنعكم إذن من التفجّع عليه؟ / أوه ياللواقعة، أن تختفي أنت ما بين الوحوش البهيميّة، / وأن تفقد الرجال صوابها! صبراً عليّ.

أشدّ أنماط اللغة تنفيراً ومناقضةً للإغواء هو الجدال. كم من الأعداء الصامتين نخلق عن طريق الجدال؟ هنالك طريقةٌ أرقى لحمل الناس على الإصغاء والاقتناع: الدعابة واللمسة الخفيفة. السياسي الإنكليزي من القرن التاسع عشر بنجامين دزرائيللي كان أستاذاً في هذه اللعبة. في البرلمان، يكون الفشل في الرد على اتّهام أو تعليقٍ افترائيّ خطأً قاتلاً: فالصمت يعني أنّ موجّه التهمة على حقّ. مع ذلك فإنّ الاستجابة بغضب، والانخراط في جدال، يساويان الظهور بشكلٍ قبيح ودفاعيّ. كان دزرائيللي يستخدم تكتيكاً مختلفاً: كان يظلّ هادئاً. وعندما يحين الوقت للردّ على الهجوم، كان يشقّ طريقه ببطء نحو منصّة المتحدّث، يتوقّف للحظة، ومن ثمّ يتفوّه بردٍّ حاسمٍ هزليٍّ أو تهكّميّ. كان الجميع يضحكون. أمّا وأنّه هيّأ الناس، فكان يتابع حديثه بدحض عدوّه وتفنيده، وهو لا يزال يضيف التعليقات المضحكة؛ أو لعلّه كان ينتقل لموضوعٍ آخر، وكأنّه كان فوق الشبهات أو فوق مستوى الحديث. كانت دعابته تجعل أيَّ هجومٍ عليه كليلاً. الضحك والتصفيق لديهما تأثيرٌ شبيهٌ بالدومينو: ما إن يضحك مستمعوك أوّل مرّة حتّى يصبحوا أكثر استعداداً للضحك من جديد. في هذا الجو خفيف الظّل يصبحون أكثر ميلاً للاستماع. لمسةٌ حاذقةٌ وقليلٌ من السخرية يعطيانك المجال لتقنعهم وتأخذهم لصفّك وتهزأ من أعدائك. ذلك هو الشكل المغوي من الجدال.

بعد اغتيال يوليوس قيصر بفترة قصيرة، خاطب رئيس عصابة المتآمرين على قتله، بروتوس، حشداً غاضباً من الناس. حاول أن يحاجج الجماهير بالمنطق، شارحاً لهم أنّه كان يريد أن ينقذ الجمهوريّة الرومانيّة من

الديكتاتوريّة والطغيان. اقتنع الناس للحظة - نعم فقد كان بروتوس يبدو رجلاً شريفاً. ومن ثمّ أخذ مارك أنتوني المنصّة، وألقى بدوره تأبيناً لقيصر. بدا مغموراً بالعاطفة. تحدّث عن حبّه لقيصر وعن حبّ قيصر للشعب الروماني. ذكر وصيّة قيصر؛ فطالب الحشد بصخبٍ بأن يسمعها، لكن أنتوني قال لا، لأنّه إذا قرأها فسيعرفون كم كان قيصر يحبّهم بعمق، وكم كانت الجريمة تتّسم بالجبن والغدر والخسّة. أصرّ الحشد مرّةً أخرى على أن يقرأ الوصيّة؛ بدلاً من ذلك فقد رفع عباءة قيصر الملطّخة بالدماء، ليلفت الانتباه إلى حيث ثُقِبَت وتمزّقت. هنا كان حيث طعن بروتوس القائد العظيم، قال أنتوني؛ وكاسيوس كان قد طعنه هنا. ومن ثمّ قرأ الوصيّة أخيراً، التي أخبرت بمقدار الثروة التي كان قيصر قد تركها للشعب الروماني. كانت هذه طلقة الرحمة - انقلب الحشد ضد المتآمرين وأعدمهم دون محاكمةٍ قانونيّة.

كان أنتوني رجلاً ذكيّاً يعلم كيف يثير الحشود. تبعاً للمؤرّخ الإغريقي بلوتارك، «عندما رأى أنّ خطابته كانت قد ألقت بتعويذةٍ على الناس وأنّ كلماته قد حرّكتهم بعمق، بدأ يدخل في تمجيده [لقيصر] لمسةً من الشفقة والنقمة على مصير قيصر.» اللغة الإغوائيّة تستهدف عواطف الناس، باعتبار أنّه من الأسهل خداع الناس العاطفيّين أو المتهيّجين عاطفيّاً. استخدم أنتوني أدواتٍ متنوّعة لإثارة الحشد: رعشةٌ في الصوت، نبرة ذهول ومن ثمّ غضب. الصوت المفعم بالعاطفة لديه أثرٌ مباشرٌ ومعدٍ على المستمع. إضافةً إلى ذلك فقد أغاظ أنتوني الحشد بالوصيّة، إذ أحجم عن قراءتها للنهاية، عالماً أنّ ذلك من شأنه أن يُفقِدَ الناس صوابهم. ومن خلال رفعه للعباءة جعل الصورة مثيرةً للغرائز.

لعلّك لا تريد أن تدفع بالحشد إلى حافّة الجنون والاهتياج؛ وإنّما كلّ ما تريده هو أن تحملهم إلى صفّك. اختر استراتيجيّتك وكلماتك بعناية. قد تعتقد أنّه من الأفضل أن تقنع الناس بالحجّة والمنطق وأن تشرح أفكارك. لكن من الصعب على المستمعين أن يقرّروا إذا ما كان البرهان منطقيّاً أو لا بينما يستمعون إليك وأنت تتحدّث. يجب عليهم أن يركّزوا وأن يصغوا بإنصات، الأمر الذي يتطلّب جهداً عظيماً. منبّهاتٌ أخرى يمكنها أن تشتّت انتباه الناس بسهولة، وإذا غفلوا أو قصّروا عن فهم شيءٍ من حديثك أو حجّتك، فسوف يشعرون بالارتباك وبأنّهم أدنى من الناحية الفكريّة،

/ إنّ قلبي هنالك في الكفن مع قيصر، / ولا بدّ لي من التوقّف حتّى يرجع إليّ... / بليبيان: يا للمسكين! إنّ عينيه حمراوان كاللهب من شدّة البكاء. / بليبيان: لا يوجد في روما رجلٌ أنبل من أنتوني. / بليبيان: انتبهوا إليه الآن. فسيستأنف الكلام مجدّداً. / أنتوني: لكن من الجائز أنّ إرادة قيصر تحدّت العالم في الأمس. أمّا الآن فهو يستلقي هنالك، دون أن يتواضع أيّ واحدٍ ويوفّيه التبجيل. / أوه يا أيّها السادة! لو كنت ميّالاً لأن أثير قلوبكم وعقولكم نحو التمرّد والغضب، / لكان يجدر بي أن أتّهم بروتوس، وكاسيوس، / وهما، كما تعلمون جميعاً، رجلان شريفان. / لن أتّهمهما ... / لكن هذه مخطوطة عليها ختم قيصر. /

وسينتابهم شعورٌ مبهمٌ بانعدام الأمان والثقة بالنفس. مخاطبة قلوب الناس هي أمرٌ أجدى (أكثر إقناعاً لهم) من مخاطبة عقولهم. الجميع يتشاطرون المشاعر، ولن يشعر أحدٌ بالدونيّة تجاه متحدّثٍ يحرّك مشاعرهم. ترتبط الحشود ببعضها البعض، حيث يختبر كلّ واحدٍ نفس الأحاسيس وبشكلٍ مثيرٍ للعدوى. تحدّث أنتوني عن قيصر كما لو كان هو والمستمعون يعيشون أو يحسّون بالجريمة من وجهة نظر قيصر. ما الذي يمكن أن يكون أكثر تحريضاً من هذا؟ استخدم هكذا تغييراتٍ في المنظور لتجعل مستمعيك يشعرون بما تقول. نسّق ما بين غاياتك بحيث تُحَقِّق أقصى ما يمكن من التأثير. أن تنتقل من عاطفةٍ لأخرى هو أكثر فاعليّةً من أن تضرب على مجرّد وترٍ واحد. التباين ما بين حبّ أنتوني لقيصر وبين سخطه ونقمته على القتلة كان أكثر قوّةً بكثير ممّا لو ثبت على هذا الشعور أو ذاك.

المشاعر التي تحاول إيقاظها وإثارتها يجب أن تكون مشاعر قويّة. لا تتحدّث عن الصداقة والخلاف؛ تحدّث عن الحبّ والكره. ومن الضروري جدّاً أن تشعر ببعض المشاعر التي تحاول إثارتها. بهذه الطريقة تصبح أكثر جديراً بالتصديق. هذا لا يجب أن يكون صعباً: تخيّل الأسباب الموجبة للحبّ أو الكره قبل أن تتكلّم. إذا كان ذلك ضروريّاً، ففكّر بشيءٍ ما من ماضيك يملؤك بالغضب. العواطف تنتقل بالعدوى؛ من الأسهل أن تجعل غيرك يبكي إذا كنت أنت نفسك تبكي. إجعل صوتك آلةً موسيقيّة، ودرّبها على أن تنقل العاطفة أو الانفعال. تعلّم أن تبدو مخلصاً وصادقاً. درس نابوليون ممثّلي عصره العظام، وعندما كان يخلو لنفسه فإنه كان يتمرّن على أن يُوَشّح صوته بالعاطفة.

غالباً ما يكون هدف الخطاب الإغوائي هو خلق حالة من التنويم المغناطيسي: فأنت تصرف انتباه الناس، تُخَفّض دفاعاتهم، وتجعلهم أكثرَ قابليّةً للإيحاء. تعلّم دروسَ التكرار والتنويم الخاصّة بالمنوّم المغناطيسي، والتي هي عناصر لا غنى عنها لتنويم الشخص. يتضمّن التكرار استخدام نفس الكلمات مرّة تلو الأخرى، وتُفَضّل الكلمات ذات المحتوى العاطفي: «ضرائب،» «تحرّريّون،» «متعصّبون.» يكون التكرار ذا أثرٍ منوّمٍ مغناطيسيّاً - الأفكار يمكن أن تُغرَس في لاوعي الناس بكل بساطة من خلال إعادتها بالكمّ الكافي. التوكيد هو ببساطة صنعٌ لتعابير إيجابيّة قويّة، مثل أوامر المنوّم المغناطيسي. يجب أن تتحلّى اللغة الإغوائيّة بنوعٍ من الجرأة التي ستغطّي

وجدتها في خزانته؛ إنّها وصيّته. / دعونا، ما عدا العامّة، نستمع إل هذه الوصيّة، / التي (عذراً منكم) لا أعتزم قراءتها،/ وليذهبوا ليقبّلوا جراح قيصر المتوفّي / ويغمسوا مناديلهم بدمه الطاهر... / بليبيان: سنستمع إلى الوصيّة! إقرأها يا مارك أنتوني. / الجميع: الوصيّة، الوصيّة، الوصيّة! سنستمع إلى وصيّة قيصر! / أنتوني: تحلّوا بالصبر أيها الأصدقاء النبلاء؛ لا ينبغي لي قراءتها. / ليس من المناسب أن تعلموا كم كان قيصر يحبّكم. / أنتم لستم من الخشب، لستم من الحجارة، وإنّما بشر؛ / وكونكم بشر فستأجج مشاعركم لدى سماعكم الوصيّة، وستصيبكم بالعته. / من الجيد أنّكم لا تعلمون أنّكم ورثته؛ / لأنكم إذا عرفتم، فماذا كان سيأتي

عدداً وافراً من الأخطاء. سيستغرق مستمعوك بلغتك الجريئة لدرجة أنّهم لن يكون عندهم الوقت ليفكّروا ملياً فيما إذا كانت حقيقيّةً أم لا. لا تقل أبداً «لا أظنّ أنّ الطرف الآخر قد اتّخذ قراراً حكيماً»؛ قل «نحن نستحقّ ما هو أفضل،» أو «لقد ارتكبوا حالةً من الفوضى واللخبطة.»اللغة التوكيديّة هي لغة فعّالة، مليئة بالأفعال، بصيغ الأمر، وبالجمل القصيرة. تخلّص من «أنا أعتقد،» «لعلّ،» «برأيي.» توجّه رأساً إلى قلب الموضوع.

أنت تتعلّم نوعاً جديداً من اللغة. معظم الناس يوظّفون لغةً رمزيّة ـ كلماتهم تعني أو تمثّل شيئاً حقيقيّاً، المشاعر، الأفكار، والمعتقدات التي يعيشونها ويعتنقونها بحقّ. أو تمثّل أشياء ملموسة في العالم الحقيقي. (أصل الكلمة «رمزي» ـ في الإنكليزيّة «سيمبوليك» ـ يكمن في كلمةٍ إغريقيّة تعني «أن تجمع الأشياء مع بعضها البعض» ـ في هذه الحالة، كلمة مع شيء حقيقي.) كمغوٍ فأنت تستخدم النقيض: اللغة *الشرّيرة*. كلماتك لا تمثّل أيّ شيءٍ حقيقيّ؛ وقْعَها، والأحاسيس التي تثير، هي أكثر أهمّيةً ممّا يُفترَض بها أن تمثّل. (الكلمة «شيطانيّة» ـ في الإنكليزيّة «ديابوليك» ـ تعني في النهاية «أن تفصل، أن ترمي بالأشياء بعيداً عن بعضها البعض» ـ هنا، الكلمات والحقيقة.) كلّما جعلت الناس يركّزون أكثر على لغتك الجميلة الوقع، وعلى الأوهام والأحلام التي تستحضرها، أضعفت صلتهم مع الحقيقة. أنت تقودهم نحو الغيوم، حيث يكون من الصعب تمييز الصدق من اللاصدق، والحقيقي من اللاحقيقي. أبقِ كلماتك غامضة وملتبسة، كي لا يكون الناس أبداً متأكّدين تماماً ممّا تعني. غلّفهم بلغةٍ شيطانيّة وشرّيرة وعندها لن يكونوا قادرين على التركيز على مناوراتك، أو على العواقب المحتملة لإغوائك. وكلّما أسلموا أنفسهم للوهم، كلّما كان من الأسهل تضليلهم وإغواؤهم.

الرمز: الغيوم. في الغيوم يكون من الصعب رؤية الأشكال الدقيقة للأشياء. كلّ شيءٍ يبدو مبهماً؛ تنفلت المخيّلة من عقالها، وتصبح ترى أشياء غير موجودة. ينبغي لكلماتك أن ترفع الناس إلى الغيوم، حيث يكون من السهل عليهم أن يُضيّعوا طريقهم.

من ذلك؟ ... / إذا كان لديكم دموع، فاستعدّوا لذرفها الآن. / أنتم جميعاً تعرفون هذه العباءة. أذكر / أوّل مرّةٍ ارتداها فيها قيصر في عمره... / انظروا، هنا جرى خنجر كاسيوس. / إنظروا إلى الشق الذي أحدثه كاسكا الحسود. / خلال هذا الشق قام بروتوس الأثير بطعنته؛ / وعندما نزع خنجره اللعين بعيداً، / لاحظوا كيف أنّ دم قيصر تبعه... / فبروتوس، كما تعلمون، كان ملاك قيصر. / إحكمي أيتها الآلهة، كم كان قيصر يحبّه بمعزّة! / هذه كانت أبشع الطعنات على الإطلاق؛ لأنّ قيصر النبيل عندما رآه يطعن، / فإنّ جحود الجميل، الذي هو أقوى من أذرع الخونة، / هزمه تماماً... / آه، الآن تذرفون الدموع،

وأفهم أنّكم تشعرون / بهول الفاجعة. هذه دموعٌ سَمِحة. / أيتها الأنفس الكريمة، ما الذي يبكيكم سوى رؤية ثوبه وقد طُعِن؟ إنظروا إلى هنا! / هو نفسه يرقد هنا بينما تنظرون أنتم إلى الخونة.

- ويليام شيكسبير *يوليوس قيصر*

الإنقلاب

لا تخلط ما بين اللغة المزخرفة وبين الإغواء: عند استخدامك للّغة المزخرفة فأنت تخاطر بأن تثير أعصاب الناس، وبأن تبدو مدّعياً. فائضٌ من الحشو في الكلام هو دليلٌ على الأنانيّة، على عدم قدرتك على كبح ميولك الطبيعيّة. عندما يتعلّق الأمر بالكلام فغالباً ما يكون القليل كثيراً (زائداً عن الحدّ)؛ العبارات المحيّرة والملتبسة تترك للمستمع مجالاً أكبر للتخيّل من جملةٍ ملأى بالكلام المنمّق الطنّان وبالانغماس في الذات.

عليك دائماً أن تفكّر أوّلاً بأهدافك، وبما يسرُّ آذانهم. سيكون هنالك العديد من الأوقات حيث يكون الصمت هو الخيارُ الأفضل. ما لا تقوله يمكنه أن يكون موحياً وفصيحاً، الأمر الذي يجعلك تبدو غامضاً. في *كتاب الوسادة لساي شوناجون*، الذي يؤرّخ يوميّات البلاط الياباني في القرن الحادي عشر، يفتتن المستشار يوشيشيكا بسيّدةٍ صامتة وجميلة يراها في عربة. يرسل لها رسالة، فترسل بواحدةٍ بالمقابل؛ كان الوحيد الذي قرأها، لكن من خلال ردّة فعله علم الجميع بشكلٍ أكيد أنّ الرسالة كانت ذات ذوقٍ رديء أو مكتوبة بشكلٍ سيّء. لقد أفسدت التأثير الذي ولّده جمالها. كتبت شوناجون، «لقد سمعت أناساً يقترحون أنّ عدم الرّد على الإطلاق هو أفضل بكثير من ردٍّ سيّء.» إذا لم تكن فصيحاً أو بليغاً، إذا لم يكن بإمكانك أن تتقن اللغة الإغوائيّة، فتعلّم على الأقلّ أن تضبط لسانك - استخدم الصمت لتعزّز حضوراً مُلَغّزاً.

أخيراً للإغواء خطوٌ وإيقاع. في المرحلة الأولى، تكون حذراً وغير مباشر. غالباً ما يكون من الأفضل أن تخفي نواياك ومقاصدك، وأن تزيل شعور هدفك بالحرج من خلال تعمّدك استخدام الكلمات الحياديّة. محادثاتك يجب أن تكون عديمة الأذى، بل وحتّى بايخةً بعض الشيء. في المرحلة الثانية، أنت تتوجّه أكثر نحو الهجوم؛ هذا هو وقت اللغة الإغوائيّة. الآن عندما تلفّهم بكلماتك ورسائلك الإغوائيّة، فإنّ وقع ذلك يكون كمفاجأة سارّة. ذلك يمنحهم الشعور السار للغاية بأنّهم من ألهموك فجأةً بهذا الشعر وبهذه الكلمات المُسكِرة.

11

اهتم بالتفاصيل

الكلمات النبيلة
والإيماءات الجليلة التي يقصد
بها التأثير يمكن أن تكون مدعاةً
للشك: لماذا تحاول بكل هذا الجهد أن
ترضي؟ تفاصيل الإغواء ـ الإيماءات والإشارات
التي تفعلها بشكلٍ مرتجل ـ غالباً ما تكون أكثر
سحراً وإفصاحاً. عليك أن تتعلّم أن تُلهي وتصرُف
انتباه ضحاياك بكَمٍّ هائلٍ من الطقوسيات السارة
والصغيرة ـ هدايا منتقاة بعناية ومُفصّلة على قياسهم
وحدهم، ملابس وحِلى مصمّمة لإرضائهم، البوادر التي
تُظْهِر الوقت والاهتمام اللذين تخصّصه لهم. كلّ
حواسّهم تكون مشغولةً بالتفاصيل التي تخرجها
كقائد أوركسترا. إخلق المشاهد لتبهر أعينهم؛ فهم
لن يلاحظوا ـ كونهم مسحورين كمن في حالةِ
تنويم مغناطيسي ـ ما أنت حقيقةً بصدده.
تعلّم أن توحي بالمشاعر والأمزجة
المناسبة من خلال
التفاصيل.

الأثر المنوّم مغناطيسيّاً

في شهر كانون الأوّل من عام 1898، تلقّت زوجات سفراء الدول الغربيّة الرئيسيّة دعوةً غريبة: كانت الإمبراطورة دووايجر تسو هسي تقيم مأدبةً على شرفهم في المدينة المحرّمة في بكين. السفراء أنفسهم كانوا مستائين حيال الإمبراطورة دووايجر، لعدّة أسباب. كانت من المانشو، وهو عرقٌ من أهل الشمال الذين احتلّوا الصين في بدايات القرن السابع عشر، مؤسّسين بذلك سلالة شينغ التي حكمت البلد لما يقارب الثلاثمئة سنة. بحلول العقد الأخير من القرن التاسع عشر أخذت القوى الغربيّة تقتطع أجزاءً من الصين التي اعتبروها متخلّفةً. أرادوا من الصين أن تلتحق بركب الحداثة، لكنّ المانشو كانوا محافظين، وقاوموا كلّ أشكال الإصلاح. في وقتٍ سابق في عام 1898 كان الإمبراطور الصيني كوانغ هسو، والذي كان ابن أخ الإمبراطورة دووايجر ويبلغ من العمر السابعة والعشرين، قد بدأ سلسلةً من الإصلاحات، وبمباركة الغرب. بعدئذٍ، أي بعد مئة يوم من بدء فترة الإصلاحات هذه، تسرّبت الأنباء من المدينة المحرّمة إلى الديبلوماسيين الغربيّين بأنّ الإمبراطور كان مريضاً جدّاً، وبأنّ الإمبراطورة دووايجر قد استولت على السلطة. لقد ارتابوا بحدوث لعبةٍ قذرة؛ على الأرجح فإنّ الإمبراطورة قد تدخّلت لإيقاف الإصلاحات. كان الإمبراطور قد أُسيئَت معاملته، وعلى الأرجح قد سُمّم ـ لعلّه كان ميّتاً أساساً. عندما كانت زوجات السفراء السبع يتحضّرن للذهاب إلى الزيارة غير العاديّة، فقد حذّرهنّ أزواجهنّ: لا تثقن بالإمبراطورة دووايجر. لقد كانت امرأةً ماكرة ذات مسحةٍ وحشيّة؛ قد نهضت من كونها مغمورة لتصبح محظيّة الإمبراطور السابق وكانت قد تدبّرت عبر السنين أن تُراكِم سلطةً عظيمة.

كان المركب الذي جلست فيه مثل عرشٍ مصقولٍ / يتوهّج على الماء: مؤخّرته مرصّعة بالذهب؛ / وأشرعته أرجوانيّة ومعطرة إلى درجة أن / الرياح أعياها حبها. وكانت المجاذيف فضية / تواصل تجذيفها على أنغام آلات الفلوت، وتجعل / الماء الذي تضربه يجري بشكلٍ أسرع / وكأنّه وقع في حبّ تجذيفها. فيما يتعلّق بشخصها، / فلقد تجاوز كلّ الوصف: فهي تستلقي / في خيمتها بثياب

لقد كانت أكثر شخصٍ مرهوب الجانب على الإطلاق في الصين كلّها، حتّى أكثر من الإمبراطور بكثير.

في اليوم المقرّر - حُمِلَت النسوة إلى المدينة المحرّمة في موكبٍ من المِحفّات المحمولة من قبل خصيان البلاط الذين كانوا يرتدون زيّاً موحّداً مبهراً. النساء أنفسهن، كيلا يُتَفَوّق عليهنّ، ارتدين آخر صيحات الموضة الغربيّة - مشدّات ضيّقة، أثواب طويلة من المخمل ذات أكمام مثلّثيّة الشكل، أثواب نسائيّة منفوخة، قبّعات طويلة من الريش. نظر سكّان المدينة المحرّمة إلى ثيابهنّ بانشداه، وخاصّةً للطريقة التي كانت ثيابهنّ تُظهِر صدورهنّ البارزة. شعرت الزوجات وعلى نحوٍ مؤكّد بأنّهن كنّ قد أثرن إعجاب مضيفيهنّ. تمّت تحيّتهن في قاعة النظارة من قبل الأمراء والأميرات، وكذلك من قبل أفراد الطبقة النبيلة الأقل أبّهةً وشأناً. كانت النساء الصينيّات ترتدي أزياء مانشويّة رائعة بغطاء الرأس التقليدي الأسود والمرصّع بالجواهر؛ رُتّبت النساء (الصينيّات) بشكلٍ هرميّ تجلّى أو انعكس في لون أزيائهنّ، ما شكّل قوس قزحٍ غايةً في الروعة.

قُدّم الشاي للزوجات في أجمل وأدقّ الفناجين المصنوعة من أجود أنواع الخزف الصيني، بعدئذٍ تمّت مرافقتهنّ إلى حضرة الإمبراطورة دووايجر. خطف المنظر أنفاسهنّ. فقد كانت الإمبراطورة تجلس على عرش التنين المُرَصّع بالجواهر. ارتدت أثواباً مُطَرّزة بشكلٍ كثيف، وغطاء رأسٍ رائع تعلوه الألماسات، اللآلئ، واليَشب (حجر كريم)، وقلادةً هائلة من اللآلئ المتماثلة تماماً. لقد كانت امرأةً صغيرة الحجم، لكن على العرش، وفي ذلك الثوب، فقد بدت عملاقة. ابتسمت للسيّدات بكثيرٍ من الدفء والإخلاص. كان يجلس على عرشٍ أصغر وأدنى من عرشها ابن أخيها الإمبراطور، الأمر الذي طمأنهنّ وأراحهنّ. بدا شاحباً، لكنّه حيّاهنّ بحماس وبدا أنّ معنويّاته كانت عالية. لعلّه كان بالفعل مريضاً ببساطة.

صافحت الإمبراطورة يد كلّ واحدةٍ من السيّدات. أثناء قيامها بهذا، كان مرافقٌ مخصيٌّ يسلّمها خاتماً كبيراً من الذهب عليه لؤلؤة كبيرة، أزلقته في يدِ كلّ واحدةٍ من النساء. بعد هذه المقدّمة، تمّت مرافقة الزوجات إلى غرفةٍ أخرى، حيث تناولن الشاي مجدّداً، وبعدها اقتدن إلى الردهة المخصّصة للمأدبة، حيث كانت الإمبراطورة عندئذٍ تجلس على كرسيٍّ من الساتان

نسيجها من الذهب، / تفوق صورة ڤينوس التي نراها جمالاً / حيث يتفوّق الخيال على الطبيعة. وعلى كلٍ من جانبيها / يقف أولاد وسيمون مثل آلهة الحب المبتسمين، / يحملون مراوح متعدّدة الألوان، والتي يبدو أنّ هواءها / يزيد من احمرار خدّيها بدلاً من أن يبترّدهما، / فبدوا وكأنّهم يقومون بعكس ما يُفترَض بهم فعله... / وجواريها مثل حوريّات البحر، / كلهن شبيهات بالحوريات، يخدمنها بأشفار عيونهنّ، / وتخلق حركاتهن الرشيقة زينة حولها. وعند الدفة / تقف امرأة أشبه بالحورية، والأشرعة الحريرية / تنتفخ زهوّاً بلمسات تلك الأيدي الناعمة كالزهور / والتي تؤدي عملها برشاقة. ومن السفينة / ينبعث عطر خفي يسيطر

الأصفر ـ الأصفر كان اللون الإمبراطوري. تحدّثت معهن لبرهة؛ كان لديها صوتٌ جميل. (قيل أنّ صوتها كان قادراً بالمعنى الحرفي على أن يسحر الطيور على أشجارها.) في نهاية المحادثة، أخذت يد كلّ امرأةٍ من جديد، وبكثيرٍ من العاطفة، قالت لهم، «أسرة واحدة ـ الجميع أسرة واحدة.» شاهدت النساء بعد ذلك مسرحيّةً في المسرح الإمبراطوري. في النهاية استقبلتهنّ الإمبراطورة لآخر مرّة. اعتذرت عن العرض الذي كنّ قد فرغن من مشاهدته للتو، والذي كان بالتأكيد أدنى ممّا كنّ قد اعتدن عليه في الغرب. كان هنالك جولةٌ أخرى من الشاي، وفي هذه المرّة، كما أفادت أو رَوَت زوجة السفير الأمريكي، فإنّ الإمبراطورة «خطت إلى الأمام وأمالت كلّ فنجانٍ نحو شفتيها وأخذت رشفة، ومن ثمّ رفعت الفنجان من الناحية الأخرى، نحو شفاهنا، وقالت مرّةً أخرى، 'أسرة واحدة ـ الجميع أسرة واحدة'» أُعطِيَت النساء المزيد من الهدايا، ومن ثمّ تمّت مرافقتهنّ عودةً إلى مِحَفّاتهنّ حيثُ حُمِلن إلى خارج المدينة المحرّمة.

على أحاسيس الناس / في الأرصفة المجاورة. دفعت المدينة بسكانها خارجاً لتأملها. وأنطوني / المتوج في ساحة السوق جلس وحيداً / وهو يصفّر في الهواء الذي لولا الفراغ الذي سيحدثه / لذهب وحدّق بكليوباترا أيضاً / وترك فراغاً في الطبيعة.

ـ ويليام شيكسبير
أنطوني وكليوباترا

نقلت النسوة إلى أزواجهنّ أصدق الإيمان بأنّهم جميعاً كانوا على خطأ فيما يتعلّق بالإمبراطورة. رَوَت زوجة السفير الأمريكي، «كانت وضّاءةً وسعيدةً وشعّ وجهها بالنيّة الطيّبة. لم يكن من الممكن مشاهدة أدنى أثر من القسوة.... تصرّفاتها كانت مليئةً بالحرّية والدفء.... [غادرنا] ونحن مفعمات بالإعجاب لجلالتها وبالآمال للصين.» أفاد الأزواج بدورهم إلى حكوماتهم: الإمبراطور كان بخير، ويمكن الثقة بالإمبراطورة.

في الأيام المزدهرة للأحياء الزاهية لمدينة إيدو كان هناك خبيرٌ في الموضة اسمه ساكاكورا والذي كان على علاقةٍ حميمة بالمحظيّة العظيمة تشيتوزي. هذه المرأة كانت منقادةً لشرب الخمرة والذي كانت تستطيبه مع مقبّلٍ يُعرَف بسرطانات

التفسير. لم يكن لدى الفريق الديبلوماسي الأجنبي فكرةٌ عمّا كان يحصل حقيقةً داخل المدينة المحرّمة. في الواقع، كان الإمبراطور قد تآمر ليعتقل وربّما يغتال عمّته. بعد أن اكتشفت المكيدة، التي تُعتَبَر جريمةً شنيعةً في منظومة القيم الكونفوشيوسيّة، فقد أجبرته على أن يوقّع على تخلّيه عن عرشه، وأمرت باحتجازه، وأخبرت العالم الخارجي بأنّه كان مريضاً. كجزءٍ من عقابه، كان عليه أن يظهر في المناسبات الرسميّة ويتصرّف وكأنّ شيئاً لم يحدث.

كرهت الإمبراطورة دووايجر الغربيّين كرهاً شديداً، وكانت تعتبرهم برابرة. لم تحبّ زوجات السفراء، ذوات الموضة القبيحة والأساليب التي

تتكلّف الحياء. كانت المأدبة استعراضاً، إغواءً، لكي تسترضي القوى الغربيّة التي كانت تهدّد بالاجتياح فيما لو كان الإمبراطور قد اغتيل. هدف الإغواء كان بسيطاً: إبهار الزوجات بالألوان، بالمشاهد وبالمسرح. طبّقت الإمبراطورة كل خبرتها واطّلاعها لتخدم المهمّة، وكانت عبقريّةً في التفاصيل. كانت قد رتّبت المشاهد بشكلٍ متصاعد ـ الخصيان في الزّي الموحّد أوّلاً، ومن ثمّ السيّدات المانشوويّات المرتديات لغطاء الرأس، وأخيراً الإمبراطورة نفسها. لقد كان (الاستعراض) مسرحاً خالصاً، وكان غامراً (ساحقاً). بعد ذلك خفّفت الإمبراطورة قليلاً من درجة وأبّهة المشهد، إذ أضفت عليه بعداً إنسانيّاً من خلال الهدايا، التحيّات الحارّة، الحضور المطمئن للإمبراطورة، تقديم الشاي، والتسالي، التي لم تكن بأيّ شكلٍ من الأشكال أدنى من أيّ شيءٍ في الغرب. أنهت المأدبة بعد أن رفعتها (أي رفعت الجوّ الذي سادها) إلى ذروةٍ أخرى ـ القليل من الدراما عندما تشاركن فناجين الشاي، متبوعةً بهدايا أكثر روعةً حتّى من تلك التي سبقتها. كانت رؤوس النسوة تدور عندما غادرن. في الواقع لم يكنّ قد رأين أبداً فخامةً فريدةً كهذه ـ ولم يفهمن أبداً مدى العناية التي نسّقت من خلالها الإمبراطورة تفاصيلها لتحقيق أقصى ما يمكن من التأثير. كونهن سُحِرن بالمشهد، فقد نقلن مشاعرهن السعيدة إلى الإمبراطورة وأعطينها موافقتهنّ ـ وكان هذا كلّ ما تريده.

الزهر التي توجد في نهر موجامي في الشرق، والتي كانت تتلذّذ بها بعد أن تحفظها في الملح. بما أنّ ساكاكورا كان يعرف هذا، فقد فوّض رسّاماً من مدرسة كانو ليغلّف قمّة الخيزران بغبار الذهب ويضعه على القواقع الصغيرة لهذه السرطانات؛ وحدّد سعر كل قوقعةٍ بقطعةٍ مربّعةٍ واحدةٍ من الذهب، وقدّمها لتشيتوزي طوال السنة، بحيث لم تنقصنها أبداً.

ـ إيهارا سايكاكو، *حياة امرأةٍ عاشقة، وكتابات أخرى،* ترجمة إيفان موريس

المفتاح لإلهاء الناس أو صرف انتباههم (الإغواء هو إلهاء) يكون من خلال ملء أعينهم وآذانهم بالتفاصيل والطقوسيّات الصغيرة والأشياء الغنيّة بالألوان. التفصيل هو ما يجعل الأشياء تبدو حقيقيّةً وجوهريّة. هديّة منتقاة بعد تفكير لا تبدو أنّها تغطّي دوافع خفيّة. طقسٌ مليءٌ بالتصرّفات الصغيرة الساحرة يكون من الممتع جدّاً مشاهدته. المجوهرات، الأثاث الجميل، اللمسات (المسحات) اللونيّة في الثياب، تدوّخ العين وتسحرها. هذه نقطة ضعفٍ طفوليّةٍ فينا: نحن نفضّل أن نركّز على التفاصيل الصغيرة السارّة عوضاً عن الصورة الإجماليّة. الأشياء التي تستخدمها في إغوائك (هدايا، ثياب، إلخ.) تتحدّث لغتها الخاصّة، وهي لغةٌ قويّة. لا تتجاهل أبداً أيّ تفصيل أو تتركه للصّدفة. زاوج ما بين التفاصيل لتخلق مشهداً لافتاً ولن يلاحظ أحدٌ كم كنت متلاعباً خلال ذلك.

للرجال الذين مارسوا الحبّ، أو حملوا الاعتقاد ولو لمرّة بأنّ لا شيء يُقارَنُ بامرأةٍ في ثيابها. مجدّداً، عندما تتأمّل كيف أنّ أحد الرجال يتحدّى،

الأثر الحسّي

ذات يوم أخبر رسولٌ الأمير جنجي ـ المتقدّم في السن لكن الذي لا يزال مغوياً من الطراز الأوّل في البلاط الهاياني في يابان من القرن العاشر ـ أنّ واحدةً من اللواتي كان قد انتزع إعجابهن وحبّهن قد ماتت على نحوٍ مفاجئ، تاركةً وراءها يتيمةً (امرأة شابّة تُدعى تاماكازورا). لم يكن جنجي والد تاماكازورا لكنّه قرّر أن يحضرها إلى البلاط وأن يكون حاميها بأيّة حال. بعد وصولها بفترة وجيزة، بدأ الرجال من أعلى المراتب بالتودّد إليها. كان جنجي قد أخبرالجميع بأنّها كانت ابنةً ضائعةً له؛ كنتيجةٍ لذلك، فقد افترضوا أنّها كانت جميلة، لأنّ جنجي كان الرجل الأكثر وسامةً في البلاط. (في ذلك العصر، كان الرجال نادراً ما يرون وجه فتاة قبل الزواج؛ نظريّاً، كان يُسمَحُ لهم بالتحدّث إليها فقط إذا كانت على الجانب الآخر من الباراڤان.) أمطرها جنجي بالاهتمام، وساعدها على فرز وتصنيف كل رسائل الحبّ التي كانت تتلقّاها، وأشار عليها فيما يتعلّق بالاختيار المناسب.

كحامي تاماكازورا، كان يمكن لجنجي رؤية وجهها، وبالفعل كانت جميلة. وقع في حبّها. يا له من عار ـ فكر جنجي ـ لو تخلّى عن هذا المخلوق المحبّب لرجلٍ آخر. ذات ليلة، بعد أن غُمِرَ بمفاتنها، أمسك بيدها وأخبرها كم كانت تشبه أمّها، التي كان يحبّها فيما مضى. ارتعدت ـ ليس من التشوّق والإثارة، وإنّما من الخوف، لأنّه بالرغم من أنّه لم يكن أباها، إلّا أنّه كان يُفتَرَضُ به أن يكون حاميها وليس طالب يدها. مرافقوها كانوا بعيدون وكانت ليلةً جميلة. خلع جنجي رداءه المُعَطّر بهدوء وسحبها إلى جانبه. بدأت بالبكاء والمقاومة. جنجي الذي كان راقياً على الدوام أخبرها بأنّه يحترم إرادتها، وأنّه سيرعاها دائماً، وأنّه لا يوجد شيءٌ لتخاف منه. بعد ذلك انصرف بتهذيب.

بعد عدّة أيّام من ذلك كان جنجي يساعد تاماكازورا بمراسلاتها عندما قرأ رسالة حبٍّ من أخيه الأصغر، الأمير هوتارو، الذي كان من جملة طالبي يدها. في الرسالة، وبّخ هوتارو تاماكازورا لعدم سماحه له بالاقتراب منها جسديّاً بما فيه الكفاية ليتكلّم معها ويخبرها بمشاعره. لم تردّ تاماكازورا؛ فقد كانت تشعر بالخوف والرهبة لعدم اعتيادها على سلوكيّات البلاط. أمر جنجي واحداً من خدّامه بأن يكتب رسالةً إلى هوتارو باسم تاماكازورا وذلك بقصد مساعدتها. الرسالة

يجعّد، يعصر ويستهين بملابس امرأته، وكيف أنّه يتسبب تخريب وضياع الأقمشة الفخمة المصنوعة من الذهب ونسيج الفضّة، والبهرجان والأشياء الحريريّة، واللالئ والأحجار الكريمة، فإنّه من الواضح كيف أنّ حماسته ورضاه يتضاعفان ـ أكثر بكثير من عندما يفعل ذلك مع راعيةٍ بسيطة أو امرأةٍ أخرى من نوعيّة مشابهة، مهما بلغ جمالها. •

ولماذا في الماضي كانت ڤينوس تُعتَبر جميلةً ومرغوبةً جدّاً؟ إذا لم يكن ذلك بسبب جمالها فقد كان بسبب أنّها كانت دائماً ترتدي أكثر الثياب فخامةً، وتفوح منها رائحةٌ زكيّة، لدرجة أنّه كان من الممكن دائماً وأبداً أن تشتم شذاها الطيّب على بعد مئة خطوة. لأنّه

التي كُتِبَت على ورقٍ معطّرٍ وجميل دعت الأمير بحرارة إلى زيارتها.

ظهر هوتارو في الساعة المحدّدة. اشتمّ رائحةً زكيّة، غامضة ومغوية. (لقد كان عطر جنجي ممزوجاً بهذا الشذا.) شعر الأمير بموجةٍ من التشوّق والإثارة. اقترب من الشاشة التي كانت تجلس خلفها تاماكازورا، واعترف لها بحبّه. من دون أن تُحدِثَ صوتاً، تراجعت إلى شاشةٍ أخرى بعيدة. فجأةً كان هنالك لمعانٌ من الضوء وكأنّ مشعلاً قد توهّج، ورأى هوتارو صورةً جانبيّةً لها من خلف الشاشة: كانت أكثر جمالاً ممّا كان قد تخيّل. شيئان أبهجا الأمير: اللمعان المفاجئ للضوء، واللمحة الخاطفة لمحبوبته. لقد كان الآن عاشقاً بحقّ.

أخذ هوتارو يتودّد إليها بشكلٍ مواظب. في هذه الأثناء أصبحت تاماكازورا ترى حاميها بشكلٍ أكثر تكراراً، كونها شعرت بالاطمئنان بأنّه لم يعد يلاحقها. والآن لم يكن بإمكانها ألاّ تلاحظ التفاصيل الصغيرة: بدا أنّ أردية جنجي تضيءُ بألوانٍ سارّة ونابضة، كما لو أنّ أيادي لا تنتمي إلى هذا العالم كانت قد صبغتها. بدت أردية هوتارو باهتةً وكئيبةً بالمقارنة. وكانت أثواب جنجي تشتعل (تعبق) بالروائح العطرة، وكم كانت هذه الروائح آسرةً. لم يحمل أحدٌ عبيراً كهذا. رسائل هوتارو كانت مهذّبةً ومكتوبةً بعناية، لكن الرسائل التي أرسلها جنجي كانت على ورقٍ مهيب مُعَطّرٍ ومصبوغ، وكان يطعّمها باقتباساتٍ من الشعر الذي كان مفاجئاً على الدوام ومع ذلك فهو ملائمٌ للمناسبة. كان جنجي يربّي ويجمع الزهور - القرنفل البرّي، على سبيل المثال - ويقدّمه كهدايا وبدا أنّ ذلك كان يرمز لسحره المميّز.

ذات أمسية اقترح جنجي أن يعلّم تاماكازورا كيف تعزف على الكوتو. فابتهجت لذلك. أحبّت قراءة الروايات الرومانسيّة، وكلّما عزف جنجي على الكوتو كانت تشعر كما لو أنها انتقلت إلى واحدٍ من كتبها. لم يعزف أحدٌ على آلة الكوتو أفضل من جنجي؛ لذا فقد كان لها الشرف بأن تتعلّم منه. أصبح الآن يراها بشكلٍ أكثر تكراراً، وطريقة دروسه كانت بسيطة: كانت تختار له أغنيةً لكي يعزفها، ومن ثمّ تحاول أن تقلّده. بعد أن يعزفا كانا يستلقيان جنباً إلى جنب ويُلقيان برأسيهما على الكوتو كي يتأمّلا القمر. كان لدى جنجي مشاعل تُنارُ في الحديقة فتضيء المشهد بوهجٍ خفيف.

لطالما كان اعتقاداً شائعاً كم أنّ العطور هي محرّضٌ عظيمٌ على الحبّ. • هذا هو السبب الذي جعل زوجات الأباطرة في روما وسيّداتها العظيمات يقمن باستخدامها بشكلٍ مفرط، مثلهنّ في ذلك مثل سيّداتنا الفرنسيات العظيمات - وقبلهنّ سيّدات إسبانيا وإيطاليا، اللواتي كنّ منذ أقدم العصور أكثر فضوليّةً ورهافةً في الترف من السيّدات الفرنسيّات؛ في العطور كما في الأزياء والملابس الرائعة، وانطلاقاً من هذه النقطة بدأت الجميلات في فرنسا باستعارة الأنماط واستنساخ الحرفية الأنيقة. إنّ السيّدات الإيطاليات والفرنسيّات، وأكثر من غيرهنّ، كنّ قد تعلّمن الشيء نفسه من النماذج القديمة والتماثيل العتيقة

كلّما رأت تاماكازورا من البلاط أو اطّلعت عليه ـ من الأمير هوتارو، من طلاّب يدها الآخرين، من الإمبراطور نفسه ـ أدركت أنّ لا أحد يُقارَنُ بجنجي. كان من المُفتَرَض أن يكون حاميها، أجل، ذلك كان لا يزال صحيحاً، لكن هل الوقوع في حبّه يشكّل إثماً عظيماً؟ نتيجةً لتشوّشها وارتباكها وجدت نفسها تستسلم للّمساتِ والقبلات التي أخذ يفاجئها بها. الآن أصبحت أضعف من أن تقاوم.

التفسير. جنجي هو بطل رواية *حكاية* جنجي التي كتبتها في القرن الحادي عشر موراساكي شيكيبو التي كانت امرأةً في البلاط الهاياني. من المرجّح أنّ الشخصية كانت مستقاة أو مستوحاة من المغوي الحقيقي (وليس القصصي) فوجيوارا نو كوريتشيكا.

كانت استراتيجيّة جنجي في إغوائه لتاماكازورا بسيطةً: كان يجعلها تدرك بشكلٍ غير مباشر كم أنّه كان ساحراً ولا يمكن مقاومته من خلال إحاطتها بتفاصيل غير محكيّة. خلق أيضاً اتّصالاً بينها وبين أخيه؛ فالمقارنة مع هذه الشخصيّة الرتيبة والمتصلّبة ستجعل تفوّق جنجي جليّاً. في الليلة التي زارها فيها هوتارو أوّل مرّة، كان جنجي قد حضّر كلّ شيء، كما لو أنّه كان يساعد هوتاررو على الإغواء ـ العبير الغامض، ومن ثمّ وميض الضوء عند الشاشة. (أتى الضوء بفعلٍ مبتكر: في وقتٍ سابقٍ من المساء، كان جنجي قد جمع المئات من اليراعات التي تضيئ في الليل في حقيبة ثياب. في اللحظة المناسبة أطلق سراحها كلّها دفعةً واحدة.) لكن عندما رأت تاماكازورا جنجي يشجّع أخاه على السعي وراءها، فلم تَعُد دفاعاتها في حالة تحفّز، ما سمح لحواسّها بأن تُملأ من قبل أستاذ التأثيرات الإغوائيّة هذا. نسّق جنجي وزاوج ما بين كلّ التفاصيل الممكنة ـ الورق المُعَطّر، الأردية الملوّنة، الأضواء في الحديقة، القرنفل البرّي، الشعر المناسب، دروس الكوتو التي أحدثت شعوراً لا يُقاوَم بالتناغم. وجدت تاماكازورا نفسها مسحوبةً إلى دوّامةٍ حسّية. تجاوز جنجي الحياء وقلّة الثقة اللتان لم تكن الكلمات أو الأفعال إلّا لتفاقمهما إلى إحاطة تاماكازورا الموضوعة تحت وصايته بالأشياء والأصوات والروائح التي رمزت لمتعة مرافقته أكثر بكثير ممّا كان يتمتّع به حضوره الجسدي الفعلي ـ في الواقع فإنّ حضوره لم يكن ليؤدّي إلّا إلى

لنساء روما، التي تُرى ما بين الآثار المتعدّدة للعصور القديمة والباقية بالرغم من ذلك في إسبانيا وإيطاليا؛ والتي، إذا تأمّلها أيّ رجل جيداً، فسيرى أنّها كانت بالغةً حدّ الكمال فيما يتعلّق بنمط تسريح الشعر وأسلوب الثياب، ومناسبةٌ جدّاً لتوليد الحبّ.

ـ سيجنور دي برانتوم، *حيوات السيّدات الجميلات والمهيبات*، ترجمة آي. آر ألينسون

لسنواتٍ بعد دخولها القصر، فقد خُصِّص عددٌ كبيرٌ من بنات القصر لتحضير ثياب كواي ـ فاي، التي كانت تُختار وتُصَمّم وفقاً لأزهار الفصل. على سبيل المثال، بالنسبة لبداية السنة الجديدة (الربيع) فقد

تشكيل مصدر تهديد. علم أنّ حواسّ الفتاة اليافعة تشكّل أكثر نقاط ضعفها قابليّةً للاختراق.

المفتاح لإدارة جنجي البارعة للتفاصيل كانت انتباهه لموضوع إغوائه. على غرار جنجي، عليك أن تولّف حواسّك بما يناسب أهدافك، فتراقبهم بعناية، وتتآلف مع طباعهم وأمزجتهم. فتستشعر متى يكونوا دفاعيّين ويتراجعوا. وتستشعر أيضاً متى يستسلموا ويُقبِلوا. ما بين الوضعيّين، تكون التفاصيل التي تُعِدُّها ـ الهدايا، التسالي، الثياب التي ترتديها، الأزهار التي تختارها ـ مُوَجّهةً بالتحديد بحيث ترضي أذواقهم وتوقّعاتهم. علم جنجي أنّه كان يتعامل مع فتاةٍ يافعة تحبّ الروايات الرومانسيّة؛ أزهاره البرّيّة، عزف الكوتو، والشعر نفخت الحياة في عوالم الروايات التي كانت تقرؤها. أصغِ لكلّ خطوةٍ ورغبةٍ من خطوات ورغبات أهدافك، وأظهر تنبّهك ومراعاتك من خلال التفاصيل والأشياء التي تحيطهم بها، فتملأ حواسّهم بالحالة النفسيّة الذي تريد خلقها. يستطيعون أن يتجادلوا مع كلماتك، لكن ليس مع الأثر الذي تمارسه على حواسّهم.

كانت ترتدي أزهار المشمش، الخوخ والنرجس؛ للصيف، كانت تلبس النيلوفر؛ للخريف، فإنّها كانت تنمّط ثيابها على غرار زهرة الفاونيا؛ للشتاء، فإنّها كانت تستخدم الأقحوان. بالنسبة للمجوهرات فقد كان اللؤلؤ هو أكثر ما يثير ولعها، ووجدت أبهى حليّ العالم طريقها إلى مخدعها وكانت كثيراً ما تُطَرّز على أثوابها العديدة. • كانت كواي ـ فاي تجسيداً لكلّ ما هو مُحَبب ونابضٌ بالحياة. لا عجب أنّه لم يستطع مقاومة سحر مفاتنها أيّاً ممّن التقوا بها على الإطلاق أكانوا ملوكاً، أمراء، رجال بلاطٍ أم خدم متواضعين. علاوةً على ذلك، فقد كانت أكثر النساء دهاءً وعلمت كيف تستخدم مواهبها

بناءً على هذا فإنّه ـ في نظري ـ عندما يرغب رجلٌ من البلاط بالإفصاح عن حبّه فعليه أن يفعل هذا من خلال أفعاله وليس من خلال أقواله، لأنّ مشاعرالرجل تتجلّى بصورةٍ أكثر وضوحاً من خلال ... بادرة احترام أو شكلٍ معيّنٍ من الحياء أكثر ممّا تتجلّى من خلال كميةٍ هائلةٍ من الكلمات.

ـ بلدازار كاستيليوني

المفاتيح للإغواء

عندما كنّا أطفالاً، كانت حواسّنا أكثر فاعليّةً بكثير. ألوان لعبةٍ جديدة، أو مشهدٍ لافت كسيرك، كانوا يضعوننا في حالة عبوديّة؛ كان بإمكان رائحةٍ أو صوت أن تسحرنا. العديد من الألعاب التي خلقناها تعيد إنتاج شيئٍ في عالم الراشدين على نطاقٍ أصغر. كم أحسسنا بالمتعة ونحن ننسّق كل تفصيل ونلاحظ كلّ شيء.

أثناء تقدّمنا في العمر فإنّ حواسّنا تتبلّد (تصبح كليلة). لا نعود نلاحظ بنفس الكميّة التي كنّا نلاحظها من قبل، لأنّنا في حالة إسراع دائم لإنجاز الأمور، وللانتقال للمهمة التالية. في الإغواء، أنت تحاول بشكلٍ دائم أن تُرجِعَ الهدف إلى لحظات الطفولة الذهبيّة. الطفل أقلُّ عقلانيّةً وأسهل انخداعاً. الطفل أيضاً أكثر إنصاتاً لمتع الحواسّ. لذا فعندما تكون أهدافك معك، فإنّه يجب عليك ألاّ تمنحهم أبداً الشعور الذي ينتابهم عادةً في عالم الواقع، حيث نكون جميعاً في حالة سباقٍ محموم ومتحجّري القلوب وخارج أنفسنا. يجب عليك أن تُبطِئ بشكلٍ مُتَعَمّد من سير الأمور، وأن تعيدها إلى أوقات الصبا الأكثر بساطة. التفاصيل التي تنسّقها - الألوان، الهدايا، الشكليّات البسيطة - تستهدف حواسّهم، والبهجة الطفوليّة التي يستشعرونها إزاء المفاتن المباشرة للعالم الطبيعي. بعد أن تُملأ حواسّهم بالأشياء السارّة، يصبحون أقلّ قدرةً على المحاكمة والعقلانيّة. أَعِر الاهتمام للتفاصيل وستجد نفسك وقد اتّخذت سيراً أبطأ؛ أهدافك لن تركّز على ما قد تكون تسعى وراءه (وصال جنسي، نفوذ، إلخ.) لأنّك تبدو غايةً في المراعاة والملاطفة. في عالم الأحاسيس الطفولي الذي تغلّفهم فيه، يتكوّن لديهم إحساسٌ واضحٌ بأنّك تشملهم في شيءٍ مميّزٍ عن العالم الحقيقي - وهذا مكوّنٌ أساسيٌّ في الإغواء. تذكّر: كلّما حملت الناس على التركيز على الأشياء الصغيرة والبسيطة، ضَعُفَت ملاحظتهم لاتّجاهك الإجمالي. سيتّخذ الإغواء السّير البطيء والمنوّم (مغناطيسيّاً) المميّز للطقوسيّات التي تكون فيها التفاصيل ذات أهمّيةٍ مضاعفة واللحظات مليئةً بالشكليّات.

في صين القرن الثامن، لمح الإمبراطور مينغ هوانغ لمحةً خاطفةً من شابّةٍ جميلةٍ وهي تمشّط شعرها بجانب البركة الإمبراطوريّة. اسمها كان يانغ كواي - فاي، وبالرّغم من أنّها كانت محظيّة ابن الإمبراطور، إلّا أنّه لم يكن يسعه إلّا أن يحوزها لنفسه. كونه كان الإمبراطور، فلم يكن بإمكان أحد أن يوقفه. كان الإمبراطور رجلاً عمليّاً - كان لديه العديد من المحظيّات، وكلّ واحدةٍ منهنّ كان لديها سحرها الخاص، لكنّه لم يفقد صوابه يوماً بسبب النساء. إلّا أنّ يانغ كواي - فاي كانت مختلفة، كان جسدها ينضح بأطيب الروائح. كانت ترتدي عباءاتٍ مصنوعةً من نسيج الحرير الخالص، وكلّ عباءةٍ منها كانت مطرّزة بنوعٍ مختلفٍ من الأزهار باختلاف الفصول.

الفطريّة لتحقيق أبعد المآرب... الإمبراطور مينغ هوانغ، الذي كان الحاكم الأعلى على أرضه ومحاطاً بالآلاف من أجمل العذارى ليختار من بينهنّ، أصبح عبداً بالكامل لقواها المغناطيسيّة... ممضياً ليله ونهاره في صحبتها ومتخلّياً عن مملكته بالكامل من أجلها.

- شو - شيونغ، يانغ كواي - فاي: أشهر حِسان الصين

عندئذٍ استدعى [باو - يو] [التصميم البرّاق] وقال لها، «اذهبي وانظري ماذا تفعل [اليشب الأسود]. إذا سألت عنّي، قولي فقط بأنّني على خير ما يُرام الآن.» • «سيتوجّب عليك أن تفكّر بعذرٍ أفضل من ذلك،» قالت

عندما كانت تمشي كانت تبدو أنّها تطوف، وذلك لأنّ خطواتها الصغيرة كانت غير مرئيّة تحت العباءة. كانت تتقن الرقص لدرجة الكمال، وتكتب أغاني على شرفه وتغنّيها بشكلٍ رائع، وكان لديها طريقةٌ في النظر إليه تجعل الدم يغلي في عروقه من الرغبة. سرعان ما أصبحت الأثيرة عنده.

دفعت يانغ كواي ـ فاي الإمبراطور إلى الخبل والعته. بنى قصوراً من أجلها، قضى كلّ وقته معها، وأرضى كلّ أهوائها ونزواتها. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى أفلست مملكته وتدمّرت. كانت يانغ كواي ـ فاي مُغْوِيَةً داهية ذات أثرٍ مدمّرٍ على كلّ الرجال الذين عبروا دربها. كان حضورها يسحر بطرقٍ عديدةٍ للغاية ـ الروائح، الصوت، الحركات، المحادثة الظريفة، النظرات الماكرة، العباءات المطرّزة. هذه التفاصيل اللذيذة حوّلت ملكاً جبّاراً إلى طفلٍ مخبول.

منذ قديم الزمان، عرفت النساء أنّه يوجد داخل أكثر الرجال تمالكاً لنفسه حيوانٌ يمكنهنّ قيادته من خلال ملء حواسّه بالإغراءات الماديّة المناسبة. المفتاح يكون من خلال فتح أكبر عددٍ ممكنٍ من الجبهات. لا تتجاهلي صوتك، إيماءاتك، مشيتك، ثيابك، نظراتك. بعض أكثر النساء إغراءً في التاريخ ألهين ضحاياهنّ بالتفاصيل الحسيّة لدرجةٍ أخفق عندها الرجال في ملاحظة أنّ الأمر برمّته كان وهماً.

من أربعينات القرن العشرين حتّى بداية ستّيناته، كان لباميلا تشرشل هاريمان سلسلة من العلاقات مع بعضٍ من أبرز وأثرى الرجال في العالم ـ آفريل هاريمان (الذي تزوّجته بعد تلك الفترة بعدّة سنوات)، جياني آجنللي (وريث ثروة معامل فيات للسيّارات)، البارون إيلي دي روتشيلد. لم يكن جمالها أو نسبها أو شخصيّتها المفعمة بالحياة هو ما جذب هؤلاء الرجال وأبقاهم في حالة عبوديّة، وإنّما اهتمامها الاستثنائي بالتفاصيل. كان اهتمامها يبدأ من نظرتها المُتَنَبِّهة والمُلاطِفة أثناء استماعها لكلّ كلمةٍ من كلماتك، وتشرّبها لذوقك. ما إن تجد طريقها إلى منزلك، حتّى تملأه بأزهارك المفضّلة، وتجعل طبّاخك يطهو ذلك الطبق الذي لم تتذوّقه إلّا في أرقى المطاعم. إذا ذكرت اسم فنّانٍ تحبّه؟ كان هذا الفنّان يحضر أحد حفلاتك بعد عدّة أيّام. كانت تجد لك التحف القديمة المثلى، وتلبس بأكثر الطرق إرضاءً وإثارةً لك، وكانت تفعل هذا من دون قولك أنت كلمةً واحدة ـ كانت تتجسّس، تجمع المعلومات من طرف ثالث، تسترق السمع وأنت تتحدّث مع شخصٍ

التصميم البرّاق. «ألا يوجد أيّ شيءٍ يمكنك إرساله أو تريد استعارته؟ لا أريد الذهاب إلى هناك والشعور كمغفّلةٍ ليس لديها شيءٌ لتقوله.» • فكّر باو ـ يو للحظة ومن ثمّ أخذ محرمتين من تحت وسادته وأعطاهما للخادمة، قائلاً، «حسنٌ إذن، أخبريها بأنّني أرسلتك مع هاتين المحرمتين.» • «يا لها من هديّةٍ غريبةٍ لتُرسَل» قالت الخادمة وهي تبتسم. «ما عساها أن تفعل بمحرمتين قديمتين؟ ستغضب مجدّداً وتقول بأنّك تحاول أن تجعل منها أضحوكة.» • «لا تقلقي» طمأنها باو ـ يو. «سوف تفهم.» • اليشب الأسود كانت قد أوت إلى فراشها قبلاً عندما وصلت التصميم المتألّق إلى مُعتَزَل الخيزران. «ما الذي

آخر. كان لاهتمام هاريمان بالتفاصيل أثرٌ مسكرٌ على كلّ الرجال الذين مرّوا في حياتها. كان هنالك قاسمٌ مشتركٌ بينها وبين تدليل الأم، فهي موجودةٌ (كالأم) من أجل إحلال الترتيب والراحة في حياتهم (الرجال) وتولّي أمر احتياجاتهم كلّها. الحياة قاسية وتنافسيّة. العناية بالتفاصيل بحيث تُخَفّف عن الشخص الآخر وتهدّئه تجعله معتمداً عليك. المفتاح يكون من خلال سبرِ أو جسِّ احتياجاتهم بطريقةٍ غير واضحةٍ أكثر من اللزوم، بحيث أنّك عندما تقوم بالبادرة الصحيحة تماماً، فإنّها تبدو خارقة للطبيعة، كما لو أنّك قد قرأت أفكارهم. هذه هي طريقة أخرى لإرجاع أهدافك إلى الطفولة، عندما كانت تُلَبّى كل احتياجاتهم.

في نظر النساء في كلّ أرجاء العالم، فإنّ رودولف ڤالنتينو تربّع على العرش كعاشقٍ عظيم خلال أغلب عشرينات القرن الماضي. الخصائص والصفات التي وقفت وراء جاذبيّته اشتملت بالتأكيد وجهه الوسيم والجميل على نحوٍ متصنّع تقريباً، مهاراته في الرقص، ومسحة القسوة المثيرة بشكلٍ غريب في سلوكه. لكن لعلّ أكثر صفاته المحبّبة كانت مقاربته للمغازلة التي (أي المقاربة) تأخذ وقتاً طويلاً. أفلامه كانت تُظهِره وهو يغوي امرأةً ببطء، وكيف كان يُعنى بالتفاصيل - إذ يرسل لها أزهاراً (مختاراً التشكيلة التي تلائم المزاج الذي يريد إحداثه)، يأخذ يدها، يشعل لها سيجارتها، يرافقها إلى الأماكن الرومانسيّة، يقودها في الرقص. هذه كانت أفلاماً صامتة، ولم يتسنَّ لجمهوره أبداً أن يسمعه وهو يتكلّم - لقد كان كلّ هذا من خلال إيماءاته. أخذ الرجال يكرهونه، لأنّ زوجاتهم وصديقاتهم صِرن يتوقّعن وينتظرن المعاملة البطيئة والشديدة الحرص التي عُرِفَ بها ڤالنتينو.

اتّصف ڤالنتينو بمسحةٍ أنثويّة؛ قيل أنّه كان يتودّد إلى المرأة بالطريقة التي تتودّد بها امرأةٌ إلى أخرى. لكن الأنثويّة لا يجب أن تُستَهجَن في هذه المقاربة للإغواء. في بدايات العقد الثامن من القرن الثامن عشر، بدأ الأمير غريغوري بوتمكين علاقةً مع كاثرين العظمى إمبراطورة روسيا كان من شأنها أن تستمرّ لسنواتٍ عديدة. كان بوتمكين رجلاً متمتّعاً بصفات الرجل الحقّ، وليس وسيماً على الإطلاق. لكنّه تدبّر الظفر بقلب الإمبراطورة من خلال العديد من الأشياء البسيطة التي فعلها، واستمرّ في فعلها بعد شروع العلاقة بوقتٍ طويل. دلّلها بهدايا رائعة، ولم يملّ أبداً من كتابة رسائل طويلة لها، ورتّب لها كل أنواع التسلية، وألّف أغنياتٍ تمجيداً لجمالها. ومع ذلك فقد

أتى بك في هذه الساعة؟» سألت اليشب الأسود. • «طلب منّي [باو - يو] أن آخذ هاتين المحرمتين إلى عند [اليشب الأسود].» • للحظةٍ كانت اليشب الأسود في حيرةٍ من أمرها وهي تفكّر في السبب الذي جعل باو - يو يرسل لها هديّةٍ كهذه في ذلك الوقت بالتحديد. قالت، «أفترض أنّه لا بدّ وأنّهما شيءٌ غير اعتياديّ كان قد أعطاه إيّاه شخصٌ ما. أخبريه بأن يحتفظ بهما لنفسه أو يعطيهما لشخصٍ من شأنه أن يقدّرهما. لا حاجة لي بهما.» • «هما ليستا شيئاً غير عاديّ،» قالت التصميم البرّاق. «مجرّد محرمتين عاديّتين حدث وأنّه رآهما من حوله.» كانت اليشب الأسود أكثر حيرةً حتّى، ومن ثمّ اتّضح

كان يظهر أمامها وهو عار القدمين وشعره غير مُمَشّط، وثيابه مُجَعّدة. لم يكن هنالك أيّ نوعٍ من الزخرفة أو التنميق في انتباهه، لكن هذا ما جعل من الواضح أنّه سيذهب إلى أقاصي الأرض من أجلها. حواسّ المرأة تكون أكثر إرهافاً من حواسّ الرجل؛ بالنسبة إلى المرأة، فإنّ جاذبيّة يانغ كواي ـ فاي الصريحة من شأنها أن تبدو صاخبة ومباشَرة أكثر من اللزوم. ما يعني ذلك هو أنّ كل ما يتوجّب على الرجل فعله هو أن يتأنّى، فيجعل الإغواء طقساً مليئاً بكل أنواع الأشياء الصغيرة التي يجب أن يفعلها من أجل هدفه. إذا أخذ الرجل ما يكفي من الوقت، فسوف يضمن أنّها ستقبع أمامه منتظرةً لما يقدّمه لها.

كلّ شيءٍ في الإغواء هو إشارة أوعلامة، ولا شيء ينطبق عليه هذا أكثر من الثياب. هذا لا يعني أنّه يجب عليك أن تلبس بشكلٍ ملفت للانتباه، أنيقٍ، أو مُثير، وإنّما أن تلبس لهدفك ـ أي يجب أن تُعجِب ذوق هدفك. عندما كانت كليوباترا تغوي مارك أنتوني، فإنّ ثوبها لم يكن مثيراً بصورةٍ صفيقة؛ فقد ارتدت كإلهةٍ إغريقيّة، إذ كانت تعلم ضعفه أمام تلك الرموز الخياليّة. المدام دي بومبادور، عشيقة الملك لويس الخامس عشر، علمت نقطة ضعف الملك، ألا وهي ضجره المزمن؛ لذا كانت ترتدي باستمرار ثياباً مختلفة، فلا تغيّر لون الثياب وحسب وإنّما أسلوبها، مزوّدة بذلك الملك بمتعةٍ بالغةٍ ودائمة. كانت باميلا هاريمان تتقمّص الأزياء التي ترتديها بحيث تتلاءم مع دورها كغانيةٍ للطبقة الرفيعة وتعكس الذوق الرصين للرجال الذين أغوتهم. التباين ينجح هنا: في العمل أو في المنزل، يمكنك أن ترتدي بطريقةٍ لا مبالية ـ فمارلين مونرو، على سبيل المثال، كانت ترتدي جينزاً وكنزةً في المنزل ـ لكن عندما تكون مع هدفك فإنّك ترتدي شيئاً مُنَمّقاً، كما لو كنت تضع ثياباً مسرحيّة. تحوّلك الشبيه بالسندريلا سيسبّب الإثارة والتشوّق، وسيولّد الشعور بأنّك قد فعلت شيئاً خصّيصاً من أجل الشخص الذي أنت معه. ما إن تخصّص انتباهك لشخصٍ بعينه (أنت لن تلبس كهذا من أجل أيّ شخصٍ آخر)، حتّى يصبح (انتباهك) أكثر إغواءً بما لا يُقاس.

في العقد الثامن من القرن التاسع عشر وجدت الملكة ڤيكتوريا أنّ بنجامين دزرائيللي الذي كان رئيس وزرائها يتودّد إليها. لقد كانت كلمات دزرائيللي مطرية وأسلوبه موحياً؛ وأرسل لها الأزهار أيضاً والهدايا في عيد

لها الأمر فجأةً: علم بو ـ يو أنّها كانت ستبكي عليه ولذا فقد أرسل محرمتين من محارمه. • «يمكنك أن تتركيهما،» قالت للتصميم البرّاق، التي كانت متفاجئةً بدورها لعدم رؤية اليشب الأسود إهانةً فيما بدا لها مزحةً سمجة. • أثناء تفكير اليشب الأسود بأهمية المحرمتين فإنّها كانت سعيدةً وحزينةً بالتناوب: سعيدةً لأنّ باو ـ يو قرأ أعمق أفكارها وحزينةً لأنّها تساءلت في تعجّب فيما إذا كانت أسمى أفكارها ستتحقّق يوماً. مفكّرةً بالتالي فيما بينها وبين نفسها بالمستقبل والماضي، فإنّها لم تستطع أن تغفو. بالرغم من احتجاجات الوقواق، فإنّها أعادت إشعال قنديلها وبدأت بتأليف سلسلةٍ من الرباعيات، التي كتبتها رأساً على

الڤالنتاين وغيره - لكن ليس أيّة أزهارٍ أو هدايا، من النوع الذي يرسله معظم الرجال. الأزهار كانت من نوع زهرة الربيع، وترمز إلى صداقتهم البسيطة ولكن الجميلة بالرغم من ذلك. من ذلك الحين فصاعداً، كانت ڤيكتوريا تفكّر بدزرائيللي كلّما رأت زهرة ربيع. أو كان يكتب على بطاقة ڤالنتاين أنّه، «ليس بعد الآن في المغيب، وإنّما في فجر حياته، يجب أن يواجه حياةً من القلق والكدح؛ لكن هذا أيضاً، يتمتّع برومانسيته الخاصّة، عندما يتذكّر أنّه يجهد نفسه أجل أكثر الكائنات كرماً ووقاراً!» أو كان يرسل لها صندوقاً صغيراً، دون إهداء، لكن مع قلبٍ يخترقه سهمٌ على جانب الصندوق وكلمة «المخلص،» أو «بإخلاص،» على الجانب الآخر. وقعت ڤيكتوريا في حبّ دزرائيللي.

المحرمتين اللتين أرسلهما باو - يو.

- تساو هسيوه تشين، *حلم الحجرة الحمراء*، ترجمة تشي - تشن وانغ

تتمتّع الهديّة بقدرة إغوائيّة هائلة، لكن الشيء المُهدى بحدّ ذاته هو أقلّ أهميّةً من البادرة، ومن الفكرة أو العاطفة الخفيّة التي توصلها. لعلّ الخيار يتّصل بشيءٍ من ماضي الهدف، أو يرمز إلى شيءٍ ما بينكما، أو يمثّل فحسب المدى الذي يمكن أن تذهب إليه من أجل أن تُرضي. لم يكن المال الذي أنفقه دزرائيللي هو ما أثار إعجاب ڤيكتوريا، لكن الوقت الذي استغرقه ليجد الشيء المناسب أو يقوم بالبادرة المناسبة. الهدايا المُكلِفة لا تحمل عاطفة؛ قد تثير المتلقّي مؤقّتاً لكنّها سرعان ما تُنسى، كما ينسى الطفل لعبةً جديدة. الغرض الذي يعكس مراعاة مهديه وتنبّهه يتمتّع بقوّةٍ عاطفيّةٍ ذات أثرٍ مديد والذي (أي الأثر) يعود إلى السطح في كلّ مرّةٍ ينظر المتلقّي إلى هذا الغرض.

في عام 1919، تدبّر الكاتب وبطل الحرب الإيطالي جابرييل دانونزيو أن يجمع زمرةً من التابعين ويستولي على بلدة فيوم على الساحل الأدرياتيكي (الآن هي جزء من سلوڤينيا). أسّسوا حكومتهم الخاصّة هنالك والتي استمرّت لعامٍ ونيّف. استهلّ دانونزيو سلسلةً من المشاهد العامّة التي من شأنها أن تكون عميقة التأثير على السياسيّين من خارج البلدة. كان يخاطب الجمهور من على شرفةٍ تطلّ على ساحة البلدة الرئيسيّة التي كانت تعجّ بالرايات الملوّنة والأعلام والرموز الدينيّة الوثنيّة، وفي الليل، بالمشاعل. كانت الخطابات تُتبَع بالمواكب. بالرغم من أنّ دانونزيو لم يكن فاشيّاً على الإطلاق، إلّا أنّ ما فعله أثّر بشكلٍ جوهريّ على بنيتو موسوليني الذي استعار طريقته الرومانيّة في التحيّة، واستخدامه للرموز، وطريقته في

الخطابات العامّة. المشاهد الشبيهة بهذه المشاهد صارت تُستَخدَم من ذلك الحين من قبل الحكومات في كلّ مكان، وحتّى من قبل الحكومات الديمقراطيّة. قد يكون الانطباع العام الذي يثيرونه مهيباً، إلّا أنّ التفاصيل المُنَسّقة بإحكام هي ما يجعلها تنجح ـ عدد الحواسّ التي تخاطبها، وتنوّع العواطف التي تثيرها. أنت تهدف إلى إلهاء الناس، ولا شيء يلهي أكثر من ثروةٍ من التفاصيل ـ الألعاب الناريّة، الأعلام، الموسيقى، البذلات الموحّدة، الجنود الذين يمشون بطريقة النظام المنضمّ، الشعور بأن الحشود متراصّة مع بعضها البعض. يصبح من الصعب التفكير بشكلٍ صحيح، وخاصّةً إذا كانت الرموز والتفاصيل تثير مشاعر وطنيّة.

أخيراً، فإنّ الكلمات مهمّةٌ في الإغواء، وتتمتّع بكميّةٍ كبيرة من القدرة على الإرباك، الإلهاء، وتعزيز زهوّ الهدف. لكن أكثر شيءٍ يغوي على الإطلاق في المدى الطويل هو ما لا تقوله، وإنّما ما توصله بشكلٍ غير مباشر. الكلمات تتأتّى بسهولة، والناس لا تثق بها. أيّ شخصٍ يستطيع أن يقول الكلمات الصحيحة؛ وما إن تُقال، فلا شيء ملزم، ومن الممكن حتّى أن تُنسى برمّتها. البادرة، الهديّة المُتَروّى فيها، والتفاصيل الصغيرة تبدو أكثر حقيقيّةً وجوهريّةً بكثير. هي أيضاً أكثر سحراً بكثير من كلمات الحبّ النبيلة، وذلك بالتحديد لأنّها تروّج لنفسها وتجعل المَغوي يستخرج معانيَ إضافيّة أكثر ممّا يوجد هنالك حقيقةً. إيّاك أن تخبر أحداً بما تشعر؛ دعه يخمّن ذلك من خلال نظراتك وإيماءاتك. فتلك هي اللغة الأكثر إقناعاً.

الرمز: المأدبة. حُضِّرَت وليمةٌ على شرفك. نُسِّقَ كلّ شيءٍ بشكلٍ مدروس ـ الزهور، الديكورات، اختيار الضيوف، الراقصون، الموسيقى، الوجبات الشهيّة، النبيذ المُقَدّم بغير حساب. المأدبة تُحلّ لسانك، وكذلك موانعك وكوابحك.

الانقلاب

لا يوجد إنقلاب. التفاصيل ضروريّة لأي إغواء ناجح، ولا يمكن تجاهلها.

12

أضفِ مسحة شاعرية على حضورك

الأشياء المهمة تحدث
عندما تختلي أهدافك
بنفسها. لدى أوهى إحساس
بالراحة لكونك غير موجود سينتهي كل
شيئ. الألفة والتّعرّض الزائد سيستبان ردّة
الفعل هذه. فابقَ إذن مُحَيِّراً ومتملّصاً، وذلك
لكي يتوقوا لرؤيتك مجدّداً، ويقرنوك بالأفكار
السارّة فقط عندما تكون بعيداً. احتلّ أذهانهم من
خلال المناوبة ما بين الحضور اللافت والتحفظ البارد،
اللحظات المليئة بالحيوية والمرح متبوعةً بالغيابات
المُتَعَمّدة والمُعَد لها سلفاً. إقرن نفسك بالصور
والموضوعات الشعرية، لكي يبدؤوا برؤيتك من
خلال هالةٍ مثالية عندما يفكّرون فيك. كلّما
برزت في أذهانهم كصورةٍ ذات شأنٍ وأهمية،
لفّوك بتخيّلاتٍ مغوية. غذّ تخيّلاتهم من
خلال التناقضات الذاتية الخفيّة
والتغيّرات في سلوكك.

الحضور/الغياب الشاعري

في عام 1943، أطاح الجيش الأرجنتيني بالحكومة. عُيِّنَ العقيد خوان بيرون الذي كان يتمتّع بشعبيّة كبيرة والبالغ الثامنة والأربعين من العمر وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعيّة. كان بيرون أرملاً مولعاً بالفتيات اليافعات؛ كان لدى تعيينه على علاقةٍ بمراهقةٍ قدّمها للناس أجمعين على أنّها ابنته.

إنّ من لا يعرف كيف يطوّق الفتاة بحيث لا تعود ترى شيئاً ممّا لا يريدها أن تراه، إنّ من لا يعرف كيف يطرح نفسه للفتاة بمسحةٍ شعريّة بحيث يسير كلّ شيء كما يريده منها ـ هو عبارة عن شخص أخرق وسيظلّ كذلك... فطرح المرء نفسه للفتاة بمسحةٍ شعريّة هو فنٌّ بحدّ ذاته.

ـ سورين كيركيجارد، *يوميّات مغوي*، ترجمة هاورد ڤي. هونغ؛ وإدنا إتش. هونغ

ذات أمسيةٍ في كانون الثاني من عام 1944، جلس بيرون مع القادة العسكريّين الآخرين في مدرّج بوينس آيريس لكي يحضر مهرجاناً فنّيّاً. كان الوقت متأخّراً وكان هنالك بعض المقاعد الفارغة حوله؛ برزت ممثّلتان جميلتان وشابّتان دون سابق إنذار وسألتاه الإذن في الجلوس. هل كانتا تمزحان؟ فهو سيكون مسروراً لجلوسهما. ميّز واحدةً من الممثّلتين ـ لقد كانت إيڤا دواريت، نجمة المسرحيّات الإذاعيّة التي غالباً ما كانت صورتها تتصدّر أغلفة الصحف المُصَغّرة. الممثّلة الأخرى كانت أصبى وأجمل، لكن لم يستطع أن يرفع عينيه عن إيڤا التي كانت تتحدّث مع عقيدٍ آخر. لم تكن على الإطلاق من النمط الذي يثير إعجابه. كانت في الرابعة والعشرين من العمر، أي أكبر سنّاً بكثير ممّا يعجب ذوقه؛ وكانت ترتدي بشكلٍ مبهرج بعض الشيء؛ وكان تصرّفها يشوبه شيءٌ من البرود الجليدي. لكن نظرت إليه عدّة مرّات، وأثارته نظراتها الخاطفة. نظر بعيداً للحظة، فكان أوّل شيءٍ اكتشفه هو أنّها بدّلت مكان جلوسها لتجلس بقربه. بدآ بالتحدّث. أنصتت وعلّقت على كل كلمة من كلماته. نعم، لقد كان كل ما قاله يعبّر بالضبط عن كيفيّة شعورها ـ الفقراء والعمّال كانوا مستقبل الأرجنتين. كانت قد عرفت الفقر هي نفسها. كادت عيناها أن تغرورقا بالدموع عندما قالت له في نهاية الحديث، «شكراً لكونك موجودٌ في هذه الحياة.»

ماذا أيضاً؟ إذا كانت مستلقيةً في الخارج

في الأيام القليلة التي تلت، تدبّرت إيفا أمر التخلّص من ابنة بيرون وتوطيد نفسها في شقّته. حيثما التفت، كانت هناك، تعدّ له الوجبات، تعتني به عندما كان مريضاً، وتنصحه في أمور السياسة. لماذا تركها تبقى؟ عادةً ما كان ينغمس في علاقةٍ جنسيّةٍ قصيرة الأجل مع فتاةٍ سطحيّة، ومن ثمّ يتخلّص منها عندما تبدو أنّها قد ظلّت أكثر من اللازم. لكن لم يكن هناك أيّ شيءٍ سطحيّ عند إيفا. بمرور الوقت وجد نفسه يدمن على الشعور الذي منحته إيّاه. لقد كانت مخلصةً للغاية، وتعتنق وتعكس كل أفكاره، وتنفخه (تملأه غروراً) بشكلٍ متواصل. شعر بأنّه أكثر رجولةً وقوّةً لدى حضورها، هذا ما كان الأمر عليه ـ آمنت بأنّه سيشكّل القائد المثالي للبلد، وأثّر فيه إيمانها هذا. لقد كانت شبيهةً بالنساء في أغاني التانغو الراقصة التي أحبّها للغاية ـ نساء الشارع المعذّبات والشقيّات اللاتي أصبحن رموزاً مُقدّسة للأمومة واعتنين برجالهنّ. كان بيرون يراها كلّ يوم، ومع ذلك فقد شعر بأنّه لا يعرفها بشكلٍ كامل؛ فيوماً تكون تعليقاتها فاحشة بعض الشيء، وفي اليوم التالي تكون السيّدة المثاليّة. كان لديه مصدر قلقٍ واحد: كانت تحتال للزواج، ولم يكن من الوارد أن يتزوّجها ـ فقد كانت ممثّلةً ذات ماضٍ مريب. العقداء الآخرون كانوا مصدومين أساساً بعلاقته معها. مع ذلك فقد استمرّت العلاقة.

في عام 1945، سُرِّح بيرون من منصبه وأودِع السجن. خاف العقداء من شعبيّته المتنامية وتوجّسوا شرّاً من عشيقته التي بدت أنّها تتمتّع بسلطانٍ كاملٍ عليه. لقد كانت أوّل مرّةٍ خلال سنتين تقريباً يكون فيها وحيداً بحقّ، ومعزولاً تماماً عن إيفا. فجأةً شعر بمشاعر جديدة تجتاحه: علّق صورها على كلّ الجدران. أمّا في الخارج، فقد نُظِّمَت تظاهراتٍ حاشدة احتجاجاً على سجنه، لكن كلّ ما استطاع أن يفكّر فيه كان إيفا. لقد كانت قدّيسةً، امرأةً بعثها القدر، بطلة. كتب إليها، «لا نستطيع أن نقيس تعلّقنا بمن نحبّ إلّا عندما نكون بعيدين عنهم. من اليوم الذي تركتك فيه ... لم أكن قادراً على تهدئة قلبي الحزين... وحدتي الشديدة ملأى بذكراك.» الآن وعدها بالزواج.

زادت حدّة الإضرابات. أُطلِقَ سراح بيرون بعد ثمانية أيّام؛ وتزوّج من

على مِحَفّتها، / فاجعل مقاربتك حذرة، / ولغز بذكاءٍ كلّ عبارة / بمواربات ملتبسة وذلك لتخدع الآذان المنصتة لأولئك الذين حولك. إذا كانت تقوم بنزهةٍ متمهّلةٍ / بمحاذاة صفٍّ من الأشجار، فعليك إذن أن تتمشّى هناك أيضاً ـ / كيف سرعة سيرك تبعاً لسرعة سيرها، فاسبقها، وتخلّف عنها، / مناوباً ما بين التواني والإسراع. كن جريئاً، / تنقّل ما بين الأشجار التي تفصل ما بينكما، ودع جسدك يحتك / مطوّلاً بجسدها. عليك ألاّ تتقاعس أبداً / عن حضور المسرح عندما تحضر هي، تفترس في جمالها ـ فهي فيما يعلو الكتفين عبارةٌ عن وقتٍ / مُنفَقٍ بتلذّذ ومتعة للنظرات الهائمة، / في فصاحة الحاجبين الأبلغ من الكلام. / صفّق عندما يتبختر الراقص الذكر وهو يؤدّي دور البطلة، / هلّل لكلا دوري العاشقين. / عندما تغادر هي،

إيڤا على الفور. وانتُخِبَ رئيساً بعد عدّة أشهر من ذلك. بوصفها السيّدة الأولى، صارت إيڤا تحضر المناسبات الحكوميّة بجواهرها وثيابها المبهرجة والمُزَوّقة بعض الشيء؛ نُظِرَ إليها كممثّلةٍ سابقة لديها خزانة ثيابٍ كبيرة. بعد ذلك، في عام 1947، غادرت لتقوم برحلةٍ في أوروبا، حيث تتبّع الأرجنتيّون كلّ خطوةٍ من خطواتها - الحشود المنتشية التي استقبلتها في إسبانيا، مقابلتها الرسميّة مع البابا - في غيابها تغيّر رأيهم عنها. كم أجادت تمثيل الروح الأرجنتينيّة، بنبالتها البسيطة، ونزوعها للدراما. عندما عادت بعد عدّة أسابيع، غمرها الأرجنتينيّون بالانتباه والاهتمام.

إيڤا أيضاً كانت قد تغيّرت خلال رحلتها إلى أوروبا: الآن أصبح شعرها الأشقر المصبوغ مشدوداً بصرامة وتزمّت إلى الخلف وملفوفاً على شكل كرة صغيرة على مؤخّر عنقها، وصارت ترتدي أطقماً مُخَيّطة. لقد كان مظهراً جديّاً، يلائم المرأة التي كانت ستصبح منقذة الفقراء ومخلّصتهم. سرعان ما صار بالإمكان رؤية صورتها في كلّ مكان - الأحرف الاستهلاليّة من اسمها صارت تُنقَش على الجدران والمجلاّت ومناشف مستشفيات الفقراء؛ وُضِعَت صورتها على قمصان فريق كرة قدم من أفقر جزءٍ من الأرجنتين كانت قد رعت ناديه؛ وجهها المبتسم العملاق صار يغطّي جوانب الأبنية. نظراً لأنّ إيجاد أيّ شيءٍ شخصيٍّ عنها كان قد صار ضرباً من المستحيل، فقد أخذت تظهر وتنبثق حيالها جميع أنواع الخيالات والأوهام المُحكمة والمفصّلة. وعندما سرق السرطان حياتها باكراً، في عام 1952، في عمر الثالثة والثلاثين (عمر المسيح عندما تُوُفّي)، لبست البلاد ثوب الحداد. شيّع الملايين جثمانها المحنّط. لم تَعُد ممثّلة راديو ولا زوجة ولا سيّدةً أولى، وإنّما إيڤيتا القدّيسة.

التفسير. كانت إيڤا دواريت طفلةً غير شرعيّة ترعرعت بالفقر، هربت إلى بوينس آيريس لتصبح ممثّلة، وأُجبرَت على القيام بالعديد من الأشياء الخسيسة لكي تبقى على قيد الحياة وتنجح في عالم المسرح. حلمها كان أن تُفلِت وتنجو من كل القيود والكوابح على مستقبلها، فقد كانت طموحةً للغاية. بيرون كان الضحيّة الأمثل. تخيّل نفسه كقائدٍ عظيم، لكنّ الواقع هو

غادر أنت أيضاً - لكن إجلس هنالك ما دامت هي جالسة: / ضيّع وقتك خدمةً لنزوات عشيقتك... / إجعلها تعتاد عليك؛ / فالعادة هي المفتاح، لا تألُ جهداً حتّى يتحقّق هذا. / دعها تراك حولها على الدوام، وتسمعك دائماً وأنت تتكلّم، / أرِها وجهك ليلاً ونهاراً. / عندما تكون واثقاً من أنّه سيُفتَقَد إليك، عندما يبدو أنّ / غيابك سيسبّب لها اللوعة بالتأكيد، / عندئذٍ امنحها: قليلاً من الراحة: فالحقل يتحسّن عندما يُراح، / فالتربة العطشى تشترب المطر تشرّباً. / حضور ديموفون لم يعطِ فيليس أكثر من إثارةٍ معتدلة؛ / لقد كان إبحاره هو ما سبّب الحرقة في قلبها. / تدمّرت بينيلوبة لدى غياب أوليسس الحاذق، / رحيل بروتيسيلاوس جعل لاودوميا تحترق. / الفراقات القصيرة تنجع كأفضل ما يكون، بالرغم من أنّ الوقت يبلي

أنّه كان يسير بخطى حثيثة لأن يصبح رجلاً مسنّاً داعراً وأضعف بكثير من أن ينهض بنفسه. حقنت إيفا الشعر في حياته. لغتها كانت منمّقة (مزخرفة) ومسرحيّة؛ أحاطته بالاهتمام، وفي الواقع لدرجة الكتم على أنفاسه، لكنّ خدمة امرأة ذات إحساسٍ عالٍ بالواجب لرجلٍ عظيم كانت صورةً تقليديّة، ومُمَجّدة في عددٍ لا يُحصى من رقصات التانغو الشعبيّة. ومع ذلك فقد تدبّرت أن تظلّ محيّرةً وغامضة، مثل نجمة سينما تراها كلّ الوقت على الشاشة لكن لا تعرفها أبداً بحقّ. وعندما أصبح بيرون في آخر المطاف وحيداً في السجن، فقد تداعت هذه الصور والارتباطات الشعريّة في ذهنه وعلى نحوٍ متفجّر. نسب إليها صفاتٍ مثاليّة بشكلٍ جنونيّ؛ وفي حدود ما كان يعنيه ويهمّه، فإنّها *لم تعد* ممثّلةً ذات ماضٍ وضيع. أغوت أمّةً بكاملها بنفس الطريقة. السرّ كان حضورها الشعري والدراماتيكي، ممزوجاً بلمسةٍ من البعد المراوغ والمتملّص؛ بمرور الوقت، تكون مستعداً لأن ترى فيها ما تودّ رؤيته. لا زال الناس حتّى يومنا هذا يحاولون تخيّل ماهيّة إيفا الحقيقيّة.

الألفة تدمّر الإغواء. هذا نادراً ما يحدث في البداية؛ فهناك الكثير لتتعلّمه عن الشخص الجديد. لكن قد يصل هدفك إلى مفترق طرق عندما يبدأ بإضفاء أبعادٍ مثاليّة عليك، وذلك فقط ليكتشف أنّك لست كما يظنّ أو تظنّ. إنّها ليست مسألةً متعلّقةً بكونك تُرى أكثر من اللازم أو متوافرٌ أكثر من اللازم، كما يعتقد البعض. في الحقيقة، فإنّ أهدافك لن يكون لديهم شيءٌ ليغذّوا مخيّلتهم عليه إذا لم يروك إلّا بشكلٍ نادرٍ جدّاً؛ وقد يلفت انتباههم شخصٌ آخر؛ لذا فعليك أن تحتلّ وتشغل أذهانهم. فالمسألة متعلّقة بكونك ثابتٌ (يسهل التوقّع بتصرّفاتك) أكثر من اللازم، وواضحٌ أكثر من اللازم، وبشريٌّ وحقيقيٌّ أكثر من اللازم. لا تستطيع أهدافك إضفاء أبعاد مثاليّةٍ عليك إذا علموا عنك أكثر ممّا ينبغي، وإذا بدؤوا برؤيتك كمحض بشر. لا يجب عليك أن تحافظ على درجةٍ من البعد وحسب، بل وأيضاً لا بدّ أن يكون هنالك شيءٌ خياليٌّ وساحرٌ فيك، الأمر الذي يطلق شرارة كلّ الاحتمالات السارّة في عقولهم. الإمكانيّة التي رفعتها إيفا كانت الإمكانيّة بكونها ما يُعتبَر في الثقافة الأرجنتينيّة المرأة المثاليّة ـ متفانية، عطوفة، طاهرة كالقدّيسة ـ لكن هنالك العديد من المثاليّات الشاعريّة التي تستطيع

العواطف، / الحبّ الغائب يتلاشى، ويحلّ محلّه حبٌّ جديد. / في غياب مينيلاوس فإنّ عدم ميل هيلين للنوم / وحدها قادها ليلاً إلى سرير / ضيفها الدافئ. هل كنت مجنوناً يا ميلانوس؟

ـ أوفيد، *فنّ الحبّ*، ترجمة بيتر غرين

فيما يتعلّق بولادة الحبّ • هذا ما يحصل في الروح: • 1. الإعجاب. • 2. أنت تفكّر، «كم سيكون مبهجاً أن تقبّلها، وتُقبّل من قبلها،» وأشياء من هذا القبيل... • 3. الأمل. أنت تراقب مواطن الكمال لديها، وفي هذه اللحظة يجدر بالمرأة حقّاً أن تستسلم، فعندها تتحقّق أعظم لذّةٍ جسديّة. حتّى أكثر النساء تحفّظاً سيحمررن خجلاً للغاية في لحظة الأمل هذه. يكون التوق قويّاً للغاية، واللذة صارخة لدرجة أنّهما

تجسيدها. الفروسيّة، المغامرة، الرومانس، وأشياء من هذا القبيل، لا تقلّ قوّةً عن غيرها من المثاليّات، وإذا كان لديك أثرٌ ضئيلٌ منها، فستستطيع أن تنشر في الأجواء ما يكفي من الشعر لتملأ أذهان الناس بالخيالات والأحلام. عليك أن تجسّد شيئاً ما مهما كان الثمن، حتّى لو كان اللؤم والشر. أيّ شيءٍ لتتفادى وصمة الاعتياديّة والابتذال.

ما أحتاجه هو امرأة تشكّل شيئاً ما، أيّ شيء؛ إمّا جميلة جدّاً أو لطيفة جدّاً أو لئيمةً جدّاً كاحتمالٍ أخير؛ ذكيّة جدّاً أو غبيّة جدّاً، لكن شيءٌ ما.

ـ ألفريد دي موسيه

المفاتيح للإغواء

جميعنا لدينا صورةٌ عن ذاتنا أكثر مجاملةً من الحقيقة: نحن نعتقد أنفسنا أكثر كرماً، غيريّةً، صدقاً، لطفاً، ذكاءً، أو وسامةً ممّا نحن في الواقع. من الصعوبة جدّاً بمكان أن نكون صادقين مع أنفسنا فيما يتعلّق بمحدوديّاتنا؛ لدينا حاجة ماسّة لأن ننسب إلى أنفسنا صفاتٍ مثاليّة. كما نوّهت الكاتبة آنجيلا كارتر، فإنّنا نفضّل أن نصطف بين الملائكة وليس بين القردة العليا التي نتحدّر منها في الواقع. (مقولة داروين بأنّ أصل المرء قرد دُحِضَت علميّاً بالاستناد إلى أدلّة تشريحيّة قاطعة وهي نتيجةٌ لهذا لم تعد تُدَرّس في العديد من الولايات الأمريكيّة: المترجم.)

هذه الحاجة للمثلنة (لإضفاء الصفات المثاليّة) تمتدّ لتشمل علاقاتنا الرومانسيّة، لأنّنا عندما نقع في الحب، أو تحت سحر شخصٍ آخر، فإنّنا نرى انعكاساً لأنفسنا. الخيار الذي نتّخذه عندما نقرّر أن نقيم علاقة مع شخصٍ آخر يكشف شيئاً مهمّا وحميميّاً عنّا: نحن نقاوم رؤية أنفسنا على أنّنا وقعنا في حبّ شخصٍ رخيصٍ أو لزج أو عديم الذوق، لأنّ هذا ينعكس سلباً على من نكون. عدا عن ذلك، فإنّنا غالباً ما نقع في حبّ شخصٍ يشابهنا بطريقةٍ أو بأخرى. إذا كان ذلك الشخص ناقصاً، أو عاديّاً (وهذا أسوأ شيءٍ على

يكشفان أنفسهما على نحوٍ لا يقبل الخطأ. • 4. الحبّ يولَد. أن تحبّ هو أن تستمتع برؤية ولمس والإحساس بكلّ ما أوتيت من إحساس وبكلّ حواسّك بشيءٍ مُحَبب والذي يبادلك الحبّ. • 5. تبدأ عمليّة التبلور الأولى. إذا كنت متأكداً من أنّ امرأةً تحبك، فسيكون من الممتع أن تنسب إليها كمّاً لا يُحصى من صفات الكمال وأن تعدّد نعمك بامتنانٍ لا متناهٍ. في آخر المطاف ستكون قد بالغت على نحوٍ جامح، فتعتبرها كشيءٍ نزل من السماء، ومجهولاً إلى حدّ الآن، ولكن المؤكد هو أنّها لك أنت. • دع عاشقاً مع أفكاره لأربع وعشرين ساعة، وهذا ما سيحصل: • في مناجم الملح في سالزبورغ، يقوم الناس في الشتاء برمي غصنٍ عديم الأوراق في أحد أماكن الحفريّات

الإطلاق)، فهذا يعني أنّه يوجد شيءٌ ناقصٌ أو عاديٌّ فينا. كلاّ، مهما كان الثمن فإنّ المحبوب يجب أن يُقَيَّم بأكثر ممّا يستحقّ ويُمَثَلَن، أقلّه من أجل تقديرنا لأنفسنا. علاوةً على ذلك، أن تكون قادراً على الحلم عن شخصٍ أنت على علاقة معه في عالمٍ قاسٍ ومليءٍ بخيبات الأمل، هو مصدر سرورٍ عظيم.

هذا يجعل مهمّة المغوي سهلة: الناس يستقتلون لكي يُمنَحوا الفرصة لكي يحلموا ويتخيّلوا *عنك*. لا تفسد هذه الفرصة الذهبيّة من خلال كشفك الزائد عن نفسك، أو من خلال أن تصبح مألوفاً وعاديّاً لدرجة أن يراك الهدف كما أنت بالضبط. ليس مطلوباً منك أن تكون ملاكاً أو مثالاً للفضيلة - فذلك سوف يكون مملاً بحقّ. يمكنك أن تكون خطيراً، شقيّاً، بل وحتّى سوقيّاً بعض الشيء، تبعاً لذوق ضحيّتك. لكن إيّاك أن تكون عاديّاً أو محدوداً. في الشعر (إذا وضعناه بمقابلة الحقيقة)، فإنّ كلّ شيءٍ ممكن.

بعد أن نقع تحت سحر شخص، فسرعان ما نبدأ بتشكيل صورةٍ في أذهاننا عمّن يكون وعن الملذّات والمباهج التي قد يقدّمها. عندما نفكّر فيه ونحن لوحدنا، فإنّنا نميل لأن نجعل هذه الصورة مثاليّةً أكثر فأكثر. الروائي ستندال، في كتابه *عن الحب*، يدعو هذه الظاهرة بـ«التبلور» بعد أن يخبرنا كيف اعتاد أهل سالزبورغ في النمسا على رمي غصنٍ عديم الأوراق في الأعماق المنسيّة لمنجم ملحٍ في عزّ الشتاء. عندما يُرفَعُ الغصن بعد عدّة أشهر، يكون مغطّى ببلّوراتٍ رائعة. هذا ما يحصل للمحبوب في أذهاننا.

تبعاً لستندال، على أيّة حال، يوجد نوعان من التبلور. الأوّل يحصل عندما نلتقي بالشخص لأوّل مرّة. النوع الثاني والأهم يحصل لاحقاً، عندما يتسلّل قليلٌ من الشك - أنت ترغب بالشخص الآخر، لكنّه يروغ منك، وأنت لست متأكّداً من أنّه لك. هذا القليل من الشك يكون حاسماً - فهو يجعل مخيّلتك تعمل بشكلٍ مضاعف، ويعمّق العمليّة المُضفية لمسحة الشعر. في القرن السابع عشر، حقّق الخليع العظيم دوق دي لوزان رغم الصعوبات واحداً من أكثر الإغواءات إذهالاً في التاريخ - ذلك الذي كانت ضحيّته المدموزيل العظمى، نسيبة الملك لويس الرابع عشر، والمرأة الأغنى والأكبر نفوذاً في كلّ فرنسا. داعب مخيّلتها من خلال عدّة لقاءاتٍ قصيرةٍ

المهجورة. ويسحبونه بعد شهرين أو ثلاثة بعد أن غُطي بترسّبات الكريستال اللمّاعة. أصغر أملودٍ (غصين)، والذي لا يكون أكبر من مخلبٍ مكسور، يكون مرصّعاً بكوكبةٍ من الألماسات المتلألئة. والغصن الأصليّ لا يعود ممكناً تمييزه. • ما دعوته بالتبلور هو عمليّة عقليّة تنشأ من كلّ ما يُحدِث أدلّةً جديدة على كمال المحبوب... • الرجل الواقع في الحبّ يرى أنّ كلّ صفات الكمال قد تجسّدت في مبعث حبّه، لكنّ انتباهه عرضةٌ للتشتّت بعد فترة من الزمن لأنّ المرء يملّ من أيّ شيءٍ على وتيرةٍ واحدة، حتّى لو كان سعادةً كاملة. هذا ما يحدث بعد ذلك ليثبت الانتباه: • 6. يتسلّل الشك... الرجل يُقابَل باللامبالاة، البرود، أو حتّى الغضب إذا بدا واثقاً أكثر من

في البلاط، سامحاً لها خلال ذلك بأن تلمح نظراتٍ خاطفة عن ذكائه، جرأته، سلوكه الهادئ (رابط الجأش). صارت تفكر به عندما كانت لوحدها. بعد ذلك أخذت تلتقي به صدفةً في البلاط بشكلٍ أكثر تكراراً، وكانا عندها يتبادلان أحاديث قصيرة أو يتمشّيان سويّةً. عندما كانت تنتهي هذه اللقاءات، كان يخامرها الشك: هل هو مهتمٌ بي أو ليس مهتمّاً بي؟ هذا جعلها ترغب برؤيته أكثر، لتهدّئ من حدّة شكوكها. بدأت بمثلنته بشكلٍ لا يتناسب أبداً مع الواقع (أكبر منه)، إذ أنّ الدوق كان وغداً لا سبيل إلى إصلاحه.

تذكّر: إذا كان الحصول عليك أمراً سهلاً، فمن المستبعد أن تكون مساوياً للكثير (ذا قيمة كبيرة). من الصعب صياغة الشعر عن شخصٍ يُطرح بهذا الرخص. إذا أوضحت، بعد الاهتمام المبدئي، أنّه لا يمكن التعامل معك كأمرٍ مسلّم به، أو إذا أثرت قليلاً من الشك، فسوف يتخيّل الهدف أنّه يوجد لديك شيءٌ خاصّ ورفيع وصعب المنال. ستتبلور صورتك في ذهن الشخص الآخر.

علمت كليوباترة بأنّها حقيقةً لم تكن مختلفةً عن أيّ امرأةٍ أخرى، وأنّ وجهها بشكلٍ خاصّ لم يكن جميلاً. لكنّها كانت تعرف أنّ الرجال لديهم ميلٌ لتقدير المرأة بأكثر ممّا تستحقّ. كل المطلوب لجعلهم يقرنونك بشيءٍ مهيب أو شاعريّ هو أن تلمّح إلى أنَّ هنالك شيئاً مختلفاً فيك. جعلت قيصر مدركاً لصلتها بملوك وملكات ماضي مصر العظام؛ مع أنتوني، خلقت الوهم بأنّها تتحدّر من أفروديت نفسها. هؤلاء الرجال كانوا يلهون ويمرحون ليس مع مجرّد امرأةٍ قويّة الإرادة وإنّما مع نوعٍ من الإلهة. من الصعب تحقيق هكذا اقترانات في عصرنا الراهن، لكنّ الناس لا يزالون يستمتعون بشكلٍ بالغ من خلال قرن الآخرين بنوعٍ من شخوص (رموز) أحلام الطفولة. قدّم جون إف كينيدي نفسه كرمزٍ للفروسيّة ـ نبيل، شجاع، ساحر. بابلو بيكاسو لم يكن مجرّد رسّام عظيم ذي تعطّشٍ للفتيات اليافعات، بل كان وحش المينوطور من الأسطورة الإغريقيّة (المينوطور هو وحشٌ ذو رأس ثور وجسد إنسان كان يقتات على الأضحيات البشريّة وخاصّةً الفتيات الصغيرات: المترجم)، أو رمزاً للمخادع الشيطاني المغوي للنساء بشكلٍ كبير. هذه الارتباطات أو الاقترانات لا يجب أن تُعمَل أبكر

اللازم... يصبح العاشق أقلّ تأكداً من الحظ الطيّب الذي كان يستبقه ويخضع الأسباب التي دفعته إلى الأمل إلى تمحيصٍ شديد. • يحاول أن يستعيد الأمل من خلال الإنخراط في متع أخرى لكنّه يجدها بلا طائل. يستولي عليه رعبٌ من فاجعةٍ مروّعة فيركّز الآن بشكلٍ كامل. وهكذا يبدأ: • 7. التبلور الثاني، الذي يرسّب طبقات الإثبات الألماسيّة بأنّها «تحبني.» • كلّ بضع دقائق طوال الليل الذي يتبع ولادة الشك، فإنّ العاشق تنتابه لحظةٌ من الهواجس المفزعة، وبعدها يطمئن نفسه «إنّها تحبني»؛ ويبدأ التبلور بإظهار مفاتن جديدة. بعدئذٍ فإنّ عين الشك الثاقبة كعين الصقر تخترقه مجدّداً فيقف مشلولاً. ينسى أن يلتقط أنفاسه ويدمدم، «لكن هل تحبني؟» ممزّقاً ما بين

من اللازم؛ فهي فعّالة وقويّة فقط عندما يبدأ الهدف بالوقوع تحت سحرك، ويكون قابلاً للإيحاء. كان الرجل الذي يلتقى لتوّه بكليوباترة يجد أنّ الاقتران بأفروديت أمرٌ مثيرٌ للضحك والسخرية. لكن الشخص الذي يقع في الحبّ أو يكون في طريقه لهذا سوف يصدّق أي شيء تقريباً. تكمن اللعبة أو الخدعة في أن تربط صورتك بشيءٍ أسطوريّ، من خلال الملابس التي ترتديها، الأشياء التي تقولها، الأماكن التي تذهب إليها.

في رواية *تذكّر الأشياء الماضية*، لمارسيل براوست، يجد سوان (أحد شخصيّات الرواية) نفسه يُغوى بشكلٍ تدريجي من قبل امرأة هي ليست حقّاً من النمط الذي يعجبه. هو محبّ للجمال، ويحبّ الأشياء المترفة والمرهفة في الحياة. أمّا هي فمن طبقة أدنى، أقلّ تشذيباً، بل وحتّى قليلة الذوق بعض الشيء. ما يضفي عليها مسحةً شاعريّة في ذهنه هو سلسلة من اللحظات المليئة بالحماسة والمرح والتي يتشاركانها سويّةً، لحظاتٌ صار يربطها بهذه المرأة من ذلك الحين فصاعداً. واحدة من هذه اللحظات تكون عندما يرتادان حفلةً في صالون، حيث يسحر كيانه مقطعٌ (عبارة) صغير يسمعه في مقطوعة سوناتا. فيتذكّر هذا المقطع الصغير كلّما فكّر بها. الهدايا الصغيرة التي أهدته إيّاها، الأشياء التي لمست أو ناولت، بدأت باتّخاذ حياةٍ خاصّةٍ بها. أيّ نوعٍ من التجربة العميقة والمركّزة، أكانت فنيّة أم روحيّة، تبقى في الذهن أكثر بكثير ممّا تبقى التجربة العاديّة. عليك أن تجد طريقةً لتشاطر لحظاتٍ كهذه مع أهدافك ـ حفلة، مسرحيّة، حادثة ذات مغزى روحي، أيّ شيءٍ يقتضيه الأمر ـ وذلك كي يقرنوا بك أشياء متسامية. لحظات الحيويّة والمرح المُتشاركة تتمتّع بجاذبٍ إغوائيٍّ هائل. أيضاً، فإنّ أيّ نوعٍ من الأشياء يمكن أن يُشَرّب برنينٍ شاعريّ وارتباطاتٍ عاطفيّة، كما وُضّح في الفصل السابق. الهدايا التي تهديها والأشياء الأخرى يمكنها أن تصبح مصطبغةً بحضورك؛ وإذا كانت مرتبطةً بذكرياتٍ سارّة، فإنّ رؤيتها ستبقيك في الذهن وتسرّع عمليّة إضفاء البعد الشاعري.

بالرّغم من أنّه قيل أنّ الغياب يزيد القلب ولوعاً، فإنّ الغياب المبكّر أكثر من اللزوم يَثبتُ أنّه مهلكٌ لعمليّة التبلور. على غرار إيڤا بيرون، عليك أن تحيط أهدافك باهتمامٍ مركّز، وبالتالي فإنّ عقولهم في تلك اللحظات الحاسمة التي يكونون فيها لوحدهم ستدور بنوعٍ من الشعور الجميل الذي

الشك والسرور، فإنّ العاشق المسكين يقنع نفسه بأنّه يمكنها أن تمنحه لذّةً لا يمكنه أن يجدها في أيّ مكانٍ آخر على وجه الأرض.

ـ ستندال، *الحبّ*، ترجمة جيلبرت وسوزان سايل

الوقوع في الحبّ يتّجه تلقائيًا نحو الجنون. إذا تُرِك وشأنه فسيذهب إلى أقصى درجات الحدود. هذا الشيء معروفٌ جيداً من قبل «الفاتحين» من كلا الجنسين. ما إن يصبح انتباه المرأة منصبّاً على رجلٍ، حتّى يصبح من السهل عليه جدّاً أن يهيمن على أفكارها بالكامل. كلّ ما هو مطلوب هو لعبةٌ بسيطة من المناوبة ما بين الحرارة والبرودة، المراعاة والازدراء، الحضور والغياب. إيقاع تلك التقنية يفعل فعله على اهتمام المرأة كحفّارةٍ وينتهي به المطاف بإفراغها من سائر الناس والأشياء. كم أحسن الناس في صياغتهم

يبقى بعد انقضاء تجربةٍ جميلة. إفعل كلّ ما بوسعك كي يظلّ الهدف يفكّر بك. الرسائل، التذكارات، اللقاءات غير المتوقّعة - كلّها تعطيك حضوراً كليّاً. كل شيء يجب أن يذكّرهم بك.

أخيراً، إذا كان ينبغي لأهدافك أن تراك على أنّك سام وشاعري، فهناك الكثير ممّا يمكن كسبه من خلال جعلهم يشعرون بأنّهم سامون وشاعريّون بدورهم. الكاتب الفرنسي شاتوبريان كان يجعل المرأة تشعر كما لو كانت آلهة، وأنّها تتمتّع بتأثيرٍ كبيرٍ عليه. كان يرسل لها أشعاراً يُفترَض بها أنّها من إلهامها له. لكي يجعل الملكة ڤيكتوريا تشعر كما لو كانت امرأةً مغوية وقائدةً عظيمة، كان بنجامين دزرائيللي يقارنها بالرموز الأسطوريّة والأسلاف العظام، من أمثال الملكة إليزابيث الأولى. من خلال مثلنة أهدافك (إسباغ الصفات المثاليّة عليهم) بهذا الشكل، سوف تجعلهم يضفون عليك بدورهم صفاتٍ مثاليّة، نظراً لأنّه لا بدّ وأن تكون عظيماً بصورة مكافئة لكي يمكنك أن تقدّر وترى كل خصائصهم النبيلة. سوف يصبحون مدمنين بالتدريج على الشعور السامي الذي تمنحهم.

هذه: «يمتص حواس المرء»! في الواقع: فإنّ المرء يُمتَص - يُمتَص من قبل شيء! معظم «علاقات الحبّ» تُختَزَل إلى هذه اللعبة الميكانيكية التي يمارسها المعشوق على انتباه واهتمام العاشق. • الشيء الوحيد الذي يمكنه أن ينقذ العاشق هو صدمةٌ عنيفة من الخارج، معالجةٌ تُفرَض عليه فرضاً. يعتقد العديدون بأنّ الغياب والرحلات الطويلة هي علاجٌ ناجعٌ للعاشقين. لاحظ أنّ هذه هي علاجاتٌ لانتباه الشخص واهتمامه. البعد عن المحبوب يميت الاهتمام به جوعاً؛ ويمنع أيّ شيءٍ من الإمعان في إعادة إشعال الاهتمام. الرحلات، من خلال إجبارنا على الخروج من أنفسنا وحلّ المئات من المشاكل الصغيرة، ومن خلال انتزاعنا من البيئة المعتادة وفرض المئات من الأشياء غير المتوقّعة علينا، تنجح في تحطيم ملاذ الممسوس وفتح أقنية

الرمز: الهالة. بالتدريج، عندما يكون الهدف لوحده، سوف يبدأ أو تبدأ بتخيّل نوع من الوهج الخافت حول رأسك، والمُشَكَّل من كلّ المسرّات الممكنة التي قد تقدّمها، وإشعاع حضورك المشحون، وخصائصك النبيلة. الهالة سوف تميّزك عن الناس الآخرين. لا تجعلها تختفي من خلال تحوّلك لشيءٍ مألوفٍ وعاديّ.

في إدراكه المسدود، والتي يدخل من خلالها الهواء النظيف والمنظور السليم.

ـ خوسيه أورتيجا واي جازيت، عن الحب: ملامح عن موضوع واحد، ترجمة توبي تالبو

يمكن للأنفة الزائدة أن تخرب التبلور. فتاةٌ في السادسة عشر من عمرها كان يزداد ولوعها بشكلٍ شديد بشابٍّ من نفس العمر، والذي جعل من المرور تحت شبّاكها كلّ ليلةٍ عند المغيب عادةً له. دعته أمّها ليمضي أسبوعاً معهما في الريف. أنا أقر بأنّ هذا كان علاجاً جريئاً، لكن الفتاة كانت ذات نزعة رومانسيّة، والشاب غبيّ تافه؛ احتقرته خلال ثلاثة أيّام.

ـ ستندال، الحب، ترجمة جيلبرت وسوزان ساين

الانقلاب

قد يبدو أنّ التكتيك المعاكس هو أن تكشف كلّ شيءٍ عن نفسك، وأن تكون صريحاً وصادقاً بالكامل فيما يتعلّق بسيّئاتك وحسناتك. هذا النوع من الصدق والصراحة كان خاصيّةً امتاز بها اللورد بايرون ـ كان تقريباً يستخرج رعشةً وإثارةً من خلال الإفصاح عن كلّ صفاته القبيحة والمقرفة، بل ومضى إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، وذلك في آخر حياته، كأن يخبر الناس عن علاقة السِّفاح التي جمعته بأخته غير الشقيقة. هذا النوع من الحميميّة الخطرة يمكنه أن يكون مغوياً بشكلٍ هائل. سوف يضفي الهدف بعداً شاعريّاً على عيوبك وعلى صدقك وصراحتك إزاءها؛ سوف يبدؤون برؤية أكثر ممّا يوجد. بعبارةٍ أخرى فإنّ عمليّة المثلنة لا مفرّ منها. الشيء الوحيد الذي لا يُمكن أن يُمَثْلَن هو التوَسّط (عدم التميّز، سلباً كان أم إيجاباً)، لكن لا يوجد شيءٌ مغوٍ حيال التوسّط. لا يوجد وسيلةٌ ممكنةٌ للإغواء دون خلق نوعٍ من الفانتازيا والصبغة الشاعريّة.

13

جرّد من السلاح من خلال الضعف والهشاشيّة الاستراتيجيّين

كثيرٌ من المناورة من قبلك قد
يبعث الشكوك. أفضل طريقة لتُغطّي
آثارك ومسالكك هي أن تجعل الشخص الآخر
يحس بأنّه الأقوى والأرفع منزلةً. إذا بدوت ضعيفاً وهشّاً
ومسحوراً بالشخص الآخر وغيرَ قادرٍ على أن تتحكّم بنفسك،
فإنّك ستجعل تَصرّفاتك تبدو أكثر طبيعيّةً وأقل تدبيراً وتكلّفاً.
الضعف الجسماني ـ الدموع، الخجل والشحوب ـ سوف تساعد
على خلق الأثر. لكي تُمعِن في كسب الثقة، استبدل بالفضيلة
الصراحة: أتبِس «صراحتك» الخاصّة من خلال الاعتراف بذنبٍ ما من
ناحيتك ـ ليس بالضرورة أن يكون حقيقيّاً. الصراحة أكثر أهميّةً من
الصلاح. العب دور الضحية، ثمّ حوّل عطف الهدف إلى حب.

سياسة الضحيّة

في ذلك الآب (الشهر) القائظ من ثمانينات العقد الثامن عشر، عندما كانت المدام دي تورڤيل تزور القصر الريفي الخاصّ بصديقتها القديمة المدام دي روزيموند، تاركةً زوجها في البيت، فإنّها كانت تتوقّع أن تستمتع وحدها (أي دون رفقة إضافيّة) بالهدوء والسكينة المميّزين للحياة الريفيّة. لكنّها كانت تحبّ المسرّات البسيطة، وسرعان ما اتّخذت حياتها اليوميّة في القصر نمطاً مريحاً ـ القدّاس اليومي، نزهات في أحضان الطبيعة، أعمال خيريّة في القرى المجاورة، ألعاب ورق في المساء. فقط عندما وصل ابن أخ المدام ديروزيموند بقصد الزيارة صارت تشعر بعدم الارتياح ـ لكن أيضاً بالفضول.

الضعفاء لديهم بالفعل نفوذٌ علينا. أنا أستطيع أن أستغني عن الواثقين والأقوياء. أنا ضعيفة ومتردّدة بالفطرة، والمرأة التي تكون هادئة ومنكفئة وتتبع طلبات الرجل ولو إلى درجة ترك نفسها تُستَغلّ، يكون لديها جاذبيّة أكبر بكثير. يستطيع الرجل أن يشكلها ويصوغها كما يحلو له، ويصبح أكثر ولعاً بها على طول المدى.

ـ موراساكي شيكيبو، حكاية جنجي، ترجمة إدوارد جي. سايدنستيكر

ابن الأخ، الڤيكونت دي ڤالمون كان الخليع الأشهر في كل باريس. كان وسيماً بلا ريب، لكنّه لم يكن كما توقّعت: فقد بدا حزيناً، مُضطَّهَداً بعض الشيء، والأغرب على الإطلاق، أنّه بالكاد أعارها أيّة انتباه. المدام لم تكن مغناجاً؛ فقد كانت ترتدي ببساطة، ولا تكترث بالموضة، وتحبّ زوجها. ومع ذلك، فقد كانت لا تزال شابّةً وجميلةً، ومعتادةً على صدّ الرجال المعجبين وصون نفسها منهم. شعرت بقليلٍ من الانزعاج في قرارة نفسها كونه لم يلاحظها. بعدئذٍ، ذات يومٍ في القدّاس، لمحت ڤالمون وهو مستغرقٌ ظاهريّاً في الصلاة. الفكرة التي خطرت ببالها أنّه كان في خضمّ فترةٍ من البحث عن الذات.

ما إن تسرّبت الأنباء بأنّ ڤالمون كان في القصر، حتّى تلقّت المدام رسالةً من صديقةٍ لها تحذّرها فيها من هذا الرجل الخطير. لكنّها حسبت

نفسها آخر امرأةٍ في العالم من شأنها أن تكون عرضةً لإغوائه. عدا عن ذلك فقد بدا على شفا التوبة عن ماضيه الشرير؛ لعلّها كان بإمكانها مساعدته على التحرّك في هذا الاتّجاه. كم سيكون هذا انتصاراً عظيماً للّه. لذا صارت المدام تراقب غدواته وروحاته، كي تحاول أن تفهم ماذا كان يجول في رأسه. لقد كان من الغريب، على سبيل المثال، أنّه كان غالباً ما يغادر في الصباح بقصد الصيد، ومع ذلك لا يعود بأيّ صيدٍ أبداً. ذات يوم، قرّرت أن تجعل خادمها يقوم ببعض التجسّس الحميد، وذُهِلَت وسُرَّت بمعرفتها أنّ ڤالمون لم يذهب إلى الصيد على الإطلاق؛ وإنّما زار قريةً محليّة، حيث تصدّق بالمال لعائلةٍ فقيرة كانت على وشك أن تُطرَد من مسكنها. نعم، لقد كانت محقّةً، إنّ روحه مشبوبة العاطفة كانت تتحرّك من الشهوانيّة إلى الفضيلة. كم جعلها ذلك تشعر بالسعادة.

ذلك المساء، وجد ڤالمون والمدام نفسيهما لوحدهما للمرّة الأولى، حيث صرخ ڤالمون فجأةً باعترافٍ مدوٍّ. لقد كان غارقاً حتّى أذنيه في حبّ المدام، وكان هذا الحبّ من نوعٍ لم يعهده من قبل: فضيلتها، طيبتها، جمالها، أساليبها الرقيقة كانت قد غمرته بشكلٍ تامّ. كرمه مع العائلة الفقيرة في ذلك العصر كان من أجلها ـ لعلّه مُلهَمٌ منها، أو لعلّه شيءٌ شرّير: كأن يكون القصد منه إثارة إعجابها. لم يكن أبداً ليعترف بهذا، لكنّه وجد نفسه وحيداً معها، فلم يستطع التحكّم بعواطفه. بعد ذلك ركع على ركبتيه وتوسّل إليها أن تساعده، وأن تهديه في شقائه.

أُخِذَت المدام على حين غرّة، وبدأت بالبكاء. هربت من الغرفة كونها شعرت بالحرج الشديد، وتظاهرت في الأيّام القليلة التي تلت بالمرض. لم تعلم كيف تكون ردّة فعلها إزاء الرسائل التي بدأ ڤالمون بإرسالها لها، والتي رجاها فيها أن تسامحه. أشاد بوجهها الجميل ومجّد روحها الجميلة، وادّعى أنّها جعلته يعيد النظر والتفكير في كلّ حياته. أثارت هذه الرسائل المشبوبة العاطفة مشاعر مقلقة، وهنّأت تورڤيل نفسها على هدوئها وحصافتها. علمت أنّه ينبغي لها أن تصرّ على أن يغادر القصر، وكتبت له بهذا الخصوص؛ وافق بتردّد، لكن بشرطٍ واحد ـ أن تسمح له بأن يرسل لها

هيرا، ابنة كرونوس وريا، كونها وُلِدَت على جزيرة ساموس أو، كما يقول البعض، على أرغوس، أُنشِئَت في أركاديا من قبل تيمينيوس، ابن بيلاجوس. كانت الفصول الأربعة ممرّضاتها. بعد أن تخلّص من والدهما كرونوس، فإنّ شقيقها التوأم زيوس سعى وراءها في كنوسوس في كريت أو، كما يقول البعض، على جبل ثورناكس (الآن يُعرَف باسم جبل الوقواق) في أرجوليس حيث تودّد إليها، بشكلٍ غير ناجح في البداية. لم تأخذها به شفقةٌ إلّا عندما اتّخذ هيئة وقواقٍ متّسخ بالوحل فدفّأته بين ثدييها بحنان. هناك استردّ رأساً هيئته الحقيقيّة واغتصبها، لذا تزوّجته غسلاً للعار.

ـ روبرت جرايفز، الأساطير الأغريقيّة

في استراتيجيّة

الرسائل من باريس. وافقت، ما دامت الرسائل غير مزعجة. عندما أخبر المدام دي روزيموند بأنّه سيغادر، شعرت المدام بوخزةٍ من الذنب: فمضيفته وعمّته سوف تفتقده، وبدا شاحباً للغاية. من الواضح أنّه كان يعاني.

الآن بدأت رسائل ڤالمون بالوصول، وسرعان ما ندمت دي تورڤيل على سماحه له بهذا الامتياز أو الاجتراء. تجاهل طلبها بأن يتفادى موضوع الحبّ ـ بالفعل لقد أخذ على نفسه عهداً بأن يحبّها إلى الأبد. وبّخها على برودتها وقلّة إحساسها. شرح له مساره السيّئ في الحياة ـ لم يكن ذنبه، إذ كان فاقداً للاتّجاه، وضُلِّل من قبل الآخرين. من دون مساعدتها سوف يرجع إلى ذلك العالم. قال لها، «لا تكوني قاسيةً *فأنت من أغواني.*» أنا عبدك، ضحيّة مفاتنك وطيبتك؛ بما أنّك قويّة، ولا تشعرين كما أشعر، فلا يوجد لديك شيءٌ لتخافي منه. بالفعل صارت المدام دي تورڤيل تشفق على ڤالمون ـ بدا غايةً في الضعف وعدم القدرة على التحكّم. كيف يمكنها أن تساعده؟ ولماذا كانت أصلاً تفكّر فيه، الأمر الذي صارت تفعله أكثر فأكثر؟ لقد كانت امرأةً سعيدةً بزواجها. كلاّ، عليها على الأقلّ أن تضع حدّاً لتبادل الرسائل المتعب هذا. كتبت له بأن يكفّ عن الحديث عن الحب وإلاّ فلن تردّ. توقّفت رسائله عن القدوم. شعرت بالراحة. وأخيراً قليلٌ من السلام والهدوء.

لكن ذات مساء بينما كانت تجلس على طاولة عشاء، سمعت فجأةً صوت ڤالمون من خلفها وهو يخاطب المدام دي روزيموند. قال أنّه قرّر بشكلٍ تلقائي ودون تخطيط أن يرجع من أجل زيارةٍ قصيرة. شعرت برعشةٍ سرت في كلّ عمودها الفقري، واحمرّ وجهها؛ اقترب منها وجلس بجانبها. نظر إليها، فأشاحت بوجهها، وسرعان ما استأذنت بالانصراف عن الطاولة وذهبت إلى غرفتها. لكنّها لم تستطع أن تتجنّبه بالكامل خلال الأيّام القليلة التي تلت، ورأت أنّه قد صار أكثر شحوباً من أيّ وقتٍ مضى. بدا مهذّباً، وكان اليوم ينقضي بأكمله دون أن تراه، لكن تأثير هذه الغيابات الموجزة كان سيفاً ذا حدّين: الآن أدركت المدام ما كان يحصل. اشتاقت له، أرادت أن تراه. نموذج الفضيلة والشرف هذا كان قد وقع بطريقةٍ ما في حبّ خليعٍ

للإغواء فإنّ زيداً يستدرج عمراً نحو منطقة ضعف زيد، والتي هي أيضاً نقطة ضعف عمر. أكان ضعفاً محسوباً أم ضعفاً لا يمكن التنبؤ به: فالواحد يتحدّى الآخر في الدخول... • *أن تغوي هو أن تظهر بمظهر الضعيف. أن تغوي هو أن تُضعِف. نحن نغوي بضعفنا، وليس أبداً بإمارات القوّة أو النفوذ. في الإغواء فإنّنا نمثّل هذا الضعف، وهذا ما يعطي الإغواء قوّته.* • *نحن نضعف بفنائنا بهشاشتنا، وبالفراغ الذي ينتابنا. السر هو أن تعرف كيف تلعب بالموت في غياب التحديقة أو الإيماءة، في غياب المعرفة أو المعنى.* • *يخبرنا التحليل النفسي بأن نعتنق هشاشتنا وسلبيّتنا، ولكن بعد أن نحوّلهما إلى شكلٍ من التسليم والقبول بمعنى دينيّ تقريباً وذلك بقصد تعزيز توازنٍ نفسيّ متّسمٍ*

لا سبيل إلى إصلاحه. اشمأزّت من نفسها وممّا سمحت بحصوله، فغادرت القصر الريفي في منتصف الليل دون أن تخبر أحداً، وتوجّهت إلى باريس حيث خطّطت أن تتخلّص من هذا الإثم الشنيع بطريقةٍ ما.

التفسير. شخصيّة ڤالمون في رواية الكاتب شوديرلو دي لاكلو *علاقات سرّية خطرة* المكتوبة على شكل رسائل، مستمدّة من قصص عدّة خليعين كبار من الحياة الواقعيّة في فرنسا القرن الثامن عشر. كلّ شيءٍ يقوم به ڤالمون يكون محسوباً من أجل تحقيق أثرٍ بعينه ـ الحركات الملتبسة التي تجعل تورڤيل فضوليّةً بشأنه، عمل الإحسان الذي قام به في القرية (علم أنّه كان يُلاحَق)، زيارة العودة إلى القصر، شحوب وجهه (كان على علاقةٍ مع فتاةٍ من القصر، وكانت احتفالاتهم المعربدة التي تمتد بطول الليل تعطيه هذا المظهر المرهق). لكن التكتيك الأبرز والأكثر إثارةً للإعجاب على الإطلاق كان وضع نفسه في خانة الضعيف، المَغويّ، الضحيّة. كيف يمكن للمدام أن تتخيّل أنّه يتلاعب بها بينما كلّ شيءٍ يوحي بأنّه ببساطة مرتبكٌ إزاء جمالها، أكان جمالها الجسدي أم الروحي؟ لا يمكنه أن يكون مخادعاً عندما يحرص بشكلٍ متكرّر على الاعتراف «بالحقيقة» عن نفسه: يعترف بأنّ هنالك إشارة استفهام حول الدافع لإحسانه، ويشرح لماذا كان قد ضلّ وانحرف، ويدعها تلج إلى قلب مشاعره. (كل هذه «الصراحة» هي بالطبع محسوبة ومدبّرة.) في الجوهر هو مثل امرأة، أو على الأقل مثل امرأةٍ من تلك الأيّام ـ عاطفي، غير قادرٍ على التحكّم بنفسه، متقلّب المزاج، غير آمن. هي من يتّصف بالبرود والقسوة، أي مثل الرجل. من خلال وضع نفسه في موقع الضحيّة لتورڤيل، فإنّ ڤالمون لا ينجح وحسب في إخفاء تلاعباته ولكنّه أيضاً يثير الشفقة والقلق. من خلال لعب دور الضحيّة يستطيع أن يثير المشاعر الحنونة التي تتولّد إزاء طفلٍ مريض أو حيوانٍ جريح. وهذه المشاعر يمكن أن تسلك بسهولة طريق الحبّ ـ كما تكتشف المدام لسوء حظّها.

الإغواء هو لعبة تخفيضٍ للارتياب والمقاومة. أذكى طريقة لفعل هذا تكون من خلال جعل الشخص الآخر يشعر بأنّه الأقوى، وأنّه أكثر إمساكاً بزمام السيطرة على الأشياء. الارتياب والشك ينبعان عادةً من قلّة الشعور

بالاعتدال. الإغواء، بالمقارنة، يتلاعب بشكلٍ منتصرٍ بالضعف، جاعلاً منه لعبةً، لها قوانينها الخاصّة.

ـ جان بودريلار، *الإغواء*، ترجمة براين سينغر

يقول المثل الأمريكي القديم أنّه إذا أردت أن تخدع شخصاً ما، فعليك أولاً أن تحمله على الثقة بك، أو على الأقل تُشعِره بالتفوّق عليك (هاتان الفكرتان مرتبطتان)، فتحمله بذلك على تخفيض دفاعاته. يفتسر المثل الشيء الكثير عن الإعلانات المتلفزة. إذا افترضنا بأنّ الناس ليسوا أغبياء، فلا بدّ أنّهم سيتفاعلون مع الإعلانات المتلفزة بشعورٍ من التفوّق والذي سيخوّلهم الاعتقاد بأنّهم ممسكون بزمام السيطرة. ما دام هذا الشعور بالقدرة على الإختيار موجوداً، فلن يكون لديهم

بالأمان؛ إذا كانت أهدافك تشعر بالتفوّق والأمان في حضورك، فمن المستبعد أن يشكّكوا في دوافعك. أنت أضعف بكثير وأكثر عاطفيّةً بكثير من أن يستجدّ عندك شيء. امضِ في هذه اللعبة إلى أبعد حدّ. تباهى بعواطفك وبمدى عمق تأثيرها عليك. أن تجعل الناس يستشعرون النفوذ الذي يحوزونه عليك هو شيءٌ مُطرٍ بشكلٍ هائل. اعترف لهم بأمرٍ سيّء، أو حتّى بشيءٍ سيّءٍ كنت قد ارتكبته، أو فعلٍ تعتزم تنفيذه. الصراحة أكثر أهميّةً من الفضيلة، وبادرة صراحةٍ وصدقٍ واحدة سوف تعميهم عن كثير من الأفعال المخادعة. إخلق انطباعاً بالضعف ـ جسدي، فكري، عاطفي. القوّةُ والثقة بإمكانهما أن تكونا مخيفتين. إجعل من ضعفك ملاذاً، والعب دور الضحيّة ـ ضحيّة سطوتهم عليك، ضحيّة الظروف، ضحيّة الحياة بشكلٍ عامّ. هذه أفضل طريقة لتغطية مناوراتك.

أنت تعلمين، الرجل لا يساوي شيئاً إذا كان لا يستطيع البكاء في الوقت المناسب.

ـ ليندون باينس جونسون.

المفاتيح للإغواء

جميعنا نعاني من نقاط ضعفٍ وحساسيّة وهشاشة في بنيتنا العقليّة. لعلّنا خجولون أو مفرطو الحساسيّة، أو نحتاج للانتباه ـ أيّاً يكن ذلك الضعف، فإنّه شيءٌ لا نستطيع التحكّم به. قد نحاول أن نعوّض عنه، أو نخفيه، لكن هذا غالباً ما يكون خطأً: فالناس يحسّون أنّ هنالك شيئاً غيرَ أصيلٍ أو غير طبيعيّ. تذكّر: ما هو طبيعيٌّ في شخصك يكون مغوياً بشكلٍ متأصّلٍ وفطريّ. حساسيّة الشخص وهشاشته، ما يبدو أنّه غير قادرٍ على التحكّم به، غالباً ما يكون أكثر شيءٍ مغوياً حياله. الناس الذين لا يظهرون أيّة نقطة ضعفٍ، من ناحيةٍ أخرى، غالباً ما يثيرون الحسد، الخوف، والغضب - نحن نريد أن ندمّرهم لننال منهم فقط ونتنزل من شأنهم.

شيءٌ ليخافوه من الإعلانات على المستوى الواعي. الناس عرضةٌ للثقة بأيّ شيءٍ يعتقدون بأنّ لديهم سيطرةٌ عليه... • الإعلانات المتلفزة تظهر على أنّها سخيفة، خرقاء، وغير مجدية فيما يتعلّق بالقصد منها. هي صُمّمت لتبدو بهذه الطريقة في المستوى الواعي من أجل أن تُستَسخَف وتُرفَض بشكلٍ واعٍ... معظم رجال الإعلانات سيؤكّدون وعبر السنين أنّ الإعلانات التي تبدو على أنّها الأسوأ قد حقّقت أعلى المبيعات. الإعلان المتلفز الفعّال مصمّم خصّيصاً بحيث يهين الذكاء الواعي للمشاهد، وبذلك يخترق دفاعاته.

ـ ويلسون برايان كي، *الإغواء الدوَعيي*

استخدام الحياء يتطلّب فنّاً عظيماً، لكنّ الشخص يحقّق

لا تناضل ضد نقاط هشاشتك وحساسيّتك، أو تحاول قمعها، وإنّما فعّلها. تعلّم أن تحوّلها إلى قوّة. يجب أن تكون اللعبة خفيّة وحاذقة: إذا تمرّغت بضعفك، مددت يدك (كمن يتسوّل)، فسوف يُنظَر لك على أنّك تحتال للحصول على التعاطف، أو، ما هو أسوأ، أنّك مثيرٌ للشفقة. كلاّ، ما يفعل مفعوله على أكمل وجه هو أن تسمح للناس بأن يلمحوا بين الحين والآخر الجانب الهش والناعم من شخصيتك، وعادةً فقط بعد أن يكونوا قد عرفوك لفترة من الزمن. تلك اللمحة سوف تُؤَنسِنُك، تقلّل من ارتيابهم، وتمهّد الطريق لارتباطٍ أعمق. بالشكل العادي، أنت قويٌّ وممسكٌ بزمام التحكّم، وفي لحظات معيّنة تتخلّى عن هذا الزمام، فتركن لضعفك وتدعهم يرونه.

استخدم ڤالمون ضعفه بهذه الطريقة. كان قد خسر براءته منذ زمنٍ طويل، ومع ذلك، فإنّ الحسرة إزاء هذا الفقدان كانت تعتمل في مكانٍ ما بداخله. كان حسّاساً وسريع التأثّر إزاء الشخص البريء بحقّ. إغواؤه للمدام كان ناجحاً لأنّه لم يكن محض تمثيلٍ أو افتعال؛ كان هنالك ضعفٌ أصيلٌ من جانبه، الأمر الذي سمح له بأن يبكي في بعض الأوقات. سمح للمدام برؤية هذا الجانب فيه في لحظاتٍ حاسمة، وذلك لكي يكسب المدام إلى صفّه ويجعلها أقلّ ارتياباً. على غرار ڤالمون، تستطيع أن تكون ممثّلاً ومخلصاً (صادقاً) في الوقت نفسه. على فرض أنّك خجولٌ بشكلٍ أصيلٍ وحقيقيّ - فيمكن لك في لحظاتٍ معيّنة أن تمنح خجلك بعض الوزن (تؤكّد عليه)، وأن تمارسه بوفرة بعض الشيء. ينبغي أن يكون من السهل عليك تزيين خاصّيةٍ تتمتّع بها أصلاً.

من ورائه الكثير. كم من مرّةٍ استخدمت فيها الحياء لأحتال على آنسةٍ صغيرة! عادةً فإنّ الفتيات اليافعات يتحدّثن بقسوةٍ بالغة عن الرجال الخجولين، لكنّهم يحببنهم سرّاً. فقليلٌ من الخجل يداعب غرور الفتاة المراهقة، ويجعلها تشعر بالتفوّق؛ إنّه عربونها. عندما يُهدهَدن إلى النوم، عندئذٍ تماماً يعتقدن أنّك على وشك أن تموت من الخجل، فتريهن أنّك أبعد ما يكون عن ذلك لدرجة أنّك معتمدٌ على نفسك تماماً. الحياء يجعل الرجل يفقد دلالته الذكوريّة، ولذلك فإنّه وسيلةٌ جيّدةٌ نسبيّاً لتحييد العلاقة الجنسيّة.

- سورين كيركيجارد، *يوميّات مغوي*، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا إتش. هونغ

بعد أن نشر اللورد بايرون أوّل مجموعةٍ شعريةٍ مهمّة له، في عام 1812، أصبح شخصيّةً مشهورة بين ليلةٍ وضحاها. عدا عن كونه كاتباً موهوباً - فقد كان أيضاً وسيماً، بل وحتّى رائع الجمال، وكان متأمِّلاً ومُلَغَّزاً بقدر الشخصيّات التي يكتب عنها. جُنّ جنون النساء عليه. اشتُهِر «بنظرته التحتيّة» التي كان يقوم بها بواسطة إخفاض رأسه قليلاً ومن ثمّ النظر إلى الأعلى نحو المرأة بطريقة خاطفة، فيجعلها ترتجف. لكن كان لدى بايرون

يوجد أيضاً شكلٌ

مواصفاتٌ أخرى: عندما كنت تلتقي به لأوّل مرّة، لم يكن يسعك إلّا وأن تلاحظ حركاته القلقة والمتململة، وثيابه غير المتناسقة، خجله الغريب، وعرجه الواضح. هذا الرجل الذائع الصيت، والذي هزء بكل الأعراف والتقاليد وبدا خطراً للغاية، كان يفتقد للشعور بالأمان على المستوى الشخصي وكان هشّاً.

في شعر بايرون *الدون جوان*، البطل هو عبارة عن رجلٍ مطارَدٍ من قبل النساء باستمرار أكثر ممّا هو مغوي لهنّ. الشعر كان سيرةً ذاتيّة لمؤلّفه: أرادت النسوة أن يتولّين العناية بهذا الرجل الهش والرقيق بعض الشيء، والذي بدا أنّه لا يتمتّع إلّا بقليلٍ من السيطرة على عواطفه. بعد أكثر من قرن، أصبح جون كينيدي كصبي مهووساً بـبايرون الذي كان أكثر رجلٍ يريد كينيدي أن يحاكيه ويضاهيه. حاول حتّى أن يستعير «نظرته التحتيّة.» كان كينيدي نفسه فتىً واهناً يعاني باستمرار من مشاكل صحيّة. كان جميلاً بعض الشيء، ولاحظ أصدقاؤه فيه جانباً أنثويّاً بعض الشيء. نقاط ضعف كينيدي ـ الجسدية والفكرية، حيث أنّه كان أيضاً يعاني من الشعور بعدم الأمان، خجولاً، ومفرط الحساسيّة ـ كانت بالضبط ما جذب النساء إليه. لو أنّ بايرون وكينيدي حاولا أن يغطّيا حساسيّتهما وهشاشتهما بتبجّحٍ رجوليّ فما كانا ليتمتّعا بسحرٍ إغوائيّ. عوضاً عن ذلك، تعلّما كيف يعرضان جوانب ضعفهم بطريقةٍ حاذقة وخفيّة، جاعلين النساء بذلك تستشعرن هذا الجانب الناعم الذي فيهما.

هناك مخاوف ومكامن لا أمان مميّزةٌ لكلّ جنس؛ استخدامك لضعفك الاستراتيجي يجب أن يأخذ دائماً هذه الخلافات في الحسبان. المرأة، على سبيل المثال، قد تجذبها قوّة الرجل وثقته بنفسه، لكنّ كثيراً منها يمكن أن يخلق الخوف، ويجعل صاحبها يبدو غير طبيعيٍّ، بل وحتّى بشعاً. فالإحساس بأنّ الرجل باردٌ وتعوزه المشاعر يوصَف بالتحديد على أنّه مخيفٌ. قد تشعر باللاأمان من ناحية أنّه لا يسعى إلّا وراء الجنس، ولا شيء آخر. المغوون الرجال تعلّموا منذ زمنٍ بعيد أن يصبحوا أكثر أنثويّةً ـ أن يظهروا عواطفهم، وأن يبدوا مهتمّين بحيوات أهدافهم. الشعراء الغنائيّون

إضافتي من الإحسان، الذي يُمارَس في معظم الأوقات تجاه السجناء المساكين الذين يُسجَنون في زنازين ويُحرَمون من جميع أنواع الاستمتاع بالنساء. في حالاتٍ كهذه فإنّ زوجات السجّانين والنساء اللواتي يتمتّعن بسلطةٍ عليهنّ، أو آمرات القلعة اللواتي لديهنّ سجناء حرب في قلعتهنّ، تأخذهنّ الشفقة فيعطينهم جزءاً من حبّهن بدافع من محض الإحسان والرحمة... • هكذا تعامل زوجات السجّانين، وآمرات القلعة النبيلات وأخريات سجنائهنّ الذين بالرغم من كونهم أسرى وغير سعداء، فإنّهم لا يتوقّفون عن الشعور بوخزات الرغبة، تماماً مثلما هو حالهم في أفضل أيامهم... • لأؤكّد ما أقوله فسأستشهد بهذه الحكاية التي أخبرني بها الكابتن بيوليو، قائد سفن

(التروبادور) في العصور الوسطى كانوا أوّل من أتقن هذه الاستراتيجيّة؛ كتبوا أشعاراً على شرف النساء، عبّروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم بشكلٍ مفرط، وأمضوا ساعاتٍ في مَخادِع معشوقاتهنّ، وهم يستمعون لشكاوي النساء ويتشرّبون روحيّتهنّ. بمقابل استعدادهم لأن يلعبوا دور الضعيف، استحقّ التروبادور حقّ الحبّ.

لم يتغيّر مذ ذلك الحين سوى القليل. بعضٌ من المغوين العظام في التاريخ الحديث - جابرييل دانونزيو، الدوق إلليغتون، فهموا قيمة التصرّف بطريقةٍ عبوديّة إزاء المرأة، مثل التروبادور الذي يركع على ركبةٍ واحدة. المفتاح يكون من خلال أن تطلق العنان لجانبك الأنعم بينما تظلّ رجوليّاً قدر الإمكان. هذا قد يتضمّن عرضاً للحياء بين الحين والآخر، والذي (أي الحياء) اعتبره الفيلسوف سورين كيركيجارد كتكتيكٍ مغوٍ للغاية بالنسبة للرجل - فهو يمنح المرأة إحساساً بالراحة، بل وحتّى بالتفوّق. تذكّر - على الرغم من ذلك أن تبقي كلّ شيءٍ معتدلاً. لمحةٌ من الخجل ستفي بالمطلوب؛ كثيرٌ منه وسييئس الهدف، خوفاً من أنّها ستضطر في نهاية المطاف لأن تقوم بالعمل بأكمله.

مخاوف الرجل ومكامن اللاأمان عنده غالباً ما تتعلّق بإحساسه بالرجولة؛ فهو عادةً ما يشعر بأنّه مهدّدٌ من قبل المرأة التي تكون متلاعبةً بشكلٍ واضحٍ وطاغٍ، والتي تكون ممسكةً بزمام السيطرة أكثر من اللازم. عرفت أعظم المغويات في التاريخ كيف يغطّين تلاعباتهنّ من خلال لعب دور الفتاة الصغيرة التي تحتاج للحماية الرجوليّة. المحظيّة المشهورة سو شو في صين العصور القديمة، اعتادت على وضع الماكياج على وجهها بطريقةٍ تجعلها تبدو بالتحديد شاحبةً وضعيفة. كانت أيضاً تمشي بطريقةٍ من شأنها أن تجعلها تبدو ضعيفةً. المحظيّة العظيمة كورا بيرل من القرن التاسع عشر كانت تلبس وتتصرّف حرفيّاً كطفلةٍ صغيرة. علمت مارلين مونرو كيف تعطي الانطباع بأنّها تعتمد على قوّة الرجل من أجل البقاء والاستمرار في الحياة. في كل هذه الأمثلة، كانت النساء هنّ من يتحكّم بالديناميكيّة، فيرفعن إحساس الرجل برجولته من أجل استعباده في آخر الأمر. لجعل هذا التكتيك

الملك الشراعية، والذي كنت قد تحدّثت عنه أكثر من مرّة. لقد كان في خدمة الحاكم الأكبر السابق لفرنسا الذي كان من عائلة لوراين والذي كان متعلّقاً به بشدّة. بينما كان يبحر ذات مرّة ليقلّ سيّده من مالطة على متن سفينةٍ شراعية حربيّة، فقد خُطِف من قبل سفنٍ صقلّية، وحُمِل كأسيرٍ إلى قلعة أماري في باليرمو، حيث سُجِن في زنزانةٍ حقيرة ومظلمة وضيّقة فوق العادة، وتوسّل بشكلٍ شديد خلال ثلاثة أشهر (كي يتمّ إطلاق سراحه). بفضل الحظّ السعيد فإنّ حاكم القلعة، الذي كان إسبانيّاً، كان لديه ابنتين جميلتين جدّاً، واللتان، بعد أن سمعتاه وهو يتذمّر ويئنّ، طلبتا ذات يومٍ إذناً من والدهما ليزوراه، إكراماً لله الرحيم؛ فأعطاهما الإذن للقيام بهذا عن طيب خاطر. ونظراً

فعّالاً على أكمل وجه، ينبغي للمرأة أن تبدو في حاجةٍ للحماية وسريعة الاهتياج الجنسي على حدٍّ سواء، فتمنح بذلك للرجل حلمه (هواه أو نزوته) الأقصى.

الإمبراطورة جوزفين، زوجة نابوليون، أحرزت السيطرة على زوجها باكراً من خلال غنج مدروس ومحسوب. احتفظت لاحقاً بتلك السلطة من خلال استخدامها الدائم - وليس الغاية في البراءة - للدموع. عادةً ما تكون رؤية أحدهم يبكي ذات أثرٍ مباشر على مشاعرنا: لا نستطيع أن نبقى على الحياد. نحن نشعر بالتعاطف، وغالباً ما سنفعل أيّ شيء لإيقاف الدموع - بما في ذلك الأشياء التي لا نفعلها عادةً. النحيب هو تكتيكٌ فعّالٌ بشكلٍ لا يُصَدّق، لكنّ المنتحب لا يكون دائماً بريئاً للغاية. يوجد عادةً شيءٌ حقيقيٌّ خلف الدموع، لكن من الممكن أن يوجد أيضاً عنصرٌ من التمثيل، والتلاعب من أجل تحقيق تأثيرٍ معيّن. (وإذا أحسّ الهدف بهذا فالتكتيك يكون قد قُضِيَ عليه.) عدا عن الصدمة العاطفيّة للدموع، فإنّه يوجد شيءٌ مغوٍ حول الحزن. نحن نريد أن نعزّي الشخص، وكما اكتشفت تورڤيل، فإنّ تلك الرغبة سرعان ما تتحوّل إلى حبّ. اصطناع الحزن، أو حتّى البكاء في بعض الأوقات، لديه قيمةٌ استراتيجيّةٍ عظيمة، حتّى بالنسبة للرجل. إنّها مهارة تستطيع تعلّمها. الشخصيّة المركزيّة في الرواية الفرنسيّة *ماريان* التي كتبها ماريڤو في القرن الثامن عشر، كانت تفكّر بشيءٍ حزينٍ من ماضيها لتجعل نفسها تبكي أو تبدو حزينة في الحاضر.

استخدم الدموع بشكلٍ مقتصد، وادّخرها للحظة المناسبة. لربّما تحين هذه اللحظة عندما يبدو الهدف أنّه مشكّكٌ بدوافعك، أو عندما تقلق حيال كونك لا تتمتّع بتأثيرٍ عليه أو عليها. الدموع هي مؤشّرٌ أكيد لمدى عمق انجذاب الشخص الآخر لك ووقوعه في حبّك. إذا بدا أنّهم متضايقون، أو أنّهم يقاومون الطعم، فإنّ قضيّتك على الأرجح ميئوسٌ منها.

في الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة، يؤدّي الظهور بمظهر الطّموح أكثر من اللازم، أو المتمالك نفسه أكثر من اللازم إلى جعل الناس تخافك؛ لذا فإنّه من الجوهري أن تُري جانبك الناعم. إظهار نقطة ضعفٍ واحدة سيخفي

لأنّ الكابتن كان بالتأكيد نبيلاً وزير نساءٍ حقيقيّ، وحاضر البديهة واللسان كأشد ما يكون، فقد كان قادراً على كسبهم إلى صفّه؛ إذ كانت أوّل زيارةٍ قامتا بها له على الإطلاق قد أحرزت إذن أبيهما له بأن يغادر زنزانته البائسة وأن يوضع في جناحٍ لائقٍ إلى حدٍّ مقبول وأن يتلقّى معاملةً أفضل. ولم يكن هذا كلّ شيء، فقد توسّلتا وحصلتا على الإذن لتأتيا وترياه كلّ يوم وتتحادثا معه. • وحدث كلّ شيءٍ بشكلٍ حسنٍ للغاية لدرجة أنّه في تلك الأثناء أصبحت كلتا الإثنتين واقعةً في حبّه، ولو أنّه لم يكن وسيماً عند النظر إليه، وهما كانتا سيّدتين جميلتين جدّاً. وهكذا، دون أن يفكر بإمكانيّة حدوث فترة سجنٍ إضافية قاسية أو حتّى الموت، بل بالأحرى شاعراً بالإغراء إزاء

العديد من التلاعبات. العاطفة أو حتى الدموع ستنجح أيضاً. أعظم التكتيكات إغواءً على الإطلاق هو أن تلعب دور الضحيّة. في أوّل خطابٍ له في البرلمان، حضّر دزرائيللي خطبةً مُوَسّعة، لكنّه عندما ألقاها صاحت المعارضة وضحكت بصخبٍ شديد لدرجة أنّه بالكاد أمكن سماع أيّ شيءٍ منها. شقَّ طريقه وأدلى بالخطاب بأكمله، لكن عندما انتهى وجلس في مقعده شعر بأنّه قد أخفق بشكلٍ مُخزٍ. إلّا أنّ زملاءه أخبروه بأنّ الخطاب كان نجاحاً باهراً، الأمر الذي أذهله بشدّة. الخطاب كان سيفشل لو تذمّر أو استسلم؛ لكن من خلال مضيّه قدماً كما فعل، وضع نفسه في موقع الضحيّةِ لعصبةٍ قاسيةٍ ولاعقلانيّة. الجميع تقريباً تعاطفوا معه في حينه، الأمر الذي خدمه بشكلٍ جيّدٍ في المستقبل. مهاجمتك لخصومك ذوي الأنفس اللئيمة يمكن أن يجعلك تبدو قبيحاً أيضاً؛ عوضاً عن ذلك امتصّ صدماتِهم، والعبْ دورَ الضحيّة. العامّةُ ستصطفّ إلى جانبك، في استجابةٍ عاطفيّة من شأنها أن تضع الأساس لإغواءٍ سياسيّ على نطاقٍ كبير.

هذه المخاطرات، فإنّه وضع نصب عينيه إمتاع الفتاتين بتيةٍ طيبة وشهوةٍ حماسيّة. واستمرّت هذه المُتع دون أيّ فضيحة، إذ كان محظوظاً للغاية في فتحه هذا لمدّة ثمانية أشهرٍ بكاملها، بحيث لم تحدث أيّة فضيحة البتة خلال ذلك الوقت، ولا مرض، ولا إزعاج، ولا أيّة مفاجأة أو تكشّف على الإطلاق. لأنّ الشقيقتين كانتا بالفعل على تفاهم جيّدٍ جدّاً فيما بينهما وقدّمتا بكرمٍ بالغ يد العون لبعضهما البعض ولعبت كلّ واحدةٍ منهما بسرور دور الحارس للأخرى، بحيث لم تحدث أبداً أيّة مصادفة سيّئة. وأقسم لي، كونه كان صديقي الحميم، بأنّه لم يستمتع مطلقاً في أكثر أيّامه حرّيّةً بمثل تسليةٍ عظيمة كهذه أو يشعر بحماسةٍ أكثر حرارة أو شهوةٍ أفضل لها ممّا هو عليه

الرمز: الشائبة. إنّ النظر إلى الوجه الجميل لمسرّة، لكن إذا كان مثاليّاً أكثرمن اللزوم فسوف يخلّف لدينا شعوراً بالبرود، بل وحتّى قليلاً من الرهبة. إنّها الشامة الصغيرة، علامة التجميل، ما يجعل الوجه إنسانيّاً ومحبوباً. لذا لا تخفي كلّ شوائبك. أنت تحتاجها لتُلَطّف ملامحك وتثير المشاعر الرقيقة والحنونة.

الانقلاب

التوقيت هو كلّ شيء في الإغواء؛ عليك دائماً أن تبحث عن العلامات التي تشير إلى وقوع هدفك تحت سحرك. الشخص الذي يقع في الحبّ يميل لأن يتغاضى عن نقاط ضعف الشخص الآخر، أو لأن يراها كشيءٍ مُحَبّب. الشخص غير المَغوي، العقلاني، من ناحيةٍ أخرى، قد يجد أنّ الحياء أو الانفجارات العاطفيّة مثيرة للشفقة. هنالك أيضاً نقاط ضعفٍ معيّنة لا تتحلّى بأيّ قيمةٍ إغوائيّة، مهما كان الهدف واقعاً في الحبّ.

المحظيّة العظيمة نينون دي لانكلو من القرن السابع عشر أحبّت الرجال الذين يتمتّعون بجانبٍ طريٍّ (رقيقٍ) من شخصيّتهم. لكن في بعض الأحيان كان الرجل يشتطّ أكثر من اللزوم، فيشتكي من كونها لا تحبّه بالشكل الكافي، أو من كونها متقلّبةً ومستقلّةً جدّاً، أو من كونه قد أُسيئت معاملته وظُلِم. بالنسبة لنينون فإنّ تصرّفاً كهذا من شأنه أن يكسر التعويذة (السحر)، وكانت عندها تنُهي العلاقة على وجه السرعة. التذمّر، الأنين، الاحتياج، واستدرار العطف بصورة واعية ستتكشّف لأهدافك ليس كنقاط ضعفٍ ساحرة وإنّما كمحاولاتٍ تلاعبيّة لتحقيق نوعٍ من القوّة السلبيّة. لذا فإنّك عندما تلعب دور الضحيّة، إفعل هذا بشكلٍ خفيٍّ وحاذق، دون أن تُفرِط في الإعلان عنه. نقاط الضعف الوحيدة التي تستحقّ التوكيد هي تلك التي تجعلك تبدو محبوباً. كل نقاط الضعف الأخرى يجب أن تُقمَع وتُجتَثّ مهما كلّف الأمر.

الحال في السجن المذكور آنفاً ـ الذي كان بحقّ سجناً جيداً ومناسباً، ولو أنّ الناس يقولون أنّه لا يمكن لسجنٍ أن يكون جيداً. وهذا الوقت السعيد استمر بالفعل لمدّة ثمانية أشهر، إلى أن عُقِدَت الهدنة ما بين الإمبراطور وهنري الثاني، ملك فرنسا، التي غادر بموجبها جميع المساجين زنزاناتهم وأُطلِق سراحهم. أقسم بأنّه لم يحزن في كل حياته أكثر ممّا حزن لدى مغادرته سجنه الجميل هذا، غير أنّه كان حزيناً بصورةٍ استثنائيّة لمغادرة هاتين الفتاتين الجميلتين، اللتين كان مديناً لهما بالكثير، واللتان عبرتا عن كلّ أشكال اللوعة الممكنة لرحيله.

ـ سيغنور دي برانتوم، *حيوات السيّدات الجميلات والمهيبات*، ترجمة آي. آر ألينسون

14

اخلط الأماني بالحقائق ـ الوهم المثالي

لكي يعاوض الناس عن
الصعوبات في حياتهم، يقضي الناس
كثيراً من وقتهم في أحلام اليقظة وهم يتخيلون
مستقبلاً مليئاً بالمغامرة والنجاح والقصص الغرامية. إذا
كان بمقدورك خلق الوهم بأنه من خلالك يستطيعون تحقيق
أحلامهم، فعندها تكون قد وضعتهم تحت رحمتك. من المهمّ
أن تبدأ بتأنٍّ، فتكسب ثقتهم، وتشكل بالتدريج الخيال الذي
يُضارع رغباتهم. استهدف الأماني السرية التي قد تم إحباطها أو
قمعها، مُحرِّكاً بذلك مشاعرَ لا يمكن التحكم بها، ومُغَشِّياً قدرتهم
على المحاكمة. الوهم المثالي هو ذلك الذي لا يحيد كثيراً عن
الحقيقة، وإنّما لديه أثرٌ ممّا هو غير حقيقي، فهو يشبه السير
أثناء الحلم. أوصِل المُغوّيِن إلى درجة من الارتباك
والتَخبُّط بحيث لا يعودون عندها قادرين
على التمييز ما بين الحَقيقةِ
والوهم.

الوهم الذي في الجسد

في عام 1964، وصل شابٌّ فرنسيّ يبلغ من العمر العشرين ويُدعى برنارد بوريسكو إلى بكين، الصين، ليعمل كمحاسبٍ في السفارة الفرنسيّة. أسابيعه الأولى هنالك لم تكن كما تصوّر. كان قد نشأ في الريف الفرنسي، وهو يحلم بالسفر والمغامرة. عندما كُلِّف بالذهاب إلى الصين، أخذت تتراقص في ذهنه صورٌ عن المدينة المحرّمة، وعن أوكار القمار في ماكاو. لكن هذه كانت الصين الشيوعيّة، حيث كان الاحتكاك بين الغربيّين والصينيّين شبه مستحيل في تلك المرحلة. لذا كان بوريسكو مضطرّاً للاختلاط بالأوروبيين الآخرين المقيمين في المدينة، وكم كانوا مجموعة إقصائيّةً (لا تختلط بمن تحسبهم دونها منزلةً أو ثروة) ومملّة. تعاظمت وحدته، وندم لقبوله بالتكليف (الوظيفة)، وبدأ بوضع الخطط للرحيل.

العاشقون والمجانين لديهم أدمغة مهتاجة، / وخيالات خصبة لدرجة أنّها تحتش / أكثر ممّا يستطيع المنطق الهادئ أن يستوعب في عمره.

- ويليام شيكسبير، حلم ليلة منتصف صيف

عندئذٍ، في حفلة عيد ميلاد تلك السنة، انشدّت عينا بوريسكو إلى شابٍّ صينيٍّ في ركن الغرفة. لم يكن قد رأى أيّ صينيٍّ في أيٍّ من هذه المناسبات. كان الرجل آسراً للانتباه: كان أهيف القدّ، وقصيراً، متحفّظاً بعض الشيء، لكنّه كان يتمتّع بحضورٍ جذّاب. مضى بوريسكو وقدّم نفسه. تبيّن أنّ الرجل، شاي باي بو، كان كاتباً لنصوص الأوبرا الصينيّة ويعلّم الصينيّة لأعضاء من السفارة الفرنسيّة. كان في السادسة والعشرين من العمر، ويتحدّث الفرنسيّة بمنتهى الطلاقة. كلّ ما يتعلّق به سحر بوريسكو؛ صوته كان شبيهاً بالموسيقى، ناعماً وهامساً، وكان يتركك وأنت ترغب بمعرفة المزيد عنه. بالرّغم من أنّ بوريسكو كان خجولاً عادةً، إلّا أنّه أصرّ على تبادل أرقام التليفونات. لعلّ باي بو يمكن أن يكون مدرّسه الخصوصي في اللغة الصينيّة.

لم يكن شخصاً شهوانيّاً. لقد كان مثل... شخص كان قد نزل من الغيوم. لم يكن بشراً. لا تستطيع أن تقول أنّه

صديق أو صديقة: لقد كان شخصاً مختلفاً على أيّ حال... تحسّ أنّه كان فقط صديقاً كان قد قدم من كوكب آخر ولطيفٌ جدّاً أيضاً، وغامض للغاية ومنفصلٌ عن حياة أهل الأرض.

- برنارد بوريسكو، في علاقة غرامية قصيرة الأجل، جويس وادلر

التقيا بعد عدّة أيّام في مطعم. بوريسكو كان الغربي الوحيد هناك - أخيراً يوجد نكهةٌ من شيءٍ حقيقيٍّ وغريب. تبيّن أنّ باي بو كان ممثّلاً مشهوراً في الأوبرات الصينيّة ويتحدّر من أسرةٍ ذات صلاتٍ مع السلالة الحاكمة السابقة. الآن أصبح يكتب أوبراتٍ عن العمّال، لكنّه قال هذا بنظرةٍ من السخرية. بدأ بالالتقاء بشكلٍ منتظم، حيث كان باي بو يريه معالم بكين. أحبّ بوريسكو قصصه - فقد كان باي بو يتكلّم ببطء، وكانت التفاصيل التاريخيّة تبدو وكأنّها تخرج حيّةً أثناء كلامه عنها، وأثناء تحريك يديه لتزيين كلماته. هنا، كان يقول على سبيل المثال، المكان الذي شنق فيه آخر إمبراطورٍ من سلالة مينغ نفسه، بينما كان يشير إلى البقعة ويخبر قصّةً في نفس الوقت. أو، الطبّاخ الذي يعمل في المطعم الذي أكلنا فيه لتوّنا خدم ذات مرّة في قصر الإمبراطور الأخير، ومن ثمّ كان يُتبعُ ذلك بقصّةٍ أخرى رائعة. كان باي بو يتحدّث أيضاً عن الحياة في أوبرا بكين، حيث غالباً ما كان الرجال يقومون بأداء أدوار النساء، وفي بعض الأحيان يشتهرون بها.

أصبح الرجلان صديقين. كان اتّصال الصينيّين بالأجانب مقيّداً، لكنّهما تدبّرا طرقاً للالتقاء. ذات أمسيةٍ ذهب باي بو إلى منزل مسؤولٍ فرنسيّ ليدرّس أطفاله، فرافقه بوريسكو. استمع بينما كان باي بو يخبرهم بـ «قصّة الفراشة،» وهي قصّةٌ من الأوبرا الصينيّة: تتوق فتاةٌ يافعة لدخول مدرسةٍ إمبراطوريّة، لكنّ الفتيات لا يُقبلن هناك. تنكّرت كصبي، واجتازت الامتحانات، ودخلت المدرسة. يقع زميلٌ لها في حبّها، وتنجذب هي نحوه، لذا تخبره بأنّها في واقع الأمر فتاة. تنتهي هذه القصّة بشكلٍ مأساويّ (تراجيديّ) على شاكلة معظم هذه القصص. روى باي بو القصّة بانفعالٍ غير عاديّ؛ في الواقع كان قد لعب دور الفتاة في الأوبرا.

عبر الرومانس طريقها ثانيةً وذلك مجسّداً بشخص ضابطٍ ألمانيّ شابٍّ ووسيم، الملازم كونراد فريدريك، الذي طلب مساعدتها في مدينة نيولّي. أراد من باولين [بونابرت] أن تستخدم تأثيرها على نابوليون فيما يتعلّق بتزويد الجنود الفرنسيين باحتياجاتهم في المدن البابويّة. أثار

بعد عدّة ليالي، بينما كانا يتحدّثان أمام بوّابات المدينة المحرّمة، عاد باي بو إلى «قصّة الفراشة». إذ قال له، «إنظر إلى يديّ، إنظر إلى وجهي. قصّة الفراشة تلك، هي قصّتي أنا أيضاً.» شرح له بإسلوبه البطيء والدراماتيكي في الإلقاء أنّ أوّل طفلين رزقت بهما أمّه كانا بنتين. وفي الصين كان الأبناء أكثر أهميّةً بكثير؛ إذا كان الولد الثالث طفلاً، فسيضطرّ الأب لأن يتّخذ زوجةً ثانية. قَدِمَ الطفل الثالث: بنتٌ أخرى. لكن الأمّ كانت خائفةً لدرجةٍ لم تستطع معها كشف الحقيقة، وقامت بعقد اتّفاقٍ مع المُوَلّدة (الداية):

سيقولان أنّ الطفل كان صبيّاً، وسَيُرَبّى على هذا الأساس. الطفل الثالث كان باي بو.

اضطرّت باي بو عبر السنين لأن تقوم بأشياء غايةً في الغرابة والتطرّف لتخفي جنسها. لم تستخدم أبداً الحمّامات العموميّة، نتفت شعرها لتبدو كما لو أنّها كانت تَصلَع. انسحر بوريسكو بالقصّة، وتنفّس الصعداء، لأنّه كان يشعر بقرارة نفسه بالانجذاب لباي بو، على غرار الصبي في قصّة الفراشة. الآن صار كلّ شيءٍ منطقيّاً ومفهوماً، اليدان الصغيرتان، الصوت ذو النبرة العالية، العنق الرقيق. كان قد وقع في حبّها، وبدا أنّ المشاعر متبادلة.

بدأت باي بو بالتردّد على شقّة بوريسكو، وسرعان ما صارا ينامان مع بعضهما البعض. ظلّت تلبس كرجل، حتّى في شقّته، لكن النساء في الصين كنّ يرتدين ملابس الرجال على أيّ حال، وكانت باي بو تتصرّف كامرأة أكثر من جميع النساء الصينيّات التي كان قد رآهنّ. في السرير كانت تتحلّى بحياءٍ ولها أسلوبٌ في توجيه يديه يتّصف بالإثارة والأنوثة على حدّ سواء. جعلت كلّ شيءٍ رومانسيّاً ومعمّقاً. عندما لم يكن معها، فإنّ كلّ كلمةٍ من كلماتها وكلّ إيماءة كانت ترنّ في ذهنه. ما جعل العلاقة تتّسم بكلّ هذه الإثارة كان الواقع بأنّه يتوجّب عليهما أن يبقياها سرّاً.

في شهر ديسمبر من عام 1965، غادر بوريسكو بكين وعاد إلى باريس. أقام علاقاتٍ أخرى، لكن ظلّت أفكاره ترجع وتدور حول باي بو. اندلعت الثورة الثقافيّة في الصين، وفقد الاتّصال معها. قبل أن يكون قد غادر، أخبرته بأنّها كانت حاملةً بطفلهما. لم يكن لديه أدنى فكرة فيما إذا المولود كان قد وُلِدَ أم لا. ازداد هوسه بها، وفي عام 1969 دبّر عن طريق الحيلة وظيفةً حكوميّةً أخرى في بكين.

كان الاتّصال بالأجانب الآن مقيّداً أكثر ممّا كان عليه لدى زيارته الأولى، لكنّه تدبّر أمر تعقّب أثر باي بو. أخبرته بأنّها كانت قد ولدت صبيّاً في عام 1966، لكنّه كان يشبه بوريسكو، ونظراً للكره المتنامي للأجانب في الصين، والحاجة لإبقاء جنسها سرّاً، فقد أرسلته إلى منطقةٍ معزولةٍ ونائية قرب روسيا. لقد كانت تلك المنطقة باردة للغاية ـ لعلّه يكون قد مات. أرت بوريسكو صوراً عن الصبي، ورأى بالفعل بعض التشابه. تدبّرا أن يلتقيا هنا

على الفور إعجاب الأميرة التي مشت معه حول الحديقة إلى أن وصلوا إلى الحديقة الصخريّة. توقّفت هناك وأمرته، وهي تنظر في عينيه بغموض، بأن يرجع إلى نفس هذا المكان في نفس الساعة في اليوم التالي حيث يمكن أن يكون بجعبتها أخباراً طيبة له. انحنى الضابط الشاب واستأذن منصرفاً... كشف في مذكّراته وبالتفصيل ما حدث بعد لقائه الأوّل مع باولين: • «في الساعة المتّفق عليها، سرتُ مجدّداً إلى نويلي، ومشيت في طريقي نحو المكان المقترر في الحديقة ووقفت منتظراً عند الحديقة الصخريّة. لم يكن قد مضى وقتٌ طويلٌ عندما ظهرت سيّدةٌ أمامي وحيّتني بشكلٍ لطيف وقادتني عبر بابٍ جانبيّ إلى قلب الحديقة الصخريّة

وهناك عبر الأسابيع القليلة التي تلت، ومن ثمّ خطرت لبوريسكو فكرة: كان متعاطفاً مع الثورة الثقافيّة، وأراد التحايل على الموانع التي كانت تمنعه عن رؤية باي بو، لذا اقترح القيام ببعض التجسّس. مُرّر الاقتراح للأشخاص المناسبين، وسرعان ما أصبح بوريسكو يسرق وثائق لصالح الشيوعيّين. استُدعِيَ الابن، المدعو بيرتران، إلى بكين، حيث التقاه بوريسكو أخيراً. الآن ملأت مغامرةٌ ثلاثيّة الأوجه حياة بوريسكو: باي بو المغرية، رعشة كونه جاسوساً، والطفل غير الشرعي، الذي أراد أن يأخذه معه إلى فرنسا.

غادر بوريسكو بكين في عام 1972، وعبر السنوات التي تلت حاول بشكلٍ متكرّر أن يجلب باي بو وابنه إلى فرنسا، ونجح في ذلك أخيراً بعد عقدٍ من الزمن؛ حيث أصبح الثلاثة عائلة في عام 1983، إلّا أنّ السلطات الفرنسيّة ارتابت في أمر هذه العلاقة ما بين مسؤولٍ في الخارجيّة الفرنسيّة وبين رجلٍ صينيّ، وبقليلٍ من التحرّيات والتحقيقات اكتشفوا تجسّس بوريسكو. اعتُقِل، وسرعان ما أدلى باعترافٍ مروّع: الرجل الذي كان يسكن معه كان في الواقع امرأة. ارتبكت السلطات الفرنسيّة فأمرت بفحص باي بو؛ كان رجلاً ولا شيء غير ذلك، أي كما ظنّوا أساساً. وُضِع بوريسكو في السجن.

حتّى بعد سماع بوريسكو لاعتراف عشيقه السابق، إلّا أنّه ظلّ مقتنعاً بأنّ باي بو كان امرأة. فجسدها الناعم، وعلاقتهما الحميمة - كيف له أن يكون مخطئاً؟ فقط عندما أراهُ باي بو، الذي أودع في نفس السجن، الدليل القاطع لجنسه حتّى قبل بالأمر أخيراً.

التفسير. في اللحظة التي التقى فيها باي بو ببوريسكو، أدرك أنّه قد وجد الضحيّة المثاليّة. فبوريسكو كان مستوحداً، سئماً، ويائساً. الطريقة التي تجاوب فيها مع باي بو أوحت أنّه من المحتمل أيضاً أن يكون مثليّاً، أو ثنائيّ الميول الجنسيّة - أي أنّه على أقلّ تقدير يعاني من التشوّش فيما يخص هذه الناحية. (في الواقع فإنّ بوريسكو كان له مواقعاتٌ مثليّة في صباه؛ وكان يحاول أن يكبت هذا الجانب من نفسه، كونه كان يشعر بالذنب حيال هذه الممارسات. كان باي بو قد أدّى أدواراً نسائيّة من قبل، وكان بارعاً بحقّ في

حيث كان يوجد هنالك عدّة غرفٍ وأروقة، وحمّام فاخر في صالونٍ رائع. كانت المغامرة آخذةً في النفاذ إليّ كشيءٍ رومانسيٍّ للغاية، تقريباً مثل حكايةٍ خرافية، وفي اللحظة التي كنت أتساءل فيها في تعجّب عمّا ستكون الحصيلة دخلت امرأةٌ مرتديةً ثوباً قطنيّاً شفّافاً للغاية من بابٍ جانبيّ، واقتربت منّي، وسألتني بابتسامة عمّا إذا أحببت كوني هناك. ميّزت على الفور شقيقة نابوليون الجميلة، التي كان شكل جسمها المثالي يُرتَسم من قبل كلّ حركة من حركات الثوب. مدّت يدها لي لكي أقبلها وقالت لي بأن أجلس على الأريكة بجانبها. بالتأكيد لم أكن المُغوي في هذه الحادثة... بعد ذلك ببرهة قامت باولين

أدائه لها؛ كان نحيلاً ومخنّثاً؛ لذا لم يكن هذا ليشكّل صعوبةً له من الناحية الجسديّة. لكن من عساه أن يصدّق قصّة كهذه، أو على الأقلّ لا يخامره الشك تجاهها؟

بقرع جرسٍ وأمرت المرأة التي أجابت بتحضير الحمّام الذي طلبت منّي مشاركتها إيّاه. بقينا في المياه الزرقاء الصافية صفاء الكريستال لما يقارب الساعة ونحن مرتدون لثياب الاستحمام. بعدئذٍ تناولنا عشاءً فاخراً قُدّم إلينا في غرفةٍ أخرى وتسكّعنا مع بعضنا البعض حتّى الغسق. عندما غادرت كان عليّ أن أعد بأن أعود مجدّداً عن قريب وأمضيت العديد من الأمسيات مع الأميرة بنفس الطريقة.»

- هاريسون برنت، *باولين بونابرت: امرأة علاقاتٍ غراميّة*

المكوّن الجوهري في إغواء باي بو، والذي نفخ من خلاله الحياة في حلم المغامرة لدى الفرنسي، كان أن يبدأ ببطء ويغرس فكرةً في ذهن الضحيّة. من خلال فرنسيّته الممتازة (التي كانت، على أيّة حال، مليئةً بالتعابير الصينيّة المثيرة)، جعل بوريسكو معتاداً على سماع القصص والروايات، التي كان بعضها صحيحاً، والبعض الآخر لم يكن، إلّا أنّ جميعها أُلقِيَ بتلك النغمة الدراماتيكيّة والجديرة بالتصديق مع ذلك. بعدئذٍ غرس فكرة تقليد أو ادّعاء الجنس (من ناحية الذكورة والأنوثة) من خلال «قصّة الفراشة.» في الوقت الذي اعترف فيه «بحقيقة جنسه»، كان بوريسكو أصلاً قد سُحِر به بالكامل.

تجاهل بوريسكو كل الأفكار المشكّكة وتعامى عنها لأنّه *أراد* أن يصدّق قصّة باي بو. منذ ذلك الحين فصاعداً أصبح الأمر سهلاً على باي بو: فصار يمثّل مروره بالدورة الشهريّة؛ ولم يكن يلزم كثيراً من المال ليحصل على طفلٍ يمكن تقديمه بشكلٍ معقول على أنّه ابنهما. لكن الأهمّ من هذا أنّه لعب دور الوهم حتّى الثمالة، فقد ظلّ مراوغاً ومتملّصاً وغامضاً (وهذا ما يتوقّعه الغربي بالضبط من امرأةٍ آسيويّة)، بينما غلّف ماضيه أو بالأحرى كلّ تجربتهما بنُتَفٍ مدغدغة ومثيرة من التاريخ. كما شرح بوريسكو فيما بعد، «خدعني باي بو حتّى النخاع.... كنت على علاقةٍ جنسيّة معه، إلّا إنّني في أفكاري وأحلامي كنت بعيداً عن الحقيقة سنةً ضوئيّة.»

ظنّ بوريسكو أنّه حظي بمغامرةٍ فريدة، والتي كانت حلماً راوده طويلاً. وفي اللاوعي أو نصف الوعي، فقد حصل على مُتَنَفّسٍ لمثليّته المكبوتة. جسّد باي بو حلمه وأعطاه البعد المادي، من خلال العمل أوّلاً على العقل. العقل يسوده تيّاران: فهو يريد أن يصدّق الأشياء التي من المُسرّ تصديقها، ومع ذلك فإنّه يتمتّع بحاجة للارتياب بالناس، غايتها الحماية الذاتيّة. إذا انطلقت بشكلٍ مسرحيٍّ مفرط، أو حاولت قصارى جهدك أن تخلق الحلم، فستغذّي ذلك الجانب الشكّاك في العقل، الذي ما إن يُغَذّى

إنّ المومس مقدّر عليها أن تكون رمزاً عائماً وغير معترف بالكامل فلا تثبت

حتّى يستحيل زوال الشكوك. يجب عليك، بدلاً من ذلك، أن تبدأ ببطء، فتبني الثقة، بينما تدع الناس (إذا إردت) يرون لمسةً طفيفة من شيءٍ غريبٍ (فريد) أو مثيرٍ بشأنك لكي تستفزّ اهتمامهم. ثمّ تبني قصّتك، مثل أيّ رواية أدبيّة. قد أسّست قاعدةً من الثقة - فتصبح الآن الخيالات والأحلام التي غلّفتهم بها جديرةً بالتصديق فجأةً.

تذكّر: الناس يرغبون بتصديق ما هو استثنائيّ وخارقٌ للمألوف؛ فبقليلٍ من التحضير، وقليلٍ من المداعبة الذهنيّة، سوف ينخدعون بالوهم الذي صنعته. إذا طرأ أيّ شيءٍ لم يكن في الحسبان: فاستخدم أدوات حقيقيّة (مثل الطفل الذي أرته باي بو لبوريسكو) وأضف اللمسات السحرية في كلماتك، أو بادراتٍ عرضيّة من شأنها أن تضفي عليك قليلاً ممّا هو غير واقعي. ما إن تشعر بأنّهم وقعوا في الشرك، حتّى يصبح بإمكانك أن تعمّق السحر، وتمضي أبعد فأبعد في الحلم. في تلك المرحلة يكونون قد دخلوا عميقاً جدّاً في أذهانهم ومخيّلاتهم الخاصّة لدرجة لا تعود معها مضطرّاً لأن تُقلِق نفسك بالاحتمالات.

نفسها في المخيلة بشكلٍ أكيدٍ أبداً. هي ذكرى تجربة، النقطة التي يتحوّل عندها الحلم إلى الحقيقة أو الحقيقة إلى حلم. الأضواء البرّاقة تتلاشى، اسمها يصبح مجرد صدى - صدى للصدى، بما أنّها على الأرجح قد أخذته من سلفٍ قديم. فكرة المومس هي أنّها حديقةٌ للمباهج حيث يمشي فيها العاشق، وهو يشتم هذه الزهرة وتلك لكن دون أن يفهم تماماً من أين يأتي العبير الذي أسكره. لماذا لا يجدر بالمومس ألاّ تروغ من التحليل؟ هي لا تريد أن تُعرَف لما هي عليه، وإنّما أن يُسمَح لها بأن تكون قويّةً وفعّالة. هي تقدّم حقيقة نفسها - أو، بالأحرى حقيقة الهيامات التي تصبح موجّهةً نحوها. وما تردّه هو ذات الشخص أو نفسه

تحقيق الأماني

في عام 1762، قامت كاثرين زوجة القيصر بيتر الثالث، بانقلابٍ على زوجها غير الكفؤ وأعلنت نفسها إمبراطورة روسيا. حكمت كاثرين لوحدها، لكنّها احتفظت بسلسلة من العشّاق. دعا الروس هؤلاء الرجال بـ *الفريمينتشيكي*، «رجال اللحظة،» وفي عام 1774 رجل اللحظة كان غريغوري بوتيمكين، وهو ملازمٌ في الخامسة والثلاثين من العمر، وأصغر بعشر سنوات من كاثرين، وأكثر مرشّح مستبعد بالنسبة لهذا الدور. كان بوتيمكين جِلفاً وغير وسيم على الإطلاق (فقد كان قد خسر عيناً إثر حادث). لكنّه كان يعلم كيف يجعل كاثرين تضحك، وبجّلها بشدّة إلى درجة أنّها لستسلمت في آخر المطاف. سرعان ما أصبح حبّ حياتها.

رفّعت كاثرين بوتيمكين أعلى فأعلى في هرميّة السلطة، حتّى جعلته في نهاية المطاف حاكم روسيا البيضاء، وهي منطقة كبيرة تقع في جنوب غرب البلاد وتتضمّن أوكرانيا. كحاكم، كان على بوتيمكين أن يغادر سان

بطرسبرغ ويذهب للعيش في الجنوب. علم أنّ كاثرين لا تستطيع أن تستغني عن صحبة الرجال، لذا أخذ على عاتقه أن يسمّي رجل اللحظة التالي لكاثرين. لم توافق وحسب على هذا الترتيب (الإجراء)، بل وأوضحت أنّ بوتيمكين سيظلّ دائماً الأثير عندها.

كان حلم كاثرين أن تشنّ حرباً مع تركيّا، وتستعيد القسطنطينيّة لصالح الكنيسة الأورثوذكسيّة، وتُخرِج الأتراك من أوروبا، عرضت أن تشارك هذه الحملة مع إمبراطور الإمبراطوريّة الرومانيّة المقدّسة جوزيف الثاني الذي ينتمي لآل هابسبورغ، لكنّ جوزيف لم يحمل نفسه على توقيع المعاهدة التي من شأنها أن توحّدهم في الحرب. بعد أن نفذ صبرها، قامت كاثرين بضمّ شبه جزيرة القرم في عام 1783، التي تقع في الجنوب ويشكل المسلمون التتار معظم قاطنيها. طلبت من بوتيمكين أن يفعل ما كان قد تدبّر فعله في أوكرانيا أصلاً ـ يخلّص المنطقة من قطّاع الطرق، يشقّ الطرقات، يُحَدِّث المرافئ، يجلب الازدهار للفقراء. ما إن يطهّرها، حتّى تصبح شبه جزيرة القرم الموقع الأمثل لشنّ حربٍ على تركيّا.

وساعة من النعيم في حضورها. الحبّ يزدهر من جديد عندما تنظر إليها: أليس ذلك كافياً؟ هي القوّة المولّدة للوهم، ونقطة ولادة الرغبة، وعتبة التأمّل في جمال الجسد.

ـ لين لاونر، حياة *المومسات: وصوفات لعصر النهضة*

كانت القرم منطقة قاحلة متخلّفة، لكن كان بوتيمكين يحبّ التحدّي. نتيجةً لاضطراره للعمل على العديد من الجبهات والمشاريع المختلفة، فقد انتشى بالرؤى عن المعجزات التي سوف يحقّقها هنالك. كان سيؤسّس عاصمةً على نهر الدنيبر، ويسمّيها إيكاترينوسلاف («لمجد كاثرين»)، من شأنها أن تضارع سان بطرسبرغ وستحتضن جامعة تفوق بهاءً أيّ شيءٍ في أوروبا. سيأوي الريف حقول ذرة مترامية الأطراف، بساتين من الفاكهة النادرة المجلوبة من الشرق، مزارع دود القزّ، بلداتٍ جديدة ذات أسواقٍ عامرة. في زيارةٍ للإمبراطورة في عام 1785، تحدّث بوتيمكين عن هذه الأشياء كما لو كانت موجودةً أساساً ـ فقد كان وصفه لها مفعماً للغاية بالحياة. ابتهجت الإمبراطورة، لكنّ وزراءها كانوا مشكّكين ـ رؤوا أنّ بوتيمكين كان يحبّ الكلام. إلّا أنّ كاثرين تجاهلت إنذاراتهم وقامت بتنظيم رحلةٍ إلى المنطقة في عام 1787. طلبت من جوزيف الثاني أن يرافقها ـ باعتقاد أنّه سينبهر للغاية بعمليّة تحديث القرم إلى درجة أنّه سيوقّع فوريّاً على الحرب ضد تركيّا. بوتيمكين، بطبيعة الحال، كان من سينظّم المسألة برمّتها.

لقد كان يوم 16 آذار، نفس اليوم الذي كتب فيه دوق جلاوستر للسير ويليام، هو اليوم الذي سجّل فيه جوتة الأداء المعروف الأوّل لما كان مقدّراً له أن يُدعى مواقف إيما. ما كانت هذه المواقف بالضبط، فسنتعلّم بعد قليل. أوّلاً، يجب أن نشدّد على أنّ المواقف كانت عرضاً موجّهاً للنظارة الموهوبين والمحظوظين فقط. • ... جوتة،

وهكذا، في شهر أيّار من ذلك العام، بعد أن ذاب نهر الدنيبر، حضّرت كاثرين لرحلةٍ من كييف، في أوكرانيا، إلى سيباستوبول، في القرم. حضّر بوتيمكين سبع قصورٍ عائمة لتقلّ كاثرين وحاشيتها على طول النهر. بدأت الرحلة، وبينما كانت كاثرين وجوزيف ورجال البلاط ينظرون إلى الضفاف على كلا الجانبين، فقد رؤوا أقواس نصرٍ في مداخل بلداتٍ نظيفة المظهر، وذات جدرانٍ مطليّة حديثاً بالدهان؛ وقطعان بادية الصحّة ترعى في المراعي؛ وأفواج من الجنود الذين يسيرون في الطرقات بطريقة النظام المنضمّ؛ وعمليّات التشييد والبناء كانت تتمّ في كلّ مكان. في الغسق تسلّوا برؤية الفلاّحين الذين يرتدون الملابس البرّاقة، والفتيات المبتسمات اللواتي يضعن الزهور في شعرهنّ، ويرقصن على الضفاف. كانت قد سافرت كاثرين عبر هذه المنطقة من سنواتٍ عديدة، حيث أحزنها فقر الفلاّحين هناك - قرّرت عندها أنّها ستغيّر قسمتهم بطريقةٍ أو بأخرى. لذا فقد غمرتها رؤية بشائر التغيير (التحويل)، وعنّفت نقّاد بوتيمكين: أنظروا إلى ما فعله رجلي (المحسوب عليّ)، أنظروا إلى هذه المعجزات!

رسا الموكب العائم في ثلاث بلداتٍ على طول الطريق، حيث نزلوا في كلّ مرّة في قصرٍ رائع مبنيٍّ حديثاً ذي شلاّلاتٍ اصطناعيّة ضمن حدائق معمولة على الطراز الإنكليزي. على البرّ تنقّلوا عبر قرىً ذات أسواقٍ نابضة بالحياة؛ والفلاّحون كانوا يعملون بسعادة، فيبنون ويصلّحون. وحيثما أمضوا السهرة، كانت أنظارهم تُتحَف بعرضٍ ما - الرقصات، الاستعراضات العسكريّة، لوحاتٍ حيّة لرموزٍ أسطوريّة، براكين صناعيّة تنير حدائق على الطراز المغربي. أخيراً، في نهاية الرحلة، في القصر في سيباستوبول، بحثت كاثرين الحرب على تركيّا مع جوزيف. أعاد جوزيف شرح مخاوفه. فجأةً قاطعه بوتيمكين بقوله: لديّ 100.000 جنديّ ينتظرون منّي أن أقول لهم 'انطلقوا!' في نفس اللحظة شُرِّعَت نوافذ القصر فجأة، فرؤوا على دويّ المدافع صفوفاً من الجند على مدّ النظر، وأسطولاً من السفن يملأ الميناء. بعد أن ملأه هذا المنظر بالرهبة، وتراقصت في ذهنه صور المدن الأوروبية الشرقيّة وهي تُنتَزَع من الأتراك، فقد وقّع أخيراً جوزيف الثاني على المعاهدة. كانت كاثرين في حالةٍ من البحران والنشوة الغامرة، وبلغ حبّها لبوتيمكين ذرىً جديدة. كان قد حقّق أحلامها.

تلميذ وينكلمان، كان مطروباً إزاء القالب البشري، كتب أحد معاصريه. هنا كان المشاهد النموذجي للدراما التقليديّة التي كانت إيما والسير ويليام قد كتباها في أمسيات الشتاء الطويلة. دعونا نجلس بقرب جوتة ونركن لمشاهدة العرض كما يصفه.

• «إجلس يا ويليام هاميلتون... قد وجد ويليام بعد سنينٍ عديدة من التكرّس للفنون أوج هذه المباهج في شخص فتاةٍ إنكليزيّة في العشرين من عمرها، ذات وجهٍ جميل وشكلِ جسمٍ مثاليّ. كان قد أوصى بتصميم زيٍّ إغريقيٍّ لها خصّيصاً والذي أصبح هي (تقمّصها). تنثر شعرها على هذا الزي بعد أن ترتديه، وباستخدام بضعة شالات، فإنّها تضفي كثيراً من التنوع

لم تشتبه كاثرين أبداً في أنّ كلّ ما رأته تقريباً كان محض زيف، ولربّما لم يستطع رجلٌ لوحده عبر التاريخ كلّه أن يصمّم وهماً بهذا التفصيل والإتقان.

التفسير. في السنوات الأربعة التي كان فيها حاكماً للقرم، كان بوتيمكين قد أنجز القليل، لأنّ هذا المكان المتخلّف والمنعزل يستلزم عقوداً كي يتحسّن. لكن في الأشهر القليلة التي سبقت زيارة كاثرين كان قد فعل كالتالي: كلّ بناءٍ مواجهٍ للطريق أو الضفة طُلِيَ بطبقةٍ جديدةٍ من الدهان؛ ووُضِعَت أشجارٌ صناعيّة لتغطّي البقع غير اللائقة التي تشوب المنظر؛ وأُصلِحَت السقوف الخَرِبة باستخدام ألواحٍ مهلهلة دُهِنَت لتبدو مثل القرميد؛ كلّ من رآهم الموكب الإمبراطوري كانوا قد أُمِروا بأن يرتدوا أفضل ثيابٍ عندهم وأن يبدوا سعيدين؛ كلّ العجزة والمسنّين أُمِروا بأن يلازموا منازلهم. أثناء تطواف الحاشية الإمبراطوريّة في القصور العائمة نزولاً عبر الدنيبر، فقد رأت قرى جديدة بالكامل، لكن معظم هذه المباني كانت مجرّد واجهاتٍ وحسب. قطعان الماشية كانت قد شُحِنَت أو استُقدِمَت من أماكن قصيّة، وكانت تُنقَل خلال الليل إلى حقول جديدة بمحاذاة مسار الرحلة. الفلاّحون الراقصون كانوا مُمَرّنين على أمور التسلية والترفيه؛ بعد كلّ عرض كانوا يُعَبّؤون في عربات ويُنقَلون على وجه السرعة إلى موقعٍ جديدٍ بجانب النهر، تماماً كالجنود الذين كانوا يمشون المشية العسكريّة والذين بدوا أنّهم في كلّ مكان. حدائق القصور الجديدة كانت مملوءةً بأشجار منقولة من أماكن أخرى والتي ماتت بعد عدّة أيّامٍ من انتهاء الرحلة. القصور نفسها كانت قد بُنِيَت بشكلٍ مستعجل وسيّء، لكنّها فُرِشَت بأثاثٍ رائع للغاية لدرجةٍ أنّ أحداً لم يلاحظ. قلعةٌ على جانب الطريق كانت قد بُنِيَت من الرمل، ودُمِّرَت بعد فترة وجيزة إثر عاصفة رعديّة.

كلفة هذا الوهم المهول كانت هائلة، وفشلت الحرب مع تركيّا، لكنّ بوتيمكين كان قد حقّق هدفه. بالطبع كان هنالك بالنسبة للشخص شديد الانتباه علاماتٌ على طول الطريق تشير إلى أنّ كلّ شيءٍ لم يكن كما يبدو، لكن عندما أصرّت الإمبراطورة نفسها على أنّ كلّ شيءٍ كان حقيقيّاً

لوضعاتها، إيماءاتها، تعابيرها، إلخ. إلى درجة أنّ المشاهد لا يكاد يصدّق عينيه. إذ يرى ما أراد آلاف الفنانون أن يعبّروا عنه وقد تجتسد أمامه بالحركات والتحوّلات المفاجئة ـ واقفةً، راكعة، جالسة، متّكئة، جدّية، حزينة، مرحة، منتشية، نادمة، مغرية، مهدِّدة، قلقة، وضعةٌ تتبع الأخرى دون توقّف. عرفت كيف تنتسق خمارها بحيث يناسب كلّ مزاجٍ من الأمزجة، وكان لديها مئة طريقة لتحويله إلى غطاءٍ زينيّ للرأس. ألهها الفارس المسنّ وكان متحمّساً جدّاً إزاء كلّ ما كانت تقوم به. وجد فيها كل آثار العصور القديمة، وكلّ الوجوه المصكوكة على العُملات الصقلّية، بل وحتّى تمثال أبولو. إنّ كلّ ما تقدّم لشيءٍ أكيد: أنت لم

ومجيداً، فلم يكن بوسع رجال البلاط إلّا أن يوافقوا. هذا كان جوهر الإغواء: كاثرين كانت قد أرادت باستقتال أن يُنظَر إليها كحاكمةٍ محبّبَة وتقدّميّة، كحاكمةٍ من شأنها أن تهزم الأتراك وتحرّر أوروبا، لذا فعندما رأت علامات التغيير في القرم، فإنّ ذهنها قام بتعبئة الفراغات التي في الصورة.

تشاهد في كلّ حياتك أداءً مثل هذا. لقد استمتعنا به قبلاً لليلتين.»

ـ فلورا فرايزر، إيما، السيّدة هاميلتون

عندما تتدخّل عواطفنا، فإنّنا غالباً ما نعاني من مشكلة في رؤية الأشياء كما هي. مشاعر الحبّ تضع غشاوةً على أبصارنا، فتجعلنا نلوّن الأحداث بحيث تتوافق مع رغباتنا. لكي تجعل الناس يصدّقون الأوهام التي خلقتها، يجب عليك أن تغذّي المشاعر التي لا يملكون إزاءها سوى أقلّ قدرٍ من التحكّم. غالباً ما تكون أفضل طريقة لفعل هذا هي تحقيق رغباتهم غير المُلبّاة، وأمانيهم التي تصرخ لكي تُحقَّق. لعلّهم يريدون أن يروا أنفسهم كنبلاءٍ أو رومانسيّين، لكنّ الحياة كانت قد خذلتهم وأحبطتهم وحالت دون نموّهم. لعلّهم يريدون مغامرة. وإذا طرأ شيءٌ يبدو أنّه يعلن شرعيّة هذه المغامرة، فإنّهم يصبحون عاطفيّين وغير عقلانيّين، تقريباً إلى مرحلة الهلوسة والهذيان.

تذكّر أن تغلّفهم بوهمك بتمهّل. لم يبدأ بوتيمكين بالمشاهد الضخمة، وإنّما بمشاهد بسيطة على طول الطريق، كالماشية التي ترعى. بعد ذلك أنزلهم البرّ، وضاعف من حدّة الدراما، وصولاً إلى الذروة المدروسة والمُعَدّة مسبقاً عندما شَرَّعَت النوافذ لتُظهِر آلة الحرب العظيمة ـ كانت في الواقع عبارة عن عدّة آلافٍ من الرجال ومراكب صُفَّت بحيث توحي بأنّها أكثر من ذلك بكثير. على غرار بوتيمكين، غلّف الهدف بنوعٍ من الرحلة، أكانت بالمعنى المادّي للكلمة أو بمعنىً آخر. الإحساس بأنّ هنالك مغامرةً مشتركة يكون حافلاً بالارتباطات الحالمة. إجعل الناس يشعرون بأنّهم على وشك أن يروا ويعيشوا شيئاً يتّصل بأعمق أتواقهم، وعندها سيرون قرى مزدهرة وسعيدة حيث لا يوجد سوى الواجهات والمظاهر الخدّاعة.

فيما يتعلّق بهذا فالخارق للطبيعة أو غير المعهود هو في الواقع ليس شيئاً جديداً أو غريباً، وإنّما شيءٌ مألوفٌ وقديم الرسوخ في الذهن والذي أُقصِي عنه فقط من خلال عمليّة الكبت. علاوةً على ذلك فإنّ هذه الإشارة إلى عامل الكبت تمكّننا من فهم تعريف شيلنغ للخارق للطبيعة كشيءٍ يُفتَرَضُ أنّه ظلّ مخبّأً ولكنّه برز للضوء... • ... هناك نقطةٌ إضافيّةٌ أخرى تنطبق على مجمل المواقف أحبّ أن أضيفها... هي أنّ الأثر الخارق للطبيعة غالباً ما يُنتَج

هنا بدأت الرحلة الحقيقيّة عبر أرض بوتيمكين الخياليّة. لقد كانت مثل الحلم ـ الحلم المستيقظ لساحرٍ ما كان قد اكتشف سرّ تحقيق رؤاه....[كاثرين] ومرافقيها كانوا قد تركوا عالم

الحقيقة خلفهم... حديثهم كان عن إيفجنيا (البطلة من الميثيولوجيا الإغريقيّة) والآلهة الأقدمين، وكاثرين شعرت أنّها كانت كلاًّ من الإسكندر وكليوباترة.

- جينا كاوس

وبسهولة عندما تمحي الخطّ الفاصل ما بين المخيلة والواقع، كما عندما يظهر شيءٌ أمامنا في الواقع كنّا قد تخيّلناه لحدّ الآن كشيءٍ خياليّ، أو عندما يستولي رمزٌ على كامل وظائف الشيء الذي يرمز إليه، وهكذا. إنّ هذا العامل هو الذي يسهم على نحوٍ غير قليل في الأثر الخارق للطبيعة المرتبط بالممارسات السحريّة. العنصر الطفولي في هذا، والذي يهيمن أيضاً على عقول العصابيين، هو الإفراط في التأكيد على الحقيقة الفيزيائيّة مقارنةً بالحقيقة المادّية - وهذا مقوّمٌ مرتبطٌ على نحوٍ وثيق بالاعتقاد بالقدرة الكلّية الأفكار.

- سيغموند فرويد، «الخارق للطبيعة،» في *كتابات ورسائل في علم النفس*

المفاتيح للإغواء

يمكن للعالم الحقيقي أن يكون غير متسامح (لا يرحم): تطرأ أحداثٌ لا نملك إزاءها سوى القليل من السيطرة والتحكّم، الناس الآخرون يتجاهلون مشاعرنا أثناء سعيهم لتحقيق ما يريدون، الوقت ينفد قبل أن ننجز ما كنّا نريده. إذا حدث وتوقّفنا في أيّ وقت للنظر بطريقةٍ موضوعيّةٍ تماماً إلى الحاضر والمستقبل، فإنّنا سوف نُصاب باليأس. لحسن الحظّ فإنّنا نطوّر باكراً عادة الحلم. في هذا العالم الآخر أو العالم الذهني الذي نستوطن، يكون المستقبل مليئاً بالاحتمالات والإمكانات الورديّة. ربّما غداً ستحظى فكرةٌ لامعةٌ لنا بالقبول، أو نلتقي بالشخص الذي سيغيّر حياتنا. ثقافتنا تحفّز أو تعزّز هذه التخيّلات والأحلام بصورٍ وقصصٍ متواصلة عن أحداث أو مصادفاتٍ رائعة وغرامياتٍ سعيدة.

المشكلة تكمن في أنّ هذه الصور والتخيّلات لا توجد إلّا في عقولنا، أو على الشاشة. وهذا حقيقةً لا يكفي - نحن نتوق إلى الشيء الحقيقي، وليس إلى أحلام اليقظة المستمرّة ولا إلى الدغدغة هذه. مهمّتك كمغوي تكمن في أن تضفي قليلاً من البعد المادّي في عالم أحلام الشخص وذلك من خلال تجسيد رمزٍ من الخيال، أو خلق سيناريو يشابه أحلام ذلك الشخص. لا يستطيع أحد أن يقاوم جاذب الرغبة السريّة التي قد نُفِخَت فيها الحياة أمام أعينهم. عليك أوّلاً أن تختار الأهداف التي لديها كبتٌ ما أو حلمٌ غير محقّق - هؤلاء هم دائماً الأكثر ترجيحاً لأن يكونوا ضحايا للإغواء. ببطءٍ وبالتدريج، سوف تشيّد الوهم الذي يبدؤون برؤيته والإحساس به وعيشه كما لو كان حلمهم الخاصّ. ما إن ينتابهم هذا الإحساس حتّى يفقدوا الاتّصال بالواقع، ويبدؤوا برؤية الحلم كأمرٍ حقيقيٍّ أكثر من أيّ شيءٍ آخر. وما أن يفقدوا الاتّصال بالحقيقة حتّى يصبحوا

(اقتباساً لقول ستندال عن ضحايا اللورد بايرون من النساء) مثل طيور قُبَرةٍ مشويّة تتساقط في فمك.

معظم الناس لديهم فكرة خاطئة عن الوهم. فكما يعرف أيّ ساحر، فإنّه لا يحتاج لأن يُشَكّل أو يُبنى من أيّ شيءٍ ضخم أو مسرحيّ؛ فالشيء الضخم والمسرحي يمكنه في الواقع أن يكون مدمّراً، إذ إنّه يسترعي كثيراً من الانتباه لك ولمخطّطاتك. إخلق مظهر الحالة السويّة بدلاً من ذلك. ما إن تشعر أهدافك بالأمان ـ وهذا ليس أمراً خارجاً عن المألوف ـ حتّى يصبح لديك المجال لتخدعهم. لم يبدأ باي بو بحياكة الكذبة عن جنسه فوراً؛ بل أخذ وقته، وجعل بوريسكو يأتي إليه ولمّا ابتلع بوريسكو الطعم، فقد ظلّ باي بو يرتدي ثياب الرجال. عندما تريد أن تنفخ الحياة في حلم، فإنّ أكبر خطأٍ هو أن تتخيّل أنّه يجب أن يكون أكبر من الحياة. هذا يقارب حدّ الإفراط، الذي يسلّي لكن نادراً ما يغوي. بدلاً من ذلك فإنّ ما تروم أو تسعى إليه هو ما يدعوه فرويد «غير المعهود أو الغريب»، وهو شيءٌ غريبٌ ومألوف في آنٍ معاً، مثل الديجافو، أو ذكرى من الطفولة ـ أيّ شيءٍ لاعقلانيّ بشكلٍ طفيف وشبيه بالحلم. الشيء غير المعهود، المزيج ما بين الحقيقي وغير الحقيقي، يتمتّع بنفوذٍ أو تأثيرٍ هائل على مخيّلاتنا. التخيّلات والأحلام التي تحييها لدى أهدافك يجب ألاّ تكون غريبةً (شاذّةً) أو استثنائيّة؛ وإنّما يجب أن تكون متجذّرةً في الحقيقة، ومع لمسةٍ ممّا هو غريبٌ ومسرحيّ وسحريّ (في الحديث عن القدر، على سبيل المثال). أنت تذكّر الناس بشكلٍ غامض بشيءٍ من طفولتهم، أو شخصيّةٍ في فيلم أو كتاب. حتّى قبل أن يسمع بوريسكو بقصّة باي بو، فقد راوده شعورٌ غريب بشيءٍ ملفتٍ وخياليّ في هذا الرجل ذي المظهر العادي. يكمن سرّ خلق الأثر غير المعهود أو الخارق للطبيعة في إبقائه غامضاً وموحياً.

تحدّرت إيما هارت من بيئةٍ بسيطةٍ ويعوزها البريق، فقد كان أبوها حدّاداً ريفيّاً في إنكلترا القرن الثامن عشر. إيما كانت جميلةً، لكن هذه كانت موهبتها الوحيدة. ومع ذلك فقد صعدت لتصبح واحدةً من أعظم المُغويات في التاريخ، فبدايةً أغوت السير ويليام هاميلتون، السفير الإنكليزي في بلاط نابولي، وبعد ذلك أغوت (بوصفها السيّدة هاميلتون، أي زوجة السير ويليام) الضابط البحري اللورد نيلسون. عندما كنت تلتقيها فإنّ أغرب

شيءٍ كان الإحساس الغريب بأنّها رمزٌ من الماضي، امرأةٌ انبجست من الأسطورة الإغريقيّة أو التاريخ القديم. كان السير ويليام جامعاً للتحف الأثريّة الإغريقيّة والرومانيّة؛ لكي تغويه، فقد حوّلت إيما نفسها بذكاء لتشبه تمثالاً إغريقيّاً، ورموزاً أسطوريّة في رسومات ذلك الزمان. لم يتجلَّ ذلك في مجرّد الطريقة التي تسرّح بها شعرها، أو تلبس ثيابها، وإنّما في الوضعيات التي تتّخذها، والطريقة التي تحمل نفسها بها (طريقة تنقّلها). كان الأمر كما لو أنّ أحد الرسوم التي اقتناها قد نُفِخَت فيها الروح. سرعان ما بدأ السير ويليام باستضافة الحفلات في منزله في نابولي والتي كانت فيها إيما ترتدي أزياءً وتقف (تتوضّع)، بحيث تعيد خلق الصور من الميثيولوجيا والتاريخ. وقع العديد من الرجال في حبّها، كونها كانت تجسّد صورةً من طفولتهم، صورة عن الجمال والكمال. المفتاح لخلق الفانتازيا هذا يكمن في بعض الارتباطات والاقترانات الثقافيّة المشتركة ـ الميثيولوجيا، والمُغويات التاريخيّات مثل كليوباترا. كلّ ثقافة لديها موردٌ مشترك لهذه الرموز من التاريخ المُغرِق في القِدَم وغير المُغرِق. أنت تُشير إلى تشابه، في المضمون والشكل ـ لكنّك من لحم ودمّ. ما الذي يمكنه أن يكون أكثر إثارةً من الإحساس بكونك في حضرة رمزٍ (شخص) خياليٍّ ما يَرجع إلى ذكرياتك الأولى؟

ذات ليلة أقامت باولين بونابرت، أخت نابوليون، حفلةً في منزلها. بعدها، دنا منها ضابطٌ ألمانيٌّ وسيم في الحديقة وطلب منها أن تساعده في تمرير طلبٍ للإمبراطور. قالت باولين أنّها ستفعل ما بوسعها، ومن ثمّ، طلبت منه بنظرة عينٍ غامضةً بعض الشيء أن يعود إلى نفس البقعة في الليلة التالية. عاد الضابط، فاستقبلته امرأةٌ شابّة قادته إلى غرفةٍ ما بقرب الحديقة ومنها إلى صالونٍ مهيب، يُتَوّج بحمّام مترف. بعد برهة، دخلت امرأةٌ أخرى من خلال بابٍ جانبيّ، وهي ترتدي أثواباً غايةً في الشفافيّة. لقد كانت باولين. قُرِعَت الأجراس، ورُفِعَت الستائر فظهرت الوصيفات وهنّ يحضّرن الحمّام، ثمّ أعطوا الضابط برنساً قبل أن يختفين. لاحقاً وصف الضابط الأمسية كشيءٍ من قصّةٍ خرافيّة، وراوده الشعور بأنّ باولين كانت تمثّل عن عمد دور مغويةٍ أسطوريّةٍ ما. كانت باولين جميلةً وقويّةً بما فيه الكفاية لكي تحصل تقريباً على أيّ رجلٍ تريد، ولم تكن مهتمّةً بمجرّد استدراج الرجل إلى السرير؛ بل أرادت أن تغلّفه (تحيطه) بمغامرةٍ رومانسيّة، أن تُغويَ عقله. جزءٌ من المغامرة

كان الشعور بأنّها تؤدّي دوراً، وأنّها كانت تدعو هدفها ليدخل معها هذه الفانتازيا المشتركة.

لعبُ الأدوار ممتعٌ بشكلٍ هائل. جاذبيته تعود إلى الطفولة، حيث تعلّمنا لأوّل مرّة الإثارة المتأتيّة عن تجربة أدوارٍ مختلفة، أي عندما كنّا نقلّد الكبار أو شخصيّاتٍ من الخيال. عندما ننضج ويوكل إلينا المجتمع دوراً ثابتاً ومحدّداً، فإنّ جزءاً منّا يتوق لهذه المقاربة اللعوبة (المرحة) التي تحلّينا بها فيما مضى، وللأقنعة التي كنّا قادرين على ارتدائها. لا نزال نرغب بلعب تلك اللعبة، بأن نؤدّي دوراً مختلفاً في الحياة. لبِّ أمنية أهدافك هذه من خلال التوضيح أوّلاً بأنّك تلعب دوراً، ومن ثمّ تدعوهم ليتضمّوا إليك في هذه الفانتازيا (الحلم) المشتركة. كلّما أعددت الأمور بطريقةٍ مشابهة لمسرحيّة أو جزءٍ من رواية، كان ذلك أفضل. لاحظ كيف بدأت باولين الإغواء بطلبٍ غامضٍ بأن يُعاوِد الضابط الظهور في الليلة التالية؛ وبعدها قادته إلى سلسلةٍ من الغرف السحريّة. باولين نفسها كانت قد أخّرت دخولها، وعندما ظهرت، فإنّها لم تذكر عمله مع نابوليون، أو أيّ شيءٍ عاديٍّ ومبتذل ولو من طرفٍ بعيد. كان لديها هالةٌ أثيريّةٌ من حولها؛ وهو كان مَدعُوّاً لدخول قصّةٍ خرافيّة. الأمسية كانت حقيقيّة، لكنّها اتّصفت بتشابهٍ غريب مع حلمٍ جنسيّ أو شهوانيّ.

مضى كازانوڤا في لعب الأدوار إلى ما هو أبعد. فقد كان يسافر بحقيبة ثيابٍ هائلة الحجم وصندوقٍ مليءٍ بالأغراض التي كان معظمها عبارة عن هدايا لأهدافه - مراوح، مجوهرات، إكسسوارات. وبعضاً من الأشياء التي قالها وفعلها كانت مُستَعارَةً من الروايات التي كان قد قرأ والقصص التي كان قد سمع. كان يلفّ النساء بجوٍّ رومانسيٍّ عميق ومع ذلك حقيقيٍّ إلى حدٍّ بعيد بالنسبة إلى حواسّهم. على غرار كازانوڤا، عليك أن ترى العالم كنوعٍ من المسرح. أدخِل خفّةً معيّنة إلى الأدوار التي تلعبها؛ حاول أن تخلق إحساساً بالدراما والوهم؛ شوّش الناس وأربكهم من خلال قليلٍ من لاواقعيّة الكلمات والإيماءات التي يخلقها الخيال؛ في الحياة اليوميّة، كن ممثّلاً خالصاً (شديد البراعة.) ثقافتنا تجلّ الممثّلين بسبب حريّتهم في لعب الأدوار. جميعنا نغبطهم على هذه الحريّة.

ظلّ الكاردينال دي روهان خائفاً لسنوات من كونه قد أزعج الملكة ماري أنطوانيت بطريقةٍ أو بأخرى. فهي كانت تتحاشى النظر إليه. بعدئذٍ، في عام 1784، لمّحت له الكونتيسّة دي لاموت ـ قالوا بأنّ الملكة لم تكن مستعدّةً لتغيير موقفها وحسب، لا بل ولمصادقته أيضاً. قالت الكونتيسّة دي لاموت بأنّ الملكة ستشير إلى هذا في استقبالها الرسمي التالي ـ إذ أنّها ستومئ له برأسها بطريقةٍ معيّنة.

لاحظ روهان بالفعل، خلال الاستقبال، تغيّراً طفيفاً في طريقة تصرّف الملكة نحوه، ونظرةً خاطفةً تجاهه بالكاد يمكن رؤيتها. غمرته البهجة. الآن اقترحت الكونتيسّة أن يتبادلا الرسائل، وأمضى روهان أيّاماً في كتابة وإعادة كتابة رسالته الأولى إلى الملكة. تلقّى ردّاً على رسالته، الأمر الذي أسرّه. بعد ذلك طلبت منه الملكة لقاءً خاصّاً معه في حدائق ڤيرساي. كاد روهان أن يطير من فرط السعادة والتلهّف. لدى هبوط الليل التقى بالملكة في الحديقة، خرّ على الأرض، وقبّل طرف ثوبها. قالت له، «تستطيع الأمل بأنّ الماضي سوف يُنسى.» في تلك اللحظة سمعوا أصواتاً تقترب، فلاذت الملكة بالفرار بسرعة مع خدمها خوفاً من أن يراهما أحدٌ ما سويّةً. لكنّ روهان سرعان ما تلقّى طلباً منها عبر الكونتيسة مجدّداً: أرادت باستقتال أن تحوز على أروع قلادةٍ من الألماس صنعها الإنسان في تاريخه. ونظراً لأنّ الملك اعتقد أنّ القلادة كانت باهظة الثمن جدّاً فقد احتاجت إلى وسيط ليشتري لها القلادة. كانت قد اختارت روهان من أجل المهمّة. كان الكاردينال مجرّد كتلةٍ من الاستعداد والرغبة للتلبيّة؛ من خلال تأدية هذه المهمّة فإنّه سوف يثبت ولاءه وستصبح الملكة مدينةً له إلى الأبد. حاز روهان على القلادة. والكونتيسة كانت من سيسلّمها إلى الملكة. الآن انتظر روهان من الملكة أن تشكره وتردّ له المبلغ على مهلها.

إلاّ أنّ هذا لم يحصل أبداً. الكونتيسة كانت في الحقيقة محتالةً كبيرة؛ فالملكة لم تكن قد أومأت له أبداً، بل كان هذا من محض خياله. الرسائل التي تلقّاها منها كانت مزوّرة، وليست حتّى مزوّرةً بشكلٍ بارع. المرأة التي التقاها في الحديقة كانت مومساً مأجورةً لكي ترتدي وتتصرّف كالملكة. القلادة كانت حقيقيّةً بالطبع، لكن ما إن دفع روهان ثمنها، وسلّمها إلى الكونتيسّة، حتّى اختفت. فُرِّقَت إلى أجزاء وعُرِضَت هذه الأجزاء للبيع في

كلّ أنحاء أوروبا مقابل مبالغ طائلة. ولمّا اشتكى روهان أخيراً للملكة، فإنّ الأنباء عن عمليّة الشراء الباهظة (الفاحشة) هذه سرت سريان النار في الهشيم. صدّقت العامّة قصّة روهان ـ أنّ الملكة كانت بالفعل قد اشترت القلادة، وأنّها كانت تدّعي خلاف ذلك. هذه القصّة كانت الخطوة الأولى في دمار سمعتها.

الجميع قد خسر شيئاً في الحياة، وشعر بمرارة الخيبة. فكرة أنّنا نستطيع أن نسترجع شيئاً (كان قد فُقِد)، وأنّ خطأً يمكن تصويبه وإصلاحه، هي فكرةٌ مغويةٌ بشكل هائل. نتيجة الانطباع بأنّ الملكة كانت مستعدّةً لمسامحته عن خطإٍ ما كان قد ارتكبه، صار روهان يهلوس ويهذي بمختلف ضروب الأشياء ـ إيماءاتٍ لم تَحدُث، رسائل كانت عبارةً عن أردأ أنواع التزوير، بأنّ مومساً كانت ماري أنطوانيت. العقل عرضةٌ للإيحاء بشكل غير متناهٍ، وتزداد قابليته للإيحاء عندما تتدخّل الرغبات. ولا يوجد رغبةٌ أقوى من رغبة تغيير الماضي، وتصحيح الخطأ، والتعويض عن خيبة الأمل. أوجِد هذه الرغبات عند ضحاياك، وسيكون خلق حلمٍ جديرٍ بالتصديق أمراً بسيطاً بالنسبة لك: قلّةٌ تتمتّع بالقوة لتبيّن حقيقة وهمٍ تريد تصديقه والإيمان به بشدّة (باستقتال).

الرمز: اليوتوبيا. جميع الناس لديهم رؤيةٌ في ذهنهم عن المكان المثالي حيث يكون الناس لطيفين ونبلاء، وحيث يمكن لأحلامهم أن تتحقّق ولأمانيهم أن تُلَبى، وحيث تكون الحياة مليئةً بالمغامرة والرومانس. قُد الهدف في رحلةٍ هناك، وامنحهم نظرةً خاطفةً إلى اليوتوبيا عبر الضباب الذي يكتنف الجبال، وسوف يقعون في الحب.

الانقلاب

لا يوجد انقلابٌ لهذا الفصل. إذ لا يمكن لإغواءٍ أن يسير دون خلقِ وهمٍ، أي خلق إحساسٍ بعالمٍ حقيقيّ لكن منفصل عن الحقيقة.

15

إعزل الضحية

الشخص المعزول هو
شخصٌ ضعيف. من خلال
عزلِ ضحاياك ببطء، فإنّك تجعلهم
أكثر عرضةً لتأثيرك. قد تكون عزلتهم
نفسيّة: من خلال ملء حقل رؤيتهم بالاهتمام
الممتع الذي تعيرهم إيّاه، فأنت تُخرِجُ من
أذهانهم أيّ شيءٍ آخر. فلا يرون ولا يفكّرون إلّا
بك. وقد تكون العزلة ماديّةً أيضاً: فتأخذهم بعيداً
عن أوساطهم الاجتماعية المعهودة - الأصدقاء،
العائلة، المنزل. أعطهم الإحساس بكونهم مُهَمَّشين
ومهملين ومنسيّين - فهم يغادرون عالمًا من ورائهم
ويلِجون عالماً آخر. ما إن يُعزلوا بهذه الطريقة
حتّى يفقدوا الدعم الخارجي، ولدى تشوّشهم
يصبح تضليلهم سهلاً. استدرج المُغويَّ
إلى عرينك، حيث لا يكون
أيّ شيءٍ مألوفاً.

العزل ــ تأثير الشيء المجلوب

في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، هزم فو تشاي، ملكُ وو الصيني، عدوّه اللدود، كو تشين، ملك يوويه، في سلسلةٍ من المعارك. أُسِر كو تشين وأُجبِر على العمل كسائس خيل في إسطبلات فو تشاي. سُمِحَ له بالعودة أخيراً إلى الوطن، لكن كان عليه أن يدفع كلّ عام جزيةً كبيرةً من المال والهدايا لفوتشاي. تراكمت هذه الجزية عبر السنين، فازدهرت مملكة وو واغتنى فو تشاي.

في دولة وو كانت تُتخَذ إجراءاتٌ عظيمة من أجل استقبال الحسناوتين. استقبلهما الملك رسميّاً وهو محاط بوزرائه وكلّ رجال حاشيته. بينما كانتا تقتربان منه فإنّ قلادات اليشب المعلّقة على مشدّيهما أصدرت صوتاً موسيقيّاً وكان الهواء عابقاً بعطر عباءتيهما. زيّنت شعرهنّ حليّ اللؤلؤ وريش طائر الرفراف. • نظر فو تشاي، ملك وو، في عيني هسي شيه المحببتين

أرسل كو تشين في أحد السنين مفوّضيّةً إلى فو تشاي: أرادوا أن يعرفوا إذا كان سيقبل هديّةً مكوّنةً من عذراوتين حسناوتين كجزءٍ من الجزية. كان فو تشاي فضوليّاً، فقبل العرض. وصلت الفتاتان بعد ذلك بعدّة أيّام، وسط تلهّفٍ شديد، واستقبلهما الملك في قصره. دنت الاثنتان من العرش ـ كان شعرهنّ مُسَرّحاً بشكلٍ رائع، فيما كان يُعرَف باسم تسريحة «عناقيد الغيوم»، ومزيّناً بحليّ من اللؤلؤ وأرياش طير الرفراف. أثناء مشيهنّ صارت أقراط اليشب (حجر كريم) المتدليّة من أثوابهنّ تصدر أجمل الأصوات. الهواء كان مليئاً بنوعٍ من العبير المبهج. كان الملك مسروراً لأقصى درجات الحدود. كانت إحدى الفتاتين تفوق الأخرى جمالاً بمراحل؛ واسمها هسي شه. نظرت في عينيه مباشرةً دون أدنى خجل؛ في الواقع كانت واثقةً ومغناجةً، الشيء الذي لم يكن معتاداً على رؤيته لدى فتاة في مثل هذا السن.

أقام فو تشاي الاحتفالات تخليداً لهذه المناسبة. امتلأت قاعات القصر بالقاصفين والمعربدين؛ واشتعلت بالنبيذ، ورقصت هسي شيه أمام الملك. غنّت، فكان صوتها جميلاً. اتّكأت على أريكةٍ من اليشب الأبيض فبدت

كإلهة. لم يستطع الملك أن يبارح جانبها. في اليوم التالي صار يتبعها حيثما ذهبت. وياللدهشة، فقد كانت ظريفةً، حادّة الذهن، وواسعة الاطّلاع، وكانت تستطيع الاستشهاد بمقاطع من الأدب الكلاسيكي على نحوٍ أفضل منه. عندما كان يتركها لينصرف إلى شؤون الملك، فإنّ عقله كان مُعَبّأً بصورتها. سرعان ما صار يجلبها لتحضر مداولاته (اجتماعاته)، ويطلب نصيحتها فيما يخصّ الشؤون الهامّة. أشارت عليه بأن يصغي بشكلٍ أقلّ لوزرائه؛ فقد كان أحكم منهم، ومحاكمته للأمور أرجح وأرفع مقاماً من محاكمتهم.

(495 - 472 ق.م.) ونسي شعبه ودولته. الآن فإنّها لم تُشَح بوجهها وتتورّد خجلاً كما كانت قد فعلت قبل ثلاث سنوات قرب الجدول الصغير. كانت أستاذة كاملةً في فنّ الإغواء وعلمت كيف تشجّع الملك كي ينظر ثانيةً. بالكاد لاحظ فوتشاي الفتاة الأخرى، التي لم تشدّه مفاتنها الهادئة. لم ينظر إلّا إلى هسي شيه، وقبل أن ينصرف الحضور فإنّ أولئك الذين في البلاط أدركوا أنّ الفتاة ستكون قوّةً يُحسَبُ لها حساب وأنّها ستكون قادرةً على التأثير في الملك أكان ذلك التأثير حميداً أم خبيثاً... •

من بين جميع القاصفين في قصور وو، فإنّ هسي شيه رمت بشباك سحرها على قلب الملك القابل للانسحار...

تنامت سطوة شيه يوماً بعد يوم. إلّا أنّ كل هذا لم يجعل من إرضائها أمراً سهلاً؛ إذا قعد الملك عن تلبية أمنيةٍ ما لها، فإنّ عينيها كانت تغرورقان بالدموع، الأمر الذي كان يفطر قلبه، فيضطرّ للإذعان. في أحد الأيّام ترجّته أن يبني لها قصراً خارج العاصمة. بالطبع، لبّى لها طلبها. وذُهِل بروعة القصر عندما زاره، وبالرغم من أنّه من قام بدفع التكاليف إلّا أنّ هسي شيه هي من قامت بملئه بأبهظ الأثاث. احتوت الأرض المحيطة بالقصر على بحيرة صناعيّة تَصِل بين أطرافها جسورٌ من الرخام. صار فو تشاي يمضي وقته هناك أكثر فأكثر، فيجلس بجانب المسبح ويراقب هسي شيه وهي تمشّط شعرها، مستخدمةً المسبح كمرآة. كان يراقبها وهي تلاعب عصافيرها في أقفاصها المطرّزة بالمجوهرات، أو ببساطة وهي تمشي عبر القصر مثل صفصافةٍ يداعبها النسيم. انقضت الأشهر وهو قابعٌ في القصر. فوّت الاجتماعات، تجاهل عائلته وأصدقاءه، وأهمل الشأن العام. وفقد الإحساس بالزمن. عندما قدمت إليه مفوّضيّةٌ للتحدّث معه عن أمورٍ طارئة، كان مشتّتاً أكثر بكثير من أن يسمع. إذا كان أيّ شيءٍ ما خلا هسي شيه يشغل وقته، فإنّه كان يعصف به القلق إلى درجة غير محمولة خوفاً من أن تكون قد غضبت.

أخيراً ذاعت الأنباء عن أزمة متفاقمة: الثروة التي كان قد أنفقها على القصر قد أَفلَسَت الخزينة، ما أثار سخط الشعب. عاد إلى العاصمة، لكن بعد فوات الأوان: كان جيشٌ من مملكة يوويه قد غزا وو، وبلغ العاصمة. ضاع كلّ شيء. لم يكن لدى فو تشاي الوقت ليرجع إلى عند معبودته

هسي شيه. آثر الانتحار بدلاً من أن يدع نفسه يُؤسَر من قبل ملك يوويه، الرجل الذي خدم فيما مضى في إسطبلاته.

لم يكن يعلم أنّ كو تشين كان يحيك هذا الغزو لسنوات، وأنّ إغواء هسي شيه المُحكَم والمدروس كان الجزء الرئيس في خطّته.

التفسير. أراد كوتشين التأكّد من أنّ غزوه لوو لن يفشل. عدوّه لم يكن جيوش فو تشاي، أو ثروته وموارده، وإنّما عقله. إذا أمكن إلهاؤه لدرجة كبيرة، أي أن يُملأ عقله بشيءٍ غير شؤون الدولة، فإنّه سيسقط مثل ثمرةٍ يانعة.

وجد كو تشين أجمل فتاةٍ على الإطلاق في كلّ مملكته. ودرّبها لمدّة ثلاث سنوات في جميع الفنون - ليس على مجرّد الغناء، والرقص، والكتابة بخطٍّ جميل، وإنّما على كيفيّة اللباس والتحدّث ولعب دور المغناج. ففعل الأمر فعله: لم تترك هسي شيه لفو تشاي لحظةً من الراحة. كلّ شيءٍ فيها كان غريباً وغير مألوف. كان كلّما ازداد اهتماماً بشعرها وتقلّباتها ونظراتها وبطريقة مشيها، نقص تفكيراً وعنايةً بالسياسة والحرب.

جميعنا اليوم ملوكٌ نحمي ممالك حيواتنا البالغة الصّغر، ومُثقَلون بجميع أنواع المسؤوليّات، ومُحاطونَ بالوزراء والمستشارين. يتشكّل جدارٌ من حولنا - نحن منيعون وحصينون أمام تأثير الناس الآخرين، لأنّنا مشغولون للغاية. عليك إذن وعلى غرار هسي شيه أن تستدرج أهدافك بلطفٍ وبطءٍ بعيداً عن الأمور التي تملأ أذهانهم. وأكثر شيءٍ سيستدرجهم إلى خارج قلاعهم هو نفحة الغرابة أو الفرادة. قدّم شيئاً غير مألوف من شأنه أن يسحرهم ويأسر انتباههم. كن مختلفاً في سلوكك ومظهرك، وغلّفهم بعالمك المختلف هذا. أبقِ أهدافك في حالة عدم توازن من خلال تغييرات مزاجٍ مغناجيّة. لا تقلق من كون الفوضى (الاضطراب) التي تمثّلها تجعلهم عاطفيّين - فهذا علامةٌ لضعفهم المتزايد. معظم الناس متأرجحون ومتناقضون: فمن ناحيةٍ هم يشعرون بالراحة إزاء عاداتهم وواجباتهم، ومن ناحيةٍ أخرى فقد سئموا منها، وجاهزين لأيّ شيءٍ يبدو دخيلاً، أي يبدو أنّه قد جُلِبَ من مكانٍ آخر. قد يقاومون أو تنتابهم الشكوك لكن الملذّات

«بعد أن أسكرها الخمر، فقد بدأت بغناء / أغاني وو اترضي الملك الأحمق؛ ومزجت بخفاءٍ في رقصة التسو ما بين الحركات الإيقاعية وغاياتها الحسيّة.» ... لكن كان بإمكانها أن تفعل أكثر من مجرد الغناء والرقص لتسلّي الملك. كانت تتمتّع بالدهاء، وأذهله فهمها لشؤون السياسة. عندما كانت تريد أيّ شيء فإنّه كان يمكنها أن تذرف الدموع التي كانت تحرك مشاعر عاشقها لدرجة أنه لم يكن بإمكانه أن يرفض لها شيئاً. لأنها كانت، كما قال فان لي، الأثيرة والوحيدة، هسي تشي التي لا تُضاهى، والتي جذبت شخصيّتها المغناطيسيّة الجميع، والعديد رغماً عن إرادتهم حتّى...

الغربية لا يمكن مقاومتها. بقدر ما تستطيع إدخالهم إلى عالمك، بقدر ما يصبحون ضعفاء. وكما حدث مع ملك وو: في الوقت الذي يدركون فيه ما حصل، يكون قد فات الأوان.

العزل ـ تأثير «أنت وحدك»

في عام 1948، كانت الممثّلة الأمريكيّة ريتا هيوورث البالغة من العمر التاسعة والعشرين، والمعروفة بإلهة الحب في هوليوود، تمرّ في فترةٍ صعبةٍ من حياتها. كان زواجها من أورسون ويلّيس ينهار، وأمّها قد توفيّت، وبدت مسيرتها الفنيّة في حالة توقّف. توجّهت في ذلك الصيف إلى أوروبا. ويلّيس كان في إيطاليا في ذلك الوقت، وفي قرارة نفسها كانت تحلم بالمصالحة.

توقّفت ريتا أوّلاً في الريڤييرا الفرنسيّة (الريڤييرا هي المنطقة الساحليّة من جنوب شرق فرنسا وشمال غرب إيطاليا والمحاذية للبحر المتوسّط: المترجم) انهمرت الدعوات، وخاصّةً من الرجال الأثرياء، كونها كانت تُعتَبَر في ذلك الزمان المرأة الأجمل على سطح الأرض. أرسطو أوناسيس وشاه إيران اتّصلا بها هاتفياً كلّ يومٍ تقريباً، التماساً (توسّلاً) لموعد. خذلتهم جميعاً. بعد وصولها بعدّة أيّام، تلقّت دعوةً من إلسا ماكسويل، المضيفة البارزة في المجتمع، التي كانت تقيم حفلةً صغيرة في كان. تردّدت ريتا في القبول لكن ماكسويل أصرّت، وطلبت منها أن تشتري ثوباً جديداً، وتأتي متأخّرةً بعض الشيء، وتدخل بطريقة مهيبة.

سايرت ريتا، فوصلت إلى الحفلة وهي ترتدي عباءةً إغريقيّة بيضاء، بينما انسدل شعرها الأحمر على كتفيها العاريين. تمّ استقبالها بردّ فعلٍ كانت قد اعتادت عليه: توقّفت كلّ المحادثات بما أنّ كلاًّ من الرجال والنساء التفتوا في كراسيهم نحوها، حدّق الرجال بذهول، والنساء بغيرة. أسرع رجلٌ إلى جانبها ورافقها إلى الطاولة. لقد كان الأمير علي خان البالغ من العمر السابعة والثلاثين، ابن الإمام آغا خان الثالث، الذي كان زعيم الطائفة الاسماعيليّة في العالم وواحداً من أغنى الرجال في العالم. حُذِّرَت ريتا بشأن علي خان، زير النساء الذائع الصيت. ويالللخيبة، فقد أُجلِسا بجانب بعضهما البعض، ولم يبارح جانبها قطّ. سألها مليون سؤال ـ عن هوليوود، عن

ستارات الحرير المطرّزة بالمرجان والجواهر،الأثاث الذي ينبعث الشذا والباراڤانات المرصّعة باليشب وعرق اللؤلؤ كانت من بين وسائل الترف التي أحاطت المحظيّة... على واحدةٍ من الهضاب قرب القصر كان يوجد بركةٌ مشهورة من المياه الصافية التي صارت تُعرَف من ذلك الحين فصاعداً ببركة ملك وو. هنا، لتسلّي عاشقها، كانت هسي شيه تقوم بتبرّجها، مستخدمةً البركة كمرآة بينما كان الملك المتيم يمشّط شعرها...

ـ إلواز تالكوت هيبرت، *الشاش المطرّز: لوحات عن سيدات صينيات شهيرات*

في القاهرة التقى علي

اهتماماتها، وهلمّ جرّاً. بدأت بالاسترخاء قليلاً وانفتحت. كان هنالك نساءٌ جميلاتٌ أخريات، أميرات، ممثّلات، لكن علي خان تجاهلهم جميعاً، وتصرّف وكأنّ ريتا كانت المرأة الوحيدة هناك. راقصها، وبالرغم من أنّه كان راقصاً محترفاً، إلّا أنّها لم تشعر بالارتياح معه ـ فقد أمسك بها على نحوٍ أقرب من اللازم بقليل. ومع ذلك، فقد وافقت على أن يقلّها إلى الفندق الذي كانت تنزل فيه عندما عرض ذلك. قاد السيارة بسرعة على طريق الكورنيش الرئيسي؛ وكانت ليلةً جميلة. لليلةٍ واحدةٍ تدبّرت أن تنسى مشاكلها العديدة، وكانت ممتنّةً لذلك، لكنّها كانت لا تزال مغرمةً بويلّيس، وعلاقةٌ مع زير نساء مثل علي خان لم تكن الشيء الذي يلزمها.

اضطرّ علي خان للسفر (جوّاً) لبضعة أيّام بخصوص عمل؛ فتوسّل إليها كي تبقى في الريڤييرا إلى حين عودته. بينما كان بعيداً، هاتفها بشكلٍ مستمرّ. كلّ صباح كانت تصلها باقة أزهار عملاقة. بدا منزعجاً على الهاتف بشكلٍ خاصّ من كون شاه إيران كان يحاول جاهداً أن يلتقي بها، وجعلها تقطع وعداً بأن تلغي موعداً (مع الشاه) كانت قد وافقت عليه أخيراً. خلال هذا الوقت، زار عرّافٌ غجريّ الفندق، ووافقت ريتا على أن يتنبّأ لها بمستقبلها. أخبرها، «أنت على وشك أن تخوضي أعظم تجربةٍ غراميّةٍ في حياتك. هو شخصٌ أنت تعرفينه مسبقاً.... عليك أن تَليني وتستسلمي له بشكلٍ كلّي. فقط إذا فعلتِ هذا، فستجدين السعادة بعد طول انتظار.» كونها لم تكن تعرف من يمكن أن يكون هذا الرجل فإنّ ريتا، التي لديها ضعف إزاء مسائل السحر والتنجيم، قرّرت أن تمدّد إقامتها. رجع علي خان؛ وأخبرها أنّ قصره الريفي المُطِلّ على البحر المتوسّط كان المكان الأمثل لتهرب من الصحافة وتنسى متاعبها، وأنّه مستعدٌّ لأن يتأدّب ويسلك سلوكاً حسناً. لانت ريتا وقبلت. الحياة في القصر كانت أشبه بقصّةٍ خرافيّة؛ فحيثما التفتت، كان هنالك مساعدوه الهنود ليُعنوا بكلّ مطالبها وأمنياتها. في الليل كان يأخذها إلى قاعة الرقص الهائلة الخاصّة به، حيث كانا يرقصان لوحدهما. هل من الممكن أن يكون هو الرجل الذي قصده العرّاف.

دعا علي خان أصدقاءه ليلتقوا بها. ضمن هذه العشرة الأجنبيّة (الغريبة) شعرت بالوحدة مجدّداً، وبالاكتئاب؛ قرّرت أن تغادر القصر. عندئذٍ فقط، كما لو أنّه كان قد قرأ أفكارها، انطلق بها علي خان نحو

بالصدفة بجولييت جريكو [المغنّية] ثانيةً. طلب منها أن يراقصها. • «لديك سمعة سيّئة للغاية،» كان ردّها. أصرّ بقوله، «سنجلس بشكلٍ بعيدٍ جدّاً عن بعضنا البعض.» • «ماذا تفعلين غداً؟» • غداً سأستقلّ طائرةً نحو بيروت.» • عندما صعدت على متن الطائرة، كان علي على متنها قبلاً، وهو يبتسم لتفاجئها ابتسامةً عريضة... • جلست [جريكو] بتراخٍ على كرسيها ذي الذراعين في منزلها الباريسيّ وهي ترتدي بنطلونها الضيّق المصنوع من الجلد الأسود وكنزةً سوداء وأبدت هذه الملاحظة: • «يقولون أنّني امرأةٌ خطيرة. حسنٌ، إنّ علي رجلٌ خطير. كان ساحراً بطريقةٍ خاصّةٍ للغاية. هنالك نوعٌ من الرجال يتّصف بذكاءٍ حادٍّ جدّاً مع

إسبانيا، البلد الذي سحرها أكثر من أيّ بلدٍ آخر. سمعت الصحافة بالعلاقة، وبدأت بتعقّبهم في إسبانيا: ريتا كان لديها ابنة من ويلّيس - فهل هذه كانت الطريقة التي تتصرّف بها الأمّهات؟ سمعة علي خان لم تساعد، لكنّه وقف بجانبها، وحماها من الصحافة بقدر استطاعته.

طلب يدها للزواج قبل نهاية الرحلة بقليل. رفضته؛ إذ أنّها لم تعتقد أنّه كان من ذلك الصنف من الرجال الذين يجدر الزواج بهم. لحق بها إلى هوليوود، حيث كان أصدقاؤها السابقون أقلّ ودّاً من ذي قبل. حمداً لله أنّه كان لديها علي خان ليساعدها. بعد سنةٍ من ذلك استسلمت أخيراً، وتخلّت عن مهنتها، وانتقلت إلى قصر علي خان وتزوّجته.

التفسير. علي خان، كالعديد من الرجال، وقع في حبّ ريتا هيوورث لحظة مشاهدته لفيلم *جيلدا*، في عام 1948. صمّم على أن يغويها بطريقةٍ أو بأخرى. ما إن سمع بأنّها قادمةٌ إلى الريفيرا، حتّى حمل صديقته إلسا ماكسويل على استدراجها للحفلة وإجلاسها بجانبه. علم عن انهيار زواجها، وكم أنّها كانت حسّاسةً في ذلك الوقت. كانت استرتيجيّته أن يخرج من ذهنها كلّ الأشياء الأخرى في عالمها - المشاكل، الرجال الآخرين، الارتياب فيه وبدوافعه، إلخ. بدأت حملته بإظهار الاهتمام البالغ بحياتها - اتّصالات مستمرّة، أزهار، هدايا، كلّها لتبقيه في ذهنها. رتّب موضوع العرّاف لكي يغرس البذرة. قدّمها إلى أصدقائه، وذلك عندما بدأت تميل نحوه، علماً منه بأنّها ستشعر بالغربة (العزلة) بينهم، وبالتالي ستصبح معتمدةً عليه. توضّح اعتمادها عليه في الرحلة إلى إسبانيا، حيث كانت على أرضٍ غير مألوفة، ومحاصرة من قبل الصحفيّين، ومُجبَرةً على التشبّث أو التعلّق به من أجل المساعدة. صار يسيطر على أفكارها بالتدريج. حيثما التفتت، كان هنالك. استسلمت أخيراً، بدافعٍ من الضعف والدعم الذي مثّله اهتمامه لغرورها. نسيت، بعد أن وقعت تحت سحره، بشأن سمعته الرديئة، وتخلّت عن الشكوك التي كانت الشيء الوحيد الذي يحميها منه.

لم يكن شكل علي خان أو ثروته ما جعله مغوياً عظيماً. لم يكن في

النساء. هو يأخذك إلى المطعم وإذا دخلت أكثر النساء جمالاً فإنّه لا ينظر إليها. يجعلك تشعرين أنّك ملكة. بالطبع أنا أفهم هذا. ولا أصدّقه. سأضحك وأشير إلى المرأة الجميلة. لكن هذا ما أنا عليه... معظم النساء يشعرن بسعادة بالغة نتيجة ذلك النوع من الانتباه. إنّه محض زهوٍ وخُيلاء. إذ تفكّر، 'سأكون الوحيدة وستغادر الأخريات.'» • «... مع علي، فإنّ كيفيّة شعور المرأة كان أهمّ شيء... لقد كان ساحراً عظيماً، ومغوياً عظيماً. كان يجعلك تشعرين بأنّك على ما يُرام وأنّ كلّ شيءٍ كان سهلاً. ما من مشاكل. لا شيء لتقلقي بشأنه. أو تأسفي عليه. لقد كان الأمر دائماً، 'ماذا أستطيع أن

الواقع وسيماً جدّاً، وكانت كفّة سمعته السيّئة أكثر من راجحة على كفّة ثروته. كان نجاحه استراتيجيّاً: عزل ضحاياه، وعمل ببطءٍ وخفاءٍ شديدين لدرجة أنّهم لم يلاحظوا ذلك. عندما كان يهتمّ بالمرأة فإنّه كان يفعل ذلك بشدّةٍ تجعل المرأة تشعر بأنّها الوحيدة في العالم بالنسبة له. هذا العزل كان يُعاشُ كمتعة؛ لم تكن المرأة تلاحظ اعتمادها المتنامي عليه، وكيف أنّ الطريقة التي يشغل بها عقلها باهتمامه، تعزلها ببطء عن أصدقائها ووسطها. كان تأثيره المسكر على الأنا الخاصّ بالمرأة يطغى على شكوكها الطبيعيّة بالرجل. كان علي خان في كلّ الأحيان تقريباً يتوّج إغواءاته بأخذ المرأة إلى مكانٍ ما ساحر من أرجاء المعمورة ـ إلى مكانٍ كان يعلمه جيّداً، لكن حيث كانت المرأة تشعر بالضياع.

أعمل 'لأجلك؟ ماذا تحتاجين؟' بطاقات سفرٍ بالطائرة، سيّارات، زوارق؛ تشعرين وكأنّك على غيمةٍ زهريّة.»

ـ ليونارد سلاتر، *علي: سيرة ذاتية*

لا تمنح أهدافك الزمان أو المكان ليقلقوا بشأنك، أو يشتبهوا بك، أو يقاوموك. اغمرهم بنوع الاهتمام الذي يطرد ويُبعد جميع الأفكار، الهموم، والمشاكل. تذكّر ـ الناس يتوقون سرّاً لأن يُضَلّلوا من قبل شخصٍ يعلم إلى أين هم ذاهبون. قد يكون شيئاً ممتعاً أن تطلق لنفسك العنان، وحتّى أن تشعر بأنّك معزولٌ وضعيف، وذلك إذا عُمِلَ الإغواء ببطء ولباقة.

آن: ألم تقتل هذا الملك [هنري الرابع]؟ / أسلّم بذلك ... / آن: وأنت غير جديرٍ بأيّ مكانٍ سوى الجحيم. / ريتشارد: نعم، ومكانٌ آخر، إذا سمحتِ لي بتسميته. / آن: زنزانةٍ ما. / حجرة نومك، آن: سأنام خارج الغرفة! / ريتشارد: فليكن يا أيّتها المدام، إلى أن أنام معك... لكن يا سيّدتي الرقيقة آن... / أليس مسبّب الميتات السرمديّة / لفردَي أسرة بلانتجينيت الحاكمة، هنري وإدوارد، / بمستحقّ

ضعهم في بقعةٍ حيث لا يكون عندهم مكانٌ ليفزعوا إليه، وسيموتون قبل أن يفرّوا.

ـ سن ـ تسو

المفاتيح للإغواء

الناس من حولك قد يبدون أقوياء ومتحكّمين بحياتهم بدرجةٍ تزيد أو تنقص قليلاً، لكن هذا مجرّد مظهر كاذب. تحت ذلك المظهر مباشرةً، يكون الناس أكثر هشاشةً ممّا يدّعون. ما يجعلهم يبدون أقوياء هو سلسلة الأعشاش وشبكات الأمان التي يحيطون أنفسهم بها ـ أصدقاءهم، أسرهم، روتينهم اليومي، التي تمنحهم شعوراً بالاستمراريّة، الأمان، والتحكّم. إسحب بشكلٍ مفاجئ البساط من تحتهم، ارمهم لوحدهم في مكانٍ ما أجنبيٍّ حيث تكون

اللّوم مثل الجلاّد؟ / آن: أنت كنت السبب والنتيجة الملعونة بالمطلق./ ريتشارد: جمالك كان سبب تلك النتيجة ـ / جمالك، الذي انتابني في نومي / أنا مستعدٌّ لأن أتولّى موت كلّ العالم، مقابل أن أحيا ساعةً واحدةً في حضنك الرقيق.

ـ ويليام شيكسبير، *مأساة الملك ريتشارد الثالث*

نقاط العلاّم المألوفة قد ذهبت أو اختلطت، وسوف ترى شخصاً مختلفاً بالكامل.

من الصعب إغواء الهدف القوي والمستقرّ. لكن حتّى أقوى الناس يمكن أن يُجعَلوا هشّين إذا استطعت عزلهم عن أعشاشهم وشبكات أمانهم. احجب عنهم أصدقاءهم وأسرتهم بوجودك المتواصل، أبعدهم عن العالم المعتادين عليه، وخذهم إلى أماكن لا يعرفوها. إحملهم على إمضاء الوقت في *بيئتك*. تعمّد تشويش عاداتهم، واحملهم على عمل أشياء لم يفعلوها من قبل. سيتهيّجون عاطفيّاً، الأمر الذي يسهّل عمليّة تضليلهم. أخفِ كلّ هذا في قالبِ من التجربة الممتعة، وستستيقظ أهدافك ذات يوم وقد أُبعِدَت عن كلّ شيءٍ يريحهم عادةً. عندها سيلجؤون إليك من أجل المساعدة، كطفلٍ يبكي طلباً لأمّه عندما تُطفَأ الأضواء. في الإغواء، كما في الحرب، يكون الهدف المعزول ضعيفاً وعرضةً للسقوط.

في رواية *كلاريسّا* لساموبل ريتشاردسون، التي كُتِبَت في عام 1748، يحاول الخليع لوڤلايس إغواء البطلة الجميلة للرواية. كانت كلاريسّا يافعة، عفيفة، ومُصانةً جدّاً من قبل عائلتها. لكنّ لوڤلايس مغوٍ ماكر ومخادع. يتودّد بدايةً إلى أخت كلاريسّا، آرابيلاّ. القران بين الاثنين يبدو جائزاً. بعد ذلك يحوّل انتباهه فجأةً نحو كلاريسّا، لاعباً بهذا على أوتار التنافس ما بين الأخوة ليجعل أرابيلاّ تتميّز غيظاً. يغضب أخوهم جايمس من تقلّب عواطف لوڤلايس؛ فيتقاتل معه، ويصاب. تصبح العائلة كلّها في حالة هياج وتتّحد ضد لوڤلايس، الذي يتدبّر مع ذلك تهريب رسائل إلى كلاريسّا، وزيارتها عندما كانت في منزل صديقتها. تكتشف الأسرة الأمر، وتتّهمها بعدم الولاء والإخلاص. إلاّ أنّ كلاريسّا بريئة؛ فهي لم تشجّع لوڤلايس على إرسال الرسائل أو القيام بالزيارات. لكنّ أسرتها تقرّر الآن تزويجها من رجلٍ مسنٍّ وغنيّ. وحيدةً في هذا العالم، وعلى وشك الزواج من رجلٍ تجده منفّراً، لذا تلجأ إلى لوڤلايس بوصفه الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذها من هذه الورطة. ينقذها في آخر المطاف بأخذها إلى لندن، حيث تستطيع الإفلات من هذا الزواج المقيت، لكن حيث تكون أيضاً معزولةً بشكلٍ شديد وميئوسٍ منه. ترقّ عواطفها نحوه في مثل هذه الظروف. كلّ هذا كان مُنَسّقاً ببراعة

يا طفلي، يا شقيقتي، احلموا / كم ستبدو كلّ الأشياء جميلةً / إذا عشنا سويّةً في تلك الأرض الطيبة، / وأحببنا على نحوٍ متمهّلٍ ومديد، / وأحببنا ومتنا بين / تلك المشاهد التي تصوّرك، يا ذلك الطقس الرائع. / الشموس المحجوبة التي تضيء بوهنٍ

من قبل لوڤلايس نفسه ـ الاضطراب الذي أصاب العائلة في الصميم، إقصاء كلاريسّا في آخر الأمر عن أسرتها، السيناريو بأكمله.

غالباً ما يكون أسوأ أعدائك في الإغواء هم عائلات أهدافك وأصدقاؤهم. هم يكونون خارج دائرتك ومنيعين لسحرك؛ وقد يقدّمون صوت منطقٍ للمَغويّ. عليك أن تعمل بصمتٍ وخفاء كي تبعد الهدف عنهم. دسّ في ذهنهم بطريقةٍ غير مباشرة بأنّهم غيارى من حظٍّ هدفك في إيجادك، أو بأنّهم أشبه بالآباء والأمّهات (رموز سلطةٍ أبويّة) الذين خسروا حسّ المغامرة. الحجّة الثانية تكون فعّالةً للغاية مع الأشخاص اليافعين، الذين تكون شخصيّاتهم في حالة تدفّق والذين يكونون أكثر من جاهزين لأن يتمرّدوا ويثوروا ضدّ أيّ رمزٍ للسلطة، وخاصّةً آباؤهم. أنت تمثّل الإثارة والحياة؛ الأصدقاء والآباء يمثّلون العادة والضجر.

في رواية شكسبير، *مأساة الملك ريتشارد الثالث*، يقوم ريتشارد باغتيال الملك هنري السادس وابنه الأمير إدوارد، وذلك عندما كان لا يزال دوقاً لغلاوسستر. بعد ذلك بفترةٍ قصيرة يبادر اللايدي آن بالكلام، وهي أرملة الأمير إدوارد، التي تعرف بما كان قد فعله بحقّ أقرب رجلين إليها، والتي تكرهه بأقصى ما تستطيع المرأة أن تكره. ومع ذلك يحاول ريتشارد إغواءها. طريقته بسيطة: يخبرها أنّ ما فعله كان بسبب حبّه لها. أراد ألاّ يوجد أيّ شخصٍ في حياتها إلاّه. مشاعره كانت قويّةً لدرجةٍ دفعته إلى القتل. بالطبع فإنّ اللايدي آن لم ترفض طريقة المنطق هذا وحسب، لا بل واشمأزّت منه ومقتته. لكنّه يثابر. آن تكون في لحظةٍ من الضعف والهشاشة الشديدين ـ فهي لوحدها في هذا العالم، من دون أيّ شخصٍ ليساعدها وهي في قمّة حزنها. وصار لكلماته أثر، الأمر الذي لا يمكن أن يُصَدّق.

القتل ليس تكتيكاً إغوائيّاً، لكنّ المُغوي يمثّل نوعاً من القتل ـ قتلاً نفسيّاً. ارتباطاتنا الماضية تشكّل حاجزاً أمام الحاضر. حتّى الناس الذين تركناهم خلفنا يمكنهم أن يستمرّوا بتقييدنا وكبحنا. كمُغوي سيتمّ المناظرة ما بينك وبين الماضي، أي ستُقارَن بالمتودّدين السابقين، ولربّما يجدك هدفك أدنى مرتبةً. *لا تدع الأمر يصل إلى ذلك الحدّ*. أقصِ الماضي وأبعده من خلال انتباهك واهتمامك في الحاضر. جد طريقةً للحطّ من قدر أحبّائهم

هنالك / عبر السماء المكفهرّة بالغيوم / تؤثّر بي بغموضٍ كهذا الذي يظهر / في تلك السماوات الأخرى لعينيك الغدّارتين / عندما أنظر إليهما وهما تشعّان عبر دموعهما. هناك، لا يوجد شيءٌ غير الرحمة والاعتدال، / الغنى، الهدوء، والمتعة... / إنظر، في تلك القنوات الساكنة / تلك السفن النعسانة المحتمية من الأمواج / التي تحلم بالإبحار قدماً؛ / من أجل أن ترضي / أقلّ أمانيك، فإنّها تجيء إلى هنا عبر كلّ مياه الأرض. / الشمس في نهاية النهار / تكسو حقول القشّ، / بعدئذٍ القنوات، وأخيراً كامل البلدة / بلون الياقوت الأزرق والذهب: / رويداً فإنّ الأرض تترنّح / نحو النوم تحت بحرٍ من النار اللطيفة. / هناك، هناك، لا

يوجد شيءٌ غير الرحمة والاعتدال، / الغنى، الهدوء، والمتعة.

ـ شارل بودلير، «دعوة إلى رحلة بحريّة،» *زهور الشر*، ترجمة ريتشارد ويلبر

السابقين إذا كان ذلك ضرورياً ـ بخفيةٍ أو ليس بكثيرٍ من الخفية، تبعاً للموقف. بل وامضِ في ذلك كلّ البعد كأن تنكأ الجروح القديمة، فتجعلهم يشعرون بالآلام القديمة ويرون بالمقارنة كم أنّ الحاضر أفضل. بقدر ما تعزلهم عن ماضيهم، بقدر ما سيغوصون معك بعمق في الحاضر.

يمكن أن يُؤخَذ مبدأ العزل بحرفيّة من خلال أخذ الهدف إلى مكانٍ غريب. هذه كانت طريقة علي خان؛ جزيرةٌ معزولةٌ كانت تؤدّي الغرض كأفضل ما يكون، وبالفعل فإنّ الجزر، المعزولة عن بقيّة العالم، لطالما اقترنت بالسعي وراء الملذّات الحسيّة. انحطّ الأمبراطور الروماني تيبيريوس إلى مستوى الفسوق بمجرّد أن بنى بيته على جزيرة كابري. خطر السفر هو أنّ أهدافك يكونون مُعرّضين لك (مكشوفين) بشكلٍ حميم ـ من الصعب أن تحافظ على سيماء الغموض. لكنّك إذا أخذتهم إلى مكانٍ مغرٍ بما فيه الكفاية ليصرف انتباههم، فستمنعهم عنده من رؤية أيّ شيءٍ عاديٍّ أو مبتذلٍ في شخصيتك. استدرجت كليوباترة يوليوس قيصر ليقوم برحلةٍ نهريّة باتّجاه مصبّ النيل. ازدادت عزلته عن روما بازدياد توغّله في مصر، وكانت كليوباترة أكثر إغواءً من أيّ وقتٍ مضى. المغوية السحاقيّة ناتالي بارني في بداية القرن العشرين كان لديها علاقة متقطّعة مع الشاعرة رينيه ڤيڤيين؛ لكي تكسب ودّها مجدّداً، أخذت رينيه إلى جزيرة ليزبوس التي كانت ناتالي قد زارتها العديد من المرّات. من خلال فعلها هذا لم تعزل رينيه وحسب لا بل ونالت حظوتها وصرفت انتباهها من خلال الارتباطات التي يحملها المكان (اشتُقَّت من اسم الجزيرة كلمة ليزبيان في الإنكليزيّة والتي تعني السحاقيّة، إذ زُعَم أنّ السحاق كان شائعاً بين نسائها: المترجم)، الذي كان موطناً لسافو، الشاعرة السحاقيّة الأسطوريّة. بلغ الأمر حدّاً صارت معه ڤيڤيين تتخيّل أنّ ناتالي كانت سافو نفسها. لا تأخذ الهدف إلى مجرّد أي مّكان؛ وإنّما اختر المكان الذي يحمل الارتباطات الأكثر فعّاليّة.

السطوة الإغوائيّة للعزل تمتدّ إلى ما بعد العالم الجنسي. عندما كان موالون ومشايعون جدد ينضمّون إلى حلقة الأتباع المتفانين لغاندي، فقد كانوا يُشَجَّعَون على قطع صلاتهم بالماضي ـ بعائلاتهم وأصدقائهم. هذا النوع من النكران كان شرطاً للعديد من الفرق الدينيّة عبر القرون. الناس الذين يعزلون أنفسهم بهذه الطريقة يكونون أكثر عرضةً بكثير للتأثّر

والاقتناع. السياسي الكاريزماتي يتغذّى على بل وحتّى يشجّع شعور الناس بالإبعاد والإقصاء. فعل جون إف. كينيدي هذا إلى درجة كبيرة عندما ذمّ سنوات حكم آيزنهاور بشكلٍ خفيّ؛ فقد أشار إلى أنّ الرخاء الذي امتازت به الخمسينات قد أدّى إلى التنازل عن بعض المثاليّات الأمريكيّة. دعا الأمريكيّين لينضمّوا إليه في حياةٍ جديدة مليئة بالمخاطرة والإثارة، فيما يُعرَف «بالحدّ أو التخم الجديد». لقد كانت تلك الدعوة إغراءٍ مغوياً للغاية، وخاصّةً للشباب، الذين كانوا داعمي كينيدي الأكثر حماسةً.

أخيراً، في مرحلةٍ ما من الإغواء يجب أن يكون هناك أثرٌ من الخطر في المزيج. يجب أن تَشعُر أهدافك بأنّها تكسب مغامرةً عظيمة من خلال لحاقها بك، ولكنّهم في نفس الوقت أيضاً يخسرون شيئاً ـ جزءاً من ماضيهم، وراحتهم العزيزة على قلوبهم. شجّع بشكلٍ فعّال هذه المشاعر المتضاربة. عنصرٌ من الخوف يؤدّي دور التوابل الملائمة؛ بالرغم من أنّ كثيراً من الخوف يؤدّي إلى الضعف والعجز، إلّا أنّ جرعاتٍ قليلةً منه تجعلنا نشعر بأنّنا أحياء. مثل القفز من الطائرة، فهو شيءٌ مثيرٌ ومشوّق، لكن في نفس الوقت مخيفٌ قليلاً. والشخص الوحيد هنالك ليضع حدّاً للسقوط، أو يمسكهم، هو أنت.

الرمز: عازف المزمار متعدّد الألوان. رجلٌ مرحٌ في عباءته الحمراء والصفراء، يستدرج الأطفال من منازلهم بواسطة النغمات الساحرة للفلوت الخاصّ به. ينسحر الأطفال، فلا يعودون يلاحظون كم ابتعدوا في مشيهم، وكيف أنّهم تركوا عائلاتهم من خلفهم. هم لا يلاحظون حتّى الكهف الذي يقودهم إليه في آخر المطاف، والذي ينغلق عليهم إلى الأبد.

الانقلاب

إنّ مخاطر هذه الاستراتيجيّة بسيطة: إعزل شخصاً بسرعة أكبر من اللازم وسوف تُحدِث إحساساً بالهلع قد يؤدي إلى لجوء الهدف للهرب. العزل الذي تجيء به يجب أن يكون تدريجيّاً ومُقَنّعاً بقناع المتعة ـ متعة معرفتهم إيّاك، وتركهم للعالم خلفهم. في جميع الأحوال، فإنّ بعض الناس يكونون أكثر هشاشةً من أن يُبتَروا من قاعدة دعمهم. المحظيّة العظيمة المعاصرة باميلا هاريمان كان لديها حلٌّ لهذه المشكلة: عزلت ضحاياها عن عوائلهم، وعن زوجاتهم السابقات أو الحاليّات، وأحلّت بسرعة في محلّ تلك الصلات القديمة أسباب راحةٍ ورفاهيّةٍ جديدة لعشّاقها. غمرتهم بالاهتمام، واعتنت بكلّ حاجاتهم. في حالة آفريل هاريمان، الملياردير الذي تزوّجها في آخر المطاف، فإنّها أسّست بالمعنى الحرفي منزلاً جديداً له، منزلاً لم يكن يحمل أيّ ارتباطاتٍ بالماضي ومليئاً بمُتَع الحاضر. ليس من الحكمة أن تبقيَ المَغويّ معلّقاً ما بين السماء والأرض لفترةٍ أطول من اللازم، دون وجود أيّ شيءٍ مألوفٍ أو مريح في مرمى النظر. بدلاً من ذلك استبدل بالأشياء المألوفة التي كنت قد قطعتهم عنها منزلاً جديداً، وسلسلة جديدة من أسباب الاطمئنان والراحة والرفاه.

المرحلة الثالثة

الجرف ـ تعميق الأثر من خلال الإجراءات المتطرّفة

الهدف في هذه المرحلة هو أن تجعل كلّ شيء أعمق ـ التأثير الذي تتمتّع به على عقولهم، مشاعر الحبّ والتعلّق، التوتّر الذي يعتمل ضمن ضحاياك. بعد أن غرست كلاّباتك فيهم عميقاً، تستطيع أن تزلزلهم، ما بين الأمل واليأس، إلى أن يضعفوا وينهاروا. إظهارك كم أنت مستعدٌّ لأن تمضي بعيداً من أجل ضحاياك، وفعلك لعملٍ نبيلٍ وفروسيّ (16: أثبت نفسك) سيخلق هزّةً شديدة، ويطلق شرارة تفاعلٍ إيجابيٍّ للغاية. الجميع لديهم ندبات، رغبات مكبوتة، وأعمال غير مُنجَزة من الطفولة. استخرج هذه الرغبات والجروح إلى السطح، إجعل ضحاياك يشعرون بأنّهم ينالون ما لم ينالوه قطّ وهم أطفال وسوف تنفذ إلى أعماق عقولهم، وتثير عواطف لا يمكن التحكّم بها (17: أحدِث رجعة). الآن تستطيع أن تأخذ ضحاياك إلى ما بعد محدوديّاتهم، وتحملهم على أن يعبّروا عن جوانبهم المظلمة، الأمر الذي يضفي إحساساً بالخطر إلى إغوائك (18: اصطدم بالخطيئة والمحظور).

أنت بحاجةٍ لأن تُعمّق الرقية، ولا شيء سوف يُربك ويسبي ضحاياك

أكثر من إضفاء صبغةٍ روحيّةٍ على إغوائك. ليست الشهوة هي ما يدفعك، وإنّما القدر، والأفكار الإلهيّة، وكلّ ما هو سامٍ (19: استخدم المُغريات الروحيّة). فالشيء الشهواني يتوارى خلف الروحاني. الآن ضحاياك أصبحوا مُحَضّرين بشكلٍ جيّد. من خلال إيذائهم بشكلٍ متعمّد، وغرس المخاوف وأسباب القلق، ستقودهم إلى حافّة الجرف حيث يَكون من السهل دفعهم وجعلهم يقعون (20: إمزج المتعة بالألم). هم يشعرون بألمٍ عظيم ويتوقون للخلاص.

16

أثبت نفسك

معظم الناس يريدون أن تتمّ غِوايتهم.
أما إذا قاوموا جهودك، فمَردُّ ذلك على الأرجح هو أنّك لم تمضِ بما فيه الكفاية لتحييد شكوكهم ـ حيال دوافعك، عمق مشاعرك، وهلمّ جرّاً. عملٌ واحدٌ حسن التوقيت ومن شأنه أن يظهر مدى استعدادك لأن تمضي بعيداً كي تكسبهم إلى صفّك، كفيلٌ بتبديد شكوكهم. لا تقلق لناحية ظهورك بمظهر السخيف أو ارتكابك خطأً ـ أي نوعٍ من الأعمال التي تتّخذ طابع التضحية بالذات ومن أجل أهدافك، سوف تُؤثّر بمشاعرهم تأثيراً بالغاً لدرجة أنهم لن يلاحظوا لأي شيءٍ آخر. إيّاك أن تتذمّر أو تظهر بمظهر المُثبَّط الهمّة نتيجة مقاومة الناس. بدلاً من ذلك إنهض لمستوى التحدّي من خلال فعل شيءٍ متطرّفٍ أو فروسيّ. بصورةٍ معاكسة، حفّز الآخرين ليثبتوا أنفسهم من خلال جعل نفسك صعب البلوغ والمنال، وتستحقُّ التقاتل من أجلك.

الدليل الإغوائي

جميع الأشخاص يستطيعون التكلّم بكبير الكلام (بالشعارات)، ويقولون أشياء نبيلة عن مشاعرهم، ويصرّون على مدى اهتمامهم بنا، وكذلك الأمر بجميع الناس المُضطهدين في أقاصي الأرض. لكنّهم عندما لا يتصرّفون أبداً بطريقةٍ تسند أقوالهم، فإنّنا نبدأ بالتشكيك بصدقهم ـ لعلّنا نتعامل مع دجّالٍ، منافقٍ أو جبان. الإطراء والكلمات الرقيقة لا يمكنها المضيّ إلى أبعد من هذا. في آخر المطاف، سيأتي الوقت الذي ستضطرّ فيه لتُري فيه ضحيتك دليلاً ما، لتقرن كلماتك بالأفعال.

الحبّ هو نوعٌ من الحرب. فليذهب الجنود المتوانون إلى مكانٍ آخر! / حماية هذه المعايير تتطلّب / أكثر ممّا عند الجبناء. المرابطة ليلاً في الشتاء، تجوالٌ في الطرق الطويلة، كل / أنواع المشقّة، كل أشكال المعاناة: تنتظر / المجنّدين الذين ينتظرون الخيار الأسهل. غالباً ما ستجدون أنفسكم تحت / وابلٍ من الأمطار، وفي معسكرٍ في / العراء ... إذا كان الحبّ / الذي يدوم هو طموحك؟ فضع إذن كلّ الكبرياء جانباً. / قد لا تُتاح لك الطريقة

هذا النوع من الأدلّة، لديه وظيفتان. أوّلاً: يحيّد أيّة شكوكٍ متبقّية بشأنك. ثانياً: الفعل الذي يُظهِرُ خاصّيّةً إيجابيّةً ما فيك يكون مُغوياً بشكلٍ هائل بحدّ ذاته. الأعمال الغيريّة أو الشجاعة تخلق ردّة فعلٍ عاطفيّةٍ تتّسم بالقوة والإيجابيّة. لا تقلق، ليس بالضرورة أن تكون أعمالك شجاعةً وغيريّةٍ لدرجة أن تفقد كلّ شيءٍ في المحصّلة. مظهر النبل لوحده غالباً ما سيفي بالغرض. في الواقع، في عالمٍ يُفرِطُ فيه الناس في التحليل والكلام، فإنّ أيّ نوعٍ من الفعل يتحلّى بتأثيرٍ محيٍ ومغوٍ.

من الطبيعي أن تلقى مقاومةً خلال الإغواء. بالطبع فإنّه بقدر ما تتخطّى من العوائق، بقدر ما تكون اللذة التي تنتظرك عظيمةً، لكن العديد من الإغواءات تفشل نظراً لأنّ المُغوي لا يقرأ بشكلٍ صحيح مقاومة الهدف. في أغلب الأحيان، أنت تستسلم بسهولة فائقة (قبل الأوان). بدايةً، إفهم قانوناً رئيسيّاً في الإغواء: المقاومة هي علامةٌ على أنّ عواطف الشخص الآخر متورّطة (آخذةٌ دوراً) بالعمليّة. الشخص الوحيد الذي لا يمكنك إغواؤه هو

القَصِيّ (البعيد) والبارد. المقاومة هي شيءٌ عاطفيّ، ويمكن أن تُحَوّل إلى نقيضها، تماماً كما في الجوجيتسو، المقاومة الفيزيائيّة للخصم يمكن أن تُستَخدَم لجعله يقع. إذا قاومك الناس بدافعٍ من عدم ثقتهم بك، فإنّ عملاً ظاهره غيريّ، ويُري مدى استعدادك للمضيّ بعيداً في إثبات نفسك، سيخدم كعلاجٍ فعّال. إذا قاوموا بدافعٍ من العفّة أو الفضيلة، أو بدافعٍ من إخلاصهم لشخصٍ آخر، فهذا أفضل بكثير ـ فالعفّة والرغبات المكبوتة يسهل تخطّيها بالعمل (الفعل). كما كتبت المُغوية العظيمة ناتالي بارني، «جلّ العفّة هي تطلّبٌ لإغواءٍ أكبر.»

البسيطة المباشرة، / الأبواب المقفلة قد تُغلَق في وجهك ـ / فكن مستعدّاً لكي تنسلّ من السقف من خلال مدخنة، / أو تسلّل من خلال نافذةٍ في الطابق العلويّ. ستكون سعيدةً / لمعرفتها أنّك تخاطر بحياتك، ومن أجلها: ذلك سيقدّم / لأيّ خليلة إثباتاً أكيداً على حبّك.

ـ أوفيد، فنّ الحبّ، ترجمة بيتر غرين

هناك طريقتان لتثبت نفسك. أوّلاً، الفعل العفوي: تنشأ حالةٌ يحتاج فيها الهدف إلى المساعدة، أو مشكلةٌ بحاجةٍ إلى حلّ، أو ببساطة، يحتاجك الهدف أو تحتاجك في خدمة. لا تستطيع التنبّؤ بهذه المواقف، لكنّك يجب أن تكون جاهزاً لها، لأنّه من الممكن أن تنشأ في أيّ وقت. أَثِر إعجاب الهدف من خلال الذهاب إلى ما هو أبعد من اللازم أو الضروري ـ ضخّ بوقت أكثر، مالٍ أكثر، جهدٍ أكبر ممّا كانوا يتوقّعون. هدفك سيستخدم هذه اللحظات، بل وحتّى يختلقها، كنوعٍ من الامتحان: هل ستتراجع؟ أو هل ستنهض لمستوى الحدث (تتصدّى له)؟ لا يسعك أن تتردّد أو أن تُحجِم وتجفل، حتّى ولو للحظة، وإلاّ فسيضيع كلّ شيء. إذا كان ذلك ضروريّاً، إجعل العمل يبدو على أنّه كلّفك أكثر ممّا كان قد كلّف في الواقع، لكن إيّاك أن تعمل هذا عن طريق الكلام (جهاراً)، وإنّما بشكلٍ غير مباشر ـ النظرات المُرهَقة، نشر القصّة والخبر من خلال طرفٍ ثالث، أو أيّ شيءٍ يلزم لهذا الغرض.

يقول الرجل: «... الثمرة المقطوفة من بستان المرء الخاصّ لا بدّ أن تكون أطيب مذاقاً من الثمرة المأخوذة من شجرةٍ تعود لغريب، وما قد استُحصِل بجهدٍ أكبر يُقدَّر ويُعزّ أكثر ممّا كُسِب بقليلٍ من العناء. كما يقول المثل: 'الغنائم الكبيرة لا يمكن أن تُحرز دون بذل بعضٍ من العمل الشاقّ.'» • تقول المرأة: «إذا كان لا يمكن إحراز الغنائم الكبيرة دون بعضٍ من العمل الشاقّ، فلا بدّ

الطريقة الثانية لتثبت نفسك هي العمل المقدام أو الشجاع الذي تخطّط له بنفسك وتنفّذه مقدّماً، وفي اللحظة المناسبة ـ يُفَضّل أن تكون هذه اللحظة في مرحلةٍ من الإغواء، حيث تكون أيّة شكوكٍ لا تزال تعتمل عند الضحيّة بشأنك أكثر خطورةً من ذي قبل. إختر عملاً صعباً ودراماتيكيّاً من شأنه أن يُظهِر الوقت والجهد المُضنِيَين اللذين استلزمهما العمل. يمكن للخطر أن يكون مُغوياً لأقصى درجات الحدود. قُد ضحاياك بذكاء نحو

أزمةٍ، أو لحظة خطر، أو ضعهم بطريقةٍ غير مباشرة في وضعٍ غير مريح، وستستطيع عندها أن تلعب دور المنقذ، الفارس الشهم. المشاعر والعواطف القويّة التي يثيرها هذا يمكن أن تُوَجّه بسهولةٍ نحو الحبّ.

بعض الأمثلة

1. في أربعينات القرن السابع عشر في فرنسا، كانت ماريون دي لورم أكثر محظيّةٍ يشتهيها ويسعى وراءها الرجال على الإطلاق. كونها اشتُهِرَت بجمالها، فقد كانت عشيقة الكاردينال رايشليو، من بين شخصيّات فذّةٍ أخرى سياسيّةٍ وعسكريّة. أن تحظى بمضجعها (مواقعتها) كان علامة إنجاز.

كان الكونت جرامونت قد خطب ودّ دي لورم لأسابيع قبل أن تمنحه أخيراً موعداً في أمسيةٍ محدّدة. حضّر الكونت نفسه للقاءٍ سارّ، لكن في يوم الموعد تلقّى منها رسالةً تعبّر فيها بعباراتٍ مهذّبة ورقيقة عن اعتذارها الشديد - فقد عانت من صداعٍ شنيعٍ للغاية، اضطرّها لأن تلازم الفراش في ذلك المساء، لذا فإنّ موعدهما يجب أن يُؤجّل. كان الكونت متأكّداً من أنّه أُزيح جانباً (استُغنِيَ عنه) إفساحاً للمجال لشخصٍ آخر، فدي لورم كانت متقلّبةً ومزاجيّةً بقدر ما كانت جميلة.

لم يتردّد جرامونت. لدى هبوط الليل توجّه على ظهر الخيل إلى ماراي، حيث كانت دي لورم تسكن، واستطلع المنطقة. في ساحةٍ قرب المنزل لَحِظ رجلاً يقترب سيراً على الأقدام. بعد أن ميّز أنّه كان الدوق دي بريزاك، علم فوريّاً أنّ هذا الرجل كان من سيحلّ محلّه (غدراً) في سرير المحظيّة. بدا بريزاك غير مسرورٍ لرؤية الكونت، لذا دنا منه جرامونت على عجل وقال، «بريزاك، يا صديقي، عيك أن تسدي خدمةً لي وذلك لأمرٍ غايةٍ في الأهميّة: لديّ موعدٌ، للمرّة الأولى مع فتاةٍ تسكن قرب هذا المكان؛ وبما أنّ هذه الزيارة يُرادُ منها فقط الاتّفاق على التدابير (تدابير اللقاء فيما بعد)، فإنّني لن أمكث إلّا لوقتٍ قصيرٍ جدّاً. تفضّل عليّ وأعرني عباءتك، وسَيّر حصاني قليلاً، ريثما أعود؛ لكن الأهمّ من هذا كلّه هو ألا تبارح هذا

من أن تعاني من إنهاك الكثير من الكدح لتكون قادراً على الحصول على الوصال الذي تسعى إليه، نظراً لأنّ ما تسعى إليه هو غنيمة عظيمة.» • يقول الرجل: «أقدّم لك كل التشكرات التي أستطيع التعبير عنها لوعدك إيّاي بشكلٍ غايةٍ في التعقّل بحبّك عندما أكون قد أنجزت الأعمال الشاقّة. معاذ الله أن يتسنّى لي أو لأيّ شخصٍ آخر الظفر بحبّ امرأةٍ نفيسةٍ للغاية دون بلوغه أوّلاً عن طريق العديد من الأعمال المضنية.»

- أندرياس كابيلانوس عن الحبّ، ترجمة بي. جي. والش

ذات يوم، [القدّيس - برويل] استجدى بشكلٍ أكثر من المعتاد أن تمنحه [المدام دي لا مايزونفورت] الامتياز الأقصى الذي يمكن للمرأة أن تقدّمه، وتجاوز في توسّله حدود الكلمات المشروعة.

المكان.»دون أن ينتظر الجواب، أخذ جرامونت عباءة الدوق وسلّمه لجام حصانه. نظر إلى الخلف، فرأى أنّ بريزاك كان يراقبه، لذا تظاهر بأنّه يدخل بيتاً، ومن ثمّ انسلّ من الخلف، ولفّ حول البيت وصولاً إلى منزل دي لورم دون أن يُرى.

قرع جرامونت الباب، فسمحت له الخادمة بالدخول، بعد أن حسبته الدوق. توجّه مباشرةً إلى حجرة نوم السيّدة، حيث وجدها مستلقيةً على أريكة وهي ترتدي ثوباً نسائيّاً شفّافاً. خلع عباءة بريزاك بسرعة فشهقت من الخوف. سألها، «ما المشكلة، يا عزيزتي الشقراء؟ فمن الواضح للجميع أنّ صداعك قد زال؟» بدا عليها السخط والانزعاج، وصاحت بأنّها لاتزال تعاني من الصداع، وأصرّت على أن يرحل. وقالت أنّها هي من يقرّر عمل المواعيد أو إلغاءها. قال جرامونت بهدوء «مدام، أنا أعلم ما الذي يقلقك ويربكك: أنت خائفةٌ من أن يلتقي بي بريزاك هنا؛ لكن يمكنك أن تطمئنّي بهذا الخصوص.»فتح عندئذٍ النافذة فظهر بريزاك في الساحة، وهو يذرع الطريق جيئةً وذهاباً مع الحصان، على نحوٍ مطيع مثل صبي إسطبل. بدا سخيفاً؛ فانفجرت دي لورم بالضحك، ورمت ذراعيها حول الكونت وصاحت بقوّة، «يا فارسي العزيز، لا أستطيع الانتظار أكثر؛ أنت ودودٌ وغريب الأطوار لدرجةٍ لا يمكن معها ألاّ تُعذَر.» أخبرها القصّة بأكملها، ووعدته بأنّه يمكن للدوق أن يمرّن الأحصنة الليل بطوله، لكن دون أن تسمح له بالدخول. اتّفقا على موعدٍ في مساء اليوم التالي. في الخارج، أعاد الكونت العباءة، واعتذر لأخذه كلّ هذا الوقت، وشكر الدوق. بريزاك كان غايةً في اللباقة، حتّى أنّه أمسك بحصان جرامونت ليساعده على امتطائه، وصار يلوّح له مودّعاً بينما كان راجعاً على ظهر حصانه.

التفسير. كان الكونت جرامونت يعلم أنّ معظم الذين يتطلّعون لأن يكونوا مُغوين يستسلمون بمنتهى السهولة، ويسيؤون فهم التقلّب أو البرود الظاهر على أنّه علامةٌ على نقصٍ حقيقيٍّ في الاهتمام. في الواقع فإن التقلّب يمكن أن يعني الكثير من الأشياء: لعلّ هذا الشخص يختبرك، ويتساءل فيما

المدام، كونها ارتأت أنه كان قد جاوز كلّ الحدود، فقد أمرته بألاّ يريها وجهه مطلقاً. غادر غرفتها. بعد ساعةٍ فقط، كانت المدام تقوم بنزهتها المعتادة بمحاذاة واحدةٍ من تلك القنوات الجميلة في باجنولت، عندما قفز القدّيس - برويل من وراء سياج من الشجيرات، وهو عارٍ تماماً، وصرخ وهو واقفٌ أمام سيّدته في هذه الحالة، «لآخر مرّةٍ يا سيّدتي، الوداع!» وبناءً عليه، فقد رمى بنفسه في القناة ورأسه إلى الأسفل. أخذت السيّدة، بعد أن رُوِّعَت بهذا المنظر، بالبكاء والركض باتّجاه منزلها، حيث أُغمِي عليها بمجرد وصولها. ما إن استطاعت أن تتكلّم حتّى أمرت بأن يذهب شخصٌ ما ويرى ما قد حصل للقدّيس - برويل الذي في الحقيقة لم يكن قد مكث لوقتٍ طويلٍ جدّاً في القناة، وأسرع إلى باريس بعد أن ارتدى ثيابه

إذا كنت جدّياً بحقّ. السلوك المُغيظ والمُضايِق هو بالضبط هذا النوع من الاختبارات ـ فإذا استسلمت لدى أوّل إشارةٍ للصعوبة، فمن الواضح أنّك لا تريدهم بذلك القدر. أو يمكن أن يعني أنّهم أنفسهم غير متأكّدين بشأنك، أو يحاولون أن يختاروا ما بينك وما بين شخصٍ آخر. على جميع الأحوال فإنّه من السخف أن تستسلم. إثباتٌ وحيدٌ قاطعٌ (لا يقبل الجدل) لمدى استعدادك للذهاب بعيداً من أجلهم سوف يجتاح كلّ الشكوك. وسيهزم منافسيك، نظراً لأنّ معظم الناس هيّابون وقلقون من أن يجعلوا أنفسهم موضع سخريةٍ أو احتقار، ولذا فنادراً ما يقومون بأيّ مجازفة.

عند التعامل مع أهدافٍ صعبة أو مقاوِمة، فمن الأفضل عادةً أن ترتجل، كما ارتجل جرامونت. إذا بدت أفعالك مفاجئة ومباغتة، فإنّها سوف تجعلهم أكثر عاطفيّةً، وأقلّ صرامةً. جمعٌ بسيطٌ للمعلومات بطريقة ملتوية ـ قليلٌ من التجسّس ـ هو دائماً فكرة حسنة. أهمّ شيءٍ على الإطلاق هو الروحيّة التي تقوم بها بإثباتك. إذا كنت خفيف الظّل ولعوباً، إذا جعلت الهدف يضحك، مثبتاً نفسك ومسلّياً إيّاهم في نفس الوقت، فلن يهمّ إذا أخفقت، أو إذا رؤوا أنّك وظّفت (استخدمت) قليلاً من الخداع. سيستسلمون إلى المزاج السار الذي خلقته أنت. لاحظ أنّ الكونت لم يتذمّر أو يتصرّف بطريقةٍ غاضبة أو دفاعيّة. كل ما توجّب عليه فعله هو أن يسحب الستارة ويُظهِر الدوق وهو يسيّر حصانه، مليّناً بذلك قلب دي لورم بالضحك. من خلال عملٍ واحدٍ مُنَفّذٍ بإتقان، أظهر ما هو مستعدٌّ لفعله من أجل ليلةٍ من وصالها.

على عجل، حيث خبأ نفسه لعدّة أيام. في هذه الأثناء سرت إشاعةٌ بأنّه قد مات. تأثرت المدام بشكلٍ عميق بالإجراءات المتطرّفة التي كان قد لجأ إليها ليثبت صدق عواطفه. فعله هذا تراءى لها كعلامة حبٍّ استثنائيّ؛ وربّما كونها لاحظت بعض المفاتن في عريّه التي لم تكن قد رأتها وهو مرتدٍ ثيابه، فقد ندمت بعمق على قسوتها، وصرّحت أمام الملأ بإحساسها بالخسارة. تناهى بعضٌ من هذا إلى سمع القدّيس ـ برويل، فبعث بنفسه على الفور ولم يُضع الوقت في استغلال شعورٍ مؤاتٍ كهذا لدى سيّدته

ـ الكونت بوسي ـ رابوتين، *تواريخ المحبين في بلاد الغال*

2. حظيت باولين بونابرت، أخت نابوليون، بالعديد من العلاقات مع العديد من الرجال عبر السنين لدرجةٍ خاف معها الأطبّاء على صحّتها. لم تكن تستطع البقاء مع رجلٍ واحد أكثر من بضعة أسابيع؛ الجِدّة كانت لذّتها الوحيدة. بعد أن زوّجها نابوليون من الأمير كاميلو بورجيز، في عام 1804، فإنّ التغيّر الوحيد الذي طرأ على علاقاتها كان أن تضاعفت عدّة مرّات. وهكذا، فعندما التقت بالرائد الجريء والمندفع يولس دي كانوڤيل، في

لكي يصبح خادم السيّدة... كان يُتَوَقّع من التروبادور أن يمر بأربع مراحل، وهي: الطامح، المتوسّل، المرشّح، والعاشق.

عندما يكون قد بلغ المرحلة الأخيرة من الإدخال أو التلقين الغرامي فإنّه يأخذ على نفسه عهداً بالوفاء وتُقرّ البيعة بقبلة. • في هذه الصيغة المثالية لحبّ الفرسان للنبيلات المخصّص للنخبة الأرستقراطية من الفرسان، فإنّ ظاهرة الحبّ كانت تُعتبر كحالةٍ من الفضيلة والنعمة، بينما طقوس الإدخال التي تبعت، والإقرار النهائي للمعاهدة ـ أو حفلة الاحتضان المناظِرة التي تُقام عند منح المرء رتبة فارس ـ كانت تتصل بسائر تمرين النبلاء ومآثرهم الباسلة. العلامات الفارقة للعاشق الحقيقيّ وللفارس النموذجي كانت متطابقةً تقريباً. كان العاشق ملزماً بأن يطيع سيّدته كما كان الفارس بخدمة سيّده الإقطاعي. في كلتا الحالتين فإنّ العهد كان ذا طبيعةٍ مقدّسة.

ـ نينا إبتون، *الحبّ والفرنسيّون*

عام 1810، افترض الجميع أنّ العلاقة لن تدوم أكثر من الأخريات. بالطبع لقد كان الرائد جنديّاً حائزاً على عدّة أوسمة، حسن التعليم، راقصاً بارعاً، وواحداً من أكثر الرجال وسامةً في الجيش. لكنّ باولين، التي كانت في الثلاثين من عمرها في ذلك الوقت، كانت قد أقامت علاقات مع العديد من الرجال الذين يمكنهم أن يضاهوا هذه الجملة من المزايا.

بعد عدّة أيّام من بداية العلاقة، وصل طبيب الأسنان الخاصّ بالإمبراطور إلى منزل باولين. كانت تعاني من ألمٍ في السن حرمها النوم، ورأى الطبيب أنّه يجب أن يقلع السن المسوّس فوريّاً ودون أيّ إبطاء. لم تكن قد استُخدِمَت بعد مسكّنات الألم في ذلك العصر، وارتعبت باولين بينما كان الرجل يخرج أدواته المتنوّعة. بالرغم من الألم الذي تعانيه في سنّها، إلّا أنّها غيّرت رأيها ورفضت أن يُقلَع.

الرائد كانوڤيل كان متّكئاً على أريكةٍ وهو يرتدي رداءً حريريّاً. بعد أن استوعب الصورة جيّداً، حاول أن يشجّعها لكي تنتهي من الأمر: «لحظةٌ أو لحظتين من الألم وسيزول إلى الأبد... يستطيع طفلٌ أن يتحمّل هذا دون أن تندّ عنه آهة.» فقالت له، «أحبّ أن أراك وقد اختبرت هذا.» فنهض كانوڤيل، وذهب إلى عند طبيب الأسنان، واختار ضرساً في مؤخّرة فمه، وطلب منه أن يقلعه له. الضرس الذي اقتُلِع كان سليماً بالكامل، وبالكاد رفّ لكانوڤيل جفن. بعد هذا لم تسمح باولين لطبيب الأسنان بانتزاع سنّها وحسب، بل أنّ رأيها بكانوڤيل تغيّر: إذ لم يكن رجلٌ قد فعل لها أيّ شيءٍ مثل هذا من قبل.

العلاقة لم تكن لتدوم أكثر من عدّة أسابيع؛ أمّا الآن فقد امتدّت. نابوليون لم يكن مسروراً. فباولين كانت امرأةً متزوّجة؛ لذا فالعلاقات العابرة كانت مسموحة، أمّا الارتباط العميق فقد كان محرجاً. أرسل كانوڤيل إلى إسبانيا، ليوصل رسالةً إلى القائد هناك. كانت المهمّة ستستغرق أسابيع، وفي تلك الأثناء كانت باولين ستجد شخصاً آخر.

إلّا أنّ كانوڤيل لم يكن عاشقاً عاديّاً. فقد انطلق على ظهر حصانه في

الليل وفي النهار، دون أن يتوقّف للأكل أو الشرب، فوصل إلى سَلمانكا في غضون عدّة أيّام. فوجد هنالك أنّه لا يستطيع التقدّم أكثر، نظراً لكون الاتّصالات مقطوعة، وهكذا، ودون الانتظار لأوامرٍ أخرى، انطلق على صهوة حصانه عائداً إلى باريس، دون مرافقة، وعبر أراضي العدوّ. لم يستطع الالتقاء بباولين إلّا لبرهة؛ فقد أعاده نابوليون مباشرةً إلى إسبانيا. مضت شهورٌ قبل أن يُسمَحَ له بالعودة أخيراً، لكنّه عندما عاد، فإنّ باولين استأنفت معه علاقتها على الفور ـ وهو عمل ولاءٍ وإخلاصٍ لم يكن أحدٌ قد سمع بمثله من قِبَلِها. هذه المرّة أرسل نابوليون كانوڤيل إلى ألمانيا وأخيراً إلى روسيا، حيث لاقى حتفه ببسالة في عام 1812. لقد كان العاشق الوحيد على الإطلاق الذي انتظرته باولين، والوحيد الذي لبست من أجله ثوب الحداد في كلّ حياتها.

في إحدى البلدات الكبيرة في المملكة الفرنسيّة كان يقطن رجلٌ نبيلٌ كريم المحتد، والذي ارتاد المدارس التي من شأنها أن تعلّمه كيف يكون اكتساب الفضيلة والشرف عند الرجال الفاضلين. لكن بالرغم من أنّه كان غايةً في الكياسة بحيث أنّه في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة شكّل مثالاً للآخرين ومبدأً يقتدون به على حدٍّ سواء، إلّا أن الحبّ لم يعجز عن إضافة درسه إلى باقي الدروس والعبر؛ وربّما كان الحبّ هو أحقّ تلك الدروس بالإصغاء إليها وتلقّيها، وهكذا خبّأ الحبّ نفسه في وجه وعيني أجمل امرأة في كلّ أرجاء البلد، والتي كانت قد قدمت إلى المدينة من أجل أن تتابع دعوةً قضائيّة. لكن قبل أن يسعى الحبّ إلى إخضاع الشاب بواسطة جمال هذه السيّدة، فقد ظفر أوّلاً بقلبها من خلال جعلها ترى أوجه

التفسير. في الإغواء، غالباً ما يأتي الوقت الذي يبدأ فيه الهدف بالميل لك، لكنّه ينسحب أو يتراجع فجأة. صارت دوافعك تبدو مريبة ـ لعلّ كل ما تسعى وراءه هو الاتصال الجنسي، أو القوّة، أو المال. معظم الناس يعانون من الشعور بعدم الأمان وشكوكٌ مثل هذه يمكنها أن تدمّر الوهم الإغوائيّ. في حالة باولين بونابرت، فإنّها كانت معتادة على استخدام الرجال بقصد المتعة، وكانت تعرف حقّ المعرفة أنّها كانت تُستَخدَمُ أيضاً بالمُقابل. لقد كانت ساخرةً وشكّاكةً بطيبة الدوافع البشريّة إلى أقصى درجات الحدود. لكنّ الناس غالباً ما يستخدمون هذا النوع من السخرية والشك ليغطّوا شعورهم بعدم الأمان. الحصر النفسي الذي كانت تعاني منه باولين سرّاً كان أنّ أحداً من عشّاقها لم يحبّها بحقّ ـ أنّهم جميعاً لم يريدوا منها حقّاً سوى الجنس أو المصلحة السياسيّة. عندما أظهر لها كانوڤيل التضحيات التي كان مُستعدّاً للقيام بها من أجلها، وذلك من خلال الأفعال الملموسة ـ ضرسه، مسيرته المهنيّة، حياته ـ فإنّه حوّل امرأةً شديدة الأنانيّة إلى عاشقةٍ مخلصة. لم يكن تجاوبها غير أنانيٍّ بالكامل: فأفعاله كانت تعزّز غرورها وخُيلاءها. إذا كانت تلهمه بمثل هذه الأعمال، فلا بدّ وأنّها تستحقّها. لكن إذا كان يريد

أن يناشد الجانب النبيل من طبيعتها، فعليها أن تنهض لذلك المستوى أيضاً، وتثبت نفسها من خلال البقاء مخلصةً له.

جعل أعمالك جريئةً وشهمةً قدر المستطاع سيرتقي بالإغواء إلى مستوى جديد، ويحرّك مشاعر مدفونة، ويغطّي أيّة دوافع خفيّة قد تكون لديك. التضحيات التي تقوم بها يجب أن تكون مرئيّة؛ والحديث عنها، أو شرح ما قد كلّفتك، سيجعلك تبدو وكأنّك تتبجّح وتتفاخر. انحرم النوم، قع فريسةً للمرض، إخسر وقتاً ثميناً، ضع مسيرتك المهنيّة على المحكّ، وأنفق مالاً أكثر ممّا تستطيع تحمّله. تستطيع أن تبالغ وأن تضخّم كلّ هذا من أجل التأثير في الآخرين، لكن لا تدعهم يلمحونك وأنت تتبجّح بشأن ما فعلت أو وأنت ترثي لنفسك: أنزِل بنفسك الألم ودعهم يرون ذلك. بما أنّ كلّ شخصٍ في العالم تقريباً يبدو أنّه يحتال للحصول على منفعةٍ شخصيّة، فإنّ عملك النبيل والغيري (الإيثاري) لن يكون من الممكن مقاومته.

الكمال في هذا اللورد الشاب؛ إذ لم يتفوّق عليه أحد لا في الشكل الحسن ولا في الكياسة ولا في الوعي ولا في قوّة البيان. • أنت، الذي تعرف الطريق السريع الذي تسلكه نيران الحبّ ما إن تتشبث بالقلب والخيال، ستتخيل حالاً أنّه ما بين شخصين ممتازين كهذين فلن يعرف الحبّ استراحةً قبل أن يخضعهما لإرادته، ويملؤهما بنوره الصافي، بحيث تصبح الأفكار والأماني والكلمات كلّها مشتعلةً بلهيبه. الصبا، مولّداً الخوف لدى اللورد الشاب، دفعه لأن يطلب يدها بكل التهذيب واللطف الممكن تخيلهما؛ لكن كونها قد اجتاحها الحبّ فلم يكن من حاجةٍ للقوّة للظفر بها. على الرغم من ذلك فإنّ الخجل الذي يبقى عند الفتيات لأطول وقتٍ ممكن، قد كبحها عن البوح عمّا في ذهنها. لكن أخيراً فإنّ قلعة القلب التي هي مقرّ للشرف،

3. طوال تسعينات القرن التاسع عشر وحتّى بداية القرن العشرين، كان جابرييل دانونزيو يُعتَبَر واحداً من أفضل روائيّي إيطاليا وكتّابها المسرحيّين. ومع ذلك فقد كان العديد من الإيطاليّين لا يطيقونه. كتابته كانت مزخرفة، وعلى المستوى الشخصي كان يبدو محتفياً ومشغولاً بنفسه ودراماتيكيّاً بشكلٍ مفرط ـ كان يركب الحصان على الشاطئ وهو عارٍ، ويدّعي أنّه رجل نهضة، وأشياء من هذا القبيل. رواياته في الغالب كانت عن الحرب، وعن المجد المتأتّي عن مواجهة وقهر الموت ـ وهذا موضوعٌ مسلٍّ لشخصٍ لم يكن قد فعل هذا قطّ في الواقع. وهكذا، لدى بداية الحرب العالميّة الأولى، لم يتفاجأ أحد عندما كان دانونزيو في طليعة المنادين بوقوف إيطاليا بجانب الحلفاء ودخولها النزاع. أينما التفتّ، فقد كان هناك، يلقي خطاباً يؤيّد فيه دخول الحرب ـ في حملةٍ نجحت في عام 1915، عندما أعلنت إيطاليا الحرب أخيراً على ألمانيا والنمسا. الدور الذي قام به دانونزيو إلى حدّ الآن كان مُتَوَقّعاً تماماً. لكن ما فاجأ عموم الإيطاليّين بحقّ كان ما فعله هذا الرجل البالغ من العمر الثانية والخمسين بعد ذلك: انضمّ إلى

الجيش. لم يكن قد خدم أبداً في الجيش، والسفن كانت تصيبه بدوار البحر، لكن لم يكن من الممكن ثنيه عن قراره. في آخر المطاف منحته السلطات وظيفةً في سلاح الفرسان، أملاً منها بأن يبقى خارج القتال.

كانت خبرة إيطاليا في الحرب ضعيفةً، وجيشها كان فوضوياً بعض الشيء. فَقَد القادة العسكريّون أثر دانونزيو ـ الذي كان قد قرّر في جميع الأحوال أن يترك سلاح الفرسان ويشكّل وحداتٍ خاصّةً به. (في النهاية كان فنّاناً، ولم يكن من الممكن إخضاعه للنظام العسكري.) أطلق على نفسه اسم *القائد*، وتخطّى عارضه المألوف (دوار البحر) وشنّ سلسلةً من الغارات الباسلة، على رأس مجموعةٍ من الزوارق السريعة في أوقاتٍ متأخّرةٍ من الليل على المرافئ النمساويّة، ومُطلِقاً الطوربيدات على السفن الراسية. تعلّم الطيران أيضاً، وبدأ بقيادة مهمّاتٍ جويّة خطرة. في آب من عام 1915، طار فوق مدينة تِريِيستة، التي كانت عندئذٍ في أيدي الأعداء، ورمى بالأعلام الإيطاليّة والآلاف من المنشورات التي تحضّ على الأمل، والمكتوبة بأسلوبه الذي لا يُضاهى: «نهاية استشهاداتكم (تضحياتكم) أمست قريبة! وفجر بهجتكم وشيك. من أعالي السماء، على أجنحة إيطاليا، أرمي لكم بهذا العهد، بهذه الرسالة التي من قلبي.» طار على ارتفاعاتٍ لم يُسمَع بها (غير مسبوقة) في ذلك الزمان، وعبر نيرانٍ كثيفةٍ للأعداء، وضع النمساويّون جائزةً ماليّة لمن يضع حدّاً لحياته.

في مهمّةٍ في عام 1916، اصطدم دانونزيو بمسدّسه الرشاش، ما أدّى إلى أذيّةٍ دائمةٍ في أحد عينيه، وضررٍ بالغٍ في العين الأخرى. قبع في منزله في البندقيّة كي يتماثل للشفاء بعد أن أُخبِر بأنّ أيّام تحليقه قد ولّت. في ذلك الزمان، كانت الكونتيسّة موروسيني التي كانت عشيقةً سابقةً للقيصر الألماني، تُعتبَر على وجه الإجمال على أنّها المرأة الأكثر جمالاً وأناقةً في كلّ إيطاليا. قصرها كان على القناة الرئيسيّة، ومقابلاً لمنزل دانونزيو. الآن وجدت نفسها محاصرةً بالرسائل والأشعار من الكاتب ـ الجنديّ، التي تمزج ما بين التفاصيل الخاصّة بمآثر عمليّاته الجويّة وبين تصريحاته بالحبّ. كان يعبر القناة في خضمّ الغارات الجويّة على البندقيّة، وهو بالكاد يستطيع أن

كانت قد حُطِّمت بطريقةٍ جعلت السيّدة المسكينة توافق على ما لم تكن ميّالةً أبداً إلى رفضه. • لكن من أجل أن تجرب صبر حبيبها وإخلاصه وحبّه، فقد منحته ما كان يسعى وراءه ولكن بشرطٍ صعبٍ جدّاً، مؤكّدةً له بأنّه إذا نفّذه فإنّها سوف تذوب فيه حبّاً إلى الأبد؛ في حين أنّه إذا أخفق فيه، فمن المؤكّد أنّه لن يحظى بها ما حيي. والشرط كان الآتي: ستتكلّم معه بينما يكون كلاهما في السرير وهما مرتديان لثيابهما التحتية فقط، لكن لا يحقّ له أن يطلب منها شيئاً عدا الكلمات والقبلات. • وافق على اقتراحها بعد أن فكّر فيما بينه وبين نفسه بأنّه ما من فرحةٍ تُقارَن بما وعدته به، وفي تلك الليلة تمّ صون الوعد بحيث أنّه لم يحنث بقسمه بالرغم من جميع اللمسات التي وهبته إيّاها والإغراءات التي اكتنفته. ولو أنّ عذابه تبدّى له كشيءٍ ليس بأقلّ من عذاب

يرى بعينه الواحدة، ليسلّمها آخر أشعاره. منزلة دانونزيو الاجتماعيّة كانت أدنى بكثير من منزلة موروسيني، فهو مجرّد كاتب، لكنّ استعداده لمواجهة كلّ شيءٍ بشجاعة من أجلها استمالها وظفر بها. واقع أنّ سلوكه المتهوّر كان يمكنه أن يودي بحياته في أيّ يوم لم يؤدِّ إلّا إلى تسريع الإغواء.

تجاهل دانونزيو نصيحة الأطبّاء وعاد على الطيران، فشنّ غاراتٍ أكثر جرأةً حتّى من ذي قبل. في نهاية الحرب كان بطل إيطاليا الأكثر ألقاً والأكثر نيلاً للأوسمة. الآن، حيثما ظهر في أنحاء الأمّة، كانت الجماهير تملأ الميادين لتسمع خطاباته. بعد الحرب، قاد مسيرةً إلى مدينة فيوم، على ساحل الأدرياتيك. في المفاوضات على تسوية الحرب، آمن الإيطاليّون بأنّهم يجب أن يُمنَحوا المدينة، لكنّ الحلفاء لم يوافقوا على ذلك. قوّات دانونزيو استولت على المدينة فأصبح الشاعر قائداً، حيث حكم فيوم كجمهوريّةٍ مستقلّة لأكثر من سنة. عندئذٍ، كان الجميع قد نسي ماضيه الأقل من مجيد ككاتبٍ منحطٍّ أخلاقياً ومتدهور. الآن لم يكن من الممكن أن يرتكب خطأً (كان معصوماً).

الحاجز الذي بين الجنّة والنار، فقد كان حبه عظيماً وأمله قويّاً وراسخاً، أثناء شعوره بالإرجاء المتواصل للحبّ الذي ظفر به بمنتهى الألم، إلى درجة أنّه احتفظ بصبره ونهض من جانبها دون أن يكون قد فعل أيّ شيءٍ مخالفٍ لرغبتها المعلنة. أعتقد أنّ السيّدة كانت مذهولةً أكثر منها مسرورة إزاء عفّة كهذه؛ ودون أن تلتفت إلى أو تبالي بالشرف والصبر والإخلاص الذين كان قد أظهرهم حبيبها في الوفاء بقسمه، فقد اشتبهت على الفور بأنّ حبه لم يكن عظيماً كما اعتقدت، أو أنّه كان قد وجدها أقلّ إثارةً للإعجاب ممّا توقّع. • بناءً عليه فإنّها صمّمت على أن تقوم باختبارٍ إضافيٍّ للحبّ الذي يكنّه لها؛ وسعياً وراء هذه الغاية فقد ترجّته أن يتكلّم مع فتاةٍ تعمل كخادمةٍ لها، والتي كانت أصغر منها عمراً وآيةً في الجمال، داعيةً إيّاه أن

التفسير. جاذب الإغواء يكمن في كوننا ننفصل عن أنماطنا الروتينيّة المعتادة، واختبارنا لرعشة المجهول. الموت هو المجهول المطلق والأقصى. في فترات الفوضى والاضطراب والموت ـ موجات الطاعون التي اجتاحت أوروبا في العصور الوسطى، عهد الإرهاب في الثورة الفرنسيّة (ما بين أيلول 1793، وتموز 1794 حيث أُعدِمَ الآلاف بوصفهم أعداءً للثورة: المترجم)، الغارات الجويّة على لندن خلال الحرب العالميّة الثانية ـ فإنّ الناس غالباً ما يتخلّون عن حذرهم المعتاد ويفعلون أشياءً ما كانوا ليفعلوها أبداً في الأحوال (الفترات) الأُخرى. هم يختبرون نوعاً من الهذيان والاهتياج. هنالك شيءٌ مغوٍ للغاية بشأن الخطر، وبشأن المضيّ إلى المجهول. أَظهِر أنّك تتمتّع بمسحةٍ من التهوّر وبطبيعةٍ جسورة، وأنّه لا يوجد عندك الخوف المعتاد من الموت، وعندها ستسحر في الحال السواد الأعظم من الناس.

إنّ ما تثبته في هذه الحالة هو ليس كيف تشعر نحو الشخص الآخر وإنّما شيءٌ يتعلّق بك: أنت مستعدٌ لأن تضع نفسك في موقعٍ حرجٍ ودون أيّ سند. فأنت لست مجرّد ثرثارٍ أو متبجّح. هذه وصفةٌ للكاريزما الفوريّة. أيّ شخصيّةٍ سياسيّة - تشرشل، ديغول، كينيدي - كانت قد أثبتت نفسها في ميدان المعركة تتمتّع بجاذبٍ لا يُضارَع. الجميع كانوا يعتقدون أنّ دانونزيو عبارة عن فاسقٍ غندور؛ إلى أن اختبر الحرب، الأمر الذي أضفى عليه بريقاً بطوليّاً، وهالةً نابوليونيّة. لطالما كان في الواقع عبارة عن مغوٍ ناجح، لكنّه كان الآن أكثر جاذبيّة حتّى وبشكلٍ شيطانيّ. أنت لست مضطرّاً لأن تواجه خطر الموت، لكن وضع نفسك في جواره سيمنحك شحنةً إغوائيّة. (من الأفضل أن تفعل هذا في مرحلةٍ ما من الإغواء تلي البداية، فتجعله يحدث كمفاجأة سارّة.) أنت مستعدٌّ لاقتحام المجهول. لا يوجد أحدٌ أكثر إغوائيّةً من الشخص الذي احتكّ بالموت. الناس سوف ينجذبون إليك؛ فلربّما يأملون بأن ينتقل إليهم قليلٌ من روحك المغامرة.

4. تبعاً لأحد روايات الأسطورة الآرثريّة، فإنّ الفارس العظيم السير لانسلوت لمح ذات مرّة الملكة جوينيڤير، زوجة الملك آرثر، وتلك النظرة الخاطفة كانت كافية - فقد وقع في حبّها بجنون. وهكذا لم يتردّد لانسلوت عندما تناهى إلى سمعه أنّ الملكة جوينيڤير كانت قد خُطِفَت من قبل فارسٍ شرّير - تناسى واجباته الفروسيّة الأخرى وأسرع لمطاردة الفارس الشرير. انهار حصانه من طول المطاردة، لذا تابع سيراً على الأقدام. أخيراً بدا أنّه كان قريباً، لكنّه كان مرهقاً ولم يستطع التقدّم أكثر. مرّت بقربه عربة تجرّها الخيول؛ العربة كانت مليئة برجالٍ كريهي المنظر ومقيّدين بشكلٍ جماعيّ. في تلك الأيّام كان من الدارج وضع المجرمين - القتلة، الخونة، القوّادين، اللصوص - في مثل هكذا عربة، والتي كانت تجوب بعد ذلك كلّ شوارع البلدة بحيث يتمكّن الناس من مشاهدتها. بمجرّد ركوبك في العربة، تكون قد خسرت جميع حقوقك الإقطاعيّة لبقيّة حياتك. العربة كانت رمزاً كريهاً للغاية بحيث أنّ رؤية واحدة فارغة كان كفيلاً بأن يجعلك ترتعد من الخوف

يتحدّث إليها بكلام الحبّ، كي يعتقد أولئك الذين رؤوه يتردّد كثيراً إلى المنزل بأنّ زياراته كانت من أجل الفتاة وليس من أجلها هي. • اللورد الشاب، كونه متأكّد من أنّها كانت تبادله حبه بمقدار مساوٍ، فقد كان مطيعاً بالكامل لأوامرها، ومن أجل حبه لها فقد أجبر نفسه على اصطناع الحبّ للفتاة؛ وهي، كونها وجدته وسيماً وعذب الحديث للغاية فقد صدّقت أكاذيبه أكثر من الحقيقة الأخرى، وأحبته بمقدار ما اعتقدت أنّه أحبها بشدّة. • بعد أن وجدت السيدة بأنّ الأمور كانت تسير بشكلٍ حسن، ولو أنّ اللورد الشاب لم يتوقّف عن التصريح بوعده، فقد منحته الإذن بأن يأتي ويراها في ساعةٍ محدّدةٍ بعد منتصف الليل، قائلةً بأنّها بعد أن اختبرت بالكامل الحبّ والامتثال اللذين كان قد أظهرهما نحوها، فإنّه كان من العدل تماماً أن يُكافأ على

وترسم إشارة الصليب. بالرغم من هذا، فقد اقترب السير لانسلوت من سائق العربة، الذي كان قزماً، وخاطبه: «بالله عليك أخبرني إذا كنت رأيت سيّدتي الملكة وهي تمرّ من هذا الطريق؟» فأجابه القزم، «إذا كنت راغباً في الركوب في هذه العربة التي أقود، فستعرف غداً ماذا حلّ بالملكة.» بعد ذلك انطلق بالعربة إلى الأمام. لم تكن الأحصنة قد مشت أكثر من خطوتين قبل أن يحسم لانسلوت تردّده؛ إذ ركض خلف العربة وتسلّقها.

حيثما ذهبت العربة، كان سكّان البلدة يصيحون ويصرخون. وأكثر ما أثار فضولهم كان الفارس من بين الركّاب. ماذا كانت جريمته؟ كيف سيُعدَم ـ بسلخ الجلد؟ أم بالتغريق بالماء. أم بالحرق على الأشواك؟ أطلق القزم سراحه أخيراً، دون أن يقول له أيّ كلمة عن مكان الملكة. ممّا جعل الأمور أسوأ، أنّ أحداً لم يكن ليقترب منه الآن أو يتكلّم معه، كونه كان بالعربة. ظلّ يسعى خلف الملكة، وكان طوال الطريق يُشتَم، ويبصَق عليه، ويُتَحَدّى من قبل الفرسان الآخرين. كان قد ألحق العار بطبقة الفرسان بركوبه في العربة. لكن لم يكن بإمكان أحد أن يوقفه أو يُبطئ من سيره الحثيث، واكتشف أخيراً أنّ خاطف الملكة كان ميليغانت الشرير. استطاع إدراك ميليغانت فخاض الإثنان مبارزةً. بدا لانسلوت على وشك الانهزام، كونه كان لا يزال ضعيفاً من أثر المطاردة، لكن عندما علم أنّ الملكة كانت تشاهد المعركة، استعاد قوّته وكان على وشك أن يقتل ميليغانت عندما تمّ إنهاء القتال بهدنة. سُلِّمَت جوينيڤير له.

بالكاد استطاع لانسلوت تمالك نفسه من الفرح إزاء فكرة كونه أخيراً في حضرة سيّدته. لكنّ صُدِم، إذ أنّها بدت غاضبةً، ولم تنظر إلى منقذها. قالت لأب ميليغانت، «مولاي، لقد ضيّع جهوده في الواقع. سأنكر دوماً أنّني أشعر بأيّ امتنانٍ نحوه.» خُزِيَ لانسلوت وجُرِحَت مشاعره لكنّه لم يشتكِ. بعد مضيّ فترةٍ طويلة، وخضوعه لعددٍ لا يُحصى من الاختبارات، لانت أخيراً وأصبحا عاشقين. سألها ذات يوم: عندما خُطِفَت من قبل ميليغانت، هل سَمِعَت بقصّة العربة، وكيف أنّه كان قد ألحق العار بجماعة الفرسان؟ هل كان ذلك سبب معاملتها له بذلك القدر من الجفاء في ذلك

صبره الطويل. لا يجب أن يراودك الشك إزاء الفرحة العارمة التي اجتاحته عند سماعه لهذا، ولم يخفق في الوصول عند الساعة المقترة. • لكنّ السيّدة، كونها كانت لا تزال راغبةً بتجريب قوّة حبه، فقد قالت لفتاتها الجميلة ـ «أنا مطّلعةٌ تماماً على الحبّ الذي يكنّه لك أحد النبلاء بالتحديد، وأعتقد بأنّك لست بأقلّ منه غرقاً في الحب؛ وإنّي لأشفق على كليكما، لذا فقد عقدت العزم على تزويدكما بالوقت والمكان لكي يتسنّى لكما الحديث دونما إزعاج.» • ابتهجت الفتاة لدرجةٍ لم تستطع معها إخفاء أتواقها، وأجابت بأنّها لن تتوانى عن الحضور. • امتثالاً منها لنصيحة وأمر سيّدتها فقد قامت بخلع ثيابها وتمدّدت على سريرٍ جميل في غرفةٍ تركت السيّدة بابها نصف مفتوح، في حين أنّها جهّزت من الداخل ضوءاً بحيث يُتَمكن من رؤية جمال الفتاة.

اليوم؟ أجابت الملكة، «من خلال التواني لخطوتين أظهرت عدم رغبتك بصعود العربة. ذلك، صراحةً، سبب عدم رغبتي في رؤيتك أو التحدّث معك.»

بعدئذٍ تظاهرت السيّدة بالذهاب، غير أنّها خبأت نفسها قرب السرير بحذرٍ شديد بحيث لا يمكن رؤيتها. • حبيبها المسكين، الذي حسب أنّه سيراها تبعاً لوعدها، لم يعجز عن دخول الغرفة في الساعة المتّفق عليها وبأكبر قدرٍ من الهدوء؛ وبعد أن أغلق الباب وخلع معطفه وحذاءه المصنوع من الفرو، فقد أسرع إلى السرير، حيث نظر لكي يرى ما رغب به. لكن قبل أن يضع ذراعيه ليعانق من اعتقد أنّها خليلته، فقد وضعت الفتاة المسكينة، التي صدّقت بأنّه لها لوحدها، ذراعيها حول عنقه، وصارت تتحدّث معه بكلماتٍ مُفعمةٍ جدّاً بالغرام وبوجهٍ جميلٍ للغاية، لدرجة أنّه لم يكن يمكن لناسكٍ متعبّدٍ مهما بلغت تقواه ألاّ ينسى سُبحَته حبّاً لها. • لكن عندما ميّزها الجنتلمان من خلال كلٍّ من السمع والبصر، ووجد أنّه لم

التفسير. غالباً ما تأتيك الفرصة للقيام بعملك الغيري بشكلٍ مفاجئ. عليك أن تثبت جدارتك وقيمتك فورياً ودون أيّ إبطاء. من الممكن أن يكون موقف إغاثة (إنقاذ)، أو هديّةٌ يمكنك أن تقدّمها أو خدمةٌ يمكنك أن تؤدّيها، أو طلبٌ مباغت لتترك كل ما بين يديك وتهرع لمساعدتهم. ما يهمّ أكثر من أيّ شيء هو ليس إذا ما تصرّفت بشكلٍ طائش، وارتكبت خطأً، وقمت بشيءٍ غبيٍّ، وإنّما ظهورك على أنّك تتصرّف من أجلهم دون التفكير بنفسك أو بالعواقب.

في لحظاتٍ كهذه، يمكن للتردّد، حتّى لو كان لبضع ثوان، أن يدمّر كل العمل المضني الذي استلزمه إغواؤك، إذ يظهرك بمظهر المنهمك كليّاً في نفسه ومصالحه، وغير الشهم والوضيع. هذا، على أيّة حال، هو مغزى رواية كريستيان دي ترويِيه في القرن الثاني عشر لقصّة لانسلوت. تذكّر: ليس ما تعمله وحسب هو مايهمّ، وإنّما كيف تعمله مهمٌّ أيضاً. إذا كنت مستغرقاً في ذاتك بالفطرة، فتعلّم إخفاء هذا. تصرّف بأكبر قدرٍ ممكنٍ من العفويّة، مضخّماً الأثر من خلال ظهورك بمظهر المرتبك والمتحمّس لدرجة الاهتياج بل وحتّى الأحمق ـ فالحبّ قد دفعك إلى هذه النقطة. إذا توجّب عليك أن تقفز على العربة من أجل جوينيڤير فاحرص على أن تراك وأنت تقوم بهذا دون أدنى تردّد.

5. في روما في حوالي عام 1531، ذاعت الأخبار عن شابّةٍ مثيرة تُدعى توليا داراجونا. لم تكن توليا حسناءً بالمعنى التقليدي تبعاً لمقاييس ذلك العصر؛ فقد كانت طويلةً ونحيفة، في وقتٍ كانت فيه المرأة السمينة والشهوانيّة تُعتبَر مثال الجمال. ولم يكن عندها ذلك الأسلوب في الإفراط

في الضحك الذي اتّسمت به معظم الفتيات اللواتي أردن لفت انتباه الرجال. كلاّ فقد كانت من طبيعةٍ ونوعيّةٍ أرقى. كانت تتكلّم اللاتينيّة بطلاقة تامّة، وتستطيع أن تناقش آخر موضوعات الأدب، وتجيد العزف على العود والغناء. بكلمةٍ أخرى، كانت شيئاً جديداً وغير مألوف، وبما أنّ ذلك كان كلّ ما يبحث عنه معظم الرجال، فقد بدؤوا بزيارتها بأعدادٍ هائلة. كان لديها عاشق، يشتغل بالديبلوماسيّة، وفكرة أنّ واحداً من الرجال كان قد ظفر بوصالها أفقدتهم صوابهم جميعاً. بدأ زوّارها الذكور بالتنافس على لفت انتباهها، فأخذوا يكتبون الشعر على شرفها، ويتزاحمون كي يصبح كلٌّ منهم الأثير عندها. لم ينجح ولا واحدٌ منهم، لكنّهم استمرّوا بالمحاولة.

بالطبع كان هنالك البعض ممّن استاؤوا منها، حيث صرّحوا علانيّةً أنّها لم تكن أكثر من مومسٍ للطبقة الراقية. ردّدوا إشاعةً مفادها (ولعلّها صحيحة) بأنّها كانت تجعل الرجال المسنّين يرقصون بينما تعزف على العود، وإذا نال رقصهم رضاها، فإنّها كانت تدعهم يضمّونها بين ذراعيهم. أمّا بالنسبة لأتباع توليا المخلصين، وجميعهم نبيلو المحتد، فإنّ هذا كان افتراءً وتشويهاً للسمعة. كتبوا وثيقةً وُزِّعَت على أوسع نطاق: «سيّدتنا المحترمة، اللايدي توليا داراجونا، تتفوّق بحقّ على كلّ سيّدات الماضي والحاضر والمستقبل من خلال صفاتها الباهرة... أيّ واحدٍ يرفض العمل وفقاً لهذا البيان فإنّه سيُؤمَر بموجب هذه الوثيقة بأن يدخل الحلبة في مواجهة واحدٍ من الفرسان الموقّعين أدناه، والذي سوف يقنعه بالطريقة المعتادة.»

غادرت توليا روما في عام 1535، حيث ذهبت أوّلاً إلى البندقيّة، وهناك أصبح الشاعر تاسو حبيبها، وفي آخر المطاف إلى فيرّارا، التي لعلّها كانت تحتوي في ذلك العصر على البلاط الأكثر تمدّناً في كلّ إيطاليا. وكم كانت كبيرةً الضجّةُ التي سبّبتها هناك. صوتها، غناؤها، وحتّى أشعارها نالت الثناء من كلّ حدبٍ وصوب. افتتحت أكاديميّةً للأدب مكرّسةً لِمُثُل التفكير الحرّ. سمّت نفسها عروس الشعر وتجمّع حولها، كما في روما، مجموعةٌ من الشبّان. كانوا يلحقون بها في المدينة، وينقشون اسمها على الشجر، ويكتبون قصائد على شرفها، ويغنّونها لأيّ واحدٍ مستعدٍّ لأن يسمع.

يكن مع من عانى من أجلها كل هذا العناء، فإنّ الحبّ الذي كان قد جعله يلج السرير بتلك السرعة، جعله ينهض منه بسرعةٍ أكبر حتّى. وقال وهو غاضبٌ من السيّدة والفتاة على حدٍّ سواء - «لن تفلح حماقتك ولا خبث من وضعك هنا في جعلي غير ما أنا عليه. لكن حاولي بجدّ أن تكوني امرأةً صادقة، لأنك لن تخسري أبداً ذلك الصيت الطيّب من خلالي.» • قال هذا واندفع خارج الغرفة بكلّ غضب الدنيا، ومرّ وقتٌ طويل قبل أن يعود ليرى سيّدته. لكنّ الحب، الذي لا يكون أبداً دون أمل، طمأنه بأنّه كلّما تبيّن أنّ وفاءه أعظم وأكثر وضوحاً من خلال كلّ هذه الاختبارات، كان نعيمه أطول وأكثر بهجةً. • السيّدة التي رأت وسمعت كلّ ما تقدّم، كانت مسرورةً ومذهولةً للغاية لدى النظر إلى مدى عمق وثبات حبه، إلى درجة أنّها كانت شديدة التوق كي

شابٌ من النبلاء كانت قد خبّلته وأذهلته طائفة الهائمين هذه: فقد بدا أنّ الجميع قد أحبّوا توليا لكن لم يتلقَّ أحدٌ حبّها بالمقابل. احتال عليها هذا الشاب لتسمح له بزيارتها ليلاً، بدافعٍ من تصميمه على خطفها وتزوّجها. صرّح بحبّه (تفانيه) الخالد، أمطرها بالمجوهرات والهدايا، وطلب يدها للزواج. رفضت. فأشهر سكّيناً، ومع ذلك لا زالت رافضة، لذا طعن نفسه. لم يمت، لكنّ صيت توليا كان أكبر حتّى من ذي قبل: حتّى المال لم يكن بمقدوره أن يشتريها، أو هكذا بدا الأمر. بينما مرّت السنون وذوى جمالها، كان يأتي دائماً شاعرٌ أو مفكّرٌ ليدافع عنها ويحميها. قلّةٌ منهم فكّرت مليّاً في الحقيقة ولو لمرّة واحدة: أنّ توليا كانت بالفعل مومساً، واحدةً من الأكثر شعبيّة والأعلى أجراً في المهنة.

تراه مجدّداً من أجل أن تطلب منه أن يسامحها على الأسى الذي سبّبته له. وبمجرد ما استطاعت لقياه فإنّها لم تتوانَ عن التحدّث إليه بكلام سارّ وممتاز كهذا، إلى درجة أنّه لم ينسَ وحسب كلّ انزعاجه بل ورآه حتّى كشيءٍ سارّ، كونه رأى أنّ العاقبة كانت تمجيداً لإخلاصه وتأكيداً كاملاً لحبه، فقد استمتع بثمرته من ذلك الوقت ما طاب له من الاستمتاع.

ـ مارغريت ملكة نافار، *عمل السبعة أيّام*، مقتبس في *الرذيلة، مقتطفات أدبيّة مختارة*، تحرير ريتشارد دافنبورت ـ هينز

التفسير. جميعنا لدينا عيوبٌ من نوعٍ ما. بعض هذه العيوب تولد معنا، ولا نستطيع أن نداويها. كان لدى توليا العديد من مثل هذه العيوب. فمن الناحية الجسديّة هي لم تكن بمثال الجمال في عصر النهضة. كذلك، فإنّ أمّها كانت مومساً، وكانت هي طفلةً غير شرعيّة. ومع ذلك فإنّ الرجال الذين وقعوا تحت سحرها لم يأبهوا لذلك. لقد كانوا مذهولين أكثر من اللازم بصورتها ـ صورة المرأة الراقية، المرأة التي عليك أن تقاتل لتظفر بها. وضعيّتها (طرحها لنفسها) جاء مباشرةً من العصور الوسطى؛ أيّام الفرسان والتروبادوريّون (الشعراء الغنائيّون). في ذلك الزمان، امرأةٌ، متزوّجةٌ في أغلب الأحيان، كانت قادرةً على أن تتحكّم بديناميكيّة القوّة ما بين الجنسين من خلال الامتناع عن الوصال إلى أن يثبت الفارس بطريقةٍ أو بأخرى جدارته وصدق مشاعره. كان من الممكن إرساله في مطلبٍ أو بحث، أو يُفرَضُ عليه أن يعيش بين المجذومين، أو يتنافس في مثاقفةٍ مميتة على شرفها. وكان عليه القيام بهذا دون تذمّر. بالرغم من أنّ أيّام التروبادوريّين قد ولّت منذ زمنٍ بعيد، إلّا أنّ الأنماط تستمرّ: يحب الرجل في الحقيقة أن يكون قادراً على إثبات نفسه، أن يُتَحدّى، ويتنافس، ويخضع للامتحانات والاختبارات ويبزغ منها منتصراً. فلديه مسحةٌ من المازوشيّة؛ قسمٌ منه يعشق

يضرب الجنديّ حصاراً حول المدن، والعاشق حول منازل الفتيات، / الأوّل يهاجم بوابات المدينة، الثاني أبواب المنازل. / الحبّ، مثل الحرب، هو لعبة طرّقٍ ونقش.

الألم. وممّا يثير الاستغراب بما فيه الكفاية، أنّه بقدر ما تطلب المرأة منه أن يتألّم، بقدر ما تبدو أكثر قيمةً وجدارةً. المرأة السهلة المنال لا يمكن أن تساوي الكثير.

إجعل الناس يتنافسون للفت انتباهك واهتمامك، إجعلهم يثبتون أنفسهم بطريقةٍ ما، وستجدهم وقد نهضوا للتحدّي. حرارة الإغواء ترتفع بهذه التحدّيات ـ أثبت لي بأنّك تحبّني حقّاً. عندما يرتفع الشخص (من أحد الجنسين) إلى مستوى الحدث، فغالباً ما يصبح الشخص الآخر مُنتَظَراً منه الآن أن يتصرّف بالطريقة ذاتها، فيتعمّق الإغواء. من خلال جعل الناس يثبتون أنفسهم، فإنّك ترفع قيمتك أيضاً وتغطّي على عيوبك. تكون أهدافك مشغولةً في إثبات أنفسهم لدرجةٍ تمنعهم عن ملاحظة شوائبك وأخطائك.

/ يمكن للمهزوم أن يستعيد عافيته، / بينما ينهار الذي قد يعتبره البعض بأنّه لا يُقهَر؛ / فإذا كنتم قد حكمتم بأنّ الحبّ هو خيارٌ سهل / فمن الأفضل أن تعيدوا النظر. يستدعي الحبّ الشجاعة وروح المبادرة. عبس أخيل العظيم في وجه برايزيس ـ / الطرواديون الأذكياء حطّموا واخترقوا جدار آرغوس! / نهض هكتور من بين ذراعي زوجته / ومضى إلى المعركة بعد أن ألبسته الخوذة / آغاممنون نفسه، القائد الأعلى، أصابه الطرب والنشوة / لدى رؤية شعر كاساندرا الثائر؛ حتّى مارْس ضُبِط وهو يقوم بالعمل، ووقع في شرك الحدّاد ـ / فكانت أكبر فضيحةٍ في السماء. خذوا بعدئذٍ / حالتي الخاصّة. كنت عاطلاً عن العمل، مفطوراً على التبطّل في ثياب البيت، / وعقلي أصبح كليلاً من الخربشة في الظل. / لكنّ حبّ فتاةٍ جميلة

الرمز: مباراة المسايفة. تراقب اللايدي الفرسان في الميدان بأعلامهم البرّاقة وأحصنتهم ذات الأغطية المزركشة وهم يتقاتلون للزواج بها. قد سمعتهم وهم يعلنون حبّهم وهم راكعون على ركبةٍ واحدة، وأغانيهم التي لا تنتهي ووعودهم الجميلة. جميعهم بارعون بهذه الأشياء. لكن عندئذٍ ينطلق صوت البوق معلناً بداية القتال. في المبارزة لا يمكن أن يكون هناك زيفٌ أو تردّد. الفارس الذي تختاره يجب أن يكون وجهه ملطّخاً بالدم، ولديه عدّة أطراف مكسورة.

الانقلاب

سرعان ما دفع بالكسول إلى العمل، وجعله يلتحق بالقوّات المسلّحة. / والآن فقط إنظروا إليّ الآن ـ جاهزٌ للقتال، وشديد الحماس في التمارين الليليّة: / إذا أردتم علاجاً للخمول، فقعوا في الحبّ!

ـ أوفيد، *الرومانس*، ترجمة بيتر غرين

عندما تحاول أن تثبت أنّك جديرٌ بهدفك، تذكّر أنّ كلّ هدفٍ يرى الأمور بشكلٍ مختلف. إظهارٌ للبسالة الجسديّة لن يثير إعجاب شخصٍ لا يقدّر البسالة الجسديّة؛ لن يُظهِر سوى أنّك تسعى للفت الانتباه، وللازدهاء بنفسك. المُغوون يجب أن يهايئوا (يكيّفوا) طريقتهم لإثبات أنفسهم بما يتناسب مع شكوك ونقاط ضعف المَغويّين. بالنسبة للبعض فإنّ الكلمات الرقيقة وخاصّةً إذا كانت مكتوبة تشكّل براهين أفضل من الأعمال التي تتحدّى الخطر. مع هؤلاء الناس أظهِر عواطفك على رسالة ـ نوعٌ مختلفٌ من البرهان المادّي، وإثباتٌ ذو جاذبيّةٌ شعريّة أكثر من عملٍ استعراضيٍّ ما. اعرف هدفك جيّداً، واستهدف بدليلك الإغوائي مصدر شكوكه أو مقاومته.

17

أحدث رجعةً (ارتداداً إلى مستوى شعوري وسلوكي سابق: المترجم)

الناس الذين اختبروا نوعاً
مُعَيّناً من المتعة في الماضي سوف
يحاولون أن يكرّروها أو يعاودوا عيشها.
الذكريات الأكثر سروراً والأكثر تَجذّراً تكون تلك
المتّصلة بالطفولة الأولى، وغالباً ما تكون مرتبطةً برمزٍ أبويّ.
أرجع أهدافك إلى تلك النقطة من خلال وضع نفسك في المثلث
الأوديبي ووضعهم في موقع الطفل المحتاج. سيقعون في حبّك
وذلك لعدم إدراكهم لسبب استجابتهم العاطفية. كبديلٍ لذلك،
تستطيع أنت أيضاً أن تنكص، فتدعهم يلعبون دور الوالد الراعي
والحامي. في كلتا الحالتين أنت تقدّم النزوة المطلقة: فرصة إقامة
علاقة حميمة مع الماما أو البابا، الابن أو الابنة.

الرّجعة الشهوانيّة

نميل كراشدين لأن نغالي في تقدير طفولتنا. فالأطفال، من خلال اعتمادهم وعجزهم، يعانون بشكلٍ حقيقيّ. ومع ذلك فإنّنا ننسى ذلك بكلّ راحة وننظر بطريقةٍ عاطفيّةٍ إلى ما افترضنا أنّه الجنّة التي تركناها خلفنا. نتناسى الألم ولا نتذكّر سوى المتعة. لماذا؟ لأنّ مسؤوليّات الحياة الراشدة هي بمثابة حملٍ شديد الوطأة في وقتٍ نحنّ فيه سرّاً إلى اتّكاليّة الطفولة، وإلى ذلك الشخص الذي اعتنى بكل احتياجاتنا، وأخذ على عاتقه همومنا ومخاوفنا. حلم اليقظة هذا الذي نحلمه لديه مكوّنٌ جنسيّ قوي، لأنّ شعور الطفل بكونه معتمداً على والده يكون مشحوناً بشحناتٍ جنسيّة خفيّة. إمنح الناس إحساساً شبيهاً بذلك الإحساس بالحماية والاتّكاليّة الخاصّ بالطفولة وسوف يسقطون عليك كل أنواع التخيّلات والأهواء، بما في ذلك مشاعر الحب أو الانجذاب الجنسي التي سوف يعزونها إلى شيءٍ آخر. نحن لا نعترف بهذا، لكنّنا نتوق لأن ننكص (نرجع إلى مستوى عقلي أو سلوكي سابق، كنزعة العودة إلى أنماط السلوك الطفلي: المترجم)، ولأن نتخلّص من مظهر الراشدين الذي يغلّفنا وننفّس عن مشاعرنا الطفوليّة التي تظلّ تحت السطح.

[في اليابان،] فإنّ كثيراً من الطريقة التقليديّة في تربية الطفل يبدو أنّه يعزّز اعتماداً سلبيّاً. نادراً ما يُترك الطفل لوحده، أكان في الليل أم في النهار، لأنّه عادةً ينام مع أمّه. عندما يخرج الطفل (من البيت) فإنّه لا يُدفَع (أمام أمّه) في عربة، فيواجه العالم وحيداً، وإنّما يُشَدّ بإحكام على ظهر أمّه في حقيبةٍ مفصّلة على قدر

واجه سيغموند فرويد مشكلةً غريبةً في بداية مهنته: العديد من مريضاته الإناث كنّ يقعن في حبّه. ظنّ أنّه عرف ما كان يحدث: كانت المريضة، بتشجيعٍ من فرويد، تنقّب في طفولتها التي كانت بالطبع مصدر مرضها أو عصابها. كانت تتحدّث عن علاقتها مع أبيها، وعن أولى تجاربها مع الحنان والحبّ، وكذلك مع التجاهل والهجر. كانت العمليّة تثير عواطف وذكرياتٍ قويّة. بطريقةٍ ما، كانت ترتدّ إلى طفولتها. ما عمّق هذا الأثر هو أنّ فرويد نفسه كان يقلّل من الكلام ويتصرّف بقليلٍ من البرود والتحفّظ،

الجسم. عندما تنحني الأم، فإنّ الطفل ينحني أيضاً، وهكذا تُكتسب اللياقات الاجتماعية بشكلٍ تلقائي بينما يكون شاعراً بدقّات قلب أمّه. وبالتالي فإنّ الأمان العاطفي ينحو لأن يعتمد بشكلٍ شبه كلّي على الوجود الفيزيائي للأم. • ... يتعلّم الأطفال أنّ عرض الاعتماد السلبي هو أفضل طريقةٍ للحصول على الامتيازات وكذلك على الحبّ. هناك فعلٌ يعبّر عن هذا في اللغة اليابانيّة: (آمارو)، ويُترجَم بـ «أن تستغلّ حبّ الآخر، أن تلعب دور الطفل الرضيع.» تبعاً للطبيب النفساني دوي تاكيو فإنّ هذا هو المفتاح الرئيسي لفهم الشخصيّة اليابانيّة. وينطبق هذا على الراشدين في الشركات، أو أيّة مجموعةٍ أخرى،

بالرغم من ظهوره بمظهر المهتمّ - بكلمةٍ أخرى، كان تماماً مثل صورة الأب التقليديّة. في تلك الأثناء كانت المريضة تستلقي على الإريكة، في وضعيّةٍ عاجزةٍ أو سلبيّة، بحيث أنّ الموقف يعيد إنتاج (وبشكلٍ مطابق) أدوار الأب والطفل. في آخر المطاف كانت تبدأ بتوجيه بعض من المشاعر المشوّشة التي كانت تختبرها نحو فرويد نفسه. كانت تتعاطى معه كما تتعاطى مع أبيها دون أن تدرك لما كان يحصل. كانت تنكص وتقع في الحبّ. أطلق فرويد على هذه الظاهرة اسم «التحويل»، وأصبحت هذه الظاهرة تشكّل جزءاً فعّالاً من علاجه. من خلال جعل المرضى يحوّلون بعضاً من مشاعرهم المكبوتة نحو المعالج، كان يضع مشاكلهم في خانة المكشوف، حيث يمكن معالجتها في مستوى الوعي.

إلاّ أنّ أثر التحويل كان قويّاً لدرجة أنّ فرويد غالباً ما كان غير قادرٍ على جعل مرضاه يتخطّون حالة التيّم والافتتان. في الواقع فإنّ التحويل هو وسيلة فعّالة لخلق ارتباط عاطفي - وهو هدف أيّ إغواء. هذه الطريقة لها تطبيقات لا حصر لها خارج نطاق التحليل النفسي. لكي تطبّق هذه الطريقة في الحياة الواقعيّة، عليك أن تلعب دور المعالج، فتشجّع الناس على الحديث عن طفولتهم. معظمنا لا نكون إلّا بمنتهى السعادة لانصياعنا لهذا؛ وذكرياتنا تكون مفعمة بالحيويّة والعاطفة لدرجة أنّ جزءاً منّا ينكص لمجرّد الحديث عن سنوات طفولتنا. كذلك الأمر، فإنّ بعض الأسرار تنزلق في سياق الكلام: إذ أنّنا نكشف كل أنواع المعلومات القيّمة عن نقاط ضعفنا وتركيبتنا العقليّة، وهي معلوماتٌ يجب أن تهتمّ بها وتتذكّرها. لا تأخذ كلام أهدافك بالمعنى الظاهري؛ فهم غالباً ما سيخفّفون من بشاعة الأحداث في طفولتهم أو يزيدون من دراميّتها. وإنّما انتبه جيّداً لنبرة صوتهم، لأيّ عَرّةٍ عصبيّةٍ (تقلّص لا إرادي في عضلات الوجه بخاصّة وعادةً ما يكون عارضاً للعصبيّة أو لحالة نفسيّة: المترجم) أثناء كلامهم، وخاصّةً لأيّ شيءٍ لا يريدون الحديث عنه، لأيّ شيءٍ ينكرونه أو يجعلهم متهيّجين عاطفيّاً. العديد من التصريحات لا تعني سوى نقائضها في الواقع: فإذا قالوا أنّهم يكرهون أباهم، على سبيل المثال، فتستطيع أن تراهن أنّهم يخبّئون الكثير من خيبة الأمل - أي أنّهم لم يكونوا يكنّون لأبيهم سوى الكثير من الحبّ، ولربّما لم يحصلوا تماماً على ما

أرادوه منه. أنصت بدقّة للمواضيع والقصص المتكرّرة. الأهم من هذا، تعلّم أن تحلّل الاستجابات العاطفيّة وتنظر إلى ما يكمن وراءها.

احتفظ بينما يتكلّمون بوضعيّة المعالج ـ متنبّهاً لكنْ هادئاً، ومدلياً بين الحين والآخر بتعليقاتٍ لا تتّسم بسمة الانتقاد أو إصدار الإحكام. كن مهتمّاً ولكن متحفّظاً ـ أو بالأحرى خالياً من التعبير والانفعال ـ وسيبدؤون بتحويل المشاعر نحوك وإسقاط الأحلام عليك. من خلال المعلومات التي جمعتها عن طفولتهم، ورابطة الثقة التي شكّلتها، تستطيع الآن أن تُحدِث الرجعة أو الانكفاء. لعلّك قد اكتشفت ارتباطاً قويّاً بوالدٍ، أخٍ، معلّمٍ، أو أيّ افتتانٍ مبكّر بشخصٍ لا يزال يلقي بظلالٍ على حياتهم الراهنة. بعدَ أن تعرف كنه الشيء في هذا الشخص، الذي أثّر فيهم لهذه الدرجة، تستطيع الآن أن تأخذ ذلك الدور. أو لعلّك قد اكتشفت فجوةً هائلةً في طفولتهم ـ كأبٍ مُهمِلٍ على سبيل المثال. فتأخذ الآن ذلك الدور، لكنّك تستبدل بالإهمال السابق الاهتمام والعاطفة اللذين لم يؤمّنهما الوالد الحقيقي أبداً. الجميع لديه أعمالٌ غير مُنتهٍ منها من الطفولة ـ خيبات أمل، حرمان، ذكريات أليمة. أَنهِ ما هو غير منتهٍ. إكتشف الشيء الذي لم يكن هدفك قد حصل عليه قطّ وعندها سيكون عندك المقوّمات لإغواءٍ عميق الجذور.

المفتاح لا يكون من خلال مجرّد التحدّث عن الذكريات ـ فهذا يتّسم بالضعف. ما تريده هو أن تحمل الناس على أن يعبّروا في حاضرهم عن مشاكلهم القديمة من ماضيهم، دون أن يدركوا لما يحصل. الرجعات أو النكوصات التي تستطيع إحداثها تنصبّ في أربعة أنماط رئيسيّة.

النساء تفعل هذا للرجال، الرجال يفعلون هذا لأمّهاتهم، وفي بعض الأحيان لزوجاتهم.... •... مجلّة تُدعى السيّدة الشابّة نشرت مقالةً (كانون الثاني 1982) عن «كيف نجعل أنفسنا جميلات.» أو، بكلمةٍ أخرى، كيف نجذب الرجال. مجلّة أمريكية أو أوروبية كانت ستمضي لتحدّث القارئة عن كيف تكون مشتهاةً جنسيّاً، فتقترح بلا ريب عدّة أنواعٍ من لفّات الشعر، الكريمات، والبخّاخات. وذلك ليس كما هو الحال مع السيدة الشابة التي تخبرنا بأنّ «النساء الأكثر جاذبيّة هنّ النساء المليئات بالحبّ الأمومي. النساء اللواتي ليس عندهنّ حبٌّ أموميّ هنّ الأنماط التي لا يريد الرجال الاقتران

النكوص الطفلي. الرابطة الأولى ـ الرابطة ما بين أمٍّ ووليدها ـ هي أقوى الروابط على الإطلاق. الرضيعون من البشر، وعلى خلاف الحيوانات الأخرى، يعيشون فترةً طويلةً من الضعف والعجز، ويكونون خلال هذه الفترة معتمدين على أمّهاتهم، الأمر الذي يخلق رابطاً يؤثّر على بقيّة حياتهم. المفتاح لإحداث هذا النكوص أو الارتداد يكون من خلال إعادة إنتاج الإحساس بالحبّ غير المشروط الذي تغدقه الأمّ على وليدها. إيّاك أن تنتقد أهدافك أو تصدر أحكاماً بحقّهم ـ دعهم يفعلون ما يحلو لهم، بما في

بها مطلقاً... يجب على المرأة أن تنظر إلى الرجال من خلال عيون أمّ.»

- إيان بوروما، خلف القناع: عن الشياطين الجنسيّة، الأمّهات المقدّسات، المخنّثين والمسترجلات، رجال العصابات، الهائمون وأبطال آخرون من الثقافة اليابانيّة

ذلك التصرّف بشقاوة؛ وفي نفس الوقت أحطهم باهتمامٍ مُحِبّ، واغمرهم بالراحة. جزءٌ منهم سوف ينكص لتلك السنوات الأولى عندما كانت أمّهم تهتمّ بكلّ شيء ونادراً ما تركتهم لوحدهم. هذا يُفلِح مع الجميع تقريباً، لأنّ الحب غير المشروط هو الشكل الأندر والأعزّ من أشكال الحب. أنت لست مضطرّاً حتّى لأن تكيّف سلوكك بما يتناسب مع أيّ شيءٍ محدّدٍ في طفولتهم؛ معظمنا قد اختبر هذا النوع من الاهتمام. في هذه الأثناء، إخلق أجواءً تعزّز الإحساس الذي تولّده أنت - بيئاتٍ تتّسم بالدفء، أنشطة مرحة، ألوان سعيدة وبرّاقة.

النكوص الأوديبي. بعد الصلة ما بين الأم ووليدها يأتي المثلّث الأوديبي المكوّن من الأم، الأب، والطفل. يتشكّل هذا المثلّث خلال الفترة التي تبدأ فيها أولى تخيّلات الطفل الجنسيّة. الصبي يريد أمّه لنفسه، البنت تنحو النحو نفسه مع أبيها، لكنّهم لا يحصلون على مرادهم أبداً بتلك الطريقة، لأنّ الوالد أو الوالدة سيكون لديه دوماً صلاتٌ مع قرينه أو مع راشدين آخرين، تنافس تلك التي بينه وبين ابنه أو ابنته. الحبّ غير المشروط قد ولّى؛ الآن لا بدّ للوالد أو الوالدة من أن يحرم الطفل في بعض الأحيان ممّا يرغب. أرجِع ضحاياك إلى تلك الفترة. إلعب الدور الأبوي، كن محبّاً، لكن وبّخ في بعض الأحيان وافرض بالتدريج بعض النظام (الانضباط). فالأطفال يحبّون في الواقع القليل من القصاص - فهو يشعرهم بأنّ الراشد يهتمّ بأمرهم. والراشدون الأطفال سيُسَرّون إذا مزجت حنانك بقليلٍ من الصرامة والعقاب.

قد شدّدت على حقيقة أنّ الشخص المحبوب هو بديلٌ عن الأنا المثاليّة. إنّ الشخصين اللذين يحبّان بعضهما البعض يتبادلان مثاليات أناهم. أن يحبّوا بعضهم بعضاً يعني أنّهم يحبّون مثالياتهم في الشخص الآخر. لن يكون هنالك حبٌّ على الأرض لو لم يكن هذا الوهم موجوداً. نحن نقع في الحبّ لأنّنا لا

على خلاف النكوص الطفلي، فإنّ النكوص الأوديبي يجب أن يُصَمّم على قياس هدفك. وهو يعتمد على المعلومات التي جمعتها. من دون القدر الكافي من المعرفة، قد تجد نفسك وأنت تعامل الأشخاص مثل الأطفال، معنّفاً إيّاهم ما طاب لك، فقط لتكتشف أنّك تثير ذكرياتٍ بغيضة - فقد قاسوا كثيراً من التأديب والتأنيب عندما كانوا أطفالاً. أو قد تثير ذكرياتٍ عن والد/ةٍ يكرهون، وعندها سوف يحوّلون تلك المشاعر نحوك. لا تمضِ

بالنكوص قبل أن تكون قد تعلّمت كل ما تستطيع تعلّمه عن طفولتهم - الأشياء التي حصلوا على كمٍّ مفرطٍ منها، الأشياء التي افتقروا إليها، وأشياء من هذه القبيل. إذا كان الهدف متعلّقاً بشدّة بأحد الأبوين، لكن ذلك التعلّق كان سلبيّاً بشكلٍ جزئيّ، فإنّ استراتيجيّة النكوص الأوديبي يمكن أن تظلّ فعّالةً إلى حدٍّ بعيد. نحن نشعر دائماً بمشاعر متضاربة تجاه الأبوين؛ حتّى عندما نحبّهم، فإنّنا نمتعض من كوننا قد اضطررنا للاعتماد عليهم ذات يوم. لا تقلق إزاء إثارة هذه التناقضات (التضاربات)، التي لا تحول بيننا وبين التعلّق بأبوينا. تذكّر أنّ سلوكك الأبوي يجب أن يشتمل على مكوّنٍ جنسيّ. أهدافك الآن لا يحصلون وحسب على أمّهم أو أبيهم لأنفسهم ودون منازع، بل ويحصلون أيضاً على شيءٍ إضافيّ، شيءٍ كان محروماً في السابق، لكنّه الآن مُباح.

نستطيع بلوغ المثال الذي هو نفسنا الأفضل وأفضل ما في ذاتنا. انطلاقاً من هذا المفهوم يكون من الواضح أنّ الحبّ نفسه لا يكون ممكناً إلّا عند سويّةٍ ثقافيةٍ معيّنة أو بعد الوصول إلى مرحلةٍ معيّنةٍ في تطوّر الشخصيّة. إنّ خلق مثال - الأنا بحدّ نفسه يسم التقدّم الإنساني. عندما يكون الناس راضين بالكامل عن أنفسهم الفعليّة فإنّ الحبّ يكون مستحيلاً. • تحويل مثال - الأنا إلى شخصٍ آخر هو النزعة الأكثر تمييزاً للحبّ.

- ثيودور رايك، *عن الحبّ والشهوة*

النكوص إلى الأنا المثالية. كأطفالٍ، فإنّنا غالباً ما نصوغ شخصاً مثاليّاً (مثلاً أعلى) من أحلامنا وطموحاتنا. أوّلاً، فإنّ ذلك الشخص المثاليّ هو الشخص الذي نريد أن نكونه. نحن نتخيّل أنفسنا كمغامرين شجعان، ورموزٍ رومانسيّة. بعد ذلك، أي في مراهقتنا، فإنّنا نحوّل انتباهنا نحو الآخرين، ونسقط عليهم مثاليّاتنا في كثيرٍ من الأحيان. قد يبدو أنّ أوّل فتى نقع في غرامه أو أوّل فتاةٍ نقع في غرامها يتحلّى/ تتحلّى بالخصائص المثاليّة التي نريدها لأنفسنا، أو قد يجعلنا/ تجعلنا نشعر من ناحيةٍ أخرى بأنّنا نستطيع أن نلعب ذلك الدور المثالي بالنسبة لهم. معظمنا نحمل هذه المثاليّات معنا، حيث تكون مدفونةً (مطمورةً) تحت السطح مباشرةً. نحن نشعر سرّاً بخيبة الأمل نتيجةً لكمّ الأشياء التي اضطررنا للتنازل عنها وللتسويّة بشأنها، ونتيجةً لمدى انحدارنا عن مُثُلِنا وأهدافنا أثناء تقدّمنا في السّن. إجعل أهدافك يشعرون بأنّهم يعيشون مثاليّة الشباب هذه، وأنّهم يقتربون من كونهم الشخص الذي أرادوا أن يكونوه، وعندها ستُحدِثُ نوعاً مختلفاً من النكوص، وتخلق شعوراً يعبق بذكريات المراهقة. العلاقة ما بينك وبين المَغوي في هذه الحالة تكون أكثر تكافؤاً ممّا هو الحال في الأنواع

أعطيت [سيلفايد] عينا أحد الفتيات القرويّات، والبشرة النضرة لفتاةٍ أخرى.

السابقة من النكوص ـ تكون العلاقة أشبه بالعاطفة ما بين الأخوين. في الواقع فإنّ المثل الأعلى كثيراً ما يُصاغ على غرار أخ أو أخت. لكي تخلق هذا الأثر، عليك أن تكافح لإعادة إنتاج الحالة النفسيّة البريئة والعاطفيّة المميّزة لافتتان الصبا.

النكوص الوالدي المعكوس. هنا أنت الشخص الذي سينكص: أنت تلعب عن قصد دور الطفل المحبّب والفاتن، ولكن المشحون جنسيّاً في نفس الوقت. الناس الأكبر سنّاً (نسبيّاً) دائماً ما يجدون الناس الأفتى مُغوِين بشكلٍ لا يوصَف. في حضرة الشباب، فإنّهم يشعرون بعودة قليلٍ من شبابهم الخاصّ؛ لكنّهم في واقع الحال أكبر سنّاً، ويخالط شعورهم بالانتعاش في حضرة الشباب متعة لعب دور أمّهم أو أبيهم. إذا كان لدى الطفل مشاعر جنسيّة تجاه والدٍ (أب أو أم)، وهي مشاعرٌ سرعان ما تُكبَت، فإنّه لزامٌ على الوالد أن يتعامل مع نفس المشكلة بالمقابل. اتّخذ دور الطفل بالنسبةِ لأهدافك، بأيّة طريقةٍ كانت، وعندها سيبدؤون بالتعبير عن بعض تلك المشاعر الجنسيّة المكبوتة. قد تبدو هذه الاستراتيجيّة أنّها تستلزم فارقاً في السن، لكن هذا ليس عاملاً حاسماً في الواقع. الصفات المضخّمة للبنت الصغيرة عند مارلين مونرو فعلت مفعولها بشكلٍ حسنٍ بكل ما للكلمة من معنى على الرجال الذين من سنّها. التوكيد على نقطة ضعفٍ أو هشاشةٍ من قبلك سوف تمنح الهدف فرصةً للعب دور الحامي.

بعض الأمثلة

1. انفصل والدي ڤيكتور هوجو عن بعضهما البعض بعد فترةٍ وجيزةٍ من مولد الروائي، في عام 1802. أمّ هوجو، صوفي، كانت على علاقةٍ بالضابط المسؤول عن زوجها، والذي كان جنرالاً. انتزعت صبيانهما الثلاثة من أبيهم وذهبت إلى باريس لتربيّهم لوحدها. الآن عاش الصبية حياةً مضطربة، ميّزتها فتراتٌ من الفقر، والتنقّلاتٌ المتكرّرة، وعلاقة أمّهم التي استمرّت مع الجنرال. من بين جميع الصبية، كان ڤيكتور أكثر واحدٍ تعلّقاً بأمّه، وكان يتبنّى جميع أفكارها ويشتكي لشكواها، وخاصّةً كرهها لأبيه.

لوحات السيّدات العظيمات من عصر فرانسسيس الأوّل، هنري الرابع، ولويس الرابع عشر، المعلّقة في غرفة رسمنا، ألهمتني بملامح أخرى، واستعرت حتّى أوجه جمالٍ من صور العذراء في الكنائس. هذا المخلوق السحري لحق بي في كلّ مكان بشكلٍ غير مرئيّ، تحادثت معها كما لو كانت شخصاً حقيقيّاً؛ غيرت مظهرها تبعاً لدرجة جنوني؛ أفروديت دون خمار، ديانا مغطّاةً باللازورد والورد، تاليا بقناعٍ ضاحك، هيب بكأس الشباب ـ أو أصبحت جنّيّةً، واهبةً إيّاي سلطاناً على الطبيعة... استمرّ الوهم لسنتين كاملتين، بلغت روحي في غضونهما قمّة الصفاء.

ـ شاتوبريان،

لكنّه نتيجةً لكلّ ذلك الاضطراب والاهتياج فإنّه لم يشعر أبداً بأنّه نال كفايته من الحب والاهتمام من الأم التي عبدها. دُمِّر ڤيكتور وحُطِّم عندما ماتت، في عام 1821، وهي فقيرةٌ ومُثقلةٌ بالديون.

مذكّرات من ما وراء القبر، مُقتبَس في *شاتوبريان* لفريدريك سايبورغ، ترجمة ڤيوليت إم. ماكدونالد

تزوّج هوجو في السنة التالية من حبيبته، آديلّي، التي كانت تشبه أمّه من الناحية الشكليّة. لقد كان زواجاً سعيداً لبرهة، لكن سرعان ما أخذت آديلّي تشابه أمّه بغير طريقة: في عام 1832، اكتشف أنّها كانت تقيم علاقةً مع الناقد الأدبي الفرنسي سان ـ بوڤ، الذي صادف أنّه كان أيضاً أعزَّ صديقٍ لهوجو في ذلك الوقت. كان هوجو الآن كاتباً مشهوراً، لكنّه لم يكن من النمط الأناني والانتهازي. لقد كان بالإجمال شخصاً شفّافاً (أي يُعلِن ظاهره ما يخفيه باطنه.) ومع ذلك فلم يكن يمكنه أن يُفضي ببلواه (علاقة آديلّي) لأحد؛ فقد كان أمراً غايةً في الإذلال. حلّه الوحيد كان أن يحظى بعلاقاته الخاصّة، مع الممثّلات، المومسات، النساء المتزوّجات. كان لدى هوجو شهوة استثنائيّة، إذ كان يمرّ في بعض الأحيان على ثلاث نساء في اليوم الواحد.

قرابة آخر عام 1832، بدأ إنتاج أحد مسرحيّات هوجو، وكان هو من سيشرف على توزيع الأدوار على الممثّلين. قامت ممثّلةٌ تبلغ السادسة والعشرين من العمر تُدعى جولييت دراوِت بتجربة الأداء لأحد الأدوار الثانويّة. هوجو الذي كان داهيةً بحقّ مع النساء في الأحوال العاديّة وجد نفسه وهو يتأتئ في حضرة جولييت. كانت ببساطة أجمل امرأةٍ كان قد رآها على الإطلاق في حياته، وأخافه هذا الاعتبار بالإضافة إلى سلوكها الرابط الجأش. بالطبع فازت جولييت بالدور. وجد نفسه وهو يفكّر بها طوال الوقت. بدت دائمةً مُحاطةً بمجموعةٍ من الرجال الهائمين بها. من الواضح أنّها لم تكن مهتمّةً به، أو هكذا تراءى له. على الرغم من ذلك، فقد تبعها ذات مساء إلى بيتها بعد أداء المسرحيّة، ليجد أنّها لم تكن لا غاضبةً ولا متفاجئة ـ بالفعل لقد دعته ليصعد إلى شقّتها. أمضى الليلة هناك، وسرعان ما أصبح يمضي هنالك كلّ الليالي تقريباً.

أصبح هوجو سعيداً من جديد. ممّا أسرّه أنّ جولييت اعتزلت مهنتها في عالم المسرح، وقطعت صلتها بأصدقائها السابقين، وتعلّمت الطبخ. في

السابق كانت تحبّ الملابس الفاخرة والعلاقات الاجتماعيّة؛ أمّا الآن فقد أصبحت سكرتيرة هوجو، التي نادراً ما تغادر الشقة التي فيها كان قد أقام ووطّد علاقته معها وبدت أنّها تعيش فقط من أجل زياراته. على أيّة حال، فقد عاد هوجو بعد مدّةٍ قصيرة إلى عاداته القديمة وبدأ بإقامة علاقاتٍ عابرة على الهامش. لم تشتكِ أو تتذمّر ـ طالما أنّها بقيت المرأة الوحيدة التي يظلّ يعود إليها. وفي الواقع فإنّ هوجو كان قد أصبح معتمداً عليها إلى حدٍّ بعيد.

في عام 1843، توفّيت ابنة هوجو العزيزة على قلبه إثر حادث فغرق بالاكتئاب. الطريقة الوحيدة التي عرفها لتخطّي حزنه كانت أن يحظى بعلاقةٍ مع امرأةٍ جديدة. وهكذا، بعد فترةٍ قصيرةٍ من ذلك، وقع في حبّ امرأةٍ أرستقراطيّةٍ متزوّجةٍ تُدعى ليوني دونت. صار يرى جولييت على نحوٍ أقلّ فأقلّ. بعد ذلك بعدّة سنوات وجّهت له ليوني إنذاراً بعد أن شعرت بالتأكّد من كونها المُفضّلة عنده: توقّف عن رؤية جولييت تماماً، وإلاّ فستنتهي العلاقة بيننا. رفض هوجو. وبدلاً من ذلك قرّر أن ينظّم مسابقةً: كان سيستمرّ برؤية المرأتين، وخلال بضعة أشهر سينبئه قلبه بمن كان يفضّل بينهما. تميّزت ليوني غيظاً، لكنّه لم يكن لديها خيار. كانت علاقتها مع هوجو قد دمّرت أصلاً زواجها ومكانتها الاجتماعيّة؛ لذا فقد كانت خاضعةً له. لكن كيف كان يمكن لها أن تخسر على أيّة حال ـ فقد كانت في ربيع عمرها، في حين أنّ جولييت كان قد شاب شعرها الآن. لذا تظاهرت بقبول المسابقة ومسايرتها، لكن بمرور الوقت، تعاظم امتعاضها باطّرادٍ حيالها، وتذمّرت. أمّا جولييت، من ناحيةٍ أخرى، فقد تصرّفت وكأنّ شيئاً لم يتغيّر. في أيّ وقتٍ زارها، كانت تعامله كما كانت تعامله دائماً: تترك كلّ شيء لتريحه وتعتني به عناية الأمّ بأولادها.

دامت المسابقة عدّة سنوات. في عام 1851، كان هنالك مشكلة ما بين هوجو ولويس ـ نابوليون، ابن أخ نابوليون بونابرت ورئيس فرنسا في ذلك الوقت (والكلام عائد إلى لويس ـ نابوليون). كان هوجو قد هاجم في الصحافة نزعاته الديكتاتوريّة، بقسوة ولربّما بطيشٍ وتهوّر، لأن لويس ـ نابوليون كان رجلاً توّاقاً للانتقام. تدبّرت جولييت أمر تخبئته في منزل صديقٍ لها، بعد أن خافت على حياة الكاتب، واتّخذت الإجراءات الضروريّة لاستحصال جواز سفرٍ مزيّف، ولتنكّره بحيث لا يمكن التعرف

على شخصيّته الحقيقيّة، وأمّنت له مروراً آمناً إلى بروكسل. سار كلّ شيء حسب الخطّة؛ انضمّت إليه جولييت بعد عدّة أيّام، وهي تحمل أثمن مقتنياته. من الواضح أنّ أفعالها البطوليّة كانت قد جعلتها تربح المسابقة.

ومع ذلك، فقد استأنف هوجو علاقاته بعد أن بَلِيَت جِدّة حياته الجديدة. في آخر المطاف، بدافعٍ من الخوف على صحّته، ومن القلق من كونها لا تستطيع بعد الآن منافسة مغناجٍ إضافيّة في العشرين من عمرها، فقد قامت جولييت بمطلبٍ هادئ ولكنْ صارم: لا مزيد من النساء، وإلاّ فإنّها ستهجره. كون المفاجأة أخذته تماماً على حين غرّة، وكونه كان متأكّداً، بالرغم من ذلك، من أنّها تعني كلّ كلمةٍ ممّا قالت، فقد انهار هوجو وصار ينشج بالبكاء. ركع هوجو، الذي كان الآن رجلاً مسنّاً، على ركبتيه وأقسم على الإنجيل ومن ثمّ على نسخةٍ من روايته الشهيرة البؤساء، بأنّه لن يأثم أو يضلّ بعد الآن. صار سلطان جولييت عليه كاملاً حتّى وفاتها في عام 1883.

التفسير. علاقة هوجو بأمّه حدّدت شكل وتفاصيل حياته العاطفيّة. لم يشعر أبداً بأنّها أحبّته بما فيه الكفاية. تقريباً كلّ النساء اللواتي أقام علاقةً معهن كنّ يحملن شبهاً مع أمّه من ناحية الشكل؛ بطريقةٍ أو بأخرى كان يعوّض عن نقص حبّها له بمجرّد الكمّ (كمّ العلاقات). لم يكن يمكن لجولييت أن تعرف كلّ هذا عندما التقت به، لكن لا بدّ أنّها أحسّت بشيئين: كان خائب الأمل بزوجته لأقصى درجات الحدود، ولم يكن قد نضج أبداً بالمعنى الحقيقي للكلمة. جيشاناته العاطفيّة وحاجته للاهتمام جعلته أشبه بصبيٍّ صغير منه برجل. حازت سطوةً وهيمنةً عليه لبقيّة حياته من خلال تأمين الشيء الوحيد الذي لم يحصل عليه قطّ: حبّ أمومي كامل وغير مشروط.

لم تَحكُم جولييت أبداً على هوجو، أو تنتقده لأساليبه الشقيّة. غمرته بالاهتمام بغير حساب؛ زيارته لها كانت أشبه بالعودة إلى الرحم. في الواقع فإنّه كان في حضرتها طفلاً صغيراً أكثر من أيّ وقت. كيف يمكن له أن

يرفض أداء خدمةٍ لها أو يتركها ما حيي؟ وعندما هدّدته أخيراً بأن تتركه، كان قد اختُزِل بطفلٍ منتحبٍ يبكي طلباً لأمّه. حازت في النهاية على نفوذٍ كاملٍ عليه.

الحبّ غير المشروط هو شيءٌ نادر ومن الصعب إيجاده، ومع ذلك فإنّه ما نتوق إليه جميعاً، بما أنّنا إمّا اختبرناه ذات مرّة أو نتمنّى لو كنّا قد فعلنا. أنت لست مضطرّاً لأن تمضي للبعد الذي مضت إليه جولييت؛ مجرّد الإشارة لاهتمامٍ مُكرّس، لقبول أحبّائك لما هم عليه، لتلبية احتياجاتهم، ستضعهم في موقعٍ طفليّ. قد يخيفهم قليلاً الإحساس بالاتّكالية والتبعيّة، وقد يشعرون بتيّارٍ خفيٍّ من الازدواجيّة، وبحاجةٍ لتوكيد أنفسهم بشكلٍ دوريّ، كما فعل هوجو من خلال علاقاته. لكنّ صلاتهم بك ستكون قويّة وسيظلّون يرجعون طلباً للمزيد، كونهم مُكبّلون بالوهم بأنّهم يستعيدون حنان الأم الذي يبدو أنّهم فقدوه إلى الأبد، أو الذي لم يحصلوا عليه قطّ.

2. حوالي مطلع القرن العشرين، بدأ البروفيسور مَت الذي كان أستاذ مدرسةٍ (كليّةٍ) في جامعةٍ للشباب في بلدةٍ ألمانيّةٍ صغيرة بتنمية كرهٍ حادٍّ لطلاّبه. فقد كان مَت في أواخر الخمسينات، وكان قد عمل في نفس المدرسة لسنواتٍ عديدة. علّم الإغريقيّة واللاتينيّة وكان مميّزاً من بين الأكاديميّين المختصّين بأدب الأغريق والرومان. كان يشعر دائماً بحاجةٍ لفرض النظام، لكنّ الأمور صارت تتّخذ طابع القباحة: فالطلاّب ببساطة لم يعودوا مهتمّين بهوميروس. وكانوا يستمعون إلى الموسيقى الرديئة ولم يكونوا يحبّون سوى الأدب الحديث. بالرغم من أنّهم كانوا عصاةً إلّا أنّ مَت اعتبرهم رخوين وغير منضبطين. أراد أن يلقّنهم درساً ويجعل حياتهم بائسة؛ طريقته المعتادة للتعامل مع نوبات شغبهم كانت التنمّر المحض، وكثيراً جدّاً ما أفلحت.

وقف ذات يوم طالبٌ كان مَت يكرهه بشدّة ـ شابٌّ متعجرف، أنيق اللباس يُدعى لونمان ـ في الصف وقال، «لا أستطيع متابعة العمل في هذه الغرفة، أيّها البروفيسور. فهناك رائحة وحلٍ قويّةٌ.» مَد (مَد يعني وحل في الإنكليزيّة) كان اللقب الذي اختاره الطلاّب للبروفيسور مَت. أمسك

البروفيسور بذراع لونمان ولواها بشدّة، ومن ثمّ طرده من الصف. لاحظ فيما بعد أنّ لونمان كان قد ترك كتاب التمارين وراءه، وبعد أن قلّب بين صفحاته وجد مقطعاً عن ممثّلةٍ تُدعى روزا فروليش. برزت مكيدة في ذهن مَد: كان سيمسك بلونمان وهو يمجن مع ممثّلته التي لا شكّ وأنّها امرأةٌ سيّئة الصيت، وبالتالي فسيُطرَد الصبي من المدرسة.

أوّلاً كان عليه أن يجد أين كانت تؤدّي. بحث في كلّ مكان، فوجد اسمها أخيراً أمام نادٍ يُدعى الملاك الأزرق. دخل. كان مكاناً مليئاً بالدخان، ومليئاً بأنماط الطبقة العاملة التي كان يزدريها. كانت روزا على الخشبة. كانت تغنّي أغنيةً؛ الطريقة التي حدّقت فيها بأعين الحضور كانت وقحةً بعض الشيء، لكنّ مَت لسببٍ أو لآخر وجد هذا ساحراً (مُزيلاً لحالة التحفّز). استرخى قليلاً، وتناول بعض النبيذ. شقّ طريقه إلى غرفة ملابسها بعد أن فرغت من أدائها، وهو عازمٌ على أن يستجوبها عن لونمان بطريقة قاسية. ما إن دخل إلى هناك حتّى راوده شعورٌ غريب بالارتباك والقلق، لكنّه استجمع شجاعته، واتّهمها بأنّها تحرف (تُضِلّ) صبية المدارس، وهدّدها بأنّه سيجعل الشرطة تغلق المكان. روزا، من ناحيةٍ ثانية، لم تُهَوّل. ردّت على كلّ ما قاله مَت: لربّما كان هو من يُضلّ الطلاّب. نبرتها كانت مُداهنة ومُلاطِفة. نعم، لقد أحضر لها لونمان الزهور والشامبانيا ـ فماذا إذن؟ لم يكن أحدٌ قد تكلّم مع مَت بهذه الطريقة من قبل؛ نبرته الآمرة عادةً ما كانت تجعل الناس يبتعدون من طريقه. لا بدّ وأنّه شعر بأنّه أُسيءَ إليه: فقد كانت من الطبقة الدنيا وامرأة، في حين كان هو أستاذ مدرسة، لكنّها كانت تتحدّث إليه كما لو كانا ندّين. لكنّه لم يغضب ولم يغادر ـ شيءٌ ما أجبره على البقاء.

الآن كانت صامتةً. التقطت جورباً وبدأت برتقه، متجاهلةً إيّاه، تتبّعت عيناه كلّ ما قامت به، وخاصّةً الطريقة التي فركت بها ركبتها العارية. أخيراً أثار موضوع لونمان والشرطة ثانيةً. فقالت له، «ليس لديك فكرة عن ماهيّة هذه الحياة؛ فكلّ من يأتي إلى هنا يعتقد أنّه محور الكون. إن لم تعطهم ما يريدون فإنّهم يهدّدونك بالشرطة!» فردّ بخجلٍ وارتباك، «أنا نادمٌ بالتأكيد لكوني جرحت مشاعر امرأةٍ محترمة.» احتكّت ركبتاهما ببعضهما البعض وهي تنهض من الكرسي، فشعر برعشةٍ تسري في عموده الفقري. الآن

كانت لطيفةً معه ثانيةً، وصبّت له مزيداً من النبيذ. دعته للقدوم مرّةً ثانيةً، ثمّ غادرت بشكلٍ فجّ لتؤدّي فقرةً أخرى.

في اليوم التالي ظلّ يفكّر بكلماتها ونظراتها. تفكيره بها بينما كان يقوم بالتدريس منحه نوعاً من الإثارة الشقيّة. في تلك الليلة عاد إلى النادي، وهو لا يزال مصمّماً على ضبط لونمان بالجرم المشهود، ومرّةً أخرى وجد نفسه في غرفة ملابس روزا، وهو يحتسي النبيذ ويتصرّف باستسلام وإذعان على نحوٍ غريب. طلبت منه أن يساعدها في ارتداء ملابسها؛ الأمر الّذي بدا كامتيازٍ مشرّف بالنسبة له فلبّى طلبها. بينما كان يساعدها بارتداء المشدّ ووضع الماكياج، فقد نسي بشأن لونمان. شعر بأنّه كان يُدَخَل إلى عالمٍ جديد. قرصت خدّيه وربّتت على ذقنه، وتركته بين الحين والآخر يلقي نظرةً خاطفةً على ساقها العارية بينما كانت ترتدي جوربها.

صار البروفيسور مَت الآن يذهب كلّ ليلة، فيساعدها باللباس، ويشاهد أداءها؛ بينما يراوده نوعٌ غريبٌ من الفخر والاعتزاز أثناء قيامه بكلّ هذا. كان كثير التردّد إلى ذلك المكان لدرجة أنّ لونمان ورفاقه لم يعودوا يأتون. كان قد حلّ محلّهم ـ صار هو من يجلب لها الأزهار، ويدفع ثمن الشامبانيا التي تشرب، ومن يخدمها. نعم، رجلٌ مسنٌّ مثله كان قد تفوّق على لونمان المُفعم بالشباب والذي ظنّ نفسه غايةً في السحر والأناقة! راقه الأمر عندما كانت تربّت على ذقنه (استحساناً)، وتُطريه لقيامه بالأشياء على النحو الصحيح، بل وكان يشعر بإثارةٍ أكبر عندما كانت توبّخه، فترميه بفرشاة البودرة، أو تدفعه من على الكرسي. فهذا يعني أنّها كانت تحبّه. وهكذا، بالتدريج، صار يتكفّل بكلّ نزواتها وأهوائها. لقد كلّفه هذا مبالغ لا يُستَهانُ بها من المال ولكنّه أبقاها بعيداً عن متناول الرجال الآخرين. طلب يدها للزواج في آخر الأمر. تزوّجا، فكانت الفضيحة: خسر عمله، وبعده بفترة وجيزة كلّ ماله؛ وفي آخر المطاف حلّ في السجن. إلى آخر المشوار، لم يكن يسعه أبداً أن يغضب من روزا، بالرغم من كل ما حصل. فقد كان يشعر بالذنب بدلاً من ذلك: لم يكن قط قد فعل بما فيه الكفاية من أجلها.

التفسير. البروفيسور مَت وروزا فروليش هما شخصيتان في رواية

الملاك الأزرق، التي كتبها هنريش مان في عام 1905، والتي أُخرِجَت فيما بعد كفيلم لعبت فيه مارلين ديتريتش دور البطولة. إغواء روزا لِمَت تَبِع نمط النكوص الأوديبي التقليدي. أوّلاً، تعامل المرأة الرجل بالطريقة التي تعامل فيها أمٌّ صبيّاً صغيراً. توبّخه، لكن بطريقةٍ لا تنذر بشرّ؛ وإنّما بنعومة وبمسحةٍ من الملاطفة. هي تعلم، كالأم، أنّها تتعامل مع شخصٍ ضعيف لا يستطيع أن يكفّ عن سلوكه المشاغب. لذا فهي تمزج كثيراً من الإطراء والاستحسان مع توبيخاتها الساخرة. ما إن يبدأ الرجل بالنكوص، حتّى تضيف الإثارة الجسديّة ـ قليلٌ من الاحتكاك الجسدي لكي تثيره، تضمينات جنسيّة خفيّة. كمكافأةٍ على نكوصه، قد يحصل الرجل على إثارة النوم مع والدته أخيراً (أي مع المرأة التي تذكّر بها). لكنّ عنصر المنافسة موجودٌ هنالك دوماً، والذي لا بدّ وأن تُبرِزه المرأة التي تشبه الأم. يبدأ الرجل بامتلاكها لوحده (دون منازع)، وهو شيءٌ لم يكن يستطيع فعله بوجود أبيه كعقبةٍ في الطريق، لكن يجب عليه أوّلاً أن ينتزعها من الرجال الآخرين.

المفتاح لهذا النوع من الإغواء يكون من خلال رؤية أهدافك ومعاملتهم كأطفال. فلا شيء فيهم يخيفك، مهما كانوا يتمتّعون بسلطةٍ أو بمكانةٍ اجتماعيّة. سلوكك يجعل من الواضح أنّك تشعر بأنّك الطرف الأقوى. قد يكون من المفيدِ لإنجاز هذا أن تتخيّل وتتصوّر كيف كانوا أطفالاً فيما مضى؛ فجأةً، الأناس النافذون لا يبدون بهكذا قوّة أو كمصدرٍ للخطر عندما ترجعهم في مخيّلتك. أبقِ في ذهنك أنّ أنماطاً معيّنة تكون أكثر قابليّةً للنكوص الأوديبي. إبحث عن أولئك الذين، على غرار البروفيسور مَت، يبدون من الخارج على أنّهم مثال الرّشد ـ متزمّتين، جدّيين، ومُحتَفين (مليئين) بأنفسهم بعض الشيء. هم يناضلون لكبت نزعاتهم النكوصيّة، ويُغالون في المُعاوضة عن ضعفهم. غالباً فإنّ أولئك الذين يبدون أكثر الناس سيطرةً على أنفسهم يكونون الأكثر استعداداً للنكوص. في الواقع هم يتلهّفون سرّاً للنكوص، لأنّ نفوذهم، مركزهم، ومسؤوليّاتهم تشكّل عبئاً أكثر ممّا تشكّل متعة.

3. ترعرع الكاتب الفرنسي فرانسوا رينيه شاتوبريان الذي ولِد في عام 1768 في قلعةٍ تعود إلى القرون الوسطى، في مدينة بريتِني. القلعة كانت

باردةً ومظلمة وكئيبة، كما لو أنّها كانت مسكونةً بأشباح ماضيها. عاشت الأسرة هناك في حالةٍ أشبه بالعزلة. أمضى شاتوبريان معظم وقته مع شقيقته لوسيل، وكان ارتباطه بها قويّاً كفايةً لتسري الشائعات بوجود علاقة سفاح ما بينهما. لكنّه عندما كان في حوالي الخامسة عشر من عمره، دخلت امرأةٌ جديدةٌ حياته، تُدعى سيلفيد - امرأة خلقها في مخيّلته، وهي عبارة عن تركيبةٍ من كلّ البطلات، الإلاهات، والمحظيّات التي كان قد قرأ عنهنّ في كتبه. كان يرى ملامحها في ذهنه باستمرار، ويسمع صوتها. سرعان ما صارت ترافقه في نزهات، وتنخرط معه في محادثات. تخيّلها بريئةً وساميةً، بالرغم من أنّهم كانوا يقومون في بعض الأحيان بأشياء ليست غايةً في البراءة. استمرّ في هذه العلاقة لسنتين كاملتين، إلى أن غادر نهائيّاً إلى باريس، واستبدل بسيلفيد نساءً من لحمٍ ودمّ.

الشعب الفرنسي الذي أُرهِقَ نتيجة الفظائع والأهوال التي ارتُكِبَت في تسعينات القرن الثامن عشر (سنيّ الثورة الفرنسيّة)، رحّب بحماسة بأولى كتب شاتوبريان، بعد أن أحسّ (أي الشعب) بروحٍ جديدةٍ فيها. رواياته كانت مليئةٍ بقلاعٍ تذروها الرياح، وأبطالٍ مكتئبين، وبطلاتٍ شغوفات. كانت الرومانتيكيّة في بداية نشوئها. شاتوبريان نفسه كان يشابه شخصيّات رواياته، وبالرغم من مظهره غير الجذّاب، إلّا أنّ النساء جُنِنّ للحصول عليه - معه كنّ يستطعن الهروب من زيجاتهنّ المملّة وعيش ذلك النوع من الغرام العنيف الذي كتب عنه. لقب شاتوبريان (اسم الدلع) كان الساحر، وبالرغم من أنّه كان متزوّجاً، وكاثوليكيّاً متحمّساً، إلّا أنّ عدد علاقاته ازداد بشكلٍ مطّردٍ عبر السنين. لكنّه كان يتّسم بطبيعةٍ لا تهدأ (متململة) - فقد سافر إلى الشرق الأوسط، إلى الولايات المتّحدة، وإلى كلّ أنحاء أوروبا. لم يكن باستطاعته إيجاد ما كان يبحث عنه في أيّ مكان، ولا حتّى المرأة المناسبة: كان يهجر بعد أن تبلى جَدّة العلاقة. بحلول عام 1807 كان قد حظي بالعديد من العلاقات، ومع ذلك فقد ظلّ يشعر بعدم الرضى، لذا قرّر أن يعتزل في عزبته الريفيّة، التي تُدعى ڤالاي أولوب. ملأ المكان بأشجارٍ من كلّ أنحاء العالم، محوّلاً الأراضي التابعة للعزبة إلى شيءٍ تجسّد وانبعث من أحد رواياته. هناك بدأ بكتابة مذكّراته التي رأى أنّها ستكون رائعته الأدبيّة.

بحلول عام 1817، على أيّة حال، كانت حياة شاتوبريان قد انهارت.

فالمشاكل الماديّة كانت قد أجبرته على بيع ڤالاي أولوب؛ وشعر فجأةً عندما قارب الخمسين بأنّ إلهامه (الأدبي) قد نضب. في تلك السنة زار الكاتبة المدام دو ستايل، التي كانت الآن مريضةً وعلى حافّة الموت. أمضى عدّة أيّام بجانب سريرها، برفقة أقرب صديقاتها، جولييت ريكامبير. علاقات المدام ريكامبير كانت سيّئة الصيت. كانت متزوّجةً من رجلٍ أكبر منها سنّاً بكثير، لكنّهما لم يكونا يعيشان مع بعضهما البعض منذ فترة؛ كانت قد حطّمت قلوب ألمع الرجال وأشهرهم في أوروبا، بمن فيهم الأمير ميترنيش، دوق ويللينغتون، والكاتب بنجامين كونستانت. وكانت قد أُطلِقَت شائعة بأنّها بالرغم من كلّ عبثها إلّا أنّها كانت لا تزال عذراء. كانت عندئذٍ قد بلغت الأربعين تقريباً من العمر، لكنّها كانت من ذلك النمط من النساء الذي يبدو فتيّاً في أيّ عمر. هي وشاتوبريان أصبحا صديقين بعد أن جمعهما حزنهما المشترك على وفاة ستايل. كانت تستمع إليه بغاية الانتباه واللطف، متبنّيةً حالاته النفسيّة ومردّدةً صدى عواطفه لدرجةٍ شعر معها أخيراً بأنّه التقى بامرأةٍ تفهمه. كان هنالك شيءٌ أثيريٌّ (غير مادّي) حول المدام ريكامبير. مشيتها، صوتها، عيناها ـ أكثر من رجل كانوا قد شبّهوها بملاكٍ سماويّ. سرعان ما اشتعل شاتوبريان رغبةً لكي يتملّكها جسديّاً.

في السنة التي تلت صداقتهما، كان بجعبتها مفاجأةٌ له: كانت قد أقنعت صديقاً لها بشراء ڤالاي أولوب. الصديق كان مسافراً لبضعة أسابيع، فدعت شاتوبريان لقضاء بعض الوقت معها في عزبته السابقة. فقبل بسرور. أراها أنحاء العزبة، شارحاً لها ما كانت تعني له كلّ قطعة أرض، والذكريات التي استحضرها المكان. شعر بمشاعر يافعة تجيش وتتفجّر بداخله، مشاعر كان قد نسيها. نقّب في الماضي أكثر، واصفاً أحداثاً من طفولته. في بعض اللحظات، عندما كان يمشي مع المدام ريكامبير وينظر في تلك العينين الحنونتين، كان يراوده شعورٌ بأنّه قد اختبر هذا من قبل، لكنّه لم يستطع أن يحدّد تماماً مع من. كلّ ما عرفه أنّه كان عليه أن يرجع إلى المذكّرات التي كان قد وضعها جانباً. قال، «أعتزم أن أوظّف الوقت القليل المتبقّي لديّ في وصف يفاعتي ما دام جوهرها واضحاً وملموساً بالنسبة إليّ.»

بدا أنّ المدام ريكامبير كانت تبادل شاتوبريان الحبّ، لكنّها كعادتها ناضلت لإبقائه علاقةً روحيّة. الساحر، من جهةٍ ثانية، كان يستحقُّ لقبه.

فشعره، ولمسة السوداويّة التي لديه، وإصراره أدّوا إلى فوزه في المباراة إذ خضعت، وربّما لأوّل مرّةٍ في حياتها. الآن، كحبيبين، كانا لا يفترقان. لكن شاتوبريان وكأبد عهده، لم يكن ليكتفي بامرأةٍ واحدةٍ بعد انقضاء مدّةٍ من الزمن. عادت الروح المتململة. بدأ بإقامة علاقاتٍ مجدّداً. سرعان ما توقّف شاتوبريان وريكاميير عن رؤية بعضهما البعض بعد ذلك.

في عام 1832، كان شاتوبريان يسافر عبر سويسرا. مرّةً ثانيةً كانت حياته قد سلكت منعطفا نحو الأسفل؛ إلّا أنّه كان هذه المرّة مسنّاً بحقّ، في الجسم والروح. في جبال الألب، أخذت تنتابه (تُغير عليه) أفكارٌ عن صباه، وبالتحديد ذكريات القلعة في بريتِني. تناهى إلى سمعه أنّ المدام ريكاميير كانت في المنطقة. لم يكن قد رآها منذ سنوات، فهُرِع إلى النزل الذي كانت تقيم فيه. كانت ودودةً وحنونةً معه تماماً كما كانت في أبد عهدها معه؛ تنزّها مع بعضهما البعض خلال النهار، وفي الليل سهرا حتّى وقتٍ متأخّرٍ وهما يتحدّثان.

ذات يوم، أخبر شاتوبريان ريكاميير أنّه كان قد قرّر أن ينهي مذكّراته أخيراً. وأنّه كان عليه أن يقوم باعتراف: أخبرها بقصّة سيلفيد، حبيبته الخياليّة عندما كان حدثاً. كان قد أمل أن يلتقي ذات يوم بسيلفيد في الحياة الحقيقيّة، لكنّ النساء اللواتي كان قد عرفهنّ كنّ عديمات الألق والأهميّة مقارنةً معها. كان قد نسي عبر السنين بشأن حبيبته الخياليّة، لكن بعد أن أصبح الآن رجلاً مسنّاً، فإنّه لم يفكّر فيها مجدّداً وحسب، بل وصار بإمكانه رؤية وجهها وسماع صوتها أيضاً. وبهذه الذكريات أدرك أنّه كان حقيقةً قد التقى بسيلفيد في الحياة الواقعيّة. لقد كانت المدام ريكاميير. الوجه والصوت كانا قريبين (لوجه وصوت سيلفيد). الأهمّ من هذا، أنّه كان لديها الروح الهادئة، والخاصيّة البريئة والطاهرة. بعد أن قرأ لها التضرّع إلى سيلفيد الذي كان قد كتبه لتوّه، أخبرها بأنّه يريد أن يصبح شابّاً من جديد، وأنّ رؤيتها كانت قد أعادت له شبابه. بعد أن تصالح مع المدام ريكاميير، بدأ بالعمل على مذكّراته من جديد، والتي نُشِرَت في آخر الأمر تحت عنوان *مذكّرات من ما وراء القبر*. أجمع معظم النقّاد أنّ هذا الكتاب كان رائعته

الأدبيّة. كانت المُذَكّرات مُهداةً إلى المدام ريكامبير التي ظلّ مخلصاً إليها حتّى مماته، في عام 1848.

التفسير. جميعنا نحمل في داخلنا صورةً عن النموذج المثالي للشخص الذي نتوق لأن نلتقي ونحبّ. في أغلب الأحيان يكون هذا النموذج عبارةً عن مركّبٍ من أجزاء شتّى من أناسٍ مختلفين من عهد صِبانا، بل وحتّى من الشخصيّات التي في الكتب والأفلام. الأناس الذين أثّروا فينا بشكلٍ متطرّف ـ أستاذٌ على سبيل المثال ـ قد يُؤخَذون في عين الاعتبار أيضاً. الصفات والميزات (المثاليّة) لا تمتّ بصلةٍ للاهتمامات الظاهريّة. وإنّما تكون غير واعيةٍ ومن الصعب التعبير عنها بالكلمات.

بحثنا بكلّ ما أوتينا من القوّة عن هذا النموذج المثالي في فترة مراهقتنا، عندما كنّا مثاليّين كأشدّ ما يكون. غالباً ما تتحلّى أولى علاقات الحبّ لدينا بقدرٍ أكبر من هذه الصفات ممّا هو الحال بالنسبة لعلاقاتنا اللاحقة.

بالنسبة لشاتوبريان الذي كان يعيش مع عائلته في قلعتهم المنعزلة، فإنّ حبّه الأوّل كانت أخته لوسيل التي هام بها وأضفى عليها أبعاداً مثاليّة. لكن بما أنّ هذا كان حبّاً مستحيلاً، فقد خلق من مخيّلته شخصيّةً تتحلّى بكل صفاتها الإيجابيّة ـ نبل الروح، البراءة، الشجاعة.

لم يكن من الممكن للمدام ريكامبير أن تعرف بصدد نمط شاتوبريان المثالي، لكنّها كانت تعرف شيئاً عنه حقّ المعرفة، وحتّى قبل أن تلتقي به لأوّل مرّة بفترة طويلة. كانت قد قرأت كلّ كتبه، حيث كانت كلّ الشخصيّات متعلّقة بسيرته الذاتيّة إلى حدّ بعيد. عرفت بهوسه بشبابه الضائع؛ والجميع عرف عن علاقاته التي لا تُحصى مع النساء والتي لم تحقّق له الرضى، وعن روحه التي لا تهدأ أبداً والمفرطة في التململ. عرفت المدام ريكامبير كيف تعكس صورة الناس (تحاكيهم)، وكيف تدخل (تلج في) نفسيّاتهم، وواحداً من أوائل أعمالها (صنائعها) كان أن تأخذ شاتوبريان إلى ڤالاي أولوب، حيث شعر أنّه كان قد ترك جزءاً من شبابه. المكان كان حافلاً بالذكريات فأمعن في النكوص في طفولته، وصولاً إلى أيّامه في

القلعة. هي شجّعت هذا بشكلٍ فعّال. الأهم على الإطلاق كان أنّها جسّدت روحيّةً كانت تتأتّى لها بشكلٍ طبيعيّ، لكن تلك الروحيّة كانت تنسجم مع الصورة المثاليّة التي تخيّلها: بريئة، نبيلة، حنونة. (واقع أنّ كمّاً هائلاً من الرجال وقعوا في حبّها يقترح أنّ العديد من الرجال لديهم نفس المثاليّات.) المدام ريكامبير كانت لوسيل/سيلفيد. لزمته سنواتٌ ليدرك هذا، لكنّه عندما أدرك، فقد صار سلطانها عليه كاملاً (طاغياً.)

من المستحيل تقريباً تجسيد المثل الأعلى لأحدهم بشكلٍ كامل. لكنّك إذا اقتربت منه بما فيه الكفاية، إذا استدعيت بعضاً من تلك الروح المثاليّة، فستستطيع أن تقود ذلك الشخص نحو إغواءٍ عميق. عليك أن تلعب دور المعالج لتحدث هذا النكوص. حُضّ أهدافك على الانفتاح حيال ماضيهم، وخاصّةً فيما يتعلّق بقصص حبّهم السابقة وعلى الأخصّ حبّهم الأوّل. أَعِر الاهتمام لأيّة تعبيراتٍ عن خيبة الأمل الناتجة عن أنّ هذا الشخص أوذاك لم يعطهم ما يريدون. خذهم إلى أماكن تستحضر ذكريات شبابهم. في هذا النكوص أنت لا تخلق علاقة تبعيّة وعدم نضج أكثر ممّا تخلق الروح المراهقة للحبّ الأوّل. هناك لمسة براءة في العلاقة. الكثير من حياة الراشدين تتضمّن التسوية (التنازل)، التآمر، وبعضاً من القسوة. إخلق الجوّ المثالي من خلال إبقاء هذه الأشياء بعيداً، جاذباً الشخص الآخر إلى نوعٍ من الضعف المشترك، ومستحضراً عذريّةً ثانيةً. يجب أن يكون هنالك خاصيّةٌ شبيهةٌ بالحلم في العلاقة، كما لو أنّ الهدف كان يعاود عيش الحبّ الأول لكنّه لا يستطيع تصديق هذا تماماً. دع كلّ هذا يتفتّق ويتكشّف ببطء، بحيث يظهر كلّ لقاء مزيداً من الصفات المثاليّة. الإحساس بإعادة عيش لذّةٍ ماضية هو ببساطة إحساسٌ تستحيل مقاومته.

4. في وقتٍ ما من صيف عام 1614، اجتمع عدّة أعضاء من وجهاء النبلاء، بمن فيهم رئيس أساقفة كانتربيري، ليقرّروا ما سيتصرّفون بشأن إيرل سومرست، الأثير عند الملك جايمس الأوّل، الذي كان في الثامنة والأربعين في ذلك الوقت. بعد مرور ثماني سنوات على كونه الأثير، كان الإيرل الشاب قد جمع كثيراً من المال والنفوذ، وكثيراً للغاية من الألقاب، بحيث

لم يبقَ شيء لأيّ شخصٍ آخر. لكن كيف يمكن التخلّص من هذا الرجل النافذ؟ لم يكن لدى المتآمرين جواب في الوقت الحاضر.

بعد عدّة أسابيع من ذلك كان الملك يتفقّد الإسطبلات الملكيّة عندما لمح شابّاً كان قد انضمّ مؤخّراً إلى البلاط: جورج ڤيلير البالغ من العمر الثانية والعشرين والذي كان ينتمي إلى الدرجة الثانية أو الثالثة من النبلاء. رجال البلاط الذين رافقوا الملك في ذلك اليوم راقبوا عيني الملك وهما تتبعان ڤيلير، ورأوا مدى الاهتمام الذي سأل به عن هذا الشاب. بالفعل كان على الجميع أن يوافقوا أنّه كان شابّاً وسيماً لأبعد درجات الحدود، فقد كان ذا وجهٍ ملائكيّ وأسلوبٍ طفوليّ بشكلٍ ساحر. عندما تناهت إلى سمع المتآمرين الأنباء عن اهتمام الملك بڤيلير، علموا فوراً أنّهم وجدوا ما كانوا يبحثون عنه (ضالّتهم المنشودة): شابٌّ يمكنه إغواء الملك والحلول محلّ الأثير المخيف. إلّا أنّ الإغواء لن يحصل أبداً لو تُرِكَ للطبيعة. كان عليهم أن يدفعوا بالإغواء قُدُماً. وهكذا صادقوا ڤيلير دون أن يخبروه بخطّتهم.

الملك جايمس كان ابن ماري، ملكة اسكوتلندا. طفولته كانت عبارةً عن كابوس: أبوه، والأثير عند أمّه، والأوصياء على عرشه كلّهم كانوا قد اغتيلوا؛ نُفِيَت أمّه في بادئ الأمر، وأعدُمِت فيما بعد. لعب جايمس عندما كان شابّاً دور المغفّل ليفلت من الشبهات. كان يكره رؤية السيف ولم يكن باستطاعته تحمّل أدنى إشارةٍ للنزاع. عندما ماتت نسيبته الملكة إليزابيث الأولى في عام 1603، دون أن تترك وريثاً للعرش، أصبح ملك إنكلترا.

أحاط جايمس نفسه بشبّانٍ لامعين وسعيدين، وبدا أنّه يفضّل عشرة الصبيان. في عام 1612، توفّي ابنه، الأمير هنري. الملك لم يكن من الممكن مواساته. احتاج إلى الإلهاء والتشجيع؛ وأثيره، إيرل سومرست، لم يعد غايةً في الصبا أو الجاذبيّة. توقيت الإغواء كان مثاليّا. وهكذا باشر المتآمرون العمل على ڤيلير، تحت المظهر الكاذب لمحاولة مساعدته على شقّ طريقه في البلاط. زوّدوه بخزانة ثيابٍ مهيبة، مجوهرات، عربة برّاقة، أي بنوع الأشياء التي يلاحظها الملك. اشتغلوا على مهارته في ركوب الخيل، المسايفة، التنس، الرقص، وعلى مهاراته مع الطيور والكلاب. أُرشِد في فنّ الحديث ـ كيف يطري، ويلقي نكتة، ويتنهّد في اللحظة المناسبة. لحسن الحظّ كان من

السهل العمل مع ڤيلير؛ كان يتمتّع بشكلٍ طبيعيّ بأسلوبٍ مرح وبدا أنّه لا ينزعج من شيء. في نفس تلك السنة تدبّر المتآمرون تعيينه كحامل الفنجان الملكي: كلّ ليلةٍ كان يصبّ النبيذ للملك، وذلك لكي يراه عن كثب. بعد عدّة أسابيع، كان الملك مغرماً. بدا أنّ الصبي يستدرّ الاهتمام والحنان، وهذا بالضبط ما كان يتوق الملك لمنحه. كم كان من الرائع قولبته وتعليمه. وكم كانت بنيته جميلة!

أقنع المتآمرون ڤيلير بأن يفسخ خطوبته مع خطيبته الشابّة؛ فالملك كان مخلصاً في عواطفه، ولم يكن يُطيق المنافسة. سرعان ما أراد جايمس أن يكون قرب ڤيلير طوال الوقت، لأنّه يتحلّى بالخصائص التي تثير إعجاب الملك: البراءة والروح الخفيفة الظل. عيّن الملك ڤيلير كوصيفٍ لحجرة النوم، بحيث يتسنّى لهما أن يختليا ببعضهما البعض. ما سحر جايمس بشكل خاصّ كان أنّ ڤيلير لم يكن ليطلب أيّ شيءٍ أبداً، ممّا جعل تدليله أمراً سارّاً لأقصى درجات الحدود.

بحلول عام 1616، كان ڤيلير قد حلّ محلّ الأثير السابق بالكامل. كان الآن إيرل بيكينغهام، وعضواً في مجلس الملك السرّي. لكنّه سرعان ما كدّس كمّاً من الامتيازات أكثر حتّى من تلك التي جمعها إيرل سومرست، الأمر الذي شكّل خيبة أملٍ كبيرة للمتآمرين. الملك كان يناديه يا حبيبي أمام الملأ، ويُعَدّل سترته، ويمشّط شعره. كان جايمس يحمي أثيره ويصونه بمنتهى الحماس، فقد كان متلهّفاً للحفاظ على براءة الشاب. لبّى كل نزوات الفتى، وباختصار فقد أصبح عبده. في الواقع بدا أنّ الملك ينكص؛ فكلّما كان ستيني، وهو اسم الدلع الذي اختاره لڤيلير، يدخل الغرفة، كان الملك يبدأ بالتصرّف كالطفل. لم يكن من الممكن فصل الاثنين عن بعضهما البعض وذلك إلى أن توفّي الملك في عام 1625.

التفسير. من المؤكّد تماماً أنّ أهلنا قد تركوا بصماتهم علينا بطرقٍ لا نستطيع أن نفهمها أبداً بشكلٍ كامل. لكنّ الوالدين يتأثّران ويُغوَيان من قبل الطفل بشكلٍ مكافئ. قد يلعبون دور الحامي، لكنّهم يتشرّبون خلال العمليّة روح الطفل وطاقته، ويحيون ثانيةً جزءاً من طفولتهم الخاصّة. وتماماً كما

يناضل الولد ضدّ المشاعر الجنسيّة تجاه الوالد، فإنّه على الوالد أن يقمع مشاعر جنسيّة مشابهة والتي تكمن مباشرةً تحت الحنان الذي يشعرون به. أفضل الطرق لإغواء الناس وأكثرها غدراً ومكراً غالباً ما تكون من خلال وضع نفسك في موضع الطفل. سيُستَدرجون إلى شبكتك بعد أن تصوّروا أنفسهم على أنّهم الأقوى والأكثر تحكّماً. سيشعرون أنّه لا يوجد شيءٌ ليخافوه. شدّد على عدم نضجك، وعلى ضعفك، وعندها ستطلق لهم العنان لينغمسوا في تخيّلاتٍ عن حمايتهم لك وعنايتهم بك كما يعتني أحد الوالدين بولده ـ وهي رغبةٌ تزداد قوّةً بتقدّم الناس في السن. ما لا يدركونه هو أنّك تتغلغل في أعماقهم، وتدسّ بنفسك في أذهانهم. إنّ الطفل هو من يتحكّم بالراشد. براءتك تجعلهم يرغبون بحمايتك، لكنّها أيضاً براءةٌ مشحونةٌ بشحنةٍ جنسيّة. البراءة مغويةٌ بشكلٍ كبير؛ وبعض الناس يتوقون حتّى للعب دور مخرّب البراءة. أَثِر مشاعرهم الجنسيّة الكامنة وعندها ستستطيع تضليلهم على أمل تحقيق خيالٍ قويٍّ ولكن مكبوتٌ مع ذلك: النوم مع شخصيّةٍ طفوليّة. في حضرتك سيبدؤون بالنكوص أيضاً، بعد أن أُعدوا بروحك الطفوليّة والمرحة.

تأتّى معظم هذا لفيلير بشكلٍ طبيعيّ، لكنّك قد تضطرُّ على الأرجح لإجراء بعض الحسابات والتدابير المتعمّدة. معظمنا لحسن الحظّ لديه ميولٌ طفوليّةٌ قويّةٌ تعتمل بداخله ومن السهل النفاذ إليها وتضخيمها. إجعل إيماءاتك وبادراتك تبدو عفويّةً وغير مخطّطٍ لها. أيّ عنصر جنسيّ في سلوكك يجب أن يبدو بريئاً وغير مقصود. على غرار ڤيلير، لا تضغط للحصول على خدماتٍ أو على امتيازات. الأهالي يفضّلون تدليل الأولاد الذين لا يطلبون أيّ شيء والذين يدعونهم لفعل هذا من خلال تصرّفاتهم. أن تبدو غير ميّالٍ لإصدار الأحكام بحقّ من حولك وغير نَقّادٍ لهم سيجعل كلّ شيءٍ يبدو أكثر طبيعيّةً وسذاجة. تحلَّ بسلوكٍ سعيدٍ ومبتهج، لكن مع لمسةٍ من المزاح واللعب. أكّد على أيّة نقاط ضعفٍ قد تكون لديك، وعلى الأشياء التي لا يمكنك التحكّم بها. تذكّر: معظمنا يتذكّر سنواته الأولى بولع، لكنّ المفارقة تكمن في أنّ غالبيّة الناس الذين لديهم أشدّ الارتباط

بتلك الأوقات هم أكثر من عانى من طفولةٍ صعبة. في الواقع، فإنّ الظروف منعتهم من أن يكونوا *أطفالاً*، فهم لم ينضجوا أبداً بالمعنى الحقيقي للكلمة، وهم يتلهّفون للفردوس الذي لم يختبروه أبداً. جايمس الأوّل يندرج في هذه الفئة. هذه الأنماط تكون جاهزةً لنكوصٍ معكوس.

الرمز: السرير. باستلقائه بالسرير وحيداً فإنّ الطفل يبدو غير محميّ، خائفاً، ومحتاجاً. في غرفةٍ مجاورة يوجد سرير الأهل. إنّه كبير وخطير، وموقع أحداثٍ لا يُفتَرَضُ بك أن تعلم عنها. أَعطِ المُغويَ كلا الشعورين ـ العجز، والانتهاك ـ بينما تضعهم في السرير كي يناموا.

الانقلاب

لعكس استراتيجيّات النكوص، فإنّه يتوجّب على أطراف الإغواء أن يظلّوا راشدين خلال العمليّة. هذا ليس نادراً وحسب، وإنّما ليس شديد الإمتاع أيضاً. الإغواء يعني تحقيق بعض الأحلام والأهواء. ليس حلماً أن تكون ناضجاً وراشداً مسؤولاً، وإنّما واجب. عدا عن ذلك، فإنّ الشخص الذي يبقى راشداً بالنسبة لك أو في العلاقة معك يكون إغواؤه صعباً. في جميع أنواع الإغواء ـ السياسي ـ الإعلامي، الشخصي ـ فإنّ الهدف يجب أن ينكص. الخطر الوحيد يكمن في أنّ الطفل قد ينقلب ضدّ أبيه ويثور بعد أن سئم من الاتّكال والتبعيّة. عليك أن تكون متحضّراً لهذا، وإيّاك أن تأخذ ثورته على محملٍ شخصيّ كما يفعل الأب أو الأمّ.

18

اصطدم بالخطيئة والمحظور

هناك دائماً قيودٌ اجتماعية على ما يستطيع المرء القيام به. بعضها ـ الأكثر جوهريّةً وأساسيّةً ـ يعود لقرونٍ خلت؛ والبعض الآخر أكثر سطحيّةً ويحدّد ببساطة السلوك المهذّب والمقبول. إن جعلك أهدافك يشعرون بأنك تقودهم لتخطّي أحد نوعي القيود هو شيء في غاية الإغواء. الناس يتوقون لاكتشاف جانبهم المظلم. ليس كلّ شيءٍ في الحبّ الرومانسيّ يُفترَضُ به أن يكون رقيقاً وناعماً؛ لمّح إلى أنّ لديك مسحةً من القسوة، بل وحتّى من الساديّة. أنت لا تحترم الفروقات العمريّة، ولا عهود الزواج، ولا الروابط العائليّة. بمجرّد ما تقوم الرغبة بالانتهاك والإثم باجتذاب أهدافك نحوك، يصبح من الصعب عليهم أن يتوقفوا. خذهم إلى أبعد مما يتخيلون ـ الشعور المشترك بالذنب والاشتراك بالجريمة سوف يخلق رابطاً قويّـاً.

النفس الضائعة

في شهر آذار من عام 1812، قام جوردون بايرون بنشر أوّل قسم رئيسيٍّ من قصيدته الطويلة *هارولد الطفل الكريم المحتد*. القصيدة كانت مليئةً بالمجازات القوطيّة - ديراً خرباً، الفسوق، أسفارٌ إلى الشرق المُكتَنَف بالأسرار - لكن ماجعلها مختلفة أنّ بطل القصيدة كان أيضاً وغدها: هارولد كان رجلاً يعيش حياةً من الرذيلة، ويزدري أعراف المجتمع ومع ذلك فإنّه يمضي بطريقةٍ أو بأخرى دون عقاب. كذلك، فالقصيدة لم تجرِ أحداثها في أرضٍ ما نائيةٍ وإنّما في إنكلترا ذلك العصر. *هارولد الطفل الكريم المحتد* خلقت جدلاً ولغطاً فوريّين، وأصبحت حديث لندن. سرعان ما بيعت الطبعة الأولى بالكامل. في غضون أيّام سرت إشاعة مفادها أنّ القصيدة التي كانت عن شابٍّ نبيلٍ فاسق، كانت في الواقع سيريذاتيّة (تتناول سيرة حياة كاتبها.)

إنّها مسألة نوعٍ معيّنٍ من الشعور: الشعور بكونك مغمور. هنالك العديد ممّن لديهم خوفٌ كبير من أن يُغمَروا من قبل شخصٍ ما؛ على سبيل المثال، شخصٌ يجعلهم يضحكون رغماً عنهم، أو يبهجهم للغاية، أو، ما هو أسوأ، يخبرهم بأشياء يحسّون بأنّها صحيحة لكن لا يستطيعون أن يفهموها تماماً، أشياء تتجاوز أحكامهم المسبقة وحكمتهم المتداولة، بكلمةٍ أخرى، هم لا

الآن تدافعت صفوة المجتمع واصطخبت للالتقاء باللورد بايرون، وترك العديد منهم بطاقاتهم الشخصيّة في مقرّ إقامته في لندن. سرعان ما بدأ بالتردّد إلى منازلهم. ويكفي غرابةً أنّه فاق توقّعاتهم. كان وسيماً بشكلٍ شيطانيّ، وذا شعرٍ مجعّد ووجه ملاك. ثيابه السوداء غطّت على أو عوّضت عن بشرته الشاحبة. لم يكن يتكلّم كثيراً، الأمر الذي كان مثيراً للإعجاب بحدّ ذاته، وعندما كان يتكلّم فإنّه كان يفعل ذلك بصوتٍ خفيض ينوّمُ مغناطيسيّاً وبنبرةٍ مُزدَرِيَةٍ بعض الشيء. كان يعرج (فقد كانت قدمه مشوّهةً خِلقةً)، لذا فعندما كانت الأوركسترا تبدأ بعزف الفالس (وهي آخر صرعة في الرقص في عام 1812)، فإنّه كان يقف جانباً، بينما تلوح في عينيه نظرةٌ إلى البعيد. جُنّ جنون النساء للحصول على بايرون. عندما التقت به اللايدي روزبري فإنّها شعرت بقلبها يدقّ بعنفٍ شديد (وكان ذلك ناجماً عن مزيجٍ من الخوف والإثارة) لدرجةٍ اضطرّت معها للابتعاد. تقاتلت النسوة

للجلوس بجانبه، ولنيل انتباهه، وللغواية من قبله. هل كان صحيحاً أنّه كان مقترفاً لإثمٍ سرّي، كبطل قصيدته؟

اللايدي كارولين لامب - زوجة ويليام لامب الذي كان ابن لورد ولايدي ملبورن - كانت شابّةً متألّقةً على الساحة الاجتماعية، لكنّها في قرارة نفسها لم تكن سعيدةً. عندما كانت فتاة صغيرة كانت قد حلمت بالمغامرة، الرومانس، والسفر. الآن كان يُتَوَقّع منها أن تلعب دور الزوجة الشابّة المهذّبة، وهذا الدور لم يكن يناسبها. اللايدي كارولين كانت واحدةً من أوائل الذين قرؤوا *الطفل هارولد*، وعدا عن جدّتها فإنّه كان هنالك شيءٌ في الرواية حرّك مشاعرها. عندما رأت اللورد بايرون في حفلة عشاء وهو مُحاطٌ بالنساء، فإنّها نظرت إلى وجهه، ومن ثمّ انسحبت؛ وفي تلك الليلة كتبت عنه في مجلّتها، «مجنونٌ، سيّءٌ، ومن الخطر التعرّف عليه.» وأضافت، «ذلك الوجه الشاحب الجميل هو قدري.»

زارها اللورد بايرون في اليوم التالي، الأمر الذي شكّل مفاجأةً لها. من الواضح أنّه كان قد رآها وهي تبتعد عنه، وكان حياؤها قد أثار فضوله واهتمامه - إذ كان يأنف من النساء الهجوميّات أو المقتحمات اللواتي كنّ يترامين باستمرار عند قدميه، بنفس الطريقة التي كان يبدو بها أنّه يأنف من كلّ شيء، بما في ذلك نجاحه. وصار بعد ذلك بفترة وجيزة يتردّد يوميّاً إلى عند اللايدي كارولين. كان يطيل الجلوس في غرفة ملابسها، ويلعب مع أولادها، ويساعدها في اختيار الثياب في كلّ يومٍ بيومه. ضغطت عليه ليتحدّث عن حياته: فوصف أباه القاسي، والميتات المبكّرة التي بدت أنّها لعنة العائلة، والدير المتهدّم الذي كان قد ورثه، ومغامراته في تركيّا واليونان. حياته اتّسمت بالفعل بنفس القدر من القوطيّة الذي اتّسمت به حياة الطفل هارولد. (أي أنّ حياته كانت شبيهةً جدّاً بهذا النوع من القصص [القوطيّة] المتّسم بالكآبة والقتامة والذي تتكشّف فيه تفاصيل مؤامرةٍ بشعة أو خارقة للطبيعة في موقعٍ خفيٍّ أو معزول كقلعةٍ مهدّمة: المترجم.)

بالفعل أصبح الاثنان عاشقين في غضون أيّام. لكن الآية انعكست: إذ أنّ اللايدي كارولين لاحقت بايرون بهجوميّةٍ وشراسة قلّ مثيلهما عند السيّدات. ارتدت ثياب خادم وتسلّلت إلى عربته، وكتبت له رسائل مغرقةً في العاطفة، وازدهت بالعلاقة باعتزازٍ. أخيراً، تسنّت لها فرصة لتلعب الدور

يريدون أن يُغوَوا، نظراً لأنّ الإغواء يعني مواجهة الناس بمحدوديّاتهم، بالحدود التي يُفترض أنّها محدّدة ومستقرّة لكن التي يستبب المغوي ترنّحها فجأةً. الإغواء هو رغبة المرء بأن يُغمَر ويُجتاح، ويأخذ إلى ما هو أبعد.

- دانييل سيبوني، *الحب غير الواعي*

حديثاً فقط، رأيت حصاناً مُلجماً بإحكام / يعضّ على الشكيمة بأسنانه ويندفع مثل البرق - ومع ذلك ففي اللحظة التي يرتخي فيها اللجام، / فإنّ شعرات عنقه المنتصبة تلين، / يتوقّف عن الحراك كما لو أنّه مات. نحن نغضب ضمنيّاً إزاء القيود، ونشتهي / كل ما هو ممنوع. (إنظر كيف

الرومانسي العظيم الذي لطالما راود أحلامها كفتاةٍ صغيرة. بدأ بايرون بالانقلاب ضدّها. كان أساساً يحبّ أن يصدم؛ الآن اعترف لها بطبيعة الإثم السري الذي أشار له مداورةً في *الطفل هارولد كريم المحتد* ـ علاقاته المثليّة خلال أسفاره. كان يقوم بتعليقاتٍ جارحة، ويتصرّف بطريقةٍ تنمّ عن اللامبالاة. لكن هذا بدا أنّه فقط يُقحم بها أكثر. أرسلت له خصلة الشعر المعروفة، ولكن ليس من شعر رأسها وإنّما من عانتها؛ صارت تلحق به في الشوارع، وتقوم بتصرّفاتٍ محرجة أمام الملأ (تجلب الفضيحة) ـ في آخر الأمر قامت أسرتها بإرسالها إلى الخارج لتجنّب مزيدٍ من الخزي والفضيحة. بعد أن أوضح بايرون أنّ العلاقة انتهت، فقد انحدرت إلى جنونٍ رافقها عدّة سنوات.

في عام 1813، قام صديقٌ قديم لبايرون، جايمس وبستر، بدعوة الشاعر إلى عزبته الريفيّة. كان لدى وبستر زوجة شابّة وجميلة، اللايدي فرانسيس، وكان يعلم بسمعة بايرون كمغوي، لكنّ زوجته كانت هادئةً وعفيفة ـ لذا فإنّها بالتأكيد ستقاوم إغراء رجلٍ مثل بايرون. بالكاد تكلّم بايرون مع فرانسيس التي بدت غير مهتمّةٍ فيه بدرجةٍ مساوية، الأمر الذي أراح وبستر. إلّا أنّها بعد مرور عدّة أيّام على إقامة بايرون احتالت لكي تكون وحدها معه في غرفة البيليياردو، حيث سألته سؤالاً: كيف يمكن لامرأةٍ تحبّ رجلاً أن تخبره بهذا عندما لا يكون ملاحظاً؟ خربش بايرون جواباً غير محتشمٍ على قطعةٍ من الورق جعلها تحمرّ خجلاً أثناء قراءته. بعد ذلك بفترة وجيزة دعا بايرون الزوجين إلى ديره السيّء السمعة. هناك، رأته اللايدي فرانسيس المتزمّتة والرزينة وهو يشرب النبيذ من جمجمةٍ بشريّة. ظلاّ سهرانين حتّى وقتٍ متأخّرٍ في أحد حجرات الدير السريّة وهم يقرآن الشعر ويتبادلان القبل. مع بايرون، فقد بدا أنّ اللايدي فرانسيس لم تكن إلّا متلهّفةً جدّاً لاكتشاف الزنى.

في نفس تلك السنة، وصلت أخت بايرون غير الشقيقة أوغوستا إلى لندن لتبتعد عن زوجها الذي كان يعاني من مشاكل ماديّة. لم يكن بايرون قد رأى أوغوستا لبعض الوقت. الإثنان كانا متشابهين من الناحية الشكليّة ـ نفس الوجه، نفس الطريقة المميّزة في الكلام والتصرّفات؛ لقد كانت النسخة النسائيّة من اللورد بايرون. وسلوكه نحوها تخطّى حاجز الأخوّة. فقد

أنّ الرجل المريض الذي يوصى / بألاّ يغمر نفسه في الماء يتسكّع حول الحمامات العموميّة.) / ... تتعاظم / الرغبة إزاء ما يُبقى بعيداً عن المتناول. ينجذب اللص / للمباني المنيعة أمام السطو. كم كثيرةٌ هي الأحيان التي يزدهر فيها الحبّ عند وجود المنافس؟ إنّه ليس جمال زوجتك، وإنّما شغفك / بها هو الذي يحرّضنا ـ فلا بدّ أنّها / تتحلّى بشيءٍ ما حتّى أسَرتك. الفتاة التي يحبسها / زوجها لا تكون عفيفةً وإنّما هدفٌ يُناضَل من أجله، يكون الخوف جاذباً أكبر من شكلها. الحبّ المحرّم ـ إن أحببت هذا / أم لا ـ أكثر عذوبةً. عندما تقول الفتاة، / «أنا خائفة.» فذلك لا يؤدّي إلّا إلى جعلي منجذباً.

ـ أوفيد، *الرومانس*، ترجمة بيتر غرين

أخذها إلى المسرح، إلى الحفلات الراقصة، واستقبلها في منزله، مُعاملاً إيّاها بروحيّةٍ حميمة سرعان ما قابلتها بالمثل. بالفعل فإنّ الاهتمام الحنون واللطيف الذي أمطرها به سرعان ما تحوّل إلى الناحية الجسديّة.

أوغوستا كانت زوجةً مخلصةً وأمّاً لثلاثة أطفال، ومع ذلك فقد استسلمت لتحرّش أخيها غير الشقيق بها. كيف لها أن تحول دون ذلك؟ وهو الذي يحرّك فيها شغفاً مبهماً، وهياماً أقوى من أيّ هيامٍ شعرت به نحو أيّ رجلٍ آخر، بمن في ذلك زوجها. بالنسبة لبايرون، فإنّ علاقته مع أوغوستا كانت قمّة الخطيئة التي توّج بها سيرته. وسرعان ما صار يكتب لأصدقائه ليقرّ صراحةً بفعلته. لقد كان مبتهجاً بالفعل إزاء ردود فعلهم المصعوقة، واتّخذت قصيدته القصصيّة المسمّاة *عروس أبيدوس* سفاح الأخ مع الأخت كموضوعٍ لها. بدأت الإشاعات بالسريان عن علاقة بايرون الجنسيّة بأخته، التي كانت الآن حاملةً بطفله. اجتنبه المجتمع الراقي ـ لكنّ النساء انشددن إليه أكثر، وصارت كتبه أكثر رواجاً وشعبيّةً من أيّ وقتٍ سبق.

في المراحل اللاحقة فإنّه غالباً ما يكون غير ممكنٍ [بالنسبة للنساء] أن يفكّوا الصلة التي بالتالي تكونت في أذهانهم ما بين الأنشطة الحسّيّة والشيء المحرّم، ويتّضح أنّهن عاجزاتٍ من الناحية الجنسيّة، أي باردات، عندما تصبح هذه الأنشطة مسموحةً في آخر المطاف. هذا هو مصدر الرغبة لدى العديد من النساء، الأمر الذي يجعلهنّ يبقين حتّى أكثر العلاقات شرعيّةً سرّيّةً لبعض الوقت؛ ومصدر مظهر القدرة على الإحساس الطبيعي في العلاقات الأخرى ما إن يُستعاد شرط المنع بواسطة علاقةٍ غراميّة غير شرعيّة ـ إذ يستطعن استبقاء نوعٍ ثانٍ من

آنابيلاّ ميلبانك التي كانت نسيبةً للايدي كارولين لامب، كانت قد التقت بايرون في تلك الأشهر الأولى من عام 1812 عندما كان معبود الجماهير في لندن. كانت آنابيلاّ تتّسم بالاعتدال وضبط النفس والواقعيّة، واهتماماتها كانت العلم والدين. لكن بايرون كان فيه شيءٌ قد جذبها. وبدا أنّ المشاعر مُتبادلة: فالإثنان لم يصبحا أصدقاءً وحسب، لكنّه أيضاً كشف عن نوعٍ آخر من الاهتمام بها، وعرض عليها الزواج حتّى في إحدى المراحل. كان هذا في خضمّ الفضيحة التي تناولت بايرون وكارولين لامب، وآنابيلاّ لم تأخذ العرض على محمل الجدّ. تتبّعت سيرته عن بعد عبر الأشهر القليلة التي تلت، وسمعت الإشاعات المزعجة عن السفاح. ومع ذلك فقد كتبت في عام 1813، رسالةً لخالتها تقول فيها، «أنا أعتبر أنّ معرفته أمرٌ مرغوبٌ فيه جدّاً لدرجة أنّني مستعدّة لأن أجلب على نفسي المخاطرة بأن أُدعى عابثةً من أجل الاستمتاع بها.» بعد أن قرأت أشعاره الجديدة كتبت أنّ «وصفه للحبّ يكاد يجعلني *أنا* في حالة حبّ.» كانت تنمّي هوساً ببايرون الذي سرعان ما سمع بهذا الهوس. جدّدا صداقتهما، وفي عام 1814 تقدّم بطلب الزواج ثانيةً؛ فقبلت هذه المرّة. بايرون كان ملاكاً ساقطاً وكانت هي من سيصلحه.

تبيّن أنّ الأمور لم تَسِر بهذه الطريقة. فبايرون كان يأمل بأنّ حياة الزوجيّة ستكبح من جماحه، لكنّه بعد المراسم أدرك أنّ زواجه كان غلطة. قال لأنابيلاّ، «الآن ستكتشفين أنّك قد تزوّجت شيطاناً.» انهارت الزيجة في غضون بضعة سنوات.

في عام 1816، غادر بايرون إنكلترا إلى غير رجعة. سافر عبر إيطاليا لفترة من الزمن؛ الجميع كانوا يعلمون بقصّته ـ العلاقات الجنسيّة، السفاح، الوحشيّة والقسوة اللتان يعامل بهما حبيباته. لكن النساء الإيطاليّات لاحقنه حيثما حلّ، وخاصّةً المتزوّجات منهنّ واللواتي ينتمين للطبقة الراقية، موضّحاتٍ بذلك بطريقتهنّ الخاصّة مدى استعداد كلّ واحدةٍ منهنّ لتكون الضحيّة البايرونيّة التالية. في الحقيقة فإنّ النساء كنّ من قام بالهجوم (بالمبادرة). مثلما قال بايرون للشاعر شيلي، «لم يُسبَ أحدٌ أكثر من المسكين الغالي الذي هو أنا ـ لقد اغتُصِبتُ أكثر من أيّ شخصٍ منذ حرب طروادة.»

التفسير. النساء في عصر بايرون كنّ يتلهّفن للعب دور مختلفٍ عمّا سمح لهنّ المجتمع به. كان يُفتَرَض بهنّ أن يكنّ القوّة التي تدعو إلى الأخلاق والشرف في الحضارة؛ الرجال فقط كان لديهم منافذٌ (مُتَنَفّس) لدوافعهم الشرّيرة. قد يكون الخوف من دورٍ أكثر لا أخلاقيّةً وانفلاتاً لنفسيّة (عقل) المرأة هو ما شكّل الأساس الكامن وراء القيود الاجتماعيّة المفروضة على النساء.

نتيجةً لشعورهنّ بالتململ والكبت، فقد التهمت النساء في ذلك العصر الروايات والقصص الغراميّة القوطيّة التي كانت تلعب فيها النساء دور المغامَرة، والتي كانت تتحلّى فيها النساء بنفس القدرة على الخير والشر كالرجال. كتبٌ كهذه ساعدت على إطلاق شرارة ثورة مسموحٍ بها إلى حدٍّ ما عند نساءٍ من أمثال اللايدي كارولين، اللواتي كنّ يَتُقن لعيش قليلٍ من حياة الأحلام التي كانت لديهنّ وهنّ بناتٌ صغيرات. وصل بايرون إلى الساحة في الوقت المناسب. صار البؤرة التي تتمحور حولها رغبات النساء غير المُعَبّر عنها؛ معه كان باستطاعتهنّ الذهاب إلى ما بعد الحدود التي كان المجتمع قد فرضها. الإغراء (الطعم) بالنسبة للبعض كان الزنى، وللبعض الآخر كان الثورة الرومانسيّة، أو فرصة ليصبحن غير عقلانيّات وغير

الإخلاص للعشيق، وهذا ما لا ينطبق على الزوج. • برأيي فإنّ الشرط اللازم للممنوعيّة في الحياة الجنسيّة للنساء يحتل نفس المكان كحاجة الرجال لتخفيض دافعهم الجنسي... النساء اللاتي ينتمين للمستويات الأعلى من المدنيّة والثقافة عادةً لا ينتهكن الحظر القائم على الأنشطة الجنسيّة خلال فترة الإنتظار، وبالتالي فإنّهنّ يكتسبن هذا الرابط الوثيق بين ما هو محظور وما هو جنسيّ... • النتائج الضارّة للحرمان من الاستمتاع الجنسي لدى بداية العلاقة تتجلّى في نقص الإشباع الكامل عندما يُطلَق للرغبة الجنسيّة العنان لاحقاً في الزواج. لكن، من ناحيةٍ أخرى، فإنّ الحرّيّة الجنسيّة غير المقيدة لا تقود إلى نتائج أفضل. من

السهل إثبات أنّ القيمة التي يضعها الذهن على الحاجات الجنسيّة تهبط بشكلٍ فوريّ ما إن يمكن الحصول على الإرضاء بسهولة. بعض العقبات تكون ضروريّةً للدفع بتيّار الشهوة إلى أقصاه؛ وفي كل حقب التاريخ؛ فإنّه عندما لا تفي الحواجز الطبيعيّة في وجه إشباع الرغبة بالمطلوب، تقوم البشريّة بتشييد حواجز اصطناعيّة من أجل أن تكون قادرةٍ على الاستمتاع بالحبّ. هذا ينطبق على كلٍّ من الأمم والأفراد. في الأوقات التي لم توجد فيها عوائق في وجه الإرضاء الجنسي، كأثناء انحدار حضارات العالم القديم، فإنّ الحبّ يصبح عديم القيمة، ويصبح من اللازم القيام بإصلاحاتٍ قويّة في الاتّجاه المعاكس قبل أن

متمدّنات. (الرغبة بإصلاحه كانت مجرّد غطاءٍ للحقيقة ـ الرغبة بأن يجتاحهنّ عاطفياً.) لقد كان إغواء الممنوع في جميع الحالات، وفي هذه الحالة كان أكثر من إغراءٍ سطحيّ: فما أن تُصبح متورّطاً مع اللورد بايرون حتّى يأخذك إلى أبعد ممّا كنت تتخيّل أو تريد، كونه كان لا يعترف بالحدود. لم تقع النساء في حبّه وحسب، وإنّما تركنه أيضاً يقلب حياتهنّ رأساً على عقب، بل وحتّى يدمّرها. فضّلن ذلك المصير على القيود الآمنة للزواج.

بطريقةٍ أو بأخرى، فقد أصبح وضع النساء في القرن الثامن عشر معمّماً في بداية القرن الحادي والعشرين. قد تلاشت المنافذ أو المخارج للسلوك السيّء للرجل ـ الحرب، السياسة القذرة، مؤسّسات العشيقات والمحظيّات. فاليوم، لا يُفترَض بالنساء فقط أن يكنّ متحضّرات وعقلانيّات بل وبالرجال أيضاً وبشكلٍ جليّ. ويعاني العديد من صعوباتٍ في العيش بمستوى هذه التوقّعات. نستطيع كأطفال أن ننفّس عن الجانب المظلم من شخصيّاتنا، وهو جانبٌ موجودٌ لدينا جميعاً. لكن تحت الضغط الذي يمارسه علينا المجتمع (في البداية بصيغة أبوينا) فإنّنا نكبت بالتدريج نزعات الشر والعصيان وسوء السلوك في شخصيّاتنا. لكي ننسجم فإنّنا نتعلّم أن نقمع جوانبنا المظلمة التي تصبح نوعاً من النفس الضائعة أو المفقودة، أو جزءاً من نفسنا وعقلنا مدفوناً تحت مظهرنا المهذّب.

نرغب سرّاً كراشدين أن نستردّ تلك النفس الضائعة ـ الجزء الطفولي (منّا) الأكثر مغامرةً والأقلّ احتراماً. نحن ننشدّ لأولئك الذين يعيشون أنفسهم الضائعة كراشدين، حتّى لو تضمّن ذلك بعض الشر أو التدمير. تستطيع أن تصبح، على غرار بايرون، بؤرة تلك الرغبات. من ناحية ثانية، عليك أن تتعلّم أن تبقي هذه الإمكانيّة تحت السيطرة، وأن تستخدمها على نحوٍ استراتيجيّ. بينما تكون هالة الممنوع التي من حولك آخذةً في جذب أهدافك إلى شبكتك، فلا تحاول أن تبالغ في التأكيد على كونك خطيراً وإلاّ فسوف يبتعدون وهم خائفون. ما إن تشعر بأنّهم يقعون تحت سحرك حتّى يُطلَق لك العنان أكثر. إذا بدؤوا بتقليدك، كما قلّدت اللايدي كارولين بايرون، فعندئذٍ امضِ في اللعبة إلى ما هو أبعد ـ أَضِف بعض القسوة، ورّطهم في إثم، جريمة، أو نشاطٍ محظور، أو أيّ شيءٍ تقتضيه الحاجة. أطلق العنان للنفس الضائعة التي فيهم؛ بقدر ما يعبّرون عنها أكثر، بقدر ما تصبح

سلطتك عليهم أعمق. توقّفك بمنتصف الطريق سوف يخلق إحساساً غير مريح بأنّ الغير يلاحظ ما هم يرتكبون واهتماماً مفرطاً بالمظاهر. اشططّ فيما أنت تفعله إلى أقصى حدٍّ ممكن.

يمكن استعادة القيمة العاطفيّة للحبّ التي لا غنى عنها.

ـ سيغموند فرويد، «مقالاتٌ في سيكولوجيا الحبّ،» *الجنسانيّة وسيكولوجيا الحبّ*، ترجمة جون ريڤير

الانحطاط يجذب الجميع.

ـ جوهان وولفغانغ جوته

المفاتيح للإغواء

المجتمع والثقافة (الحضارة) يستندان إلى القيود ـ هذا النوع من السلوك مقبول، ذلك غير مقبول. هذه القيود مرنة وتتغيّر مع الأيّام، لكن دائماً يوجد هنالك قيود. البديل هو الفوضى، ولاقانونيّة الطبيعة، الأمر الذي نخاف منه. لكنّنا حيواناتٌ غريبة الأطوار: ففي اللحظة التي يُفرَضُ بها أيّ نوعٍ من القيود، أكان ماديّاً أم معنويّاً (نفسيّاً)، فإنّنا نصبح فضوليّين على الفور. يريد جزءٌ منّا أن يذهب إلى ما بعد ذلك القيد والحدّ، وأن يكتشف ما هو الممنوع.

هذه هي الطريقة التي حلّل بها السيّد موكلير موقف الرجال إزاء المومسات: «لا حبّ المومسة الشغوفة ولكن حسنة التنشئة، ولا زواجه من امرأةٍ يحترمها، يمكن أن يحلّ محلّ المومس بالنسبة للحيوان البشري في تلك اللحظات المنحرفة عندما يشتهي أن يحطّ من قدره دون أن يؤثّر على مكانته الاجتماعيّة. لا شيء يمكن أن يحلّ محلّ هذه المتعة الغريبة ولكن القويّة بكون

إذا أخبِرنا، كأطفال، ألاّ نذهب إلى ما وراء نقطةٍ معيّنة في الغابة، فذلك المكان هو حيث نريد أن نذهب بالضبط. كمٌّ متزايدٌ من الحدودٌ يعوق حياتنا ويثقلها. لا تخلط على أيّة حال ما بين التهذيب والسعادة. فالتهذيب يغطّي الإحباط والتسويات غير المرغوبة. كيف لنا أن نكتشف الجانب السرّي (المظلم) من شخصيّاتنا دون أن نجلب على أنفسنا العقاب أو النبذ؟ هذا الجانب يتسرّب إلى أحلامنا. نستيقظ أحياناً ونحن نكابد شعوراً بالذنب إزاء الجريمة، السفاح، الزنى، والأذى المتعمّد الذين يجولون ويعتملون في أحلامنا، إلى أن ندرك أنّه ليس من الضرورة أن يعلم أحدٌ سوانا بذلك. لكن أعطِ الناس الإحساس بأنّه معك سيكون لديهم الفرصة ليكتشفوا التخوم القصوى للسلوك المهذّب والمقبول، وأنّه معك يستطيعون أن ينفّسوا عن جانبٍ من شخصيّاتهم المحجور عليها، وستخلق عندها المقوّمات اللازمة لإغواءٍ عميقٍ وقويّ.

سيكون عليك الذهاب إلى ما بعد مرحلة مجرّد إغاظتهم بحلمٍ محيّر. الصدمة والقوّة الإغوائيّة ستتأتّيان من واقعيّة ما تقدّمه لهم. تستطيع في مرحلةٍ معيّنة، مثل بايرون، أن تضغط حتّى للذهاب إلى أبعد ممّا قد يرغبون بالذهاب إليه. إذا تبعوك بدافعٍ من الفضول المحض، فقد يشعرون ببعض الخوف والتردّد، لكن ما إن يقعوا في الشرك حتّى يجدوا أنّه من الصعب مقاومتك، لأنّه ما إن تنتهك حدّاً وتتخطّاه حتّى يصبح من الصعب أن ترجع إليه. الإنسان يصرخ طلباً للمزيد، ولا يعلم متى يتوقّف. ستحدّد لهم أنت متى يحين الوقت للتوقّف.

في اللحظة التي يشعر فيها الناس بأنّ شيئاً ما مُحَظّرٌ عليهم، فسوف يرغب فيه جانبٌ منهم. ذاك ما يجعل الرجل المتزوّج أو المرأة المتزوّجة هدفاً بهذه اللذّة. كلّما كان الشخص ممنوعاً، كانت الرغبة أعظم. كان جورج ڤيلير، إيرل بيكنغهام، أثير الملك جايمس الأوّل في البداية، ومن ثمّ أثير ابن جايمس، الملك تشارلز الأوّل. لم يُمنَع عنه شيءٌ أبداً. في عام 1625، في زيارةٍ لفرنسا، التقى بالملكة الجميلة آن ووقع في حبّها بشكلٍ يائس. ما الذي يمكنه أن يكون أكثر استحالةً، وأكثر بُعدَ منال، من ملكة قوّةٍ منافسة؟ كان باستطاعته الحصول تقريباً على أيّة امرأةٍ أخرى، لكنّ الطبيعة المحرّمة للملكة ألهبته بالكامل، إلى أن أحرج نفسه وبلده من خلال محاولة تقبيلها أمام الملأ.

نظراً لكون الممنوع مرغوب، عليك بطريقةٍ ما أن تجعل نفسك تبدو مُحرّماً. الطريقة الأكثر سماجةً وصخباً لفعل هذا هي أن تنخرط في سلوكٍ من شأنه أن يمنحك هالةً من الشر والمنع. فنظريّاً أنت شخصٌ يجب تحاشيه، أمّا عمليّاً فأنت مغويٌّ لدرجةٍ لا تُقاوَم. ذاك كان إغراء الممثّل إيرول فلين، الذي، على غرار بايرون، وجد أنّه المُطارَد وليس المُطارِد. فلين كان وسيماً بشكلٍ شيطانيّ، لكنّه كان يتمتّع أيضاً بشيءٍ آخر؛ مسحةٌ إجراميّة أكيدة. انخرط خلال شبابه الجامح في كلّ أنواع الأنشطة المشبوهة. في خمسينات القرن الماضي كان قد اتُّهم بجريمة اغتصاب، وهي وصمة أبديّةٌ على سمعته بالرغم من أنّه وُجِد بريئاً؛ إلّا أنّ هذه التهمة لم تؤدِّ إلّا إلى زيادة شعبيّته بين النساء. شدّد على جانبك المظلم (ضخّمه) وسيكون لديك نفس الأثر. بالنسبة لأهدافك فإنّ الإنخراط معك يعني المضيّ والتوغّل إلى ما بعد حدودهم، وفعل شيءٍ شقيٍّ وغير مقبول - إزاء المجتمع، إزاء أقرانهم. بالنسبة للعديد فإنّ ذلك سببٌ (كافٍ) لابتلاع الطعم.

المرء قادراً على قول كلّ شيء، وفعل كلّ شيء، مهما كان دنساً أو مثيراً للسخرية دون أيّ خوفٍ من جزاء، ندامة، أو مسؤوليّة. إنّها ثورةٌ كاملةٌ ضدّ المجتمع المنظّم، وضدّ شخصه المتعلّم والكفؤ وضد دينه بخاصّة.» السيّد موكلير يسمع نداء الشيطان في هذه العاطفة القاتمة التي عبّرعنها بودلير في شعره. «تمثّل المومس اللاوعي الذي يمكّننا من وضع مسؤوليّاتنا جانباً.»

- نينا إبتون، *الحب والفرنسيّون*

العين والقلوب تمضي مسافرةً على طول المسارات التي طالما جلبت لهم المسرّة؛ وإذا حاول أيّ شخصٍ أن يفسد لعبتهم، فلن يعدو

في رواية *الرمال المتحرّكة* التي كتبها جينيشيرو تانازاكي في عام 1928، تشعر سونوكو كاكيوتشي، وهي زوجة محامٍ محترم، بالملل فتقرّر أن تتبع دورةً في الفنون لقتل الوقت. هنالك، تجد نفسها مفتتنةً بطالبةٍ زميلة، ميتسوكو الجميلة، التي تصادقها، ومن ثمّ تغويها. تضطرُّ كاكيوتشي لأن تخبر زوجها بكمّ لا حصر له من الأكاذيب عن صلتها مع ميتسوكو وعن لقاءاتهما السريّة. تورِّطها ميتسوكو بالتدريج في جميع أنواع الأنشطة الشائنة، بما في ذلك علاقة حبّ ثلاثيّة الأطراف مع شابٍّ غريب الأطوار. في كلّ مرّةٍ تُساق فيها كاكيوتشي لاكتشاف لذّةٍ محرّمةٍ ما، تتحدّاها ميتسوكو لتتوغّل أبعد فأبعد. تتردّد كاكيوتشي وتشعر بالندم - إذ تعرف أنّها بين براثن مغويةٍ شابةٍ شيطانيّة كانت قد لعبت على أوتار ضجرها لتحرفها وتضلّلها. لكن في النهاية، فإنّها لا تستطيع أن تمنع نفسها عن اتّباع قيادة ميتسوكو - فكلّ عملٍ انتهاكيّ يجعلها ترغب بالمزيد. بمجرّد ما تنجذب أهدافك بإغراء ما هو ممنوع، تحدّاهم على أن يضاهوك بالسلوك الانتهاكي. أيّ نوع من التحدّي هو شيءٌ مغوٍ. سر به ببطء فلا تزيد من قوّة التحدّي إلّا بعد أنْ يظهروا علامات الاستسلام لك. بمجرّد أن يصبحوا تحت سحرك وسلطانك، فلن يعودوا يلاحظوا حتّى مدى حرج وعزلة الموقف الذي وضعتهم فيه.

خليع القرن الثامن عشر العظيم، الدوق رايشليو، كان لديه ولعٌ بالفتيات اليافعات وغالباً ما كان يزيد من حدّة الإغواء من خلال إحاطتهم بسلوكٍ انتهاكيّ، وهو السلوك الذي تعاني تجاهه الناشئة بالتحديد من ضعفٍ خاصّ. على سبيل المثال، كان يجد وسيلةً ليدخل بيت الفتاة ويستدرجها إلى سريرها؛ في حين يكون والداها جالسين في حجرة الطعام وهما يتبلان الأكل بالتوابل المناسبة. في بعض الأحيان كان يتصرّف كما لو كانا على وشك أن يُكتَشَفا، مُضفياً بذلك الرعب الذي يزيد من وقع (حدّة) الرعشة والإثارة بالإجمال. في جميع الحالات، كان يحاول أن يحرّض الفتاة ضد أهلها، وذلك من خلال السخرية من حماستهم الدينيّة أو تزمّتهم أو سلوكهم الورع. استراتيجيّة الدوق كانت بأن يهاجم أو ينال من القيم الأعزّ على أهدافه وأثمنها لديهم - وخاصّةً القيم التي تمثّل حدّاً أو قيداً. لدى الشخص اليافع تكون الروابط العائليّة والدينيّة وما شابه ذات نفع للمغوي؛ فاليافعون بالكاد يحتاجون إلى سبب ليثوروا ضدّها. إلّا أنّ الاستراتيجيّة يمكن

عن جعلهم أكثر تعلّقاً بها، يعلم الله... هكذا كان الحال مع تريستان وآيزولد. بمجرد ما حُرِموا رغباتهم، ومُنِعوا من الاستمتاع ببعضهم البعض من خلال الجواسيس والحرّاس، فإنّهم أخذوا يعانون بشدّة. صارت الرغبة تعذّبهم الآن بشكلٍ جدّي، وعلى نحوٍ أسوأ بكثير من ذي قبل؛ أصبحت حاجة أحدهم للآخر أكثر إيلاماً وإلحاحاً من أيّ وقتٍ مضى. • ... النساء يقمن بالكثير من الأشياء فقط لأنها ممنوعة، والتي لم يكنّ ليفعلنها إن لم تكن ممنوعة... ربّنا منح حوّاء الحرّيّة لتفعل ما تريد بكلّ الثمار والأزهار والنباتات التي كانت في الجنّة، باستثناء واحدةٍ فقط، والتي منعها من مسّها تحت طائلة العقوبة بالموت... أخذت

الثمرة وعصت أمر الله... لكنّني الآن أعتقد جازماً بأنّ حوّاء لم تكن لتفعل هذا أبداً لو لم تكن منهيّةً عنه.

ـ جوتفريد فون ستراسبورغ، *تريستان وآيزولد*، مقتبس في كتاب *حبّ الفرسان والسيّدات* لآندريا هوبكينز

تطبيقها بالرغم من ذلك على الشخص بغض النظر عن عمره: لأنّه لكلّ قيمةٍ أخلاقيّةٍ مُعتَنَقَةٍ بشدّة جانبها المعتم، شكّ، رغبةٌ باكتشاف ما الذي تحرّمه وتحظره تلك القيم.

في إيطاليا عصر النهضة، كانت المومسة تلبس كسيّدةٍ محترمة وتذهب إلى الكنيسة. لم يكن شيءٌ أكثر إثارةً للرجل من تبادل النظرات مع امرأةٍ كان يعلم أنّها عاهرة بينما كان محاطاً بزوجته، عائلته، أقرانه، ومسؤولي الكنيسة. كلّ دين أو منظومة قيم لديه جانبه المظلم، مملكة الظل أو عالمه المكوّن من كلّ ما يحظره ويحرّمه. أغِظ أهدافك، إجعلهم يعبثون بأيّ شيءٍ ينتهك قيمهم العائليّة التي غالباً ما تكون سطحيّة بالرغم من كونها عاطفيّة، نظراً لأنّها مفروضة من الخارج.

واحدٌ من أكثر الرجال إغواءً في القرن العشرين، رودولف ڤالنتينو، كان يعرف باسم وعيد (خطر) الجنس. جاذبيّته للنساء كانت ذات شقّين: كان باستطاعته أن يكون رقيقاً ومجاملاً، لكنّه كان يُلمِعُ أيضاً إلى جانبٍ من القسوة. في أيّة لحظة كان يمكنه أن يكون جريئاً ووقحاً بشكلٍ خطير، أو حتّى عنيفاً بعض الشيء. ضخّمت دور صناعة الأفلام السينمائيّة هذه الصورة المزدوجة بأقصى استطاعتها ـ فعندما سرت التقارير الصحفيّة بأنّه كان يسيء معاملة زوجته، على سبيل المثال، فقد استغلّت هذه القصّة. مزيجٌ من المذكّر ومن المؤنّث، من العنيف والرقيق، سيبدو دائماً انتهاكيّاً (آثماً) وجذّاباً. يُفتَرَض بالحبّ أن يكون حنوناً ورقيقاً، لكن يمكنه في الواقع أن يُطلِق عواطف عنيفة ومدمّرة؛ والعنف المحتمل للحبّ، والطريقة التي يهدّم بها حصافتنا ومنطقيّتنا المعتادة، هما بالضبط ما يجذبنا. قارب الجانب العنيف للرومانس من خلال إضفاء مسحةٍ من القسوة إلى أفعالك الرقيقة، وخاصّةً في المراحل الأخيرة من الإغواء، عندما يكون الهدف بين براثنك. عُرِفَ عن المحظيّة لولا مونتيز أنّها كانت تلجأ للعنف، فتستخدم السوط بين الحين والآخر، وكان بوسع لو آندرياس ـ سالوم أن تكون وحشيّةً بشكلٍ استثنائيّ مع رجالها، فتلعب ألعاباً مغناجيّة، وتنقلب لتصبح باردةً كالجليد ومتطلّبةً. لم تؤدّ وحشيّتها إلّا لجعل أهدافها يرجعون طلباً للمزيد. العلاقة المازوشيّة يمكن أن تمثّل تحرّراً (انعتاقاً) انتهاكيّاً عظيماً.

واحدٌ من أصدقاء السيّد ليوبولد شتيرن استأجر مسكن عازبين مؤقّتٍ حيث استقبل زوجته كعشيقة، وقدّم لها النبيذ البرتغالي والبتي فور و«اختبر كل الإثارة المدغدغة للزنى.» أخبر شتيرن بأنّه كان إحساساً جميلاً أن يُدَنِّث نفسه.

ـ نينا إبتون، *الحبّ والفرنسيّون*

كلّما ولّدَ إغواؤك الإحساس بأنّه محرّم وغير مشروع، كان تأثيره أكثر

قوّةً. أعطِ أهدافك الشعور بأنّهم يرتكبون نوعاً من الجرم، فعلاً يتشاطرون تبعاته معك. إخلق لحظاتٍ أمام العامّة بحيث تكونان أنتما فيها تعرفان شيئاً لا يعرفه أولئك المحيطون بكما. قد تكون عباراتٌ أو نظراتٌ لا يعرفها أحدٌ غيركما، أو سرّ. جاذب بايرون الإغوائي للايدي فرانسيس كان متّصلاً ومرتبطاً بقرب زوجها ـ فلدى وجوده، على سبيل المثال، تلقّت رسالة حبٍّ من بايرون مخبّأةً في حمّالة الصدر التي ترتديها. جوهانس، بطل رواية سورين كيركيجارد *يوميّات مغوي*، أرسل رسالةً إلى هدفه، كورديليا الشابّة، في خضمّ حفلة عشاء كان كلاهما يرتادانها؛ لم تستطع أن تكشف للضيوف الآخرين أنّها كانت منه، لأنّها ستضطر عندئذٍ لتقديم بعض التفسيرات والشروحات. من الممكن أيضاً أنّه كان يقول لها أمام الملأ شيئاً ذا معنى خاصٍّ بالنسبة لها، كونه كان يشير إلى شيءٍ في إحدى رسائله. كلّ هذا أضاف نكهةً للعلاقة من خلال إعطائها الشعور بوجود سرٍّ مشترك، أو حتّى ذنبٍ مُقتَرَف. من الحاسم أن تلعب على مكامن توتّرٍ كهذه أمام الملأ، فتخلق إحساساً بالتورّط بشيءٍ خاطئ وبالتواطؤ ضدّ العالم.

في إسطورة تريستان وآيزولد، يصل العاشقان المشهوران إلى منتهى السعادة والابتهاج وكان ذلك بالضبط نتيجةً للمحرّمات التي خرقوها. آيزولد تكون مخطوبةً للملك مارك؛ وستصبح قريباً امرأةً متزوّجة. تريستان هو تابعٌ مخلص ومحاربٌ يعمل في خدمة الملك مارك، الذي يعادل أباه في السن. العلاقة بأكملها مصبوغة بصبغة سرقة العروس من الأب. كان لهذه الأسطورة تأثيرٌ هائل عبر العصور كونها تمثّل أو تلخّص مفهوم الحبّ في العالم الغربي، وقسمٌ كبيرٌ منها يتمحور حول فكرة أنّه دون عقبات، ودون الشعور بالانتهاك والخطيئة، فإنّ الحبّ ضعيفٌ وعديم النكهة.

في عالمنا الراهن قد يكون الناس باذلين غاية الجهد لإزالة القيود على السلوك الشخصي، ولجعل كلّ شيء أكثر حريّةً، لكنّ ذلك لا يؤدّي سوى إلى جعل الإغواء أكثر صعوبةً وأقلّ إثارةً. إفعل ما بوسعك لتعيد إدخال الشعور بالانتهاك والجريمة، حتّى لو كان ذلك مجرّد وهم أو تصوّرٍ نفسيّ. لا بدّ من أن يكون هنالك عقباتٌ لتُتَخَطّى، أعراف اجتماعيّة ليُهزَأ بها، قوانين لتُخرَق، قبل أن يمكن إتمام الإغواء. إذا بدا أنّ المجتمع المتساهل يفرض عدداً محدوداً من القيود؛ فعليك أن توجِد المزيد منها. دائماً سيكون هنالك قيود،

بقراتٍ مقدّسة (بمعنى أشخاص فوق النقد)، معايير سلوكيّة ـ الأشياء التي تشكّل ذخيرة دائمة للاصطدام بما هو انتهاكيّ ومحظور.

الرمز: الغابة. يُطلَب من الأطفال ألاّ يدخلوا إلى الغابة التي تقع تماماً وراء الحدود الآمنة لمنزلهم. هناك لا يوجد قانون، وإنّما مجرّد بريّة، حيوانات وحشيّة، ومجرمون. لكن الفرصة للاكتشاف، والظلمة المستدرِجة، وواقع أنّها محظورة هي أشياءٌ تستحيل مقاومتها. وما أن يصبحوا في الداخل، حتّى يرغبوا في التوغّل أبعد فأبعد.

الانقلاب

نقيض الاصطدام بالمحظورات (الانقلاب عليها) هو أن تظلّ ضمن حدود التصرّف المقبول. وهذا سوف يؤدّي بالنتيجة إلى إغواءٍ فاترٍ للغاية. لكن ليس المراد من القول أنّ ما يغوي هو الشرّ وحده أو السلوك غير المشذّب؛ فالطيبة، الرقّة، وهالةٌ من الروحانيّة يمكن أن تكون جذّابةً بشكلٍ هائل، نظراً لأنّها صفاتٌ نادرة. لكن إلحظ أنّ اللعبة هي نفسها. الشخص اللطيف أو الطيّب أو الروحاني ضمن الحدود التي يفرضها المجتمع يتمتّع بجاذبٍ ضعيف. إنّ أولئك الذين يذهبون إلى أبعد مدى ـ أشباه غاندي، والكريشنامورتيّون (نسبةً إلى الإله ڤيشنو في الأساطير الهندوسيّة، الذي ظهر بين البشر باسم كريشنا ليخلّصهم من ملكٍ طاغية: المترجم) ـ هم من يغووننا. هم لا يدافعون وحسب عن أسلوب حياةٍ روحانيّ، وإنّما يتخلّصون تماماً من كلّ الوسائل الماديّة للراحة الشخصيّة ليعيشوا مثاليّاتهم الزهديّة والتنسكيّة. هم أيضاً يذهبون إلى ما بعد الحدود، فينتهكون السلوك المقبول، لأنّ المجتمعات تجد أنّه من الصعب تأدية وظيفتها إذا اشتطّ الجميع إلى هذه الحدود. ممّا لا ريب فيه أنّه في الإغواء لا تتأتّى أيّ قوّةٍ أو سطوة من احترام الحدود والقيود.

19

استخدم المُغرَيات الروحية

الجميع لديه شكوك
ومَكامن في شخصه للشعور بعدم
الأمان وقلّة الثقة ـ حيال جسمهم، حيال
إيمانهم بنفسهم وقيمتها وحيال جنسانيّتهم. فإذا
كان إغواءك يخاطب الناحية المادية والجسدية بشكل
حصري، فإنك سوف تثير هذه الشكوك وتجعل أهدافك
شاعرين بمَواطن الضعف لديهم وبأنّ غيرهم يلاحظ ويدرك
هذه المواطن. عوضاً عن ذلك استدرجهم بعيداً عن قلّة ثقتهم
بأنفسهم وشعورهم بانعدام الأمان، وذلك من خلال جعلهم
يركّزون على شيءٍ سامٍ وروحانيّ: تجربة دينية، عمل فني رفيع،
الأشياء الغامضة والمُكتنَفة بالأسرار. أكّد على صفاتك الملائكية؛
تكلّف سيماءً من عدم الرضى إزاء الأشياء الدنيويّة؛ تحدّث
عن النجوم، القدر، الخيوط الخفيّة التي تَربطك بموضوع
الإغواء. الهدف سوف يشعر بأنّه خفيف وغير مقيّد
كونه غارقٌ في سديمٍ روحيّ. عَمّق أثر إغوائك
بجعل ذروته الجنسية تبدو شبيهة بالاتّحاد
الروحي بين روحين أو نفسين.

موضع العبادة

كانت ليان دي بوجي مومس (محظيّة) باريس المتوّجة طوال تسعينات القرن التاسع عشر. بقدّها الأهيف وخنوثتها كانت شيئاً جديداً وغير مألوف، فتنافس الرجال على الاستئثار بها. في أواخر العقد، على أيّة حال، كانت قد سئمت من الأمر برمّته. «يا لها من حياةٍ عقيمة»، كتبت في رسالةٍ لأحد أصدقائها. «دائماً نفس الروتين؛ منتزه البوا دي بولون، السباقات، تجريب الثياب؛ وكنهايةٍ لكلّ يومٍ تافه: العشاء!» أكثر ما أرهق المحظيّة وأضجرها على الإطلاق كان الاهتمام الدائم لمعجبيها الرجال الذين سعوا لاحتكار مفاتنها الأنثويّة.

آه! أن تكون قادراً دائماً على أن تحبّ من تحبّ بحريّة! أن أمضي حياتي عند قدميك مثل آخر أيامنا سويّة. أن أحميك من آلهة الغابات المتخيلة لكي أكون الشخص الوحيد الذي يرميك على سريرٍ من الطحالب... سنجد بعضنا بعضاً مجدّداً في جزيرة لزبوس، وعندما يحلّ الغسق، فسنتوغّل في الغابة لكي نضيّع الطرق التي تؤدّي إلى هذا القرن. أريد أن أتخيلنا في جزيرة الخالدين المسحورة هذه. أتصوّر أنّها جميلةٌ للغاية. تعالي، سأصف لك أولئك

في يومٍ ربيعيٍّ من عام 1899، كانت ليان تركب في عربةٍ مفتوحة عبر البوا دي بولون. كالعادة، فقد رفع الرجال قبّعاتهم تحيّةً لها أثناء مرورها. لكن أحد هؤلاء المعجبين أخذها أو بالأحرى أخذتها على حين غرّة: شابّةٌ ذات شعرٍ طويلٍ أشقر، كانت قد أعطتها تحديقةً مبجّلة قويّة. ابتسمت ليان للمرأة، التي ابتسمت وانحنت بالمقابل.

بعد ذلك بعدّة أيّام صارت ليان تتلقّى بطاقاتٍ وأزهار من شابّةٍ أمريكيّةٍ تبلغ من العمر الثالثة والعشرين اسمها ناتالي بارني التي عرّفت عن نفسها على أنّها المعجبة الشقراء في البوا دي بولون، وطلبت موعداً. قامت ليان بدعوة ناتالي للزيارة، لكنّها قرّرت القيام بمزحةٍ صغيرة بقصد التسليّة: كانت صديقةٌ لها ستأخذ مكانها، فتستلقي على سريرها في غرفة نومها المعتمة، بينما تكون ليان مختبئةً خلف ستارة. وصلت ناتالي في الساعة المحدّدة ارتدت ثياب وصيفةٍ فلورنسيّة وحملت باقةً من الأزهار. ركعت أمام السرير وبدأت بتمجيد المحظيّة وإطرائها، مشبّهةً إيّاها بلوحةٍ لفرا آنجيليكو. لم يمرّ

سوى وقتٍ قصيرٍ جدّاً قبل أن تسمع صوت ضحك أحدهم ـ فأدركت وهي تنهض المزحة التي طُبِّقَت عليها. احمرّت خجلاً وتوجّهت نحو الباب. وعندما هُرِعَت ليان من خلف الستارة (لتوقفها)، قامت ناتالي بتوبيخها: المحظيّة لديها وجه ملاك، ولكن من الواضح دون أن يكون لديها روحه. همست لها ليان بدافعٍ من الندم، «إرجعي في صباح الغد. سأكون لوحدي.»

الأزواج المرهفين من الإناث، وبعيداً عن المدن وجلبتها، سننسى كلّ شيءٍ ما عدا أخلاق الجمال.

ـ ناتالي بارني، رسالة إلى ليان دي بوجي، مقتبس في *وصف لمغوية: عالم ناتالي بارني* لجان شالون، ترجمة كارول باركو

أتت الأمريكيّة الشابة في صباح اليوم التالي وهي ترتدي نفس الثوب. كانت ظريفةً ومفعمةً بالحياة؛ استرخت ليان في حضرتها، ودعتها لكي تبقى أثناء طقس المحظيّة الصباحي ـ الماكياج المعقّد، الثياب، والمجوهرات التي ترتديها قبل أن تتوجّه إلى العالم الخارجي. نوّهت ناتالي بينما كانت تراقب بإجلال أنّها كانت تعبد الجمال، وأنّ ليان كانت أجمل امرأةٍ رأتها في حياتها على الإطلاق. لعبت ناتالي دور الوصيفة أو الخادمة، فتبعت ليان إلى العربة، فتحت لها الباب مع انحناءة، ورافقتها في نزهتها المعتادة عبر البوا دي بولون. ما إن أصبحوا داخل المنتزه حتّى ركعت ناتالي على الأرض، بحيث لا تلفت نظر المارّة الذين رفعوا قبّعاتهم تحيّةً لليان. تلت أشعاراً كانت قد كتبتها على شرف ليان، وأخبرت المحظيّة أنّها اعتبرت أنّ إنقاذها من المهنة الوسخة التي كانت قد انحطّت إليها بمثابة مهمّة أو رسالة لها.

ناتالي الرهيبة، التي اعتادت أن تنهب أرض الحبّ. ناتالي الهائلة، المهابة من قبل الأزواج نظراً لأنّ لا أحد يستطيع مقاومة إغوائيتها. وكان باستطاعة المرء أن يرى كيف أنّ النسوة كنّ يتخلّين عن أزواجهن وبيوتهن وأطفالهن ليلحقن بساحرة ليزبوس الإغريقيّة هذه. • فضّلت ناتالي كتابة الأشعار؛ علمت دائماً كيف تمزج ما بين الجسدي والروحاني.

ـ جان شالون، *وصفٌ لمغوية: عالم*

في تلك الأمسية أخذتها ناتالي إلى المسرح لترى سارة برنارد وهي تؤدّي دور هاملت. خلال الإستراحة، أخبرت ليان أنّها تتماهى مع هاملت ـ تعطّشه لما هو سام، كرهه للاستبداد ـ الذي كان بالنسبة لها استبداد الرجال بالنساء. خلال الأيّام القليلة التي تلت تلقّت ليان سيلاً متواصلاً من الأزهار من ناتالي، وبرقيّاتٍ تتضمّن أشعاراً كُتِبَت على شرفها. بالتدريج صارت الكلمات والنظرات التبجيليّة تتّخذ الطابع المادّي (الجسدي)، مع لمساتٍ عرضيّة، ومن ثمّ ربتة، وحتّى قبلة ـ قبلةٌ ولّدت إحساساً مختلفاً عن أيّة قبلةٍ كانت ليان قد خبرتها من قبل. ذات صباح، وبينما كانت ناتالي حاضرة لتقوم بالخدمة، استعدّت ليان لتأخذ حمّاماً. بينما كانت ليان تخلع قميص النوم، قامت ناتالي برمي نفسها عند قدمي صديقتها، وأخذت تقبّل كاحليها. حرّرت المحظيّة نفسها وأسرعت نحو حوض الاستحمام، فقط لتخلع ناتالي ثيابها وتنضم إليها. خلال بضعة أيّام، علمت كلّ باريس بأنّ

ليان دي بوجي حصلت على عاشقٍ جديد (أو بالأحرى عاشقة): ناتالي بارني.

لم تتجشّم ليان عناءً لتخفي أو لتتكتّم على العلاقة الجديدة؛ بل قامت بنشر قصّةٍ، *رومانس السحاق*، تحتوي على تفاصيل كلّ وجوه الإغواء لدى ناتالي (أي إغواء ناتالي لليان). لم تكن قد حظيت من قبل أبداً على علاقةٍ مع امرأة، ووصفت علاقتها بناتالي كشيءٍ أشبه بتجربةٍ غامضةٍ وذات معنى روحيّ غير بادٍ للحواسّ أو مدركٍ بالعقل. وحتّى في آخر حياتها الطويلة، فقد تذكّرت العلاقة على أنّها، وبما لا يُقاس، أكثر علاقاتها قوّة وعاطفيّةً.

رينيه ڤيڤيين كانت شابّةً إنكليزيّةً قدمت إلى باريس لتكتب الشعر وتهرب من الزواج الذي كان أبوها يحاول ترتيبه لها. كانت رينية تنتابها هواجس الموت؛ وكانت أيضاً تشعر أنّ هنالك خطأً ما فيها، فتختبر لحظاتٍ من الكره الشديد للذات. في عام 1900، التقت ناتالي برينية في المسرح. شيءٌ ما في العينين الأمريكيتين الطيّبتين أذاب تحفّظ رينية المعتاد، فبدأت بإرسال القصائد لناتالي التي ردّت بقصائد من تأليفها. سرعان ما أصبحتا صديقتين. اعترفت رينيه بأنّها كانت على علاقة صداقةٍ قويّةٍ جدّاً مع امرأة أخرى، لكنّها ظلّت علاقةً أفلاطونيّة (عذريّة) - كانت تنفر من فكرة العلاقة الجسديّة. أخبرتها ناتالي عن الشاعرة الإغريقيّة القديمة سافو التي مجّدت الحبّ ما بين النساء بوصفه الحب الوحيد المتّسم بالبراءة والنقاء. ذات ليلةٍ قامت رينية، بدافعٍ من مناقشاتهما، بدعوة ناتالي إلى شقّتها التي كانت قد حوّلتها إلى نوعٍ من المُصَلّى. الغرفة كانت مليئةً بالشموع وبالزنبق الأبيض، وهو الزهر الذي كانت تقرنه بناتالي. في تلك الليلة أصبحت المرأتان عشيقتين. وسكنتا مع بعضهما البعض بعد ذلك بفترة قصيرة، لكن عندما أدركت رينية أنّ ناتالي لا يسعها أن تكون مخلصةً لأحد، فقد تحوّل حبّها إلى كره. قطعت العلاقة، وتركت المسكن المشترك، وأخذت على نفسها عهداً بألاّ تراها مجدّداً.

قامت ناتالي في الأشهر القليلة التي تلت بإرسال رسائلٍ وأشعارٍ لها، وذهبت إلى منزلها الجديد - لكن كلّ ذلك لم يجدِ نفعاً. أرادت رينية ألاّ يجمعها أيّ شيء بها. ذات أمسيةٍ في الأوبرا، مع ذلك، جلست ناتالي

ناتالي بارني، ترجمة كارول باركو

فيما مضى كان يعيش في بلدة قفصة، في منطقة البرابرة، رجلٌ غنيٌ جدّاً لديه أولادٌ عديدون، من بينهم فتاةٌ محبّبة وجميلة تُدعى أليك. هي نفسها لم تكن مسيحيّةً، ولكن كان هنالك العديد من المسيحيين في البلدة، وذات يوم، بعد أن سمعتهم بالصدفة وهم يمجّدون العقيدة المسيحيّة وخدمة الله، سألت واحداً منهم عن رأيه في أفضل وأسهل طريقةٍ للشخص كي «يخدم بها الله،» على حدّ تعبيرهم. أجابها بقوله أنّ الذين يخدمون الله كأفضل ما يكون كانوا أولئك الذين يضعون أعظم مسافةٍ ما بينهم وبين المتع الدنيويّة، كما هو الحال عند الناس الذين يرحلون للسكن في الأجزاء النائية من الصحراء. • لم تقل أيّ شيءٍ ممّا سمعت لأيّ أحد، غير أنّها في الصباح التالي، كونها مخلوقٌ بسيط

بجانبها وأعطتها شعراً كانت قد كتبته على شرفها. عبّرت عن ندمها وأسفها عن الماضي، بالإضافة إلى طلبٍ صغير: على المرأتين أن تحجّا إلى جزيرة ليزبوس اليونانيّة، موطن سافو. هنالك فقط يمكنهما أن تطهّرا نفسيهما وعلاقتهما. لم تستطع رينية المقاومة. على الجزيرة قامتا بتتبّع خطوات الشاعرة، وتخيّلتا أنّهما قد رجعتا إلى الأيّام الوثنيّة والبريئة لبلاد الإغريق القديمة. بالنسبة لرينية فإنّ ناتالي كانت قد أصبحت سافو نفسها. عندما عادتا أخيراً إلى باريس، فإنّ رينية كتبت لها، «يا حوريّتي الشقراء، لا أريدك أن تصبحي مثل أولئك الذين يقطنون الأرض.... أريدك أن تبقي كما أنت، لأنّها هذه هي الطريقة التي قمت من خلالها بإلقاء رقيتك عليّ.» استمرّت العلاقة حتّى وفاة رينية في عام 1909.

التفسير. كانت ليان دي بوجي ورينية ڤيڤيين تعانيان على حدٍّ سواء من كبتٍ متشابه. كانتا مستغرقتين في ذاتيهما، ومفرطتي الإدراك لنفسيهما. مصدر هذه العادة في حالة ليان كان اهتمام الرجال الدائم بجسدها. لم تستطع أبداً الإفلات من نظراتهم التي سبّبت لها شعوراً بالغمّ. رينية، في تلك الأثناء، كانت تفكّر أكثر من اللزوم في مشاكلها الشخصيّة ـ كبتها لميلها للسحاق، وكونها فانية. شعرت بأنّها مستهلكة بكره الذات.

ناتالي بارني، من الجهة أخرى، كانت مرحة، خفيفة الظل، وذائبة في العالم الذي من حولها. إغواءاتها ـ تخطّى عددها في نهاية حياتها عتبة البضعة مئات ـ تمتّعت جميعها بخاصيّة متشابهة: أخذت الضحيّة إلى خارج نفسها، حيث وجّهت انتباهها إلى الجمال، الشعر، براءة الحب السافوي (نسبةً إلى سافو) أو السحاقي. دعت نساءها للمشاركة في نوعٍ من الطائفة الدينيّة التي يعبدون فيها هكذا أمورٍ سامية. لتعميق الشعور بوجود شيءٍ أشبه بالطائفة، قامت بإشراكهم ببعض الطقوسيّات الصغيرة: كنّ ينادين بعضهنّ البعض بأسماءٍ جديدة، ويتبادلن الأشعار يوميّاً من خلال البرقيّات، ويرتدين أزياء خاصّة، ويقمن بالحجّ إلى الأماكن المقدّسة. شيئان كانا سيحصلان حتماً: كانت النساء تبدأ بتوجيه بعض مشاعر التقديس التي يعشنها نحو

الفطرة للغاية يبلغ من العمر الرابعة عشر أو ما يقرب من ذلك، فقد انطلقت أليك في رحلتها لوحدها، في السر، ومضت في طريقها نحو الصحراء، في حين لم يكن يحثّها في سيرها هذا شيءٌ أكثر منطقيّةً من دافع مراهقةٍ قويّ. بعد عدّة أيام، بعد أن أعياها التعب والجوع، فقد وصلت إلى قلب القفر، حيث رأت كوخاً صغيراً يلوح في الأفق، فمشت نحوه باضطراب، وفي المدخل رأت رجلاً تقيّاً، والذي ذُهِل لرؤيتها في تلك الأرجاء فسألها ماذا كانت تفعل هناك. أخبرته بأنّها كانت ملهمةً من قبل الله، وأنّها لم تكن تحاول خدمته وحسب، بل وأن تجد شخصاً ما يمكنه أن يعلّمها كيف ينبغي لها أن تمضي في ذلك. • لدى ملاحظته كم أنّها كانت يافعةً وجميلةً فوق العادة، خاف الرجل الطيّب من أن يأخذها تحت جناحه خشية أن يغرّر

ناتالي، التي بدت نبيلةً وجميلةً بقدر نبل وجمال الأشياء التي كانت تنادي بأن تُوَقَّر وتُعبَد؛ وبعد أن ينحرفن بسرور ورضى إلى هذا العالم الروحاني، كنّ أيضاً يتخلّصن من أيّ همّ كنّ يشعرنه إزاء أجسادهنّ، أنفسهنّ، هويّاتهنّ. كان كبتهنّ لجنسانيّتهنّ يذوب بعيداً. في الوقت الذي تكون فيه ناتالي قد قبّلتهنّ أو لمستهنّ، فإنّ هذه القبلة أو اللمسة كانت تولّد الإحساس بأنّها شيءٌ بريءٌ ونقيّ، كما لو أنّهنّ كنّ قد عدن إلى جنّة عدنٍ قبل السقوط.

الدين هو بلسم الوجود الشافي، لأنّه يأخذنا إلى خارج أنفسنا، ويصلنا بشيءٍ أكبر. أثناء تأمّلنا في موضوع العبادة (الله، الطبيعة)، فإنّ أعباءنا تُرفَعُ عن كاهلنا. من الرائع الشعور بأنّنا ارتفعنا عن الأرض، وتجربة ذلك النوع من الخفّة. مهما كان العصر تقدّمياً، فإنّ العديد منّا يشعر بعدم الراحة إزاء أجسامهم، ودوافعهم الحيوانيّة. المغوي الذي يركّز كثيراً من الاهتمام (أكثر ممّا ينبغي) على الجانب الجسدي سوف يثير وعياً بالذات وهفواتها وشعوراً بأنّ الآخرين يلاحظون هذه الهفوات، وبقيّةً من شعورٍ بالقرف. لذا ركّز الاهتمام على شيءٍ آخر. إدعُ الشخص الآخر إلى تقديس شيءٍ جميلٍ في العالم. هذا الشيء يمكنه أن يكون الطبيعة، عملاً فنيّاً، الله حتّى (أو الآلهة ـ فالوثنيّة لا تبطل موضتها أبداً)؛ الناس يستقتلون للإيمان بشيء. أضف بعض الطقوسيّات. إذا استطعت أن تجعل نفسك تبدو مشابهاً للشيء الذي تقدّسه ـ أي إذا كنت طبيعيّاً، محبّاً للجمال، نبيلاً، وسامياً ـ فإنّ أهدافك سوف يحوّلون تقديسهم إليك. الدين والروحانيّة مليئان بالمسحات الجنسيّة الخفيّة التي يمكن إبرازها وإظهارها ما إن تجعل أهدافك تتخلّى عن إدراكها الذاتي. من النشوة الروحيّة إلى النشوة الجنسيّة لا يفصل سوى خطوة صغيرة.

إرجعي لتأخذيني، بسرعة، وقوديني بعيداً. طهّريني بنارٍ عظيمةٍ من الحب السماوي، الذي لا يمتّ بأيّ صلة للنوع الحيواني. أنت كلّك روح عندما ترغبين بأن تكوني كذلك، عندما تشعرين بهذا، خذيني بعيداً عن جسدي.

ـ ليان دي بوجي

به الشيطان. لذا فقد أثنى على نواياها الحسنة، وبعد أن أعطاها كميّةً من جذور الأعشاب والتفاح البرّي والبلح لتأكلها، وبعضاً من الماء لتشربه، قال لها: • «يا بنيّتي، في مكانٍ ليس بعيداً جدّاً من هنا يوجد رجلٌ تقيّ أقدر منّي بكثير على تعليمك ما تريدين أن تعلمي. إمضي لعنده.» وأرسلها في طريقها. • عندما وصلت لعند هذا الرجل الثاني، فقد أُخبِرَت بالضبط بنفس الشيء، وهكذا واصلت سيرها إلى أن وصلت إلى صومعة ناسكٍ شاب، ورع للغاية ولطيف اسمه رستيكو، توجّهت له بنفس السؤال الذي كانت قد خاطبت به الآخرين. كونه متلهّفٌ ليثبت لنفسه أنّه يمتلك إرادةً من حديد، فلم يرسلها بعيداً، على غرار الآخرين، أو يرشدها إلى مكانٍ آخر، وإنّما أبقاها في صومعته، في ركنٍ جهّزه، عندما هبط الليل، من سعف النخيل ليصبح

سريراً مؤقتاً، ودعاها لتستلقي عليه وترتاح.

• بمجرد قيامه بهذه الخطوة، فإنّه لم ينقضِ إلّا وقتٌ قليلٌ جدّاً قبل أن يشنّ الإغواء حرباً ضدّ قوّة إرادته، وبعد الغارات القليلة الأولى، وجد نفسه مهزوماً ضعيف المناورة على جميع الجبهات، لذا فقد أنزل يديه واستسلم. بعد أن رمى جانباً بالأفكار التقيّة والصلوات والممارسات التكفيريّة، أخذ يركّز قدراته العقليّة على صبا وجمال الفتاة، وعلى استنباط طرقٍ للاقتراب منها بأسلوب لا يجعلها تفكّر بأنّها بذاءةٌ منه أن يقوم بهذا النوع من الاقتراح الذي في ذهنه. من خلال توجيه أسئلةٍ محدّدةٍ لها، فإنّه سرعان ما اكتشف أنّها لم تكن مطلقاً في وضعٍ حميم مع شخصٍ من الجنسِ الآخر وكانت من جميع النواحي على قدر البراءة التي بدت عليها؛ ولذلك فقد فكّر في طريقةٍ ممكنةٍ لإقناعها بأن

المفاتيح للإغواء

الدين هو أكثر منظومةٍ إغوائيّةً كانت قد ابتدعتها البشريّة على الإطلاق. الموت هو أعظم مخاوفنا، والدين يمنحنا الوهم بأنّنا خالدون، بأنّ شيئاً منّا سيبقى حيّاً. الفكرة بأنّنا جزءٌ متناهٍ في الصغر في كونٍ شاسع وغير مكترث هي فكرة مرعبة؛ الدين يضفي بعداً إنسانيّاً على الكون، ويجعلنا نشعر بأنّنا مهمّون ومحبوبون. وأنّنا لسنا حيواناتٍ محكومةٌ بغرائز لا يمكن التحكّم بها، حيواناتٍ تموت بلا سببٍ ظاهر، وإنّما مخلوقاتٌ معمولةٌ على صورة كائنٍ أسمى. فنحن أيضاً يمكننا أن نكون سامين، عقلانيّين، وطيّبين. أيّ شيءٍ يغذّي رغبة أو وهمٌ مُتَمَنّى هو شيءٌ مغوٍ، ولا شيء يمكنه أن يضاهي الدين في هذا الميدان.

اللذة هي الطعم الذي تستخدمه لتستدرج الشخص إلى شبكتك. لكن مهما بلغ ذكاؤك كمغوٍ، فإنّ أهدافك يدركون في قرارة أنفسهم نهاية اللعبة؛ أي الخاتمة الجسديّة (الجماع) التي تتوجّه إليها. قد تظنّ أنّ هدفك غير مكبوت ومتعطّشٌ للذة، لكن جميعنا تقريباً نعاني من عدم الراحة وارتباكٍ كامنين إزاء طبيعتنا الحيوانيّة. ما لم تتعامل مع عدم الراحة هذه فإنّ إغواءك حتّى لو كان ناجحاً في المدى القصير، إلّا أنّه سيكون سطحيّاً ومؤقّتاً. بدلاً من ذلك، حاول وعلى غرار ناتالي بارني أن تأسر روح هدفك، وأن تبني أساس إغواءٍ عميقٍ ومستمرّ. استدرج الضحيّة إلى قلب شبكتك بواسطة الروحانيّة، جاعلاً اللذة الجسديّة تبدو ساميةً وكائنةً فوق الوجود المادّي. الروحانيّة سوف تخفي تلاعباتك، إذ أنّها توحي بأنّ العلاقة معك سرمديّة، وتخلق مساحةً للنشوة في عقل الضحيّة. تذكّر أنّ الإغواء هو عمليّةٌ ذهنيّة، ولا شيء يُسكِر ذهنيّاً أكثر من الدين، الروحانيّة، والمسائل المكتَنَفة بالأسرار (كالسحر والتنجيم).

في رواية غوستاف فلوبير *مدام بوفاري*، يقوم رودولف بولانجر بزيارة الطبيب الريفيّ بوفاري ويجد نفسه مهتمّاً بزوجة الطبيب الجميلة، إيما. بولانجر كان قاسياً ومحنّكاً. كان أشبه بخبير: فقد كان هنالك العديد من النساء في حياته. يحسّ بأنّ إيما ضجرة. يتدبّر بعد ذلك بعدّة أسابيع أن

يلتقي بها *بالصدفة* في سوقٍ موسميّة للمزارعين، حيث يستفرد بها. يصطنع سيماءً من الحزن والكآبة ويقول: «كثيرةٌ هي المرّات التي أمرّ فيها بمقبرةٍ تحت ضوء القمر وأسأل نفسي إذا ما كنت أفضل حالاً لو كنت موضوعاً بين البقيّة....» يذكر سمعته السيّئة؛ هو يستحقّها، هكذا يقول، لكن هل هذا خطأه؟ «هل أنت حقّاً لا تعرفين أنّ هنالك أرواحاً في حالة عذاب لا ينقطع؟» أخذ يد إيما عدّة مرّات لكنّها سحبتها بتهذيب. تحدّث عن الحبّ، عن القوّة المغناطيسيّة التي تجمع شخصين مع بعضهما البعض. ربّما هذا الانجذاب لديه جذورٌ في وجودٍ سابق ما، في تجسّدٍ سابقٍ لروحيهما. «خذينا نحن على سبيل المثال. لماذا كان علينا أن نلتقي؟ كيف حدث ذلك؟ لا يمكن أن يكون سوى أنّ شيئاً ما في أهوائنا بالتحديد جعلنا ندنو من بعض أكثر فأكثر عبر المسافة التي تفصلنا، بنفس الطريقة التي يتدفّق بها نهران مع بعضهما البعض.» أخذ يدها ثانيةً وفي هذه المرّة تركته يمسك بها. تجنّبها لعدّة أسابيع بعد السوق الموسميّة، ومن ثمّ ظهر فجأةً، زاعماً أنّه حاول أن يبقى بعيداً لكنّ القضاء والقدر قد أرجعاه إليها. أخذ إيما في نزهاتٍ على ظهر الخيل. عندما قام بخطوته أخيراً، في الغابة، بدت مذعورةً ورفضت محاولاته (للتقرّب). احتجّ بقوله: «لا بدّ أنّك تحملين فكرةً خاطئةً ما، إنّ موطئك في قلبي كموطئ العذراء على منصّة.... أتضرّع إليك: كوني صديقتي، أختي، ملاكي!» تركته، وهي تحت سحر كلماته، يتوغّل بها إلى مكانٍ أعمق في الغابة، حيث استسلمت.

استراتيجيّة رودولف كانت ثلاثيّة الوجوه. أوّلاً تحدّث عن الحزن، السوداويّة، عدم الرضى، وهو حديثٌ يجعله يبدو أنبل من الناس الآخرين، كما لو أنّ الغايات المادّيّة الشائعة لا يمكن أن ترضيه. لاحقاً تحدّث عن القدر، عن التجاذب المغناطيسي ما بين روحين، هذا جعل اهتمامه بإيما يبدو شيئاً سرمديّاً وخالداً أكثر منه نزوةً لحظيّة، شيئاً مرتبطاً بحركة النجوم. في آخر الأمر تحدّث عن الملائكة، وعن الأشياء السامية والرفيعة. من خلال وضع كلّ شيءٍ على المستوى الروحي، فقد شتّت انتباه إيما عمّا هو مادّي، وجعلها تشعر بالدوار، وأتمّ إغواءً كان يمكن أن يأخذ شهوراً في بضعة لقاءات.

الأمور التي يشير إليها رودولف قد تبدو مُبتَذلةً بمقاييس اليوم، لكن

تلبي رغباته تحت ستار أو ذريعة خدمة الله. بدأ بإلقاء خطبةٍ طويلة أظهر لها فيها كم أنّ الشيطان هو عدوّ لدود لله القدير، وأتبع هذا بأن طبع في ذهنها أنّه من بين جميع الطرق لخدمة الله، فإنّ أكثر طريقةٍ يرضى عنها الله تكمن في إرجاع الشيطان إلى جهنّم، التي كان القدير قد أودعه بها منذ البداية. • سألته الفتاة كيف يتم فعل هذا، فأجاب رستيكو: • «ستكتشفين عمّا قريب، لكن فقط إفعلي كل ما تريني أقوم به في الوقت الحاضر.» ولدى قوله هذا، بدأ بتجريد نفسه من الثياب القليلة التي كان يرتدي، تاركاً نفسه عارياً بالكامل. حذت الفتاة حذوه، وجثا على ركبتيه وكأنّه كان على وشك الصلاة، حاملاً إياها على الركوع قبالته تماماً. • في هذه الوضعية، كان جمال الفتاة معروضاً لرستيكو بكامل بهائه، فتأجّجت

الاستراتيجيةّ نفسها لن تبلى أو تصبح عتيقةً أبداً. ببساطة كيّفها مع آخر بدع العصر من غامض الأمور ومُكتَنَفها بالأسرار. تكلّف مظهراً روحانياً من خلال إظهار عدم الرضى إزاء الأمور المبتذلة للحياة. ليس المال أو الجنس أو النجاح هو ما يحرّكك؛ دوافعك ليست أبداً بهذا الانحطاط والدناءة. كلاّ، شيءٌ أعمق بكثير يدفعك. أبقِ دافعك غامضاً، أيّاً يكن، كي تترك الهدف يتخيّل أعماقك المخبأة. النجوم، التنجيم، القدر، دائماً جذّابة وفاتنة؛ إخلق الإحساس بأنّ القدر قد جمع ما بينك وبين هدفك. ذلك سيجعل إغواءك يبدو أكثر طبيعيةً. في عالمِ الكثير منه مُصَنّع ومضبوط (تحت السيطرة)، فإنّ الإحساس بأنّ القدر، الضرورة، أو قوّةٌ ما سامية توجّه علاقتك هو شيءٌ مغوٍ بشكلٍ مضاعف. إذا أردت أن تُفرِغ مواضيع دينيّة في إغوائك (تُطَعّم إغواءك بهذه المواضيع)، فمن الأفضل دائماً أن تختار ديناً بعيداً غريباً ذا طابعٍ طفيفٍ من الوثنيّة. من السهل الانتقال من الروحانيّة الوثنيّة إلى الفظاظة (الماديّة) الأرضيّة. التوقيت مهمّ: ما إن تكون قد أثرت أرواح أهدافك، فإنّه يجب عليك أن تتقدّم بسرعة إلى الجانب الجسدي، فتجعل الجنس يبدو مجرّد امتدادٍ للنبضات الروحيّة التي تختبرها. بكلمةٍ أخرى، وظّف الاستراتيجيّة الروحيّة بحيث تكون أقرب ما يمكن من الوقت الذي ستقوم فيه بخطوتك الجريئة (الجسورة.)

الأمور الروحيّة لا تنحصر بالدين أو المسائل الغامضة كالسحر والتنجيم. بل هي أيّ شيءٍ من شأنه أن يضفي خاصّيةً من السموّ والخلود على إغوائك. في عالمنا اليوم فإنّ الثقافة والفنّ قامتا بطريقةٍ أو بأخرى بأخذ مكان الدين. هنالك طريقتان لاستخدام الفنّ في إغوائك: أوّلاً، إخلقه بنفسك، إكراماً للهدف. كتبت ناتالي بارني القصائد، وأمطرت أهدافها بها. نصف جاذبيّة بيكاسو للعديد من النساء كانت الأمل بأنّه سوف يخلّدهنّ في لوحاته ـ لأنّ *(الفنّ طويل البقاء، الحياة قصيرة)*، كما كانوا يقولون في روما. حتّى لو كان حبّك عبارة عن هوى عابر، فإنّ تصويره في عملٍ فنّي يمنحه الوهم الإغوائي الخاصّ بالخلود. الطريقة الثانية لاستخدام الفنّ هي أن تجعله يضفي على العلاقة أبعاداً نبيلة، فتمنح إغواءك إطاراً سامياً.

أتواقه بشكلٍ أكثر ضراوةً من أيّ وقتٍ مضى، فانبعث الجسد. حدّقت أليك بذهول وقالت: • «رستيكو، ما ذلك الذي أراه وقد نتأ من أمامك، والذي لا أملك مثله؟» • «آه يا بنيّتي،» قال رستيكو، «هذا هو الشيطان الذي كنت أخبرك عنه. هل ترين ما يفعل؟ إنّه يؤذيني كثيراً لدرجة أنّني بالكاد أستطيع تحمّله.» • «آه، حمداً لله،» قالت الفتاة، «أستطيع أن أرى أنّني أفضل حالاً منك، لأنه ليس عندي شيطان لأتنافس معه.» • «أنت محقّةٌ في هذه النقطة؛» قال رستيكو. «لكن لديك شيءٌ آخر بدلاً من ذلك، والذي ليس لديّ إيّاه.» • «آه؟» قالت أليك. «وما هذا؟» • «أنت لديك الجحيم،» قال رستيكو. «وأنا أعتقد بصدقٍ أنّ الله قد أرسلك إلى هنا لأجل خلاص روحي، لأنه إذا استمر هذا الشيطان بتعذيب حياتي، وإذا كنت

كانت ناتالي بارني تأخذ أهدافها إلى المسرح، الأوبرا، المتاحف، وإلى الأماكن التي تعبق بالتاريخ والأجواء المثيرة. في هذه الأماكن تستطيع روحاكما أن تهتزّا (تنبضا) بنفس طول الموجة الروحيّة. بالطبع عليك أن تتجنّب الأعمال الفنيّة التي تتّسم بالفظاظة والسوقيّة، فتسترعي الانتباه إلى نواياك. المسرحيّة، الفيلم، أو الكتاب يمكنه أن يكون معاصراً، أو حتّى فجّاً بعض الشيء، ما دام يحمل رسالةً نبيلة ومرتبطاً بقضيّة عادلة. حتّى حركةٌ سياسيّةٌ يمكنها أن تستنهض روحيّاً. تذكّر أن تصمّم إغراءاتك الروحيّة على قياس هدفك. إذا كان الهدف عمليّاً وساخراً من حقيقة الدوافع الإنسانيّة، فإنّ الوثنيّة أو الفنّ سيكونان أكثر نجاعةً من الأمور الممتنعة عن الفهم والورع الديني.

أُجِلّ المتصوّف الروسي راسبوتين لقداسته وقدراته على الإشفاء. النساء بالتحديد افتُتِنّ براسبوتين وكنّ يزرنه في شقّته في مدينة سان بطرسبرغ من أجل الإرشاد الروحي. كان يحدّثهنّ عن طيبة الفلاّحين الروس البسيطة، مغفرة الله، ومسائل أخرى رفيعة المستوى. لكنّه بعد عدّة دقائق من هذا، كان يُلقي بتعليقٍ أو اثنين من طبيعةٍ مختلفةٍ جدّاً - شيءٌ عن جمال المرأة، عن شفتيها اللتين كانت تدعوان الرائي لتقبيلهما، عن الرغبات التي كانت تلهبها بالرجل. كان يتكلّم عن أنواعٍ مختلفةٍ من الحبّ - حبّ الله، الحب ما بين الأصدقاء، الحبّ ما بين الرجل والمرأة - لكنّه كان يخلط جميع هذه الأنواع كما لو كانت شيئاً واحداً. بعدئذٍ أي عند عودته لمناقشة المسائل الدينيّة، كان يأخذ يد المرأة فجأةً، أو يهمس في أذنها. كلّ هذا كان لديه أثرٌ مُسكِر - كانت النساء يجدن أنفسهنّ وقد جُرِرن إلى نوعٍ من الاضطراب العظيم الذي يجمع ما بين الارتقاء الروحي والإثارة الجنسيّة. استسلمت المئات من النساء خلال هذه الزيارات الروحيّة، لأنّه أيضاً كان يقول لهن أنّهن لا يستطعن أن يتبن ما لم يأثمن، ومن أفضل من راسبوتين للإثم معه.

فهم راسبوتين الصلة الحميمة بين ما هو جنسي وما هو روحاني. الروحانيّة، أو حبّ الله، هي نسخة مصقولة ومُهذّبة من الحبّ الجنسي. لغة المتصوّفين الدينيّين في العصور الوسطى ملأى بالصور الجنسيّة؛ التأمّل بالله

مستعدّةً لأن ترأفي بي بما فيه الكفاية فتدعيني أرجعه إلى الجحيم، فستكونين قد أعطيتني فرجاً رائعاً، وكذلك تقدّمين خدمةً لا تقدّر بثمن وإرضاءً لله، الذي تقولين أنّك جئت إلى هنا من أجله في المقام الأول.» • «آه، يا أبي،» ردّت الفتاة بكلّ براءة، «إذا كان لديّ الجحيم حقّاً، فدعنا نفعل كما اقترحت بمجرد ما تكون جاهزاً.» • «فليباركك الله، يا بنيتي،» قال رستيكو. «دعينا نمضي ونرجعه إلى مكانه، وعندها ربّما سيتركني وشأني.» في تلك المرحلة فإنّه أخذ الفتاة إلى أحد السريرين، حيث أرشدها في فنّ حصر ذلك الشيطان الملعون. • كونها لم تكن قد وضعت من قبل أبداً ولا شيطان في الجحيم، فإنّ الفتاة وجدت التجربة الأولى مؤلمةً قليلاً، فقالت لرستيكو: • «لا بدّ أنّ هذا الشيطان من صنفٍ سيّء، يا أبي، وعدوّ

وبما هو سامٍ وجليل يمكنه أن يقدّم نوعاً من الأورجازم (هزّة الجماع) الذهني. لا يوجد خليطٌ أكثر إغوائيّةً من اتّحاد ما هو روحاني مع ما هو جنسي، الرفيع والواطئ. عندما تتكلّم عن المسائل الروحيّة، عندئذٍ، دع نظراتك وحضورك الجسماني في نفس الوقت تشير من طرفٍ خفي إلى الجنس. إجعل تناغم الكون والاتّحاد مع الله يبدوان من الصعب تفريقهما عن الانسجام الجسدي والاتّحاد ما بين شخصين أو يُخلَطُ ما بينهما وبين هذين الأخيرين. إذا استطعت أن تجعل خاتمة لعبتك الإغوائيّة تبدو كتجربةٍ روحيّة، فإنّك سوف تعمّق اللذة الجسديّة وتخلق إغواءً ذا أثرٍ عميقٍ ومستديم.

الرمز: النجوم في السماء. هي موضع العبادة لقرون، ورموز لما هو سام ومقدّس. بتأمّلنا فيها، فإنّ انتباهنا ينصرف لحظيّاً عن كلّ ما هو أرضيّ وفانٍ. فنشعر بخفّة الوزن. إرفع أذهان أهدافك إلى النجوم ولن يلاحظوا ماذا يجري هنا على الأرض.

حقيقيّ لله، لأنه بالإضافة إلى تعذيب البشريّة، فإنّه يؤلم الجحيم عندما يُقاد مجدّداً إلى داخله.» • «بتيتي،» قال رستيكو، «لن يكون الأمر دائماً على هذه الحال.» ومن أجل أن يضمنوا ذلك، فقد وضعوه مجدّداً عدّة مرّات قبل أن يغادروا السرير، كابحين بذلك غروره إلى حدّ كبير حيث أنّه كان سعيداً بشكلٍ إيجابيّ ليبقى منخفضاً لبقيّة النهار. • خلال الأيام القليلة التي تلت، على أيّة حال، فإنّ كبرياء الشيطان أطلّ برأسه من جديد بشكلٍ متكرر، والفتاة، التي كانت جاهزةً أبداً لتلبي نداء الواجب وتضعه تحت السيطرة، حدث وأنّها تمّت ذائقةً للرياضة، وصارت تقول لرستيكو: • «يسعني بالتأكيد أن أرى ما عنوه أولئك الرجال الفاضلون في قفصة عندما قالوا أنّ خدمة الله هي شيءٌ سائغٌ للغاية. أنا صدقاً لا أذكر بأنّني في كلّ حياتي قد فعلت شيئاً

الانقلاب

تركُ أهدافك تشعر بأنّ عاطفتك ليست مؤقّتةً ولا سطحيّةً غالباً ما ستجعلهم يقعون بشكلٍ أعمق تحت سحرك وسلطانك. على الرّغم من ذلك فإنّ هذا الشيء يمكنه أن يوقظ القلق والحصر لدى البعض: الخوف من الإلتزام، ومن علاقةٍ مُقَيِّدةٍ دون مخارج وتثير رهاب الاحتجاز. فإيّاك إذن وأن تدع إغراءاتك الروحيّة تبدو أنّها تقود في ذلك الاتّجاه. تركيز الاهتمام على المستقبل البعيد قد يقيّد حريّتهم ضمناً؛ فأنت عليك أن تغويهم، وليس أن تعرض عليهم الزواج. ما تريده وتحتاج إليه هو أن تجعلهم يفقدون ويضيّعون أنفسهم في اللحظة، ويختبرون العمق السرمديّ لمشاعرك في خضمّ التوتّر الحالي. النشوة الدينيّة هي أمرٌ يتعلّق بالكثافة والشدّة، وليس بالامتداد الزمني.

استخدم جيوڤاني كازانوڤا العديد من المغريات الروحيّة في إغواءاته ـ مسائل السحر والتنجيم، وأيّ شيءٍ قد يثير أو يحيي مشاعر نبيلة. في الوقت الذي كان فيه مرتبطاً مع امرأة، فإنّها كانت تشعر أنّه على استعدادٍ لفعل أيّ شيءٍ من أجلها، وأنّه لم يكن فقط يستخدمها ليتخلّى عنها. لكنّها علمت أيضاً أنّه عندما كان يحين الوقت لإنهاء العلاقة، فإنّه كان يبكي، ويقدّم لها هديّةً رائعة، ثمّ يغادر بصمت. هذا كان بالضبط ما أرادته العديد من النساء الشابّات ـ تحوّلٌ ولهوٌ مؤقّتٌ عن زواج أو أسرة مستبدّة وثقيلة الوطأة. في بعض الأحيان أفضل ما تكون اللذة عندما نعرف أنّها عابرة وسريعة الزوال.

أعطاني متعةً كبيرةً ورضىً كالذي أحصل عليه من إرجاع الشيطان إلى الجحيم. بالنسبة إلى طريقة تفكيري، فإنّ أيّ شخص يكرّس طاقاته لأيّ شيءٍ غير خدمة الله هو أبلَه بالكامل.» • ... وهكذا يا سيّداتي الشابّات، إذا كنتم بحاجةٍ لنعمة الله، فاحرصن على تعلّم إرجاع الشيطان إلى الجحيم، لأنّ هذا يروق له إلى حدٍّ كبير وممتع بالنسبة إلى الأطراف المعنيّة، والشيء الكثير من الخير يمكن أن يبزغ ويتدفّق أثناء العمليّة.

ـ جيوڤاني بوكاتشيو، *عمل العشرة أيّام*، ترجمة جاي. إتش ماك ويليام

20

امزج المتعة بالألم

الخطأ الأكبر في الإغواء هو أن تكون ألطف من اللازم. في البداية، قد يكون، لطفك ساحراً، لكنّه سرعان ما يصبح رتيباً ومُملاًّ؛ فأنت تحاول جاهداً أن تُرضي وتبدو غير آمنٍ وغير واثقٍ بنفسك. بدلاً من إغراق أهدافك باللطافة، حاول أن تُنزِل بهم بعض الألم. استدرجهم من خلال الاهتمام المركّز، بعدئذٍ غيّر الاتّجاه بحيث تبدو بشكلٍ مفاجئ على أنّك غير مهتمّ. أشعرهم بالذنب وعدم الأمان. بل وأَحدث قطيعة حتى، بحيث تُخضعهم للفراغ والألم اللذين سوف يمنحانك المجال للمناورة ـ والآن فإنّ إعادة إقامة العلاقات الودّية، اعتذاراً، عودةً إلى لطفك السابق سَتُحيلهم ضعافاً وجاثين على ركبهم. فكلّما ازدادت الانخفاضات التي تخلقها انخفاضاً، ازدادت الارتفاعات ارتفاعاً. إخلق إثارة الخوف، لكي تضاعف الشحنة الشهوانية.

الأفعوانيّة العاطفيّة

ذات أمسيةٍ صيفيّةٍ حارّةٍ من عام 1894، قرّر الدون ماتيو دياز، البالغ الثامنة والثلاثين من العمر والمقيم في سيڤيل، أن يزور معملاً محليّاً للتبغ. سُمِح له بالتجوّل بالمكان بسبب علاقاته، لكنّ اهتمامه لم يكن منصبّاً في جانب العمل. كان دون ماتيو يحبّ الفتيات اليافعات، وكانت المئات منهنّ تعمل في المعمل. تماماً مثلما توقّع، فقد كان العديد منهنّ في حالة شبه عريّ بسبب الحرّ ـ لقد كان مشهداً لافتاً بحقّ. استمتع بالمنظر لبرهة، لكنّه سرعان ما نال نصيبه من الإزعاج الناجم عن الضجّة والحرارة. إلّا أنّه بينما كان يتوجّه إلى الباب، نادته عاملةٌ لا يتجاوز عمرها السادسة عشرة: «يا أيّها *الكاباليرو* (السيّد بالإسبانيّة)، إذا أعطيتني بنساً فسوف أغنّي لك أغنيةً صغيرة.»

بقدر ما يرضي الشخص بشكلٍ عامّ، بقدر ما يكون إرضاؤه أقلّ عمقاً.

ـ ستندال، *الحبّ*، ترجمة جيلبرت وسوزان سايل

اسم الفتاة كان كونشيتا بيريز، وكانت تبدو يافعةً وبريئة، بل وجميلةً في الواقع، وفي عينيها بريقٌ يوحي بميلٍ للمغامرة. الفريسة المثاليّة. استمع لأغنيتها (التي بدت موحيةً بمعانٍ جنسيّة على نحوٍ غامض)، ورمى لها بقطعةٍ نقديّةٍ كانت تعادل راتب شهر، رفع قبّعته (مودّعاً)، ثمّ انصرف. ليس من الجيّد أبداً أن يُقبِل المرء بقوّةٍ زائدة قبل الأوان. بينما كان يمشي بمحاذاة الشارع، أخذ يخطّط للكيفيّة التي سيستدرجها بها إلى العلاقة. فجأةً شعر بيدٍ تمسّ ذراعه فالتفت ليراها تمشي بجانبه. لقد كان الجوّ حارّاً لدرجةٍ لا يمكن معها العمل ـ فهلاّ تفضّل بوصفه جنتلماناً بمرافقتها إلى المنزل؟ بالطبع. هل لديك حبيب؟ سألها. فكان الجواب كلاّ، إذ قالت، «أنا موزيتا» ـ نقيّة وعذراء.

عليك أن توشّحي مرحك المبتهج / بصدّ عرضتي. أغلقي الباب في وجهه، دعيه ينتظر هناك / لاعناً ذلك الباب الأماميّ الموصَد، دعيه يتوسّل / ويطلق كلّ التوعّدات التي في باله. الحلاوة تتخم حاسّة الذوق،

كانت كونشيتا تعيش مع أمّها في مكانٍ خَرِبٍ (رديء) من البلدة.

تبادل دون ماتيو المجاملات، ودسّ بيد الأم بعض المال (إذ كان يعرف من الممارسة والخبرة مدى أهميّة إبقاء الأم سعيدة)، ثمّ غادر. فكّر مليّاً في أن ينتظر لبضعة أيّام، لكنّه كان غير صبور، فعاد في صبيحةً اليوم التالي. الأم كانت خارج المنزل. استأنف وكونشيتا مزاحهما المرح من اليوم السابق، وفجأةً جلست في حضنه وأحاطته بذراعيها وقبّلته، الأمر الذي فاجأه. فطارت استراتيجيّته من النافذة (تلاشت)، وأمسك بها وردّ لها القبلة. قفزت على الفور، والغضب يلتمع في عينيها وهي تقول: أنت تعبث بي وتستخدمني لكي تحصل على رعشةٍ سريعة وزائلة. أنكر دون ماتيو أن يكون له أيّة نوايا كهذه، واعتذر عن شططه. شعر بالاضطراب والتشوّش عندما غادر: فقد كانت هي من بدأ الأمر برمّته؛ فلماذا عليه أن يشعر بالذنب؟ ومع ذلك فقد شعر بالذنب. في بعض الأحيان لا يمكن التنبّؤ أبداً بتصرّفات وردود أفعال الفتيات اليافعات؛ لذا فمن الأفضل الدخول إلى حياتهنّ ببطء وحذر.

خلال الأيّام القليلة التي تلت كان دون جوان مثال الرجل اللبق والراقي. زارها بشكلٍ يوميّ، وأمطر الأمّ والبنت بالهدايا، ولم يقم بأيّ تقرّبٍ جنسيّ ـ أقلّه في البداية. الفتاة اللعينة كانت قد ألفته جدّاً لدرجة أنّها صارت ترتدي ثيابها أمامه، أو تستقبله وهي في ثياب النوم. هذه اللمحات الخاطفة من جسدها جعلته يفقد صوابه، وكان يحاول في بعض الأحيان أن يسرق قبلةً أو لمسة، فقط لتدفعه عنها وتعنّفه. مرّت الأسابيع؛ وكان من الواضح أنّه برهن أنّ حبّه لم يكن نزوةً عابرة. بعد أن تعب من عمليّة التودّد والمغازلة التي لم تَلُح لها نهاية، قام ذات يوم بأخذ أمّها جانباً واقترح أن يُسكن الفتاة في منزلٍ خاصٍّ بها. كان سيعاملها كملكة؛ وستحصل على كلّ ما تريد. (لذا، بالطبع، وأمّها كذلك.) بالتأكيد كان اقتراحه سيرضي كلتيهما ـ لكن في اليوم التالي، أتته مذكّرةٌ من كونشيتا، تُعرِب فيها ليس عن الامتنان وإنّما عن الاتّهام: بأنّه كان يحاول أن يشتري حبّها. «لن تراني أبداً بعد الآن. هُرِعَ لمنزلها ليكتشف فقط أنّ المرأتين كانتا قد غادرتا في نفس ذلك الصباح بالتحديد، دون أن يتركن ملاحظةً تفيد إلى أين كانتا ذاهبتين.

شعر دون ماتيو بشعورٍ مريع. أجل، لقد تصرّف كشخصٍ فظٍّ وجلف. في المرّة القادمة كان سينتظر لأشهر، أو سنوات إذا لزم الأمر، قبل

/ أمّا العصير المرّ فينعش. غالباً ما تُغرِق الرياح المواتية / المركب الشراعي الصغير: إنّ قدرة الأزواج على الوصول إليهنّ، / عند الطلب، هي ما يحرم العديد من النساء من الحبّ. / دعها تضع أمام الباب بوّاباً ذا وجهٍ كالح ليقول له / «إبقَ خارجاً،» وسرعان ما ستمسّه الرغبة / من خلال الإحباط. ضع جانباً سيوفك الكليلة، وقاتل بالأسلحة الماضية، (لا أشكّ أنّ رماحي الخاصّة / ستُدار في وجهي). عندما يتعثّر مغرمٌ حديث العهد / بالشرك، فدعيه يعتقد / بأنّه الوحيد الذي لديه الحقّ في فراشك ـ لكن لاحقاً، إجعليه مدركاً / لمنافسيه الذين يشاركوه مسرّاته. تجاهلي / هذه النصائح ـ وستضعف حماسته. حصان السباق

أن يكون بهذه الجرأة. إلّا أنّه سرعان ما انتابته فكرةٌ أخرى: لن يرى كونشيتا ثانيةً ما حيي. عندئذٍ فقط أدرك كم كان يحبّها.

مرّ الشتاء، الأسوأ في حياة ماتيو. ذات يومٍ ربيعيّ كان يمشي نزولاً في شارعٍ عندما سمع أحدهم ينادي اسمه. رفع ناظريه: لقد كانت كونشيتا تقف وراء نافذةٍ مفتوحة، وهي تشعّ بالابتسام والشوق. انحنت إلى الأسفل (باتجاهه) فقبّل يدها، وهو يتقافز فرحاً. لماذا اختفت على هذا النحو المفاجئ جدّاً؟ فأجابت بأنّ كلّ شيءٍ كان يسير بسرعةٍ فائقةٍ جدّاً. لقد كانت خائفةً ـ من نواياه، ومن مشاعرها الخاصّة. لكن برؤيته من جديد، تأكّدت من أنّها تحبّه. نعم، لقد كانت مستعدّةً لتكون خليلته. وستثبت هذا، إذ ستذهب لعنده. بعدهما عن بعضهما البعض كان قد غيّر كلاًّ منهما، أو هكذا اعتقد.

بعد ذلك بعدّة ليالي، قدمت إلى منزله مثلما وعدت. تبادلا القبل وبدآ بنزع ثيابهما. أراد أن يستمتع بكلّ دقيقة، أن يسير (بالعمليّة) ببطء، لكنّه شعر كثورٍ حبيسٍ في قفص وقد أُطلِق سراحه أخيراً. لحق بها إلى السرير وهو لا يستطيع أن يرفع يديه عنها. بدأ بنزع ثوبها الداخلي لكنّه كان مشدوداً ومربوطاً بطريقةٍ ما معقّدة. في آخر الأمر كان عليه أن يجلس ويلقي نظرة: لقد كانت ترتدي بدعةً غريبةً معقّدةً من قماش القنّب (حزام عفّة)، من نوعٍ لم يكن قد رآه من قبل أبداً. لم يكن ليتزحزح من مكانه مهما شدّ وسحب بقوّة. شعر برغبةٍ بضرب كونشيتا، وكان غايةً في الاهتياج والانزعاج، لكنّه بدلاً من أن يضربها طفق باكياً. فسّرت: أرادت أن تفعل كلّ شيءٍ معه، ومع ذلك أن تبقى *موزيتا*. هذا كان حمايتها. شعر بالسخط والغضب، فأرسلها إلى منزلها.

خلال الأسابيع القليلة التي تلت، بدأ دون ماتيو بإعادة النظر في رأيه (تقييمه) بكونشيتا. رآها وهي تغازل رجالاً آخرين، وترقص رقصة الفلامينكو في بار بطريقةٍ تنضح بالجنس: لم تكن *موزيتا*، هذا ما توصّل إليه، وأنّها كانت تتلاعب به من أجل المال. ومع ذلك فلم يكن باستطاعته أن يتركها. أن يأخذ رجلٌ آخر مكانه ـ كانت فكرةً لا تُحتَمَل. كانت تدعوه لقضاء الليلة في سريرها، ما دام يعد بأن لا يفرض نفسه عليها؛ وعندها، كما لو أنّها تريد أن تعذّبه بشكلٍ غير معقول، كانت تستلقي على سريرها وهي

يركض بأعلى سرعة / عندما يتوجب عليه أن يسبق الأحصنة ويجتاز الميدان. وهكذا فإنّ جذوات الهوى يمكن أن تتقد / بلهبٍ جديد من خلال استفزازٍ ما ـ أنا أعترف بأنّي لا أستطيع أن أحبّ / نفسي إلّا عندما تتعرّض للظلم. لكن لا تدعي سبب / الألم يكون واضحاً أكثر من اللزوم: دعي العاشق يشتبه / أكثر ممّا يتيقّن. اخترعي عبداً يراقب كلّ / حركاتك، أوضحي كم أنّ رجلك عبارةٌ عن ضابطٍ صارمٍ غيور ـ أشياءٌ كهذه سوف تشوّقه. المتعة / التي يُستَمتع بها بشكلٍ آمنٍ أكثر من اللزوم تفتقد إلى النكهة. هل تريدين أن تكوني حرّة / كمحظيّةٍ إغريقيّة؟ إذن تظاهري بالخوف. حتّى لو كان الباب آمناً تماماً، فدعيه يدخل / من

عارية (من المفترض بسبب الحر). تحمّل كلّ هذا بدعوى أنّه لم يحظ رجلٌ آخر بهذه الامتيازات. لكنّه انفجر غضباً ذات ليلة بعد أن دُفِع إلى أقصى حدود الإحباط، فأصدر إنذاراً: إمّا تعطيني ما أريد وإلاّ فلن تريني ثانيةً. فجأةً بدأت كونشيتا بالبكاء. لم يكن أبداً قد رآها وهي تبكي، فتحرّكت مشاعره. هي أيضاً كان قد تعبت من كلّ هذا وقالت بصوتٍ متهدّج؛ إنّه إن لم يكن الأوان قد فات، فإنّها كانت جاهزةً لتقبل بالعرض الذي كانت قد رفضته ذات يوم. فليسكنها في بيت، وليرَ كم ستكون عشيقةً مخلصة.

النافذة. تظاهري بأنّك متوتّرة. دعي خادمةً / ذكية تهرع صارخةً «لقد ضُبِطنا!» بينما تُوارين الفتى / المرتعد بعيداً عن الأنظار. لكن احرصي على / أن توازني رعبه ببعض اللحظات من المتعة الخالية من الهموم ـ / وإلاّ فسيعتقد بأنّ ليلةً معك لا تستحقّ المجازفة.

ـ أوفيد، فن الحب، ترجمة بيتر غرين

لم يُضِع ماتيو وقتاً. اشترى لها ڤيلاً، وأعطاها الكثير من المال لتزيّنها. بعد ثمانية أيّام كان البيت جاهزاً. ستستقبله هناك بعد منتصف الليل. ياللبهجة التي تنتظره.

قدم دون ماتيو في الساعة المحدّدة. كان الباب المكَوّن من قضبان والذي يطلّ على ساحة الدار مغلقاً. رنّ الجرس. فقدمت من الجهة الأخرى للباب وقالت من وراء القضبان، «قبّل يدي، والآن قبّل طرف تنّورتي، وطرف قدمي وهي في الخفّ.» فعل كما طلبت. فقالت، «هذا جيّد. يمكنك الرحيل الآن.» تعبيره المصدوم لم يزد عن جعلها تضحك. سَخِرَت منه، ومن ثمّ أدلت باعتراف: كانت تنفر منه. أمّا وأنّ الڤيلاّ باسمها، فإنّها أصبحت أخيراً في حلٍّ منه. نادت، فظهر شابٌّ من بين ظلمات ساحة الفناء. بينما كان دون ماتيو يشاهد وهو مشلولٌ من الصدمة، فقد بدأ الإثنان بممارسة الجنس على الأرض، أمام عينيه مباشرةً.

«بالتأكيد،» أنا قلت، «لقد قلت لك مراراً بأنّ الألم يحمل جاذباً خاصّاً بالنسبة إليّ، وأنّه لا شيء يشعل شغفي تماماً كالطغيان والقسوة وقبل كلّ شيء عدم الإخلاص عند المرأة الجميلة.»

في صبيحة اليوم التالي ذهبت كونشيتا إلى منزل دون ماثيو، وذلك (هكذا يُفترَض) بقصد معرفة فيما إذا كان قد انتحر. ما فاجأها أنّه لم يكن قد انتحر ـ في الواقع فقد صفعها بقوّة شديدة لدرجة أنّها وقعت على الأرض. وقال، «لقد جعلتني يا كونشيتا أعاني ما لا طاقة للبشر بتحمّله. لقد اخترعت تعذيباتٍ معنويّة لتجرّبيها على الشخص الوحيد الذي أحبّك بشغف. أعلن الآن أنّني سأحوزك بالقوّة.» صرخت كونشيتا بأنّها لن تكون أبداً له، لكنّه ضربها مراراً وتكراراً. توقّف أخيراً بعد أن أثّرت دموعها بمشاعره. عندها رفعت ناظريها إليه بمحبّة وقالت: إنسَ الماضي، إنسَ كلّ ما

ارتكبتُه أنا. أمّا وأنّه ضربها، أمّا وأنّها استطاعت رؤية ألمه، فقد شعرت بأنّها متأكّدة من أنّه كان يحبّها بحقّ. كانت لا تزال موزيتا ـ فالعلاقة مع الشاب في الليلة السابقة كانت فقط بقصد الاستعراض، وانتهت فور مغادرة ماتيو ـ ولا تزال تنتمي إليه. «أنت لن تأخذني بالقوّة. فأنا أنتظرك بين ذراعيّ.» أخيراً كانت صادقة. واكتشف أنّها كانت بالفعل لا تزال عذراء، الأمر الذي ولّد لديه بهجةً عارمة.

ـ ليوبولد فون زاشر ـ مازوخ، *ڤينوس في الفراء*، ترجمة جان ماك نيل

التفسير. دون ماتيو وكونشيتا بيريز هما شخصيّتان في روايةٍ قصيرةٍ كتبها بيير لويس في عام 1896 تحت عنوان امرأة ودمية متحرّكة. وهي مستندة على قصّة حقيقيّة ـ قصّة أو حادثة «الآنسة شاربيلون» في مذكّرات كازانوڤا ـ استُخدِمَت القصّة كأساسٍ لفيلمين: *الشيطان هو امرأة*، لجوزيف فون شتيرنبرغ، من بطولة مارلين ديتريتش، و*موضوع الرغبة العويص ذاك* للويس بونويل. في قصّة لويس، تقوم كونشيتا بالاستحواذ على رجلٍ أكبر منها سنّاً، مُعتدٌّ بنفسه وعدوانيّ وتحوّله في غضون أشهر إلى عبدٍ ذليل. طريقتها بسيطة: تثير أكبر عددٍ ممكنٍ من المشاعر، بما في ذلك جرعاتٍ ثقيلةٍ من الألم. تثير شهوته، ومن ثمّ تجعله يشعر بالدناءة لقيامه باستغلالها. تحمله على لعب دور الحامي، ومن ثمّ تجعله يشعر بالذنب لمحاولة شرائها. اختفاؤها المباغت سبّب له كرباً شديداً ـ إذ أنّه قد خسرها ـ لذا فعندما تعاود الظهور (هذا لم يكن أبداً من قبيل المصادفة) فإنّه يشعر بفرحٍ غامر؛ الذي، ومع ذلك، سرعان ما تحوّله إلى دموع. الغيرة والإذلال يسبقان إذن اللحظة النهائيّة عندما تمنحه عذريّتها. (حتّى بعد هذا، تبعاً للقصّة، فإنّها توجد طرقاً للاستمرار في تعذيبه.) كلّ منخَفَضٍ (حضيضٍ) تُحدِثه يخلق مكاناً لارتفاعٍ (ذروةٍ) أشدّ. يصبح مدمناً، وواقعاً في شرك مناوبة الإقبال والإدبار.

أودرنيت، دام ميتوانت (هذا في اللاتينيّة) [دعهم يكرهوني ما داموا يخافوني]، وكأنّ الخوف والكراهية فقط ينتميان لبعضهما البعض، في حين أنّ الخوف والحبّ لا يمّتان بصلةٍ إلى بعضهما البعض، وكأنّ الخوف هو ليس ما يجعل الحبّ مثيراً. بأيّ نوعٍ من الحبّ نعانق الطبيعة؟ ألا يوجد قلقٌ ورعبٌ سرّيين فيه، لأنّ تناغمه الجميل يشقّ طريقه من خلال الفوضى والاضطراب الوحشيّ، وأمانه من خلال غدره؟ لكن هذا القلق بالتحديد يأسرنا أكثر من أيّ شيءٍ آخر. وكذلك الأمر مع الحبّ، إذا

لا ينبغي أبداً لإغوائك أن يتّبع مساراً بسيطاً صاعداً نحو اللذة والانسجام. فعندها ستأتي الذروة قبل الأوان، وستكون اللذة ضعيفة. ما يجعلنا نقدّر شيئاً بشدّة هي المعاناة السابقة. احتكاكٌ مع الموت يجعلنا نقع في حبّ الحياة؛ رحلةٌ طويلةٌ تجعل العودة إلى المنزل شيئاً أكثر إمتاعاً بكثير. مهمّتك هي أن تخلق لحظاتٍ من الحزن، اليأس، والكرب، أن تخلق التوتّر

الذي يؤهّب أو يسمح بتفريج وإعتاقٍ عظيمين. لا تقلق إزاء جعل الناس غاضبين؛ فالغضب علامة أكيدة على أنّ شراكك تمسك بهم. ولا يجب عليك أن تكون خائفاً من أنّك إذا جعلت نفسك صعباً فإنّ الناس سوف يفرّون ـ نحن نهجر فقط أولئك الذين يُضجِروننا. قد يكون الطريق الذي تأخذ فيها ضحاياك متعرّجاً، ولكن ليس مملاً أبداً. مهما كلّف الثمن، فعليك أن تبقي أهدافك متهيّجين عاطفيّاً وعلى الحافّة. إخلق ما يكفي من نقاط الأوج والحضيض وستمحو آخر آثار قوّة إرادتهم.

كان مقيضاً له أن يكون مشتوقاً. في الخفاء يجب أن يحضن الليلة العميقة والقلقة التي تنشأ منها زهرة الحبّ.

ـ سورين كيركيجارد، *يوميّات مغوي*، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا إتش. هونغ

القسوة والرقّة

في عام 1972، تلقّى هنري كيسنجر الذي كان مساعد الرئيس ريتشارد نيكسون لشؤون الأمن القومي طلب مقابلة صحافيّة من الصحفيّة الإيطاليّة المشهورة أوريانا فلاّتشي. نادراً ما كان كيسنجر يمنح مقابلات؛ إذ أنّه لم يكن يحظى (فيها) بتحكّم على المنتج النهائي، وكان رجلاً يحتاج لأن يتحكّم. لكنّه كان قد قرأ مقابلة فلاّتشي مع الجنرال الڤييتنامي الشمالي، وكانت مقابلةً غنيّة بالمعلومات. كانت شديدة الاطّلاع على حرب ڤييتنام؛ ولعلّه يستطيع استقاء بعض المعلومات منها. قرّر طلب إجراء مقابلة تمهيديّة، لقاء أوّلي. حيث كان سيستجوبها بقسوة؛ فإذا اجتازت الإمتحان فإنّه سوف يمنحها مقابلة لائقة. التقيا، فأثير إعجابه؛ كانت ذكيّةً للغاية ـ وصلبة العود. سيكون تحدّياً ممتعاً أن يفوقها فطنةً ودهاءً ويثبت أنّه كان أصعب مراساً. وافق على مقابلةٍ قصيرة بعد عدّة أيّام.

سعلت الكائنة الرخاميّة المحبّبة وأعادت ترتيب شال الفرو على كتفيها. «شكراً لك على الدرس في الكلاسيكيات،» أجبت، «لكنني لا أستطيع أن أنكر أنّه في عالمك المسالم والمشمس تماماً كما في عالمنا الضبابيّ فإنّ الرجل والمرأة هم أعداءٌ بالفطرة. قد يوحّدهم الحبّ لبرهة فيشكّلان عقلاً واحداً وقلباً واحداً وإرادةً واحدة، لكن

ممّا أزعج كيسنجر، أنّ فلاّتشي بدأت المقابلة بسؤاله فيما إذا كان مُخَيّباً إزاء التقدّم البطيء لمفاوضات السلام مع ڤييتنام الشماليّة. لم يكن ليناقش المفاوضات ـ كان قد أوضح ذلك في المقابلة التمهيديّة. ومع ذلك فقد تابعت نفس خطّ الاستجواب. غضب قليلاً وقال، «هذا يكفي، لا أريد التحدّث أكثر عن ڤييتنام.» بالرغم من أنّها لم تُقلِع عن الموضوع مباشرةً إلّا أنّ أسئلتها صارت ألطف: ما هي مشاعره الشخصيّة تجاه قادة ڤييتنام الجنوبيّة والشماليّة. ومع ذلك تملّص بقوله: «أنا لست من ذلك النوع من الأشخاص الذي تتحكّم به العاطفة. العواطف لا تخدم هدفاً.» انتقلت لمواضيع فلسفيّة

أوسع ـ الحرب، السلام. أطرته على دوره في إقامة العلاقات الوديّة مع الصين. بدأ كيسينجر بالانفتاح دون إدراكٍ منه لذلك. تكلّم عن الألم الذي شعر به لدى التعامل مع مسألة ڤيتنام، ومتعة استخدام النفوذ. بعد ذلك وعلى نحوٍ مفاجئ عادت الأسئلة الأقسى ـ هل كان ببساطة تابعاً خنوعاً لنيكسون، كما كان يظنّ العديدون؟ تارةً تصعّد من الوتيرة وتارةً تخفّض، حيث أنّها كانت تناوب ما بين الإيقاع به وإطرائه. هدفه كان أن ينتزع المعلومات منها دون أن يكشف عن نفسه شيئاً؛ في النهاية، على الرغم من هذا، لم تكن قد أعطته شيئاً، في حين أنّه كان قد كشف طائفةً من الآراء المحرجة ـ نظرته عن النساء كأشياء للّعب، على سبيل المثال، واعتقاده أنّه كان محبوباً من قبل الشعب لأنّهم رؤوه كنوعٍ من رعاة البقر المستوحدين؛ أي البطل الذي يتصدّى للأمور السيّئة لوحده. عندما نُشِرَت المقابلة فإنّ نيكسون، رئيس كيسينجر، غضب بسببها غضباً شديداً.

في عام 1973، منح شاه إيران، محمّد رضا بهلوي، فلاّتشي مقابلة. كان يعلم كيفيّة التعامل مع الصحافة ـ كن ملتبساً، تحدّث بالعموميّات، إظهر بمظهر الحازم، ولكن المهذّب في نفس الوقت. هذه المقاربة كانت قد فعلت فعلها في العديد من المرّات السابقة. بدأت فلاّتشي المقابلة على المستوى الشخصي، حيث أنّها سألته عن كيفيّة شعوره كملك، وكهدفٍ لمحاولات الاغتيال، ولماذا كان الشاه يبدو دائماً في غاية الحزن. تكلّم عن أعباء منصبه، عن الألم والوحدة اللذين كان يشعر بهما. لقد بدا الحديث عن مشاكله المهنيّة بمثابة تفريج له إلى حدٍّ ما. أثناء حديثه لم تتكلّم فلاّتشي إلّا قليلاً، حيث حثّه صمتها على الاستطراد. بعدئذٍ غيّرت الموضوع بشكلٍ مفاجئ: لقد كان يعاني من صعوبات مع زوجته الثانية. لا بدّ أنّ هذا قد آلمه. ثار غضب بهلوي فهذه كانت نقطةً حسّاسة. حاول تغيير الموضوع، لكنّها ظلّت تعود إليه. فقال لها: لماذا نضيع الوقت في التحدّث عن الزوجات والأطفال؟ بعدئذٍ تطرّف لدرجة انتقاد النساء بالإجمال ـ افتقارهنّ للإبداع، قسوتهنّ. استمرّت فلاّتشي بمضايقته: كان لديه نزعاتٌ ديكتاتوريّة وبلده كان يفتقر للحريّات الأساسيّة. الكتب التي من تأليف فلاّتشي كانت على القائمة السوداء لحكومته. بدا الشاه متفاجئاً نوعاً ما لسماعه هذا ـ لعلّه كان يتعامل مع كاتبةٍ هدّامة (تسعى للإطاحة بحكمه.) لكنّها عندئذٍ لطّفت

سرعان ما سيتباعدان عن بعضهما البعض. وأنت تعرفين هذا أفضل منّي: لا بدّ أن يُخضَع أحدهما الآخر لإرادته، وإلّا فيجب أن يدع نفسه يُداس بالأقدام.» • تحت قدمي المرأة بالطبع،» قاطعت السيّدة ڤينوس بوقاحة. «وأنت تعرف ذلك خيراً مني.» • «هذا شيءٌ أكيد، ولذلك ليس لديّ أوهام.» • «بعبارةٍ أخرى أنت الآن عبدي دون أوهام، وسأسحقك بقدمَيّ دون رحمة.» • «يا مدام!» • «أنت لا تعرفني بعد. أعترف بأنّني قاسية ـ نظراً لأنّ الكلمة تعطيك الكثير من البهجة ـ لكنّني ألست مخوّلةً لأن أكون كذلك؟ إنّ الرجل هو من يرغب، والمرأة هي من يُرغَب بها؛ هذه هي أفضليّة المرأة الوحيدة، لكنّها

نبرتها (لهجتها) ثانيةً، حيث أنّها سألته عن إنجازاته العديدة. تكرّر النمط: في اللحظة التي كان يسترخي فيها، كانت تباغته فيها (تأخذه على حين غرّة) بسؤالٍ قاطع؛ وعندما يمتعض كانت تلطّف الأجواء. على غرار كيسينجر، وجد نفسه ينفتح رغماً عنه ويذكر أشياءً كان سيندم لذكرها لاحقاً، كاعتزامه على رفع سعر النفط. وقع تحت سحرها وسلطانها، بل وبدأ حتّى بمغازلتها. وقال لها في نهاية المقابلة، «حتّى لو كنت على اللائحة السوداء لحكومتي، فسأضعك على اللائحة البيضاء لقلبي.»

التفسير. معظم مقابلات فلاّتشي كانت مع قادةٍ أقوياء ونافذين، رجالٌ ونساءٌ ذوي حاجةٍ طاغية للتحكّم بالموقف، تفادياً للكشف عن أيّ شيءٍ محرج. هذا وضعها في حالة خلافٍ وتضارب مع من كانت تجري معهم المقابلات، نظراً لأنّ حملهم على الانفتاح ـ جعلهم عاطفيّين، وتخلّيهم عن التحكّم ـ كان ما تريده بالضبط. المقاربة الإغوائية الكلاسيكيّة التي تعتمد على السحر والإطراء كانت لن تحقّق أيّ نتيجةٍ لها مع هؤلاء الناس؛ فهم كانوا سيتبيّنون فوراً حقيقة هذه المقاربة. بدلاً من ذلك، فقد استهدفت فلاّتشي عواطفهم، من خلال المناوبة ما بين القسوة والرقّة. كانت تسأل سؤالاً قاسياً يمسّ أعمق مكامن الشعور بعدم الأمان عند من تسأله، فيهتاج عاطفيّاً ويصبح دفاعيّاً؛ إلّا أنّ شيئاً آخر كان يتحرّك في قرارة نفسه بالرغم من هذا ـ الرغبة بأن يُبرهن لفلاّتشي بأنّه لم يكن يستحقّ انتقاداتها الضمنيّة. في اللاوعي، كانوا يريدون أن يرضوها، وأن يجعلوها تحبّهم. عندما كانت تبدّل لهجتها، فتمدحهم بشكلٍ غير مباشر، كانوا يشعرون بأنّهم قد كسبوها إلى جانبهم أو كسبوا ودّها فيتشجّعون على الانفتاح. كانوا يطلقون العنان لعواطفهم بشكلٍ أكثر حريّةً دون إدراكٍ منهم لذلك.

جميعنا نرتدي الأقنعة في المواقف الاجتماعيّة، ونبقي دفاعاتنا في حالة تأهّب. وعلى أيّة حال فإنّه من المحرج أن يُظهِر المرء عواطفه الحقيقيّة. كمغوٍ عليك أن تجد طريقةً لتخفّض أشكال المقاومة هذه. مقاربة الساحر التي تعتمد على الإطراء وإعارة الانتباه والاهتمام يمكنها أن تكون فعّالةً هنا، وخاصّةً مع الشخص الذي يعاني من الشعور بعدم الأمان وقلّة الثقة بالنفس،

أفضلية حاسمة. من خلال جعل الرجل عرضةً للشغف للغاية، فإنّ الطبيعة قد وضعته تحت رحمة المرأة، ومن لا تتمتّع بالوعي لتعامله كتابعٍ وضيع، كعبدٍ، كألعوبة، وفي آخر المطاف تخونه وهي تضحك ـ حسنٌ، تكون امرأةً قليلة الحكمة.» • «يا عزيزتي، إنّ مبادئك..» احتججت. • «مبنيّة على خبرة ألف عام،» قاطعتني بإسلوبٍ عابث، وهي تمرّر أصابعها البيض في الفرو الأسود. «كلّما كانت المرأة أكثر إذعاناً، كلّما استعاد الرجل تمالكه لنفسه بسهولةٍ أكبر وأصبح متسلّطاً؛ لكن كلّما كانت أكثر قسوةً وأقلّ إخلاصاً، وكلّما أساءت معاملته وتلاعبت به على نحوٍ غاشم وكانت أكثر إيلاماً، أذكت رغبته وضمنت حبه

لكن من الممكن أن تستغرق شهوراً، وأن تعطي عكس النتائج المرجوّة. لكي تحصل على نتيجةٍ أسرع، وتحرّك عواطف (تضعف مقاومة) الناس الأقلُّ تأثّراً والأبعد منالاً، فإنّه غالباً ما يكون من الأفضل أن تناوب ما بين القسوة والرقّة. فأنت تخلق توتّراتٍ داخليّة من خلال كونك قاسياً - أهدافك قد ينزعجون منك، لكنّهم أيضاً سيتساءلون بينهم وبين أنفسهم. ما الذي قد ارتكبوه ليستحقّوا عدم محبتك؟ فعندما تكون بعد ذلك لطيفاً، فإنّهم يشعرون بالراحة والفرج، لكنّهم يشعرون بالقلق أيضاً من أنّهم قد يثيرون استياءك مجدّداً في أيّة لحظة. أفِد من هذا النمط لتبقيهم في حالة ترقّبٍ وحيرة - خائفين من قسوتك وشديدي التوق لإبقائك ودوداً ورقيقاً. رقّتك وقسوتك يجب أن تكونا خفيّتين: الملاحظات الساخرة والمجاملات هي الأفضل. إلعب دور المحلّل النفسي: أدلِ بتعليقاتٍ جارحة تخصّ دوافعهم الخفيّة (أنت لا تعدو عن كونك صادقاً)، وبعدها إنكفئ واستمع. سيحثّهم صمتك على الإدلاء باعترافاتٍ محرجة. خفّف من وطأة أحكامك ولطّف منها من خلال إطراءاتٍ وثناءاتٍ عرضيّة وسيناضلون لإرضائك، مثل الكلاب.

وإعجابه. لطالما كان لسان الحال على هذا النحو، من عصر هيلين ودليلة وصولاً إلى كاثرين العظمى ولولا مونتيز.»

- ليوبولد فون زاشر - مازوخ، *ڤينوس في الفراء*، ترجمة جان ماك نيل

الحبُّ هو زهرةٌ نفيسة، لكن ينبغي للمرء أن يتحلّى بالرغبة لقطفها من حافّة الجرف.

- ستندال

المفاتيح للإغواء

كلّ الناس تقريباً مهذّبون بدرجةٍ تزيد أو تنقص قليلاً. نتعلّم باكراً ألاّ نخبر الناس بما نعتقده حقّاً عنهم؛ نبتسم لدعاباتهم، ونصطنع الاهتمام بقصصهم ومشاكلهم. إنّها الطريقة الوحيدة للعيش معهم. هذا يصبح طبعاً وعادةً في آخر الأمر؛ نكون لطيفين حتّى عندما لا يكون ذلك ضرورياً حقّاً. نحاول أن نرضي الناس الآخرين، ألّا نزعجهم (من خلال التدخّل في شيءٍ يُعتبرُ ضمن نطاق مسؤوليّاتهم الخاصّة)، أن نتفادى الخلافات والنزاع. لكنّ

في الجوهر، فإنّ مجال الشهوانيّة هو مجال العنف والانتهاك... مسألة الشهوانيّة أو الجنسانيّة برمّتها هي أن تضرب أعمق نواةٍ لدى الكائن الحي، بحيث يتوقّف القلب عن النبض... مسألة الشهوانيّة برمّتها هي أن تدمّر الشخصيّة المكتفية بذاتها للمشاركين كما هم في حيواتهم الطبيعيّة... لا يجدر بنا أبداً أن ننسى أنّه بالرغم من النعيم الذي يعد به الحبّ

اللطف في الإغواء بالرغم من أنّه قد يشدّ الشخص إليك في البداية (كونه مهدّئاً ومطمئناً)، إلّا أنّه سرعان ما يخسر كلّ فاعليّته. الإفراط في اللطف يمكنه حرفيّاً أن ينفّر الهدف منك. المشاعر الجنسيّة تعتمد على خلق التوتّر. دون التوتّر، دون التلهّف والترقّب، لا يمكن أن يكون هناك شعورٌ بالانعتاق والفرج، وباللذة والفرح الحقيقيّين. مهمّتك هي أن تخلق ذلك التوتّر في الهدف، أن تثير مشاعر القلق، أن تقودهم جيئةً وذهاباً، لكي يكون لأوج (ذروة) الإغواء وزن وكثافة حقيقيّان. لذا خلّص نفسك من عادة تفادي النزاع المقرفة، والتي هي غير طبيعيّة في جميع الأحوال. أنت غالباً ما تكون لطيفاً ليس بدافع من طيبتك الداخليّة وإنّما من خوفك من عدم الإرضاء، وبدافع من عدم الشعور بالأمان. تخطَّ ذلك الخوف وفجأةً سيصبح لديك خيارات ـ حريّة خلق الألم، وبعد ذلك وبشكلٍ سحريّ تبديده. ستزداد قواك الإغوائيّة عشرة أضعاف.

فإنّ أوّل أثر له هو الاضطراب والكرب. الشغف المُلبى يحرض بذاته اهتياجاً عنيفاً كهذا لدرجة أنّ السعادة المرجوّة، قبل أن تكون سعادةً مُستَحصَلة، تكون عظيمةً لدرجةٍ تكون معها أشبه بنقيضها من العناء.... أرجحيّة العناء تكون أكبر بكثير نظراً لأنّ العناء لوحده يظهر الأهميّة الكاملة للشيء المحبوب.

ـ جورج باتايل، *الشهوانيّة: الموت والحسّية*، ترجمة ماري دالوود

الناس سيكونون أقلّ انزعاجاً من أفعالك المؤذية ممّا قد تتخيّل. في عالم اليوم، فإنّه غالباً ما نشعر بأنّنا متعطّشون بشدّة للتجربة والخبرة. نحن نتوق إلى العاطفة، حتّى لو كانت عاطفةً سلبيّة. الألم الذي تسبّبه لأهدافك هو شيءٌ منعشٌ إذن ـ فهو يزيد من شعورهم بأنّهم أحياء. لديهم شيءٌ ليشتكوا منه، فيبدؤون بلعب دور الضحيّة. بالنتيجة، فإنّك ما إن تحوّل الألم إلى لذّة حتّى يسامحوك وعن طيب نفس. أثِر غيرتهم، إجعلهم يشعرون بعدم الأمان، وستكون المصادقة (الاعتراف) التي تسبغها على الأنا الخاصّ بهم من خلال تفضيلهم على مزاحميهم مبهجةً بشكلٍ مضاعف. تذكّر: إنّ إثارة ملل أهدافك يجب أن تولّد فيك الخوف أكثر ممّا يولّده تعكيرك لهم. جرحك لمشاعر الناس يربطهم بك على نحوٍ أعمق ممّا تفعل طيبتك. إخلق توتّراً كي يمكنك أن تزيله. إذا احتجت للإلهام، فجد الجزء من الضحيّة الذي يسخطك أكثر من أيّ شيءٍ آخر واستخدمه كنقطة انطلاق لصدام علاجيّ (أي صدامٍ شبيهٍ بذلك الذي يخلقه المحلّل النفسي مع مريضه بغيةَ علاجه وذلك بواسطة استفزازه كي يظهر مكنونات نفسه الحقيقيّة). كلّما كانت قسوتك حقيقيّةً أكثر كانت فعّالةً أكثر.

دائماً يجب أن يوجد شكٌّ في حالة كمون ـ ذلك ما يجعل المرء يتوق إلى الحبّ الشغوف. مُتعه لا تصبح مضجرةً أبداً لأنّ أقوى الهواجس تظلّ موجودةً. • *القدّيس سيمون،*

في عام 1818، التقى الكاتب الفرنسي ستندال الذي كان يعيش وقتئذٍ في ميلان بالكونتيسّة ماتيلدا ڤيسكونتيني. بالنسبة له، فقد كان حبّاً من

النظرة الأولى. كانت معتدّةً بنفسها، وامرأةً صعبة المراس نوعاً ما، فأخافت ستندال الذي كان يخشى على نحوٍ مريع من أن يسخطها بتعليقٍ غبيّ أو بفعلٍ يعوزه الوقار. أخيراً، بعد أن عجز عن الاحتمال أكثر، أمسك بيدها ذات يوم واعترف لها بحبّه. رُوِّعَت الكونتيسّة، فأخبرته بأن يغادر وألاّ يعود أبداً.

غمر ستندال ڤيسكونتيني بالرسائل، متوسّلاً إيّاها أن تسامحه. رقّت أخيراً: ستقبل بأن تراه مجدّداً، لكن بشرطٍ واحد ـ يستطيع أن يزورها مرّةً واحدةً فقط كل أسبوعين، ولمدّة لا تتجاوز الساعة الواحدة، وحصراً بحضور زائرين آخرين. وافق ستندال؛ فلم يكن لديه خيار. صار يعيش الآن من أجل تلك الزيارات القصيرة التي تحين كلّ أربعة عشر يوماً، والتي أصبحت مناسباتٍ لقلقٍ وخوفٍ عظيمين، نظراً لأنّه لم يكن أبداً متأكّداً تماماً فيما إذا كانت ستغيّر رأيها وتطرده (من حياتها) إلى الأبد. استمرّ هذا لما يزيد عن سنتين، وخلال هذه الفترة لم تظهر الكونتيسّة له أدنى علامة استحسان أو حظوة. لم يكتشف ستندال أبداً لماذا كانت قد أصرّت على هذا الترتيب ـ لعلّها أرادت أن تلعب به أو تبقيه على مبعدة. كلّ ما عرفه كان أنّ حبّه لها لم يزدد إلّا قوّةً، حيث صار شديداً على نحوٍ لا يُحتَمل، إلى أن اضطرّ أخيراً لمغادرة ميلان.

لكي يتجاوز هذه العلاقة المحزنة، كتب ستندال كتابه الشهير، *عن الحبّ*، الذي وصف فيه تأثير الخوف على الرغبة. أوّلاً، إذا كنت تخاف من تحبّ، فإنّك لن تستطيع أبداً أن تدنو كفايةً أو أن تألفه/ها. فالمحبوب عندئذٍ يستبقي عنصراً من الغموض الذي لا يؤدّي إلّا إلى زيادة حبّك شدّةً. ثانياً، هنالك شيئ منعشٌ فيما يتعلّق بالخوف. فهو يجعلك تنبض بالإحساس، يقوّي إدراكك، ويثير الشهوة الجنسيّة بشدّة. تبعاً لستندال فإنّه كلّما اقترب بك المحبوب أكثر من حافّة الجرف، أي إلى الشعور بأنّه قد يتركك، أصبحت دائخاً وضائعاً أكثر. الوقوع في الحبّ يعني حرفيّاً الوقوع ـ فقدان السيطرة، مزيجٌ من الخوف والإثارة.

طبّق هذه الحكمة بشكلٍ عكسيّ: لا تجعل أهدافك أبداً تشعر بالراحة معك أكثر من اللازم. هم يحتاجون للشعور بالخوف والإثارة. أَظهِر لهم

المؤرّخ الوحيد في كلّ تاريخ فرنسا، يقول: «بعد العديد من العلاقات العابرة فإنّ دوقة بيري وقعت عميقاً في حبّ ريوم وهو شابٌ من أسرة دايدي وابن واحدةٍ من شقيقات المدام دي بيرون. لم يكن يتمتّع لا بالشكل الحسن ولا بالعقل الراجح؛ كان سميناً، قصيراً، منتفخ الخدّين، شاحباً، وكان لديه مجموعة من البثرات بحيث أنّه بدا خراجاً واحداً كبيراً؛ كانت أسنانه جميلة، لكن لم يخطر ببال أحد أنّه كان سيلهب شغفاً جامحاً، أو عاطفةً من شأنها أن تدوم مدى الحياة، بالرغم من بضعة مغازلاتٍ وعلاقاتٍ ثانويّة كان قد حظي بها... • أثار رغبة الأميرة لكنّه لم يقابلها بمثلها؛ وكان يبتهج في جعلها غيورةً، أو يتظاهر هو بكونه

غيور. غالباً ما كان يدفعها للبكاء. حشرها بالتدريج في موقعٍ لا تفعل منه شيئاً دون إذنه، حتّى الأشياء التافهة عديمة القيمة. في بعض الأحيان، عندما تكون جاهزةً للذهاب إلى الأوبرا، فإنّه يصرّ على أن تبقى في المنزل؛ وفي أحيانٍ أخرى كان يجبرها على أن تذهب إلى هناك رغماً عنها. أجبرها على أن تؤدّي خدماتٍ لسيّداتٍ لم تكن تحبّهن أو كانت منهنّ تغار. لم تتمتّع حتّى بالحرّيّة لأن تلبس كما تشاء؛ كان يتسلّى من خلال جعلها تغيّر تسريحتها أو ثوبها في آخر لحظة؛ كان يفعل هذا مراراً وعلناً إلى درجة أنّها أصبحت معتادةً على تلقّي أوامره في المساء فيما يخصّ ما ستفعل وتلبس في اليوم التالي؛ بعدئذٍ فإنّه

بعض البرود، أو انفجار غضب لم يكونوا يتوقّعونه. كن غير عقلانيٍّ إذا لزم الأمر. هناك دائماً ورقة الطرنيب (ورقة رابحة): إنهاء العلاقة. دعهم يشعرون بأنّهم قد خسروك إلى الأبد، دعهم يشعرون بأنّهم قد خسروا القدرة على سحرك. دع هذه المشاعر ترافقهم لفترة من الزمن، وبعدها أرجعهم من حافّة الجرف. ستكون المصالحة شديدة العاطفة والانفعال.

في عام 33 ق.م سمع مارك أنتوني إشاعةً مفادها أنّ كليوباترة، وهي عشيقته لسنوات، كانت قد قرّرت أن تغوي منافسه، أوكتاڤيوس، وأنّها كانت تخطّط لتسميم أنتوني. كانت كليوباترة قد سمّمت أناساً من قبل؛ في الواقع لقد كانت خبيرةً في هذا الفنّ. تعاظم شكّ أنتوني وريبته، وأخيراً واجهها في أحد الأيّام. لم تؤكّد كليوباترة براءتها. أجل، ذلك كان صحيحاً، لقد كان بمقدورها تماماً أن تسمّم أنتوني في أيّة لحظة؛ لم يكن هنالك احتياطاتٍ يمكنه اتّخاذها. الحبّ الذي تكنّه له كان الشيء الوحيد الذي يمكن أن يحميه. لتقيم الدليل على هذا، فقد أخذت بعض الأزهار وألقتها في كأسه المملوء بالنبيذ. تردّد أنتوني، ثمّ رفع الكأس إلى شفتيه؛ أمسكت كليوباترة بذراعه وأوقفته. أمرت بإحضار سجينٍ لشرب النبيذ، فسقط السجين ميتاً على الفور. خرّ أنتوني عند قدمي كليوباترة واعترف بأنّه صار يحبّها الآن أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لم يقل هذا بدافع من الجبن؛ فلم يكن هنالك رجلٌ أشجع منه، وإذا كان بمقدور كليوباترة أن تسمّمه، فإنّه من جانبه كان يستطيع أن يتركها ويرجع لروما. كلاّ، ما دفع به من على الحافّة (ما هوى به) كان الشعور بأنّ لديها زمام السيطرة على عواطفه، على حياته وموته. لقد كان عبدها. إظهارها لسلطانها عليه لم يكن فعّالاً وحسب، بل ومثيراً جنسيّاً أيضاً.

العديد منّا، على غرار أنتوني، لديهم أتواقٌ مازوشيّة دون إدراكٍ منهم لذلك. يستلزم الأمر أن يُنزل بنا شخصٌ ما الألم لكي تخرج إلى السطح هذه الرغبات المدفونة عميقاً. عليك أن تميّز أنماط المازوشيّين المستترين في العالم الخارجي، لأنّ كلّ نمطٍ يستمتع بنوعٍ معيّنٍ من الألم. فمثلاً، يوجد أناسٌ يشعرون بأنّهم لا يستحقّون شيئاً جيّداً في الحياة والذين ينالون من أنفسهم باستمرار، كونهم غير قادرين على التعامل مع النجاح. كن لطيفاً معهم، اعترف بأنّك معجبٌ بهم، وسيكونون غير مطمئنّين، كونهم يشعرون

بأنّه ليس من الممكن أن يكون باستطاعتهم مضاهاة الصورة المثاليّة التي تخيّلتهم بها. هكذا هدّامين ـ لأنفسهم يتحسّن أداؤهم بقليلٍ من القصاص؛ عنّفهم، دعهم يدركون مواطن عدم كفاءتهم. هم يشعرون بأنّهم يستحقّون انتقاداً كهذا، لذا فعندما يأتي الانتقاد فإنّه يحمل معه إحساساً بالراحة. من السهل أيضاً أن تجعلهم يشعرون بالذنب، وهو الشعور الذي يستمتعون به في قرارة أنفسهم.

هنالك أناسٌ آخرون يلاقون مسؤوليّات وواجبات الحياة العصريّة كنوع من العبء الثقيل، لذا فهم يتوقون للتخلّي عن كلّ شيء. هؤلاء الناس غالباً ما يبحثون عن شخصٍ أو شيءٍ ما لتبجيله ـ قضيّة، دين، مرشد روحي. إجعلهم يعبدونك. وهنالك، علاوةً على ذلك، أولئك الذين يريدون لعب دور الشهيد. تعرّف عليهم وميّزهم من خلال البهجة التي تستحوذ عليهم عندما يشتكون، وعندما يشعرون بأنّهم بررة ومُعتدى عليهم؛ ومن ثمّ أعطهم سبباً للشكوى. تذكّر: المظاهر خدّاعة. غالباً فإنّ الناس الذين يبدون الأقوى ـ أشباه كيسينجر ودون ماتيو ـ قد يرغبون سرّاً بأن يُعاقَبوا. في أيّ حدث، أَتبع الألم باللذة وستخلق حالة اعتمادٍ واتّكاليّة من شأنها أن تدوم لوقتٍ طويل.

كان يبدّل كلّ شيء في صبيحة اليوم التالي، فتغرق الأميرة في الدموع. في آخر المطاف صارت ترسل له رسائلَ من خلال خدم موثوقين، من أوّل إقامته في اللوكسمبورغ؛ رسائلَ كانت تتتالى طوال تزيّنها، كي تعلم ما سترتدي من الأوشحة والأثواب والحليّ الأخرى؛ كان يجعلها بشكلٍ شبه دائم ترتدي أشياءَ لا تحبّ ارتداءها. عندما كانت تجرؤ بين الحين والآخر على فعل أيّ شيءٍ، مهما كان صغيراً، دون إذنه، فإنّه كان يعاملها كخادمة، فتنهمر دموعها لأيّام. • ... كان يردّ عليها أمام الرفاق بردودٍ فظّة إلى درجة أنّ الجميع كانوا يخفضون طرفهم، والدوقة تتصبّب خجلاً، ومع ذلك فإنّ شغفها تجاهه لم ينقص بأيّ

الرمز: الجرف. عند حافّة الجرف، غالباً ما يشعر الناس بالدوار، بالخوف والدوخة على حدٍّ سواء. للحظةٍ يمكنهم تخيّل أنفسهم وهم يقعون بينما يكون رأسهم إلى الأسفل.
في نفس الوقت، يشعر جانبٌ منهم بالإغراء.
قُدْ أهدافك كأقرب ما يمكن إلى
الحافّة، وبعدها أرجعهم.
لا توجد إثارةٌ
دون خوف.

شكلٍ من الأشكال.»
بالنسبة للأميرة، فقد كان ريوم علاجاً فعّالاً للضجر.

ـ ستندال، *الحبّ*، ترجمة جيلبرت وسوزان سايل

الانقلاب

الناس الذين اختبروا مؤخّراً كثيراً من الألم والخسارة سوف يفرّون إذا حاولت إنزال المزيد بهم. فهم أساساً لديهم ما يكفي في حياتهم. من الأفضل بكثير أن تطوّق هؤلاء الأنماط بالمتعة ـ هذا سيضعهم تحت سحرك. تقنيّة إنزال الألم تفعل أفضل مفعولٍ لها على أولئك الذين حظوا بحياةٍ سهلة، الذين لديهم سُلطة وقلّةٌ من المشاكل. الأناس ذوو الحياة المريحة قد يشعرون أيضاً بإحساسٍ طاحنٍ بالذنب، وكأنّهم قد أفلتوا من عقوبةٍ على شيءٍ ما (خاطئ) كانوا قد ارتكبوه. قد لا يعرفون هذا بشكلٍ واعٍ، لكنّهم سرّاً يتوقون لبعض القصاص، لجَلْدٍ فكريّ وافٍ، لشيءٍ ما من شأنه أن يعيد إليهم واقعيّتهم.

إضافةً إلى ذلك، تذكّر ألاّ تستخدم تكتيك اللذة ـ من خلال ـ الألم قبل الأوان. بعض أعظم المغوين في التاريخ ـ بايرون، جيانغ كينغ (مدام ماو)، بيكاسو ـ كانت لديهم مسحةٌ من الساديّة، قدرةٌ على إنزال التعذيب الذهني. لو أنّ ضحاياهم علموا بما كانوا يقحمون أنفسهم فيه، لكانوا ركضوا هرباً حتّى اختفوا عن الأنظار. في الحقيقة، فإنّ معظم هؤلاء المغوين استدرجوا أهدافهم إلى شباكهم من خلال ظهورهم على أنّهم مثال العذوبة والوجدان. حتّى بايرون كان يبدو كملاك عندما كان يلتقي بامرأة لأوّل مرّة، وبالتالي فإنّها كانت تميل للتشكيك بسمعته الشيطانيّة ـ شكٌّ إغوائيّ، لأنه كان يسمح لها بأن تفكّر على أنّها الوحيدة التي تفهّمته حقّاً. كانت قسوته تظهر لاحقاً، لكن عندئذٍ يكون قد فات الأوان. عواطف الضحيّة تكون مشارِكةً ومُشاغَلة، لذا فإنّ قسوته لن تؤدّي إلّا إلى إذكاء مشاعرها.

في البداية، إذن، ارتدِ قناع الحمل، جاعلاً من المتعة والمجاملة الطعم الذي تستخدمه. أوّلاً أَئسِر انتباههم واجذبهم، وبعدها قدهم في رحلةٍ مجنونة.

المرحلة الرابعة

انقضّ للضربة القاتلة

أوّلاً عملت على عقولهم ـ الإغواء الفكري. بعد ذلك أربكتهم وهيّجتهم ـ الإغواء العاطفي. الآن حان الوقت لمعركةٍ إلتحاميّة ـ الإغواء الجسدي. في هذه المرحلة تكون ضحاياك ضعيفةً ومكتنزةً بالرغبة: ستثير الذعر من خلال إظهار قليلٍ من البرود أو عدم الاهتمام ـ سيسعون وراءك بنفاد صبرٍ وطاقةٍ شهوانيّة (21: أعطهم مسافةً للسقوط ـ المُطارِد يُطارَد). لكي تدفعهم إلى نقطة الغليان، عليك أن تُنيم عقولهم وتحمّي حواسّهم. من الأفضل أن تستدرجهم نحو الشبق من خلال إرسال إشاراتٍ مُلَغّمةً محدّدة من شأنها أن تأسر اهتمامهم وتجذبهم وتنشر الرغبة الجنسيّة كالسم (22: استخدم المغريات المادية). تحين لحظة الهجوم والانقضاض للضربة القاتلة عندما تكون ضحيّتك تنضح بالرغبة، لكن دون أن تتوقّع بشكلٍ واعٍ أن تحين الذروة (23: أتقن فن الإقدام الجسور).

ما إن ينتهي الإغواء، حتّى يبرز خطر أن يحلّ فقدان الاهتمام فيخرّب كل عملك الشاق (24: كن على حذر من الآثار اللاحقة). إذا كنت تسعى لعلاقة، فعليك إذن أن تعيد إغواء الضحيّة دائماً، فتخلق التوتّر ثم تخفّف من حدّته. إذا كانت ضحيّتك سيُضَحّى بها، فيجب إذن فعل هذا بسرعة ونظافة، ممّا يتركك حرّاً (جسديّاً ونفسيّاً) لتنتقل إلى الضحيّة التالية. حيث تبدأ اللعبة من جديد.

21

أعطهم مساحة للسقوط - المُطارِد هو المُطارَد

إذا اعتادتك أهدافك أكثر مما ينبغي مهاجماً،
فسوف يقلّلون من منح طاقتهم الخاصة، وسَيَضْعُفُ التوتر.
أنت تحتاج إلى أن توقظهم، إلى أن تعكس الآية. بمجرّد وقوعهم تحت سحرك، اخطُ خطوَةً إلى الوراء، وسيبدؤون بملاحقتك. إبدأ بلمسةٍ من التحفّظ، بعدم ظهورٍ غير مُتَوَقّع، بتلميحةٍ إلى أن الضّجر ينتابك تدريجيّاً. عكّر المياه من خلال ظهورك على أنّك مُهْتَمٌّ بشخصٍ آخر. لا تجعل أيّاً من هذا شيئاً جليّاً؛ دعهم فقط يحسّونه وستقوم مخيّلتهم بالباقي، خالقةً الشك الذي تريد. سرعان ما سيريدون تملّكك جسديّاً، وستتبخّر الكوابح والتّحفّظات من النافذة. الهدف هو أن يسقطوا بين ذراعيك بوحيٍ من إرادتهم الخاصّة. إخلق الوهم بأنّ المُغوي يتمّ إغواؤه.

الجاذبيّة الإغوائيّة

في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر، سيّدة شابّة تُدعى آبولين ساباتيير كانت محطّ أنظار عالم الفن الفرنسي. كانت مثال الجمال الطبيعي لدرجة أنّ النحّاتين والرسّامين تنافسوا لتخليدها في أعمالهم، وكانت أيضاً ساحرةً، ويَسهُل الاقتراب منها والتحدّث معها، ومكتفيةً ذاتيّاً على نحوٍ مغوٍ - فانشدَّ الرجال إليها - أضحت شقّتها في باريس نقطة تجمّع للكتّاب والفنّانين، وسرعان ما أصبحت المدام ساباتيير - كما صارت تُعرَف، بالرغم من أنّها لم تكن متزوّجة - تستضيف واحداً من أهمّ الصالونات الأدبيّة في فرنسا. كتّابٌ من أمثال غوستاف فلوبير، ألكساندر دوماس الأكبر سنّاً، وثيوفيل جوتيير كانوا من بين زوّارها النظاميّين.

الإهمالات، الإنكارات، الانحرافات، الخدع، الإلهاءات، والتواضع كلّها تستهدف إثارة هذه الحالة الثانية، التي هي سرّ الإغواء الحقيقي. قد يسير الإغواء المبتذل من خلال الإصرار، لكنّ الإغواء الحقيقي ينبثق من خلال الغياب... إنّه مثل المسايفة: المرء يحتاج إلى مجال كي يقوم بالهجوم المضلّل. طوال هذه المدّة، فإنّ المغوي [جوهانز]، وبعيداً عن السعي وراء الإطباق عليها،

قرابة نهاية عام 1852، عندما كانت في الثلاثين من عمرها، تلقّت المدام ساباتيير رسالةً مجهولة المصدر. اعترف كاتبها بأنّه كان يحبّها بعمق. وبالرغم من أنّه لن يكشف اسمه خوفاً من أن تجد عواطفه سخيفةً، إلّا أنّه كان عليه أن يدعها تعرف أنّه كان يهيم بها. كانت ساباتيير معتادةً على مبادراتٍ تودّديّة كهذه - فقد وقع الرجال في حبّها واحداً تلو الآخر - لكن هذه الرسالة كانت مختلفة: فيبدو أنّها قد ألهبت في هذا الرجل شغفاً متّقداً شبه دينيّ. الرسالة، المكتوبة بخطّ يدٍ مُموّه، تضمّنت قصيدةً مهداةً لها؛ تحت عنوان «إلى من هي كثيرة المرح»، تبدأ القصيدة بتمجيد جمالها، لكن تنتهي بالأسطر التالية:

وهكذا، ذات ليلةٍ، أردت أن أتسلّل،

عندما يقرع ناقوس الليل ساعة اللذة،

كلصٌّ جبان، (يتّجه) نحو الكنز
الذي هو شخصك، ريّانة وملساء....
و، أكثرُ بهجةٍ تُصيبُ بالدوار!
هي الدنوّ من تلك الشفتين وتقبيلهما، اللتين تصعقان للغاية بعذوبتهما
ويصبح يوماً بعد يوم أحبّ إلى ولوعي -
أن أنفث سمّ حقدي.

من الواضح أنّ هيام معجبها خالطه نوعٌ غريبٌ من الشبق الذي تحدوه لمسةٌ من الوحشيّة. القصيدة أسَرَت اهتمامها وأزعجتها على حدٍّ سواء - فلم يكن لديها أدنى فكرة عن هويّة كاتبها.

وصلت رسالةٌ أخرى بعد عدّة أسابيع. كما في السابق، فقد غلّف الكاتب ساباتيير بإعجابٍ يقارب العبادة، مازجاً المادّي مع المعنوي أو الروحي. وكما في السابق، كان هنالك قصيدة، «الكلّ في شيءٍ واحد»، كتب فيها:

لا يمكن لجمالٍ أن يكون الأجمل لوحده،
نظراً لأنّها مجرّد زهرةٍ واحدةٍ من السماء -
آه ياللتحوّل الغامض والملغز!
فقد فاضت كلّ حواسّي في إحساسٍ واحد -
صوتها ينشر شذا عندما تتكلّم،
أنفاسها بمثابة موسيقى خافتة وضعيفة!

من الواضح أنّ الكاتب كانت تنتابه صورة ساباتيير، وأنّه كان يفكّر فيها باستمرار - أمّا الآن فقد صار هو من ينتابها، حيث أنّها صارت تفكّر فيه ليل نهار، وتتساءل في تعجّب من تُراه يكون. رسائله اللاحقة لم تؤدِّ إلّا إلى تعميق السحر. من المطري أن تسمع أنّه كان مفتوناً بما هو أكثر من جمالها، ومع ذلك فقد كان من المطري أيضاً أن تعلم أنّه لم يكن منيعاً أمام مفاتنها الجسديّة.

يحاول الحفاظ على مسافته من خلال حيلٍ متعدّدة: لا يتكلّم معها مباشرةً وإنّما فقط مع عمّتها، وفي مسائل تافهة وغبيّة؛ ويحيّد كلّ شيءٍ من خلال السخرية والحذلقة المتصنّعة؛ يتوانى عن الاستجابة لأيّ حركة أنثويّة أو جنسيّة، وحتّى يجد لها طالب يدٍ هزليّ لكي يُفقدها الاهتمام ويخدعها، إلى المرحلة التي تقوم فيها هي نفسها بأخذ زمام المبادرة وتفسخ الخطوبة، مكملةً الإغواء بالتالي وخالقةً الوضع المثالي لانغماسها الكامل في الملذّات.

- جان بودريلار، *الإغواء*، ترجمة براين سينغر

سرت الشائعة في كلّ مكان. بل وحتّى أُخبِرت للملكة [جوينيفر]، التي

خطرت فكرةٌ ذات يوم ببال المدام ساباتيير فيما يتعلّق بمن قد يكون الكاتب: شاعرٌ شاب كان قد تردّد على صالونها لعدّة سنوات، شارل بودلير. بدا خجولاً، وفي الواقع كان بالكاد قد تكلّم إليها، لكنّها كانت قد قرأت بعضاً من شعره، وبالرغم من أنّ الأشعار في الرسائل كانت مصقولةً أكثر، إلّا أنّ الأسلوب كان مشابهاً. في شقّتها كان بودلير يجلس دائماً بأدبٍ في أحد الزوايا، لكن أمّا وأنّها فكّرت بالموضوع، فقد لاحظت أنّه صار يبتسم لها بغرابة وعصبيّة. لقد كانت نظرة شابٍّ مغرم. أخذت الآن تراقبه بدقّة عندما كان يزورها، وكلّما شاهدته، ازدادت تأكّداً بأنّه كان الكاتب، لكنّها لم تتيقّن أبداً من حدسها، لأنّها لم تُرد مواجهته ـ قد يكون خجولاً، لكنّه رجل، وفي مرحلةٍ معيّنة كان هو من يجب أن يأتي إليها. وكانت واثقةً من أنّه كان سيأتي. بعدئذٍ، توقّفت الرسائل فجأةً عن القدوم ـ ولم تستطع المدام ساباتيير أن تفهم السبب، وخاصّةً أنّ الرسالة الأخيرة كانت أكثر هياماً من كلّ سابقاتها.

كانت تجلس على العشاء. كادت أن تقتل نفسها عندما سمعت الشائعة المغرضة عن موت لانسلوت. ظنّت أنّها كانت صحيحة وانزعجت بصورةٍ عظيمة إلى درجة أنّها بالكاد كانت قادرةً على التكلّم... هبّت دفعةً واحدة من على الطاولة، واستطاعت أن تنفّس عن أساها دون أن يلاحظها أو يسمعها أحد. كانت ممسوسةً للغاية بفكرة قتل نفسها إلى درجة أنّها قبضت عدّة مرّات على حنجرتها. ومع ذلك فقد تابت فور اعترافها بما يمليه الضمير، وطلبت مغفرة الله؛ واتّهمت نفسها بأنّها أخطأت بحقّ من علمت أنّه كان دائماً مخلصاً لها، ومن كان سيظلّ كذلك، لو كان حيّاً... عدّت كل الفظاظات وتذكّرت كلّ فظاظةٍ بعينها؛

مضت عدّة سنين دون قدوم أيّة رسالة، وغالباً ما كانت تفكّر خلال هذه السنين برسائل معجبها مجهول الاسم. في عام 1857، على أيّة حال، نشر بودلير ديوان شعر تحت عنوان *زهور الشر*، وميّزت المدام ساباتيير عدّة أبيات ـ لقد كانت الأبيات التي كُتِبَت لها، والتي أصبحت الآن منشورةً على الملأ ليراها الجميع. بعد ذلك بفترة قصيرة أرسل الشاعر لها هديّةً: نسخةٌ من الكتاب مُجلّدة خصّيصاً لها، ورسالةٌ ممهورةٌ باسمه هذه المرّة. أجل، لقد كتب لها، لقد كان هو الكاتب مجهول الاسم ـ هلاّ سامحته لكونه كان شديد الغموض في الماضي؟ عدا عن ذلك، فقد كانت مشاعره تجاهها قويّةً كطول عهدها: «أنت لم تفكّري للحظة واحدة أنّني قد أكون نسيتك؟ ... أنت بالنسبة لي أكثر من صورةٍ عزيزةٍ تحضر أحلامي، أنت خرافتي ... رفيقتي الدائمة، سرّي! وداعاً، أيّتها المدام العزيزة. أقبّل يديك بإخلاصٍ عميق.»

كان لهذه الرسالة أثرٌ أقوى على المدام ساباتيير ممّا كان لدى الأخريات. لعلّ السبب كان صدقه الشبيه بصدق الأطفال، وحقيقة أنّه كان أخيراً قد كتب لها مباشرةً، لعلّ السبب كان أنّه أحبّها لكن دون أن يطلب

ولاحظت بعناية كلّ واحدةٍ منها، وكررت: «يا للتعاسة! بماذا كنت أفكّر عندما مَثُل حبيبي أمامي ولم أتنازل بالترحيب به، أو حتّى أهتم بأن أستمع له! ألم أكن حمقاء بأن أرفض التكلّم معه أو حتّى النظر إليه؟ حمقاء؟ لا، ساعدني يا إلهي، لقد كنت قاسيةً ومخادعة! ... أعتقد بأنّني لوحدي كنتُ من وجّه إليه تلك الضربة القاتلة. عندما مَثُل أمامي متوقّعاً منّي أن أستقبله بفرح في حين أنّني اجتنبته ولم أنظر إليه أبداً حتّى، ألم تكن هذه ضربة قاتلة؟ في تلك اللحظة، عندما رفضت أن أتكلّم، أعتقد أنّني مزّقت كلاً من قلبه وحياته. أعتقد أنّ ما قتله هو تلك الضربتان وليس أيّة قتلة مأجورين.» • «آه يا إلهي! هل ستُغفَر لي هذه

شيئاً منها، وذلك على خلاف الرجال الآخرين الذين عرفتهم والذين اتّضح دائماً في مرحلةٍ ما أنّهم كانوا يريدون شيئاً. أيّاً يكن السبب، فقد كان لديها رغبةٌ لا يمكن التحكّم بها برؤيته. في اليوم التالي دعته إلى شقّتها، لوحده. ظهر بودلير في الساعة المحدّدة. جلس في مقعده بعصبيّة، وهو يحدّق إليها بعينيه الكبيرتين، ودون أن يقول سوى القليل، وما قاله كان بإطار الرسميّة والتهذيب. بدا متحفّظاً وغير مبدٍ لاهتمامٍ أو عطف. بعد أن غادر فقد استولى نوعٌ من الهلع على المدام ساباتيير، وفي اليوم التالي كتبت له أوّل رسالةٍ تقوم هي بكتابتها: «اليوم أنا أكثر هدوءاً، وأستطيع الشعور على نحوٍ أكثر وضوحاً بالانطباع الذي ولّدته أمسية الثلاثاء التي أمضيناها معاً. أستطيع أن أخبرك، دون أن أواجه احتمال اعتقادك بأنّي أبالغ، بأنّني أسعد امرأةٍ على وجه الأرض، وأنّني لم أشعر أبداً بأنّني أحبّك بشكلٍ أكثر صدقاً (ممّا أحبّك الآن)، وأنّني لم أرك أبداً أجمل، أو أجدر بأن تُحَبّ وتُعبَد (ممّا أنت الآن)، يا صديقي الرائع جدّاً!»

لم تكن المدام ساباتيير قد كتبت أبداً مثل هذه الرسالة؛ فقد كانت دائماً من يُطارَد. الآن كانت قد خسرت تمالكها المعهود لنفسها. والأمر لم يزدد إلّا تفاقماً: إذ أنّ بودلير لم يجب حالاً. عندما رأته بعد ذلك، كان أكثر بروداً من قبل. راودها الشعور بأنّه كان هنالك شخصٌ آخر، بأنّ عشيقته السابقة، جيان دوڤال، قد عاودت الظهور في حياته فجأةً وأنّها كانت تأخذه منها. ذات ليلةٍ تصرّفت بطريقةٍ هجوميّة، فعانقته، وحاولت أن تقبّله، إلّا أنّه لم يستجب، وسرعان ما وجد عذراً للمغادرة. لماذا صار فجأةً متعذّر البلوغ إليه والتأثير فيه؟ بدأت تغمره بالرسائل، متوسّلةً إيّاه كي يأتي لعندها. لم تقدر على النوم وصارت تنتظر ظهوره الليل بطوله. لم تكن قد اختبرت أبداً يأساً كهذا. بطريقةٍ أو بأخرى كان عليها أن تغويه، تتملّكه، وتحصل عليه كلّه لنفسها. حاولت كلّ شيء - الرسائل، الغنج، جميع أنواع الوعود - إلى أن كتب أخيراً أنّه لم يَعُد يحبّها والسلام.

التفسير. كان بودلير مغوياً فكريّاً. أراد أن يقهر المدام ساباتيير ويربكها

بالكلمات، وأن يسيطر على أفكارها، وأن يجعلها تقع في حبّه. من الناحية الجسمانيّة، كان يعلم، أنّه لم يكن بمقدوره التنافس مع معجبيها العديدين الآخرين ـ فقد كان خجولاً، مرتبكاً، وليس وسيماً بصورةٍ خاصّة. لذا لجأ إلى نقطة قوّته الوحيدة وهي الشعر. إقلاق راحتها بالرسائل مجهولة المصدر أسبغ عليه إثارةً مشاكسة. لا بدّ أنّه كان يعلم أنّها ستدرك، في آخر المطاف، أنّه هو كان من يرسل لها الرسائل ـ فلم يكن أحدٌ يكتب مثله ـ لكنّه أرادها أن تتوصّل إلى هذا لوحدها. توقّف عن الكتابة لها لأنّه كان قد أضحى مهتمّاً بشخصٍ آخر، لكنّه علم أنّها ستظلّ تفكّر به، تتعجّب، وربّما تنتظره. وعندما نشر كتابه، قرّر أن يكتب لها مجدّداً، لكن بشكلٍ مباشر هذه المرّة، فيثير السمّ القديم الذي كان قد حقنها به. عندما كانا لوحدهما، كان يستطيع أن يلاحظ أنّها كانت تنتظر منه القيام بشيء، أن يمسك بها (بين ذراعيه)، لكنّه لم يكن من ذاك النوع من المغوين. إضافةً إلى ذلك، فقد كان ممّا يمنحه المتعة أن يتحفّظ ويحجم، وأن يحسّ بسلطانه على امرأةٍ كان يشتهيها الكثيرون. عندما تحوّلت إلى الجانب المادّي والهجومي، كان الإغواء قد انتهى بالنسبة إليه. جعلها تقع في حبّه؛ وذلك كان كافياً.

الأثر المدمّر لجذب وصدّ بودلير على المدام ساباتيير يعطينا درساً رائعاً في الإغواء. أوّلاً، من الأفضل دائماً أن تبقي على بعض المسافة الفاصلة ما بينك وبين أهدافك. ليس لزاماً عليك أن تشتطّ في هذا لدرجة بقائك مجهول الاسم، لكنّك لا يجب أن تُشاهد أكثر من اللازم، أو أن يُنظَر إليك كمتطفّل. إذا كنت دائماً في وجههم، ودائماً من يقوم بالهجوم، فسيصبحون معتادين على كونهم منفعلين، وسيضعف التوتّر في إغوائك. استخدم الرسائل لجعلهم يفكّرون بك طوال الوقت، لتغذّي مخيّلتهم. شجّع الغموض ـ لا تدعهم يتصوّرونك. كانت رسائل بودلير ملتبسةً بشكلٍ سارّ، إذ تجمع ما بين الجانب المادّي والجانب المعنوي، فتغيظ ساباتيير بتعدّديّة التفاسير الممكنة.

بعدئذٍ في المرحلة التي يمتلئون فيها بالرغبة والاهتمام، عندما قد يتوقّعون منك أن تقوم بالخطوة ـ كما توقّعت المدام ساباتيير ذلك اليوم في شقّتها ـ إرجع خطوةً إلى الخلف. أنت بعيدٌ (متحفّظ) على نحوٍ غير متوقّع،

الجريمة، هذه الخطيئة؟ أبداً! ستجفّ كلّ الأنهر والبحار قبل ذلك! آه، يا للأسى! كم كان ذلك سيجلب لي العزاء والشفاء لو أنّني حضنته بين ذراعيّ لمرّة واحدة قبل أن يموت. كم؟ نعم، عاريةً تماماً بجانبه، من أجل أن أستمتع به بشكلٍ كامل...»

• ... عندما قدموا في ستّ أو سبع فرق إلى القلعة التي كان يقيم فيها الملك بادماجو، فقد وردت إليه أنباءٌ سارّة عن لانسلوت ـ أنباءٌ تُسرّ لسماعها؛ لانسلوت كان حيّاً وسيعود، سليماً معافى. تصترف بشكلٍ لائقٍ جدّاً في ذهابه لإعلام الملكة. «أيها السيّد المحترم،» أخبرته، «إنّني أصدّق الخبر، بما أنّك من أخبرني به. لكنّه لو كان ميّتاً، فإنّي أؤكّد لك أنّني لن أكون سعيدةً ما حييت.» • ... حظي

ودود لكن لا شيء أكثر من ذلك ـ وبالتأكيد لست جنسيّاً. دع ذلك يتغلغل ليوم أو اثنين. سيطلق انسحابك شرارة القلق؛ والسبيل الوحيد لتلطيف هذا القلق يكون من خلال مطاردتك وتملّكك. تراجع الآن وستجعل أهدافك تسقط بين ذراعيك كثمرةٍ يانعة، وهم عميانٌ عن قوّة الجاذبيّة التي تشدّهم إليك. بقدر ما تزداد مشاركتهم، بقدر ما تنخرط قوّة إرادتهم، ويزداد التأثير الشهواني عمقاً. لقد تحدّيتهم ليستخدموا قواهم الإغوائيّة الخاصّة عليك، وعندما يستجيبون، ستنعكس الآية وسيطاردونك بطاقةٍ مستميتة.

لانسلوت الآن بجميع أمنياته: الملكة سعت برغبةٍ وراء صحبته وحبه بينما كان يطوّقها بذراعيه وهي تطوّقه بذراعيها. لعبة ـ حبّها، بما فيها من قبلات وعناقات، بدت بالنسبة له رقيقةً وملائمةً للغاية، أو بالأحرى فإنّ كليهما شعر في الحقيقة بفرحٍ وروعةٍ لم يكن أحدٌ قد عرف مثيلهما أو سمع به. لكنّني سأتركه يظلّ سرّاً إلى الأبد، نظراً لأنه لن يُكتب عنه: إنّ أفضل متعةٍ وأكثرها إبهاجاً هي تلك التي يُلمَع إليها، لكن دون أن يُصَرح بها.

ـ كريتيان دي تروي، *الغراميّات الآرثريّة*، ترجمة ويليام دابليو. كيبلر

أنا أتراجع وهكذا أعلّمها أن تشعر بأنّها المنتصرة بمطاردتي. أنسحب باستمرار، وبهذه الحركة العكسيّة أعلّمها أن تعرف من خلالي كلّ قوى الحب الجنسي، أفكاره الهائجة، شغفه، ماهيّة التوق، والترقّب النافد الصبر.

ـ سورين كيركيجارد

المفاتيح للإغواء

بما أنّ البشر هم مخلوقاتٌ عنيدة ومتصلّبة، وميّالةٌ للشك بدوافع الناس، فإنّ مقاومة الهدف لك بطريقةٍ أو بأخرى، خلال سير أي إغواء، هي أمرٌ لا يعدو عن كونه طبيعيّاً. فالإغواءات إذن نادراً ما تكون يسيرةً أو بدون عقبات. لكن ما إن تتخطّى ضحاياك بعضاً من شكوكهم، ويبدؤون بالوقوع تحت سحرك، حتّى يصلوا إلى نقطةٍ حيث يبدؤون بإطلاق العنان لأنفسهم. قد يحسّون بأنّك تقودهم على طول الخطّ، لكنّهم يستمتعون بذلك. لا أحد يحبّ أن تصبح الأمور معقّدةً وصعبة، وهدفك يتوقّع أن يحين الختام بسرعة. لكن تلك هي النقطة التي يجب أن تمرّن نفسك عندها على أن تحجم وتتكفئ. إمنح الذروة الممتعة التي ينتظرونها على أحرّ من الجمر، استسلم للميل الطبيعي لإيصال الإغواء إلى نهاية سريعة، وستكون قد فوّتّ فرصة أن تزيد تدريجيّاً من حدّة التوتّر، وأن تجعل العلاقة أكثر سخونةً. ففي النهاية أنت لا تريد ضحيّةً صغيرةً منفعلة لتلعب بها؛ بل تريد المَغويّين أن

في بعض الأحيان كان ميّالاً إلى الأمور الفكريّة إلى درجةٍ

ينخرطوا بكامل قوّة إرادتهم، وأن يصبحوا مشاركين فعّالين في الإغواء. أنت تريدهم أن يطاردوك، الأمر الذي يؤدّي بهم في آخر المطاف إلى إيقاع أنفسم في شرك حبالك على نحوٍ لا فكاك منه. السبيل الوحيد لإنجاز هذا يكون من خلال أخذ خطوةٍ إلى الوراء وجعلهم قلقين.

كنت قد تراجعت بشكلٍ استراتيجيّ في السابق (إنظر الفصل 12)، لكنّ هذا مختلف. فالهدف الآن يبدأ بالوقوع في حبّك، وسيؤدّي انسحابك إلى أفكارٍ مرتاعة: أنت تفقد الاهتمام، هذا خطئي بطريقةٍ أو بأخرى، لعلّه شيءٌ كنت قد ارتكبته. إنّ أهدافك سيريدون القيام بتأويلٍ كهذا بدلاً من أن يفكّروا بأنّك ترفضهم لأسبابك الخاصّة، بما أنّه إذا كان سبب المشكلة هو شيءٌ ارتكبوه، فستكون لهم القدرة على استعادتك من خلال تغيير سلوكهم. إذا كنت من ناحيةٍ أخرى ترفضهم وحسب، فلن يكون لديهم تحكّمٌ على الأمر. الناس يريدون دائماً أن يحتفظوا بالأمل. الآن سيأتون إليك، ويتحوّلون إلى الهجوم، اعتقاداً منهم بأنّ هذا سيؤدّي الغرض. سيرفعون الحرارة الشهوانيّة. إفهم: قوّة إرادة الأشخاص مرتبطة مباشرةً مع الليبيدو الذي لديهم، ومع شهوتهم الجنسيّة. عندما تكون ضحاياك منتظرةً إيّاك بشكلٍ سلبيّ، فإنّ مستوى شهوتهم الجنسيّة يكون ضعيفاً. عندما يتحوّلون إلى دور المُطارد، وينخرطون في العمليّة، ويطفحون بالتوتّر واللهفة، فسترتفع الحرارة. لذا إرفعها قدر ما تستطيع.

عندما تنسحب، إفعل ذلك بطريقةٍ حاذقة وخفيّة؛ كي تغرس الاستياء والتململ. برودك أو بعدك يجب أن يتّضح لأهدافك عندما يكونون لوحدهم، ويبزغ على شكل شكٍّ سامٍّ يتسلّل إلى عقولهم. حالة البارانويا (جنون الارتياب) التي تصيبهم ستضحي مولّدةً لنفسها بنفسها. خطوتك الخفيّة إلى الخلف ستجعلهم يرغبون بامتلاكك، لذا فسيندفعون طواعيّةً إلى ذراعيك دون أن يدفع بهم أحد. هذه الاستراتيجيّة مختلفة عن استراتيجيّة الفصل 20، التي تنزل بموجبها أو من خلالها جراحاً عميقة، فتخلق نمطاً من الألم واللذة. الهدف هناك هو أن تجعل ضحاياك ضعيفةً ومعتمدة، أمّا هنا فهو أن تجعلهم فاعلين وهجوميّين. أيّ الاستراتيجيّتين تفضّل أن تستخدم (لا يمكن جمع الإثنين) هو أمرٌ يعتمد على ما تريد وعلى ميول ضحيّتك.

شعرت معها بأنّني انمحقت كامرأة؛ في أحيانٍ أخرى كان جامحاً، ومشتهياً إلى درجةٍ كدت معها أن أرتعد أمامه. في بعض الأوقات كنت مثل غريبةٍ بالنسبة له؛ في أحيانٍ أخرى كان يستسلم بالكامل. بعدئذٍ عندما رميت بذراعي نحوه، تغيّر كلّ شيء، إذ عانقت غيمةً.

ـ كورديليا تصف جوهانز، في *يوميّات مغوي* لسورين كيركيجارد، ترجمة هاورد ڤي. هونغ وإدنا ڤي. هونغ

إنّه لأمرٌ حقيقيّ أنّنا لا نستطيع أن نحبّ إن لم يكن لدينا ذكرى ـ وفي الدرجة الأولى ذكرى غير واعية ـ بأنّنا كنّا محبوبين ذات مرّة. لكنّنا لا نستطيع أن نحبّ إن لم يخامر

في *يوميّات مغوي* لسورين كيركيجارد، فإنّ جوهانز يستهدف إغواء كورديليا اليافعة والجميلة. يبدأ بكونه ميّالاً في علاقته معها إلى الأمور الفكريّة، ويأسر اهتمامها ببطء. بعد ذلك يرسل لها رسائل تتّسم بالرومانسيّة والإغواء. الآن يُزهِر افتتانها حبّاً. بالرغم من أنّه يبقى بعيداً نوعاً ما على المستوى الشخصي، إلّا أنّها تستشعر أنّ فيه أغواراً عميقةً جدّاً وتكون متأكّدةً من أنّه يحبّها. ثمّ ذات يوم، بينما كانا يتحدّثان، راود كورديليا شعورٌ غريب: كان فيه شيءٌ مختلف. فقد بدا مهتمّاً بالأفكار أكثر منه بها. خلال الأيّام القليلة التي تلت، ازدادت شكوكها قوّةً - فالرسائل اتّسمت بقدرٍ أقلّ من الرومانسيّة، شيءٌ ما كان مفقوداً. نتيجةً لشعورها بالقلق فقد تحوّلت بالتدريج إلى الهجوميّة، فأصبحت المُطارِدة بدلاً من المُطارَدة. أصبح الإغواء الآن أكثر إثارةً بكثير، أقلّه بالنسبة إلى جوهانز.

كانت خطوة جوهانز التراجعيّة خفيّة؛ فهو يعطي كورديليا الانطباع بأنّ اهتمامه أقلّ رومانسيّةً بقليل من اليوم السابق، لا أكثر. يعود لكونه المفكّر. هذا يثير الفكرة المقلقة بأنّ جمالها وفتنتها الطبيعيّين لا يعودان يتمتّعان بذلك التأثير عليه. عليها أن تحاول بجهدٍ أكبر، أن تثيره جنسيّاً، وتثبت لنفسها أنّ لديها بعض السلطان عليه. هي تطفح الآن بالرغبة الجنسيّة، وما أوصلها إلى هذه النقطة كان تنصّل جوهانز الخفي من عاطفته.

لكلّ جنسٍ جاذبيّته الخاصّة والتي تتأتّى له بشكلٍ طبيعيّ. عندما تبدو مهتمّاً بشخصٍ ما لكن دون أن تستجيب جنسيّاً، فإنّ هذا يكون مزعجاً، ويقدّم تحدّياً: سوف يجدون وسيلةً لإغوائك. لكي تحدث هذا الأثر، عليك أوّلاً أن تُظهِر اهتماماً بأهدافك، من خلال الرسائل أو الإيحاء الخفي. لكن اتّخذ نوعاً من الحياديّة معدومة الجنس عندما تكون في حضرتهم. كن ودوداً، وحتّى دافئاً، لكن لا أكثر. أنت تدفعهم لتسليح أنفسهم بالمفاتن الإغوائيّة المتأتّية فطريّاً بالنسبة لجنسهم - هذا بالضبط ما تريده.

في المراحل الأخيرة من الإغواء، دع أهدافك تحسّ بأنّك مهتمٌّ بشخصٍ آخر - هذا شكلٌ آخر من أخذ خطوةٍ إلى الخلف. عندما التقى نابوليون بونابرت لأوّل مرّة بالأرملة الشابّة جوزفين دي بوهارنياس في

الشك في بعض الأحيان هذا الشعور بأنّنا محبوبون؛ أي إذا كنّا متأكّدين دائماً منه. بعبارةٍ أخرى، فإنّ الحبّ لن يكون ممكناً دون أن يكون الشخص محبوباً ومن ثمّ افتقاده للتأكّد من كونه محبوباً... • حاجة الشخص لأن يُحَبّ ليست حاجةً أوّلية. إنّ هذه الحاجة بالتأكيد مكتسبة من خلال التجربة في المراحل اللاحقة من الطفولة. من الأفضل أن نقول: من خلال تجاربٍ عديدة أو من خلال تكرار تجارب متشابهة. أعتقد أنّ هذه التجارب هي ذات طبيعةٍ سلبيّة. يصبح الطفل مدركاً بأنّه غير محبوب أو أن حبّ أمّه غير مشروط. يتعلّم الطفل أنّ أمّه يمكن أن تصبح غير راضيةٍ عليه، أنّها يمكن أن تمنع عنه حبها إن لم يتصرّف كما تريد،

عام 1795، كان متحمّساً بسبب جمالها الفريد والنظرات التي منحته إيّاها. بدأ بارتياد سهراتها الأسبوعيّة، حيث كانت تتجاهل الرجال الآخرين وتلزم جانبه وهي تصغي إليه بشكلٍ شديد التيقّظ، الأمر الذي أسرّه. وجد نفسه وقد أخذ في الوقوع في حبّ جوزفين، وكان لديه جميع الأسباب التي تدفعه للاعتقاد بأنّها شعرت بنفس الشعور.

بعدئذٍ، في أحد السهرات، كانت ودودةً ومجاملة، كعادتها ـ باستثناء أنّها كانت ودودةً بنفس القدر مع رجلٍ آخر هناك، أرستقراطيٍّ سابق، كجوزفين، أي من صنف الرجال الذي لا يمكن لنابوليون أبداً أن يتنافس معه عندما يتعلّق الأمر بالسلوك وخفّة الدّم. بدأت الشكوك والغيرة تعتمل في داخله. كرجلٍ عسكريٍّ، كان يعلم أهميّة القيام بالهجوم، وبعد عدّة أسابيع من حملةٍ خاطفة وعدوانيّة ظفر بها بالكامل لنفسه، متزوّجاً إيّاها في آخر المطاف. بالطبع كانت جوزفين، المغوية الذكيّة، قد رتّبت الأمر برمّته. لم تقل أنّها كانت مهتمّةً برجلٍ آخر، لكنّ مجرّد حضوره في منزلها، نظرةٌ هنا ونظرةٌ هناك، وإيماءاتٌ خفيّة، جعل الأمر يبدو كذلك. لا يوجد طريقةٌ أفضل لتلمّح إلى أنّك تفقد اهتمامك. إذا جعلت اهتمامك بالآخر واضحاً أكثر من اللزوم، فقد تحصل، بالرغم من ذلك، على نتائج عكسيّة. ليس هذا هو الموقف الذي تريد أن تبدو فيه قاسياً؛ الشك والقلق هما الآثار التي تسعى وراءها. إجعل إهتمامك المُحتمل بالآخر بالكاد يكون ملحوظاً للعين المجرّدة.

ما إن يُتيّم بك الشخص الآخر، حتّى يخلق أيّ غيابٍ ماديّ الاستياء والاضطراب. كانت المغوية الروسيّة لو آندرياس ـ سالوم تتمتّع بحضورٍ قويّ؛ عندما كان يجلس رجلٌ معها، فإنّه كان يشعر بأنّ عينيها تخترقانه، وغالباً ما يصبح مسلوب اللب نتيجة أساليبها وروحها المغناجيّة. لكن عندئذٍ، وبشكلٍ شبه دائم، يطرأ شيءٌ ما ـ كأن يتوجّب عليها مغادرة البلدة لفترة من الزمن، أو تنشغل لدرجةٍ لاتعود معها قادرةً على رؤيته. لقد كانت غياباتها هي الفترة التي يقع خلالها الرجال في حبّها على نحوٍ يائس، ويأخذون على نفسهم عهداً بأن يكونوا أكثر هجوميّةً في المرّة القادمة التي سيكونون فيها معها. غياباتك في هذه المرحلة الختاميّة من الإغواء يجب أن تبدو على الأقل

أنّها يمكنها أن تكون غاضبةً أو مقطّبة الجبين. أعتقد أنّ هذه التجربة توقظ مشاعر بالحصر والقلق لدى الطفل. إنّ إمكانيّة خسارة حبّ أمّه تضرب الولد بالتأكيد بقوّةٍ لا تقلّ عن قوّة الزلزال... • الطفل الذي يختبر سخط أمّه والسحب الظاهريّ للحبّ يتفاعل في بادئ الأمر مع هذا التهديد بخوف. يحاول أن يستعيد ما يبدو أنّه ضاع من خلال التعبير عن الخصومة والعدائيّة.... التغيّر في شخصيّته يحدث فقط بعد الإخفاق؛ عندما يدرك الطفل أنّ الجهد المبذول عبارة عن إخفاق. والآن يحدث شيءٌ في غايةّ الغرابة، شيءٌ دخيلٌ على تفكيرنا الواعي غير أنّه قريبٌ جدّاً للطريقة الطفوليّة. بدلاً من الإمساك بالشيء بطريقةٍ مباشرة

وتملكه بطريقةٍ عدائية، فإنّ الطفل يتماهى مع الشيء كما كان من قبل. يفعل الطفل نفس الشيء الذي كانت أمه تفعله له في ذلك الوقت السعيد الذي انقضى. تكشف العملية الكثير من الحقائق لأنها تشكّل نمط الحبّ بالإجمال. يظهر الطفل إذن من خلال سلوكه الخاصّ ما يريد من أمه أن تفعل له، وكيف يجب أن تتصرّف إزاءه. يصترح عن هذه الأمنية من خلال عرض حنانه وحبه إزاء أمه التي منحته إياهما قبلاً. إنها محاولةٌ لتخطّي اليأس والإحساس بالفقدان من خلال أخذ دور الأم. يحاول الصبي أن يوضّح ما يريد من خلال القيام به بنفسه: إنظري، أريدك أن تتصرّفي نحوي بهذا الشكل، أن تكوني حنونةً

مبرّرةً بعض الشيء. فأنت لا تدسّ برفضٍ فظٍّ ووقح وإنّما بشكٍّ طفيف: لعلّه كان يمكنك أن تجد سبباً لتبقى، لعلّك فقدت الاهتمام، لربّما يوجد هنالك شخصٌ آخر. في غيابك، سيتنامى تقديرهم لك. سينسون نقائصك، ويغفرون لك ذنوبك. في اللحظة التي تعود فيها، سوف يطاردونك كما تشتهي. سيكون الأمر كما لو أنّك عدت من بين الأموات.

تبعاً لعالم النفس ثيودور رايك، فإنّنا لا نتعلّم الحبّ إلّا من خلال الرفض. كرُضّع، يُغدَق علينا الحبّ من قبل أمّهاتنا ـ لا نعرف شيئاً آخر. لكن عندما نتقدّم قليلاً بالسن، فإنّنا نبدأ نحسّ بأنّ حبّها ليس غير مشروط. فإذا لم نسلك سلوكاً حسناً، وإذا لم نرضها، فإنّه بإمكانها أن تسحبه. فكرة أنّها ستسحب حبّها وعاطفتها تملؤنا بالقلق، وبدايةً، بالغضب ـ سوف نريها، سنلقي بنوبة غضبٍ طفوليّة. لكنّ ذلك لا يؤدّي الغرض المطلوب أبداً، فندرك ببطء أنّ الوسيلة الوحيدة للحؤول بها دون أن ترفضنا مجدّداً هي أن نقلّدها ـ أن نكون على نفس القدر من المحبّة واللطف والرقّة التي هي عليه. هذا سيربطها بنا كأعمق ما يكون. ينغرس النمط في نفوسنا لبقيّة حياتنا: من خلال اختبارنا للرفض أو الجفاء، نتعلّم أن نتودّد ونطارد، أن نحبّ.

أَعِد خلق هذا النمط البدائي في إغوائك. بدايةً، أَغدِق العاطفة على أهدافك. سوف لن يكونوا متأكّدين من أين يأتي هذا، لكنّه شعورٌ سارّ، ولن يريدوا أبداً أن يخسروه. عندما يزول الإغداق، من خلال خطوتك التراجعيّة الاستراتيجيّة، فسيعانون من لحظاتٍ من القلق والغضب، وربّما يلقون في وجهك بنوبة غضب، ولكن بعدئذٍ تأتي نفس ردّة الفعل الطفوليّة: الطريقة الوحيدة لاستعادتك، للحصول عليك بشكلٍ مؤكّد، تكون من خلال عكس الأسلوب، فيحاكونك، ويقومون بدور الشخص المُحِبّ والمعطاء. إنّه رعب الرفض الذي يعكس الآية.

هذا النمط غالباً ما سيكرّر نفسه بشكلٍ طبيعيّ أكان ذلك في العلاقة الغراميّة أم الجنسيّة. يتصرّف أحد الطرفين بفتور، فيطارده الآخر الذي بعدئذٍ يتصرّف بفتورٍ بدوره، جاعلاً الشخص الأوّل المُطارِد، وهكذا دواليك. كمغوٍ لا تترك هذا للصدفة. إجعله يحدث. أنت تعلّم الشخص الآخر أن

يصبح مغوياً، تماماً كما علّمت الأم بطريقتها الخاصّة الطفل أن يبادلها الحبّ من خلال تقليدها. من أجل مصلحتك الخاصّة تعلّم أن تستمتع بانقلاب الأدوار هذا. لا تَتظاهر بدور المُطارَد وحَسب، بل واستمتع به واقبل شروطه أيضاً. لذّة كونك مُطارداً من قبل ضحيتك غالباً ما يمكنها أن تفوق لذّة الاصطياد.

ومحبّةً معي إلى هذا الحدّ. من المؤكّد أنّ هذا السلوك ليس نتيجة تفكيرٍ أو تخطيطٍ منطقيّ وإنّما عمليّة تماهٍ عاطفيّ، وتبادلٌ طبيعيٌّ للأدوار يستهدف بشكلٍ غير واعٍ إغواء الأمّ نحو تحقيق أمنيته. هو يوضّح من خلال أفعاله الخاصّة كيف يريد أن يُحبّ. إنّه تمثيلٌ بدائيٌّ من خلال الانعكاس، مثالٌ عن كيفيّة عمل الشيء الذي يتمنّى أن يُعمَل من قبلها. في هذا التمثيل تعيش ذكرى الاهتمامات، الأفعال الحنونة، والربتات التحبّبيّة التي أُخِذَت ذات مرّة من الأمّ أو الأشخاص المحبين.

ـ ثيودور رايك، عن الحبّ والشهوة

الرمز: الرمّان بعد أن يُتَعَهّد
بالعناية والرعاية، يبدأ الرمان بالنضوج.
لا تقطفه أبكر من اللازم أو تحاول انتزاعه بالقوّة
عن الساق ـ فسيكون قاسياً ومرّاً دع الثمرة تنمو حتّى تصبح
ثقيلةً ومليئة بالعصير، بعد ذلك إرجع إلى الوراء ـ إذ ستسقط
لوحدها. ذلك هو التوقيت الذي يكون فيه لبّها ألذّ ما يكون.

الانقلاب

ستحين لحظاتٌ ينفجر فيها خلق المسافة (البعد) والغياب في وجهك. يمكن لغيابٍ في لحظةٍ حاسمةٍ من الإغواء أن يجعل الهدف يفقد الاهتمام بك. إنّه أيضاً يترك الكثير للصدفة ـ بينما تكون بعيداً، يمكنهم أن يجدوا شخصاً آخر من شأنه أن يصرف أفكارهم عنك. أغوت كليوباترا مارك أنتوني بسهولة، لكنّه عاد إلى روما بعد لقاءاتهم الأولى. كانت كليوباترا غامضة ومغرية، لكنّها لو تركت كثيراً من الوقت يمضي، لكان نسي مفاتنها. لذا تخلّت عن غنجها المعتاد وسعت وراءه عندما كان في أحد حملاته العسكريّة. علمت أنّه سوف يقع تحت سحرها ثانيةً ويطاردها بمجرّد رؤيته لها.

استخدم الغياب فقط عندما تكون متأكّداً من تعلّق الهدف بك، وإيّاك أن تدع الغياب يستمرّ أكثر من اللزوم. الغياب يكون أكثر فاعليّةً بكثير في المراحل الختاميّة من الإغواء. أيضاً، إيّاك أن تخلق مسافةً (فاصلة) أكثر من اللازم ـ لا تكتب بشكلٍ مفرط الندرة، لا تتصرّف بشكلٍ مفرط البرود، لا تظهر اهتماماً بشخصٍ آخر أكثر ممّا يلزم. تلك هي استراتيجيّة مزج الألم بالمتعة، المُفَصَّلة في الفصل 20، وستخلق ضحيّةً تابعةً، أو حتّى ستجعله/ها يفقد الأمل ويستسلم بالكامل. بعض الناس، أيضاً، يكونون منفعلين وسلبيّين بشكلٍ متأصّل: هم ينتظرونك كي تقوم بالخطوة الجسورة، وإذا لم تقم بها، فسوف يعتقدون بأنّك ضعيف. اللذة المتأتيّة من ضحيّةٍ كهذه تكون أقلّ من اللذّة التي ستحصل عليها من شخصٍ أكثر فاعليّة. لكنّك إذا كنت على صلةٍ مع هذا النمط، فافعل ما يلزم إذا كنت تريد أن يكون طريقك سالكاً، بعد ذلك أنهِ العلاقة وانطلق لعلاقةٍ أخرى.

22

استخدم المغريات المادية

الأهداف ذوو العقول النّشطة يكونون خطيرين:
إذا تبيّنوا حقيقة تلاعباتك ومناوراتك، فقد
يطوّرون شكوكاً. أحل برتني عقولهم للراحة، وأيقظ
حواسهم الساكنة، من خلال الجمع ما بين سلوكٍ غير
دفاعيّ وحضورٍ جنسيّ مشحون. فبينما سيماء الهدوء
وعدم الاكتراث لديك تهدّئ عقولهم وتُخفّض
ضوابطهم وموانعهم، فإنّ تلميحاتك، صوتك،
وطريقتك في المشي والكلام -
التي ترشح بالجنس والرغبة - تتغلغل في
مساماتهم، فتهيّج حواسّهم وترفع حرارتهم. إيّاك
أن تفرض الناحية الجنسية؛ عوضاً عن ذلك اعدِ
أهدافك بالحماوة، واستدرجهم نحو الشهوة.
قُدهم إلى اللحظة - أي إلى حاضرٍ مُكَثّف تذوب فيه
وتتلاشى كلّ الأخلاقيات، المحاكمات العقلية، والقلق
من المستقبل، ويستسلم الجسد للذّة.

رفع الحرارة

في عام 1889، زار أرقى مديرٍ مسرحيٍّ في نيويورك، إيرنست جورجنز، فرنسا في واحدةٍ من رحلاته الاستطلاعيّة العديدة. عُرِفَ جورجنز بنزاهته، وهي سلعة نادرة في عالم الترفيه المشبوه، وبقدرته على إيجاد مواهب تمثيليّة استثنائيّة. كان عليه أن يقضي الليلة في مارسيليا، وبينما كان يتجوّل بمحاذاة رصيف الميناء القديم، سمع صيحاتٍ متحمّسة تصدر من ملهى خاصٍّ بالطبقة العاملة، فقرّر الدخول. كانت راقصةٌ إسبانيّة تبلغ من العمر الحادية والعشرين وتُدعى كارولين أوتيرو تؤدّي رقصتها، وفي اللحظة التي وقعت فيها عينا جورجنز عليها صار شخصاً آخر. مظهرها كان مذهلاً - فقد كانت تبلغ من الطول خمسة أقدام وعشرة إنشات (178 سم)، وذات عينين سوداوين ناريّتين، وشعرٌ أسود يصل إلى عند خصرها، وجسدها ضمن الكورسيت الذي ارتدته (مشدّ نسوي للخصر والردفين) كان تماماً على شكل ساعةٍ رمليّة. لكنّ الطريقة التي رقصت بها كانت ما جعل قلبه يخفق بقوّة - كان كلّ جسدها ينبض بالحياة، ويتلوّى كحيوانٍ مُستَثارٍ جنسيّاً، أثناء أدائها لرقصة الفاندانجو. بالكاد كان رقصها احترافيّاً، لكنّها كانت مستمتعةً جدّاً بما تفعله وغايةً في العفويّة وعدم الانكباح لدرجة أنّه لم يكن شيءٌ من ذلك يهمّ. كذلك فإنّ جورجنز لم يستطع إلّا أن يلاحظ كيف كان الرجال الآخرين في الملهى يراقبونها، وهم فاغرون أفواههم.

السنة كانت 1907 والجميلة [أوتيرو]، وقتئذٍ، كانت رمزاً عالميّاً لما يناهز الإثني عشر عاماً. أُخبِرَت القصة من قبل السيّد موريس شيڤالبير. • «كنت نجماً صاعداً على وشك أن أقوم بظهوري الأوّل على مسرح فوليز. كانت أوتيرو نجمة المسرح لعدّة أسابيع وبالرغم من أنّني كنت أعرف من تكون إلّا أنّني لم أكن قد رأيتها من قبل أبداً لا على المسرح ولا خارجه.» • «كنت أمشي مسرعاً وحاني الرأس وأنا أفكّر بأشياء

بعد انتهاء العرض، ذهب جورجنز إلى الحجرة الخاصّة بتبديل الملابس ليقدّم نفسه. التمعت عينا أوتيرو بينما كان يتحدّث عن عمله في نيويورك. شعر بحرارةٍ ورعشةٍ تجتاح جسده بينما كانت تنظر إليه من الأعلى إلى

الأسفل. صوتها كان عميقاً وخشناً، ولسانها كان يتراقص باستمرار عندما كانت تردّد حرف الراء على طريقة الإسبان. أغلقت أوتيرو الباب متجاهلةً بذلك قرعات وتوسّلات المعجبين المستقتلين للتكلّم معها. قالت أنّ طريقتها في الرقص كانت طبيعيّة ـ فأمّها كانت من الغجر. وبعد ذلك ببرهةٍ قصيرة طلبت من جورجنز أن يكون مرافقها في تلك الأمسية، وبينما كان يساعدها على ارتداء سترتها، مالت نحوه (إلى الخلف) بشكلٍ طفيف كما لو أنّها فقدت توازنها. بينما كانا يتمشّيان في أرجاء المدينة، وذراعها تمسك بذراعه، كانت تهمس في أذنه بين الحين والآخر. شعر جورجنز بأنّ تحفّظه المعتاد يذوب ويتلاشى. فأمسك بها على نحوٍ أشدّ. كان رجل أسرة، ولم يكن قد فكّر أبداً بخيانة زوجته، لكنّه جاء بأوتيرو إلى غرفته في الفندق دون تفكير. بدأت بخلع بعض ثيابها ـ المعطف، القفّازات، القبّعة ـ وهذا أمرٌ طبيعيٌّ تماماً، لكنّ الطريقة التي قامت بها بذلك جعلته يفقد كلّ الضوابط والتحفّظات. جورجنز الذي كان هيّاباً ورعديداً بالشكل العادي قام بالهجوم.

في الصباح التالي قام جورجنز بتوقيع عقدٍ مربح لصالح أوتيرو ـ تلك كانت مجازفةً عظيمة، إذا ما أُخِذَ بعين الاعتبار أنّها كانت هاويةً في أفضل الأحوال. جلبها إلى باريس وعيّن لها مدرّباً مسرحيّاً من الطراز الأوّل. هُرِعَ إلى نيويورك ليغذّي الصحف بتقاريرٍ عن حسنائه الإسبانيّة الغامضة والجاهزة بالكامل لاجتياح المدينة وانتزاع حبّها. سرعان ما أخذت الصحف المنافسة تزعم بأنّها كانت كونتيسّة أندلسيّة، فتاةٌ هربت من الحرملك، أرملة شيخ وأشياء من هذا القبيل. قام بزياراتٍ متكرّرة إلى باريس ليكون معها، ناسياً بشأن أسرته، ومنفقاً عليها المال والهدايا بغير حساب.

شكّل الظهور المسرحي الأوّل لأوتيرو نجاحاً صاعقاً. كتبت مقالةٌ في جريدة *النيويورك تايمز*، «أوتيرو ترقص بانعتاق وجسمها الرشيق واللدن يبدو كجسد أفعى وهي تتلوّى بانحناءاتٍ رشيقة وسريعة.» خلال بضعة أسابيعٍ قصيرة أصبحت معبودة الجماهير في مجتمع نيويورك، وصارت تؤدّي استعراضاتها في الحفلات الخاصّة حتّى أوقاتٍ متأخّرةٍ من الليل. مَلِكُ المال ويليام ڤاندربيلت خطب ودّها من خلال المجوهرات الباهظة الثمن

شتّى، عندما رفعت ناظريّ. هناك كانت الجميلة، برفقة امرأةٍ أخرى، وهي تمشي باتّجاهي. كانت أوتيرو عندئذٍ في حوالي الأربعين من العمر ولم أكن قد بلغت العشرين بعد لكنّها ـ آه! ـ كانت غايةً في الجمال!» • «كانت طويلةً، داكنة الشعر، وذات جسمٍ رائع كبير، مثل أجسام النساء من الأيام الخوالي، وليس مثل الأجسام النحيلة لنساء اليوم.» • ابتسم شيڤالبير. • «بالطبع أنا أحبّ النساء المعاصرات أيضاً، لكن كان هنالك شيءٌ ذو سحرٍ فتّاك لدى أوتيرو. وقفنا ثلاثتنا هناك للحظةٍ أو اثنتين، دون أن نتفوّه بكلمة، وحدّقت بالجميلة التي لم تكن بمثل الصبا الذي كانت عليه يوماً وربّما لم تكن غايةً في الجمال، لكنّها كانت لاتزال امرأةً بكلّ معنى الكلمة.» • «نظرت إليّ مباشرةً،

والأمسيات على متن يخته. تنافس مليونيريّون آخرون للفت انتباهها. في هذه الأثناء كان جورجنز يسحب المال من خزينة الشركة ليشتري الهدايا لها ـ كان مستعداً لفعل أيّ شيء ليحتفظ بها، وهي مهمّةٌ كان يواجه فيها منافسة ثقيلة الوطأة. بعد عدّة أشهر، بعد أن أصبحت إختلاساته علنيّةً، كان رجلاً محطّماً. وانتحر في آخر المطاف.

رجعت أوتيرو إلى فرنسا، وصعد نجمها خلال السنوات القليلة التي تلت لتصبح المحظيّة الأشهر على الإطلاق في الحقبة الجميلة (راجع ص 320). سرت الأنباء بسرعة: ليلةٌ مع أوتيرو الجميلة (كما كانت تُعرَف الآن) كانت أكثر فاعليّةً من كلّ العقاقير المثيرة للشهوة الجنسيّة. كان لديها ميلٌ للغضب ومتطلّبة، لكنّ هذا كان مُتَوَقّعاً. أمير موناكو، آلبرت، كان رجلاً تعذّبه الشكوك حيال فحولته، شعر مثل نمرٍ لا يرتوي بعد ليلةٍ مع أوتيرو. أصبحت عشيقته. تبعته في ذلك شخصيّاتٌ ملكيّة أخرى ـ أمير ويلز، آلبرت، (الملك إدوارد السابع لاحقاً)، شاه إيران، دوق روسيا الكبير، نيكولاس. قام رجالٌ آخرون أقلّ ثروةً بإفراغ أرصدتهم المصرفيّة، وجورجنز كان مجرّد أوّل رجلٍ من سلسلة رجال دفعتهم أوتيرو إلى الانتحار.

خلال الحرب العالميّة الأولى، فاز جنديٌّ أمريكيٌّ يبلغ من العمر التاسعة والعشرين ويُدعى فريديريك بـ $ 37000 في لعبة قمارٍ (تُلعَب بنردين) دامت أربعة أيّام. ذهب في إجازته التالية إلى نيس حيث نزل في أفخم فندق. في أوّل ليلةٍ له في مطعم الفندق، استطاع تمييز أوتيرو وهي تجلس لوحدها على طاولة. رآها وهي تؤدّي عرضاً في باريس قبل عشر سنوات، فأصبح مهووساً بها. كانت الآن في قرابة الخمسين من العمر، إلّا أنّها كانت أكثر إغراءً من أيّ وقتٍ مضى. قام برشوة البعض كي يتمكّن من الجلوس على طاولتها. بالكاد استطاع التكلّم: الطريقة التي اخترقته بها عيناها، تعديلٌ بسيطٌ في قعدتها، الطريقة التي احتكّ بها جسمها بجسمه أثناء قيامها، الطريقة التي تدبّرت فيها المشي أمامه وعرض نفسها. بعد ذلك، بينما كانا يتمشّيان في طريقهما على الجادّة، مرّا بمتجر مجوهرات. مضى إلى داخله، وبعد لحظات وجد نفسه وقد رمى بـ $ 31000 ثمناً لقلادةٍ من الألماس. كانت أوتيرو له

ومن ثم التفتت إلى السيّدة التي كانت معها ـ صديقةٌ ما، على حدّ اعتقادي ـ وخاطبتها بالإنكليزيّة، التي اعتقدت بأنّني لا أفهمها. إلّا أنّني كنت أفهمها.» • «'من يكون هذا الرجل الشديد الوسامة؟' سألت أوتيرو.» • «أجابت الأخرى، 'إنّه شيڤالبير.'» • «'لديه عينان في غاية الجمال،' قالت الجميلة، وهي تنظر إليّ مباشرةً، من الأعلى إلى الأسفل.» • «وبعدها كادت أن تطرحني أرضاً بصراحتها.» • «'إنّي أتساءل فيما إذا كان يحبّ أن ينام معي. أظنّ أنّه يجب أن أسأله!' إلّا أنّها كانت أكثر فظاظةً بكثير وأكثر مباشرةً من أن تقول ذلك بأسلوبٍ ذي كياسة.» • «في تلك اللحظة كان عليّ أن أحسم أمري وعلى نحوٍ سريع بعض الشيء. اتّجهت

لثلاث ليالٍ. لم يشعر في كلّ حياته بمثل هكذا رجولة واندفاع. بعد مرور سنواتٍ من ذلك الوقت، كان لا يزال مؤمناً بأنّها تستحقّ تماماً الثمن الذي كان قد دفعه.

التفسير. بالرغم من أنّ أوتيرو الجميلة كانت جميلة، إلّا أنّ المئات من النساء كنّ أجمل منها، أو كنّ أكثر سحراً وموهبةً. لكنّ أوتيرو كانت دائماً على نارٍ مضطرمة. استطاع الرجال قراءة هذا في عينيها، وفي الطريقة التي كان يتحرّك جسمها بها، وفي العديد من الإشارات الأخرى. الحرارة التي شعّت منها إلى الخارج كانت تنبع من رغباتها الداخليّة الخاصّة: كانت لا ترتوي من الجنس. لكنّها كانت أيضاً مومساً خبيرةً وماكرة، علمت كيف تفعّل شهوانيتها بحيث تحقّق أثراً. على المسرح كانت تبعث الحياة في كلّ رجلٍ من الجمهور، وتنغمس في الرقصة. كشخصٍ كانت أكثر فتوراً، أو باردةً بشكلٍ طفيف. يحبّ الرجل أن يشعر بأنّ المرأة تتهيّج ليس بسبب أنّ لديها شهوةً لا تشبع، وإنّما بسببه؛ لذا فإنّ أوتيرو شخصنت رغبتها، مستخدمةً النظرات، واحتكاك البشرة، ونبرة صوتٍ مُتراخية ووهنة، وتعليقاتٍ راشحةً بالجنس، لتوحي بأنّ الرجل كان يرفع من حرارتها. كشفت في مذكّراتها أنّ الأمير آلبرت كان عاشقاً غايةً في العنانة. ومع ذلك فقد صدّق، من بين رجالٍ عديدين، أنّه كان هِرَقل نفسه. في الواقع فإنّ شهوانيتها كانت تنبع منها، لكنّها خلقت الوهم بأنّ الرجل كان البادئ.

المفتاح لاستدراج الهدف إلى الفصل الأخير من إغوائك لا يكون من خلال جعله واضحاً، أو أن تعلن أنّك جاهزٌ (أن تنقضّ أو يُنقَضَّ عليك). كلّ شيءٍ يجب أن يُهَيّأ، ليس بحيث يكون ملائماً للعقل الواعي، وإنّما للحواسّ. فأنت تريد الهدف أن يقرأ الدلالات من جسمك وليس من كلماتك أو أفعالك. عليك أن تجعل جسدك يتوهّج بالرغبة ـ بالنسبة للهدف. يجب أن تُقرَأ الرغبة التي لديك في عينيك، وفي رعشة صوتك، وفي ردّة فعلك عندما يتقارب جسداكما.

أنت لا تستطيع أن تمرّن جسدك على التصرّف بهذه الطريقة، لكن من

الجميلة نحوي. بدلاً من تقديم نفسي والاستسلام للعواقب، فقد تظاهرت بأنّني لم أفهم ما قالته، ودمدمت بضعة مجاملاتٍ بالفرنسيّة وانسحبت إلى غرفة الملابس الخاصّة بي.» • «استطعت رؤية الجميلة وهي تبتسم بطريقة غريبة عندما تجاوزتها؛ مثل نمرةٍ ملساء تشاهد عشاءها يفلت منها. ظننت للحظةٍ عابرةٍ أنّها قد تلتفت وتلحق بي.» • ماذا كان سيفعل شيڤالبيير لو أنّها لاحقته؟ تدلّت شفته السفلى مشكّلةً نصف التبويزة تلك، التي تعود حصراً للفرنسيّين. وبعد ذلك ابتسم ابتسامةً عريضة. • «كنت سأبطئ وأدعها تبلغني.»

ـ آرثر إتش. لويس، *أوتيرو الجميلة*

أنتِ تتوقّعين منّي بتلهّفٍ أن أرافقك /

خلال اختيار ضحيّةٍ (إنظر الفصل 1) تتمتّع بهذا التأثير عليك، فإنّ كل الدلالات سوف تتدفّق بشكلٍ طبيعي. خلال الإغواء، كان قد توجّب عليك أن تكبح نفسك، وأن تأسُر اهتمام الضحيّة وتحبطها. ستكون قد أحبطت نفسك خلال العمليّة، وبلغ الشوق فيك مداه في ذلك الحين. بمجرّد ما تشعر أنّ الهدف قد تُيِّم بك ولا يستطيع الرجوع، إترك تلك الرغبات المُحبَطة تسري في دمك كي تدفّئك وتنفخ فيك الحياة. أنت لست مضطرّاً لأن تلمس هدفك، أو تتحرّش به. كما فهمت أوتيرو الجميلة، فإنّ الرغبة الجنسيّة مُعدِية. سيلتقطون حرارتك ويتوهّجون بدورهم. دعهم يقومون بالخطوة الأولى. هذا سيخفي ما قمت به من مناورات. الخطوة الثانية والثالثة لك.

*هجّئ كلمة **الجنس** بحروفٍ كبيرة عندما تتحدّث عن أوتيرو. فهي تنضح به.*

- موريس شيڤالبير

تخفيض الموانع

ذات يومٍ من عام 1931، في قريةٍ في غينيا الجديدة، وصلت أخبارٌ طيّبة إلى مسمع فتاةٍ يافعة تُدعى توبرسيلاي: أبوها، آمان، الذي كان قد غادر قبل عدّة أشهر ليعمل في مزرعة تبغ، رجع بقصد الزيارة. هُرِعَت توبرسيلاي لتستقبله. كان يرافق أباها رجلٌ أبيض، وهذا منظرٌ غير مألوفٍ في تلك المناطق. كان أستراليّاً من جزيرة تاسمانيا، يبلغ من العمر الثانية والعشرين، وكان مالكاً للمزرعة واسمه إيرول فلين.

ابتسم فلين بدفء لتوبرسيلاي، وبدا مهتمّاً بشكلٍ خاصّ بنهديها العاريين. (ارتدت تنّورةً من الأعشاب؛ لمّا كان ذلك الزيّ السائد في غينيا الجديدة في ذلك الوقت.) قال بإنكليزيّةٍ مبسّطة أنّها كانت جميلةً جدّاً، وظلّ يردّد اسمها الذي لفظه بشكلٍ جيّد لدرجةٍ لافتة. لم يُزد على ذلك

إلى الحفلات: اسأليني النصح هنا أيضاً. / صلي متأخّرةً، قومي بدخولٍ رشيق عندما تُضاء المصابيح - / التأخير يزيد السحر، التأخير هو كمومس عظيمة. / قد تكونين قبيحةً، لكنّك ستبدين جميلةً في نظر السكارى: / الأضواء الخافتة والظلال ستغطّي عيوبك. / تناولي طعامك بأصابع نيّقة: فعادات الطاولة الجيّدة تهمّ: / لا تلطّخي كامل وجهك بيدٍ ملوّثةٍ بالشحم. / لا تأكلي في البيت قبل أن تأتي، وتلوكي مصغّرةً لقمتك - لكن على نحوٍ مكافئ، لا تشبعي شهوتك بالطعام إلى أقصى حدّ، إتركي شيئاً في الصحن. / لو أنّ باريس رأى هيلين وهي تأكل حتّى التخمة / لكرهها، وشعر أنّ اختطافها كان / خطأً غبيّاً... / يجب على كلّ امرأةٍ أن

كثيراً، لكن ضع في ذهنك أنّه لم يكن يتكلّم لغتها. لذا ودّعته ومضت مع أبيها. لكن وياللهول، فقد اكتشفت في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم أنّ السيّد فلين كان قد وُلِع بها فاشتراها من أبيها مقابل خنزيرين، بضعة جنيهاتٍ إسترلينيّة، وقليلٌ من صدف البحر (الذي كان يُستَخدم كَمال.) الأسرة كانت فقيرة وراق السعر للأب. كان لتوبرسيلاي خليلٌ في القرية لم تكن تريد أن تتركه، لكنّها لم تكن لتجرؤ على أن تعصي والدها. من ناحيةٍ أخرى، فلم يكن في نيّتها أن تكون ودودةً مع هذا الرجل الذي توقّعت منه أسوأ معاملة.

في الأيّام الأولى القليلة التي تلت، افتقدت توبرسيلاي قريتها بصورة مرعبة، وشعرت بالعصبيّة وتعكّر المزاج. لكنّ السيّد فلين كان مهذّباً، وتكلّم بلهجةٍ تطمينيّة. أخذت تتحرّر من التوتّر، وارتأت أنّه كان من الآمن الاقتراب منه نظراً لكونه حافظ على مسافةٍ فاصلة. كانت بشرته لذيذةً بالنسبة للبعوض، لذا بدأت بدهنه يوميّاً بإعشابٍ دغليّةٍ فوّاحة الرائحة لإبقائهم بعيداً. خطرت لها فكرة بعد ذلك بفترةٍ قصيرة: السيّد فلين كان وحيداً، ويريد رفيقاً. وذاك كان سبب إحضاره لها. كان يقرأ في الليل عادةً؛ عوضاً عن ذلك، صارت تسلّيه بالغناء والرقص. في بعض الأحيان كان يحاول أن يتواصل بالكلمات والإيماءات، فلا تسعفه الإنكليزيّة المبسّطة. لم يكن لديها فكرةٌ عمّا كان يحاول قوله، لكنّه جعلها تضحك. وذات يوم فهمت شيئاً: كلمة «يسبح.» كان يدعوها للسباحة معه في نهر لالوكي. كانت سعيدةً بمسايرته، لكنّ النهر كان مليئاً بالتماسيح، لذا قامت بإحضار رمحها من باب الاحتياط.

لدى رؤية النهر، بدا أنّ السيّد فلين قد انبعثت فيه الحياة ـ إذ مزّق ثيابه وغطس. تبعته وسبحت وراءه. وضع ذراعيه حولها وقبّلها. انجرفا مع التيّار، حيث تشبّثت به. كانت قد نسيت بشأن التماسيح؛ كما قد نسيت بشأن أبيها، خليلها، قريتها، وكلّ شيءٍ آخر هناك كان بحكم المَنسي. عند منعطفٍ في النهر، قام بحملها إلى غيضةٍ (أيكة) معزولة بقرب النهر. كلّ شيءٍ حدث بشكلٍ مفاجئٍ نوعاً ما، الأمر الذي كان مناسباً لتوبرسيلاي. من ذلك الحين فصاعداً كان هذا طقساً يوميّاً ـ النهر، الغيضة ـ إلى أن جاء

تعرف نفسها، وتختار طرقاً / لتكسو جسدها: موضةٌ واحدةٌ لن تلائم الجميع. / دع الفتاة ذات الوجه الجميل تستلقي على ظهرها، دع السيّدة / التي تتباهى بمؤخّرةٍ جميلة تُرى / من الخلف. حمل ميلانيون ساقي أتالانتا على / كتفيه: الساقين الجميلتين يجب دائماً أن تُستَخدَما بهذه الطريقة / حرِيٌّ بالمرأة صغيرة الحجم أن تمتطي حصاناً (أندروماك، عروس هيكتور / الثيبيّة، كانت أطول من أن تقوم بهذه الألعاب: لم تكن فارسةً)؛ / إذا كانت بنيتك كعارضة أزياء، ذات قوام ممشوق، / فاجثي إذن على السرير، واثني / عنقك بعض الشيء؛ المرأة التي لديها ساقان مثاليّتان وصدرٌ مثاليّ / يجب أن تستلقي على جنبها، وتجعل حبيبها يقف. / لا تخجلي من

الوقت الذي لم تَعُد فيه مزرعة التبغ تدرّ كما ينبغي، ممّا اضطرّ السيّد فلين لمغادرة غينيا الجديدة.

ذات يومٍ بعد حوالي عشرة سنوات من ذلك، ذهبت فتاةٌ يافعة تُدعى بلانكا روزا ولتر إلى حفلةٍ في فندق ريتز في مدينة مكسيكو. بينما كانت تتجوّل في البار باحثةً عن أصدقائها، اعترض رجلٌ طويلٌ أكبر سنّاً طريقها وقال بنبرةٍ ساحرة، «لا بدّ أنّك بلانكا روزا.» كان بغنى عن التعريف بنفسه - فقد كان ممثّل هوليوود المشهور إيرول فلين. وجهه كان مُلصَقاً على الإعلانات في كلّ مكان، وصديقاً لمضيفي الحفلة، الزوجان دايڤيس، وكان قد سمعهما وهما يثنيان على جمال بلانكا روزا، التي كانت ستبلغ الثامنة عشرة في اليوم التالي. أخذها إلى طاولةٍ في الزاوية. أسلوبه كان لبقاً وواثقاً، وباستماعها إليه نسيت بشأن أصدقائها. تكلّم عن جمالها، كرّر اسمها، قال أنّه يستطيع أن يجعلها نجمة. قبل أن تدري ما كان يحدث، كان قد دعاها للانضمام إليه في أكابولكو، حيث كان يمضي إجازته. الزوجان دايڤيس، صديقيهما المشتركين، كان يمكنهم الانضمام بوصفهم مرافقين مشرفين. قالت أنّ ذلك سيكون رائعاً، إلّا أنّ أمّها لن توافق أبداً. لا تقلقي بشأن ذلك، ردّ فلين؛ وفي اليوم التالي ظهر في منزلهم وبحوزته هديّةٌ جميلةٌ لبلانكا، خاتمٌ مع جوهرة مولدها (حجر كريم بينه وبين الشهر الذي وُلِد فيه صاحبه ارتباطٌ رمزيّ ويُعتقَد بأنّه يحمل الحظّ السعيد له: المترجم.) وافقت أمّها على خطّته بعد أن وقعت تحت سحر ابتسامته التي تذيب القلوب. في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، وجدت بلانكا نفسها على متن طائرةٍ تتّجه نحو أكابولكو. كان الأمر برمّته بمثابة حلم.

آل دايڤيس، بتوجيهٍ من أمّ بلانكا، حاولا ألاّ تغيب بلانكا عن نظرهم، لذا وضعها فلين على متن طوفٍ خشبيّ وتوجّها إلى قلب المحيط، بعيداً عن الشاطئ. كلماته المطرية ملأت أذنيها، وتركته يمسك يدها ويقبّل خدّها. رقصا سويّةً في تلك الليلة، ورافقها إلى غرفتها عندما انتهت وودّعها بسيريناد (لحنٌ يُغَنّى ليلاً في الهواء الطلق وبخاصّة من قبل عاشق) عندما افترقا أخيراً. لقد كانت نهاية يومٍ رائع. استيقظت في منتصف الليل لتسمعه وهو يناديها من شرفة فندقها. كيف وصل إلى هناك؟ غرفته كانت أعلى

فلت شعرك مثل امرأةٍ قاصفةٍ منتشية / وألقاء ضفائر طويلة حول / عنقك المكشوف.

- أوڤيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

«كيف تجذبين الرجل،» سألت مراسلة جريدة آفتونبلادت *الستوكهولمية في باريس، الجميلة (أوتيرو) في 3 تموز، من عام 1910.* • *«إجعلي نفسك أنثويّةً قدر المستطاع؛ البسي بحيث تركّزين على الأجزاء الأكثر إثارةً من جسدك؛ ودعي الرجال بطريقةٍ خفيّةٍ يعلمون بأنّك مستعدّةٌ للاستسلام في الوقت المناسب...»* • *«طريقة أسر اهتمام الرجل» باحت أوتيرو بعد ذلك بقليل لكاتبةٍ مساعدةٍ من* جريدة الصباح *الواقعة في* جوهانسبورغ، *«تكون من خلال مواصلة التصرف في*

بطابق؛ لا بدّ وأنّه قفز بطريقةٍ ما أو تدلّى على حبل، الأمر الذي كان يشكّل حركة خطيرة. دنت، بدافع الفضول، وليس بدافع الخوف مطلقاً. شدّها برفق إلى صدره وأحاطها بذراعيه وقبّلها. انتفض جسدها الذي اجتاحته أحاسيسٌ جديدة، وصارت تبكي نتيجةً لاضطرابها ـ وقالت أنّ ذلك كان بسبب السعادة. طمأنها فلين بقبلة وعاد إلى غرفته في الأعلى، بنفس الطريقة غير القابلة للتفسير التي وصل بها. الآن كانت بلانكا واقعةً في حبّه بشكلٍ يائس ومستعدّةً لفعل أيّ شيءٍ يطلبه منها. في الحقيقة فقد تبعته إلى هوليوود حيث مضت لتصبح ممثّلةً ناجحة، معروفةً باسم ليندا كريستيان.

كلّ مرّةٍ تلتقينه فيها وكأنّ حماساً جديداً قد اجتاحك، ومن خلال انتظار اندفاعه وطيشه بتلهفٍ يكاد يكون منفلتاً».

ـ آرثر إتش. لويس، *أوتيرو الجميلة*

في عام 1942، حصلت فتاةٌ تبلغ من العمر الثامنة عشرة واسمها نورا إيدينغتون على عملٍ مؤقّتٍ كبائعةٍ للسجائر في دار عدل مقاطعة لوس آنجلس. كانت المحكمة أشبه بمستشفى للمجانين في ذلك الوقت، إذ كانت تعجّ بصحفيّي الصحف المصغّرة (التي تركّز على القصص التي تُحدِث صدمة): كانت فتاتان قد اتّهمتا إيرول فلين بالاغتصاب. بالطبع كانت نورا قد لاحظت فلين، الرجل الطويل والجريء الذي كان يشتري منها السجائر بين الحين والآخر، لكنّ أفكارها كانت عند خليلها البحّار. بُرِّئَ فلين بعد عدّة أسابيع، وانتهت المحاكمة، وهدأ المكان. ذات يوم ناداها رجلٌ كانت قد التقت به أثناء المحكمة: لقد كان اليد اليمنى لفلين، وأراد أن يدعوها بالنيابة عن فلين إلى منزل الممثّل الواقع في جادّة مولهولاّند. لم تكن نورا مهتمّةً بفلين، وفي الواقع فقد كانت خائفةً منه بعض الشيء، لكنّ صديقتها التي كانت مستميتةً للقائه أقنعتها بالذهاب وبإحضارها معها. ما الذي كان لديها لتخسره؟ وافقت نورا على الذهاب. في ذلك اليوم، قدم صديق فلين وأخذهم في السيارة إلى منزلٍ رائع على قمّة هضبة. عندما وصلتا، كان فلين يقف عاري الصدر بقرب مسبحه. أتى ليرحّب بها وبصديقتها، ماشياً بإسلوبٍ في غاية السلاسة ـ كقطّةٍ رشيقة ـ ومتصرّفاً بطريقةٍ في غاية الاسترخاء، فشعرت بأنّ نرفزتها تتلاشى. طاف بهم في أرجاء المنزل الذي كان مليئاً بالتحف التي جمعها في رحلاته البحريّة العديدة. تكلّم بابتهاجٍ شديد عن حبّه للمغامرة لدرجةٍ تمنّت معها لو أنّه كان لديها مغامراتها الخاصّة. كان مثال الرجل الراقي، حتّى أنّه تركها تتكلّم عن خليلها دون أن تبدو عليه أدنى أمارات الغيرة.

«افتقدت إلى التحفيز العقليّ عندما كنت أصغر سنّاً،» أجاب. «لكن من الوقت الذي بدأت فيه بالحصول على النساء على أساسٍ متتالٍ، إذا قلنا، فقد اكتشفت أنّ الشيء الوحيد الذي تحتاجه أو تريده أو يجدر بك أن تتمتّع به هو الشيء المادّي أو الجسدي الصرف. الجسدي ببساطة. دون عقلٍ على الإطلاق. عقلُ المرأة سوف يعترض الطريق.» • «حقّاً؟» • «بالنسبة لي ... أنا أتكلّم عن نفسي. لا أتكلّم عن جنس الرجال. إنّني أتكلّم عمّا قد اكتشفت أو عمّا أحتاج: الجسم، الوجه، الحركة الجسديّة، الصوت،

حظيت نورا بزيارةٍ من خليلها في اليوم التالي. بطريقةٍ ما لم يعد يبدو أنّه مثيرٌ للاهتمام بعد الآن؛ تشاجرا وانفصلا على الفور. أخذها فلين في تلك الليلة إلى البلدة، إلى نادي موكامبو الليلي الشهير. كان يشرب ويمازح، فانتقلت العدوى إليها، وتركته يلمس يدها بسرور. بعد ذلك اعتراها الهلع وبشكلٍ مفاجئ. وقالت دون تفكير، «أنا كاثوليكيّة وعذراء، وسأتزوّج ذات يوم في الكنيسة وأنا مرتديةً الخمار ـ وإذا تعتقد بأنّك سوف تنام معي فأنت مخطئ.» ظلّ فلين هادئاً ومتّزناً، وقال أنّه لم يكن لديها شيءٌ لتخاف منه. هو ببساطة يحبّ أن يكون معها. استرخت، وطلبت منه بأدبٍ أن يُرجع يده. صارت تراه بشكلٍ شبه يوميّ في الأسابيع القليلة التي تلت. أصبحت سكرتيرته. بعد ذلك بفترة قصيرة صارت تقضي ليالي نهايات الأسبوع في منزله المخصّص للضيوف. أخذها في رحلات تزلّج وركوب زوارق. ظلّ مثال الرجل الراقي، لكنّه عندما كان ينظر إليها أو يلمس يدها فإنّ إحساساً بالسعادة والإثارة كان يغمرها، فتشعر بدغدغةٍ في بشرتها شبّهتها بالوقوف تحت دشٍّ بارد لدرجة الوخز في يومٍ قائظ. سرعان ما صارت تردّداتها إلى الكنيسة أقلّ تواتراً، وأخذت تنجرف بعيداً عن الحياة التي عرفت. بالرّغم من أنّ شيئاً لم يتغيّر في الظاهر، إلا أنّ كلّ أشكال مقاومتها له كانت قد تلاشت باطنيّاً. ذات ليلة، إثر حفلةٍ، استسلمت. هي وفلين ارتبطا في زواجٍ عاصف دام عدّة سنوات.

الأنثويّة، الحضور الأنثوي ... كليّاً عن ذلك، ولا شيء آخر. ذلك هو الأفضل. لا يوجد نزعةٌ للتملّك في ذلك.» • راقبته عن كثب. • «أنا جدّي،» قال هو. «ذلك هو منظوري وشعوري. مجرد الأنثى الجسديّة الأوّليّة. لا شيء أكثر من ذلك. عندما تحصل على ذلك ـ تمسّك به، لفترة قصيرة.»

ـ إيرل كونراد، *إيرول فلين: مذكّرات*

التفسير. النساء اللواتي أقمن علاقةً مع إيرول فلين (ولدى نهاية حياته قُدّر عددهنّ بالآلاف) كان لديهنّ عددٌ لا يُحصى من الأسباب التي تدفعهنّ للشعور نحوه بالارتياب: كان أقرب شيءٍ في الحياة الواقعيّة إلى الدونجوان. (في الواقع كان قد لعب دور المغوي الأسطوري في فيلم.) كان محاطاً بالنساء دائماً، واللواتي عرفن أنّه لا يمكن لعلاقةٍ معه أن تستمرّ. علاوةً على ذلك فقد سرت شائعاتٌ عن كونه انفعاليّاً، وعن حبّه للخطر والمغامرة. لم يكن لدى امرأةٍ أسبابٌ أوجه لمقاومته من تلك التي كانت لدى نورا إيدينغتون: عندما التقته كان متّهماً بالاغتصاب؛ كانت على علاقةٍ مع رجلٍ آخر؛ وكانت كاثوليكيّةً تخاف الله. ومع ذلك فقد وقعت تحت

عدم انتظام خفيف في الثياب / يُشعِل في الثياب شهوانيّةً: / شالٌ حول الكتفين مرميّ / بحيث يلهي بشكلٍ محبب: رباط حذاءٍ غير مشدود، سوف يفتن غطاء البطن القرمزيّ: طرف كمّ مثنيّ بإهمال، وفيما يتّصل بذلك / أشرطةٌ ثائرة: / موجة ظافرة (تستحقّ الملاحظة) / في تنورةٍ عاصفة: /

سحره، تماماً كالبقيّة. بعض المغوين - دي. إتش. لورنس على سبيل المثال - يعملون على العقل في المقام الأوّل، فيخلقون الافتتان، ويحرّكون الحاجة لامتلاكهم. عمل فلين على الجسد. سلوكه الهادئ ورابط الجأش كان يعدي النساء، فتنخفض مقاومتهم. كان هذا يحصل تقريباً في لحظة لقائهم به، كالمخدّر: كان مرتاحاً مع النساء، لبقاً وواثقاً. كانوا يقعون في غرام هذه الشخصيّة، وينساقون مع التيّار الذي خلقه، فيتركون وراءهم العالم وكآبته - لم يكن هنالك سوى أنتِ وهو. بعدئذٍ - ربّما في نفس اليوم، ربّما بعد بضعة أسابيع - كانت تأتي لمسةٌ من يده، نظرةٌ معيّنة، من شأنها أن تشعرهم بالقشعريرة والدغدغة وبإثارة جسديّة كبيرة. تلك اللحظة كانت تتكشّف من خلال أعينهم، أو من خلال احمرارهم خجلاً والضحك بشكلٍ عصبيّ، وعندها كان ينقضّ ليضرب الضربة القاضية. لم يكن أحد يتحرّك أسرع من إيرول فلين.

شريط حذاءٍ لا مبالي، والذي في ربطه / أرى كياسةً جامحةً: / يخلبون لبي، أكثر من عندما يكون الفنّ دقيقاً جدّاً في جميع أوجهه.

- روبرت هيريك، «البهجة في الفوضى،» مقتبس في *أشعار شهوانيّة*، تحرير بيتر واشنطن

أكبر عائقٍ أمام الجانب المادّي من الإغواء هو الدرجة التعليميّة للهدف، أي درجة التمدّن والتأهيل الاجتماعي التي وصل إليها. هذا التعليم يتآمر لكبح الجسد وتبليد الحواسّ وملأ العقل بالشكوك والمخاوف. كان فلين يتمتّع بالقدرة على إرجاع المرأة إلى حالةٍ أكثر طبيعيّة، حيث لا تقترن الرغبة، اللذة، والجنس بأيّ شيءٍ سلبيّ. استدرجَ النساء نحو المغامرة، ليس من خلال الحجج وإنّما من خلال موقفٍ منفتحٍ أعدى عقولهنّ. إفهم: كلّ شيءٍ يبدأ من عندك. عندما يحين الوقت لجعل الإغواء جنسيّاً، درّب نفسك على التخلّي عن كوابحك وشكوكك ومشاعر الذنب والقلق المتبقّية لديك. ثقتك وانشراحك ستتمتّعان بالقدرة على إسكار ضحيّتك أكثر من كل الكحول الذي تستطيع استعماله. أَظهِر خفّة الروح - فلا شيء يضايقك، ولا شيء يثبّط همّتك، ولا تأخذ شيئاً على محملٍ شخصيّ. أنت تدعو أهدافك لأن يرموا أحمال الحضارة والمدنيّة الخاصّة بهم، وأن يتبعوا قيادتك وينساقوا لك. لا تتكلّم عن العمل، الواجب، الزواج، الماضي أو المستقبل. الكثير من الناس الآخرين سوف يقومون بهذا. بدلاً من ذلك، قدّم الإثارة النادرة المتأتّية من فقدان المرء لنفسه في اللحظة (توهانه فيها)، حيث تندفع الحواسّ وتترك العقل وراءها.

ساتني، ابن الفرعون يوزيمارس، رأى امرأةً جميلةً جدّاً على صخور المعبد المسطّحة. استدعى خادمه، وقال، «إذهب وأخبرها أنني، ابن فرعون، سأعطيها عشر قطعٍ من الذهب لتمضي ساعةً معي.» «أنا طاهرة، ولست شخصاً وضيعاً،» أجابت السيّدة ثبويت. «إذا كنت تريد أن تحصل على لذّتك معي، فعليك أن تأتي إلى منزلي في بوباستيس. سيكون كلّ شيءٍ جاهزاً هناك.» مضى ساتني

عندما قبّلني، فقد أثارت قبلته استجابةً لم أكن قد عرفتها من قبل، دوارٌ أصاب كلّ حواسّي. لقد كان فرحاً فطريّاً لم يجدِ إزاءه نفعاً إنذارٌ أو رقيب المنطق الذي في داخلي. لقد كان فرحاً جديداً ولا يمكن مقاومته وفي آخر الأمر مستبدّاً. الإغواء ـ الكلمة تعني ضمناً أن تُقاد ـ وبشكلٍ في غاية الرقّة وفي غاية الحنان.

ـ ليندا كريستيان

المفاتيح للإغواء

في هذه الأيّام وأكثر من أيّ وقتٍ مضى، فإنّ عقولنا في حالة تشتّتٍ مستمرّ، إذ تُقذَف بوابلٍ لا نهاية له من المعلومات، وتُسحَب في جميع الاتّجاهات. الكثيرون منّا أدركوا المشكلة: فالمقالات تُكتَب، والدراسات تُنجَز، إلّا أنّها ببساطة تصبح معلوماتٍ إضافيّةً يجب استيعابها. من شبه المستحيل أن توقف عقلاً مفرط النشاط عن العمل؛ فالمحاولة تُطلِق ببساطة شرارةً لأفكارٍ إضافيّة ـ كقاعة مرايا لا يمكن الفرار منها. قد نلجأ للكحول، للمخدّرات، للأنشطة الجسمانيّة ـ أيّ شيءٍ من شأنه أن يساعد على إبطاء الوتيرة الذهنيّة، وجعلنا أكثر حضوراً في اللحظة الراهنة. عدم رضانا يمنح المغوي البارع فرصاً غير متناهية. المياه من حولك تعجّ بالناس الذين يبحثون عن نوعٍ ما من الإنعتاق من التحفيز الفكري المفرط. الإغراء باللذة الجسديّة غير المقيّدة سيجعلهم يبتلعون الطعم، لكنّك أثناء طوافك بحثاً عن فريسة يجب أن تفهم شيئاً: السبيل الأوحد لإراحة عقلٍ مشتّت الانتباه هو أن تجعله يركّز على شيءٍ واحد. يطلب المنوّم المغناطيسي من المريض أن يركّز على ساعةٍ بينما يلوّح بها جيئةً وذهاباً. ما إن يركّز المريض، حتّى يسترخي الذهن وتستيقظ الحواسّ، فيصبح الجسم عرضةً لكلّ أنواع الإحساسات والإيحاءات الجديدة. بصفتك مغوٍ، فأنت منوّمٌ مغناطيسيّ، والشيء الذي تجعل الهدف يركّز عليه هو أنت.

خلال العمليّة الإغوائيّة كنت تعبّئ ذهن الهدف. الرسائل، التذكارات، والخبرات المشتركة تبقيك حاضراً على الدوام، حتّى عندما

إلى بوباستيس بواسطة القارب. «أستحلفك بحياتي،» قالت ثبويت، «أن تصعد إلى الطابق العلويّ معي.» في الطابق العلويّ المغطى باللازورد والفيروز، رأى ساتني عدّة أسرّةٍ مغطّاةٍ ببياضاتٍ فخمة والعديد من الزبديّات على طاولة. «خذ وجبتك من فضلك،» قالت ثبويت. «ليس هذا ما جئت لفعله،» أجاب ساتني، بينما كان العبيد يضعون خشباً عطريّاً على الخشب وينثرون العطر في أرجاء المكان. «إفعلي ذاك الذي جئنا من أجله،» كرر ساتني. «أوّلاً عليك أن تفعل شيئاً من أجل المحافظة عليّ،» ردّت ثبويت، «وستعيّن لي كتابةً مهراً قوامه كلّ الأشياء والسلع التي تعود إليك.» أذعن ساتني، قائلاً، «أحضري لي مخطاط المدرسة.» • عندما فعل ما طلبته منه، نهضت ثبويت وارتدت رداءً من

لا تكون هناك. الآن، بينما تنتقل إلى الجانب الجسدي من الإغواء، يتوجّب عليك أن ترى أهدافك أكثر. يجب أن يكون اهتمامك أكثر تركيزاً. إيرول فلين كان أستاذاً في هذه اللعبة. عندما كان يحطّ على الضحيّة (كما تحطّ النحلة على الرحيق)، فإنّه كان يتخلّى عن كلّ شيءٍ آخر. كان يجعل المرأة تشعر بأنّ كلّ شيءٍ يحلّ في المرتبة الثانية مقارنةً بها ـ عمله، أصدقاؤه، كلّ شيء. بعدئذٍ كان يأخذها في رحلةٍ قصيرة، ومن الأفضل أن تكون المياه على مقربة. سرعان ما كانت بقيّة العالم تتلاشى وتختفي بعيداً عن الأضواء، في حين يأخذ الاهتمام ينصبّ على فلين. كلّما ازداد تفكير أهدافك بك، خفّ انصرافهم للأفكار المتعلّقة بالعمل والواجب. العقل يسترخي عندما يركّز على شيءٍ واحد، وعندما يسترخي العقل، فإنّ جميع الأفكار التافهة التي تترافق مع الإحساس بالاضطهاد والميل للشّك بالآخرين والتي نحن عرضة لها ـ هل أنت تحبّني حقّاً، هل أنا ذكيّ أو جميلة بما فيه الكفاية، ماذا يخبّئ المستقبل ـ تختفي من الواجهة. تذكّر: كلّ شيءٍ يبدأ بك. كن غير مشتّت الانتباه، وحاضراً في اللحظة الراهنة، وسيحذو الهدف حذوك. التحديقة المركّزة للمنوّم المغناطيسي تخلق ردّة فعلٍ مشابهة عند المريض.

ما إن يبدأ عقل الهدف المفرط النشاط بإبطاء وتيرته، حتّى تنبعث الحياة في حواسّهم، وتتضاعف قوّة إغراءاتك الماديّة. الآن فإنّ نظرةً خاطفةً ساخنة سوف تجعلهم يحمرّون خجلاً. سيكون لديك نزوعٌ لأن توظّف الإغراءات الماديّة التي تعمل في المقام الأوّل على حاسّة النظر، وهي أكثر حاسّةٍ نعتمد عليها في ثقافتنا. المظاهر الجسديّة تلعب دوراً حاسماً، لكنّك تسعى وراء تهيّج عامٍّ للحواسّ. حرصت أوتيرو الجميلة على أن تجعل الرجال يلاحظون ثدييها، شكل جسمها، عطرها، مشيتها؛ لم يكن يُسمَح لجزءٍ بأن يطغى. الحواسُّ متّصلةٌ فيما بينها ـ ما يروق لحاسّة الشم سوف ينبّه حاسّة اللمس، وما يروق للّمس سوف يثير البصر: احتكاكٌ عرضيّ أو «غير مقصود» ـ تلامس البشرة برفق في هذه المرحلة يكون أفضل من شيءٍ آخر أكثر قوّة ـ سوف يخلق رجّةً ويثير العينين. عدّل طبقة الصوت بشكلٍ خفيّ، جاعلاً إيّاها أبطأ وأعمق. الحواسّ النشطة سوف تقصي التفكير العقلاني.

في رواية *العقل والقلب المتمرّدين* الإباحيّة التي ألّفها كريبيليون فيلز في القرن الثامن عشر، تحاول المدام دي لورساي أن تغوي شابّاً أصغر سنّاً،

الكتّان الناعم الذي استطاع ساتني من خلاله أن يتبيّن كلّ أوصالها. ازداد شغفه، لكنّها قالت، «إذا كان صحيحاً أنّك تريد أن تقضي وطرك منّي، فعليك أن تجعل أطفالك يقرّون على صنيعي، فلا يجوز لهم أن يلتمسوا الشجار مع أطفالي.» أرسل ساتني من يستدعي أولاده. «إذا كان صحيحاً أنّك تريد أن تقضي وطرك منّي، فعليك أن تتسبّب مقتل أطفالك، فلا يمكنهم أن يلتمسوا الشجار مع أطفالي.» وافق ساتني مرّةً أخرى: «دعي أيّ جريمةٍ يتمنّاها قلبك تحصل لهم.» «إذهب إلى تلك الغرفة،» قالت ثبويت؛ وبينما كانت الجثث الصغيرة تُرمى خارجاً للكلاب والقطط الضالّة، فقد تمدّد ساتني أخيراً على سريرٍ من العاج والأبنوس، عسى أن يُكافأ حبّه، وتمدّدت ثبويت بجانبه.

ميليكور. أسلحتها متعدّدة. ذات ليلةٍ في حفلةٍ تستضيفها، تقوم بارتداء ثوبٍ يُظهِر مفاتن الجسد؛ يكون شعرها شَعِثاً بعض الشيء؛ ترميه بنظراتٍ ساخنة، يرتعش صوتها قليلاً. عندما يكونان لوحدهما، تحمله ببراءة على الجلوس بجانبها، وتتكلّم بشكلٍ أبطأ؛ وفي لحظةٍ معيّنة تبدأ بالبكاء. ميليكور لديه العديد من الأسباب لمقاومتها؛ إذ كان واقعاً في حبّ فتاةٍ في مثل سنّه، وكان قد سمع إشاعاتٍ عن المدام دي لورساي من شأنها أن تجعله لا يثق بها. لكنّ الثياب، النظرات، العطر، الصوت، قرب جسدها، الدموع - كلّها مجتمعة أخذت تجتاحه وتغمره. «اهتياجٌ لا يمكن وصفه أثار حواسّي.» استسلم ميليكور.

فاسقو (خليعو) القرن الثامن عشر الفرنسيّين دعوا هذا بِ «اللحظة.» المغوي يقود الضحيّة إلى نقطةٍ تُظهِر أو يُظهر فيها علاماتٍ لا إراديّة للاستثارة الجسديّة التي يمكن أن تُقرَأ من خلال عوارض متنوّعة. يجب على المغوي أن يعمل بسرعة ما إن تُستَبيَن تلك الإشارات، فيطبّق ضغطاً على الهدف كي يجعله يتوه في اللحظة - الماضي، المستقبل، كلّ الإعتبارات الأخلاقيّة المقيّدة تتبخّر في الهواء. ما إن تتوه ضحاياك في اللحظة، حتّى ينتهي كلّ شيء - عقلهم وضميرهم لا يعودان يكبحانهم بعد الآن. يستسلم الجسد للمتعة. استدرجت المدام دي لورساي ميليكور إلى اللحظة من خلال خلق فوضى معمّمة للحواسّ، فجعلته غير قادرٍ على التفكير بشكلٍ سليم.

لدى قيادتك لأهدافك إلى اللحظة، تذكّر بضعة أشياء. أوّلاً، المظهر غير المرتّب (شعر المدام دي لورساي الأشعث، ثيابها المجعّدة) لديه أثرٌ أكبر على الحواسّ من المظهر الأنيق. فهو يوحي بغرفة النوم. ثانياً، كن متنبّهاً لعلامات الإثارة الجسديّة. التورّد، رعشة الصوت، الدموع، الضحك الأقوى من المعتاد، حركات جسديّة تتّسم بالاسترخاء (أيّ نوعٍ من التقليد اللاإرادي، كأن تحاكي إيماءاتهم إيماءاتك)، زلّة لسانٍ كاشفة - هذه هي العلامات الدالّة على أنّ الضحيّة تنساب إلى اللحظة، والضغط يجب أن يُطبّق.

في عام 1943، لاعب كرة قدم صينيّ يُدعى 'لي' التقى في شانغهاي بممثّلة شابّة تُدعى لان بينغ. بدأ يراها بشكلٍ متكرّرٍ في مبارياته وهي تهتف

«إذن،» تقول النصوص بتواضع، «السحر والإله آمون فعلا الكثير.» • لا بدّ أنّ مفاتن النساء الكهنوتيّات كانت لا تُقاوَم، إذا كان حتّى «أكثر الرجال حكمةً» مستعدّون لفعل كلّ شيءٍ ترغبن به من أجل أن يُسلِموا أنفسهم، ولو للحظاتٍ قليلة، لعناقاتهن المُتَدَرِّب عليها.

- جاي. آر. تابوي، *الحياة الخاصة لتوت عنخ آمون*، ترجمة إم. آر. دوبي

سيلي: *ما هي اللحظة، وكيف تعرّفها؟ لأنه ينبغي لي أن أقرّ وبمنتهى الصراحة بأنني لا أفهمك.* • ***الدوق:*** *نزعةٌ معيّنةٌ للحواسّ، غير متوقّعةٍ بقدر ما هي لا إراديّة، والتي يمكن للمرأة أن تخفيها، لكن التي، أكان قد تمّ إدراكها أو الإحساس بها من قبل شخصٍ ما قد يستفيد منها، تضعها*

له. كانا يلتقيان في المناسبات العامّة، وكان يلاحظ كيف كانت تنظر إليه «بعينيها التوّاقتين والغريبتين،» ثمّ تشيح بناظريها. ذات ليلةٍ وجدها جالسةً بقربه في حفل استقبال. لامست ساقها ساقه. دردشا، ودعته لأن يحضر فيلماً معها في سينما قريبة. ما إن جلسا هنالك حتّى وجد رأسها طريقه إلى كتفه؛ صارت تهمس بأذنه، بشيءٍ عن الفيلم. بعد ذلك تمشّيا في الشوارع، ووضعت ذراعها حول خصره. أخذته إلى مطعم حيث شربا بعض النبيذ. أخذها لي إلى غرفته في الفندق، وهناك وجد نفسه مغموراً باللمسات والكلمات العذبة. لم تفسح له مجالاً للتراجع، أو وقتاً ليَبرُد. بعد ثلاث سنواتٍ من ذلك لعبت لان بينغ ـ التي غُيِّر اسمها بعد ذلك ليصبح جيانغ كينغ ـ دوراً مشابهاً على ماوتسي تونغ. كانت ستصبح زوجة ماو ـ المدام ماو سيّئة الصيت، قائدة مجموعة الأربعة (وهي زمرة كُوِّنَت من أربعة من أشدّ مؤيّدي ماوتسي تونغ راديكاليّةً والذين طبّقوا أكثر سياسات الثورة الثقافيّة الصينيّة تطرّفاً في ستّينات وسبعينات القرن الماضي: المترجم.)

تحت أعظم درجةٍ من الخطر المتأتّي من كونها أكثر استعداداً بقليل ممّا ظنّت أنّه يمكنها أو يجدر بها على الإطلاق.

- كريبيلون فيل، *المصادفة قرب المصطلى*، مقتبس في *مجموعة الفاسق الأدبيّة المختارة*، تحرير مايكل فيهير

الإغواء، كالحرب، هو لعبة كرٍّ وفر. ففي البداية تتعقّب عدوّك من بعد. أسلحتك الأساسيّة هي عيناك، وسلوكٌ غامض. اشتُهِر بايرون بنظرته التحتيّة، والمدام ماو بعينيها التوّاقتين. المبدأ الأساسي يكمن في أن تجعل نظرتك قصيرةً وذات مغزى، كسيفٍ يطيش منحرفاً عن اللحم. إجعل عينيك تشعّان بالرغبة، أمّا بقيّة وجهك فأبقها ساكنة. (الابتسامة من شأنها أن تفسد الأثر.) بمجرّد ما تُستثار الضحيّة سيتوجّب عليك أن تبني جسراً يصل ما بينكما، فتتحوّل إلى الاشتباك بحيث لا تفسح للعدو المجال كي ينسحب، ولا الوقت كي يفكّر بالموقف الذي وضعته/ها فيه. لكي تزيل عامل الخوف من هذا، يمكنك أن تستخدم الإطراء، وأن تجعل الهدف يشعر برجولةٍ أو أنوثةٍ أكبر، وأن تثني على مفاتنه/ها. هم المسؤولون عن كونك قد أصبحت جنسيّاً وهجوميّاً للغاية. لا يوجد إغراءٌ جنسيٌّ أكبر من أن تجعل الهدف يشعر بأنّه مغرٍ. تذكّر: حزام أفروديت الذي أعطاها قوى إغوائيّة غير محدودة، اشتمل على القوّة الإغوائيّة للإطراء العذب.

عندما، في أصيلٍ خريفيّ، وبعينين مغمضتين، / أتنفّس الشذا الدافئ والعبق لصدرك، / تتفتّق أمامي شواطئ سعيدة، تعانقها / نيرانٌ مبهرة من السماوات الزرقاء التي لا تتبدّل. / وهنالك، على تلك الجزيرة الهادئة المتكاسلة، تنمو فاكهةٌ حلوة المذاق وسط أشجارٍ رائعة: / هناك، الرجال رشيقون: نساء تلك البحار / يُذهِلون المرء بتحديقتهم التي لا تعرف الرياء. / شذاك يدفعني

النشاط الجسدي المشترك يشكّل دائماً إغراءً ممتازاً. المتصوّف الروسي راسبوتين كان يبدأ إغواءاته بإغراءٍ روحيّ ـ كالوعد بتجربةٍ دينيّة مشتركة.

لكن بعد ذلك فإنّ عينيه كانتا تخترقان الهدف (في حفلة)، وحتماً كان سيراقصها، وشيئاً فشيئاً تصبح الرقصة أكثر إيحائيّة بينما يقترب منها. استسلمت المئات من النساء لهذا الأسلوب. بالنسبة لفلين فقد كانت التجربة الجسديّة المشتركة هي السباحة أو الإبحار. في نشاطٍ جسديٍّ كهذا، فإنّ العقل ينطفئ ويعمل الجسد وفقاً لقوانينه الخاصّة. جسد الهدف سوف يتبع قيادتك، ويعكس صورة حركاتك، وسيمعن في هذا بقدر ما تريده أن يمعن.

في اللحظة، فإنّ جميع الاعتبارات الأخلاقيّة تتلاشى، ويعود الجسد إلى حالةٍ من البراءة. تستطيع خلق ذلك الشعور جزئيّاً من خلال تبنّي موقف اللامبالي. أنت لا تأبه بالعالم، أو بما يعتقده الناس عنك؛ أنت لا تصدر أحكاماً بحقّ هدفك بأيٍّ شكلٍ من الأشكال. جزء من جاذبيّة فلين كان تقبّله الكامل للمرأة. لم يكن مهتمّاً بنمطٍ جسمانيٍّ معيّن، ولا بعِرق المرأة، ولا بمستواها التعليمي أو قناعاتها السياسيّة. كان يقع في حبّ حضورها الأنثوي. كان يستدرجها إلى مغامرةٍ تتحرّر فيها من تضييقات المجتمع وانتقاداته القاسية ومن الأحكام الأخلاقيّة. معه، كانت تستطيع أن تعيش حلماً ـ الذي، بالنسبة للكثيرات، كان الفرصة ليكنّ مغامرات وانتهاكيّات (آثمات)، وليختبرن الخطر. لذا جرّد نفسك من نزوعك للتعبير عن خواطرك في المسائل الأخلاقيّة ومن إصدار الأحكام. قد استدرجت أهدافك إلى عالم خاطفٍ من اللذة ـ رقيقٍ ولطيف، حيث تُرمى جميع القوانين والمحظورات من النافذة.

كالريح إلى هناك: أرى مرفأ مزدحماً بالصواري والأشرعة / التي لا تزال مرهقةً من اضطراب الرياح الهوجاء؛ / ومع أغنية البحّارة التي تتّجه نحوي / تمتزج روائح التمر الهندي، / ـ وكلّ روحي تصبح عبارة عن عبيرٍ ولحن.

ـ شارل بودلير، «عبيرٌ غريب،» *زهور الشر*، ترجمة آلان كوندر

الرمز: الطوف الخشبي. يطوف في البحر، ينجرف مع التيار، سرعان ما يختفي خط الشاطئ من المشهد، وتصبحان أنتما الإثنان وحدكما. المياه تدعوك لنسيان كلّ الهموم والأعباء، لتغوص في الماء. نتيجةً لعدم وجود مرساة أو اتّجاه، وانقطاعك عن الماضي، فإنّك تستسلم للإحساس بالانجراف وتفقد ببطء كلّ التحفّظات والقيود.

الإنقلاب

بعض الناس يُصابون بالذعر والهلع عندما يحسّون بأنّهم يقعون في اللحظة. غالباً ما سيساعد استخدام الإغراءات الروحيّة على إخفاء الطبيعة الجنسيّة للإغواء والتي تطبعه بطابعها أكثر فأكثر. تلك هي الطريقة التي عملت بها المغوية السحاقيّة ناتالي بارني. في فترتها الذهبيّة، في مطلع القرن العشرين، كان السحاق فعلاً يتجاوز جميع الخطوط الحمراء، والنساء الحديثات العهد بالسحاق غالباً ما كان يراودهنّ إحساسٌ بالخزي والقذارة. قادتهنّ بارني إلى الناحية الجنسيّة، لكنّها غلّفتها أيضاً بالشعر وبنظامٍ روحانيّ، الأمر الذي جعلهنّ يتحرّرن من التوتّر ويشعرن بأنّ التجربة قد طهّرتهنّ. في هذه الأيّام، قليلون هم الناس الذين يشعرون بالنفور من طبيعتهم الجنسيّة، لكنّ العديدين غير مرتاحين إزاء أجسادهم. مقاربةٌ جنسيّةٌ بحتة سوف تخيفهم وتزعجهم. بدلاً من ذلك، إجعلها تبدو روحانيّةً، كاتّحادٍ باطنيٍّ غامض، وعندها سوف ينتبهون بشكلٍ أقلّ لمناوراتك الجنسيّة.

23

أتقن فن الإقدام الجسور

اللحظة قد حلّت: ضحيّتك ترغب بك
بشكلٍ واضح، ولكنّها غير مستعدّةٍ للاعتراف بذلك
صراحةً، ناهيك عن التصرّف بناءً على هذا الأساس. إنّه الوقت
لتطرح جانباً الفروسية، الكرم، والغنج ولتجتاح بخطوةٍ جريئة. لا تعطِ
الضحية الوقت للتفكّرِ بالعواقب؛ إخلق صراعاً، أثِر التوتّر، بحيث تأتي الخطوة
الجريئة كتحريرٍ عظيم. إظهار التردّد والارتباك يعني أنّك تفكّر بنفسك وذلك هو
النقيض من كونك غارقاً في سحر الضّحية. إيّاك أن تحجم أو تقف عند منتصف
الطريق، إيماناً منك بأنك تتصرّف بشكلٍ صائبٍ أو مراعٍ؛ عليك
الآن أن تكون مغوياً وليس ديبلوماسيّاً. شخصٌ وحيدٌ يجب
أن يمضي إلى الهجوم، وهذا الشخص هو
أنت.

الذروة المثلى

من خلال حملةٍ من الخداع ـ مظهر التحوّل إلى الطيبة المضلّل ـ ضرب الخليع ڤالمون حصاراً على المدام دي تورڤيل الشابّة الطاهرة إلى أن جاء اليوم الذي أصرّت فيه على رحيله من القصر الذي كان كلاهما يمكثان فيه كضيوف، وذلك بعد أن انزعجت من تصريحه بحبّه لها. أذعن. لكنّه غمرها وهو في باريس بالرسائل التي تصف حبّه لها بأشدّ العبارات انفعاليّةً؛ رجته بأن يتوقّف، وأذعن مرّةً أخرى. بعد ذلك بعدّة أسابيع قام بزيارةٍ مفاجئةٍ إلى القصر. كانت تورڤيل في حضرته محمرّةً (حرجاً) وعصبيّةً، وحوّلت بصرها عنه ـ كلّ علامات تأثيره عليها. مرّةً أخرى طلبت منه الرحيل. ما الذي يخيفك؟ ردّ عليها، لطالما فعلت ما تطلبين، لم أفرض نفسي عليك أبداً. لزم حدّه فاطمأنّت تدريجيّاً. لم تَعُد تغادر الغرفة عندما يدخل، وصار بإمكانها النظر إليه مباشرةً. عندما عرض عليها أن يرافقها في نزهةٍ على الأقدام، لم تمانع. وقالت أنّهما كانا صديقين. بل وحتّى وضعت ذراعها في ذراعه بينما كانا يتمشّيان، كعلامةٍ على الصداقة.

ذات يومٍ ماطر لم يستطيعا القيام بنزهتهما المعتادة. التقى بها في الرواق بينما كانت تدخل إلى غرفتها؛ ولأوّل مرّة دعته إلى الدخول. بدت مسترخيةً، وجلس ڤالمون بجانبها على الأريكة. تكلّم عن حبّه لها. فلم تُظهِر إلّا أوهى درجةٍ من الإعتراض. أخذ يدها؛ فتركتها في يده واتّكأت على ذراعه. تهدّج صوتها. نظرت إليه، فشعر بقلبه يرفرف ـ فقد كانت نظرةً حنونةً. بدأت بالتكلّم ـ «حسنٌ! نعم، أنا ...» بعد ذلك أجهشت فجأةً بالبكاء بين ذراعيه. لقد كانت لحظة ضعف، ومع ذلك فقد كبح ڤالمون نفسه. صار بكاؤها تشنّجيّاً؛ توسّلت إليه أن يساعدها، أن يغادر الغرفة قبل

فضلاً عن ذلك فقد زوّدتني بامتيازٍ آخر: امتياز التأمّل في وقت فراغي في وجهها الساحر، الذي يشعّ جمالاً أكثر من أيّ وقتٍ مضى، بينما يقدّم الإغراء القوي للدموع. كان دمي يغلي، وكنت قليل التحكّم بنفسي لدرجة أنّني أغريتُ بأن أستغلّ المناسبة خير استغلال. • كم أنّنا ضعفاء، وكم قويّ سلطان الظروف، إذا كنت حتّى أنا، دون أن أفكّر بخططي، على وشك أن أجازف بخسارة كلّ سحر

أن يحصل شيءٌ مريع. لبّى طلبها. استيقظ في صبيحة اليوم التالي على وقع أنباءٍ مفاجئة: في منتصف الليل، وبدعوى شعورها بوعكةٍ صحيّة، كانت تورڤيل قد غادرت القصر فجأةً وعادت إلى منزلها.

لم يتبعها ڤالمون إلى باريس. بدلاً من ذلك صار يسهر حتّى وقتٍ متأخّرٍ من الليل، ودون أن يستخدم المساحيق لإخفاء منظره الشاحب الذي نجم عن ذلك بعد فترةٍ قصيرة. صار يذهب إلى المُصَلّى يوميّاً، ويمشي حول القصر بجزعٍ واكتئاب كمن يجرّ نفسه جرّاً. عرف أنّ مضيفته كانت سترسل الرسائل إلى المدام التي كانت ستسمع بالتالي عن حالته الحزينة. قام بعد ذلك بكتابة رسالةٍ إلى أبٍ في كنيسةٍ في باريس يطلب فيها منه أن يقوم بتمرير رسالةٍ إلى تورڤيل: كان مستعدّاً لأن يغيّر حياته إلى الأبد. أراد لقاءً أخيراً، ليقول الوداع وليرجع الرسائل التي كانت قد كتبتها إليه خلال الأشهر القليلة الماضية. رتّب الأب لقاءً، وهكذا، ذات مساءٍ في باريس، وجد ڤالمون نفسه مرّةً أخرى مع تورڤيل لوحدهما، في غرفةٍ في منزلها.

كان من الواضح أنّ المدام كانت على حافّة الانهيار؛ لم تستطع النظر إلى عينيه مباشرةً. تبادلا المجاملات، لكنّ ڤالمون انقلب بعد ذلك فجأةً ليصبح فظّاً: لقد عاملته بقسوة، وكان من الجليّ أنّها كانت قد صمّمت على جعله غير سعيد. حسنٌ، هذه كانت النهاية، كانا سيفترقان إلى الأبد، بما أنّ هذا كانت ما تريده. ردّت عليه تورڤيل: لقد كانت امرأةً متزوّجة، لم يكن لديها خيار. رقّق ڤالمون من نبرته واعتذر بقوله أنّه لم يعتد أن تنتابه مشاعر قويّة كهذه، ولذا فلم يكن بمقدوره التحكّم بنفسه. ومع ذلك، فلم يكن ليعكّر صفوها بعد ذلك أبداً. بعدئذٍ، وضع على الطاولة الرسائل التي كان قد جاء من أجل إعادتها.

اقتربت تورڤيل: رؤية رسائلها، وذكرى كل الاضطراب الذي تمثّله، أثّرتا عليها بشدّة. كانت تعتقد أنّ قراره باعتزال أسلوبه الفاسق في الحياة كان بملء إرادته، هكذا قالت - وبنبرة مرارةٍ في صوتها، كما لو أنّها استاءت من كونها قد هُجِرَت. كلاّ، لم يكن قراراً طوعيّاً، ردّ عليها، بل كان ناجماً عن رفضها إيّاه بازدراء. بعد ذلك دنا منها خطوةً وأخذها بين ذراعيه، لم تقاوم. وصرخ «امرأةٌ جديرةٌ بالعبادة!» «ليس لديك فكرة عن الحبّ الذي

النضال المطوّل، وكلّ فتنة الهزيمة المدبّرة بجهد، من خلال الوصول إلى نصرٍ مُبتَسر؛ إذا تلهّيت بأكثر الأفكار صبيانيّةً، فمن الممكن أن أكون راغباً بألا يأخذ مُخضِع المدام دي تورڤيل ثمرةً لجهوده سوى العلامة الفارقة عديمة الطعم بكونه قد أضاف اسماً جديداً إلى القائمة. آه، دعها تستسلم، لكن دعها تكافح! دعها تكون أضعف من أن تسود لكن قويّةً بما فيه الكفاية لتقاوم؛ دعها تستمتع بمعرفة ضعفها في وقت فراغها، لكن دعها تكون غير مستعدّةٍ للاعتراف بالهزيمة. دع الصيّاد المنتهك والمتواضع يقتل الأيل حيث فاجأه في مكان اختبائه؛ الصيّاد الحقيقي سوف يجبره على الدفاع عن نفسه.

- الڤيكونت دي ڤالمون، في علاقات سرّيّة خطرة لشوديرلو

تلهميه. لن تعلمي أبداً كم عبدتك، وكم كانت مشاعري أغلى لديّ من حياتي! ... عسى أن تُبارَك [أيّامك] بكلّ السعادة التي حرمتنيها!» وأفلتها بعد ذلك وأدار ظهره هامّاً بالرحيل.

صاحت تورڤيل بغضب وبشكلٍ مفاجئ، «سوف تستمع إليّ، أنا أصرّ.» وأمسكت بذراعه. استدار وتعانقا. هذه المرّة لم ينتظر أكثر، فحملها إلى أريكةٍ، وهو يغمرها بالقبل وبالكلمات العذبة التي تعبّر عن السعادة التي أحسّ بها عندئذٍ. كانت كلّ مقاومتها قد تنحّت أمام فيض القبل هذا. وقالت له، «من هذه اللحظة فصاعداً أنا لك ولن تُسمعك شفتاي لا اعتراضاً ولا ندماً.» كانت تورڤيل صادقةً بكلامها، وتبيّنت صحّة ظنون ڤالمون: فالمُتَع التي ظفر بها منها كانت أعظم بكثير من تلك التي حصل عليها من أيّ امرأةٍ أخرى كان قد أغواها.

دي لاكلو، ترجمة بي. دبليو. كاي. ستون، في مجموعة *الفاسق الأدبيّة المختارة*، تحرير مايكل فيهير

التفسير. استطاع ڤالمون ـ الذي كان شخصيّةً في رواية *علاقات سرّيّة خطرة* التي ألّفها شوديرلو دي لاكلو في القرن الثامن عشر ـ ومن النظرة الأولى أن يستشعر عدّة أشياءٍ حيال المدام. كانت هيّابةً وعصبيّة. من شبه المؤكّد أنّ زوجها كان يعاملها باحترام ـ ولربّما بكثيرٍ منه. تحت اهتمامها بالله، بالدين، وبالفضيلة كان يوجد امرأةٌ شغوفة وقابلة للتأثّر بإغراء الرومانس وبالاهتمام المُطري لمتودّدٍ متوهّج. لم يكن أيّ رجلٍ، حتّى زوجها، قد أعطاها هذا الشعور ـ لأنّهم جميعاً كانوا قد رُوِّعوا وغُرّوا بمظهرها المحتشم والمتزمّت.

ألا تعلم أنّه مهما كنّا مستعدّين، ومهما كنّا متلهّفين لأن نمنح أنفسنا، فإنّه يجب بالرغم من ذلك أن يكون لدينا عذر؟ وهل هناك عذرٌ أكثر ملاءمةً من الظهور بمظهر الاستسلام للقوّة؟ بالنسبة إليّ، عليّ أن أعترف بأنّ شيئاً واحداً يطربني أكثر من أيّ شيءٍ آخر وهو هجومٌ حيّ وحسن التنفيذ، عندما يحدث كلّ شيءٍ في تعاقبٍ سريعٍ ولكن منظّم؛ والذي لا يضعنا أبداً في الموضع المحرج جدّاً الذي نضطرّ فيه لأن نغطّي خطأً فاضحاً ما والذي يجدر بنا، على النقيض من ذلك، أن نُفيد منه؛ هذا الهجوم يبقي على

بدأ ڤالمون إغواءه بعدئذٍ بكونه غير مباشر. هو يعلم أنّ تورڤيل مفتونةٌ سرّاً بصيته السيّء. من خلال ظهوره على أنّه يعتزم التغيير في حياته، فإنّه استطاع أن يجعلها ترغب بإصلاحه ـ في اللاوعي فإنّ هذه الرغبة هي رغبةٌ بحبّه. ما إن انفتحت له بأدنى درجة حتّى استهدف غرورها. لم تكن قد شعرت أبداً بأنّها مرغوبة كامرأة، ولم يسعها إلّا وأن تفرح بحبّه لها في جانبٍ من الجوانب. بالطبع قاومت وكافحت، لكنّ ذلك كان مجرّد علامةٍ على أنّ عواطفها كانت منخرطة. (اللامبالاة ـ كعاملٍ مفرد ـ هو الرادع

والعائق الأكثر فعّاليّة أمام الإغواء.) من خلال تأنّيه، ومن خلال عدم قيامه بخطواتٍ جريئة عندما كانت لديه الفرصة لذلك، فإنّه يغرس فيها حسّاً زائفاً بالأمان ويثبت نفسه من خلال تحلّيه بالصبر. من جهةٍ ثانية فإنّه فيما ادّعى أنّها زيارته الأخيرة لها، فقد استطاع أن يحسّ بأنّها جاهزة ـ ضعيفة، مضطربة، خائفةً من أن تفقد الشعور المسبّب للإدمان بكونها مشتهاة أكثر ممّا هي خائفة من تحمّل عواقب الزنى. تعمّد جعلها متهيّجةً عاطفيّاً، إذ قام بعرض رسائلها بطريقةٍ دراماتيكيّة، وخلق بعض التوتّر من خلال لعبة الكرّ والفرّ، ولذا فعندما قامت بأخذ ذراعه، فإنّه عرف أنّ وقت الهجوم قد حان. الآن يتحرّك بسرعة، فلا يفسح لها الوقت للشكوك أو لإعادة التفكير. لكنّ خطوته تبدو أنّها تنبع من الحبّ وليس من الشهوة. كم يشكّل الاستسلام متعةً بعد كل تلك المقاومة والتوتّر. تأتي الذروة (الأوج) الآن كتفريجٍ عظيم.

إيّاك أن تستخفّ بدور (تبخس حقّ) الخيلاء في الحبّ والإغواء. إذا بدوت نافذ الصبر، ومتلمّظاً (متحرّقاً) لقطرةٍ من الجنس، فإنّك تشير إلى أنّ الموضوع برمّته يتمحور حول الليبيدو أو الشهوة، وليس له علاقة كثيراً بفتنة الهدف وسحره الخاصّين. هذا هو السبب الذي يحدو بك لتأجيل الذروة. المغازلة المطوّلة سوف تداعب غرور الهدف وتغذّيه، وستجعل أثر خطوتك الجريئة (الجسورة) أكثر قوّةً وديمومةً بكثير. إنتظر أكثر من *اللازم*، بالرغم من ذلك ـ تُظهر الرغبة، لكن يتبيّن بعدئذٍ أنّك *أكثر* تهيّباً من أن تقوم بخطوتك ـ وسوف تثير نوعاً مختلفاً من الشعور بعدم الأمان: «أنت تجدني مرغوباً/بةً، لكنّك لا تتصرّف بناءً على رغباتك؛ لعلّك لست مهتمّاً للغاية.» شكوكٌ كهذه من شأنها أن تهين كبرياء الهدف (إذا لم تكن مهتمّاً، فلربّما لستُ مثيراً/ةً للغاية)، وهي مُهلِكة في المراحل اللاحقة من الإغواء؛ الارتباك وسوء التفاهم سوف يبرزان في كلّ مكان. ما إن تقرأ في إيماءات هدفك أنّهم جاهزون ومنفتحون ـ نظرةٌ في العينين، سلوكٌ يعكس صورة سلوكك، عصبيّة غريبة في حضرتك ـ حتّى يتوجّب عليك أن تمضي للهجوم، فتجعلهم يشعرون بأنّ سحرهم وفتنتهم قد نزعتك من جذورك ودفعتك للقيام بخطوتك الجريئة. عندها سوف يحصلون على اللذة القصوى: استسلامٌ جسديّ وتعزيزٌ لخيلائهم وزهوّهم.

المظهر بأنّه قد اقتلعتنا عاصفة حتّى لو كنّا مستعدّين تماماً لأن نستسلم؛ ويداعب غرور أكثر عاطفتين مفضّلتين لدينا ـ مفخرة الدفاع ولذّة الهزيمة.

ـ الماركيزة دي ميرتويل في *علاقات سرّيّة خطرة* لشوديرلو دي لاكلو، ترجمة بي. دبليو. كاي. ستون، في مجموعة *الفاسق الأدبيّة المختارة*، تحرير مايكل فيهير

أيّ رجلٍ عاقلٍ لن يوشّي ملاطفاته / بالقبل؟ حتّى لو لم تقتبله بالمقابل، / فإنّه يظلّ يفرض نفسه على الرغم من ذلك! قد تقاوم، تصرخ بأنّك «فاحش!» / ومع ذلك فإنّها تريد أن تُهزَم. فقط إحرص على ألاّ تخدش شفتيها الناعمتين بهذه القبلات المنتزعة بقوّة، لا تعطها

بقدر ما يظهر عاشقٌ تهيّباً تجاهنا بقدر ما يعني لكبريائنا أن نحقّزه؛ بقدر ما يكون لديه احترامٌ لمقاومتنا، بقدر ما نطالبه باحترام أكبر. نرغب أن نقول لكم طواعيّةً أيها الرجال: «آه، رجاءً لا تفترضوا أنّنا غاية في العفّة والطهارة؛ فأنتم تجبروننا على أن نتّصف بكثيرٍ منها.»

ـ نينون دي لانكلو

فرصةً للاحتجاج / فأنت خشنٌ للغاية. أولئك الذين ينتزعون قبلاتهم، وليس ما يتبعها، / يستحقّون أن يخسروا كل ما كسبوه. كم كنت مقصّراً عن الهدف النهائي بعد كل تقبيلك؟ ذلك كان خرقاً، وليس تواضعاً، هذا ما أخشاه ...

ـ أوڤيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

المفاتيح للإغواء

فكّر بالإغواء كعالمٍ تلجه، عالمٍ منفصلٍ ومميّزٍ عن العالم الحقيقي. القوانين مختلفة هنا؛ ما ينطبق في الحياة اليوميّة يمكن أن يكون لديه تأثيرٌ معاكسٌ في الإغواء. العالم الحقيقي يصوّر قوّةً تسعى للديمقراطيّة والمساواة، والتي من خلالها يجب أن يبدو كلّ شيءٍ شبيهاً على الأقلّ بما هو متّسم بالعدل والمساواة. خلل فاضح في ميزان القوّة، أو رغبةٌ صريحةٌ بالقوّة، من شأنها أن تثير الحسد والامتعاض؛ نحن نتعلّم أن نكون لطيفين ومهذّبين، أقلّه في الظاهر. حتّى أولئك الذين يتمتّعون بالقوّة يحاولون على الإجمال أن يتظاهروا بالتواضع والحياء ـ فهم لا يريدون أن يجرحوا المشاعر. في الإغواء، من جهةٍ ثانية، يمكنك أن ترمي بكلّ هذا جانباً، فتزدهي وتستمتع بجانبك المظلم، وتُنزِل قليلاً من الألم ـ بطريقة من الطرق كن نفسك أكثر. طبيعيّتك في هذا الصدد سوف يتبيّن أنّها مغويةٌ بحدّ ذاتها. المشكلة تكمن في أنّه بعد سنواتٍ من العيش في هذا العالم فإنّنا نفقد القدرة على أن نكون أنفسنا. إذ نصبح جبناء، متواضعين، ومفرطي التهذيب. مهمّتك هي أن تستعيد بعضاً من خصائص طفولتك، وأن تجتثّ كلّ التواضع الكاذب. وأكثر خصلةٍ من المهمّ استردادها هي الجرأة أو الجسارة.

لقد اختبرت كلّ ضروب الملذّات، وعرفت كلّ أنواع الفرح؛ وقد وجدت أنّ لا الجنس مع الأميرات، ولا الثروة المكتسبة، ولا العثور بعد الفقدان، ولا العودة بعد الغياب الطويل، ولا الأمن بعد الخوف والرقود في ملاذٍ آمن ـ ولا واحدة من هذه الأشياء تؤثّر في الروح بمثل القوّة التي يؤثّر بها الاتّحاد مع الحبيب، خاصّةً إذا جاء بعد رفضٍ طويل وإبعادٍ متواصل. لأنه

لا أحد يُخلَق رعديداً أو جباناً؛ فالتهيّب هو وقايةٌ نحن ننمّيها. فعندما لا نتّخذ أيّ مجازفةٍ أبداً، عندما لا نحاول قطّ، فإنّنا لن نضطرّ إلى تحمّل عواقب الفشل أو النجاح. فإذا كنّا لطيفين وغير ملفتين للنظر فلن يستاء أحدٌ منّا ـ في الواقع فإنّنا سنبدو ورعين كالقدّيسين وجديرين بأن نُحبّ. في

عندئذٍ يصبح لهب الشغف حارّاً بشكلٍ خارق، وأتون التوق يضطرم، ونار الأمل المتلهّف تتّقد بضراوةٍ ليس لها مثيل.

- ابن حزم، *طوق الحمام: بحث في فنّ وممارسة الحبّ عند العرب*، ترجمة آي. جاي. آربيري

الحقيقة فإنّ الناس الحيّين والهيّابين غالباً ما يكونون مستغرقين في ذواتهم، ومهووسين بالطريقة التي يراهم الناس بها وليسوا طاهرين أبداً. قد يكون للتواضع استخداماته في الجانب الاجتماعي، لكنّه مهلكٌ في الإغواء. يجب أن تكون قادراً على لعب دور القدّيس المتواضع في بعض الأوقات؛ فهو قناعٌ ترتديه. لكن في الإغواء، فعليك أن تخلعه. الجرأة منشّطة، مثيرة جنسيّاً وضروريّة بكلّ ما في الكلمة من معنى لإيصال الإغواء إلى ختامه. إذا استُخدِمَت بشكلٍ صحيح، فسوف تدلّ أهدافك على أنّهم جعلوك تفقد كوابحك الطبيعيّة، وتعطيهم رخصةً للقيام بنفس الشيء. الناس يتوقون للحصول على فرصة إظهار الجوانب المكبوتة من شخصيّتهم. في المرحلة الأخيرة من الإغواء، فإنّ الجرأة تزيل أيّ ارتباكٍ أو شكوك. في الرقص، لا يمكن لشخصين أن يتولّيا القيادة. أحدهما يأخذ زمام القيادة، فيسيّر الشخص الآخر. الإغواء ليس مساواةً؛ ليس التقاءً تناغميّاً. الإحجام في النهاية بدعوى الخوف من جرح المشاعر، أو التفكير بأنّه من الصواب مشاطرة القوّة، هو وصفةٌ للكارثة. هذا الميدان ليس للسياسة وإنّما للمتعة. يمكن القيام بالخطوة الجسورة من قبل الرجل أو المرأة، لكن لا بدّ من القيام بها. إذا كنت حريصاً جدّاً على الشخص الآخر، فعزِّ نفسك بفكرة أنّ اللذة المتأتّية للشخص الذي يستسلم غالباً ما تكون أعظم من تلك المتأتّية للمهاجم.

كنت أعرف فيما مضى سيّدين عظيمين، شقيقين، كلاهما رفيع التنشئة ومصقولٌ اجتماعيّاً، واللذين قد أحبّا سيّدتين، لكن إحدى هاتين كانت من نوعيّةٍ أرقى واعتبارٍ أعلى من الأخرى على جميع الصعد. بعد أن دخلا إلى حجرة نوم هذه السيّدة العظيمة، التي كانت في الوقت الراهن لا تزال في سريرها، فقد ابتعد كلّ واحدٍ عن الآخر ليسلّي عشيقته. أحدهما تحدّث مع السيّدة كريمة المحتد بمنتهى الاحترام بعد

عندما كان الممثّل إيرول فلين شابّاً فقد كان جريئاً وجسوراً بشكلٍ لا يمكن التحكّم به. وقد أدخله هذا في متاعب في كثيرٍ من الأحيان؛ إذ كان يتصرّف بشكلٍ مفرط الهجوميّة والمغامرة إزاء النساء المثيرات. بعد ذلك، أثناء رحلةٍ له في الشرق الأقصى، فقد صار مهتمّاً بمزاولة الجنس التانتريكي (نسبةً إلى التانتريزم، وهي حركة في الهندوسيّة والبوذيّة تعتمد على اليوغا من أجل تحرير الطاقة خلال العمليّة الجنسيّة: المترجم) الذي يتوجّب فيه على الذكر فيه أن يمرّن نفسه على ألاّ يقذف، فيحافظ على فحولته، ويعمّق لذّة كلٍّ من الشريكين خلال العمليّة. طبّق فلين هذا المبدأ لاحقاً على إغواءاته أيضاً، فعلّم نفسه على كبح جرأته الفطريّة وتأجيل خاتمة الإغواء قدر الإمكان. وهكذا، فبينما يمكن للجرأة أن تحقّق العجائب، فإنّ الجرأة التي لا يمكن التحكّم بها ليست مغوية وإنّما مخيفة؛ يجب أن تكون قادراً على أن

تشغّلها وتطفئها عند الطلب، وأن تعلم متى تستخدمها. كما في التانتريزم، فإنّك تستطيع خلق مزيدٍ من اللذة من خلال تأجيل المحتوم.

في عشرينات القرن الثامن عشر، تنامى لدى الدوق دي رايشليو ولعٌ وافتتان إزاء دوقةٍ دون غيرها. كانت هذه المرأة جميلةً على نحوٍ استثنائيّ، وكانت مُشتهاةً من قبل الجميع بلا استثناء، لكنّها كانت أعفّ من أن تتّخذ عشيقاً، بالرغم من أنّها كانت في بعض الأحيان مغناجةً إلى حدٍّ بعيد. انتظر رايشليو الفرصة الملائمة. صادقها وسحرها بخفّة دمّه التي جعلته الأثير عند النساء. ذات ليلةٍ قرّرت مجموعةٌ من النساء، من ضمنها الدوقة، أن يقمن بتنفيذ مزحةٍ عمليّةٍ عليه، يُجبَرُ فيها على الخروج من غرفته في قصر ڤيرساي وهو عارٍ. أدّت المزحة غايتها إلى حدّ الكمال، وأخذت النساء تنظرن إلى جماله الفطريّ، وضحكن سرّاً أثناء مراقبتهنّ له وهو يفرّ. كان هنالك العديد من الأماكن التي يمكن لرايشليو أن يختبئ فيها؛ إلّا أنّ المكان الذي اختار الاختباء فيه كان غرفة نوم الدوقة. شاهدها بعد مرور عدّة دقائق وهي تلج الغرفة وتخلع ملابسها، وما أن أُطفِئت الشموع حتّى زحف إلى السرير الذي اضطجعت عليه. احتجّت وحاولت الصراخ. غطّى فمها بالقبلات، ولانت في آخر الأمر وبسعادة. كان رايشليو قد قرّر القيام بخطوته الجريئة آنذاك لعدّة أسباب. أوّلاً، بدأت الدوقة بالإعجاب به، بل وحتّى صارت تكنّ له رغبةً دفينة. لم تكن لتتصرّف أبداً بما تمليه عليها تلك الرغبة أو تعترف بها، لكنّه كان متأكّداً من أنّها موجودة. ثانياً، كانت قد رأته عارياً - ولم يكن يسعها إلّا وأن تُعجَب. ثالثاً، كان لا بدّ وأن تشعر بقليلٍ من الشفقة عليه بسبب ورطته وبسبب المزحة التي مورِسَت عليه. رايشليو، المغوي من الطراز الأوّل، لم يكن ليجد لحظةً أكثر مثاليّةً.

الخطوة الجسورة يجب أن تأتي كمفاجأةٍ سارّة، لكن لا يجب أن يغلب عليها طابع المفاجأة أكثر من اللازم. تعلّم أن تقرأ العلامات التي تدلّ على أنّ الهدف آخذٌ في التتيّم بك. سيكون سلوكه أو سلوكها نحوك قد تغيّر - سيكون أكثر مرونةً، وذا كمٍّ كثيرٍ من الكلمات والإيماءات التي تعكس صورة تلك التي لديك - ومع ذلك فسيظلّ هنالك أثرٌ من العصبيّة وعدم التأكّد. هم قد استسلموا إليك بينهم وبين نفسهم، لكنّهم لا يتوقّعون

أن حيّاها بتواضع وقبّل يديها، وخاطبها بكلمات التكريم والإطراء الجليل، دون أن يحاول مطلقاً الاقتراب منها أو فرض نفسه. الأخ الآخر، ودون أيّ مراسم من الكلمات أو العبارات المنمّقة، قام بأخذ سيّدته الجميلة إلى نافذةٍ منعزلة، وأخذ حرّيّته معها بشكلٍ غير منضبط (فقد كان قويّاً جدّاً)، وأراها دون إبطاء أنّ أسلوبه لم يكن أن يحبّ على الطريقة الإسبانية التي تعتمد على النظرات وخدع الوجه والكلمات، وإنّما أن يحبّ بالأسلوب الخالي من الرياء والشكل الملائم الذي يجدر بكلّ عاشقٍ حقيقيّ أن يتمنّاه. غادر الحجرة بعد أن فرغ من مهمّته، لكنّه قال لأخيه بينما كان يهمّ بالرحيل وبصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية بحيث تسمعه السيّدة: «هل فعلت

خطوةً جريئة. هذا هو وقت الهجوم. إذا انتظرت أكثر من اللازم، إلى المرحلة التي يكونون فيها، وبشكلٍ واعٍ، راغبين بأن تُقدِم على خطوة ومتوقّعين ذلك، فإنّها تفقد طعمها كمفاجأة. أنت تريد درجةً من التوتّر والتأرجح، بحيث تمثّل الخطوة إعتاقاً عظيماً. استسلامهم من شأنه أن يُريح من التوتّر كعاصفةٍ صيفيّةٍ طال انتظارها. لا تخطّط خطوتك الجريئة سلفاً؛ فلا يجوز أن تبدو محسوبةً. إنتظر اللحظة المؤاتية؛ كما فعل رايشليو. كن متيقّظاً للظروف الإيجابيّة. هذا سيعطيك المجال لترتجل وتمضي مع اللحظة، ممّا سيعزّز الانطباع الذي تريد خلقه بكونك قد اجتاحتك الرغبة فجأةً. إذا أحسست في أيّ وقتٍ بأنّ الضحيّة تتوقّع خطوتك الجريئة، فخذ خطوةً إلى الوراء، وهدهدها نحو إحساسٍ زائفٍ بالأمان، ثمّ اضرب ضربتك.

في وقتٍ ما من القرن الخامس عشر، انتابت أحد أقارب الكاتب بانديلّو، وهي أرملةٌ شابّة من مدينة البندقيّة، رغبةٌ جنسيّة مفاجئة تجاه رجلٍ وسيم من النبلاء. كان أبوها قد دعاه إلى قصرهم لمناقشة الأعمال، لكنّ اضطرّ الوالد للرحيل خلال اللقاء، وعرضت أن تأخذ الشاب في رحلةٍ في أرجاء القصر. أُثير فضوله إزاء غرفتها التي وصفتها على أنّها الغرفة الأفخم في القصر، لكن التي مرّت من أمامها من دون أن تدعه يدخل. ترجّاها أن تُرِيَه الغرفة، فلبّت له أمنيته. سُحِر: المخمليّات، *الأشياء* النادرة، الرسومات الموحية، الشموع البيضاء الدالّة على الذوق. عبيرٌ آسرٌ عبق في الغرفة. أطفأت الأرملة كلّ الشموع إلّا واحدة، ثمّ قادت الرجل إلى السرير الذي كان مُدَفّأً بفراشٍ مُسَخِّن. سرعان ما استسلم للمساتها. إحذُ حذو الأرملة: يجب أن تتحلّى خطوتك الجريئة بخاصيّةٍ مسرحيّة. هذا سيجعلها جديرةً بأن تُذكَر. الخاصّية المسرحيّة يمكنها أن تتأتّى من المحيط أو الخلفيّة ـ كموقعٍ فريدٍ أو موحٍ بمعانٍ جنسيّة. يمكنها أيضاً أن تتأتّى من أفعالك. أثارت الأرملةُ فضول ضحيّتها من خلال خلق الترقّب فيما يتعلّق بغرفتها. عنصرٌ من الخوف ـ كأن يضبطكما أحدهم، على سبيل المثال ـ من شأنه أن يزيد التوتّر. تذكّر: أنت تخلق لحظةً، من الضرورة أن تتميّز عن رتابة (تشابه أيّام) الحياة العاديّة.

مثل فعلي يا شقيقي؛ أم أنّك لم تفعل شيئاً على الإطلاق. تحلَّ بنفس الجرأة والشجاعة اللتين تتحلّى بهما في أيّ مكانٍ آخر، علاوةً على ذلك فإنّك إذا لم تظهر جسارتك في التو واللحظة، فسيلحق بك الخزي؛ لأنّ هذا المكان ليس مكاناً للمراسم والاحترام، وإنّما مكانٌ ترى فيه سيّدتك واقفةً أمامك وهي لا تفعل شيئاً سوى انتظار هجومك.» بقوله هذا غادر شقيقه، الذي بالرغم من ذلك كان لا يزال محجماً ومؤجّلاً هجومه حتّى وقتٍ آخر. لكن بسبب إحجامه هذا فإنّ السيّدة لم تردد له احتراماً، أكان إحجامه قد عزته إلى برودٍ زائد في الحبّ، أم إلى نقصٍ في الشجاعة، أم إلى علّةٍ في النشاط الجسماني.

ـ سيغنور دي برانتوم، *حيوات السيّدات*

إبقاء أهدافك متهيّجون عاطفيّاً سوف يضعفهم ويزيد من دراما

اللحظة على حدٍّ سواء. وأفضل طريقةٍ لإبقائهم على درجة معيّنة من التوتر تكون من خلال إعدائهم بمشاعرك الخاصّة. عندما كان ڤالمون يريد من المدام أن تكون هادئةً، غاضبةً، أو حنونة، فإنّه كان يُظهِر تلك العاطفة أوّلاً، كي تعكس صورتها من بعده. الناس سريعو التأثّر للغاية بأمزجة وطباع أولئك الذين من حولهم؛ هذا مهمٌّ جدّاً في المراحل الختاميّة من الإغواء، عندما تكون المقاومة منخفضة والهدف قد وقع تحت سحرك. تعلّم في هذه النقطة من الخطوة الجريئة أن تُعدي الهدف بأيّ حالةٍ عاطفيّةٍ تحتاج إليها، وذلك بالمقارنة مع الإيحاء بالحالة من خلال الكلمات. أنت تحتاج إلى أن تنفذ إلى لاوعي الهدف، وأفضل طريقةٍ للوصول إلى هذا تكون من خلال إعدائهم بالانفعالات، متجاوزاً بذلك قدرتهم الواعية على المقاومة.

الجميلات والمهيبات، ترجمة آي. آر ألينسون

يجب على الرجل أن يباشر بالاستمتاع بأيّة امرأة عندما تمنحه الفرصة وتجعل حبّها يتجلّى له من خلال العلامات التالية: تنادي الرجل قبل أن تُخاطَب من قبله؛ تُريه نفسها في أماكن سرّيّة؛ تتكلّم إليه برعشة ولجلجة؛ يتورّد وجهها بهجةً وتتعرّق أصابع يديها ورجليها؛ وفي بعض الأحيان تبقي كلتا يديها على جسمه وكأنّها قد تفاجأت بشيءٍ ما، أو وكأنّها قد غلبها التعب. • بعد أن تكون المرأة قد أظهرت حبّها له بواسطة العلامات الخارجيّة، وبواسطة حركات جسمها، فإنّه يتوجّب على الرجل أن يقوم بكلّ محاولةٍ ممكنة ليخضعها. لا يجب أن يكون هناك حيرة أو تردّد: إذا تمّ العثور

قد يبدو من المُتَوَقَّع أن يكون الذكر هو من يقوم بالخطوة الجريئة، لكنّ التاريخ مليءٌ بإناثٍ جريئاتٍ وعلى نحوٍ ناجح. هناك نمطان أساسيّان للجرأة الأنثويّة. في النمط الأوّل، الأكثر تقليديّةً، تقوم المرأة المغناجة بإثارة رغبة الذكر، وتكون ممسكةً بزمام السيطرة بالكامل، لكن في اللحظة الأخيرة، وبعد أن تكون قد أوصلت ضحيّتها إلى حالة الغليان، فإنّها تتراجع وتدعه هو يقوم بالخطوة الجريئة. هي ترتّب الأمر، ومن ثمّ تشير بعينيها، بإيماءاتها، بأنّها جاهزةٌ له. كانت المحظيّات قد استخدمن هذه الطريقة طوال التاريخ؛ إنّها الطريقة التي عملت بها كليوباترا على أنتوني، الطريقة التي أغوت بها جوزفين نابوليون، الطريقة التي كدّست بها أوتيرو الجميلة ثروةً خلال الحقبة الجميلة. إنّها تترك للرجل أن يحتفظ بأوهامه الرجوليّة، بالرغم من أنّ المرأة هي من يقوم بالهجوم في الحقيقة.

النمط الثاني من الجرأة الأنثويّة لا يعبأ بهذه الأوهام: فالمرأة ببساطة تتولّى الأمر، فتبادئ بالقبلة الأولى، وتنقضّ على ضحيّتها. هذه هي الطريقة التي عملت بها كلٌّ من مارغريت دي ڤالوا، لو آندرياس ـ سالوم، والمدام ماو، ووجد العديد من الرجال أنّ هذه الطريقة لا تعني إطلاقاً بأنّهم مخنّثون وإنّما مثيرةٌ جدّاً. الأمر برمّته يعتمد على ميول الضحية ومكامن الشعور بعدم الأمان عندها. هذا النوع من الجرأة الأنثويّة لديه إغراؤه الخاصّ لأنّه أكثر ندرةً من النوع الأوّل، لكن في النهاية فإنّ الجرأة بكاملها هي أمرٌ نادر نوعاً

ما. الخطوة الجريئة ستبرز دائماً بالمقارنة مع المعاملة المعتادة التي يقدّمها الزوج الفاتر، أو العاشق الجبان، أو طالب يد المرأة المتردّد. ذلك هو ما تحتاج إليه. لو كان الجميع جريئاً، لفقدت الجرأة فتنتها بسرعة.

على ثغرة فيجب على الرجل أن يفيد منها إلى أقصى حدّ. المرأة، بالفعل، تصبح متقزّزة من الرجل إذا كان جباناً حيال فرصه ويقوم بتضييعها. الجرأة هي المحكّ، لأنّ كلّ شيء سيُربَح، ولا شيء سيُخسَر.

- فنّ الحبّ الهندوسي، جمع وتحرير إدوارد ويندسور

الرمز: عاصفة الصيف. أيام القيظ تتبع بعضها بعضاً، دون أن تلوح نهايةٌ في الأُفق. الأرض ظمأى وجافّة. بعدئذٍ يأتي سكونٌ في الهواء، كثيفٌ وقابضٌ للصدر - الهدوء الذي يسبق العاصفة. فجأةً تصل عصفاتٌ من الريح، والتماعاتٌ من البرق، مثيرةٌ ومخيفة. لا تفسح المجال للارتكاس أو للفزع إلى ملجأ، يأتي المطر ويحمل معه إحساساً بالفرح. أخيراً.

الانقلاب

إذا اجتمع شخصان بدافعٍ من الاتّفاق المُتبادل، فذلك ليس إغواءً. لا يوجد انقلاب.

24

كن على حذر من الاثار اللاحقة

الخطر يتبع في أعقاب الإغواء
الناجح. فبعد أن تصل المشاعر إلى ذروتها،
فإنّها غالباً ما تتأرجح في الاتّجاه المعاكس ـ نحو
الكلل وقلّة الثقة وخيبة الأمل. إحذر من الوداع الطويل
الممتدّ؛ إذا كانت الضحيّة تعاني من الشعور بعدم الأمان، فإنّها
سوف تتشبث بأظافرها، وسيعاني كلا الجانبين. إذا قُيّضَ لك أن
تنفصل، فاجعل الخسارة سريعة ومفاجئة. تعمّد تحطيم السحر الذي
خلقته إذا كان ذلك ضرورياً. إذا كنت ستستمر في العلاقة، فاحذر فتور
الطاقة، والاعتيادَ الزّاحف خُلسةً الّذي سوف يفسد الحلم. إذا كانت
اللعبة ستستمرّ، فيلزَمُ إغواءٌ ثانٍ. إيّاك أن تدع الشخص الآخر يقلّل
من تقديره لك ويعتبرك كشيءٍ مسلّم به ـ استخدم الغياب،
إخلق الألم والصراع لِتُبقي المُغوَيَّ في حالةٍ من
القلق والتوتر.

التحرير من السحر أو الوهم

الإغواء هو نوعٌ من الرقية، سحر. عندما تغوي، فأنت لا تكون نفسك (المعتادة) تماماً، حضورك يصبح مركّزاً، فأنت تلعب أكثر من دورٍ واحد، وتخفي بشكلٍ استراتيجيّ ما لديك من سلوكيّاتٍ غريبة ومكامن للشعور بعدم الأمان. لقد خلقت عمداً الغموض والترقّب وذلك كي تجعل الضحيّة تختبر دراما من الحياة الحقيقيّة. تحت سحرك فإنّ المَغوِيّ يبدأ بالشعور بأنّه قد انتقل بعيداً عن عالم العمل والمسؤوليّة.

ستبقي هذا مستمرّاً ما دمت تريد أو تستطيع ذلك، فتزيد التوتّر، وتحرّك المشاعر، إلى أن يحين الوقت أخيراً لإكمال الإغواء. بعد ذلك، فإنّه من شبه المحتوم أن يحلّ *التحرر من السحر أو الوهم*. إنّ تفريج التوتّر يُتبَع بفتور - فتور التشوّق أو الطاقة - الذي يمكنه أن يتجسّد حتّى كنوعٍ من القرف المُوَجّه إليك من قبل ضحيتك، بالرغم من أنّ ما يحصل هو دورةٌ عاطفيّةٌ طبيعيّة. إنّه كما لو أنّ دواءً يفقد مفعوله بالتدريج، فيسمح للهدف برؤيتك كما أنت - ويخيب أمله بالعيوب التي لا بدّ أنّها هنالك. من جانبك، فمن المرجّح أن تكون قد نزعت بطريقةٍ أو بأخرى لإضفاء أبعادٍ مثالية على أهدافك، وما إن تُشبَع رغبتك، فإنّك قد تراهم كضعفاء. (هم قد استسلموا لك في المحصّلة النهائيّة.) أنت أيضاً قد تشعر بخيبة الأمل. حتّى في أفضل الظروف، فإنّك تتعامل الآن مع الحقيقة وليس مع الحلم، وسيخبو اللهب شيئاً فشيئاً - إلّا إذا بدأت إغواءً ثانياً.

قد تعتقد أنّه إذا كانت الضحيّة سيُضَحّى بها، فإنّ لا شيء من هذا يهمّ. لكن في بعض الأحيان فإنّ جهدك لقطع العلاقة سيؤدّي ودون قصد إلى إعادة إحياء السحر بالنسبة للشخص الآخر، الأمر الذي يؤدّي إلى جعله/ها يتمسّك/ تتمسّك بك بشدّة. كلاّ، في كلا الاتّجاهين، التضحية، أو

بكلمة، وأسفاه للمرأة ذات المزاج الرتيب؛ فرتابتها تتخم وتثير الاشمئزاز. إنّها دائماً على نفس الصورة، ومعها يكون الرجل محقّاً دائماً. هي غاية في الطيبة، غاية في الرقّة، إلى درجة أنّها تأخذ من الناس امتياز الشجار معها، وهذا عادةً ما يكون مصدر متعةٍ عظيمة! لكن ضع في مكانها امرأة مفعمة بالحيويّة ومتقلّبة ومصمّمة، إلى حدٍّ ما وستتخذ الأمور منحىً مختلفاً. سيجد

دمجكما (تكاملكما) كثنائيّ - فإنّه من واجبك أن تأخذ التحرّر من السحر (فقدان الاهتمام) في الحسبان. هنالك أيضاً فنٌّ لما بعد الإغواء.

اضطّلع في التكتيكات التالية لتتجنّب الآثار اللاحقة غير المرغوبة.

حارب الكسل والجمود. الإحساس بأنّك تحاول بجهدٍ أقلّ غالباً ما سيكون كافياً لجعل ضحاياك تفقد الاهتمام. فهم من خلال تأمّلهم واستذكارهم لما بذلته خلال الإغواء سيرونك كمتلاعب، كنت تريد شيئاً عندئذٍ، ولذا عملت للحصول عليه، أمّا الآن فإنّك تتعامل معهم كأمرٍ مسلّم به. فبعد أن ينتهي الإغواء الأوّل، إذن، أَظهِر أنّه لم ينتهِ حقّاً - أي أنّك لاّ تزال ترغب بإثبات نفسك، وبتركيز اهتمامك عليهم، وإغرائهم. هذا غالباً ما يكون كافياً لإبقائهم مفتونين ومسحورين. حارب النزوع لترك الأمور تستقرّ وتركد كروتينٍ وطمأنينة. حرّك البوتقة، حتّى لو كان ذلك يعني العودة إلى إنزال الألم والانسحاب. إيّاك أن تعوّل على مفاتنك الجسديّة؛ فحتّى الجمال يفقد رونقه وجاذبيّته بالعرض المستمرّ. الاستراتيجيّة والجهد فقط هما ما سيكافحان الكسل والعطالة.

العاشق في الشخص نفسه متعة التنوّع. المزاجية هي الملح، الخاصيّة التي تمنع الأمور من أن تصبح مبتذلة. الأرق، الغيرة، الشجارات، التصالح من جديد، الاضطغان، كلّها غذاء للحبّ. هل يسحر التنوّع؟ ... وتناغم مستديم أكثر من اللزوم سينتج ضجراً مميتاً. الانتظام يقتل الحبّ، لأنه ما إن تختلط روحيّة النظام والمنهجيّة في مسألةٍ من مسائل القلب، حتّى يختفي الشغف، ويتلو الوهن، ويبدأ الضجر بالإضجار، ويقلب الاشمئزاز الصفحة.

- نينون دي لانكلو، *حياة ورسائل نينون دي لانكلو وفلسفتها الحسيّة*

حافظ على الغموض. الألفة هلاك الإغواء. إذا كان الهدف يعلم كلّ شيءٍ عنك، فسوف تكتسب العلاقة مستوىً من الراحة لكنّها سوف تفقد عنصري الخيال والتلهّف. دون التلهّف ومسحةٍ من الخوف، فإنّ التوتّر الجنسي سوف يتبدّد وينحلّ. تذكّر: الحقيقة (الواقع) ليست مغويةً. أبقِ بعض الجوانب المظلمة في شخصيّتك، تحدَّ التوقّعات، استخدم الغيابات لتفتيت التشبّث، والشّد الاستحواذي الذي يسمح للألفة بالتسلّل. حافظ على بعض الغموض وإلاّ فسيتَعامَل معك كأمرٍ مسلّمٍ به. لن يكون لديك سوى نفسك لتلومها على ما يتبع (يَعقب).

حافظ على خفّة الروح والظل. الإغواء هو لعبة، وليس مسألة حياةٍ أو موت. سيكون هنالك ميلٌ في المرحلة «اللاحقة» لأخذ الأشياء على محملٍ جديٍّ وشخصيٍّ بصورة أكبر، وللتذمّر بطريقة نكدة من السلوك الذي لا

لا يمكن للعمر أن يجعلها تذبل، ولا

يرضيك. كافح هذا قدر الإمكان، لأنّه سيخلق تماماً الأثر الذي لا تريده. أنت لا تستطيع التحكّم بالشخص الآخر من خلال النّق والتشكّي؛ فهذا سوف يجعلهم دفاعيّين، ممّا سيفاقم المشكلة. ستتمتّع بسيطرةٍ أكبر إذا حافظت على الروحيّة المناسبة. مرحك، الحيل الصغيرة التي توظّفها لترضيهم وتسرّهم، وتساهلك مع أخطائهم سوف يجعل ضحاياك مطواعين ومن السهل التعامل معهم. إيّاك أن تحاول تغيير ضحاياك، واستمِلْهُم، بدلاً من ذلك، لاتّباع قيادتك.

للعادة أن تتفّه / تنوّعها غير المحدود: النساء الأخريات / يتخمن الشهوات التي يغذّونها؛ لكنّها تُجَوّع حيث تُشبع.

- ويليام شيكسبير، *أنتوني وكليوباترة*

تفادَ التخامد (الاحتراق) البطيء. في أغلب الأحيان، فإنّ أحد الطرفين يفقد الاهتمام ويتحرّر من السحر لكنّه يفتقد إلى الشجاعة اللازمة لإحداث القطيعة. عوضاً عن ذلك، فإنّه ينسحب أو تنسحب من الداخل. هذه الخطوة النفسيّة التراجعيّة باعتبارها نوعاً من الغياب من شأنها أن تعيد إشعال رغبة الطرف الآخر بشكلٍ غير مقصود، فتنجم حلقةٌ محبطة وعديمة الجدوى من المطاردة والانسحاب. كلّ شيءٍ سيتحلّل ويتفكّك، بالتدريج. بمجرّد ما تشعر بفقدان الاهتمام وتعلم أنّ العلاقة انتهت، أنهها بسرعة ودون اعتذار. لأنّ الاعتذار لن يؤدي إلا إلى إهانة الشخص الآخر. غالباً ما يكون تخطّي الانفصال السريع أمراً أكثر سهولة (من تخطّي الانفصال البطيء) - إذ يكون الأمر كما لو أنّك تعاني من مشكلة فيما يتعلّق بالإخلاص، وذلك بالمقارنة مع شعورك بأنّ المَغويّ لم يَعُد مرغوباً. ما إن تكون قد فقدت الاهتمام حقّاً، فلن يكون هنالك مجالٌ للرجوع، لذلك لا تنتظر بدافعٍ من الشفقة الزائفة. أن تقوم بقطيعةٍ واضحة وتامّة هو أمرٌ أكثر رأفةً. إذا بدا ذلك غير ملائم أو شديد القبح، فتعمّد عندئذٍ أن تحرّر الضحيّة من السحر من خلال سلوكٍ منفّر (ضدّ إغوائي.)

اهتفوا، واهتفوا مرّة أخرى، ابتهاجاً بنصرِ سنتي - / الطريدة التي سعيت وراءها قد وقعت في شباكي... / لِمَ العجلة أيها الشابّ؟ لا تزال سفينتك في منتصف الطريق، / والميناء الذي ألتمسه بعيدٌ من هنا / من الصحيح القول أنّك قد أحرزت عشيقةً بواسطة أشعاري، / لكنّ ذلك ليس كافياً. إذا كان فنّي / قد أمسك بها، فعلى فنّي أن يبقيها. إنّ الدفاع عن الحبّ / يتطلّب براعةً كإحرازه. كان

أمثلة عن التضحية والاندماج

1. في سبعينات القرن الثامن عشر، بدأ الفارس الوسيم دي بيليروش، الذي كان من نبلاء الدرجة الدنيا، علاقةً مع سيّدةٍ تكبره في السن، الماركيزة دي ميرتويل. كان قد رأى منها الكثير، لكنّها سرعان ما بدأت

بافتعال المشاكل معه. عمل جاهداً لإرضائها كونه كان مسلوب اللبّ إزاء سلوكها غير المُتَوَقّع، ممطراً إيّاها بالاهتمام والرقّة. توقّف الشجار في آخر الأمر، وبمرور الأيّام، صار دي بيليروش واثقاً من أنّها تحبّه - وهكذا إلى أن جاء يومٌ، عندما قدم لزيارتها، ووجد أنّها ليست في المنزل. استقبله الخادم على الباب، وأخبره بأنّه سيأخذه إلى منزلٍ سرّيٍّ لميرتويل يقع خارج باريس. هنالك كانت الماركيزة تقبع في انتظاره وهي في مزاجٍ جديدٍ من الغنج: تصرّفت كما لو أنّ هذا اللقاء كان لقاءهم الأوّل. لم يرها الماركيز بمثل هذا التوهّج. غادر عند الفجر وهو يشعر بالحبّ أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لكنّهما تشاجرا مجدّداً بعد بضعة أيّام. بدت الماركيزة باردةً بعد ذلك، ورآها وهي تغازل رجلاً آخر في أحد الحفلات. شعر بغيرةٍ مرعبة، لكن وكما في السابق، فقد كان حلّه أن يصبح أكثر مجاملةً وحبّاً. اعتقد أنّ هذه الطريقة كانت الأمثل لاسترضاء امرأةٍ صعبة.

الآن كان على ميرتويل أن تقضي بضعة أسابيع في منزلها الريفيّ لمعالجة بعض الأعمال هنالك. دعت بيليروش لينضمّ إليها في إقامةٍ مطوّلة، فوافق بسرور، إذ تذكّر الروح الجديدة التي جلبتها الإقامة السابقة إلى علاقتهما. فاجأته مرّةً أخرى: فقد تجدّد تعلّقها به ورغبتها في إرضائه. إلّا أنّه، في هذه المرّة، لم يكن يتوجّب عليه الرحيل في صبيحة اليوم التالي. مرّت الأيّام وهي ترفض أن تستضيف أيّة ضيوف. لن يتطفّل عليهم العالم. وهذه المرّة لم يكن هنالك جفاءٌ أو شجار، وإنّما بهجةٌ وحبٌّ فقط. ومع ذلك فقد بدأ دي بيليروش يشعر الآن بالسأم من الماركيزة؛ فبتر إقامته بعد أسبوع بحجّة القيام ببعض الأعمال وأسرع عائداً إلى المدينة. بطريقةٍ ما فإنّ الماركيزة لم تعد تبدو ساحرةً بعد الآن.

التفسير. الماركيزة دي ميريتويل، شخصيّة في رواية *علاقات سرّيّة خطرة* للكاتب شوديرلو دي لاكلو، هي مُغويةٌ محنّكةٌ لا تدع علاقاتها أبداً تستمرّ أكثر من اللازم. دي بيليروش هو شابٌّ ووسيم لكنّ هذا كلّ شيء. بينما كان اهتمامها به يتضاءل، فقد قرّرت أن تستقدمه إلى المنزل السريّ

هنالك حظٌّ في المطاردة، / لكن هذه المهمّة تتطلّب مهارةً. إذا احتجت في أيّ وقتٍ من الأوقات إلى الدعم من ڤينوس وثاني الأقانيم، ومن إيراتو - الموزيّة / ذات الاسم الشهواني - فإنّه يجب عليّ الآن، من أجل مشروعي مفرط الطموح / أن أصف بعض التقنيات التي قد تكبح / ذلك الشاب المتقلّب كثير الأسفار، الذي اسمه الحب... / لكي تُحَبّ عليك أن تُظهِر أنّك جديرٌ بأن تُحَبّ - / وهو شيءٌ لا يستطيع الشكل الحسن لوحده / أن يحقّقه. قد تكون بوسامة نيروس الذي كتب عنه هوميروس، / أو هيلاس الشاب، الذي اختُطِف من قبل حوريّات الماء السيئة تلك؛ لكنّ الأمر سيّان، فلكي تتفادى مفاجأة الهجر / وتحتفظ بفتاتك، فالأفضل أن تتحلّى

لتحاول إدخال بعض الجدّة في العلاقة. هذا يُجدي لفترة، لكنّه ليس كافياً. يجب التخلّص من الفارس. تجرّب البرود، الغضب (على أمل إحداث مشاجرة)، بل وحتّى إظهار الاهتمام برجلٍ آخر. إلّا أنّ كلّ هذا لا يؤدّي إلّا إلى زيادة تعلّقه. لا يمكنها أن تتركه ببساطة ـ فقد يصبح راغباً بالانتقام، أو يحاول استعادتها بجهدٍ أكبر حتّى. الحلّ: تتعمّد تحطيم السحر من خلال إغراقه بالاهتمام. فتترك نمط المناوبة ما بين الدفء والبرودة، وتمثّل بأنّها تحبّه على نحوٍ يائس. بمكوثه لوحده معها يوماً بعد يوم، ودون مجالٍ للتخيّل، فإنّه لا يعود يراها فاتنةً كما من ذي قبل فينهي العلاقة. هذا كان هدفها من البداية.

إذا كان الإنفصال عن الضحيّة صعباً أو سيسبّب الفوضى (أو أنّك تفتقد لرباطة الجأش)، فعليك إذن أن تفعل الشيء الأكثر صوابيّةً بعد هذا: حطّم عمداً التعويذة (السحر) التي تربطه/ها بك. النأي (الابتعاد) أو الغضب لن يؤدّيا إلّا إلى إثارة الشعور بعدم الأمان عند الشخص، الأمر الذي يولّد ذعراً تشبثيّاً. حاول بدلاً من ذلك أن تخنقهم بالحبّ والانتباه: كن أنت نفسك تمسّكيّاً واستحواذيّاً، أنفق كلّ وقتك بالاهتمام بكلّ عملٍ يقوم به العاشق وكلّ ميلٍ في شخصيته، إخلق الأحساس بأنّ هذا التعلّق الرتيب سوف يستمرّ للأبد. لا مزيد من الغموض، لا مزيد من الغنج، لا مزيد من الانسحابات ـ مجرّد حبٍّ لانهائيّ. قلّةٌ يستطيعون تحمّل هذا التهديد. بضعة أسابيعٍ من هذا وسيكونون قد رحلوا.

2. كان الملك تشارلز الثاني خليعاً كرّس نفسه للمتعة. كان لديه إسطبلٌ من العشيقات: فقد كان هنالك على الدوام عشيقةٌ مُفَضّلة من الطبقة الأرستقراطيّة، وعددٌ لا يُحصى من النساء الأقل الأهمية. كان يعشق التنوّع. ذات ليلةٍ من عام 1668، أمضى الملك أمسيةً في المسرح، حيث انتابته رغبةٌ مباغتة تجاه ممثّلةٍ شابّة تُدعى نيل جوين. كانت حلوةً وعليها سيماء البراءة (فقط في الثامنة عشرة من عمرها في ذلك الوقت)، وذات بريقٍ بنّاتيّ في خدّيها، لكنّ العبارات التي ألقتها على المسرح كانت غير

بالمواهب العقليّة / بالإضافة إلى المفاتن الجسديّة. الجمال سريع الزوال، فالسنون / المتعاقبة تُذهِب قوامه، وتتآكله. / أزهار البنفسج والزنبق ذات الشكل الجرسيّ لا تظلّ متفتّحةً إلى الأبد، / الأشواك القاسية هي كلّ ما يتبقّى من الوردة المتفتّحة. / وكذلك الحال معك، يا شبابي الوسيم: قريباً ستثلّم التجاعيد جسمك؛ قريباً، قريباً جدّاً، سيشيب شعرك. / فابنِ إذن عقلاً يدوم، وأضف ذلك إلى جمالك: / هو لوحده سيدوم إلى أن / تستنفدك النيران. أبقِ ذكاءك حادّاً، اكتشف الفنون / العقليّة، تمكّن من الإغريقيّة بالإضافة إلى اللاتينيّة. أوليسيس كان فصيحاً، وليس وسيماً ـ / ومع ذلك فقد ملأ قلوب

محتشمة وذات دلالاتٍ جنسيّة. تحمّس الملك للغاية فقرّر أنّ لا بدّ له من أن يحظى بها. أخذها بعد الأداء إلى سهرةٍ من الشرب والقصف، ومن ثمّ قادها إلى سريره الملكي.

نيل كانت ابنة سمّاك، وابتدأت مسيرتها ببيع البرتقال في المسرح. تبوّأت منزلة الممثّلة بعد أن نامت مع كتّابٍ ورجال مسرحٍ آخرين. لم تكن تشعر بالعار إزاء هذا. (عندما تورّط خادمٌ لها في شجارٍ مع شخصٍ قال أنّه يعمل لحساب عاهرة، فقد فضّت العراك بقولها، «أنا عاهرة. جدْ شيئاً أفضل لتقاتل من أجله.») دعابة نيل وأجوبتها الصفيقة سلّت الملك كثيراً، لكنّها كانت وضيعة المحتد، وممثّلة، وكان يشقّ عليه أن يجعلها الأثيرة عنده. بعد عدّة ليالٍ مع «نيل الحلوة الظريفة» عاد إلى عشيقته الرئيسيّة لويس كيرووال التي كانت فرنسيّةً كريمة المحتد.

كانت كيرووال مغويةً ذكيّةً. فقد كانت تلعب دور من يصعب الحصول عليه، وأوضحت أنّها لن تمنح الملك عذريّتها إلّا بعد أن يعد بإعطائها لقباً. هذا هو نوع المطاردات الذي كان الملك يستمتع به، ومنحها لقب دوقة بورتسموث. لكن سرعان ما صار طمعها وصعوبة إرضائها يشكّلان مصدر إزعاجٍ له. كي يلهي نفسه ويروّح عنها، فقد رجع إلى نيل. كلّما زارها فإنّه كان يُحتفى به كملك وتُكرَم وفادته بالطعام والشراب ودعابتها الرائعة. إذا كان الملك سئماً أو سوداويّ المزاج، فإنّها كانت تأخذه لاحتساء الشراب أوللعب القمار، أو في نزهةٍ في الريف، حيث علّمته الصيد. لم تكن لتخلو أبداً من المفاجآت السارّة. أكثر شيءٍ أحبّه فيها على الإطلاق كان فطنتها وخفّة دمّها عندما كانت تسخر من حركات كيرووال المدّعية. كان من عادة الدوقة أن تلبس ثوب الحداد كلّما توفّي نبيلٌ من بلدٍ آخر، كما لو أنّه كان هنالك صلة رحم؟ نيل أيضاً كانت تظهر في القصر في تلك المناسبات وهي متّشحة بالسواد، وكانت تقول بأسىً (ساخر) أنّها كانت تتفجّع على «خان التتار» أو على «بعبع قبائل أورونوكو» - بوصفهم من كبار أقاربها. كانت تدعو الدوقة في وجهها «الحولاء» و«الصفصافة المنتحبة،» وذلك بسبب سلوكها المتكلّف وسيماء السوداويّة التي لديها.

إلاهات البحر / بالهوى الموجِع... / لا شيء يفعل فعله على المزاج مثل الاحتمال أو التسامح اللبق: القسوة / تثير الكراهيّة، وتُحدِث شجاراتٍ مغثية. / نحن نبغض الصقر والذئب، أولئك الصيّادون الفطريّون، / الذين يفترسون دوماً القطعان الهيّابة؛ لكنّ السنونو الرقيق يفلت من شراك الإنسان، نحن نصنع / بيوتاً صغيرةً ذات أبراجٍ للحمام. / إبقَ بعيداً عن كلّ الشجارات، وعن الاتهامات المضادّة اللاذعة - / فالحبّ حسّاس، ويحتاج إلى أن يُغذّى / بالكلمات اللطيفة. دع النقّ للزوجات والأزواج، / دعهم يفكّرون أنّه قانونٌ طبيعيّ إذا أرادوا ذلك، / حالة حزازةٍ دائمة. الزوجات يزدهرن على الخصام. / ذلك هو

سرعان ما صار الملك يمضي وقتاً أطول مع نيل ممّا يقضيه مع الدوقة. في الوقت الذي لم تعد فيه كيرووال صاحبة حظوة، فإنّ نيل كانت قد أصبحت عمليّاً محظيّة الملك (أثيرته)، وظلّت كذلك حتّى وفاتها في عام 1685.

دوطتهم. الخليلة يجب أن تسمع دائماً / ما تريد أن يُقال لها... / استخدم المداهنات الرقيقة، اللغة التي تداعب الأذن، واجعلها سعيدة بمقدمك.

ـ أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

التفسير. كانت نيل جوين طمّاحةً. أرادت النفوذ والشهرة، لكن في القرن السابع عشر فإنّ الطريقة الوحيدة للحصول على هذه الأشياء بالنسبة للمرأة كانت من خلال رجل ـ ومن أفضل من الملك؟ لكنّ التورّط مع الملك كان لعبةً خطرة. فرجلٌ مثله، سريع الضجر وفي حاجةٍ للتنويع، كان سيستخدمها من أجل علاقةٍ جنسيّةٍ عابرة، ثمّ يجد امرأةً أخرى.

الاستراتيجيّة التي اعتمدتها نيل كي تعالج هذه المشكلة كانت بسيطة: تركت الملك يتمتّع بفتياته الأخريات، ولم تتذمّر قطّ. إلّا أنّها حرصت بالرغم من ذلك على تسليته وإلهائه في كلّ مرّةٍ كان يراها فيها. ملأت حواسّه بالمتعة، متصرّفةً كما لو أنّ حبّها له لم يكن يمتّ بأيّ صلةٍ لمنصبه. تنوّع النساء كان من شأنه أن يرهق أعصابه ويتعبه، فهو ملكٌ كثير المشاغل. فجميعهنّ كان لديهنّ الكثير من المطالب. لو استطاعت امرأةٌ واحدة أن تؤمّن نفس التنوّع (ونيل، بوصفها ممثّلة، علمت كيف تلعب أدواراً مختلفة)، فإنّها كانت ستتمتّع بأفضليّةٍ كبيرة. لم تطلب نيل المال أبداً، ولذا واظب تشارلز على مدّها بالكثير منه. لم تطلب أبداً أن تكون الأثيرة لديه ـ وكيف لها؟ فقد كانت من العامّة ـ إلّا أنّه رفعها إلى تلك المكانة.

في باريس أقامت الفرقة حفلةً في مسرح بالاي. أحيوا النصف الأوّل، وبعدئذٍ كان هنالك فترة استراحة فاصلة لمدّة ساعة من الزمن كنّا قد طلبناها ـ وتخلّلها بوفيه رائعة على طاولةٍ طويلةٍ محمّلةٍ بالطعام الطيب والكونياك والشامبانيا والنبيذ وذلك الشيء النادر في باريس ... الويسكي الاسكتلنديّة. الناس، الأرستقراطيون والخدم، بعضهم على

سيكون العديد من أهدافك مثل الملوك والملكات، وخاصّةً أولئك الذين يسأمون بسهولة. ما إن ينتهي الإغواء فإنّهم لن يجدوا صعوبةً في مثلنتك وحسب، بل وقد يتحوّلون أيضاً إلى رجلٍ آخر أو امرأةٍ أخرى من شأن غرابته/ها (كونهم غير مألوفين) أن تبدو مثيرةً وشاعريّة. كونهم يحتاجون إلى أناسٍ آخرين لإلهائهم فإنّهم غالباً ما يشبعون هذه الرغبة من خلال التنويع. لا تضع نفسك في مُتَناول يد أولئك الملوك من خلال التذمّر، أو رثاء الذات، أو المطالبة بالامتيازات. ذلك لن يؤدّي سوى إلى زيادة

زهدهم (عدم اهتمامهم) الفطري ما إن ينتهي الإغواء. بدلاً من ذلك، إجعلهم يرون أنّك لست الشخص الذي اعتقدوا أنّه أنت. إجعل من لعب الأدوار الجديدة ومن مفاجأتهم ومن كونك مصدراً لا ينضب للتسلية لعبةً سارّة. من شبه المستحيل مقاومة الشخص الذي يؤمّن المتعة دون قيدٍ أو شرط. حافظ على خفّة الظل والمرح عندما يكونون معك. شدّد على تلك الجوانب التي يجدونها سارّةً في شخصيّتك، لكن إيّاك أن تدعهم يشعرون بأنّهم يعرفونك حقّ المعرفة. أنت من يتحكّم بالديناميكيّة في آخر الأمر، حيث يصبح ملكٌ متعجرف أو ملكةٌ متغطرسة عبدك/تلك الذليل/لة.

3. عندما كان مؤلّف الجاز العظيم الدوق إلّلينغتون يزور أحد البلدات مع فرقته، فإنّهم كانوا محطّ الاهتمام بشكلٍ بالغ، وخاصّةً بالنسبة لنساء المنطقة. كنّ بالطبع يأتين لسماع موسيقاه، لكن ما إن يصلن حتّى يُنوّمن مغناطيسيّاً «بالدوق» نفسه. على الخشبة، كان إلّلينغتون مسترخياً وأنيقاً ويبدو أنّه يستمتع بوقته للغاية. كان وسيم الوجه جدّاً، واشتُهِر بعينيه اللتين كانتا تذكّران بغرفة النوم. (كان لا ينام إلّا قليلاً جدّاً، وكان يوجد تجعّداتٌ دائمةٌ تحت عينيه.) كان من المحتوم بعد الأداء أن تدعوه إحدى النساء إلى طاولتها، أو تتسلّل أخرى إلى غرفة ثيابه، أو تدنو منه ثالثة وهو في طريقه للخروج. حرص الدوق على أن يكون من السهل الاقتراب منه والتحدّث إليه، وعندما كان يقبّل يد امرأة فإنّ عينيه كانتا تلتقيان للحظةٍ مع عينيها. في بعض الأحيان كانت تومئ له بأنّها مهتمّةٌ به، وبالمقابل فإنّ نظرته الخاطفة كانت تقول أنّه كان أكثر من مستعدّ. وفي أحيانٍ أخرى فإنّ عينيه كانتا من يبدأ بالكلام؛ وقلّةٌ من النساء كنّ يستطعن مقاومة تلك النظرة، حتّى أكثر المتزوّجات سعادةً بالزواج.

كانت المرأة تأتي إلى غرفته في الفندق بينما لا تزال موسيقى الحفل تتردّد في أذنيها. فتراه مرتدياً بزّةً عصريّة ـ إذ كان يحبّ الملابس الجيّدة ـ أمّا الغرفة فتكون ملأى بالزهور؛ وتحتوي على بيانو في أحد أركانها. كان يقوم بعزف بعض الموسيقى. فكان عزفه وسلوكه غير المكترث والوقور يصلان للمرأة كمسرحٍ خالص، أو كتتمّةٍ للأداء الذي كانت قد شاهدته لتوّها.

أيديهم وركبهم، كانوا يبحثون بانكباب عن شيءٍ ما على الأرض. كانت دوقة، والتي كانت إحدى المضيفات، قد ضيّعت إحدى ألماساتها ذات الحجم الكبير... سئمت الدوقة أخيراً من رؤية الناس وهم يبحثون في كلّ أنحاء الأرضيّة عن الخاتم. نظرت حولها بتعجرف، ومن ثمّ جذبت الدوق إلّلينغتون من ذراعه قائلةً، «إنّها لا تعني لي شيئاً. أستطيع دائماً أن أحصل على الألماس، لكن كلّ متى أستطيع الحصول على رجلٍ مثل الدوق إلّلينغتون؟» • وتوارت عن الأنظار مع الدوق. بدأت الفرقة من تلقاء نفسها بالنصف الثاني من الحفلة، وفي آخر المطاف عاود الدوق الظهور وهو يتبسم ليختتم الحفلة.

وعندما كانت تنتهي الليلة ويضطرّ إللينغتون لمغادرة البلدة فإنّه كان يهديها هديّةً تنمّ عن تفكيرٍ ومراعاة. كان يجعل الأمر يبدو بحيث أنّ الشيء الوحيد الذي يبعده عنها كان تجواله الفنّي. كان من الجائز، بعد عدّة أسابيع، أن تسمع هذه المرأة أغنيةً على الراديو ذات كلماتٍ تقترح بأنّها من أوحت بها. إذا حدث وزار المنطقة مرّةً أخرى في أيّ وقت، فإنّها كانت تجد طريقةً لتكون هنالك، وغالباً ما كان إللينغتون يجدّد العلاقة، حتّى ولو لليلةٍ واحدة.

- دون جورج، الرجل العذب: الذوق إللينغتون الحقيقي

في يومٍ ما من أربعينات القرن السابق، قامت شابّتان من ولاية ألاباما بالقدوم إلى شيكاغو لحضور حفلةٍ راقصةٍ يُقصَدُ منها تقديم الفتيات بشكلٍ رسميّ للمجتمع لأوّل مرّة. إللينغتون وفرقته كانوا من قام بالغناء. لقد كان الموسيقيّ المفضّل لدى النساء، فطلبتا منه توقيعه بعد أن فرغ من الأداء. كان جذّاباً وساحراً لدرجة أنّ إحدى الفتاتين وجدت نفسها تسأله عن الفندق الذي كان ينزل فيه. أخبرهما وهو يبتسم ابتسامةً عريضة. غيّرت الفتاتان الفندق الذي كانتا تنزلان فيه إلى الفندق الذي كان إللينغتون ينزل فيه، واتّصلتا به في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم بغية دعوته إلى غرفتهما لاحتساء المشروب. فقبل. ارتديتا ثوبين جميلين، فضفاضين وشفّافين كانتا قد اشترتاهما للتوّ. تصرّف إللينغتون عند قدومه بشكلٍ طبيعيٍّ تماماً كما لو أنّ الاستقبال الحارّ الذي منحتاه إيّاه كان مُعتاداً بالكامل. آل المآل بثلاثتهم إلى غرفة النوم، عندما خطرت فكرةٌ ببال إحدى الفتاتين: كانت أمّها تهيم بإللينغتون ؛ لذا كان يجب عليها أن تتّصل بها الآن وتعطيه سمّاعة الهاتف. لم ينزعج إللينغتون من الاقتراح مطلقاً فجارى الفتاة. تكلّم مع الأمّ لعدّة دقائق وهو يغرقها بالمديح على الفتاة الساحرة التي أنشأت، وقال لها بألاّ تقلق - فقد كان يعتني بالفتاة جيّداً. أخذت الفتاة سمّاعة الهاتف وقالت، «نحن على ما يُرام لأنّنا مع السيّد إللينغتون وهو مثال الرجل الراقي.» واستأنف ثلاثتهم الشقاوة التي كانوا قد ابتدؤوها بمجرّد انتهائها من المكالمة. بالنسبة إلى الفتاتين فقد بدت تلك الليلة فيما بعد بريئةً ولكن ليلةً لا تُنسى من المتعة.

لكنّني أعلم أنّ الرجال يصبحون أوسع صدراً وعشّاقاً أفضل ما إن يرتابوا بأنّ خليلاتهم يهتممن بهم بدرجةٍ أقلّ. عندما يظنّ الرجل نفسه بأنّه الحبيب الأوحد في حياة المرأة، فإنّه سيصفر غير آبهٍ ويمضي بطريقه. • يُفترض بي أن أعلم؛ فقد تابعت أهل هذه الحرفة في العشرين سنة المنصرمة. سأخبركم ما حصل لي من عدّة سنواتٍ خلت، إذا أردتم منّي ذلك. في ذلك الوقت كان لديّ حبيبٌ دائم التردّد، اسمه ديموفانتوس، وهو مرابٍ يعيش قرب بواكيل. لم يكن قد أعطاني أبداً أكثر من خمس

في بعض الأحيان فإنّ بعض هؤلاء العشيقات الموزّعات في العديد من الأرجاء كنّ يظهرن في نفس الحفلة. كان إللينغتون يذهب إلى كلّ واحدةٍ

دراخمات وكان يدّعي بأنّه رجلي. لكنّ حبه كان مجرد حبٍّ سطحيّ يا كرايسيس. لم يتلهّف مطلقاً، لم يذرف الدموع من أجلي أبداً ولم يمضِ ولا ليلةٍ على الإطلاق منتظراً على بابي. ذات يوم أتى لرؤيتي، قرع بابي، لكنّني لم أفتحه. فهمتني، لقد كان الرسّام كالايدس في غرفتي؛ كان كالايدس قد أعطاني عشر دراخمات. توعّد ديموفانتوس وضرب الباب بقبضتيه وغادر وهو يلعنني. مرّت عدّة أيام دون أن أرسل في طلبه؛ كان كالايدس لا يزال في منزلي. ولذلك فقد جنّ جنون ديموفانتوس الذي كان مهتاجاً أساساً. اقتحم الباب، انتحب، عاملني بخشونة، هدّدني بالقتل، مزّق ردائي،

منهنّ ويقبّلها أربع قبلات (وهي عادةٌ كان قد صمّمها خصّيصاً لهذه المعضلة). وكلّ واحدةٍ من هؤلاء النسوة كانت تفترض بأنّها من كان تقبيلها مهمّ حقّاً.

التفسير. كان الدوق إللينغتون مولعاً بشيئين: الموسيقى والنساء. الأمران كانا مترابطين. علاقاته التي لا حدّ لها كانت مصدر إلهام دائم لموسيقاه؛ هو أيضاً عاملهنّ كما لو كنّ مسرحاً، أو عملاً فنياً بحدّ أنفسهن. عندما كان يحين وقت الافتراق، فإنّه كان دائماً يتدبّر الأمر بطريقةٍ فيها لمسةٌ مسرحيّة. تعليقٌ ذكيٌ وهديّة كان يجعل الأمر يبدو أنّ العلاقة بالنسبة له بالكاد قد انتهت. كلمات الأغاني التي تشير إلى ليلتهنّ المشتركة كانت تبقي على الجو الجمالي لفترةٍ طويلة بعد مغادرته البلدة. لا عجب أنّ النساء ظللن يعدن طلباً للمزيد. فهذه لم تكن علاقةً جنسيّة، أو ليلةً خسيسةً لقضاء الوطر، وإنّما لحظةً مكثّفةً (مليئة بالمعاني) في حياة المرأة. وكان سلوكه غير المهموم كفيلاً بأن يجعل الشعور بالذنب أمراً مستحيلاً؛ فلم تكن أفكار الواحدة منهنّ بأمّها وزوجها لتفسد الوهم. لم يكن إللينغتون دفاعيّاً أو اعتذاريّاً أبداً فيما يتعلّق بشهيّته للنساء؛ لم يكن ذنب النساء أنّه غير مخلص إذ أنّ عدم الإخلاص كان من طبعه. وإذا لم يكن بمقدوره تمالك رغباته، فكيف يمكن للمرأة أن تعدّه مسؤولاً. لقد كان من المستحيل حمل ضغينةٍ تجاه هكذا رجل أو التذمّر حيال سلوكه.

كان إللينغتون خليعاً محبّاً للجمال، أي من النمط الذي لا يمكن إشباع هوسه إلّا من خلال التنوّع اللامتناهي. عبث الرجل العادي مع العديد من النساء من شأنه أن يوقعه في آخر المطاف في شرّ أعماله، لكنّ الخليع الجماليّ نادراً ما يثير مشاعرَ بشعة. بعد أن يغوي المرأة، فإنّه لا يوجد هنالك لا دمعٌ ولا تضحية. فهو يقيهنّ متعلّقاتٍ وآملات. السحر لا يُحَطّم في اليوم التالي، لأنّ الخليع الجمالي يجعل من الافتراق تجربةً سارّة، بل وحتّى رائعة. لم يكن مفعول الرقية التي كان يلقيها إللينغتون على النساء ليبطل أبداً.

الدرس بسيط: أَبقِ الافتراق واللحظات التي تتلو الإغواء بنفس المستوى كما في السابق، أي مركّزة، جماليّة، وسارّة. إذا لم تتصرّف بطريقةٍ توحي بالشعور بالذنب، فإنّه من الصعب على الشخص الآخر أن يشعر بالغضب أو الامتعاض. الإغواء هو لعبةٌ خفيفة الظل وجذلى، والتي تستثمر فيها كلّ طاقاتك في اللحظة الراهنة. الفراق أيضاً يجب أن يكون خالياً من الهموم وجذلاً وأنيقاً: إنّ ما يستدعيك للذهاب هو العمل، السفر، أو مسؤوليّةٌ مقيتةٌ ما. إخلق تجربةً جديدةً بأن تُذكَر وامضِ بعدها في طريقك، وعندها فإنّ ضحيّتك ستذكر على الأرجح الإغواء البهيج، وليس الافتراق. لن تكون قد خلقت أعداءً لنفسك، وسيكون لديك ما حييت حريمٌ من الحبيبات اللواتي يمكنك أن تعود لهنّ عندما تشعر بالميل لهذا.

وفي الواقع فعل كلّ الأشياء التي من شأن الرجل الغيور أن يفعلها، وفي آخر المطاف قدّم لي ستّة آلاف دراخما. مقابل هذا المبلغ، كنت له لمدّة ثمانية أشهر. اعتادت زوجته على القول أنّني قد سحرته بنوعٍ ما من المسحوق. لقد كان هذا المسحوق السحريّ، بلا ريب، هو الغيرة. ذلك السبب الذي يجعلني أنصحكِ يا كرايسيس بأن تتصرفي بطريقة مماثلة مع كورجي آز.

ـ لوسيان، *محاورات المومسات*، ترجمة آي. إل. إتش

4. في عام 1899، تزوّجت البارونة فريدا فون رايختوفن التي تبلغ الثانية والعشرين من العمر من رجلٍ إنكليزيٍّ يُدعى إيرنست ويكلاي، وهو بروفيسور في جامعة نوتنغهام، وسرعان ما استقرّت في دور زوجة البروفيسور. عاملها ويكلاي بشكلٍ حسن، لكنّ سئمت بالتدريج من حياتهما الهادئة ومن الطريقة الفاترة التي كان زوجها يمارس بها الجنس. قامت بعدّة علاقاتٍ جنسيّةٍ قصيرة أثناء زياراتها لموطنها (ألمانيا)، لكنّ هذا أيضاً لم يكن ما تريده، وهكذا عادت لكونها مخلصةً وأمّاً حريصةً على أولادها الثلاثة.

ذات يومٍ من عام 1912، قام طالبٌ سابقٌ من طلاّب ويكلاي، دافيد هيربرت لورانس، بزيارة منزل الزوجين. ككاتبٍ مكافح وفي أوّل الطريق، فقد أراد نصيحة البروفيسور الاحترافيّة. لم يكن قد أخذ راحته بعد، لذا قامت فريدا بإكرام وفادته. لم تكن قد التقت من قبل أبداً بشابٍّ متّقد النفس كهذا. تكلّم عن نشأته التي عاشها في الفقر، وعن عدم قدرته على فهم النساء. واستمع باهتمامٍ يقظ لتشكّياتها الخاصّة. بل ووبّخها حتّى على الشاي السيّء الذي أعدّته له ـ ممّا أثار حماستها بطريقةٍ أو بأخرى بالرغم من أنّها كانت بارونة.

«الزوجة هي شخصٌ يحدّق المرء فيه طوال حياته؛ والحال هو كذلك بالضبط حتّى لو لم تكن جميلة» ـ هكذا قالت جينتا من

عاد لورانس في زياراتٍ لاحقة، ولكن الآن بقصد رؤية فريدا، وليس ويكلاي. اعترف لها ذات يوم بأنّه كان قد وقع في حبّها بشدّة. وأقرّت هي بمشاعر مشابهة، واقترحت أن يجدا بقعةً للقاءاتهما السريّة. بدلاً من ذلك فقد كان للورانس اقتراحه الخاصّ: إتركي زوجك غداً - اهجريه من أجلي. ماذا بشأن الأولاد؟ سألت فريدا، إذا كان الأولاد أكثر أهميّةً من حبّنا، أجاب لورانس، فلتبقي معهم إذن. لكنّك إذا لن تهربي معي في غضون عدّة أيّام، فلن تريني ثانيةً. كان القرار رهيباً بالنسبة لفريدا. لم تكن تهتمّ بزوجها البتّة، لكنّ الأولاد كانوا الشيء الذي تعيش من أجله. وبالرغم من هذا، فقد أذعنت لاقتراح لورانس بعد عدّة أيّام. كيف يمكنها أن تقاوم رجلاً بهذا الاستعداد لطلب كلّ هذا، ولأخذ رهانٍ كهذا؟ إذا رفضت فإنّها كانت ستتساءل دائماً عمّا إذا كانت قد اتّخذت القرار الصحيح، فرجلٌ كهذا لا يمرّ سوى مرّةٍ واحدةٍ في العمر.

ترك الزوجان إنكلترا وتوجّها إلى ألمانيا. كانت فريدا تذكر بين الحين والآخر كم كانت تفتقد لأولادها، لكنّ لورانس كان يضيق ذرعاً بها عندئذٍ، إذ كان يقول: لديك الحريّة في أن ترجعي إليهم في أيّة لحظة، لكنّك إذا ظللت فلا تنظري إلى الخلف. أخذها في رحلة شاقّةٍ لتسلّق جبال الألب. كبارونة، لم تكن قد اختبرت مشقّةً كهذه من قبل، لكنّ لورانس كان حازماً: إذا كان هنالك شخصان متحابّان، فلم تهمّ الراحة؟

في عام 1914، فريدا ولورانس كانا متزوّجين، لكنّ النمط نفسه تكرّر عبر السنين التالية. فقد كان يوبّخها على كسلها، على حنينها إلى الأطفال، وعلى تدبيرها المنزليّ السيّء جدّاً. كان يأخذها في رحلاتٍ حول العالم، بمبالغ زهيدةٍ جدّاً من المال، ولا يدعها تعيش حياةً مستقرّةً أبداً بالرغم من أنّ هذا كان أغلى أمنياتها. تقاتلا مراراً وتكراراً. صاح بها ذات مرّة في نيو مكسيكو، وأمام الأصدقاء، «ألقي بهذه السيجارة القذرة من فمك! وامتنعي عن إنتاء بطنك السمين!» فردّت عليه صائحةً، «من الأفضل لك أن تكفّ عن ذلك الكلام وإلاّ فسوف أخبر عن أشيائك *أنت*.» (كانت قد تعلّمت معاملته بالمثل.) ذهب كلاهما إلى الخارج. كان أصدقاؤهم يراقبون المشهد وهم قلقون من احتمال تحوّل الملاسنة إلى العنف. لم يختفيا إلّا ليعاودا

مدينة جيون. قد يكون هذا قولاً ثرثاراً لأحد الوسطاء، لكن لا يجب أن نرفضه بهذا الاستخفاف... وإلى ذلك، فإنّه ينطبق على النساء الجميلات انطباقه على المناظر الجميلة: إذا كان الشخص ينظر إليها باستمرار، فسرعان ما سيملّ من سحرها. أستطيع أن أحكم على هذا من خلال تجربتي الشخصيّة. ذهبت في إحدى السنين إلى مدينة ماتسوشيما، وبالرغم من أنّني تأثّرت في بادئ الأمر بجمال المكان وصفّقت بيديّ إعجاباً، قائلاً لنفسي، «آه، لو يمكنني فقط أن أحضر شاعراً ما إلى هنا لأريه هذه الأعجوبة العظيمة!» - إلّا أنّني بعد التحديق من الصباح إلى المساء، فقد بدأت تفوح من الجزر العديدة رائحة الطحالب، وصارت

الظهور بعد عدّة دقائق، متشابكي الذراعين، وهما يضحكان ويتمشّيان بطريقةٍ حالمة. كان ذلك أكثر شيءٍ محيّرٍ فيما يخصّ علاقة الزوجين لورانس: بعد زواجهما لسنوات، كانا ما يزالان يتصرّفان في أغلب الأحيان كعاشقين مُتيّمين تزوّجا حديثاً.

الأمواج التي تتكسّر على حافّة ماتسوياما صاخبة الضجيج؛ قبل أن أدرك ذلك فقد تركت كلّ أزهار الكرز في شيوجاما تتبعثر؛ أغرقت في النوم في صباح اليوم التالي وفوّتُّ ثلج الفجر على جبل كينكا؛ ولم يُثر إعجابي منظر القمر عند الغروب في ناجاني أو أوشيما؛ وفي النهاية التقطت بضعة حصى بيضاء وسوداء وأصبحت مستغرقاً في لعبة 'الموساشي الستّة' مع بعض الأطفال.

ـ إيهارا سايكاكو، *حياة امرأةٍ عاشقة*، ترجمة إيڤان موريس

التفسير. عندما التقى لورانس بفريدا لأوّل مرّة، فقد استطاع أن يستشعر مباشرةً ماذا كان ضعفها: شعرت بأنّها مقيّدة ومحتجزة في علاقةٍ مملّةٍ وسخيفة وحياةٍ مترفة. كان زوجها، كالعديد من الأزواج، لطيفاً، لكنّه لم يهتمّ بها أبداً بما فيه الكفاية. كانت تتوق إلى الدراما والمغامرة لكنّها كانت ببساطة أكسل من أن تستحصلها لوحدها. الدراما والمغامرة كانتا تماماً ما كان لورانس سيقدّمه. بدلاً من الشعور بأنّها مقيّدة، فقد كان لديها الحريّة بأن تتركه في أيّ لحظة. كان ينتقدها باستمرار بدلاً من أن يتجاهلها ـ أي كان على الأقلّ يعيرها اهتماماً، ولا يتعامل معها أبداً كشيءٍ مسلّم به. منحها المغامرة والرومانس بدلاً من الراحة والسأم. كذلك الأمر فإنّ الشجارات التي كان يفتعلها بتواترٍ طقوسيّ (مدروس) ضمنت دراما لا تنقطع ومجالاً من أجل تصالحٍ مميّز. كان يوقظ فيها رعشةً من الخوف، الأمر الذي أبقاها في حالة عدم توازن، وعدم تأكّدٍ تامٍّ منه أبداً. كنتيجةٍ لذلك فإنّ العلاقة لم يطرأ عليها الابتذال أو الملل أبداً. بل ظلّت تجدّد نفسها.

إذا كان الدمج أو الاتّحاد هو ما تسعى وراءه، فإنّ الإغواء لا يجب أن يتوقّف أبداً. وإلاّ فإنّ الضجر سوف يتسلّل. وغالباً ما تكون أفضل طريقةٍ لإبقاء هذه المسيرة مستمرّة هي أن تحقن دراما متقطّعة. يمكن لهذا أن يكون مؤلماً ـ نكأ الجراح القديمة، إثارة الغيرة، الانسحاب قليلاً. (لا تخلط ما بين هذا السلوك وبين النق أو الانتقاد المتصيّد للعيوب ـ فهذا الألم هو ألمٌ استراتيجيّ، مصمّمٌ لكسر الأنماط المتصلّبة.) من ناحيةٍ أخرى فإنّ هذا الإجراء يمكنه أن يكون سارّاً: فكّر بشأن إثبات نفسك من جديد، بالاهتمام بالتفاصيل الصغيرة البهيجة، بخلق إغراءاتٍ جديدة. في الواقع فإنّه ينبغي لك أن تمزج الوجهين، لأنّ كثيراً من الألم لوحده أو من اللذة لوحدها لن يكون مغوياً. أنت لا تعيد الإغواء الأوّل، لأنّ الهدف قد استسلم أساساً،

الرجال يستخفّون بالنساء اللواتي يحببن أكثر من اللزوم وبشكلٍ تعوزه الحكمة.

ـ لوسيان، *محاورات المومسات*، ترجمة آي. إل. إتش

أنت ببساطة تقوم بإحداث رجّاتٍ (صدمات) صغيرة، ونداءات استيقاظٍ غير صاخبة والتي من شأنها أن تظهر شيئين: أنّك لم تتوقّف عن المحاولة، وأنّهم لا يستطيعون التعامل معك كأمرٍ مسلّم به. الرجّة الصغيرة سوف تحرّك السّم القديم، وتُذكي الجمرات، فتعيدك مؤقّتاً إلى البداية، عندما كانت علاقتك تتمتّع بأكثر أنواع النضارة والتوتّر إمتاعاً.

تذكّر: الراحة والأمان هم موت الإغواء وهلاكه. رحلةٌ مشتركة يشوبها قليلٌ من المشقّة سوف تخلق رابطاً عميقاً أكثر ممّا ستخلقه الهدايا الباهظة وأسباب الرفاهيّة. إنّ الشّباب محقّون في عدم اكتراثهم بالراحة فيما يخصّ مسائل الحبّ، وعندما تعود إلى تلك العاطفة، فإنّ شرارةً شابّة سوف تشتعل من جديد.

سأحاول بإيجاز أن أوضّح لكم باختصار كيف يمكن للحبّ أن يُعمّق عندما يُنال. يُقال أنّه يمكن زيادته من خلال جعل رؤية العاشقين لبعضهما البعض مسألةً نادرة وصعبة، لأنّه كلّما ازدادت صعوبة تقديم السلوان المتبادل والحصول عليه، ازدادت الرغبة بالحبّ والشعور به. الحبّ ينمو أيضاً إذا أظهر أحد العاشقَين الغضب إزاء الآخر، لأنّ العاشق يخاف على الفور وإلى حدٍّ بعيد من أنّ حنق الشريك عندما يُثار فإنّه قد يتحجّر بشكلٍ لا يقبل الإصلاح. الحبّ يختبر الزيادة من جديد عندما تتملّك الغيرة الحقيقيّة أحد

5. في عام 1652، التقت المحظيّة نينون دي لانكلو بالماركيز دي ڤيلاّرسو ووقعت في حبّه. كانت نينون فاسقةً؛ كانت الفلسفة واللذة بالنسبة إليها أهمّ من الحبّ. لكنّ الماركيز ألهب فيها مشاعر جديدة: فقد كان جريئاً وغايةً في الاندفاع، لدرجة أنّها تركت نفسها تفقد قليلاً من السيطرة لمرّةٍ في حياتها. كان الماركيز استحواذيّاً، وهي الخصلة التي كانت تكرهها بشدّة. لكنّها عنده فقد بدت طبيعيّةً، بل وساحرةً تقريباً: فهو ببساطة لم يكن يستطيع تمالك نفسه في هذا الخصوص. وهكذا قبلت نينون بشروطه: لن يكون هنالك رجالٌ آخرون في حياتها. من قِبَلِها فقد أخبرته بأنّها لن تقبل منه مالاً أو هدايا. فهذه العلاقة كانت بدافع الحبّ، ولا شيء آخر.

استأجرت منزلاً قبالة منزله في باريس، وصارا يلتقيان يوميّاً. انفجر عليها الماركيز ذات مساء واتّهمها بأنّه كان لديها عشيقٌ آخر. شكوكه لم يكن لها أساسٌ من الصحّة، واتّهاماته سخيفة، وبذا أخبرته. إلّا أنّ هذا لم يرضيه، فخرج كالعاصفة. في اليوم التالي تلقّت نينون أنباءً تفيد بأنّه قد وقع بحقّ فريسةً للمرض. كانت قلقةً ومهتمّةً بعمق. كإجراءٍ يائس (ملاذٍ أخير)، وكعلامةٍ على حبّها وخضوعها، فقد قرّرت أن تقصّ شعرها الطويل والجميل الذي اشتُهِرَت به، وترسله له. أدّت البادرة المُراد، إذ شُفِي الماركيز، واستأنفا

علاقتهما بشغفٍ أكبر حتّى من ذي قبل. تذمّر أصدقاؤها وعشّاقها السابقون من تحوّلها المفاجئ إلى امرأة مخلصة، لكنّها لم تأبه ـ فقد كانت سعيدة.

الآن اقترحت نينون بأن يذهبا مع بعضهما البعض إلى مكانٍ بعيد. لم يكن بإمكان الماركيز أن يأخذها إلى قصره كونه كان رجلاً متزوّجاً، لكنّ صديقاً له عرض قصره الريفيّ الخاصّ كملاذٍ للعاشقَين. الأسابيع أمست شهوراً، وتحوّلت إقامتهم إلى شهر عسلٍ ممتدّ. بالرغم من ذلك، فقد صار يتسرّب إلى نينون بالتدريج شعورٌ بأنّ شيئاً ما كان خطأً: صار الماركيز يتصرّف بطريقةٍ أشبه بالزوج بالرغم من أنّه كان على نفس القدر من الشغف الذي لطالما كان عليه، إلّا أنّه بدا واثقاً للغاية، كما لو أنّه كان يتمتّع بحقوقٍ وامتيازاتٍ أكيدة لم يكن ليطمح بها رجلٌ أخر. صارت الاستحواذيّة التي كانت قد سحرتها فيما مضى تبدو مزعجةً. ولم يحفّز لها عقلها. كان باستطاعتها أن تحصل على رجالٍ آخرين، وعلى قدرٍ مكافئٍ من الوسامة، ليرضوها من الناحية الجنسيّة دون كلّ تلك الغيرة.

العاشقين، فالغيرة تُدعى مُغَذّية الحبّ. في الواقع، حتّى لو أنّ العاشق لم يكن مُثقَلاً بالغيرة الحقيقيّة وإنّما بالارتياب الزائف، فإنّ الحبّ يزداد دائماً بسببه، ويصبح أكثر سطوةً نتيجةً لقوّته الخاصّة.

ـ آندرياس كابيلانوس، *عن الحبّ*، ترجمة بي. جي. والش

ما إن ترسّخ هذا الإدراك في عقل نينون فإنّها لم تضع وقتاً. إذ أخبرت الماركيز أنّها كانت عائدةً إلى باريس، وأنّ العلاقة انتهت إلى الأبد. توسّل إليها ودافع عن موقفه بكثيرٍ من الإنفعال ـ كيف لها أن تكون متحجّرة القلب لهذه الدرجة؟ نينون كانت حازمةً بالرغم من تحرّك مشاعرها. لن تؤدّي التبريرات سوى إلى مفاقمة الأمر سوءاً. عادت إلى باريس واستأنفت حياة الغانية. صدم رحيلها المفاجئ الماركيز ظاهريّاً، لكن من الواضح أنّ الصدمة لم تكن أقوى ممّا يستطيع تحمّله، فبعد عدّة شهور تناهت إلى سمعها الأنباء بأنّه قد وقع في حبّ امرأةٍ أخرى.

لقد رأيتَ النار التي تتخامد / حتّى تنعدم، كيف تشكّل تاجاً من الرماد الشاحب / فوق جمراتها المخبأة (ومع ذلك فإنّ رشّةً من الكبريت / ستكفي لإعادة إيقاد الشعلة)؟ / وكذلك الأمر مع القلب. إنّه يصبح بليداً عند غياب القلق، / ويحتاج إلى متبهٍ قويٍّ لكي يثير الحبّ. / إجعلها

التفسير. غالباً ما تمضي المرأة أشهراً وهي تفكّر مليّاً في سلوك حبيبها. قد تتذمّر أو تغضب؛ وقد تلوم نفسها أيضاً. تحت وطأة تشكّياتها، فإنّ الرجل قد يتغيّر لبرهة، لكن ستنشأ بالنتيجة ديناميكيّة قبيحة وحالاتٌ لا حصر لها من سوء التفاهم. ما جدوى كلّ هذا؟ فما إن تفقد الاهتمام وتتحرّر من السحر حتّى يكون قد فات الأوان. كان يمكن لنينون أن تتصوّر

ما الذي كان قد أفقدها الاهتمام - المظهر الحسن الذي صار يثير سأمها الآن، الافتقار للتحفيز العقلي، الشعور بأنّه يتمّ التعامل معها كأمرٍ مسلّم به. لكن لماذا تضيّع الوقت في محاولة تصوّر الأسباب. تحطّمت التعويذة (السحر)، فمضت في طريقها. لم تتجشّم عناء التفسير، أو القلق حيال مشاعر ڤيلاّرسو، أو جعل الأمر سهلاً ومستساغاً بالنسبة إليه. الشخص الذي يبدو مفرطاً في مراعاة الآخرين، الذي يحاول إصلاح الأشياء أو عمل الأعذار، هو مجرّد رعديدٍ بحقّ. يمكن للرقّة في مثل هذه المسائل أن تكون قاسيةً بعض الشيء. كان الماركيز قادراً على أن يلقي بكلّ اللوم على طبيعة عشيقته المتقلّبة وعديمة الرحمة. غروره وكبرياؤه لم يُمَسّا بأذى، فقد كان يمكنه بسهولةٍ أن يمضي إلى علاقةٍ أخرى ويضعها خلفه.

إنّ التموّت الطويل والبطيء للعلاقة لن يسبّب لشريكك وحسب ألماً هو بغنىً عنه، بل وسيحمّلك أنت أيضاً عواقب طويلة المدى، إذ سيجعلك عديم المسؤوليّة ومتقلّباً، وسيثقلك بالذنب. إيّاك أن تشعر بالذنب، حتّى لو كنت أنت كلاًّ مِن المغوي ومَن يشعر الآن بعدم الاهتمام. إنّه ليس خطأك. لا شيء يمكن أن يستمرّ على الأبد. قد خلقت المتعة لضحاياك وانتشلتهم من حياتهم المملّة. إذا قمت بفراقٍ سريعٍ ونظيف، فإنّهم سوف يقدّرون لك ذلك على المدى الطويل. بقدر ما تعتذر، بقدر ما تهين كبرياءهم، وتثير مشاعر سلبيّةٍ سيتردّد صداها لسنوات. وفّر عليهم التفسيرات المخادعة التي لن تؤدّي إلا إلى تعقيد المسائل. الضحيّة يجب أن يُضَحّى بها، لا أن تُعَذَّب.

6. كان الفرنسيّون قد أُنهِكوا بعد خمسة عشر عاماً من حكم نابوليون بونابرت. فقد كان هنالك الكثير من الحروب والكثير من الدراما. عندما هُزِم نابوليون في عام 1814، وسُجِن في جزيرة إلبا، فإنّ الفرنسيّين كانوا أكثر من جاهزين للسلام والسكينة. عاد آل بوربون إلى السلطة بشخص الملك لويس الثامن عشر - وهي العائلة الملكيّة التي أُطيح بها في ثورة 1789. كان الملك سميناً ومملاً ومغروراً، لكنّه كان يوجد سلامٌ على الأقلّ (في ظلّه).

بعدئذٍ، في شهر شباط من عام 1815، وصلت الأنباء إلى فرنسا عن

تقلق حيالك، أَعِد إحماء عواطفها الفاترة، أخبرها عن أسرارك الآثمة، وراقب كيف تشحب. / إنّ الرجل الذي يستطيع أن يجعل فتاةً مسكينةً مظلومة / تعذّب نفسها من أجله، وتفقد القدرة على النطق، وتشحب ويُغمى عليها عندما / تصل إليها الأنباء غير السارّة لَرجلٌ سعيدٌ جدّاً / ومحظوظٌ بشكلٍ يفوق الوصف. آه، عسى أن / أكون من تشدّ شعره عندما ينتابها الغضب، من / تمزّق خدّيه بأظافرها، / من تراه، بعينين محملقتين، من خلال شلاّلٍ من الدموع؛ من لا تستطيع / أن تعيش من غيره مهما حاولت! / كم من الزمن ينبغي لك (قد تتساءل) أن تتركها تندب خطأها؟ لفترة / وجيزة فقط، خشية

الهروب الدراماتيكي لنابوليون من جزيرة إلبا، مع سبع من السفن الصغيرة وألفٍ من الرجال. كان بوسعه أن يذهب إلى أمريكا ويبدأ من الصفر، لكنّه، بدلاً من ذلك، كان مجنوناً بما فيه الكفاية ليحطّ في كان. بماذا كان يفكّر؟ ألف رجلٍ ضدّ كلّ جيوش فرنسا؟ زحف إلى غرينوبل بشراذم جيشه المتداعي. لا يمكن للمرء إلّا أن يُعجَب على الأقلّ بشجاعته، وعشقه الذي لا يرتوي للمجد ولفرنسا.

هنالك أيضاً، سُحِر الفلاّحون الفرنسيّون لدى رؤية إمبراطورهم. فهذا الرجل، في النهاية، كان قد أعاد توزيع قسمٍ كبيرٍ من الأراضي لصالحهم، والتي كان يحاول الملك الجديد استردادها. أصابتهم نشوة هائلة لدى رؤيتهم لرايات النسر التي كانت إحياءً لرموز الثورة. تركوا حقولهم وانضمّوا إلى المسيرة. خارج غرينوبل، قامت أولى الكتائب التي أرسلها الملك لإيقاف نابوليون باعتراض طريقه. ترجّل نابوليون عن صهوة حصانه وسار نحوهم صارخاً، «يا فيلق الجيش الخامس! ألا تعرفوني؟ إذا كان هنالك رجلٌ واحدٌ فيما بينكم يتمنّى أن يقتل إمبراطوره، فليتقدّم ويقتلني. ها أنا ذا!» فتح قميصه الرماديّ بعنف، داعياً إيّاهم لكي يسدّدوا. كان هنالك لحظةٌ من الصمت، وبعدها، ومن جميع الجهات، تردّدت الهتافات «يحيا الإمبراطور!» تضاعف حجم جيش الإمبراطور في ضربةٍ واحدة.

استمرّت المسيرة. بدّل مزيدٌ من الجنود ولاءهم بعد أن تذكّروا المجد الذي كان قد منحهم إيّاه. سقطت مدينة ليون بدون معركة. تمّ إرسال جنرالاتٌ بجيوشٍ أكبر لإيقافه، لكنّ رؤية نابوليون في طليعة جنوده كانت تجربةً عاطفيّةً غامرةً بالنسبة إليهم، فغيّروا ولاءهم. فرّ الملك لويس من فرنسا، متنحّياً بهذه العمليّة عن منصبه. عاود نابوليون دخول باريس في 20 آذار ورجع إلى القصر الذي كان قد غادره قبل ثلاثة عشر شهراً فقط ـ كلّ هذا دون أن يضطرّ لإطلاق طلقةٍ واحدة.

احتضن الفلاّحون والجنود الإمبراطور، لكنّ الباريسيّين كانوا أقلّ حماسةً، وخاصّةً أولئك الذين خدموا في حكومته. فقد خافوا من العواصف التي قد يسبّبها. حكم نابوليون البلاد لمئة يوم، إلى أن هزمته الدول المتحالفة

أن يستجمع الغضب القوة / من خلال التأجيل. بحلول ذلك الوقت ينبغي لك أن تكون قد جعلتها تنشج / على صدرك، ويديك حول عنقها بإحكام. / هل تريد السلام؟ إمنحها القبلات، مارس الحبّ مع الفتاة وهي تبكي - / تلك هي الطريقة الوحيدة لتليين مزاجها الغاضب.

ـ أوفيد، *فن الحب*، ترجمة بيتر غرين

ضدّه وأعداؤه الداخليّون. في هذه المرّة أُرسِل بحراً إلى جزيرة سانت هيلينة البعيدة، حيث كان سيلاقي حتفه.

التفسير. لطالما فكّر نابوليون بفرنسا وبجيشه كهدفٍ يجب التودّد إليه وإغواؤه. كما كتب الجنرال دي سيغور عن نابوليون: «في لحظات النفوذ المهيب، فإنّه لا يعود يُصدِر الأوامر كرجل، وإنّما يغوي كامرأة.» في حادثة هربه من إلبا، فإنّه خطّط لبادرةٍ جسورةٍ ومفاجئة من شأنها أن تُدَغدغ أمّةً غارقة في الضجر. بدأ رجوعه إلى فرنسا بين الأناس الذين من شأنهم أن يكونوا الأكثر تقبّلاً له: الفلاّحون الذين أَجَلّوه. أحيى الرموز ـ الألوان الثوريّة، ألوية النسر ـ التي كانت ستثير المشاعر القديمة. وضع نفسه في مقدّمة جيشه، متحدّياً بذلك جنوده السابقين بأن يطلقوا النار عليه. المسيرة إلى باريس التي أعادته إلى السلطة كانت مسرحاً صرفاً، ومُعَدّاً بحيث يولّد أثراً عاطفيّاً في كلّ خطوةٍ على الطريق إلى باريس. يا للاختلاف الصارخ الذي مثّلته هذه العلاقة الغراميّة السابقة وغير الشّرعيّة عن الملك الأبله الذي كان يحكمهم الآن.

إغواء نابوليون الثاني لفرنسا لم يكن إغواءً تقليديّاً، يتبع الخطوات المعتادة، وإنّما إعادة إغواء. لقد كان مبنيّاً على عواطف قديمة وبعث حبّاً قديماً. ما إن تغوي شخصاً (أو أمّةً) حتّى يَتبَع وفي كلّ الأحيان تقريباً هدوءٌ مؤقّت، وخيبة أملٍ من شأنها أن تقود في بعض الأحيان إلى الانفصال؛ ومع ذلك فإنّ إعادة إغواء الهدف نفسه هو أمرٌ سهلٌ على نحوٍ يدعو للدهشة. المشاعر القديمة لا تتلاشى أبداً، وإنّما تظلّ في حالة سبات، وفي لمح البصر يمكنك أن تأخذ هدفك على حين غرّة.

إنّها لمتعةٌ نادرة أن تكون قادراً على أن تعيش شبابك وماضيك من جديد ـ أن تحسّ بالعواطف القديمة. أضفِ نزعةً دراماتيكيّةً على إغوائك المُعاد، على غرار نابوليون: أحيِ الصور القديمة، الرموز، التعابير التي سوف تثير الذاكرة. مثل الفرنسيّين، فإنّ أهدافك سوف يميلون إلى نسيان بشاعة الانفصال وسيتذكّرون الأشياء الجيّدة فقط. يجب عليك أن تجعل هذا

الإغواء الثاني جريئاً وسريعاً، فلا تمنح أهدافك وقتاً للتأمّل أو التساؤل. على غرار نابوليون، إلعب على وتر اختلافك عن حبيبهم الحاليّ، جاعلاً سلوكه أوسلوكها يبدو جباناً أو غليظاً بالمقارنة.

لن يكون الجميع متقبّلين لإعادة الإغواء، وستكون بعض اللحظات غير ملائمة. عندما عاد نابوليون من إلبا فإنّ الباريسيّين كانوا أكثر حنكةً ممّا يستطيع التعامل معه، ولذا فقد استطاعوا مباشرةً أن يتبيّنوا طبيعته الحقيقيّة. كانوا أساساً يعرفونه جيّداً، وذلك على النقيض من فلاّحي الجنوب؛ وجاء دخوله الثاني قبل الأوان، إذ أنّهم كانوا قد ضاقوا به ذرعاً للغاية. إذا أردت أن تعاود إغواء شخصٍ ما، فاختر شخصاً لا يعرفك حقّ المعرفة، شخصاً تكون ذكرياته عنك أقلّ تعكّراً بالشوائب، أو الذي يكون بالفطرة أقلّ نزوعاً للشك، وغير راضٍ بالظروف الحاليّة. كذلك فقد تحتاج إلى أن تترك بعض الوقت يمرّ. سوف يرمّم الوقت لمعانك وبريقك وسيجعل أخطاءك تتلاشى بعيداً. إيّاك أن تنظر للافتراق أو التضحية كأمرٍ نهائيٍّ وحاسم. إذ يمكن استرداد الضحيّة بلمح البصر بقليلٍ من الدراما والتخطيط.

الرمز: الجمرات، بقايا النار في
صبيحة اليوم التالي. إذا تُركَت الجمرات
وشأنها، فإنّها سوف تخبو شيئاً فشيئاً. لا تترك
النار للصدفة ولعوامل الطقس. لإخمادها، يمكنك أن ترشّها
بالماء، تخنقها، لا تعطها شيئاً لتتغذّى عليه. لإحيائها من جديد،
يمكنك أن تنفخ فيها، تذكيها، إلى أن تضطرم من جديد.
اهتمامك الدائم ويقظتك هما فقط ما سيجعلانها تستمرّ بالاتّقاد.

الانقلاب

لتبقِ الشخص مفتوناً ومسحوراً، عليك أن تعاود إغواءه باستمرار. لكن يمكنك أن تسمح لقليلٍ من الألفة بأن تتسلّل. فالهدف يريد أن يشعر بأنّه آخذٌ/ةٌ في معرفتك. الكثير من الغموض سوف يخلق الشك. وسيكون أيضاً متعباً بالنسبة إليك، فأنت من سيضطرّ لمدّ الغموض بأسباب الاستمرار. ليست الغاية أن تبقى غير مألوفٍ بالكامل وإنّما الغاية هي أن تصدمهم كي تزلزل رضاهم عن أنفسهم، وتفاجئهم كما فاجأتهم في الماضي. إفعل هذا بشكلٍ صحيح وعندها سيراودهم الشعور السارّ بأنّهم آخذون دائماً في معرفة المزيد عنك ـ ولكن ليس أكثر من اللازم.

الملحق أ

البيئة الإغوائية|الوقت الإغوائي

في الإغواء فإنّه من
المفروض أن تبدأ ضحاياك تدريجيّاً
بالشعور بتغيّرٍ داخليّ. تحت تأثيرك، فإنّهم
يخفّضون دفاعاتهم، إذ يشعرون بأنّهم أحرارٌ في
التصرّف بشكلٍ مختلف، وفي أن يكونوا شخصاً آخر.
بعض التجارب والبيئات والأماكن من شأنها أن تساعدك
بشكلٍ كبير في سعيك لتغيير وتحويل المَغوي. الأماكن ذات
الصفة المسرحيّة الموضّحة ـ الوفرة، الأسطح اللماعة، الروح
المرحة ـ تخلق شعوراً مبتهجاً كشعور الأطفال والذي يصعّب
على ضحاياك التفكير بشكلٍ صائب. خلق إحساسٍ
مختلفٍ بالزمن لديه أثرٌ مشابه ـ إذ يولّد لحظاتٍ مدوّخة
وجديرةً بأن تُذكَر، ومزاجاً احتفالياً ومرحاً. عليك
أن تجعل ضحاياك يشعرون بأنّ التواجد معك
يعطيهم تجربةً مختلفةً عن التواجد
في العالم الحقيقي.

الزمان والمكان الملائمين للمهرجان

منذ قرونٍ خلت، كانت الحياة في معظم الحضارات مليئةً بالعمل والروتين. لكن في لحظاتٍ معيّنةٍ من السنة، فإنّ المهرجانات والأعياد كانت تقطع هذه الحياة. كان العمل يوقَف في الحقول أو الأسواق خلال هذه المهرجانات ـ احتفاليّات روما القديمة بإله الزراعة، مهرجانات سارية نوّار (أيّار) في أوروبا، مهرجانات الشتاء العظيمة عند قبائل الشينوك من الهنود الحمر. كانت القبيلة أو البلدة بأكملها تتجمّع في مكانٍ مقدّسٍ مخصّصٍ للعيد. بعد أن أُعفوا مؤقّتاً من الواجب والمسؤوليّة؛ فإنّه كان يُسمَح للناس بأن يندفعوا إلى الشوارع بطريقةٍ مسعورة؛ وكانوا يرتدون أقنعةً أو أزياء من شأنها أن تعطيهم هويّاتٍ أخرى، وفي بعض الأحيان هويّات شخصيّاتٍ قويّةٍ تمثّل الأساطير العظيمة لثقافتهم. المهرجان كان إعتاقاً عظيماً من أعباء الحياة اليوميّة. إذ كان يغيّر إحساس الناس بالزمن، فيجلب لحظاتٍ يخرجون فيها من ذواتهم. كان الوقت يبدو وكأنّه متوقّفٌ لا يتحرّك. لا يزال ممكناً إيجاد شيءٍ مثل هذه التجربة في كرنفالات العالم العظيمة المتبقّية.

المهرجان يمثّل كسراً لحياة الشخص اليوميّة، وتجربةً مختلفةً بشكلٍ جذريّ عن الروتين. على المستوى الشخصي أو الخاصّ، فإنّه يجب أن تنظر إلى إغواءاتك بتلك الطريقة. تبدأ أهدافك، في أثناء سير العمليّة قدماً، باختبار تغيّرٍ جذريٍّ عن الحياة اليوميّة ـ تحرّرٌ من العمل أو المسؤوليّة. يمكنهم، بعد انغماسهم في المتعة واللعب، أن يتصرّفوا بشكلٍ مختلف، وأن يصبحوا شخصاً آخر، كما لو أنّهم كانوا يرتدون قناعاً. إنّ الوقت الذي تقضيه معهم مكرّسٌ لهم ولا لشيءٍ آخر. أنت تمنحهم لحظاتٍ عظيمةً دراماتيكيّة متميّزة بدلاً من التعاقب المعتاد للعمل والراحة. أنت تحضرهم إلى أماكن لا تشبه الأماكن التي يرونها في الحياة اليوميّة ـ أماكن مسرحيّة ومتألّقة. يؤثّر المحيط

المادّي بشكلٍ كبير على مزاج الناس وحالتهم النفسيّة؛ المكان المُخَصّص للذّة واللعب يوحي بأفكار اللذّة واللعب. عندما تعود ضحاياك إلى واجباتهم وإلى العالم الحقيقي، فسوف يشعرون تماماً بالفرق وسوف يصبحون توّاقين إلى ذلك المكان الآخر الذي جذبتهم إليه. ما تقدّمه أنت جوهريّاً هو الزمان والمكان الملائمين للمهرجان، أي لحظاتٍ حيث يختفي العالم الحقيقي ويطغى الخيال. لم تعد ثقافتنا تقدّم هذا النوع من التجارب والتي يتوق لها الناس. ذلك هو السبب الذي يفسّر لماذا ينتظر الجميع أن يُغْوَوا ولماذا سوف يهوون بين ذراعيك إذا لعبت اللعبة بالشكل المناسب.

ما يلي هي المكوّنات الأساسيّة لإعادة إنتاج زمان ومكان المهرجان:

إخلق تأثيراتٍ مسرحيّة. يخلق المسرح إحساساً بعالم سحريٍّ منفصل. مكياج الممثّلين، الخلفيّة الخياليّة ولكن المغرية، الأزياء ذات اللمسة غير الواقعيّة ـ هذه الصور المُعمّقة إلى جانب قصّة المسرحيّة تقوم بخلق الوهم. لكي تخلق هذا الأثر في الحياة الحقيقيّة، يتوجّب عليك أن تشكّل ثيابك، ماكياجك، وسلوكك بحيث تتحلّى بصبغةٍ مرحة وغير واقعيّة ـ ممّا يولّد الشعور بأنّك قد ارتديت ثيابك إمتاعاً لجمهورك. إنّ الأثر الخارق الذي تحلّت به مارلين ديتريتش، والأثر الساحر الذي ميّز الغنادير من أمثال بو برَمِل هما خير مثالٍ على هذا الأثر. لقاءاتك مع أهدافك يجب أن تتحلّى أيضاً بحسٍّ من الدراما والتي تُنجَز من خلال الترتيبات التي تختار ومن خلال أفعالك. لا يجب أن يعرف الهدف ماذا سيحصل بعد ذلك. إخلق الترقّب من خلال الانعطافات والتحوّلات التي تقود إلى الخاتمة السعيدة؛ فأنت تؤدّي الدور. كلّما التقى بك أهدافك فسيراودهم ذلك الشعور الغامض بأنّهم في مسرحيّة. كلاكما يتمتّع بالإثارة المتأتّية من ارتداء الأقنعة، ومن لعب دورٍ مختلفٍ عن ذاك الذي خصّصته لك الحياة.

استخدم اللغة البصريّة للمتعة. أنواعٌ معيّنةٌ من المثيرات المرئيّة تشير إلى أنّك لست في العالم الحقيقي. عليك أن تتفادى الصور التي تتمتّع بالعمق، والتي قد تثير التفكير، أو الشعور بالذنب؛ عليك أن تعمل، بدلاً من ذلك،

في البيئات التي تكون كلّها عبارة عن سطح، والملأى بالأشياء البرّاقة والمرايا وبرك المياه، والتي يُتَلاعَب فيها بالضوء بشكلٍ مستمرّ. الجرعة الحسّية (نسبةً إلى الحواسّ) الزائدة لهذه الأماكن تخلق شعوراً بهيجاً ومسكراً. كلّما كانت صنعيّةً كان ذلك أفضل. أرِ أهدافك عالماً مرحاً ومليئاً بالمشاهد والأصوات التي تثير الصغير أو الطفل الذي في داخلهم. البذخ ـ الإحساس بأنّ المال قد أُنفِق أو حتّى بُدِّد ـ يعزّز الشعور بأنّ العالم الحقيقي من الواجب والأخلاقيّات قد تمّ التخلّص منه. إدعُ هذا أثر الماخور.

أَبقِ المكان مزدحماً أو متراصّاً. الناسّ المحتشدون سويّةً يرفعون الحرارة النفسيّة إلى مستوياتٍ قياسيّة. تعتمد المهرجانات والكرنڤالات على الشعور المُعدي الذي يخلقه الحشد. إجلب أهدافك، بين الحين والآخر، إلى أوساطٍ كهذه، كي تخفّض دفاعيّتهم الفطريّة. على نحوٍ مشابه، فإنّ أيّ نوعٍ من المواقف التي تجمع الناس في حيّزٍ صغير ولفترةٍ طويلة سيساعد بشكلٍ هائل على إحداث الإغواء. لسنوات، كان لدى سيغموند فرويد مجموعةٌ صغيرة ومترابطة من الأتباع الذين كانوا يحضرون محاضراته الخاصّة والذين انخرطوا في عددٍ مهول من علاقات الحبّ. إمّا أن تَقود المَغويّ إلى وسطٍ مزدحمٍ شبيهٍ بالمهرجان أو تذهب لاصطياد الأهداف في عالمٍ متراصّ.

فبرِك تأثيراتٍ ذات معانٍ روحيّة. المظاهر الروحانيّة أو الصوفيّة تصرف عقول الناس عن الواقع، وتجعلهم يشعرون بالسموّ والسعادة البالغة. لا يفصل من هناك عن اللذة الجسديّة سوى خطوةٍ صغيرةٍ. استخدم كلّ الأدوات المُتاحة. كتب التنجيم، الأيقونات التي تصوّر الملائكة، الموسيقى ذات الوقع الصوفي والمأخوذةٌ من حضارةٍ بعيدةٍ ما. كانت صالونات دجّال القرن الثامن عشر العظيم النمساوي فرانز مزمر تصدح بموسيقى القيثارة، وتعبق برائحة بخّورٍ فريدٍ من نوعه، ويصلها صوت أنثى تغنّي في غرفةٍ بعيدة. وضع على الحائط زجاجاً ملوّناً ومرايا. كان مُغَفّلوه يشعرون بالاسترخاء والسمو، وأثناء جلوسهم في الغرفة التي كان يستخدم فيها المغناطيسات بحجّة قدراتها الشفائيّة، فإنّهم كانوا يشعرون بنوعٍ من القشعريرة الروحيّة تنتقل من جسدٍ

إلى آخر. أيّ شيءٍ ذي معنى روحيّ يساعد على إقصاء العالم الحقيقيّ، وإنّه لمن السهل الانتقال من الروحي إلى الجسديّ.

شوّش إحساسهم بالزمن ـ السرعة والصبا. يتّصف زمن المهرجان بنوع من السرعة والاهتياج اللذين يجعلان الناس يشعرون بأنّهم أكثر حيويّةً. ينبغي للإغواء أن يجعل القلب يدقّ بصورة أسرع، بحيث يفقد المَغويّ الإحساس بمرور الزمن. خذهم إلى أماكن يسودها النشاط والحركة الدائمان. إبدأ معهم نوعاً من الرحلة المشتركة، كي تلهي عقولهم بالمشاهد الجديدة. قد يخفت الشباب ويتلاشى، لكنّ الإغواء يجلب الشعور بكون المرء شابّاً، بغضّ النظر عن عمر أولئك المنخرطين. والشباب في معظمه عبارةٌ عن طاقة. يجب أن ترتفع وتيرة الإغواء عند لحظةٍ معيّنة، فتُحدِث في العقل أثر الدوّامة. لا عجب أنّ كازانوڤا أنجز كثيراً من إغوائه في الحفلات الراقصة، أو أنّ الڤالس كان الوسيلة المفضّلة لدى كثيرين من خليعي القرن التاسع عشر.

إخلق لحظاتٍ مميّزة. الحياة اليوميّة هي كدحٌ شاقّ تتكرّر فيها نفس الأعمال إلى ما لا نهاية. في حين أنّنا نتذكّر المهرجان، من ناحيةٍ ثانية، كلحظةٍ تحوّل فيها كلّ شيء ـ عندما دخل حياتنا قليلٌ من الخلود والأسطورة. يجب أن تتمتّع إغواءاتك بذرى كهذه، أي بلحظاتٍ تمّ فيها حدوث شيءٍ دراماتيكيّ واختُبِر فيها الوقت بشكلٍ مختلف. عليك أن تمنح أهدافك لحظات كهذه، سواءٌ كان ذلك من خلال القيام بالإغواء في مكانٍ ـ كالكرنڤال أو المسرح ـ تحدث فيه بشكلٍ طبيعيّ أو من خلال خلقها بنفسك، بواسطة الأعمال الدراماتيكيّة التي تثير مشاعر قويّة. تلك اللحظات يجب أن تكون محض راحةٍ ولذّة ـ لا يجوز للأفكار المتعلّقة بالعمل أو الأخلاقيّات أن تتطفّل. كان على المدام دي بومبادور، عشيقة لويس الخامس عشر، أن تعاود إغواء حبيبها سريع السأم كلّ بضعة أشهر؛ كونها كانت خلاّقة فقد قامت بابتكار حفلات للسمر والرقص، ألعاب، ومسرحٍ صغيرٍ في قصر ڤرساي. يجد المَغويّون متعةً بالغة في أمورٍ كهذه، إذ يستشعرون الجهد الذي قد أنفقته بغية إلهائهم وأسر اهتمامهم.

مشاهدٌ من أماكن وأزمان إغوائيّة

1. حوالي عام 1710، وجد ابنٌ شابٌّ لتاجر نبيذٍ مزدهرٍ في مدينة أوساكا في اليابان نفسه مستغرقاً في أحلام اليقظة أكثر فأكثر. عمل ليلاً نهاراً عند والده، وكانت أعباء الحياة الأسريّة وكلّ واجباتها ثقيلة الوطأة. كأيّ شابٍّ آخر، كان قد سمع بمقاطعات (جمع مقاطعة) اللذة في المدينة ـ الأحياء التي يمكن فيها خرق قوانين الشوغون التي كانت صارمةً بالشكل المعتاد. (الشوغون هم الآمرون العسكريّون اليابانيّون الذين حكموا اليابان ذات النظام الإقطاعي بين العامين 1192 و1867 تحت الحكم الإسمي للأباطرة: المترجم.) هنا كان حيث يمكنك أن تجد اليوكِيو، أو «العالم العائم» الخاصّ بالملذّات العابرة؛ وهو مكانٌ كان فيه الممثّلون والمومسات من يحكم. هذا كان ما يحلم به الشاب في أحلام يقظته. تدبّر إيجاد الفرصة الملائمة ذات مساء لكي ينسلّ دون أن يلاحظه أحد. توجّه مباشرةً إلى أحياء المتعة.

أحياء المتعة كانت عبارة عن مجموعاتٍ من الأبنية ـ مطاعم، نوادي حصريّة، محلاّتٍ لتناول الشاي ـ التي تتميّز عن سائر المدينة بروعتها ولونها؟ في اللحظة التي وطأت فيها قدما الشاب المكان، فقد عرف أنّه كان في عالم مختلف. كان الممثّلون يتجوّلون في الشارع في أثوابهم الفضفاضة (الكيمون) المصبوغة بالكثير من الألوان النابضة بالحياة. كان لديهم طريقة في المشي والوقوف والكلام، كما لو أنّهم كانوا لا يزالون على المسرح. كانت الشوارع تصخب بالنشاط؛ والوتيرة سريعة. لفتت المشاعل البرّاقة الأنظار في الليل، كما فعلت الملصقات الملوّنة أمام مسرح كابوكي مجاور. (الكابوكي هو المسرح الياباني التقليدي الذي يلعب فيه الممثّلون الرجال كلاً من الأدوار الرجاليّة والنسائيّة: المترجم.) كان لدى النساء سيماءٌ فريدةٌ بالكامل. حدّقن إليه بتحدٍّ ووقاحة، وتصرّفن بحريّة الرجال. لمح *أوناجاتا*، أي أحد الرجال الذين يلعبون أدواراً نسائيّة في المسرح ـ كان رجلاً أشدّ جمالاً من معظم النساء التي كان قد رآهنّ والذي عامله المارّة كملكٍ من الملوك.

رأى الشابّ شبّاناً آخرين مثله يدخلون صالة شاي، فتبعهم. هنا كانت أعلى طبقة عند المومسات ـ *التايوس* عظيمات الشأن ـ يعرضن بضاعتهنّ. سمع الشابّ بعد عدّة دقائق من جلوسه ضجّةً وصخباً، فلاحظ حفنةً من

التايوس وهنّ ينزلن الدرج، متبوعاتٍ بالموسيقيّين والمهرّجين. كانت حواجب النساء حليقة، ومُستَبدلة بخطٍّ مرسوم، أسود وسميك. كان شعرهنّ مرفوعاً إلى الأعلى في ثنيةٍ كاملة، ولم يكن قد رأى قط كيموناتٍ بهذا الجمال. بدا أنّ *التايوس* يَطفن فوق الأرض، مستخدماتٍ أنواعاً مختلفة من الخَطو (موج، متسلّل، محترس، إلخ)، تبعاً لمن كنّ يدنون منه ولما يُردْن أن ينقلن إليه. تجاهلْن الشاب؛ الذي لم يكن لديه فكرة عن كيفيّة دعوتهنّ، لكنّه لاحظ أنّ بعضاً من الرجال الأكبر سنّاً كان لديهم طريقةٌ في ممازحتهنّ والتي كانت لغةً قائمةً بحدّ ذاتها. بدأ النبيذ بالتدفّق، عُزِفَت الموسيقى، وأخيراً قَدِمَت بعضٌ من مومسات المستوى الأدنى. عندئذٍ كانت عقدة لسان الشاب قد انحلّت. هؤلاء المومسات كنّ أكثر ودّاً ولطفاً بكثير وبدأ الشاب يفقد كلّ إحساسٍ بالزمن. تدبّر لاحقاً الرجوع إلى المنزل وهو مترنّح، ولم يدرك كم أنفق من المال إلّا في صبيحة اليوم التالي. إذا عرف الوالد في يومٍ من الأيّام...

ومع ذلك فقد رجع بعد بضعة أسابيع. كان في طريقه لتبديد ثروة أبيه على «العالم العائم»؛ شأنه في ذلك شأن المئات من هؤلاء الأبناء في اليابان والذين ملأت قصصهم أدب تلك الحقبة.

الإغواء هو عالمٌ آخر تُدخِل فيه ضحاياك وتلقّنهم مبادئه. على غرار *اليوكِيو*، فإنّه يعتمد على الفصل الكامل عن الحياة اليوميّة. عندما تكون ضحاياك في حضرتك، فإنّ العالم الخارجي - مع أخلاقيّاته، مبادئه، مسؤوليّاته - يتلاشى بعيداً. أيّ شيءٍ مسموح وخاصّةً ما كان مكبوتاً في العادة. يكون الحديث أخفّ وأكثر إيحائيّةً. تكون الملابس والأماكن ذات مسحةٍ من المسرحانيّة. يوجد الإذن للتصرّف بشكلٍ مختلف، لتكون شخصاً آخر، دون أيّ هموم أو إصدار أحكام. إنّ ما تخلقه للآخرين هو نوعٌ نفسيٌّ ومركّزٌ من «العالم العائم»، والذي يسبّب الإدمان. عندما يتركونك ويرجعون إلى روتين حياتهم وأعمالهم، فسيدركون بشكلٍ مضاعف ما يفوتهم. في اللحظة التي يتوقون فيها للجوّ الذي خلقت، يكون الإغواء قد اكتمل. وكما في العالم العائم، فإنّ المال يجب أن يُبَدّد. الكرم والبذخ يمضيان يداً بيد مع البيئة الإغوائيّة.

2. بدأ الأمر في أوائل ستّينات القرن الماضي: كان الناس يقدمون إلى

استديو آندي وارهول فيتشرّبون الجوّ، ويبقون لبرهة. بعد ذلك في عام 1963، انتقل الفنّان إلى مكانٍ جديد في مانهاتن وقام أحد مساعديه بتغطية بعض الجدران والأعمدة بورق القصدير، ورسم حائطاً من القرميد وأشياءً أخرى بلون الفضّة باستخدام مرذاذٍ للدهان. كان يوجد أريكةٌ ذات لحافٍ أحمر في الوسط، وأصابع شوكولا بلاستيكيّة يبلغ ارتفاعها حوالي الخمسة أقدام، ومائدة دوّارة تلتمع بمرايا صغيرة جدّاً، ولكي تكتمل الخلفيّة فقد كان هنالك وساداتٌ فضيّة مملوءة بغاز الهليوم تطوف في الهواء. صار الآن المكان الذي على شكل حرف L يعرف باسم المعمل، وأخذ مشهدٌ بالبزوغ والتشكّل. بدأت أعدادٌ متزايدةً من الناس بالتوافد ـ ولما لا نترك الباب مفتوحاً، فكّر آندي، كي يأتي من يشاء. كان الناس يجتمعون خلال النهار ـ ممثّلون، مروّجو مخدّرات، مومسات، فنّانون آخرون ـ بينما كان آندي يعمل على لوحاته وأفلامه. وكان المصعد يئنّ طوال الليل وهو يحمل أناس الطبقة المترفة والمشهورة الذين أخذوا يتصرّفون بمنتهى الراحة كما لو أنّ المكان كان منزلهم. في أحد أرجاء المكان كنت تجد مونتوجومري كليفت وهو يحتسي المشروب لوحده، وفي ركنٍ آخر كنت تجد شابّةً جميلةً وبارزةً في المجتمع وهي تدردش مع ممثّلٍ يرتدي ثياب امرأة وأمين متحف. كانوا يتدفّقون باستمرار، وجميعهم كانوا في سنّ الشّباب ويرتدون ثياباً ساحرة. ذات مرّةٍ قال آندي لأحد أصدقائه بأنّ المصنع كان أشبه ببرنامجٍ من برامج الأطفال التلفيزيونيّة التي يأتي فيها الضيوف بشكلٍ مستمرّ ودون موعدٍ سابق إلى حفلةٍ لا نهاية لها وحيث يوجد دائماً مقدارٌ ضئيل جديد من التسلية. وهذا بالفعل ما كان الأمر عليه ـ لم يكن أيّ شيءٍ جدّي يحصل، وإنّما مجرّد الكثير من الكلام والعبث وأضواء عدسات التصوير وتوضّعاتٌ لا تنتهي أمام الكاميرات، كما لو أنّ الجميع كان في فيلم. كان أمين المتحف يأخذ بالقهقهة كمراهق وسيّدة المجتمع تأخذ بالتخبّط يميناً وشمالاً كعاهرة.

بحلول منتصف الليل كان المكان يغصّ بالناس لدرجةٍ لا تكاد معها تستطيع التحرّك. بعدئذٍ تأتي الفرقة وتبدأ عرض الأضواء فتتّجه كلّ السهرة باتّجاهٍ جديد أكثر صخباً وجموحاً. كان الحشد يتفرّق عند ساعةٍ ما بطريقةٍ أو بأخرى، لترجع الحاشية شيئاً فشيئاً في أصيل اليوم التالي، فيبدأ الأمر برمّته من جديد. بالكاد ذهب أيٌّ كان إلى المصنع مرّةً واحدةً فقط.

إنّه لأمرٌ قابضٌ للصدر أن تكون مضطرّاً دائماً للتصرّف بنفس الطريقة،

وللعب نفس الدور المملّ الذي يفرضه العمل أو الواجب عليك. الناس يتوقون إلى فسحةٍ أو لحظةٍ يستطيعون فيها أن يرتدوا قناعاً، أن يتصرّفوا بشكلٍ مختلف، أن يكونوا شخصاً آخر، ذلك هو سبب تمجيدنا للممثّلين: يتمتّعون بالحريّة والمرح فيما يتعلّق بأناهم الخاصّة، واللتين نتمنّى أن نتحلّى بهما. أيّ بيئةٍ تقدّم الفرصة للعب دورٍ مختلفٍ، لأن تكون ممثّلاً، هي بيئةٌ مغويةٌ بشكلٍ هائل. يمكنها أن تكون بيئةً من صنعك أنت، مثل المصنع. أو مكانٌ تأخذ إليه هدفك. في هذه البيئات أنت ببساطة لا يمكنك أن تكون دفاعيّاً؛ فالجوّ المرح، والإحساس بأنّ كلّ شيءٍ مسموح (باستثناء الجديّة)، سوف يبدّدان أيّ نوعٍ من ردود الأفعال. تواجدك في مكانٍ كهذا يصبح كمخدّرٍ مسبّبٍ للإدمان. لكي تعاود خلق الأثر، تذكّر استعارة (مجاز) وارهول لبرنامج الأطفال. أبقِ كلّ شيءٍ خفيفاً ومرحاً، ومليئاً بالتسليا الملْهّية، الضجّة، الألوان، وقليلاً من الفوضى. لا أعباء، لا مسؤوليّات، لا أحكام. بل مكانٌ لتتوه ذاتك فيه.

3. في عام 1746، كانت قد قدمت فتاةٌ في السابعة عشرة من عمرها اسمها كريستينا، مع عمّها الكاهن إلى مدينة ڤينيسا (البندقيّة) في إيطاليا، بحثاً عن عريس. كانت كريستينا من قريةٍ صغيرة لكنّها كانت ستقدّم دوطة معتبرة. (الدوطة هي ما تقدّمه الفتاة أو أهلها لعريسها من المال والملكيّة عند الزواج في المجتمعات التي تعمل بهذا العرف، كأوروبا:المترجم.) لكنّ الرجال الڤينيسيّين الذين كانوا راغبين في الزواج منها لم يُرضوها. لذا بعد إسبوعين من البحث العقيم، استعدّت وعمّها للرجوع إلى قريتهما. كانوا جالسين في غندول (الزورق الڤينيسي)، وعلى وشك مغادرة المدينة، عندما رأت كريستينا شابّاً أنيق الثياب يمشي باتّجاههم. فقالت لعمّها: «هنالك شابٌّ وسيم؛ أتمنّى لو يصعد معنا في القارب.» لم يكن من الممكن أن يسمع هذا الشاب بما قالت، إلّا أنّه اقترب بالرغم من ذلك، وأعطى سائق الغندول بعض المال، وجلس بقرب كريستينا، فسُرّت للغاية. قدّم نفسه باسم جاك كازانوڤا. وعندما أطرى الكاهن على تعامله الودود، ردّ كازانوڤا، «لعلّي لم أكن بهذا الودّ، يا أبي الموقّر، لو لم أنجذب لجمال ابنة أخيك.»

أخبرته كريستينا بسبب قدومهم إلى ڤينيسيا ولماذا كانوا سيرحلون. ضحك كازانوڤا ووبّخها بلطف ـ لا يستطيع الرجل أن يقرّر الزواج بفتاة بعد

رؤيتها بعدّة أيّام فقط. يلزم أن يعرف أكثر عن شخصيّتها؛ قد يستغرق هذا ستّة أشهر على الأقلّ. هو نفسه كان يبحث عن زوجة، وشرح لها لماذا كان هو خائب الأمل إزاء الفتيات التي التقى بهنّ كما كانت هي إزاء الرجال. بدا أنّ كازانوڤا لم يكن لديه وجهة؛ بل كان يرافقهم ببساطة، مسلّياً كريستينا طوال الطريق بالأحاديث الظريفة والذكيّة. عندما وصل الغندول إلى طرف ڤينيسيا، قام كازانوڤا باستئجار عربةٍ كي توصله إلى مدينة تريڤيسو المجاورة ودعاهما للانضمام إليه. من هنالك كان يمكنهما ركوب عربةٍ خفيفةٍ إلى قريتهما. وافق العمّ، وبينما كانوا يمشون نحو العربة قام كازانوڤا بتقديم ذراعه إلى كريستينا. سألته عمّا ستقوله عشيقته إذا رأتهما، فأجابها بقوله، «ليس لديّ عشيقات، ولن يكون لديّ واحدةٌ أخرى أبداً، لأنّني لن أجد فتاةً بمثل جمالك ـ لا، ليس في ڤينيسيا.» نفذت كلماته إلى صميم عقلها، مالئةً إيّاه بجميع أنواع الأفكار الغريبة، وبدأت تتكلّم وتتصرّف بأسلوبٍ كان جديداً عليها، إذ أصبحت جريئةً لدرجةٍ تقارب الوقاحة. قالت لكازانوڤا أنّها متحسّرةٌ للغاية لكونها لا تستطيع البقاء لفترة الستة أشهر التي كان يحتاجها للتعرّف إلى الفتاة. عرض عليها ودون تردّد أن يدفع نفقاتها في ڤينيسيا لتلك الفترة التي كان سيتودّد فيها إليها. قامت خلال مشوار العربة بتقليب مسألة عرضه في ذهنها، وما إن وصلت إلى تريڤيسو حتّى استفردت بعمّها وترجّته أن يرجع إلى القرية لوحده، ثمّ يعود إليها بعد عدّة أيّام. كانت واقعةً في حبّ كازانوڤا؛ فأرادت أن تتعرّف إليه أكثر؛ فقد كان مثال الرجل النبيل الجدير بالثقة. لبّى العمّ أمنيتها.

في اليوم التالي لم يبارح كازانوڤا جانبها قطّ. لم يكن هنالك أدنى ميلٍ للخصام في طبيعته. أمضيا اليوم وهما يتجوّلان في أرجاء المدينة، ويتبضّعان ويتحدّثان. أخذها عند المغيب لحضور مسرحيّةٍ وإلى الكازينو بعد ذلك، بعد أن زوّدها بالعباءة وقناع العينين. أعطاها المال لتقامر فربحت. في الوقت الذي عاد فيه عمّها إلى تريڤيسو، كانت قد نسيت بالكامل مخطّطاتها للزواج ـ لم يكن يسعها التفكير إلّا بالأشهر الستّة التي كانت ستقضيها مع كازانوڤا. لكنّها عادت إلى قريتها مع عمّها وانتظرت زيارة كازانوڤا.

قدم بعد عدّة أسابيع، محضراً معه شابّاً وسيماً يُدعى كارلو. استفرد بكريستينا كي يشرح لها الوضع: كارلو كان العازب الأكثر جدارةً بالزواج في ڤينيسيا؛ رجلاً من شأنه أن يكون زوجاً أفضل بكثير ممّا سيكونه كازانوڤا.

صارحت كريستينا كازانوڤا بأنّها أيضاً كان لديها شكوكها وظنونها. كان مثيراً ومشوّقاً للغاية، فجعلها تفكّر بأشياء غير الزواج، أشياء تخجل منها. لعلّ ما اقترحه كان الأفضل. شكرته لتجشّمه كل هذا العناء كي يتدبّر لها زوجاً. تودّد إليها كارلو عبر الأيّام القليلة التي تلت، وتزوّجا بعد عدّة أسابيع. على أيّة حال فقد ظلّ خيال كازانوڤا وسحره في ذهنها إلى الأبد.

لم يكن من الوارد لكازانوڤا أن يتزوّج ـ فقد كان ذلك ضدّ كلّ شيءٍ بطبيعته. لكن فرض نفسه على فتاةٍ يافعة كان ضدّ طبيعته أيضاً. لذا فقد كان من الأفضل أن يتركها في أجمل صور أحلامها وأكثرها مثاليّةً من أن يدمّر حياتها. علاوةً على ذلك، فقد كان يستمتع بالغزل والملاطفة أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

كان كازانوڤا يمدّ النساء اليافعات بالحلم المطلق. فبينما يكون في مدارها كان يخصّص كلّ لحظةٍ لها. لم يكن يذكر العمل مطلقاً، مانعاً بذلك أيّة تفاصيل اعتياديّة أو مملّة من تعكير الحلم. وكان يضفي مسحةً مسرحيّةً عظيمة. فقد كان يرتدي أفخم الأطقم، والمليئة بالجواهر المتلألئة. كان يأخذها إلى أروع أنواع التسليات على الإطلاق ـ الكرنڤالات، الحفلات الراقصة التنكريّة، الكازينوهات، رحلاتٍ دونما وجهة. كان أستاذاً عظيماً في خلق البيئة والزمن الإغوائيّين.

كازانوڤا هو النموذج الذي يجب التطلّع إليه والاحتذاء به. يجب أن تشعر أهدافك بتغيّر بينما يكونون في حضرتك. فللوقت إيقاعٌ مختلف ـ بالكاد يلحظون مروره. يراودهم الشعور بأنّ كلّ شيءٍ قد توقّف من أجلهم، تماماً كما تتوقّف كلّ الأنشطة العاديّة عندما يجيء العيد. كلّ الملذّات العابثة التي تقدّمها لهم تنتقل بالعدوى ـ فواحدةٌ تقود إلى أُخرى والتي تقود بدورها إلى أُخرى، إلى أن يصبح التراجع قد فات الأوان عليه.

الملحق ب:

الإغواء الناعم: كيف تروّج كل شيء للجماهير وتقنعهم به

*كلّما خفّ ظهورك بمظهر من يبيع شيئاً ـ بما في ذلك نفسك ـ كان ذلك أفضل. عندما تكون نبرتك في البيع ملحاحةً أكثر من اللازم فإنّك ستثير الشكوك، وستُضجِر جمهورك أيضاً، الخطيئة التي لا تُغتَفَر. بدلاً من ذلك، إجعل مقاربتك ناعمة، إغوائية، وماكرة. **ناعمة:** كن غير مباشر. إخلق أخباراً وأحداثاً كي يتناولها الإعلام، فيذيع اسمك بطريقةٍ تبدو عفويّة، ليست خشنة أو محسوبة. **إغوائيّة:** أبقِ الأمر مسلّياً. يجب أن يكون اسمك وصورتك مغمورين بالاقترانات الإيجابيّة؛ فأنت تبيع المتعة والوعد. **ماكرة:** استهدف اللاوعي، باستخدام الصور التي تتخلّف في الذهن، وبموضعة رسالتك فيما هو مرئي. إطرح ما تروّج له كجزءٍ من موضةٍ جديدة، وسيصبح كذلك. من المستحيل تقريباً مقاومة الإغواء الناعم.*

البيع الناعم

الإغواء هو الصيغة المطلقة والنهائيّة من القوّة. أولئك الذين يخضعون له يفعلون ذلك برغبة وسعادة. من النادر أن يكون هنالك أيّ اعتراضٍ من قبلهم؛ سيسامحونك على أيّ نوع من التلاعب لأنّك قد جلبت لهم المتعة، وهي سلعةٌ نادرةٌ في هذه الحياة. لماذا تتوقّف عند حدّ انتزاع إعجاب رجلٍ أو امرأة عندما تكون قوّة كهذه في متناول يدك؟ يمكنك ببساطة أن تضع تحت سيطرتك حشداً، جمهور ناخبين، أمّةً إذا ما طبّقت على المستوى الجماعي التكتيكات التي تفعل مفعولها بشكلٍ جيّدٍ جدّاً على المستوى الفردي. الفارق الوحيد هو الهدف ـ ليس الجنس وإنّما النفوذ والتأثير، أو الأصوات، أو اهتمام الجمهور ـ ودرجة التوتّر. عندما تسعى وراء الجنس، فإنّك وبشكلٍ مقصود تخلق القلق ولمسةً من الألم وانعطافات وتقلّبات. يكون الإغواء على المستوى العامّ أقلّ كثافةً (أكثر تشتّتاً) وأكثر نعومةً. أنت تسحر الجمهور بما تقدّم، نتيجةً لخلقك للإثارة الدائمة. إنّهم يعيرونك الاهتمام لأنّه من الممتع لهم فعل هذا.

دعنا نقول أنّ هدفك هو أن تروّج لنفسك ـ كشخصيّة، كمُطلِق نزعة أو موضة، كمرشّح لأحد المناصب. يمكنك أن تسلك أحد طريقين: البيع الخشن (المقاربة المباشرة) والبيع الناعم (المقاربة غير المباشرة). في الترويج الخشن فإنّك تعرِض قضيتك بشكلٍ قويٍّ ومباشر، فتفسّر لما أنّ مواهبك، أفكارك، رسالتك السياسيّة هي أرفع منزلةً من تلك التي تعود لأيّ شخصٍ آخر. أنت تُشيد بإنجازاتك، وتستشهد بالإحصاءات، وتعتمد على آراء الخبراء، بل وتشتطّ حتّى إلى حدّ إثارة قليلٍ من الخوف إذا تجاهل الجمهور رسالتك. هذه المقاربة عدوانيّةٌ بعض الشيء، وقد يكون لها عواقب غير مرجوّة: إذ أنّ بعض الناس قد يستاؤون، ممّا يجعلهم يناهضون رسالتك،

حتّى لو كان ما تقوله صحيحاً. آخرون سوف يشعرون بأنّك تتلاعب بهم - فمن يمكنه أن يثق بالخبراء والإحصائيّات، ولماذا أنت تحاول بكلّ هذا الجهد؟ ستثير أعصاب الناس أيضاً، ممّا يجعل من الاستماع إليك أمراً غير سارّ. في عالم لا يمكنك أن تنجح فيه دون أن تروّج بضاعتك لأعدادٍ كبيرة، فإنّ البيع الخشن لن يمضي بك بعيداً.

البيع الناعم، من الناحية الأخرى، يتمتّع بإمكانيّة شدّ الملايين لأنّه ممتع؛ ورقيقٌ على الأذنين، ويُمكن أن يُعاد دون أن يضايق الناس. ابتُكِرَت هذه التقنيّة من قبل دجّالي أوروبا الكبار في القرن السابع عشر. لينشروا إكسيراتهم ومركّباتهم الخيميائيّة (التي كانوا يزعمون أنّها تحوّل الموادّ إلى ذهب)، فإنّهم كانوا أوّلاً يبدؤون عرضاً - مهرّجين، موسيقى، فقرات منوّعة من الغناء والرقص - لا يمتّ بصلة لما كانوا يبيعونه. كان يتجمّع حشدٌ نتيجةً لذلك، وبينما كان الحاضرون يضحكون وهم مسترخون، كان المشعوذ يصعد على المنصّة ويناقش بشكلٍ موجزٍ ودراماتيكيّ التأثيرات العجائبيّة للإكسير. اكتشف الدجّالون، من خلال تطوير هذه التقنيّة وصقلها، أنّهم صاروا يبيعون العشرات أو حتّى المئات من هذا الدواء المريب بدلاً من بضعة دزّينات.

خلال القرون التي تلت، قام وكلاء الدعاية والإعلان، ومخطّطو السياسة الاستراتيجيّة، وآخرون بأخذ هذه الطريقة إلى آفاقٍ جديدة، إلّا أنّ مبادئ البيع أو الترويج الناعم تبقى نفسها. إجلب أوّلاً المتعة من خلال خلق جوٍّ إيجابيٍّ حول اسمك أو رسالتك. أحدِث شعوراً بالطمأنينة والدفء. إيّاك أن تبدو على أنّك تروّج لشيء - فذلك سوف يبدو تلاعبيّاً ومشبوهاً. بدلاً من ذلك، دع قيم التسلية والمشاعر الحسنة تتصدّر الواجهة، كي ينسلّ الترويج من الباب الجانبيّ. وفي ذلك البيع، أنت لا تبدو على أنّك تروّج لنفسك أو لفكرةٍ أو مرشّحٍ بالتحديد؛ وإنّما تروّج لأسلوب حياة، لمزاجٍ جيّد، لحسّ مغامرة، لشعورٍ بإيقاع العصر، أو لثورةٍ موضّبةٍ (مطروحة) بشكلٍ أنيق.

هذه بعض المكوّنات الأساسيّة للبيع الناعم.

إظهر كخبر، وإيّاك أن تظهر كدعاية. الانطباعات الأولى حاسمة. إذا

رآك جمهورك أوّل ما رآك في سياق مادّةٍ دعائيّة أو إعلانيّة، فإنّك ستنضمّ على الفور إلى جملة الدعايات الأخرى التي تصرخ طلباً للانتباه ـ والجميع يعلم أنّ الدعايات عبارةٌ عن تلاعبٌ بارع، ونوعٌ من الخداع. فعليك بالتالي، من أجل ظهورك الأوّل أمام أعين العامّة، أن تفبرك حدثاً، أي نوعاً من المواقف الجالبة للانتباه والتي سيتناولها الإعلام «بشكلٍ غير مقصود» كما لو كانت أخباراً. الناس يعيرون اهتماماً أكبر لما يُذاع كأخبار ـ فالأخبار تبدو أكثر حقيقيّةً. فجأةً، أنت تبرز على أيّ شيءٍ آخر، ولو للحظةٍ فقط ـ لكنّ تلك اللحظة لديها مصداقيّةٌ أكثر من ساعاتٍ من الدعاية. المفتاح يكمن في أن تزاوج بين التفاصيل بشكلٍ شاملٍ وبحيث تحقّق أقصى ما يمكن من التأثير، فتخلق قصّةً ذات وقعٍ واتّجاهٍ دراماتيكيّين، وذات عقدةٍ وحلّ. سيغطّي الإعلام هذه القصّة لأيّام. أخفِ غرضك الحقيقي ـ أن تروّج نفسك ـ مهما كان الثمن.

أثِر عواطف بدائية. إيّاك أن تروّجَ لرسالتك من خلال الحجّة والمنطق المباشر. فذلك سوف يتطلّب جهداً من قبل مستمعيك ولن يحوز على انتباههم. خاطب القلب، لا العقل. صمّم كلماتك ومجازاتك بحيث تثير مشاعر أوّليّة ـ الشهوة، الوطنيّة، قيم العائلة. ما إن تجعل الناس يفكّرون بعائلتهم وأطفالهم ومستقبلهم حتّى يصبح الاستحواذ على اهتمامهم أكثر يسراً. فهم يشعرون إزاء هذه المواضيع بالاستنهاض وتحرّك المشاعر. الآن تكون قد حزت على اهتمامهم وعلى مجالٍ لدسّ رسالتك الحقيقيّة. بعد مرور أيّام سيتذكّر الجمهور اسمك، حيث يشكّل تذكّر اسمك نصف الطريق. على نحوٍ مشابه، أوجد طرقاً لإحاطة نفسك بالمغناطيسات العاطفيّة ـ أبطال الحرب، الأطفال، القدّيسين، الحيوانات الصغيرة، كلّ ما يلزم. إجعل ظهورك يستحضر هذه الارتباطات الإيجابيّة إلى الذهن، الأمر الذي يمنحك حضوراً إضافيّاً. إيّاك أن تترك الغير يحدّد هذه الارتباطات أو يخلقها لك، وإيّاك أن تتركها للصدفة.

إجعل من الوسط رسالتك. إجعل اهتمامك بشكل رسالتك أكبر منه

بمضمونها. الصور أكثر إغواءً من الكلمات، والمرئيّات ـ الألوان الهادئة، الستارة الخلفيّة المناسبة ـ يجدر بك أن تجعلها رسالتك الحقيقيّة. قد يركّز جمهورك بشكلٍ سطحيّ على المضمون أو المغزى الأخلاقي لما تعظ به، لكنّ ما يعلق بأذهانهم بحقّ هو المرئيّات، التي تأسر اهتمامهم وتشدّهم وتبقى هنالك أكثر من أيّة كلمات أو خطابات وعظيّة. يجب أن تتمتّع المرئيّات التي تستخدمها أنت بأثر منوّمٍ مغناطيسيّاً. يجب أن تجعل الناس يشعرون بالسعادة أو الحزن، تبعاً لما تريد الوصول إليه. وكلّما انصرف انتباههم باتّجاه المثيرات البصريّة، صَعُب عليهم التفكير بشكلٍ صائب وتبيُّن حقيقة مناوراتك.

تكلّم لغة الهدف ـ كن ودوداً وحميماً. مهما كان الثمن، فعليك أن تتحاشى الظهور على أنّك أهمّ أو أعظم من مستمعيك. أيّ أثرٍ للاعتداد بالنفس، استخدام كلمات أو أفكار معقّدة، الاستشهاد بالكثير من الإحصائيّات ـ كلّ ذلك عبارة عن أخطاء قاتلة. بدلاً من ذلك، إجعل نفسك تبدو مساوياً لأهدافك وعلى علاقةٍ حميمةٍ معهم. أنت تتفهّمهم، وتشاطرهم روحيّتهم ولغتهم. إذا كان الناس ينزعون إلى الشك بمناورات المروّجين والسياسيّين، فاستغل تلك النزعة بما يخدم غاياتك الخاصّة. صوّر نفسك كواحدٍ من الشعب، بكلّ نقائصهم ومحدوديّاتهم. أظهِر أنّك تشاطر ميل مستمعيك إلى الشك من خلال إظهار ألاعيب المهنة. إجعل دعايتك بعيدةً عن الادّعاء وبسيطةً قدر المستطاع، بحيث يبدو منافسوك متكلّفين ونفّاجين بالمقارنة. صدقك الإنتقائيّ وضعفك الاستراتيجيّ سيحملان الناس على الثقة بك. أنت الصديق الحميم للجمهور. تغلغل في روحهم وسوف يسترخون ويصغون لك.

إبدأ تفاعلاً متسلسلاً ـ الجميع يفعلون نفس الشيء. الناس الذين يبدون مرغوبين من قبل الآخرين يصبحون على الفور أكثر إغوائيّةً لأهدافهم. طبّق هذا على الإغواء الناعم. عليك أن تتصرّف كما لو أنّك قد أثَرت العديد من الحشود من قبل؛ سيصبح سلوكك نبوءةً ذاتيّة التحقيق. إظهر على أنّك في

طليعة اتّجاهٍ جديد أو أسلوب حياة وستهرع العامّة للّحاق بك خوفاً من أن يتخلّفوا في المؤخّرة. إنشر صورتك مع رسمٍ يرمز لها، وشعارات وملصقات، بحيث تبدو في كلّ مكان. أعلِن عن رسالتك كنزعةٍ جديدة وستصبح كذلك. الهدف هو أن تخلق نوعاً من الأثر الڤيروسي الذي يُعدى فيه المزيد والمزيد من الناس بالرغبة للحصول على أيّ شيءٍ تقدّمه أنت. هذه هي أسهل طريقة للبيع وأكثرها إغوائيّة.

أخبر الناس من يكونون. دائماً وأبداً، فإنّه ليس من الحكمة الانخراط مع فردٍ أو جماعةٍ في أيّ نوعٍ من الجدال. فهم سوف يقاومونك. بدلاً من أن تحاول تغيير أفكار الناس، حاول أن تغيّر هويّتهم ومنظورهم للواقع، وعندها سيكون لديك عليهم سيطرةٌ أكبر بكثير في المدى الطويل. أخبرهم من يكونون، إخلق صورةً أو هويّةً من شأنها أن تجعلهم يريدون اتّخاذها. إجعلهم غير راضين بوضعهم الراهن. جعلهم غير سعيدين تجاه أنفسهم سيعطيك المجال لتقترح أسلوب حياةٍ جديد، وهويّةً جديدة. فقط من خلال الاستماع إليك يستطيعون أن يكتشفوا من هم يكونون. أنت تريد في نفس الوقت أن تغيّر مفهومهم للعالم الخارجي من خلال التحكّم بما ينظرون إليه. استخدم أكبر عددٍ ممكنٍ من الأوساط لتخلق نوعاً من البيئة الشاملة لمدركاتهم الحسيّة. لا يجب أن يُنظَر إلى صورتك كإعلان وإنّما كجزءٍ من الجوّ.

بعض الإغواءات الناعمة

1. كان آندرو جاكسون بطلاً أمريكيّاً حقيقيّاً. ففي عام 1814، في معركة نيو أورليانز، قاد شرذمةً من الجنود الأمريكيّين ضدّ جيشٍ إنكليزيٍّ أكبر عدداً وقوّةً وانتصر. تغلّب أيضاً على الهنود في فلوريدا. أحبّه جيشه بسبب طريقة تصرّفه الفجّة وغير المصقولة: فقد كان يأكل جوز البلّوط عندما لم يكن هنالك شيءٌ آخر للأكل، وكان ينام على سريرٍ قاسٍ، ويشرب خمر التفّاح، تماماً كرجاله. بعد ذلك، بعد أن خسر في الانتخابات الرئاسيّة

في عام 1824 أو أُخرِج منها عن طريق الخداع (في الواقع كان قد ربح في التصويت الشعبي، لكن بهامشٍ ضئيلٍ جدّاً، الأمر الذي أدّى إلى إلقاء مسألة الانتخابات على عاتق مجلس النوّاب الأمريكي الذي اختار جون كوينسي آدامز بعد كثيرٍ من عقد الصفقات السياسيّة)، انكفأ إلى مزرعته في تينيسي، حيث عاش حياةً بسيطة قوامها حراثة الأرض وقراءة الإنجيل، بعيداً عن مفاسد واشنطن. في حين كان آدامز قد درس في جامعة هارڤارد، ويلعب البليارد ويشرب الصودا ويستمتع بالثياب الأوروبيّة الفاخرة، كان جاكسون، مثل العديد من الأمريكيّين في ذلك العصر، قد نشأ في بيتٍ بسيطٍ مصنوعٍ من الأخشاب. كان رجلاً غير متعلّم، رجل الأرض.

هذا، على جميع الأحوال، كان ما قرأه الأمريكيّون في صحفهم في الأشهر التي تلت انتخابات عام 1824 المثيرة للجدل. بعد أن أثارتهم هذه المقالات، صار الناس في المقاهي والمباني العامّة يتحدّثون عن كيف أنّ بطل الحرب آندرو جاكسون قد ظُلم، وكيف كانت نخبةٌ من الأرستقراطيّين الماكرين تتآمر للاستيلاء على البلاد. لذا فإنّ العامّة اجتاحتها الحماسة عندما أعلن جاكسون أنّه سيترشّح مجدّداً ضدّ آدامز في الانتخابات الرئاسيّة لعام 1828 ـ لكن هذه المرّة كقائدٍ لمنظّمةٍ جديدة، الحزب الديمقراطي. كان جاكسون أوّل شخصيّةٍ سياسيّةٍ مهمّة تُنادى بلقبٍ للتحبّب، الجوز القديم، وسرعان ما صارت نوادي الجوز تُبَرعِم في البلدات والمدن الأمريكيّة. كانت لقاءاتهم تشبه الاجتماعات الكنسيّة التي يُقصَد منها إيقاظ الروح الدينيّة. كانت تُناقَش القضايا الساخنة (التعريفات الجمركيّة، إبطال الإسترقاق)، وشعر أعضاء النادي على نحوٍ أكيد بأنّ جاكسون كان على جانبهم. لقد كان من الصعب التيقّن ـ فقد كان غامضاً بعض الشيء فيما يتعلّق بالنقاط الخلافيّة ـ لكنّ الانتخابات كانت حول شيءٍ أكبر من القضايا الخلافيّة: لقد كانت حول إحياء الديمقراطيّة وإرجاع القيم الأمريكيّة الأساسيّة إلى البيت الأبيض.

سرعان ما صارت نوادي الجوز ترعى أحداثاً مثل حفلات الشواء المحليّة، وزرع أشجار الجوزيّة، وحفلات الرقص حول جذع شجرة الجوزيّة.

نظّموا ولائم عامّةً باذخة، والتي كانت تتضمّن دائماً كمّياتٍ كبيرةً من المشروبات الروحيّة. كانوا ينظّمون المسيرات في المدن بقصد إثارة الرأي العامّ. غالباً ما كانت تحدث هذه المسيرات في الليل وذلك لكي يشهد أبناء المدن على موكب مشايعي جاكسون الذين يحملون المشاعل. آخرون كانوا يحملون راياتٍ ملوّنة مع رسومٍ لجاكسون أو رسومٍ كاريكاتوريّة لآدامز وشعاراتٍ تسخر من أساليبه المنحطّة. والجوز كان في كلّ مكان ـ عصي ومكانسُ وعكّازاتٍ، كلّها من خشب الجوز، وأوراق من شجرة الجوز على قبّعات الناس. في تلك المسيرات، كان رجالٌ يمتطون الأحصنة بين الحشود وهم يشجّعونهم على إطلاق هتافات الاستحسان، آخرون كانوا يجعلون الحشود تردّد أغنياتٍ عن الجوز القديم.

قام الديمقراطيّون، ولأوّل مرّةٍ في الانتخابات، بإجراء استطلاعاتٍ للرأي العامّ، وذلك بقصد اكتشاف رأي المواطن العادي بالمرشّحين. كانت هذه الاستطلاعات تُنشَر في الصحف، ودلّت بشكلٍ ساحق على أنّ جاكسون كان في الصدارة. أجل، لقد كانت حركةً جديدةً تجتاح البلاد. احتدم الصراع عندما قام جاكسون بظهورٍ شخصيّ في نيو أورليانز كجزءٍ من احتفالٍ بذكرى المعركة التي كان قد خاضها بمنتهى البسالة قبل أربعة عشر عاماً. كان هذا حدثاً غير مسبوقٍ: فلم يكن أيّ مرشّحٍ رئاسيٍّ على الإطلاق قد قام سابقاً بالاشتراك بالحملة بشكلٍ شخصيّ، وفي الواقع فإنّ ظهوراً كهذا كان يُعتبَر غير لائق. لكنّ جاكسون كان نوعاً جديداً من الساسة، رجل الشعب بحقّ. علاوةً على ذلك، فقد أصرّ على أنّ قصده من الزيارة كان وطنيّاً، وليس سياسيّاً. كان المشهد لا يُنسى ـ جاكسون يدخل نيو أورليانز على متن سفينةٍ بخاريّة بينما كان الضباب ينقشع، وصوت إطلاق المدافع يدوّي من جميع الأماكن، خطاباتٌ رائعة، ولائم متّصلة، نوعٌ من الهذيان الجماعي اجتاح المدينة. قال رجلٌ إنّ الأمر كان «مثل الحلم. فلم يكن العالم قد شهد على الإطلاق احتفالاً مجيداً ورائعاً كهذا ـ لم يسبق للعرفان بالجميل والوطنيّة أن اتّحدا بسعادة كهذه.»

انتصرت إرادة الشعب في هذه المرّة. إذ انتُخِب جاكسون رئيساً. ولم

يأتِ انتصاره من منطقة واحدة: فأهل ولايات نيو إنغلند، الولايات الجنوبيّة، الغربيّة، التجّار المزارعون، والعمّال جميعهم قد أصابتهم حمّى جاكسون.

التفسير. بعد هزيمة عام 1824 الكاملة، كان جاكسون ومناصروه مصمّمين على القيام بالأمور بشكلٍ مختلف في عام 1828. كانت أمريكا تصبح أكثر تنوّعاً، بعد أن تشكّلت فيها وتمايزت جاليات المهاجرين، سكّان الولايات الغربيّة، العمّال المدينيّين، وهلمّ جرّاً. لكي يفوز بالانتخاب، كان على جاكسون أن يتخطّى فروقاتٍ مناطقيّة وطبقيّة جديدة. من أولى الخطوات التي اتّخذها مناصروه وأكثرها أهميّةً كانت إيجاد جرائد في طول البلاد وعرضها. بينما ظهر هو نفسه بمظهر من تقاعد من الحياة السياسيّة، فإنّ هذه الصحف قامت بنشر صورةٍ له كبطل الحرب المظلوم، رجل الشعب الذي تمّ الاحتيال عليه. في الحقيقة فإنّ جاكسون كان ثريّاً، ككلّ مناصريه الرئيسيّين. كان يمتلك واحدةً من أكبر المزارع في تينيسي، والعديد من العبيد. كان يشرب أنواعاً فاخرة من الخمر أكثر ممّا كان يشرب خمر التفاح وينام على سريرٍ وثيرٍ من خيوط الكتّان الأوروبية. وبالرّغم من أنّه كان غير متعلّم، إلّا أنّه كان غايةً في الدهاء الذي تراكم عبر سنينٍ من المعارك العسكريّة.

قنّعَتْ صورة رجل الأرض كلّ هذا، وما إن رسخت، حتّى صار من الممكن إظهار الهوّة ما بينها وبين صورة آدامز الأرستقراطيّة. قام مخطّطو جاكسون من خلال هذه الطريقة بتغطية قلّة خبرته وجعلوا الانتخابات تثير أسئلة الهويّة والقيم. قاموا بإثارة مواضيع تافهة كعادات الشرب وارتياد الكنيسة بدلاً من القضايا السياسيّة. لكي يبقوا على مستوى الحماس فقد قاموا بإخراج مشاهدٍ تبدو على أنّها احتفالاتٍ عفويّة في حين أنّها في الواقع كانت منظّمة ومدبّرة بعناية. بدا أنّ دعم جاكسون كان حركة اجتماعيّة وسياسيّة، كما أثبتته (وعزّزته) استطلاعات الرأي. حدث نيو أورليانز ـ الذي بالكاد كان غير سياسيّ، ولويزيانا (الولاية التي تحتوي على مدينة نيو أورليانز) كانت متأرجحةً ما بين تأييده وتأييد خصمه ـ غمر جاكسون بهالةٍ من الوطنيّة والجلال الذي يقارب حدّ التقديس.

المجتمع قد تقسّم إلى وحداتٍ أصغر فأصغر. والجماعات أقلّ تماسكاً؛

حتّى الأفراد صاروا يشعرون بصراعٍ داخليٍّ أكبر. لكي تفوز بالانتخاب أو تبيع أيّ شيءٍ بأعدادٍ كبيرة، فعليك أن تغطّي هذه الاختلافات بطريقةٍ أو بأخرى ـ عليك أن توحّد الجماهير. الطريقة الوحيدة لإنجاز هذا تكون من خلال خلق صورةٍ شاملة، صورةٍ تثير الناس وتشدّهم على مستوى أوّليّ وشبه غير واع. أنت لا تتحدّث عن الحقيقة، أو الواقع؛ أنت تشكّل أسطورة.

الأساطير تخلق التماهي. ابنِ أسطورةً حول نفسك وستتمثّل عامّة الناس بشخصك، بعهدك، بتطلّعاتك، تماماً كما تتمثّل أنت بشخصهم وعهدهم وتطلّعاتهم. هذه الصورة يجب أن تتضمّن نقائصك، وتلقي الضوء على واقع أنّك لست أفضل الخطباء، أو أكثر الرجال تعلّماً، أو أكثر السياسيّين تشذيباً. ظهورك بالمظهر الإنساني والواقعي سوف يخفي صفة التصنّع في صورتك. لكي تروّج لهذه الصورة عليك أن تتحلّى بالغموض الملائم. ليس مُراد القول أن تتحاشى التحدّث في القضايا والتفاصيل ـ فذلك سوف يجعلك تبدو واهياً ـ وإنّما المُراد هو أن يكون كلّ حديثك مُؤَطّراً في السياق الأنعم للحديث عن الشخصيّة والقيم والرؤية. إذا أردتِ أن تخفّض الضرائب، على سبيل المثال، فقل أنّ ذلك بقصد مساعدة الأُسَر ـ فأنت رجل أسرة. لا يجب أن تكون ملهِماً وحسب بل وممتعاً أيضاً ـ فذلك يضفي لمسةً شعبيّةً وودودة. ذلك سوف يُحنِق خصومك الذين سوف يحاولون إزالة القناع عنك وإظهار الحقيقة الكامنة خلف الأسطورة؛ لكنّ ذلك لن يؤدّي إلّا إلى ظهورهم على أنّهم معتدّون بأنفسهم، مفرطو الجديّة، دفاعيّون، ونفّاجون. ذلك سيصبح الآن جزءاً من صورتهم، وسيساعد على انحدارهم وغرقهم.

2. في أحد الفصح، 31 آذار، من عام 1929، بدأ روّاد الكنائس في نيويورك بالتدفّق إلى الجادّة الخامسة من أجل مسيرة الفصح السنويّة وذلك بعد الصلاة الصباحيّة. كانت الشوارع مسدودة، والناس، كما جرت العادة لسنوات، كانوا يرتدون أبهى حللهم، والنساء تحديداً كنّ يستعرضن آخر صيحات الموضة الربيعيّة. لكنّ المتنزّهين في الجادة الخامسة لاحظوا شيئاً آخر هذه السنة. سيّدتان شابّتان كانتا تنزلان درج كنيسة القدّيس توماس. وعند أسفل الدرج قامت كلّ منهما بمدّ يدها إلى جزدانها، لتأخذ سيجارةً ـ لكي

سترايك ـ وأشعلتها. بعد ذلك تمشّيتا على طول الجادة مع مرافقيهنّ، وهنّ يضحكن وينفّخن الدخان. سرت غمغمةٌ عبر الحشد. فلم تكن النسوة قد بدأن بالتدخين إلّا مؤخّراً، وكان يُعتَبَر من غير اللائق لسيّدةٍ أن تُرى وهي تُدخّن في الشارع. نوعيّةٌ محدّدةٌ من النساء، دون غيرها، كانت تفعل ذلك. لكن هاتين الاثنتين كانتا أنيقتين ومرتديتين ثياباً تتماشى مع الموضة. قام الناس بمراقبتهنّ بتمعّن، وازداد انذهالهم عندما وصلوا بعد عدّة دقائق إلى الكنيسة التالية المحاذية للجادّة. هنا قامت شابّتان أخريتان ـ حسنتا التنشئة وعلى نفس الدرجة من الأناقة ـ بالخروج من الكنيسة واقتربتا من الاثنتين اللتين كانتا تحملان السجائر، وسحبت كلّ منهما سيجارة لكي سترايك من حقيبتها الخاصّة وطلبت إشعالها، كما لو أنّهما أُلهِمَتا فجأةً بالانضمام إليهما.

صارت الآن أربع نسوةٍ يسرن على الجادّة. وتواصل انضمام أخرياتٍ إليهنّ حتّى صرن عشر نساءٍ يحملن السجائر أمام الملأ، وكأنّه لم يكن هنالك شيءٌ أكثر طبيعيّةً واعتياديّة. قدم المصوّرون لالتقاط صورٍ لهذا المشهد غير المألوف. عادةً فإنّ الناس كانوا يتهامسون في مسيرة الفصح عن شكلٍ جديدٍ من القبّعات أو عن لون ثياب الربيع الجديد. هذه السنة كان الجميع يتحدّث عن الشابّات الجريئات وسجائرهنّ. في اليوم التالي، نُشِرَت في الصحف صورهنّ والمقالات التي تتحدّث عنهنّ. كتبت رسالةٌ إخباريّةٌ تابعةٌ إلى صحيفة اليونايتد برس، «ما إن قامت الآنسة فريديريكا فرايلينجين، الملفتة للنظر بردائها المصنوع يدويّاً ذي اللون الرمادي الغامق، بشقّ طريقها بين جموع الناس الذين احتشدوا أمام كاتدرائيّة القدّيس باتريك، حتّى قامت الآنسة بيرثا هَنت وستّة زميلاتٍ بتسديد ضربةٍ مدويّةٍ تأييداً لحريّة النساء. إذ تمشّين على طول الجادّة الخامسة وهنّ يدخنّ السجائر. أصدرت الآنسة هَنت البلاغ التالي من ميدان المعركة الملبّد بالدخان: 'آمل بأنّنا قد بدأنا شيئاً وأنّ مشاعل الحريّة هذه، التي لا تتحيّز لماركةٍ بعينها، سوف تسحق المنع العنصري للنساء عن التدخين وأنّ جنسنا سيمضي في تحطيم جميع أنواع التمييز العنصري.'»

تمّ تناول هذه القصّة من قبل الجرائد في طول البلاد وعرضها، وسرعان ما بدأت النسوة في مدنٍ أخرى بإشعال السجائر في الشوارع. احتدم النقاش لأسابيع، حيث شجبت بعض الجرائد هذه العادة الجديدة، في حين

أخذت جرائد أخرى موقف الدفاع عن النسوة. على الرغم من ذلك فقد أصبح تدخين النساء في الأماكن العامّة ممارسةً مقبولةً من الناحية الاجتماعيّة بعد بضعة أشهرٍ. ولم يتجشّم عناء الإحتجاج عليها بعد ذلك سوى القلّة.

التفسير. في شهر يناير من عام 1929، تلقّت عدّة شابّاتٍ لم يسبق لهنّ الظهور على الساحة الاجتماعيّة برقيّةً من الآنسة برثا هَنت: «خدمةً للمساواة ما بين الجنسين... فسأقوم أنا وشابّاتٌ أخريات بإنارة مشعلٍ آخر للحريّة من خلال تدخين السجائر بينما نتمشّى في الجادّة الخامسة في أحد الفصح.» الفتيات اللواتي شاركن في آخر الأمر التقين قبل ذلك في المكتب الذي تعمل فيه هَنت كسكرتيرة. وضعن خطّةً تشتمل الكنائس التي كنّ سيظهرن عندها، وكيفيّة انضمامهنّ لبعضهنّ البعض وكلّ التفاصيل. سلّمتهنّ هَنت باكيتات اللكي سترايك. سار كلّ شيءٍ على خير ما يُرام في اليوم المقرّر.

على الرغم من ذلك فلم تعرف الفتيات أنّ المسألة برمّتها كانت مُدَبّرةً من قبل رجل ـ رئيس الآنسة هَنت، إدوارد برنايز، الذي كان مستشار العلاقات العامّة لشركة التبغ الأمريكيّة التي تنتج لكي سترايك. شركة التبغ الأمريكيّة كانت تغري النساء بالتدخين من خلال كلّ أنواع الإعلانات الذكيّة، لكنّ الاستهلاك كان محدوداً نتيجةً لواقع أنّ التدخين في الشوارع كان يُعتبَر سلوكاً غير لائقٍ بالسيّدات. كان رئيس شركة التبغ الأمريكيّة قد طلب مساعدة السيّد برنايز فلبّى الطلب من خلال تطبيق تقنيّةٍ كانت ستصبح علامته الفارقة: استحوذ على انتباه العامّة من خلال خلق حدثٍ من شأن الإعلام أن يغطّيه كخبر. نسّق جميع التفاصيل بحيث تحقّق أقصى ما يمكن من التأثير لكنْ إجعلها تبدو عفويّةً. بينما تسمع أعدادٌ متزايدة بهذا «الحدث»، فإنّه سوف يطلق شرارة التقليد ـ في هذه الحالة سوف يدخّن المزيد من النساء في الشارع.

برنايز، الذي كان ابن أخت سيغموند فرويد وربّما أعظم عبقريّي العلاقات العامّة في القرن العشرين، فهم قانوناً جوهريّاً لأيّ نوع من البيع. في اللحظة التي يعرف فيها أهدافك أنّك تسعى خلف شيء ـ أصوات، بيع ـ فإنّهم سيقاومونك. لكن قنّع محاولة بيعك بقناع الحدث الإخباري، وعندها

فإنّك لن تتخطّى مقاومتهم وحسب، بل وستستطيع أيضاً خلق اتّجاهٍ اجتماعيٍّ من شأنه أن يقوم بالترويج نيابةً عنك. لكي تجعل ذلك يفلح، فينبغي للحدث الذي تفبركه أن يتميّز عن جميع الأحداث الأخرى التي يغطّيها الإعلام، ومع ذلك فإنّه لا يجوز له أن يبرز أكثر من اللزوم وإلاّ فسيبدو مُخَطّطاً له. في حالة مسيرة الفصح، فإنّ برنايز (عبر بِرثا هَنت) اختار نساءً من شأنهنّ أن يبدين أنيقات ولائقات المظهر بالرغم من السجائر التي في أيديهنّ. علاوةً على ذلك فإنّه من خلال خرق محظورٍ اجتماعيّ، وفعل هذا كمجموعة، فإنّ هؤلاء النسوة قمن بخلق صورةٍ غايةٍ في الدراماتيكيّة والإذهال لدرجةٍ أنّ الإعلام لم يستطع إغفالها. الحدث الذي تتناوله الأخبار لديه رخصة الحقيقة.

من المهمّ إضفاء ارتباطاتٍ إيجابيّة على هذا الحدث المُفبرك، كما فعل برنايز من خلال خلق شعورٍ بالثورة، وبأنّ النساء قد تكاتفن مع بعضهنّ البعض. الارتباطات التي تكون وطنيّة، على سبيل المثال، أو جنسيّة بشكل غير مباشر، أو روحانيّة ـ أيّ شيءٍ سارٍّ وإغوائيّ ـ تتّخذ حياةً قائمةً بحدّ ذاتها. فمن يستطيع أن يقاوم؟ الناس بشكلٍ أساسيّ يحثّون أنفسهم على الانضمام للحشد دون أن يدركوا حتّى أنّ البيع قد حدث. الشعور بالمشاركة الفعّالة هو أمرٌ حيويٌّ للإغواء. فلا أحد يريد أن يشعر بأنّه تُرِكَ خارج حركةٍ متنامية.

3. في الحملة الرئاسيّة من عام 1984، قال الرئيس رونالد ريغان، الذي كان يخوض معركة إعادة انتخابه، للعامّة، «حلّ الصباح من جديد على أمريكا.» زعم أنّ رئاسته قد أعادت الاعتزاز لأمريكا. كان الأولمبياد الناجح الذي جرى مؤخّراً في لوس آنجلس رمزاً لعودة البلد إلى القوّة والثقة. من عساه يريد أن يرجع عقارب الساعة إلى عام 1980، التي دعاها سلف ريغان، جيمي كارتر، فترة توعّك.

ظنّ منافس ريغان عن الحزب الديمقراطي، والتر مونڤال، أنّ الأمريكيّين قد اكتفوا من لمسة ريغان الرقيقة. وبأنّهم جاهزون للصراحة التي كانت ستشكّل قوام جاذبيّة مونڤال. أعلن مونڤال في برنامجٍ تليفزيونيّ بُثّ في أرجاء الدولة كلّها، «فلنقل الحقيقة. السيّد ريغان سيرفع الضرائب، وكذلك

أنا. هو لن يقول لكم ذلك. أنا فعلت لتوّي.» كرّر هذه المفاتحة الصريحة في مناسباتٍ عديدة. بحلول شهر أكتوبر كانت شعبيّته في استطلاعات الرأي قد انخفضت لأدنى مستوياتها على الإطلاق.

مراسلة ال سي بي سي الصَّحفيّة لزلي ستال كانت تقوم بتغطية الحملة، وأخذ يراودها شعورٌ بعدم الارتياح أثناء اقتراب يوم الانتخاب. لم يكن من الدقيق تماماً القول بأنّ ريغان كان قد ركّز على العواطف والحالة النفسيّة أكثر من تركيزه على القضايا الحقيقيّة. بل إنّ الواقع كان أنّ الإعلام يحابيه. شعرت بأنّه وطاقمه الانتخابي قد اتّخذوا ألعوبةً من الصحافة. فهم قد تدبّروا دائماً أن تُلتقَط له الصور وهو في أفضل وضع، بحيث يبدو قويّاً ورئاسيّاً. غذّوا الصحافة بعناوين مفرقعة بالتوازي مع صورٍ دراماتيكيّة لريغان وهو أثناء عمله. كانوا يقومون باستعراضٍ عظيم.

قرّرت ستال أن تركّب فقرةً إخباريّة تُري العامّة كيف أنّ ريغان استخدم التلفزيون ليغطّي على الآثار السلبيّة لسياساته. تبدأ الفقرة بمجموعةٍ من الصور التي قام فريقه بانتقائها وعرضها (بشكلٍ مترابط) عبر السنين: ريغان يجلس مسترخياً في مزرعته للخيل وهو مرتدٍ للجينز؛ ريغان وهو يقف باعتزازٍ أمام النصب التذكاري لاجتياح النورماندي في فرنسا (وهو الغزو التي قامت به قوات الحلفاء بقيادة أمريكا لإجلاء النازيّين عمّا احتلّوه من شمال أوروبا وبدأ في النورماندي غرب فرنسا: المترجم)؛ وصورة له وهو يلعب كرة القدم مع حرّاسه الشخصيّين؛ وأخرى وهو يجلس في صفٍّ مدرسيّ في أحد أحياء الفقر والجريمة الواقعة في قلب المدينة.... أثناء عرض هذه الصور، سألت ستال، «كيف يستخدم ريغان التلفزيون؟ بألمعيّة. كانت قد وُجِّهَت إليه الانتقادات بأنّه رئيس الأغنياء، لكنّ الصور التي يعرضها التلفاز تقول أنّه ليس كذلك. في الثالثة والسبعين من العمر، فإنّه من الممكن للسيّد ريغان أن يعاني من أزمة شيخوخة. لكنّ الصور التي يعرضها التلفاز تقول غير هذا. الأمريكيّون يريدون أن يشعروا بالفخر ببلدهم من جديد، وبرئيسهم. والصور التلفزيونيّة تقول بأنّه يسعكم هذا. تنسيق التغطية الإعلاميّة استحوذ على كامل انتباه البيت الأبيض. ما هو هدفهم؟ التوكيد على أهمّ مصدر قوّةٍ عند الرئيس والذي هو شخصيّته على حدّ قول

مساعديه. هم يقومون بالتزويد بالصور التي يبدو فيها كقائد. واثقاً، وماشياً كراعي البقر الذي يدخّن المارلبورو.»

بينما كانت تُعرَضُ صورٌ لريغان وهو يصافح رياضيّين معوّقين على كراسيهم المدولبة ويقصّ الشريط أمام مؤسّسةٍ للمتقاعدين، تابعت ستال، «هم يسعون أيضاً إلى محو السلبيّات. حاول السيّد ريغان أن يعكس ذكرى قضيّةٍ قد لقيت السخط من خلال خلفيّةٍ منتقاةٍ بعناية والتي تناقض في الواقع سياسة الرئيس. إنظروا إلى أولمبياد المعوّقين، أو إلى حفل افتتاح دارٍ للمسنّين. لا يوجد أيّ إشارةٍ إلى أنّه حاول أن يخفّض الميزانيّة المخصّصة للمعوّقين ولإسكان المسنّين المُعتمدة على المعونة الماليّة الفيدراليّة.» استأنفت الفقرة، دون كللٍ أو مللٍ، إظهار الهوّة ما بين الصور المشجّعة التي تُعرَض على الشاشة وما بين حقيقة أفعال ريغان. خَلُصَت ستال إلى أنّ «الرئيس ريغان مُتّهمٌ بخوض حملةٍ يُرَكّز فيها على الصور ويختبئ من القضايا. لكنّه لا يوجد دليلٌ على أنّ الاتّهامات سوف تضرّه لأنّه عندما يرى الناس الرئيس على التلفاز، فإنّه يجعلهم يشعرون بشعورٍ جيّد، حيال أمريكا، حيال أنفسهم، وحياله هو.»

اعتمدت ستال على النيّات الطيّبة لجمهور ريغان حيال معالجتها لموضوع البيت الأبيض، لكنّ فقرتها كانت ذات وقعٍ سلبيٍّ شديد، لذا استعدّت للأسوأ. ومع ذلك فقد اتّصل بها تلفونيّاً أحد كبار مسؤولي البيت الأبيض ذلك المساء وقال لها: «فقرةٌ عظيمة». «ماذا؟» سألت ستال المصعوقة. فكرّر «*فقرة عظيمة*». فسألته، «ألم تستمع لما قلتُه؟» «يا لزلي، عندما تعرضين أربع دقائق ونصف من الصور الرائعة لرونالد ريغان، فلن يستمع أحدٌ لما تقولينه. ألا تعلمين أنّ الصور تُبطِل رسالتك وتطغى عليها لأنّها تتعارض معها؟ الجمهور يرى تلك الصور ويُعرِض عن رسالتك. هم لم يستمعوا حتّى إلى ما قلتِ. لذا فإنّها، من وجهة نظرنا، كانت إعلاناً مجانيّاً مدّته أربع دقائق ونصف الدقيقة لحملة رونالد ريغان لإعادة الانتخاب.»

التفسير. معظم الرجال الذين عملوا على فنون التواصل عند ريغان كان لديهم خلفيّةٌ في التسويق. علموا أهميّة إخبار قصّةٍ بشكلٍ بيّنٍ وجازم،

وباستخدام جيّدٍ للصور المرئيّة. كانوا يمرّون كلّ صباح على المواضيع الإخباريّة لاستنساب واحدٍ منها ليكون العنوان الرئيسيّ للأخبار، ويدرسون كيف يمكنهم صياغته وقولبته بحيث يصبح فقرةً مصوّرةً قصيرة تحمل للرئيس فرصةً للظهور التلفيزيوني. اهتمّوا بأدقّ التفاصيل فيما يتعلّق بالخلفيّة وراء الرئيس في المكتب البيضاوي، وفيما يتعلّق بالطريقة التي تصوّره بها الكاميرا عندما يكون مع قادة دولٍ أخرى، وبأن يتمّ تصويره وهو في حالة حركة، كي تظهر مشيته الواثقة. الصور المرئيّة يمكنها أن تحمل الرسائل بشكلٍ أفضل من أيّة كلمات. كما قال أحد موظّفي ريغان، «ماذا ستصدّق؟ الوقائع أم عينيك.»

حرّر نفسك من الحاجة للتواصل بالأسلوب المعتاد والمباشر وعندها ستمنح نفسك فرصاً أكبر للبيع الناعم. إجعل الكلمات التي تقولها غير مزعجةٍ بتطفّلها وصخبها، وغامضةً ومغرية. وأَعِر انتباهاً أكبر بكثير لأسلوبك وللصور التي تظهر بها وللقصّة التي تخبر. إنقل إحساساً بالحركة والتقدّم من خلال إظهار نفسك وأنت تتحرّك. عبّر عن الثقة لا من خلال الوقائع والأرقام بل من خلال الألوان والمجازات الإيجابيّة، مخاطباً الطفل الذي يوجد عند الجميع. إترك الإعلام يتناولك دون أن يكون هنالك من يوجّهك أو يرشدك وستكون عندها تحت رحمته. لذا إقلب الديناميكيّة ـ إذا كانت الصحافة تحتاج للدراما وللصور المرئيّة؟ فقم بتوفيرها لها. من الحَسَن أن تناقش القضايا و«الحقيقة» ما دمت تطرحها وتغلّفها بشكلٍ ممتع. تذكّر: الصور تبقى في الذهن لفترة طويلة بعد أن تُنسى الكلمات. لا تقم بوعظ الجمهور ـ فذلك لا يُفلِح أبداً. تعلّم أن تعبّر عن رسالتك من خلال المرئيّات التي تدسّ بالعواطف الإيجابيّة والمشاعر السعيدة.

4. في عام 1919، طُلِب من وكيل الدعاية للأفلام هاري رايخنباك بأن يقوم بالدعاية سلفاً لفيلمٍ يُدعى *عذراء اسطنبول*. كان مثال الفيلم الرومانسي التجاري الرخيص الذي يصوّر في مكانٍ غريب، وعادةً ما كان المروّج يقوم بحشد حملةٍ قوامها الملصقات المغرية والإعلانات. لكن هاري لم يعمل أبداً وفق الطريقة المعتادة. كان قد بدأ مسيرته المهنيّة كصيّاح كرنڤال (يقف أمام الكرنڤال ويدعو السابلة إلى الدخول)، والطريقة الوحيدة هنالك لإدخال

العامّة إلى خيمتك كانت من خلال التميّز عن والبروز على الصيّاحين الآخرين. لذا استحصل هاري على ثمانية أتراكٍ وضيعين كان قد وجدهم قاطنين في مانهاتن، وألبسهم ملابس تركيّة تقليديّة (بنطالاتٍ فضفاضةٍ بلون الأخضر المزرقّ، عماماتٍ على شكل هلالاتٍ مُذَهّبة) مُقَدّمةً من قبل الاستديو الذي ينتج الفيلم، درّبهم على كلّ إيماءةٍ وكلّ جملةٍ كانوا سيقولون، وأنزلهم في فندقٍ باهظ. سرعان ما تناهت الأخبار للصحف (بمساعدةٍ بسيطة من هاري) بأنّ مفوّضيّةً من الأتراك وصلت إلى نيويورك في مهمّةٍ ديبلوماسيّةٍ سريّة.

تجمّع المراسلون عند الفندق. نظراً لأنّه من الواضح أنّ ظهوره في نيويورك لم يَعُد سرّاً، فقد قام رئيس البعثة، «الشيخ علي بن محمّد،» بدعوتهم إلى جناحه. أثارت أثواب الأتراك الملوّنة، وطريقتهم بالسلام، وطقوسيّاتهم إعجاب الصّحفيّين. شرح الشيخ بعدئذٍ سبب مجيئهم إلى نيويورك. شابّةٌ تركيّة اسمها ساري، وتُدعى باسم عذراء اسطنبول، كانت مخطوبةً لشقيق الشيخ. كان جنديّ أمريكيٌّ عابر سبيل قد وقع في حبّها وتدبّر اختطافها من موطنها وأخذها إلى أمريكا. كانت قد توفّيت أمّها من الأسى. اكتشف الشيخ أنّها كانت في نيويورك، فأتى ليرجع بها.

ملأ المراسلون الصحف لعدّة أيّام بقصصٍ عن عذراء اسطنبول، بعد أن نُوِّموا مغناطيسيّاً بلغة الشيخ النابضة بالحياة وبالقصّة الرومانسيّة التي ألقاها. صُوّر الشيخ في المنتزه المركزي وكُرّم واحتُفِي به من قبل صفوة المجتمع النيويوركي. تمّ العثور على «ساري» أخيراً، وكتبت الصحافة عن لمّ الشمل ما بين الشيخ وبين الفتاة الهيستيريّة (ممثّلةٌ ذات ملامح غريبة). بعد ذلك بفترةٍ قصيرة تمّ افتتاح عرض *عذراء اسطنبول* في نيويورك. قصّة الفيلم كانت شبيهةً جدّاً بالأحداث «الحقيقيّة» التي وردت في الصحف. هل كان ذلك من قبيل المصادفة؟ أم نسخةٌ سينمائيّة معمولةٌ بسرعة عن القصّة الحقيقيّة؟ لم يبدُ أنّ أحداً يعرف، لكنّ الجمهور كان أكثر فضولاً من أن يهتمّ، وحطّم *عذراء اسطنبول* الأرقام القياسيّة لمبيعات التذاكر.

بعد سنةٍ من ذلك طُلِب من هاري أن يقوم بالدعاية لفيلم اسمه *المرأة المحرمة*. لقد كان واحداً من أسوأ الأفلام التي شاهدها. مالكو دور السينما لم

يكن لديهم مصلحةٌ في عرضه. مضى هاري للعمل. قام بوضع إعلانٍ في جميع الصحف الرئيسيّة في نيويورك لمدّة ثمانية عشر يوماً متواصلة: **راقبوا السماء في مساء اليوم الحادي والعشرين من شباط! إذا كانت خضراء ــ إذهبوا إلى الكابيتول إذا كانت حمراء ــ إذهبوا إلى الريڤولي إذا كانت زهريّة ــ إذهبوا إلى الستراند إذا كانت زرقاء ــ إذهبوا إلى الريالتو لأنّه في الحادي والعشرين من شباط ستخبركم السماء أين يمكن أن تروا العرض الأفضل في المدينة!** (الكابيتول، الريڤولي، الستراند، والريالتو كانت أكبر أربع دور سينما من بين الدور التي تعرض الأفلام أوّل نزولها في برودواي.) شاهد الجميع تقريباً الإعلان وتساءلوا عمّا كان هذا العرض المذهل. سأل مالك الكابيتول هاري إذا كان يعرف أيّ شيءٍ عنه، فأطلعه هاري على السر: لقد كان الأمر برمّته عبارةً عن عملٍ دعائيٍّ مثير لفيلمٍ غير محجوز. طلب المالك أن يرى عرضاً لـ*المرأة المحترمة*؛ قام هاري خلال معظم الفيلم بالثرثرة عن حملة الدعاية، مشتّتاً بذلك انتباه الرجل عن الغباء الذي كان على الشاشة. قرّر مالك الدار عرض الفيلم لمدّة أسبوع، وهكذا في مساء اليوم الحادي والعشرين من شباط، لفّت عاصفةٌ ثلجيّةٌ كثيفةٌ المدينة واتّجهت كلّ الأنظار إلى السماء، حيث انصبّت إشعاعاتٌ عملاقةٌ من الضوء من أعلى المباني ـ لقد كان عرضاً برّاقاً للّون الأخضر. تقاطرت الحشود إلى دار سينما الكابيتول. أولئك الذين لم يتسنَّ لهم الدخول ظلّوا يرجعون. بطريقةٍ أو بأخرى، بدارٍ ممتلئة بالكامل وحشدٍ متحمّس، فإنّ الفيلم لم يبدُ سيّئاً للغاية.

طُلِب في السنة التالية من هاري أن يروّج لفيلم عصاباتٍ يُدعى *خارج القانون*. على الأوتوسترادات عبر أرجاء البلاد قام بوضع لوحاتٍ إعلانيّة كُتِب عليها بأحرفٍ عملاقة، إذا كنت ترقص يوم الأحد، فأنت خارج القانون. على لوحاتٍ إعلانيّةٍ أخرى تمّ استبدال كلمة «ترقص» بـ «تلعب الغولف» أو «تلعب البليارد» وهكذا. في زاويةٍ من أعلى اللوحة كان يوجد درعٌ يحمل الحرفين الاستهلاليّين «ق ش.» (في الإنكليزيّة بي دي) افترضت العامّة أن هذا عنى «قسم الشرطة» (في الواقع كان هذان الحرفان يعنيان بريسّيلا دين، نجمة الفيلم) وأنّ الشرطة مدعومةً بالمنظّمات الدينيّة كانت تحضّر لتطبيق القوانين الزرقاء (التي أُصدِرَت أوّل ما أُصدِرَت في ڤيرجينيا في

عام 1624، ويُزعَم أنّها سُمّيت بالزرقاء لأنّها كُتِبَت على ورقٍ أزرق في مستعمرة نيو هاڤن: المترجم) التي تعود لعقودٍ خَلَت والتي تمنع الأنشطة «الآثمة» في يوم الأحد. انطلقت فجأةً شرارة الجدل والنزاع. إذ قاد مالكو المسارح، اتّحادات الغولف، منظّمات الرقص حملةً مناهضةً ضدّ القوانين الزرقاء؛ ونصبوا لوحاتهم الإعلانيّة الخاصّة، معلنين بقوّة أنّه إذا فعلت تلك الأشياء يوم الأحد، فإنّك لم تكن «خارج القانون» وأطلقوا نداءً للأمريكيّين كي يحظوا ببعض المرح في حياتهم. لأسابيع صارت عبارة «خارج القانون» تُرى في كلّ مكان وتردّدها جميع الألسن. في غمرة هذا افتُتِح الفيلم - يوم الأحد - في أربع دورٍ سينمائيّة في نيويورك في نفس الوقت، وهذا كان شيئاً لم يحصل أبداً من قبل. واستمرّ عرضه لأشهر في كافّة أنحاء البلاد، وكذلك في أيّام الآحاد. لقد كان واحداً من أنجح الأعمال في تلك السنة.

التفسير. هاري رايخنباك، الذي لعلّه كان أعظم وكيل دعايةٍ وإعلان في تاريخ السينما، لم ينس أبداً الدروس التي تعلّمها كصيّاح. يكون الكرنڤال مليئاً بالأضواء البرّاقة، الألوان، الضجّة، ومدّ الحشود وجَزْرِهم. بيئاتٌ كهذه يكون لديها تأثيراتٌ عميقة على الناس. أيّ رجلٍ صائب التفكير يمكنه على الأرجح أن يميّز أنّ العروض السحريّة مزيّفة، وأنّ الحيوانات الضاريّة مروّضة، وأنّ الألعاب البهلوانيّة الخطرة تكون آمنةً نسبيّاً. لكنّ الناس يريدون أن يتسلّوا؛ فهذه واحدةٌ من أعظم احتياجاتهم. يقرّرون، بينما يكونون محاطين بالألوان والإثارة، أن يعلّقوا عدم تصديقهم لبرهة وأن يتخيّلوا أنّ السحر والخطر حقيقيّان. هم يُسْحَرون بما يبدو مزيّفاً وحقيقيّاً في نفس الوقت. أعمال هاري الدعائيّة البارعة لم تُزِد على إعادة خلق الكرنڤال ولكن على نطاقٍ أوسع. استدرجَ الناس من خلال إغراء الأزياء الملوّنة، القصّة الرائعة، والمشاهد التي لا يمكن مقاومتها. أسرَ انتباههم من خلال الغموض، الجدل، وكلّ ما يلزم. كانوا يندفعون دون تفكير، بعد أن التقطوا نوعاً من الحمّى كتلك التي يلتقطونها في الكرنڤال، إلى الأفلام التي روّج لها. في يومنا هذا فإنّ الخطوط الفاصلة ما بين الخيال والواقع، وما بين الأخبار والتسليّة هي أكثر ضبابيّةً حتّى ممّا كانته في زمن هاري. يالها من فرصٍ يقدّمها ذلك للبيع الناعم! الإعلام متعطّشٌ للأحداث ذات المدلول

المسلّي والدراما المتأصّلة. غذِّ تلك الحاجة. تعاني العامّة من ضعفٍ إزاء ما يبدو حقيقيّاً وخياليّاً بعض الشيء على حدٍّ سواء ـ إزاء الأحداث الحقيقيّة ذات اللمسة السينمائيّة. إلعب على ذلك الضعف. أَخرِج أحداثاً كتلك التي أخرجها برنايز، أحداثاً يمكن للإعلام أن يتناولها كأخبار. لكنّك هنا لست بصدد بدءِ نزعةٍ اجتماعيّة، بل أنت تسعى وراء شيءٍ أقصر مدى: أن تظفر بانتباه الناس، أن تخلق حراكاً لحظيّاً، أن تستدرجهم إلى خيمتك. إجعل أحداثك وأعمالك الدعائيّة قابلةً للتصديق وواقعيّة بعض الشيء، لكن إجعل ألوانها أكثر لمعاناً من المعتاد، والشخصيّات أكثر توهّجاً وإثارةً للإعجاب، ودرجة الدراما أعلى. أنت تخلق نقطة التقاءٍ للحياة الواقعيّة مع الخيال ـ وهذا جوهر أيّ إغواء.

لكنّه ليس كافياً أن تظفر بانتباه الناس: إذ عليك أن تحظى به مدّةً كافيةً لتأسر اهتمامهم. هذا يمكن عمله دائماً من خلال إطلاق شرارة الجدل، بالطريقة التي أحبّ هاري من خلالها أن يثير النقاشات حول الأخلاق. بينما يناقش الإعلام الأثر الذي تمارسه على قيم الناس، فإنّه يُذيع اسمك في كلّ مكان ويسبغ عليك دون قصد الأفضليّة التي ستجعلك جذّاباً جدّاً بالنسبة للجمهور.

Selected Bibliography

Baudrillard, Jean. Seduction. Trans. Brian Singer. New York: St. Martin's Press, 1990.

Bourdon, David. Warhol. New York: Harry N. Abrams, Inc., 1989.

Capellanus, Andreas. Andreas Capellanus on Love. Trans. P. G. Walsh. London: Ger?

ald Duckworth & Co. Ltd., 1982.

Casanova, Jacques. The Memoirs of Jacques Casanova, in eight volumes. Trans. Arthur

Machen. Edinburgh: Limited Editions Club, 1940.

Chalon, Jean. Portrait of a Seductress: The World of Natalie Barney. Trans. Carol

Barko. New York: Crown Publishers, Inc., 1979.

Cole, Hubert. First Gentleman of the Bedchamber: The Life of Louis - Franςois Armand,

Marechal Duc de Richelieu. New York: Viking, 1965.

de Troyes, Chretien. Arthurian Romances. Trans. William W. Kibler. London: Pen?

guin Books, 1991.

Feher, Michel, ed. The Libertine Reader: Eroticism and Enlightenment in

Eighteenth - Century France. New York: Zone Books, 1997.

Flynn, Errol. My Wicked, Wicked Ways. New York: G. P. Putnam's Sons, 1959.

Freud, Sigmund. Psychological Writings and Letters. Ed. Sander L. Gilman. New

York: The Continuum Publishing Company, 1995.

-------. Sexuality and the Psychology of Love. Ed. Philip Rieff. New

York: Touch?

stone, 1963.

Fulop - Miller, Rene. Rasputin: The Holy Devil. New York: Viking, 1962.

George, Don. Sweet Man: The Real Duke Ellington. New York: G. P. Putnam's Sons, 1981.

Gleichen - Russwurm, Alexander von. The World's Lure: Fair Women, Their Loves,

Their Power, Their Fates. Trans. Hannah Walker. New York: Alfred A. Knopf, 1927.

Hahn, Emily. Lorenzo: D. H. Lawrence and the Women Who Loved Him. Philadel?

phia: J. B. Lippincott Company, 1975.

455

456 • Selected Bibliography

Hellmann, John. The Kennedy Obsession: The American Myth of JFK. New York:

Columbia University Press, 1997.

Kaus, Gina. Catherine: The Portrait of an Empress. Trans. June Head. New York:

Viking, 1935.

Kierkegaard, S?ren. The Seducer's Diary, in Either/Or, Part 1. Trans. Howard V.

Hong & Edna H. Hong. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1987.

Lao, Meri. Sirens: Symbols of Seduction. Trans. John Oliphant of Rossie. Rochester,

VT: Park Street Press, 1998.

Lindholm, Charles. Charisma. Cambridge, MA: Basil Blackwell, Ltd., 1990.

Ludwig, Emil. Napoleon. Trans. Eden & Cedar Paul. Garden City, NY: Garden

City Publishing Co., 1926.

Mandel, Oscar, ed. The Theatre of Don Juan: A Collection of Plays and Views,

1630 - 1963. Lincoln, NE: University of Nebraska Press, 1963.

Maurois, Andre. Byron. Trans. Hamish Miles. New York: D. Appleton & Com? pany, 1930.

??. Disraeli: A Picture of the Victorian Age. Trans. Hamish Miles. New York:

D. Appleton & Company, 1928.

Monroe, Marilyn. My Story. New York: Stein and Day, 1974.

Morin, Edgar. The Stars. Trans. Richard Howard. New York: Evergreen Profile Book, 1960.

Ortiz, Alicia Dujovne. Eva Perdu. Trans. Shawn Fields. New York: St. Martin's Press, 1996.

Ovid. The Erotic Poems. Trans. Peter Green. London: Penguin Books, 1982.

??. Metamorphoses. Trans. Mary M. Innes. Baltimore, MD: Penguin Books, 1955.

Peters, H. F. My Sister, My Spouse: A Biography of Lou Andreas - Salom New York:

W. W. Norton, 1962.

Plato. The Symposium. Trans. Walter Hamilton. London: Penguin Books, 1951.

Reik, Theodor. Of Love and Lust: On the Psychoanalysis of Romantic and Sexual Emo?

tions. New York: Farrar, Strauss and Cudahy, 1957.

Rose, Phyllis. Jazz Cleopatra: Josephine Baker and Her Time. New York: Vintage

Books, 1991.

Sackville - West, Vita. Saint Joan of Arc. London: Michael Joseph Ltd., 1936.

Shikibu, Murasaki. The Tale of Genji. Trans. Edward G. Seidensticker. New York:

Alfred A. Knopf, 1979.

Shu - Chiung. Yang Kuei - Fei: The Most Famous Beauty of China. Shanghai, China:

Commercial Press, Ltd., 1923.

Smith, Sally Bedell. Reflected Glory: The Life of Pamela Churchill Harriman. New

York: Touchstone, 1996.

Stendhal. Love. Trans. Gilbert and Suzanne Sale. London: Penguin

Books, 1957.

Terrill, Ross. Madame Mao: The White - Boned Demon. New York: Touchstone,

1984.

Trouncer, Margaret. Madame Recamier. London: Macdonald & Co., 1949.

Wadler, Joyce. Liaison. New York: Bantam Books, 1993.

Weber, Max. Essays in Sociology. Ed. Hans Gerth & C. Wright Mills. New York:

Oxford University Press, 1946.

Wertheimer, Oskar von. Cleopatra: A Royal Voluptuary. Trans. Huntley Patterson.

Philadelphia: J. B. Lippincott Company, 1931.

فنّ الإغواء لا يتطلّب أن تستنبط أو تخترع ولا أن تخلق شيئاً من لا شيء وإنّما أن تكتشف ما هو موجودٌ أساساً. الفرق ما بين المغوي وغير المغوي كالفرق بين الألماس والفحم: كلاهما مكوّنٌ من نفس المادّة، ذرّات الكربون، لكنّ الألماس ترتّبت ذرّاته بطريقةٍ مختلفة عن الفحم وتبلورت. هذا الكتاب سيساعدك على إعادة ترتيب مكوّناتك النفسيّة وعلى إجراء عمليّة التبلور هذه، كي تتزيّن بالألماس وينجلي عنك ما يعلوك من الغبار والفحم. الإغواء كالجاذبيّة: كلّنا نخضع لتأثيرها ونعمل وفقاً لقانونها، أدركنا ذلك أم لن ندرك. وهكذا فكلّنا أجرامٌ سماويّة تسبح في فضاء الإغواء: منّا النجوم الساطعة أو الخافتة ومنّا الشموس ومنّا الكواكب ومنّا الأقمار والشهب والنيازك. ولا يموت نجمٌ إلّا ليولد آخر ولا تنطفئ شمسٌ إلّا لتضيء أخرى. ومن أنت من هذه المنظومة الرائعة؟ هذا ما سيساعدك هذا الكتاب على اكتشافه كي تنعم بما حبتك به الطبيعة ولتكون في الطليعة.

إحصل على ما تريد من خلال التلاعب بنقطة الضعف الكبرى لدى الجميع: الرغبة بالمتعة. الإغواء هو الشكل الأكثر خفيةً ومراوغةً وفعّاليةً من أشكال القوة. إنه واضحٌ في سيطرة جون إف. كينيدي على الجماهير ووضوحه في سطوة كليوباترة على أنتوني. الآن، قام مؤلف كتاب «كيف تمسك بزمام القوة: ثمان وأربعون قاعدة ترشدك إليها» الذي حقّق أفضل المبيعات بتأليف دليلٍ يجمع ما بين أدبيّات الإغواء من فرويد إلى كيركيجارد ومن أوفيد إلى كازانوفا وبين الاستراتيجيّات البارعة المُمَثّلة بقصص نجاح وفشل الشخصيات عبر التاريخ. ومرّةً أخرى يقوم روبرت غرين بتحديد القوانين الخالدة للعبة الإغواء الأزليّة التي تقع خارج نطاق الخير والشر، ويكشف كيفيّة إلقاء التعويذة على الهدف وكسر مقاومته وفي نهاية المطاف حمله على الإستسلام. فنّ الإغواء يأخذنا عبر شخصيّات وخصائص الأنماط الرئيسيّة العشرة للإغواء (بما في ذلك الحورية، العاشق المثالي، الغندور، الطبيعي، الكاريزماتي والنجم) وعبر المناورات الأربع والعشرين التي يمكن لأيّ واحدٍ من خلالها أن يتخطّى مقاومة الضحية العديمة الجدوى في وجه ممارسة هذا الشكل السرمدي والمدمّر من الفنّ. كل جزء من هذا الكتاب هو على نفس قدر جوهريّة كل قانون من قوانين القوة الثمان والأربعون ... الإغواء هو كتابٌ لا غنىً عنه في الإقناع، والذي يُظهر واحداً من أعظم الأسلحة في التاريخ والشكل المطلق من القوّة.



9 789933 908409

دار المنير
سوريا ـ اللاذقية ـ شيخضاهر
ص. ب: 729 ، هاتف 329758